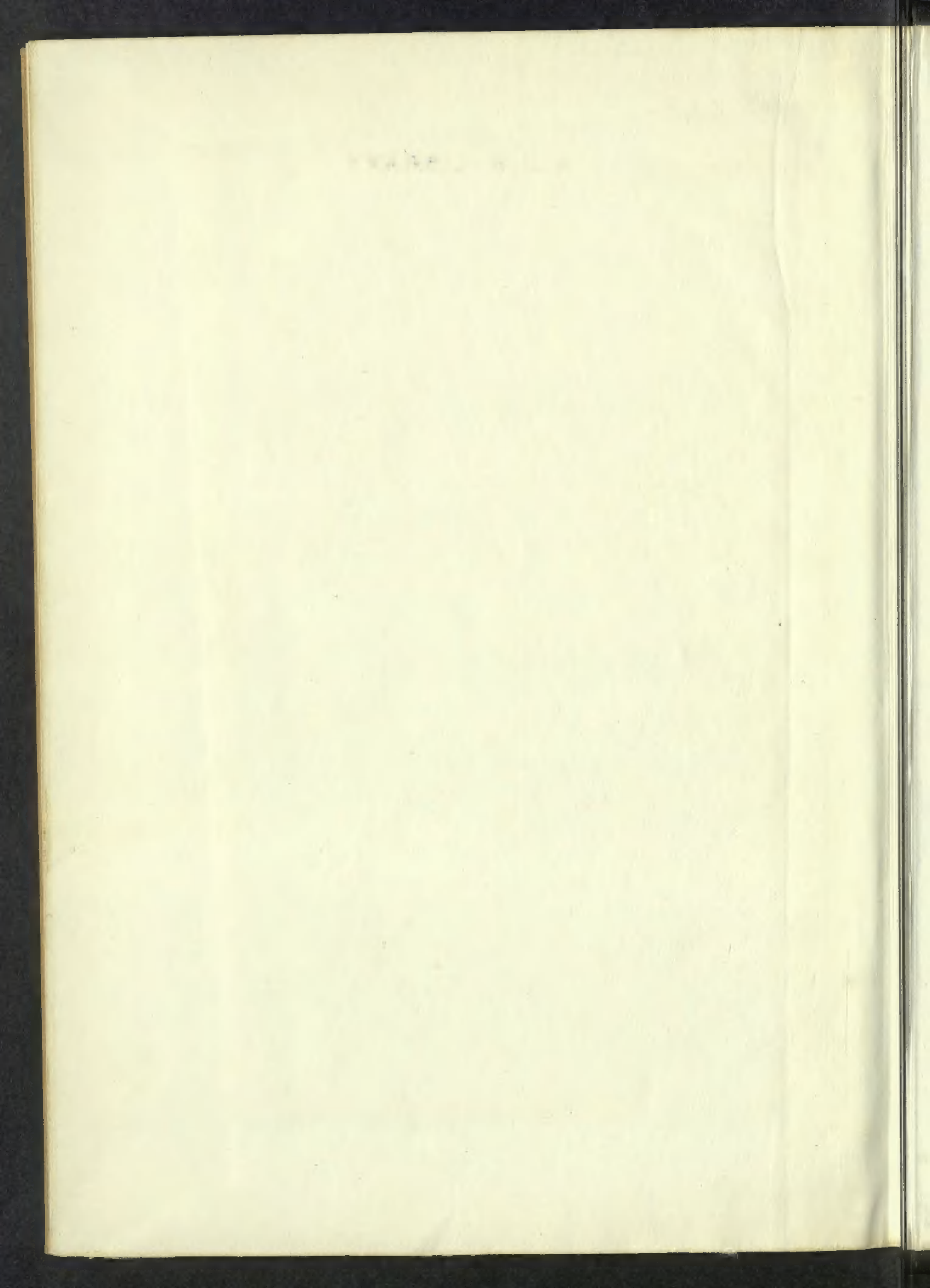
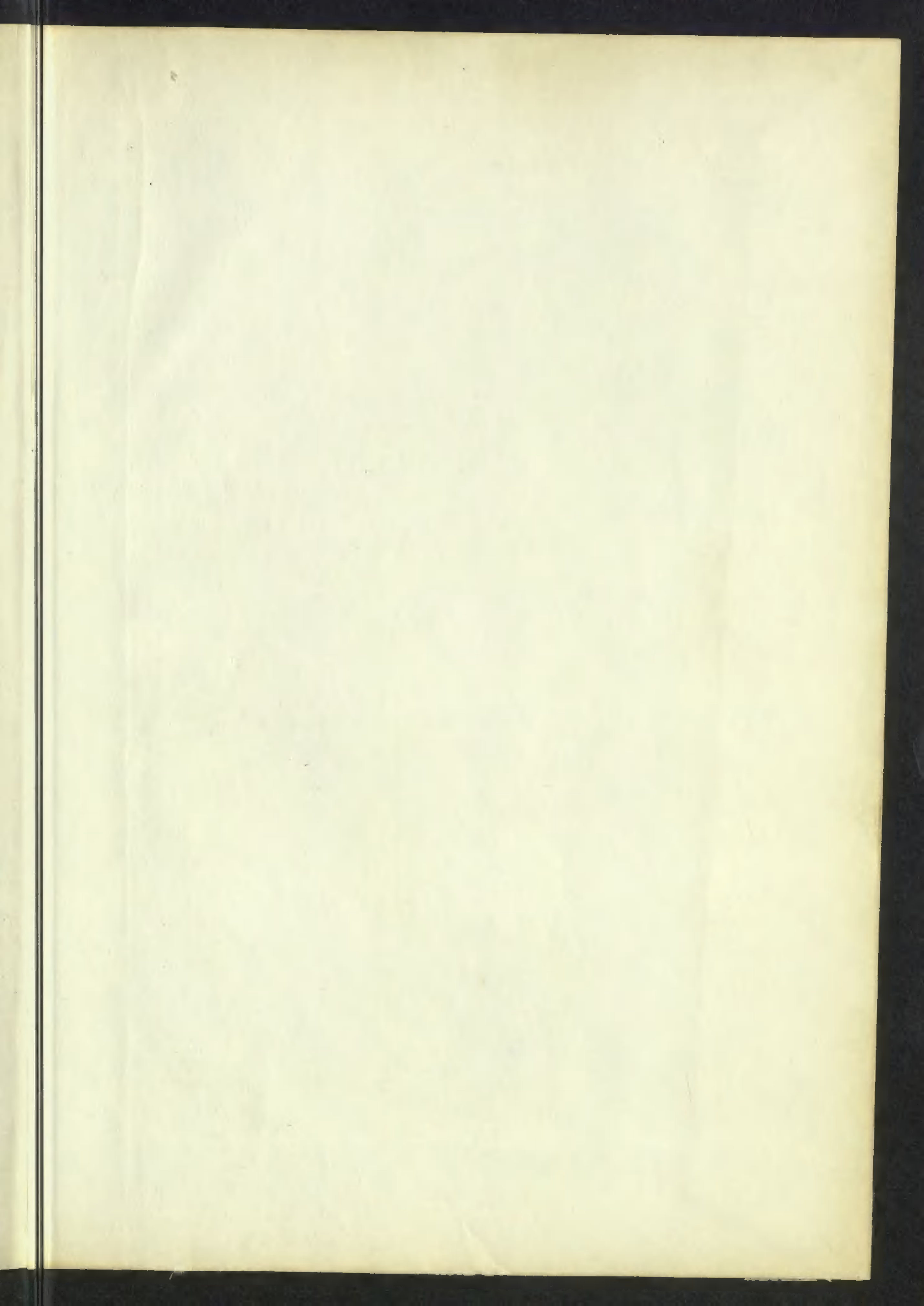
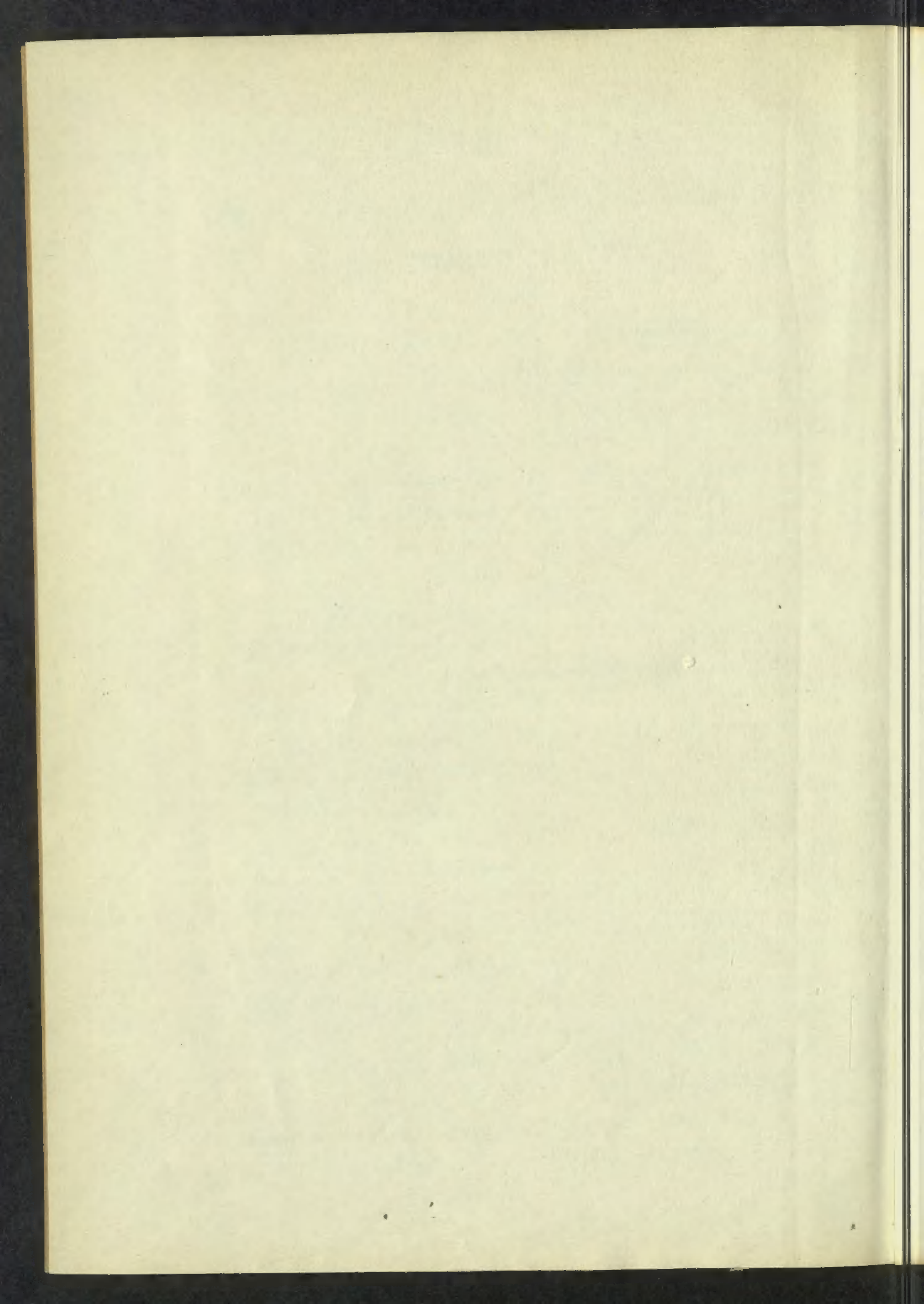
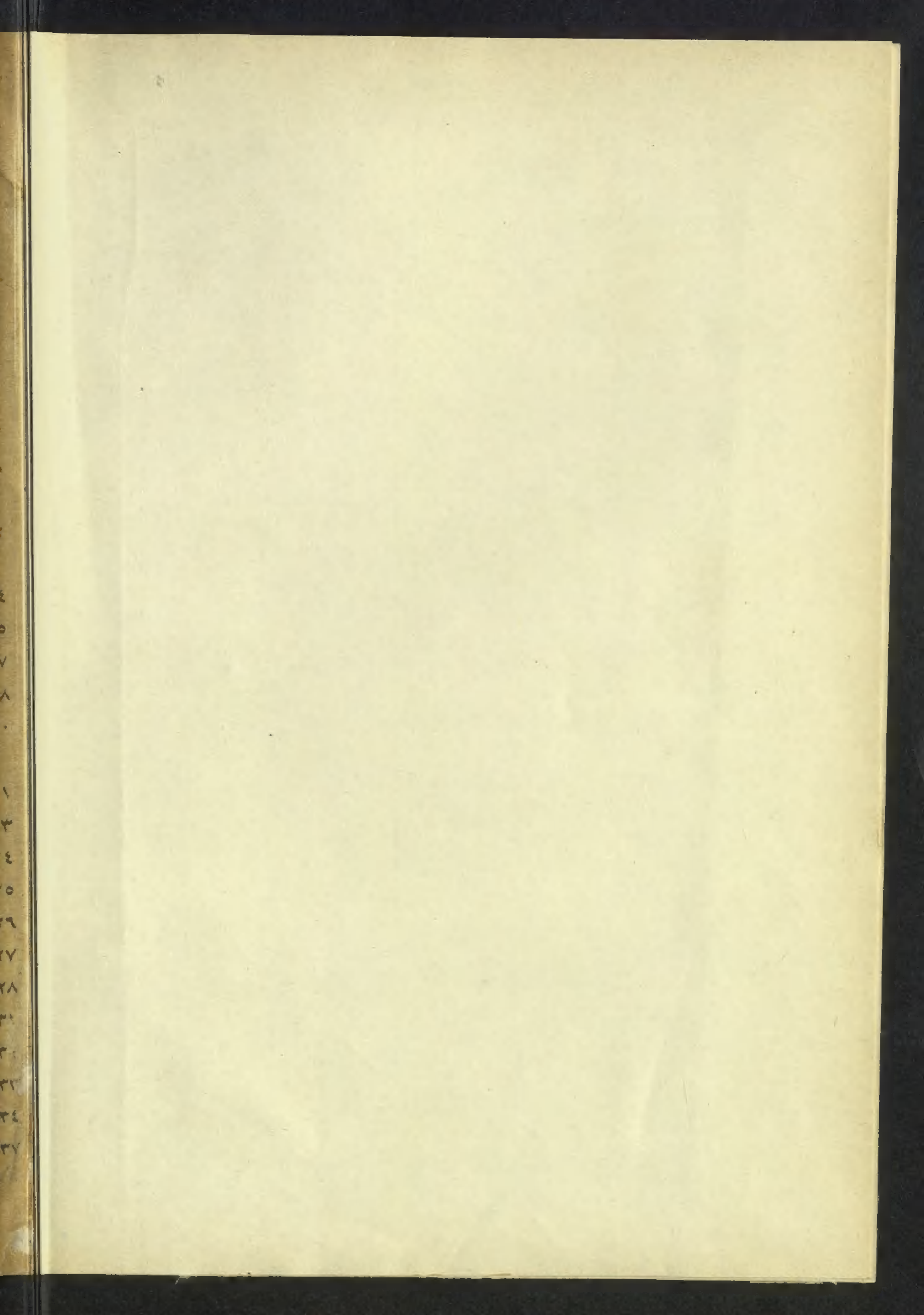








فهرس المسائل المهمة في الجزء الخامس من تفسيري ابن كثير والبغوى

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

تم الفهرس



الجزء الخامس



من تفسير الحافظ ابن كثير

وهو الامام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل

ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤

قال الحافظ الذهبي في المعجم المختص : الامام المفتي المحدث البارع ، فقيه متفنن محدث متقن ، ومفسر ... وله تصانيف مفيدة . وذكر الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة أنه كان من محدثي الفقهاء وقال سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها بعد وفاته

طبع عن نسخة الطبعة الاميرية وصحح مقابلة على نسخة مكتبة الحرم المكي الشريف المصححة على نسخة المؤلف .وعلى نسخة مكتبة الجامع الازهر

ويليه في أدنى الصحائف

معالم التنزيل

تفسير الامام البغوى المتوفى سنة ٥١٦

قال التاج السبكي في طبقات الشافعية : الحسين بن مسعود الفراء الشيخ أبو محمد البغوي صاحب التهذيب الملقب «محيي السنة» من مصنفاته شرح السنة والمصابيح والتفسير المسمى معالم التنزيل. . كان اماماً جليلا ورعا زاهداً فقيهاً محدثاً مفسرا جامعاً بين العلم والعمل ، سالكا سبيل السلف

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

الطبعة الاولى في مطبعة المنار بمصر في سنة ١٣٤٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

(المجلد الخامس من تفسير الحافظ ابن كثير)

تفسير سورة الحجر وهي مكية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الر ، تلك آيات الكتاب وقرآن مبين (١) رُبَما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (٢) ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويُلْهِهِمُ الأملُ فسوف يعلمون (٣)

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور ، وقوله تعالى (ربما يود الذين كفروا) الآية إخبار عنهم أنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر ويتمنون لو كانوا في الدنيا مع المسلمين، ونقل السدي في تفسيره بسنده المشهور عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة ان كفار قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة الحجر)

﴿ مكية وهي تسعة وتسعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿الر﴾ معناه أنا الله أرى ﴿تلك آيات الكتاب﴾ أي هذه آيات الكتاب ﴿ وقرآن ﴾ أي وآيات قرآن ﴿مبين﴾ أي بين الحلال من الحرام والحق من الباطل فان قيل لم ذكر الكتاب ثم قال (وقرآن مبين) وكلاهما واحد ؟ قلنا قد قيل كل واحد منهما يفيد فائدة أخرى فان الكتاب ما يكتب والقرآن ما يجمع بعضه الى بعض وقيل المراد بالكتاب التوراة والانجيل وبالقرآن هذا الكتاب ﴿ربما﴾ قرأ أبو

لما عرضوا على النار تمنوا أن لو كانوا مسلمين. وقيل ان المراد ان كل كافر يود عند احتضاره أن لو كان مؤمنا ، وقيل هذا اخبار عن يوم القيامة كقوله تعالى (ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) وقال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي الزهراء عن عبد الله في قوله [ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين] قال هذا في الجهنميين إذا رأوهم يخرجون من النار ، وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا مسلم حدثنا القاسم حدثنا ابن أبي فروة العبدي أن ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأولان هذه الآية [ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين] يتأولانها يوم يحبس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين في النار قال فيقول لهم المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون في الدنيا قال فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيخرجهم فذلك حين يقول [ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين] وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن حماد عن ابراهيم وعن خصيف عن مجاهد قالا يقول أهل النار للموحدين ما أغنى عنكم ايمانكم فاذا قالوا ذلك قال الله أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان قال فعند ذلك قوله (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) وهكذا روي عن الضحاك وقتادة وأبي العالية وغيرهم، وقد ورد في ذلك أحاديث مرفوعة فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن العباس هو الأخرم حدثنا محمد بن منصور الطوسي حدثنا صالح بن إسحاق الجهبذ وابن علية يحيى بن موسى [1] حدثنا معروف بن واصل عن يعقوب بن نباته عن عبد الرحمن الاغر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ان ناسا من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم أهل اللات والعزى ما أغنى عنكم قولكم لا إله إلا الله وأنتم معنا في النار ؟ فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقيهم في نهر الحياة فيبرؤن من حرقهم كما يبرأ القمر من خسوفه ويدخلون الجنة ويسمون فيها الجهنميون » فقال رجل يا أنس أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ فقال أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » نعم أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا ، ثم قال الطبراني تفرد به الجهبذ

[1] في المكية ابن معين

﴿ الحديث الثاني ﴾ قال الطبراني أيضاً حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبو الشعثاء علي ابن حسن الواسطي حدثنا خالد بن نافع الاشعري عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل

جعفر ونافع وعاصم بتخفيف الباء والباقون بتشديدها وهما لغتان ورب للتقليل وكم للتكثير ورب تدخل على الاسم وربما على الفعل يقال رب رجل جاءني وربما جاءني رجل وأدخل ما ههنا للفعل بعدها ﴿يود﴾ يتمنى ﴿الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ واختلفوا في الحالة التي يتمنى الكافر فيها الاسلام قال الضحاك حالة المعاينة وقيل يوم القيامة والمشهور أنه حين يخرج الله المؤمنين من النار ، وروي عن أبي موسى الاشعري عن النبي ﷺ قال « إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل

القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم الاسلام وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فسمع الله ما قالوا فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا فلما رأى ذلك من بقي من الكفار (قالوا ياليتنا كنا مسلمين) فنخرج كما خرجوا قال ثم قرأ رسول الله ﷺ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين * ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) ورواه ابن أبي حاتم من حديث خالد بن نافع به وزاد فيه بسم الله الرحمن الرحيم عوض الاستعاذة

﴿ الحديث الثالث ﴾ قال الطبراني أيضا حدثنا موسى بن هارون حدثنا اسحاق بن راهويه قال قلت لأبي أسامة أحدثكم أبو روق واسمه عطية بن الحارث حدثني صالح بن أبي طريف قال سألت أبا سعيد الخدري فقلت له هل سمعت رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) ؟ قال نعم سمعته يقول « يخرج الله ناسا من المؤمنين من النار بعد ما تأخذ نقمته منهم » وقال « لما أدخلهم الله النار مع المشركين قال لهم المشركون تزعمون أنكم أولياء الله في الدنيا فما بالكم معنا في النار ؟ فاذا سمع الله ذلك منهم أذن في الشفاعة لهم فتشفع لهم الملائكة والنبيون ويشفع المؤمنون حتى يخرجوا باذن الله فاذا رأى المشركون ذلك قالوا ياليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم » قال فذلك قول الله (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) فيسمون في الجنة الجهنميون من أجل سواد في وجوههم فيقولون يارب أذهب عنا هذا الاسم فيأمرهم فيغتسلون في نهر الجنة فيذهب ذلك الاسم عنهم فأقر به أبو أسامة وقال نعم

﴿ الحديث الرابع ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا العباس بن الوليد البرسي حدثنا مسكين ابو فاطمة حدثني اليمان بن يزيد عن محمد بن حسين عن محمد بن علي عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ « منهم من تأخذه النار الى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه الى حجزته ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه على قدر ذنوبهم وأعمالهم ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج منها ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها وأطولهم فيها مكثا بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى فاذا أراد الله أن يخرجهم منها قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الاديان والاوثان لمن في النار من أهل التوحيد آمنتم بالله وكتبه ورسله فنحن وأنتم اليوم في النار سواء فيغضب الله لهم غضبا لم يغضبه لشيء

القبلة قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة ألستم مسلمين ؟ قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم وأنتم معنا في النار؟ قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغفر الله لهم بفضل رحمته فيأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يوم يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فان قيل كيف قال ربما وهي للتقليل وهذا التمني يكثر من الكفار؟ قلنا قد تذكر ربما للتكثير أو أراد ان شغلهم بالعذاب لايفرغهم

فيامضى فيخرجهم إلى عين في الجنة وهو قوله (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) وقوله (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) تهديد شديد لهم ووعيد أكيد كقوله تعالى (قل تمتعوا فان مصيركم إلى النار) وقوله (كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون) ولهذا قال (ويلههم الامل) أي عن التوبة والانابة (فسوف يعلمون) أي عاقبة أمرهم

وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم (٤) ما تسبق من أمة أجلها وما يستئخرون (٥)

يخبر تعالى أنه ما أهلك قرية إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ، وانه لا يؤخر أمة حان هلاكهم عن ميقاتهم ولا يتقدمون عن مدتهم وهذا تنبيه لأهل مكة وارشاد لهم الى الاقلاع عما هم عليه من الشرك والعناد والالحاد الذي يستحقون به الهلاك

وقالوا يا أيها الذي نُزّل عليه الذكر انك لمجنون (٦) لوما تأتينا بالملئكة ان كنت من الصدقين (٧) ماننزل الملئكة إلا بالحق وما كانوا اذًا منظَرين (٨) إنّا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (٩)

يخبر تعالى عن كفرهم وعتوهم وعنادهم في قولهم (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أي الذي تدعي ذلك (إنك لمجنون) أي في دعائك إيانا إلى اتباعك وترك ماوجدنا عليه آباءنا (لوما) أي هلا (تأتينا بالملائكة) أي يشهدون لك بصحة ماجئت به كما قال فرعون (لولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين) (وقال الذين لايرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد

الندامة انما يخطر ذلك ببالهم أحيانا ﴿ذرهم﴾ يامحمد يعني الذين كفروا ﴿يأكلوا﴾ في الدنيا ﴿ويتمتعوا﴾ من لذاتها ﴿ويلههم﴾ يشغلهم ﴿الامل﴾ عن الاخذ بحظهم من الايمان والطاعة ﴿فسوف يعلمون﴾ اذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ماصنعوا وهذا تهديد ووعيد ، وقال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وقوله (فسوف يعلمون) تهديد آخر فمتى يهنأ العيش بين تهديدين والآية نسختها آية القتال

قوله تعالى ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ أي من أهل قرية ﴿إلا ولها كتاب معلوم﴾ أي أجل مضروب لا تتقدم عليه ولا يأتيهم العذاب حتى يبلغوه ولا يتأخر عنهم ﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ من صلة أي ماتسبق أمة أجلها ﴿وما يستأخرون﴾ أي الموت لايتقدم ولا يتأخر وقيل العذاب وقيل الأجل المضروب ﴿وقالوا﴾ يعني مشركي مكة ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ أي القرآن وأرادوا به محمدا ﷺ ﴿انك لمجنون﴾ وذكروا تنزيل الذكر على سبيل الاستهزاء ﴿لوما﴾ هلا ﴿تأتينا بالملائكة﴾

ستكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً ■ يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً) وكذا قال في هذه الآية (ماننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذاً منظرين) وقال مجاهد في قوله (ماننزل الملائكة إلا بالحق) بالرسالة والعذاب ثم قرر تعالى أنه هو الذي أنزل عليه الذكر وهو القرآن وهو الحافظ له من التغيير والتبديل ومنهم من أعاد الضمير في قوله تعالى (له لحافظون) على النبي ﷺ كقوله (والله يعصمك من الناس) والمعنى الاول أولى وهو ظاهر السياق

ولقدْ أرسلنا مِنْ قبلكَ في شيع الأولين (١٠) وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون (١١) كذلك نسلكه في قلوب المجرمين (١٢) لا يؤمنون به وقدْ خلتْ سنة الاولين (١٣)

يقول تعالى مسليا لرسوله ﷺ في تكذيب من كذبه من كفار قريش إنه أرسل من قبله من الامم الماضية وانه ما أتى أمة من رسول الا كذبوه واستهزءوا به ثم أخبر أنه سلك التكذيب في قلوب المجرمين الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدى قال أنس والحسن البصري (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) يعني الشرك وقوله (وقد خلت سنة الاولين) أي قد علم مافعل تعالى بمن كذب

شاهدين لك بالصدق على ما تقول أن الله أرسلك ﴿ ان كنت من الصادقين ﴾ انك نبي ﴿ ما ننزل الملائكة ﴾ قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر بنونين الملائكة نصب وقرأ أبو بكر بالتاء وضمها وفتح الزاي الملائكة رفع وقرأ الباقون بالتاء وفتحها وفتح الزاي الملائكة رفع ﴿ الا بالحق ﴾ أي بالعذاب ولو نزلت يعني الملائكة لعجلوا بالعذاب ﴿ وما كانوا إذاً منظرين ﴾ أي مؤخرين وقد كان الكفار يطلبون انزال الملائكة عيانا فاجابهم الله تعالى بهذا ومعناه أنهم لو نزلوا عيانا لزال عن الكفار الامهال وعذبوا في الحال ﴿ انا نحن نزلنا الذكر ﴾ يعني القرآن ﴿ وانا له لحافظون ﴾ أي نحفظ القرآن من الشياطين أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه أو يبدلوا بغيره ■ قال الله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) والباطل هو ابليس لا يقدر أن يزيد فيه ما ليس منه ولا أن ينقص منه ماهو منه وقيل الهاء في له راجعة الى محمد ﷺ أي انا لمحمد لحافظون ممن أراده بسوء كما قال جل ذكره (والله يعصمك من الناس) قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك ﴾ أي رسلا ﴿ في شيع الاولين ﴾ أي في امم القرون الماضية والشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم على رأي واحد ﴿ وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون ﴾ كما فعلوا بك ذكره تسلية للنبي ﷺ ﴿ كذلك نسلكه ﴾ أي كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء بالرسل في قلوب شيع الاولين (كذلك نسلكه) أي ندخله ﴿ في قلوب المجرمين ﴾ يعني مشركي مكة قومك وفيه رد على القدرية ﴿ لا يؤمنون به ﴾ يعني لا يؤمنون بمحمد ﷺ وبالقرآن ﴿ وقد خلت ﴾

رسله من الهلاك والدمار وكيف أنجى الله الانبياء وأتباعهم في الدنيا والآخرة

ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون (١٤) لقالوا انما سكرت أبصرنا بل نحن قوم مسحورون (١٥)

يخبر تعالى عن كفرهم وعنادهم ومكابرتهم للحق أنه لو فتح لهم بابا من السماء فجعلوا يصعدون فيه لما صدقوا بذلك بل قالوا (انما سكرت أبصارنا) قال مجاهد وابن كثير والضحاك سدت أبصارنا وقال قتادة عن ابن عباس أخذت أبصارنا ، وقال العوفي عن ابن عباس شبه علينا وانما سحرنا ، وقال الكلبي عميت أبصارنا . وقال ابن زيد سكرت أبصارنا السكران الذي لا يعقل

ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزينها للنظرين (١٦) وحفظنها من كل شيطن رجيم (١٧) الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين (١٨) والارض مددنها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون (١٩) وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين (٢٠)

يذكر تعالى خلقه السماء في ارتفاعها وما زينها به من الكواكب الثوابت والسيارات ، لمن تأمل وكرر النظر فيما يرى من العجائب والآيات الباهرات . ما يحار نظره فيه ولهذا قال مجاهد وقتادة البروج ههنا هي الكواكب [قلت] وهذا كقوله تبارك وتعالى [تبارك الذي جعل في السماء بروجا] الآية . ومنهم من قال البروج هي منازل الشمس والقمر ، وقال عطية العوفي البروج ههنا هي قصور فيها الحرس وجعل الشهب حرساً لها من مردة الشياطين لئلا يسمعوا إلى الملأ الأعلى فمن تمرد وتقدم منهم

مضت ﴿سنة الأولين﴾ أي وقائع الله تعالى بالاهلاك فيمن كذب الرسل من الامم الخالية يخوف أهل مكة ﴿ ولو فتحنا عليهم ﴾ يعني على الذين يقولون لوما تأتينا بالملائكة ﴿ بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ﴾ أي فظلت الملائكة يعرجون فيه وهم يرونها عيانا . هذا قول الاكثرين وقال الحسن معناه فظل هؤلاء الكفار يعرجون فيه أي يصعدون والاول أصح ﴿لقالوا انما سكرت﴾ سدت ﴿ أبصارنا ﴾ قاله ابن عباس ، وقال الحسن سحرت . وقال قتادة أخذت . وقال الكلبي عميت . وقرأ ابن كثير سكرت بالتخفيف أي حبست ومنعت النظر كما يسكر النهر لحبس الماء ﴿ بل نحن قوم مسحورون ﴾ أي عمل فينا السحر فسحرنا محمد.

قوله تعالى ﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجا ﴾ والبروج هي النجوم الكبار مأخوذ من الظهور يقال تبرجت المرأة أي ظهرت وأراد بها المنازل التي تنزلها الشمس والقمر والكواكب السيارة وهي اثنا عشر برجا الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو

لاستراق السمع جاءه شهاب مبين فأتلفه فربما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلى الذي هو دونه فيأخذها الآخر ويأتي بها إلى وليه كما جاء مصرحا به في الصحيح كما قال البخاري في تفسير هذه الآية :حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال « إذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان » قال علي وقال غيره صفوان ينفذهم ذلك فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر ووصف سفيان بيده فرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل

والحوت ، وقال عطية هي قصور في السماء عليها الحرس ﴿ وزيناها ﴾ اي السماء بالشمس والقمر والنجوم ﴿ للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم ﴾ مرحوم وقيل ملعون . قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها فيلقون على الكهنة ما سمعوا فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات فلما ولد محمد ﷺ منعوا من السموات أجمع فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلا رمي بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدث في الارض حادث قال فبعثهم فوجدوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن فقالوا هذا والله لقد حدث ﴿الا من استرق السمع ﴾ لكن من استرق السمع ﴿ فأتبعه شهاب مبين ﴾ والشهاب الشعلة من النار وذلك أن الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء الدنيا ويسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطيء أبداً فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حيث يشاء الله ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس في البوادي، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عمرو قال : سمعت عكرمة يقول سمعت أبا هريرة يقول إن نبي الله ﷺ قال « اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا» لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا للذى قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع أحدهم الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء ، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن أبي مريم ثنا الليث ثنا ابن أبي جعفر عن محمد بن عبد الرحمن عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ انها سمعت النبي ﷺ يقول « ان الملائكة

منه حتى يلقوها إلى الارض وربما قال سفيان حتى تنتهي إلى الارض فتلقى على فم الساحر أو الكاهن فيكذب معها مائة كذبة فيصدق فيقولون ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقا للكلمة التي سمعت من السماء

ثم ذكر تعالى خلقه الارض ومده إياها وتوسيعها وبسطها وما جعل فيها من الجبال الرواسي والاودية والاراضي والرمال وما أنبت فيها من الزروع والثمار المتناسبة ، وقال ابن عباس (من كل شيء موزون) أي معلوم وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك ومجاهد والحكم بن عيينة والحسن بن محمد وأبو صالح وقتادة ومنهم من يقول مقدر بقدر ، وقال ابن زيد من كل شيء يوزن ويقدر بقدر [١] وقال ابن زيد مايزنه أهل الاسواق ،

وقوله (وجعلنا لكم فيها معايش) يذكر تعالى انه صرفهم في الارض في صنوف الاسباب والمعايش وهي جمع معيشة وقوله (ومن لستم له برازقين) قال مجاهد هي الدواب والانعام ، وقال ابن جرير

(١) هذا وماقبله أصح ولا معنى للوزن الا تقدير الشيء المجهول بمقدار معلوم كما قال تعالى (وما ننزله الا بقدر معلوم) وقد وضعت في هذا العصر موازين لجميع انواع الاثقال والمقادير العرضية كالحرارة والرطوبة وصاروا يعرفون وزن العناصر التي يتركب منها كل نبات من البسائط والآية تشمل كل هذا لانها من كلام الخلاق العليم وهي من معجزات القرآن

تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الامر الذي قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم . واعلم ان هذا لم يكن ظاهرا قبل مبعث النبي ﷺ ولم يذكره شاعر من العرب قبل زمان النبي ﷺ وانما ظهر في بدء أمره وكان ذلك أساسا لنبوته ، وقال يعقوب ابن عتبة بن المغيرة بن الاخنس بن شريق ان أول من فزع للرمي بالنجوم هذا الحي من ثقيف وانهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج وكان أدهى العرب فقالوا له ألم تر ماحدث في السماء من القذف بالنجوم؟ قال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معايشهم هي التي يرمى بها فهي والله طي الدنيا وهلاك الخلق الذي فيها وان كانت نجوما غيرها وهي والله ثابتة على حالها فهذا لامر أراده الله تعالى بهذا الخلق قال معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أفرأيت قوله تعالى (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) الآية قال غلظ وشدد أمرها حين بعث محمد ﷺ وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة فصار شدة الحراسة والاهتمام بالرجم بعد مبعثه وقيل ان النجم ينقض فيرمي الشياطين ثم يعود إلى مكانه والله أعلم

قوله تعالى ﴿ والارض مددناها ﴾ بسطناها على وجه الماء يقال انها مسيرة خمسمائة سنة في مثلها دحيت من تحت الكعبة ﴿ وألقينا فيها رواسي ﴾ جبالا ثوابت وقد كانت الارض تميد إلى أن أرساها الله بالجبال ﴿ وأنبتنا فيها ﴾ أي في الارض ﴿ من كل شيء موزون ﴾ بقدر معلوم وقيل يعني في الجبال وهي جواهرها من الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها حتى الزرنيخ والكحل كل ذلك يوزن وزنا ، وقال ابن زيد هي الاشياء التي توزن وزنا ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ﴾ جمع معيشة قيل أراد بها المطاعم والمشارب والملابس ، وقيل ما يعيش به الآدمي في الدنيا ﴿ ومن لستم له برازقين ﴾ أي

هم العبيد والإماء والدواب والانعام والقصد أنه يمتن عليهم بما يسر لهم من أسباب المكاسب ووجوه الاسباب وصنوف المعايش ، وبما سخر لهم من الدواب التي يركبونها والانعام التي يأكلونها والعبيد والاماء التي يستخدمونها ورزقهم على خالقهم لا عليهم فلهم هم المنفعة والرزق على الله تعالى

وإن من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزّله الا بقدرٍ معلوم (٢١) وأرسلنا الريح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخزنين (٢٢) وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون (٢٣) ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستئخرين (٢٤) وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم (٢٥)

يخبر تعالى أنه مالك كل شيء وأن كل شيء سهل عليه يسير لديه ، وأن عنده خزائن الاشياء من جميع الصنوف (وما ننزله إلا بقدر معلوم) كما يشاء وكما يريد ولما له في ذلك من الحكمة البالغة والرحمة بعباده لا على جهة الوجوب بل هو كتب على نفسه الرحمة . قال يزيد بن أبي زياد عن أبي جحيفة عن عبدالله مامن عام أمطر من عام ولكن الله يقسمه بينهم حيث شاء عاما ههنا وعاما ههنا ثم قرأ (وان من شيء الا عندنا خزائنه) الآية رواه ابن جرير ، وقال أيضا حدثنا القاسم حدثنا هشيم أخبرنا اسماعيل بن سالم عن الحكم بن عيينة في قوله (ومانتزله إلا بقدر معلوم) قال ما عام بأكثر مطرا من عام ولا أقل ولكنه يمطر قوم ويحرم آخرون بما كان في البحر قال وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم يحصون كل قطرة حيث تقع وماتنبت ، وقال البزار حدثنا داود هو ابن بكير حدثنا حيان بن أغلب بن تميم حدثني أبي عن هشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « خزائن الله الكلام فاذا أراد شيئا قال له كن فكان » ثم قال لايرويه إلا أغلب وليس بالقوي وقد حدث عنه غير واحد من المتقدمين ولم يروه عنه إلا ابنه وقوله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح) أي تلقح السحاب فتدر ماء وتلقح الشجر

جعلنا فيها معايش من لستم له برازقين من الدواب والانعام أي جعلناها لكم وكفيناكم رزقها و(من) في الاية بمعنى ما كقوله تعالى (فمنهم من يمشي على بطنه) وقيل من في موضعها لانه أراد المماليك مع الدواب ، وقيل من في محل الخفض عطفا على الكاف والميم في لكم ﴿ وإن من شيء ﴾ أي وما من شيء ﴿ إلا عندنا خزائنه ﴾ أي مفاتيح خزائنه ، وقيل أراد به المطر ﴿ وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ لكل أرض حد مقدر ويقال لاتنزل من السماء قطرة إلا ومعها ملك يسوقها حيث يريد الله عزوجل ويشاء وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال في العرش مثال جميع ماخلق الله في البر والبحر وهو تأويل قوله تعالى (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ أي حوامل لانها تحمل الماء

فتفتح عن أوراقها وأكمامها وذكرها بصيغة الجمع ليكون منها الانتاج بخلاف الريح العقيم فانه أفردها ووصفها بالعقيم وهو عدم الانتاج لانه لايكون إلا بين شيئين فصاعدا * وقال الاعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن عن عبدالله بن مسعود في قوله (وأرسلنا الرياح لواقح) قال ترسل الريح فتحمل الماء من السماء ثم تمر مر السحاب حتى تدر كما تدر اللقحة وكذا قال ابن عباس وابراهيم النخعي وقتادة * وقال الضحاك يبعثها الله على السحاب فتلقحه فيمتلىء ماء ، وقال عبيد بن عمير الليثي يبعث الله المبشرة فتقم الارض قما ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر ثم تلا (وأرسلنا الرياح لواقح) وقد روى ابن جرير من حديث عبيس بن ميمون عن أبي المهزم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « الريح الجنوب من الجنة وهي التي ذكر الله في كتابه وفيها منافع للناس » وهذا إسناد ضعيف * وقال الامام أبو بكر عبدالله ابن الزبير الحميدي في مسنده حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرني يزيد بن جعدبة الليثي أنه سمع عبدالرحمن بن مخراق يحدث عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله خلق في الجنة ريحا بعد الريح سبع سنين وان من دونها بابا مغلقا وانما يأتيكم الريح من خلل الباب ولو فتح لأذرت

إلى السحاب وهو جمع لاقحة يقال ناقة لاقحة إذا حملت الولد . قال ابن مسعود : يرسل الله الريح فتحمل الماء فيمر به السحاب فيدر كما تدر اللقحة ثم تمطر ، وقال أبو عبيدة أراد باللواقح الملاقح واحدتها ملقحة لانها تلقح الاشجار . قال عبيد بن عمير يبعث الله الريح المبشرة فتقم الارض قما ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه إلى بعض فتجعله ركاما ثم يبعث اللواقح فتلقح الشجر . وقال أبو بكر بن عياش لاتقطر قطرة من السماء إلا بعد أن تعمل الرياح الاربع فيه فالصبا تهيجه والشمال تجمعه والجنوب تذروه والدبور تفرقه . وفي الخبر « ان اللقح رياح الجنوب » وفي بعض الآثار : ماهبت ريح الجنوب الا وأنبعت عينا غدقة . وأما الريح العقيم فانها تأتي بالعذاب ولا تلقح ، أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا من لا أتهم بحديثه ثنا العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس قال ماهبت ريح قط الا جثا النبي ﷺ على ركبتيه وقال « اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا ، اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا » قال ابن عباس في كتاب الله عز وجل (فأرسلنا عليهم ريحا صرصراً * اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وقال (وأرسلنا الرياح لواقح) وقال (يرسل الرياح مبشرات) قرأ حمزة وحده [وأرسلنا الريح لواقح] على الوحدة والوجه ان الريح يراد به الجنس والكثرة ولهذا وصفت بالجمع في قوله [لواقح] وقرأ الباقون [الرياح] بالالف على الجمع ووجهه ظاهر وذلك انها وصفت بقوله [لواقح] وهي جماعة فينبغي أن يكون الموصوف أيضا جماعة ليتوافقا

مابين السماء والارض من شيء وهي عندالله الاذيب وهي فبكم الجنوب وقوله (فأسقيناكموه) أي أنزلناه لكم عذبا يمكنكم أن تشربوا منه لو نشاء جعلناه أجاجا كما نبه على ذلك في الآية الاخرى في سورة الواقعة وهو قوله تعالى (أفرأيتم الماء الذي تشربون* أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون؟* لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون) وفي قوله (وهو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون) وقوله (وما أنتم له بخازنين) قال سفيان الثوري بمانعين ويحتمل أن المراد وما أنتم له بحافظين بل نحن ننزله ونحفظه عليكم ونجعله معينا وينابيع في الارض ولو شاء تعالى لاغاره وذهب به ولكن من رحمته أنزله وجعله عذبا وحفظه في العيون والآبار والأنهار وغير ذلك ليبقى لهم في طول السنة يشربون ويسقون أنعامهم وزروعهم وثمارهم وقوله (وانا لنحن نحيي ونميت) إخبار عن قدرته تعالى على بدء الخلق وإعادته وانه هو الذي أحيا الخلق من العدم ثم يميتهم ثم يبعثهم كلهم ليوم الجمع وأخبر أنه تعالى يرث الارض ومن عليها واليه يرجعون ثم أخبر تعالى عن تمام علمه بهم أولهم وآخرهم فقال (ولقد علمنا المستقدمين منكم) الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما المستقدمون كل من هلك من لدن آدم عليه السلام والمستأخرون من هو حي ومن سيأتي الى يوم القيامة ، وروي نحوه عن عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة ومحمد بن كعب والشعبي وغيرهم وهو اختيار ابن جرير رحمه الله ، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبدالاعلى حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن رجل عن مروان بن الحكم أنه قال كان أناس يستأخرون في الصفوف من أجل النساء فأنزل الله (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) وقد ورد فيه حديث غريب جداً فقال ابن جرير حدثني محمد بن

قوله ﴿ فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه ﴾ أي جعلنا المطر لكم سقيا ، يقال أسقى فلان فلانا اذا جعل له سقيا وسقاه اذا أعطاه ما يشرب ، وتقول العرب سقيت الرجل ماء ولبنا اذا كان يسقيه فاذا جعلوا له ماء لشرب أرضه ودوابه تقول العرب أسقيته ﴿ وما أنتم له بخازنين ﴾ يعني المطر في خزائننا لا في خزائنكم ، وقال سفيان بمانعين ﴿ وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ﴾ بأن نميت جميع الخلائق فلا يبقى حي سوانا والوارث من صفات الله عز وجل قيل الباقي بلد فناء الخلق وقيل معناه أن مصير الخلق اليه .

قوله تعالى ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ قال ابن عباس أراد بالمستقدمين الاموات وبالمستأخرين الاحياء ، قال الشعبي الاولين والآخرين ، وقال عكرمة المستقدمون من خلق الله والمستأخرون من لم يخلق الله . قال مجاهد المستقدمون القرون الاولى والمستأخرون أمة محمد ﷺ وقال الحسن المستقدمون في الطاعة والخيرات والمستأخرون المبطئون عنها وقيل المستقدمون في الصفوف في الصلاة والمستأخرون فيها وذلك أن النساء كن يخرجن إلى صلاة الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتأخر إلى آخر صفوف الرجال ليقرب من النساء ومن النساء من

موسى الحرشي حدثنا نوح بن قيس حدثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت تصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم امرأة حسناء قال ابن عباس لا والله ما رأيت مثلها قط وكان بعض المسلمين إذا صلوا استقدموا يعني لئلا يروها وبعض يستأخرون فاذا سجدوا نظروا اليها من تحت أيديهم فأنزل الله (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) وكذا رواه احمد وابن أبي حاتم في تفسيره ورواه الترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما وابن ماجه من طرق عن نوح بن قيس الحداني وقد وثقه أحمد وأبوداود وغيرهما وحكى عن ابن معين تضعيفه وأخرجه مسلم وأهل السنن وهذا الحديث فيه نكارة شديدة وقد رواه عبدالرزاق عن جعفر بن سليمان عن عمرو بن مالك وهو البكري أنه سمع أبا الجوزاء يقول في قوله (ولقد علمنا المستقدمين منكم) في الصفوف في الصلاة (والمستأخرين) فالظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط ليس فيه لابن عباس ذكر، وقد قال الترمذي هذا أشبه من رواية نوح بن قيس والله أعلم وهكذا روى ابن جرير عن محمد بن أبي معشر عن أبيه أنه سمع عون بن عبدالله يذكر محمد بن كعب في قوله (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) وانها في صفوف الصلاة فقال محمد بن كعب ليس هكذا (ولقد علمنا المستقدمين منكم) الميت والمقتول (والمستأخرين) من يخلق بعد (وإن ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم) فقال عون بن عبد الله وفقك الله وجزاك خيرا

ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإٍ مسنون والجانّ خلقنه من قبل من نار السَّموم (٢٧)

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة المراد بالصلصال ههنا التراب اليابس والظاهر أنه كقوله تعالى (خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار) وعن مجاهد أيضاً (الصلصال)

كانت في قلبها ريبة فتقدم إلى أول صفوف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الآية فقال النبي ﷺ «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها»[1] وقال الاوزاعي أراد المصلين في أول الوقت والمؤخرين إلى آخره، وقال مقاتل أراد بالمستقدمين والمستأخرين في صف القتال، وقال ابن عيينة أراد من يسلم ومن لا يسلم ﴿وان ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم﴾ على ما علم منهم وقيل يميت الكل ثم يحشرهم الاولين والآخرين أخبرنا أبوصالح أحمد بن عبدالملك المؤذن أنا أبو سعيد الصيرفي ثنا ابوالعباس الاصم ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال النبي ﷺ «من مات على شيء بعثه الله عليه»[2].

قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا الانسان﴾ يعني آدم عليه السلام سمي إنسانا لظهوره وإدراك البصر إياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه فنسي ﴿من صلصال﴾ وهو الطين اليابس الذي إذا نقرته سمعت له صلصلة أي صوتا قال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذي إذا نضب عنه الماء تشقق فاذا حرك

١) رواه مسلم واصحاب السنن عن ابي هريرة
٢) رواه أحمد والحاكم بسند صحيح

المنتن وتفسير الآية بالآية أولى وقوله (من حمأ مسنون) أي الصلصال من حمأ وهو الطين. والمسنون الأملس كما قال الشاعر :

ثم خاصرتها الى القبة الخضراء تمشي في مرمر مسنون

أي أملس صقيل ولهذا روي عن ابن عباس انه قال هو التراب الرطب، وعن ابن عباس ومجاهد أيضاً والضحاك ان الحمأ المسنون هو المنتن وقيل المراد بالمسنون ههنا المصبوب، وقوله (والجان خلقناه من قبل) أي من قبل الانسان (من نار السموم) قال ابن عباس هي السموم التي تقتل، وقال بعضهم السموم بالليل والنهار ومنهم من يقول السموم بالليل والحرور بالنهار، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال دخلت على عمر الاصم أعوده فقال ألا أحدثك حديثا سمعته من عبد الله ابن مسعود يقول : هذه السموم جزء من سبعين جزءاً من السموم التي خلق منها الجان ثم قرأ (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) وعن ابن عباس ان الجان خلق من لهب النار وفي رواية من أحسن النار، وعن عمرو بن دينار من نار الشمس، وقد ورد في الصحيح « خلقت الملائكة من نور وخلقت الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم »[1] والمقصود من الآية التنبيه على شرف آدم عليه السلام وطيب عنصره وطهارة محتده

(١) رواه احمد ومسلم عن عائشة

تفعم، وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره الكسائي وقال هو من صل اللحم وأصل إذا أنتن ﴿من حمأ﴾ والحمأ الطين المنتن الاسود ﴿مسنون﴾ أي متغير قال مجاهد وقتادة هو المنتن المتغير، وقال أبو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سننت الماء أي صببته قال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا كالفخار وفي بعض الآثار أن الله عز وجل خمر طينة آدم وتركه حتى صار متغيراً أسود ثم خلق منه آدم عليه السلام ﴿والجان خلقناه من قبل﴾ قال ابن عباس هو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر. وقال قتادة هو ابليس خلق قبل آدم ويقال الجان أبو الجن وإبليس أبو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون ويحيون ويموتون وأما الشياطين فليس منهم مسلمون ويموتون إذا مات ابليس وذكر وهب أن من الجن من يولد لهم ويأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من هم بمنزلة الريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون ﴿من نار السموم﴾ والسموم ريح حارة تدخل مسام الانسان فتقتله يقال السموم بالنهار والحرور بالليل وعن الكلبي عن أبي صالح السموم نار لادخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين السماء وبين الحجاب فاذا أراد الله أن يحدث أمرا خرقت الحجاب فهوت إلى ما أمرت به فالهدة التي تسمعون في خرق ذلك الحجاب وقيل نار السموم لهب النار وقيل (من نار السموم) أي من نار جهنم. وعن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن (من مارج من نار) فأما الملائكة فانهم خلقوا من النور

وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمإٍ مسنون (٢٨) فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له سٰجدين (٢٩) فسجد الملائكة كلهم أجمعون (٣٠) إلا إبليس أبىٰ أن يكون مع السٰجدين (٣١) قال يا إبليس مالك ألا تكون مع السٰجدين (٣٢) قال لم أكن لأسجد لبشرٍ خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون (٣٣)

يذكر تعالى تنويهه بذكر آدم في ملائكته قبل خلقه له وتشريفه إياه بأمر الملائكة بالسجود له ويذكر تخلف إبليس عدوه عن السجود له من بين سائر الملائكة حسداً وكفراً وعناداً واستكبارا وافتخاراً بالباطل ولهذا قال (لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) كقوله (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) وقوله (أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ) الآية . وقد روى ابن جرير ههنا أثراً غريبا عجيبا من حديث شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال لما خلق الله الملائكة قال (اني خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) قالوا لا نفعل فأرسل عليهم ناراً فأحرقتهم ثم خلق ملائكة أخرى فقال لهم مثل ذلك فقالوا لا نفعل فأرسل عليهم ناراً فأحرقتهم ثم خلق ملائكة أخرى فقال اني خالق بشراً من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له فأبوا فأرسل عليهم ناراً فأحرقتهم ثم خلق ملائكة فقال اني خالق بشراً من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له قالوا سمعنا وأطعنا إلا ابليس كان من الكافرين الاولين وفي ثبوت هذا عنه بعد والظاهر انه اسرائيلي [1] والله أعلم

[1] يكفي في تأييد القول بأنه خرافة اسرائيلية نص القرآن بأن الملائكة (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)

قوله تعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا﴾ أي سأخلق بشرا ﴿من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته﴾ وعدلت صورته وأتممت خلقه ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ فصار بشراً حيا، والروح جسم لطيف يحيا به الانسان وأضافه إلى نفسه تشريفا ﴿فقعوا له ساجدين﴾ سجود تحية لا سجود عبادة ﴿فسجد الملائكة﴾ الذين أمروا بالسجود ﴿كلهم أجمعون﴾ فان قيل لم قال (كلهم أجمعون) وقد حصل المقصود بقوله (فسجد الملائكة)؟ قلنا زعم الخليل وسيبويه أنه ذكر ذلك تأكيداً وذكر المبرد أن قوله (فسجد الملائكة) كان من المحتمل أنه سجد بعضهم فذكر كلهم ليزول هذا الاشكال ثم كان يحتمل أنهم سجدوا في أوقات مختلفة فزال ذلك الاشكال بقوله (أجمعون) وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أن الله عز وجل قال لجماعة من الملائكة اسجدوا لآدم فلم يفعلوا فارسل الله عليهم ناراً فاحرقتهم ثم قال لجماعة أخرى (اسجدوا لآدم فسجدوا) (الا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ■ قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين؟ قال لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال

قال فاخرج منها فانك رجيم (٣٤) وان عليك اللعنة الى يوم الدين (٣٥) قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون (٣٦) قال فانك من المنظرين (٣٧) الى يوم الوقت المعلوم (٣٨)

يذكر تعالى أنه أمر إبليس أمراً كونيا[1] لايخالف ولا يمانع بالخروج من المنزلة التي كان فيها من الملأ الأعلى وأنه رجيم أي مرجوم وانه قد اتبعه لعنة لاتزال متصلة به لاحقة له متواترة عليه الى يوم القيامة . وعن سعيد بن جبير انه قال . لما لعن الله ابليس تغيرت صورته عن صورة الملائكة ورن رنة فكل رنة في الدنيا الى يوم القيامة منها . رواه ابن أبي حاتم ، وأنه لما تحقق الغضب الذي لامرد له سأل من تمام حسده لآدم وذريته النظرة الى يوم القيامة وهو يوم البعث وانه أجيب الى ذلك استدراجا له وامهالا فلما تحقق النظرة قبحه الله

قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين (٣٩) الا عبادك منهم المخلَصين (٤٠) قال هذا صراط عليّ مستقيم (٤١) ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين (٤٢) وان جهنم لموعدهم أجمعين (٤٣) لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (٤٤)

يقول تعالى مخبراً عن ابليس وتمرده وعتوه انه قال للرب (بما أغويتني) قال بعضهم أقسم باغواء الله له [قلت] ويحتمل انه بسبب ما أغويتني وأضللتني (لأزينن لهم) أي لذرية آدم عليه السلام (في الارض) أي أحبب اليهم المعاصي وأرغبهم فيها وأؤزهم اليها وأزعجهم إزعاجا (ولاغوينهم أجمعين) أي كما أغويتني وقدرت علي ذلك (إلا عبادك منهم المخلصين) كقوله (أرأيتك هذا الذي كرمت

[1] الامر الكوني عبارة عن تعلق الارادة فالقدره ويقابله الامر التكليفي الذى هو من صفة الكلام الالهي والمعنى ان الله تعالى كون النشأة الآدمية والنشأة الشيطانية كما ذكره في هذا الاسلوب

من حمأ مسنون﴾ أراد اني أفضل منه لانه طيني وأنا ناري والنار تأكل الطين ﴿قال فاخرج منها﴾ أي من الجنة ﴿فانك رجيم﴾ طريد ﴿وان عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾ قيل ان أهل السموات يلعنون إبليس كما يلعنه أهل الارض فهو ملعون في السماء والأرض ﴿قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون﴾ أراد الخبيث أن لا يموت ﴿قال فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾ أي الوقت الذي يموت فيه الخلائق وهو النفخة الاولى ويقال ان مدة موت إبليس أربعون سنة وهي ما بين النفختين ويقال إنه لم تكن اجابة الله تعالى إياه في الامهال اكراما له بل كانت زيادة في بلائه وشقائه ﴿قال رب بما أغويتني﴾ أضللتني وقيل خيبتني من رحمتك ﴿لأزينن لهم في الارض﴾ حب الدنيا ومعاصيك ﴿ولاغوينهم﴾ أي لاضلنهم ﴿أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين﴾ المؤمنين الذين أخلصوا لك بالطاعة والتوحيد ومن فتح اللام أي (؟)

علي لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا) (قال) الله تعالى له متهدداً ومتوعداً (هذا صراط علي مستقيم) أي مرجعكم كلكم الي فأجازيكم بأعمالكم ان خيراً فخير وان شراً فشر كقوله تعالى [ان ربك لبالمرصاد] وقيل طريق الحق مرجعها الى الله تعالى واليه تنتهي قاله مجاهد والحسن وقتادة كقوله [وعلى الله قصد السبيل] وقرأ قيس بن عبادة ومحمد بن سيرين وقتادة (هذا صراط علي مستقيم) كقوله [وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم] أي رفيع والمشهور القراءة الاولى

وقوله (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) أي الذين قدرت لهم الهداية فلا سبيل لك عليهم ولا وصول لك اليهم (الا من اتبعك من الغاوين) استثناء منقطع . وقد أورد ابن جرير ههنا من حديث عبد الله بن المبارك عن عبدالله بن موهب حدثنا يزيد بن قسيط قال : كانت الانبياء يكون لهم مساجد خارجة من قراهم فاذا أراد النبي أن يستنبيء ربه عن شيء خرج الى مسجده فصلى ما كتب الله ثم سأله مابدا له فبينا نبي في مسجده اذ جاء عدو الله ـ يعني ابليس ـ حتى جلس بينه وبين القبلة فقال النبي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال فرد ذلك ثلاث مرات فقال عدو الله أخبرني بأي شيء تنجو مني فقال النبي بل أخبرني بأي شيء تغلب ابن آدم مرتين فأخذ كل واحد على صاحبه فقال النبي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال عدو الله أرأيت الذي تعوذ منه فهو هو فقال النبي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال فرده ذلك ثلاث مرات فقال عدو الله أخبرني بأي شيء تنجو مني فقال النبي بل أخبرني بأي شيء تغلب ابن آدم مرتين فأخذ كل واحد منهما على صاحبه فقال النبي ان الله تعالى يقول (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) قال عدو الله قد سمعت هذا قبل أن تولد قال النبي ويقول الله (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم) واني والله ما أحسست بك قط إلا استعذت بالله منك قال عدو الله صدقت بهذا تنجو مني فقال النبي أخبرني بأي شيء تغلب ابن آدم ؟ قال آخذه عند الغضب والهوى

من اخلصته بتوحيدك فهديته واصطفيته ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿هذا صراط علي مستقيم﴾ قال الحسن معناه صراط إلي مستقيم قال مجاهد الحق يرجع إلى الله تعالى وعليه طريقه ولا يعوج عليه شيء ، وقال الاخفش يعني على الدلالة على الصراط المستقيم قال الكسائي هذا على التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقك علي أي لاتفلت مني كما قال عز وجل (ان ربك لبالمرصاد) وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقرأ ابن سيرين وقتادة ويعقوب علي من العلو أي رفيع وعبر بعضهم عنه: رفيع أن ينال مستقيم أن يمال ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ أي قوة قال أهل المعاني يعني على قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقال معناه (ليس لك عليهم سلطان) أن تلقيهم في ذنب يضيق عنه عفوي وهؤلاء ثنية [1] الله الذين هداهم واجتباهم ﴿ الا من اتبعك من الغاوين ■

(١) لعل أصلها ثنيا وهي بالضم ما يستثنى من اللام وفي الخازن خاصة

وقوله (ان جهنم لموعدهم أجمعين) أي جهنم موعد جميع من اتبع إبليس كما قال عن القرآن (ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده) ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب (لكل باب منهم جزء مقسوم) أي قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع ابليس يدخلونه لا محيد لهم عنه أجارنا الله منها ، وكل يدخل من باب بحسب عمله ويستقر في درك بقدر عمله ،قال اسماعيل بن علية وشعبة كلاهما عن أبي هارون الغنوي عن حطان بن عبد الله أنه قال سمعت علي بن أبي طالب وهو يخطب قال : ان أبواب جهنم هكذا ـ قال أبو هارون ـ أطباقا بعضها فوق بعض ، وقال اسرائيل عن أبي اسحاق عن هبيرة بن أبي مريم عن علي رضي الله عنه قال أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيمتلىء الاول ثم الثاني ثم الثالث حتى تمتلىء كلها ، وقال عكرمة سبعة أبواب سبعة أطباق ، وقال ابن جريج سبعة أبواب أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية . وروى الضحاك عن ابن عباس نحوه وكذا روي عن الاعمش بنحوه أيضا ، وقال قتادة (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) هي والله منازل بأعمالهم رواهن ابن جرير ، وقال جويبر عن الضحاك (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) قال باب لليهود وباب للنصارى وباب للصابئين وباب للمجوس وباب للذين أشركوا وهم كفار العرب وباب للمنافقين وباب لاهل التوحيد فأهل التوحيد يرجى لهم ولا يرجى لاولئك أبداً

وقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا عثمان بن عمر عن مالك بن مغول عن حميد عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتي ـ أو قال على أمة محمد » ثم قال لا نعرفه الا من حديث مالك بن مغول . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عباس بن الوليد الخلال حدثنا زيد ـ يعني ابن يحيى ـ حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي نضرة عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ في قوله (لكل باب منهم جزء مقسوم) قال « ان من أهل النار من تأخذه النار الى كعبيه وان منهم من تأخذه النار الى حجزته ومنهم من تأخذه النار الى تراقيه منازل بأعمالهم فذلك قوله (لكل باب منهم جزء مقسوم)

وان جهنم لموعدهم أجمعين ﴾ يعني موعد إبليس ومن تبعه ﴿ لها سبعة أبواب ﴾ أطباق قال علي كرم الله وجهه تدرون كيف أبواب النار؟ هكذا ووضع إحدى يديه على الاخرى أي سبعة أبواب بعضها فوق بعض وأن الله وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض . قال ابن جريج النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ﴿لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ أي لكل دركة قوم يسكنونها ، وقال الضحاك في الدركة الاولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون، وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) وروي عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال « لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتي » أو قال على أمة محمد

ان المتقين في جنت وعيون (٤٥) ادخلوها بسلم آمنين (٤٦) ونزعنا مافي صدورهم من غل اخوانا على سرر متقبلين (٤٧) لايمسهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين (٤٨) نبيء عبادي اني أنا الغفور الرحيم (٤٩) وأن عذابي هو العذاب الاليم (٥٠)

لما ذكر تعالى حال أهل النار عطف على ذكر أهل الجنة وأنهم في جنات وعيون وقوله (ادخلوها بسلام آمنين) أي سالمين من الآفات مسلم عليكم (آمنين) أي من كل خوف وفزع ولا تخشوا من اخراج ولا انقطاع ولا فناء ، وقوله (ونزعنا مافي صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) روى القاسم عن أبي امامة قال : يدخل أهل الجنة الجنة على مافي صدورهم في الدنيا من الشحناء والضغائن حتى اذا توافوا وتقابلوا نزع الله مافي صدورهم في الدنيا من غل ثم قرأ (ونزعنا مافي صدورهم من غل) هكذا في هذه الرواية والقاسم بن عبد الرحمن في روايته عن أبي امامة ضعيف ، وقد روى سعيد في تفسيره حدثنا ابن فضالة عن لقمان عن أبي امامة قال : لايدخل الجنة مؤمن حتى ينزع الله مافي صدره من غل حتى ينزع منه مثل السبع الضاري . وهذا موافق لما في الصحيح من رواية قتادة حدثنا أبو المتوكل الناجي أن أبا سعيد الخدري حدثهم أن رسول الله ﷺ قال « يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة »

وقال ابن جرير حدثنا الحسن حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا هشام عن محمد هو ابن سيرين قال استأذن الاشتر على علي رضي الله عنه وعنده ابن لطلحة فحبسه ثم أذن له ، فلما دخل قال اني لأراك انما حبستني لهذا ؟ قال أجل ، قال اني لأراه لو كان عندك ابن لعثمان لحبستني قال أجل اني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى (ونزعنا مافي صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين)

وقال ابن جرير أيضاً حدثنا الحسن بن محمد حدثنا أبو معاوية الضرير حدثنا أبو مالك الاشجعي حدثنا أبو حبيبة مولى لطلحة قال : دخل عمران بن طلحة على علي رضي الله عنه بعد ما فرغ من أصحاب الجمل فرحب به وقال : اني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين . وحدثنا الحسن حدثنا أبو معاوية الضرير حدثنا أبو مالك الاشجعي عن أبي حبيبة مولى لطلحة قال : دخل عمران بن طلحة على علي رضي الله

قوله تعالى ﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾ أي في بساتين وأنهار ﴿ادخلوها﴾ أي يقال لهم أدخلوا الجنة ﴿بسلام﴾ أي بسلامة ﴿آمنين﴾ من الموت والخروج والآفات ﴿ونزعنا﴾ أخرجنا ﴿ما في صدورهم من غل﴾ هو الشحناء والعداوة والحقد والحسد ﴿اخوانا﴾ نصب على الحال ﴿على سرر﴾ جمع سرير ﴿متقابلين﴾ يقابل بعضهم بعضا لاينظر أحد منهم إلى قفا صاحبه ، وفي بعض الاخبار أن المؤمن في

عنه بعد مافرغ من أصحاب الجمل فرحب به وقال : اني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله (ونزعنا مافي صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) قال ورجلان جالسان إلى ناحية البساط فقالا الله أعدل من ذلك تقتلهم بالامس وتكونون اخوانا ، فقال علي رضي الله عنه قوما أبعد أرض وأسحقها فمن هم اذا إن لم أكن أنا وطلحة ? وذكر أبو معاوية الحديث بطوله . وروى وكيع عن أبان بن عبد الله البجلي عن نعيم بن أبي هند عن ربعي بن خراش عن علي نحوه وقال فيه فقام رجل من همدان فقال الله أعدل من ذلك ياأمير المؤمنين ? قال فصاح به علي صيحة فظننت أن القصر تدهده لها ثم قال اذا لم نكن نحن فمن هم ? وقال سعيد بن مسروق عن أبي طلحة وذكره وفيه فقال الحارث الاعور ذلك فقام اليه علي رضي الله عنه فضربه بشيء كان في يده في رأسه وقال فمن هم ياأعور اذا لم نكن نحن ?

وقال سفيان الثوري عن منصور عن ابراهيم قال : جاء ابن جرموز قاتل الزبير يستأذن على علي رضي الله عنه فحجبه طويلا ثم أذن له فقال له أما أهل البلاء فتجفوهم فقال علي بفيك التراب اني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله (ونزعنا مافي صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) وكذا روى الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بنحوه ? وقال سفيان بن عيينة عن اسرائيل عن أبي موسى سمع الحسن البصري يقول : قال علي فينا والله أهل بدر نزلت هذه الآية (ونزعنا مافي صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين)

وقال كثير النوا دخلت على أبي جعفر محمد بن علي فقلت وليي وليكم ، وسلمي سلمكم ، وعدوي عدوكم ، وحربي حربكم ? أنا أسألك بالله أتبرأ من أبي بكر وعمر فقال (قد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين) تولهما يا كثير فما أدركك فهو في رقبتي هذه ثم تلا هذه الآية (اخوانا على سرر متقابلين) قال أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم أجمعين ، وقال الثوري عن رجل عن أبي صالح في قوله (اخوانا على سرر متقابلين) قال هم عشرة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين ، وقوله (متقابلين) قال مجاهد لاينظر بعضهم في قفا بعض وفيه حديث مرفوع

قال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبد الله ثنا حسان بن حسان ثنا ابراهيم بن بشر ثنا يحيى بن معين عن ابراهيم القومسي عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فتلا هذه الآية (اخوانا على سرر متقابلين) في الله ينظر بعضهم إلى بعض ، وقوله (لايمسهم فيها نصب) يعني المشقة والاذى كما جاء في الصحيحين « إن الله أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب » وقوله (وماهم منها بمخرجين) كما جاء في الحديث « يقال ياأهل الجنة إن

الجنة اذا ود أن يلقي أخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما إلى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان ﴿لايمسهم﴾ لايصيبهم ﴿فيها نصب﴾ أي تعب ﴿وماهم منها بمخرجين﴾ هذه أنص آية في القرآن على الخلود .

لكم أن تصحوا فلا تمرضوا أبداً ، وان لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبداً ، وان لكم أن تقيموا فلا تظعنوا أبداً » وقال الله تعالى (خالدين فيها لا يبغون عنها حولا)

وقوله (نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم) أي أخبر يا محمد عبادي أني ذو رحمة وذو عذاب أليم وقد تقدم ذكر نظير هذه الآية الكريمة وهي دالة على مقامي الرجاء والخوف ، وذكر في سبب نزولها مارواه موسى بن عبيدة عن مصعب بن ثابت قال : مر رسول الله على ناس من أصحابه يضحكون فقال «اذكروا الجنة واذكروا النار» فنزلت (نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الاليم) رواه ابن أبي حاتم وهو مرسل ، وقال ابن جرير حدثني المثني حدثنا اسحاق أخبرنا ابن المكي أخبرنا ابن المبارك أخبرنا مصعب بن ثابت حدثنا عاصم بن عبد الله عن ابن أبي رباح عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : طلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة فقال « ألا أراكم تضحكون » ثم أدبر حتى اذا كان عند الحجر رجع الينا القهقرى فقال « اني لما خرجت جاء جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله يقول لم تقنط عبادي (نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الاليم) » وقال شعبة عن قتادة في قوله (نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم) قال بلغنا أن رسول الله ﷺ قال « لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع من حرام ، ولو يعلم العبد قدر عذاب الله لبخع نفسه »

ونبئهم عن ضيف ابراهيم (٥١) اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون (٥٢) قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم (٥٣) قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون؟ (٥٤) قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين (٥٥) قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون (٥٦)

قوله تعالى ﴿نبيء عبادي إني أنا الغفور الرحيم﴾ قال ابن عباس يعني لمن تاب منهم روي أن النبي ﷺ خرج يوما على نفر من أصحابه وهم يضحكون فقال «أتضحكون وبين أيديكم النار ؟» فنزل جبريل بهذه الآية وقال « يقول لك يا محمد لم تقنط عبادي من رحمتي » ﴿ وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ قال قتادة بلغنا أن نبي الله ﷺ قال «لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة بن سعد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن أبي عمرو عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال سمعت النبي ﷺ يقول « إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة فلو يعلم الكافر بكل الذي عندالله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار»

قوله تعالى ﴿ونبئهم عن ضيف ابراهيم﴾ أي عن الضيافة والضيف اسم يقع على الواحد والاثنين

يقول تعالى وخبرهم يامحمد عن قصة ضيف ابراهيم ، والضيف يطلق على الواحد والجمع كالزور والسفر [١] وكيف دخلوا عليه فقالوا سلاما (قال انا منكم وجلون) أي خائفون ،وقد ذكر سبب خوفه منهم لما رأى أيديهم لاتصل إلى ماقربه اليهم من الضيافة وهو العجل السمين الحنيذ (قالوا لاتوجل) أي لاتخف (وبشروه بغلام عليم) أي اسحاق عليه السلام كما تقدم في سورة هود ثم (قال) متعجبا من كبره وكبر زوجته ومتحققا للوعد (أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون) فأجابوه مؤكدين لما بشروه به تحقيقا وبشارة بعد بشارة (قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين) وقرأ بعضهم القنطين فأجابهم بأنه ليس يقنط ولكن يرجو من الله الولد ، وان كان قد كبر وأسنت امرأته فانه يعلم من قدرة الله ورحمته ماهو أبلغ من ذلك

١) كلاهما بوزن الضيف جمع زائر ومسافر

قال فما خطبكم أيها المرسلون (٥٧) قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين (٥٨) إلا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين (٥٩) الا امرأته قدرنا انها لمن الغبرين (٦٠)

يقول تعالى إخباراً عن ابراهيم عليه السلام لما ذهب عنه الروع وجاءته البشرى انه شرع يسألهم عما جاءوا له فقالوا (إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط وأخبروه أنهم سينجون آل لوط من بينهم الا امرأته فانها من الهالكين ولهذا قالوا (إلا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين) أي الباقين المهلكين

والجمع والمذكر والمؤنث وهم الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى ليبشروا ابراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط ﴿ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال ﴾ ابراهيم ﴿ إنا منكم وجلون ﴾ خائفون لانهم لم يأكلوا طعامه ﴿ قالوا لاتوجل ﴾ لا تخف ﴿ إنا نبشرك ﴾ قرأ حمزة وحده نبشرك بفتح النون وإسكان الباء وضم الشين وتخفيفها وقرأ الباقون نبشرك بضم النون وفتح الباء وكسر الشين وتشديدها ﴿ بغلام عليم ﴾ أي غلام في صغره عليم في كبره يعني إسحاق فتعجب ابراهيم عليه السلام من كبره وكبر امرأته ﴿ قال أبشرتموني ﴾ أي بالولد ﴿ على أن مسني الكبر ﴾ أي على حال الكبر قاله على طريق التعجب ﴿ فبم تبشرون ﴾ فبأي شيء تبشرون قرأ نافع بكسر النون وتخفيفها أي تبشرون ، وقرأ ابن كثير بكسرها وبتشديد النون أي تبشرونني أدغمت نون الجمع في نون الاضافة ، وقرأ الآخرون بفتح النون وتخفيفها ﴿ قالوا بشرناك بالحق ﴾ أي بالصدق ﴿ فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط ﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب بكسر النون والآخرون بفتحها وهما لغتان قنط يقنط وقنط يقنط أي من ييأس ﴿ من رحمة ربه إلا الضالون ﴾ أي الخاسرون ، والقنوط من رحمة الله كبيرة كالأمن من مكره ﴿ قال ﴾ ابراهيم لهم ﴿ فما خطبكم ﴾ ماشأنكم ﴿ أيها المرسلون؟ قالوا إنا أرسلنا الى قوم مجرمين ﴾ مشركين ﴿ إلا آل لوط ﴾ أتباعه وأهل دينه ﴿ إنا لمنجوهم أجمعين ﴾ خفف الجيم حمزة والكسائي وشدده الباقون ﴿ إلا امرأته ﴾ أي امرأة لوط ﴿ قدرنا ﴾ قضينا ﴿ انها لمن الغابرين ﴾ الباقين في العذاب والاستثناء من النفي اثبات ومن الاثبات نفي فاستثني امرأة لوط من الناجين فكانت ملحقة بالهالكين

فلما جاء ال لوط المرسلون (٦١) قال انكم قوم منكرون (٦٢) قالوا بل جئنك بما كانوا فيه يمترون (٦٣) وأتينك بالحق وانا لصدقون (٦٤)

يخبر تعالى عن لوط لما جاءته الملائكة في صورة شباب حسان الوجوه فدخلوا عليه داره قال (انكم قوم منكرون ▪ قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يعنون بعذابهم وهلاكهم ودمارهم الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم وحلوله بساحتهم (وأتيناك بالحق) كقوله تعالى (ما ننزل الملائكة إلا بالحق) وقوله (وانا لصادقون) تأكيد لخبرهم اياه بما أخبره به من نجاته واهلاك قومه

فأسر بأهلك بقطع من اللّيل واتّبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون (٦٥) وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاءِ مقطوع مصبحين (٦٦)

يذكر تعالى عن الملائكة أنهم أمروه أن يسري بأهله بعد مضي جانب من الليل وأن يكون لوط عليه السلام يمشي وراءهم ليكون أحفظ لهم وهكذا كان رسول الله ﷺ يمشي في الغزو انما يكون ساقة يزجي الضعيف ويحمل المنقطع وقوله (ولا يلتفت منكم أحد) أي إذا سمعتم الصيحة بالقوم فلا تلتفتوا اليهم وذروهم فيما حل بهم من العذاب والنكال (وامضوا حيث تؤمرون) كأنه كان معهم من يهديهم السبيل (وقضينا اليه ذلك الامر) أي تقدمنا اليه في هذا (أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) أي وقت الصباح كقوله في الآية الاخرى (ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب)

وجاء أهلُ المدينة يستبشرونَ (٦٧) قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون (٦٨)

قرأ أبو بكر قدرنا ههنا وفي سورة النمل بتخفيف الدال والباقون بتشديدها ﴿ فلما جاء آل لوط المرسلون قال ﴾ لوط لهم ﴿ انكم قوم منكرون ﴾ أي أنا لا أعرفكم ﴿ قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون ﴾ أي يشكون في انه نازل بهم وهو العذاب لانه كان يوعدهم بالعذاب ولا يصدقونه ﴿ وأتيناك بالحق ﴾ باليقين وقيل بالعذاب ﴿ وإنا لصادقون ، فاسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ﴾ أي خلفهم ﴿ ولا يلتفت منكم أحد ﴾ حتى لا يرتاعوا من العذاب اذا نزل بقومهم ، وقيل جعل الله ذلك علامة لمن ينجو من آل لوط ﴿ وامضوا حيث تؤمرون ﴾ قال ابن عباس يعني الشأم ، وقال مقاتل يعني زغر وقيل الاردن ﴿ وقضينا اليه ذلك الامر ﴾ أي وقضينا الى آل لوط ذلك الامر أي أحكمنا الامر الذي أمرنا في قوم لوط وأخبرناه ﴿ أن دابر هؤلاء ﴾ يدل عليه قراءة عبد الله وقلنا له ان دابر هؤلاء يعني أصلهم ﴿ مقطوع ﴾ مستأصل ﴿ مصبحين ﴾ اذا دخلوا في الصبح ﴿ وجاء اهل المدينة ﴾ يعني

واتقوا الله ولا تخزون (٦٩) قالوا أو لم ننهك عن العلمين ؟ (٧٠) قال هؤلاء بناتي إن كنتم فعلين (٧١) لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون (٧٢)

يخبر تعالى عن مجيء قوم لوط لما علموا بأضيافه وصباحة وجوههم وانهم جاؤا مستبشرين بهم فرحين (قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون * واتقوا الله ولا تخزون) وهذا إنما قاله لهم قبل أن يعلم أنهم رسل الله كما قال في سورة هود وأما ههنا فتقدم ذكر أنهم رسل الله وعطف بذكر مجيء قومه ومحاجته لهم ولكن الواو لاتقتضي الترتيب ولا سيما إذا دل دليل على خلافه فقالوا له مجيبين (أو لم ننهك عن العالمين) أي أو ماننهاك أن تضيف أحداً ؟ فأرشدهم الى نسائهم وما خلق لهم ربهم منهن من الفروج المباحة . وقد تقدم ايضاح القول في ذلك بما أغنى عن إعادته. هذا كله وهم غافلون عما يراد بهم وما قد أحاط بهم من البلاء وماذا يصبحهم من العذاب المنتظر

ولهذا قال تعالى لمحمد ﷺ (لعمرك انهم لفي سكرة يعمهون) أقسم تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض . قال عمرو بن مالك البكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس أنه قال : ماخلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره ، قال الله تعالى (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) يقول وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا (انهم لفي سكرتهم يعمهون) رواه ابن جرير وقال قتادة في (سكرتهم) أي في ضلالتهم (يعمهون) أي يلعبون ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (لعمرك) لعيشك (انهم لفي سكرتهم يعمهون) قال يترددون

فأخذتهم الصيحة مشرقين (٧٣) فجعلنا عليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من

سدوم ﴿ يستبشرون ﴾ بأضياف لوط أي يبشر بعضهم بعضا طمعاً في ركوب الفاحشة منهم ﴿ قال ﴾ لوط لقومه ﴿ ان هؤلاء ضيفي ﴾ وحق على الرجل اكرام ضيفه ﴿ فلا تفضحون ﴾ فيهم ﴿ واتقوا الله ولا تخزون ﴾ ولا تخجلون ﴿ قالوا أو لم ننهك عن العالمين ﴾ أي ألم ننهك عن أن تضيف أحداً من العالمين وقيل ألم ننهك أن تدخل الغرباء المدينة فانا نركب منهم الفاحشة ﴿قال هؤلاء بناتي﴾ أزوجهن إياكم إن أسلمتم فائتوا الحلال ودعوا الحرام ﴿ان كنتم فاعلين﴾ ما آمركم به وقيل أراد بالبنات نساء قومه لان النبي ﷺ كالوالد لامته

قال الله تعالى ﴿لعمرك﴾ يامحمد أي وحياتك ﴿انهم لفي سكرتهم﴾ حيرتهم وضلالتهم ﴿يعمهون﴾ يترددون قال قتادة يلعبون ، روي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس أنه قال ما خلق الله نفسا أكرم عليه من محمد ﷺ وما اقسم الله تعالى بحياة احد الا بحياته ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾ اي حين

سجيل (٧٤) إن في ذلك لآيت للمتوسمين (٧٥) وإنها لبسبيل مقيم (٧٦) إن في ذلك لآية للمؤمنين (٧٧)

يقول تعالى (فأخذتهم الصيحة) وهي ماجاءهم به من الصوت القاصف عند شروق الشمس وهو طلوعها وذلك مع رفع بلادهم إلى عنان السماء ثم قلبها وجعل عاليها سافلها وإرسال حجارة السجيل عليهم وقد تقدم الكلام على السجيل في هود بما فيه كفاية . وقوله (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) أي إن آثار هذه النقم الظاهرة على تلك البلاد لمن تأمل ذلك وتوسمه بعين بصره وبصيرته كما قال مجاهد في قوله (للمتوسمين) قال المتفرسين ، وعن ابن عباس والضحاك للناظرين . وقال قتادة للمعتبرين . وقال مالك عن بعض أهل المدينة (للمتوسمين) للمتأملين

وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا محمد بن كثير العبدي عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد مرفوعا قال : رسول الله ﷺ « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » ثم قرأ النبي ﷺ (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) رواه الترمذي وابن جرير من حديث عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد وقال الترمذي لانعرفه إلا من هذا الوجه ، وقال ابن جرير أيضا حدثني أحمد بن محمد الطوسي حدثنا الحسن بن محمد حدثنا الفرات بن السائب حدثنا ميمون بن مهران عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « اتقوا فراسة المؤمن فان المؤمن ينظر بنور الله » وقال ابن جرير حدثني أبو شرحبيل الحمصي حدثنا سليمان بن سلمة حدثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف الرحبي حدثنا أبو المعلى أسد بن وداعة الطائي حدثنا وهب بن منبه عن طاوس بن كيسان عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ « احذروا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وبتوفيق الله »

وقال أيضا حدثنا عبد الأعلى بن واصل حدثنا سعيد بن محمد الجرمي حدثنا عبد الواحد بن واصل حدثنا أبو بشر المزلق عن ثابت عن أنس بن مالك قال : قال النبي ﷺ « ان لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم » ورواه الحافظ أبو بكر البزار حدثنا سهل بن بحر حدثنا سعيد بن محمد الجرمي حدثنا أبو بشر يقال له ابن المزلق قال وكان ثقة عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إن لله عباداً يعرفون النـاس بالتوسم » وقوله (وإنها لبسبيل مقيم) أي وإن قرية سدوم التي أصابها

اضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب حين أصبحوا وتمامه حين أشرقوا ﴿ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ قال ابن عباس للناظرين ، وقال مجاهد للمتفرسين . وقال قتادة للمعتبرين . وقال مقاتل للمتفكرين ﴿ وإنها ﴾ يعني قرى قوم لوط ﴿ لبسبيل

ما أصابها من القلب الصوري والمعنوي والقذف بالحجارة حتى صارت بحيرة منتنة خبيثة بطريق مهيع مسالكه مستمرة إلى اليوم كقوله [وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون * وان يونس لمن المرسلين) وقال مجاهد والضحاك (وانها لبسبيل مقيم) قال معلم ، وقال قتادة بطريق واضح ، وقال قتادة أيضا بصقع من الارض واحد ، وقال السدي بكتاب مبين ، يعني كقوله [وكل شيء أحصيناه في امام مبين] ولكن ليس المعنى على ماقال ههنا والله أعلم ، وقوله (إن في ذلك لآية للمؤمنين) أي ان الذي صنعنا بقوم لوط من الهلاك والدمار وانجائنا لوطا وأهله لدلالة واضحة جلية للمؤمنين بالله ورسله

وان كان أصحب الايكة لظلمين (٧٨) فانتقمنا منهم وانهما لبإمام مبين (٧٩)

أصحاب الايكة هم قوم شعيب ، قال الضحاك وقتادة وغيرهما الأيكة الشجر الملتف وكان ظلمهم بشركهم بالله وقطعهم الطريق ونقصهم المكيال والميزان فانتقم الله منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة وقد كانوا قريبا من قوم لوط بعدهم في الزمان ومسامتين لهم في المكان ، ولهذا قال تعالى (وانهما لبامام مبين) أي طريق مبين قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيره طريق ظاهر ، ولهذا لما أنذر شعيب قومه قال في نذارته اياهم (وما قوم لوط منكم ببعيد)

ولقد كذب أصحب الحجر المرسلين (٨٠) وآتينهم آيتنا فكانوا عنها معرضين (٨١)

وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين (٨٢) فأخذتهم الصيحة مصبحين (٨٣) فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون (٨٤)

أصحاب الحجر هم ثمود الذين كذبوا صالحا نبيهم عليه السلام ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين ، وذكر تعالى أنه آتاهم من الآيات مايدلهم على

مقيم ﴾ أي بطريق واضح ، وقال مجاهد بطريق معلم ليس بخفي ولا زائل ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين ، وإن كان ﴾ وقد كان ﴿ أصحاب الأيكة ﴾ الغيضة ﴿ لظالمين ﴾ لكافرين واللام للتأكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف وكانت عامة شجرهم الدوم وهو المقل ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ بالعذاب وذلك ان الله سلط عليهم الحر سبعة أيام ثم بعث سحابة فالتجؤا اليها يلتمسون الروح فبعث عليهم منها نارا فأحرقتهم فذلك قوله تعالى (فأخذهم عذاب يوم الظلة) ﴿وانهما﴾ يعني مدينتي قوم لوط وأصحاب الايكة ﴿ لبإمام مبين ﴾ لبطريق واضح مستبين

قوله تعالى ﴿ ولقد كذب أصحاب الحجر ﴾ وهي مدينة ثمود قوم صالح وهي بين المدينة والشام ﴿ المرسلين ﴾ أراد صالحا وحده وانما ذكر بلفظ الجمع لأن من كذب رسولا فقد كذب الرسل كلهم

صدق ماجاءهم به صالح كالناقة التي أخرجها الله لهم بدعاء صالح من صخرة صماء وكانت تسرح في بلادهم لها شرب ولهم شرب يوم معلوم ، فلما عتوا وعقروها قال لهم [تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب] وقال تعالى [وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى] وذكر تعالى أنهم (كانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) أي من غير خوف ولا احتياج اليها بل أشراً وبطراً وعبثا كما هو المشاهد من صنيعهم في بيوتهم بوادي الحجر الذي مرَّ به رسول الله ﷺ وهو ذاهب إلى تبوك فقنع رأسه وأسرع دابته وقال لأصحابه « لاتدخلوا بيوت القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين فان لم تبكوا فتباكوا خشية أن يصيبكم ماأصابهم » وقوله (فأخذتهم الصيحة مصبحين) أي وقت الصباح من اليوم الرابع (فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون) أي ماكانوا يستغلونه من زروعهم وثمارهم التي ضنوا بمائها عن الناقة حتى عقروها لئلا تضيق عليهم في المياه ، فما دفعت عنهم تلك الاموال ولا نفعتهم [لما جاء أمر ربك]

وما خلقنا السمٰوٰت والارض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية ، فاصفح الصفح الجميل (٨٥) إن ربك هو الخلّٰق العليم (٨٦)

يقول تعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وان الساعة لآتية) أي بالعدل [ليجزي الذين أساؤا بما عملوا] الآية ، وقال تعالى [وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار] وقال تعالى [أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون ، فتعالى الله الملك الحق ، لا إله إلا هو رب العرش الكريم] ثم أخبر نبيه بقيام الساعة وأنها

﴿ وآتيناهم آيتنا ﴾ يعني الناقة وولدها والبئر والآية في الناقة خروجها من الصخرة وكبرها وقرب ولادها وغزارة لبنها ﴿ فكانوا عنها معرضين ، وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين ﴾ من الخراب ووقوع الجبل عليهم ﴿ فأخذتهم الصيحة ﴾ يعني صيحة العذاب ﴿ مصبحين ﴾ أي داخلين في وقت الصبح ﴿ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ من الشرك والاعمال الخبيثة أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله ابن أبي توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي ثنا عبد الله بن محمود أنبأنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبدالله بن المبارك عن معمر عن الزهري أنا سالم بن عبدالله عن أبيه عن النبي ﷺ أنه لما مر بالحجر قال « لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم » قال وتقنع بردائه وهو على الرحل ، وقال عبد الرزاق عن معمر ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى اجتاز الوادي

قوله تعالى ﴿ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وان الساعة ﴾ يعني القيامة

كائنة لامحالة ثم أمره بالصفح الجميل عن المشركين في أذاهم له وتكذيبهم ماجاءهم به كقوله [فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون] وقال مجاهد وقتادة وغيرهما كان هذا قبل القتال وهو كما قالا فان هذه مكية والقتال انما شرع بعد الهجرة ، وقوله (إن ربك هو الخلاق العليم) تقرير للمعاد وأنه تعالى قادر على اقامة الساعة فانه الخلاق الذي لايعجزه خلق شيء العليم بما تمزق من الاجساد وتفرق في سائر أقطار الارض كقوله [أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون]

ولقد آتينٰك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٨٧) لاتمدن عينيك إلى مامتعنا به أزوٰجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (٨٨)

يقول تعالى لنبيه ﷺ كما آتيناك القرآن العظيم فلا تنظرن إلى الدنيا وزينتها ومامتعنا به أهلها من الزهرة الفانية لنفتنهم فيه فلا تغبطهم بما هم فيه ولا تذهب نفسك عليهم حسرات حزنا عليهم في تكذيبهم لك ومخالفتهم دينك (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) « أي ألن لهم جانبك كقوله [لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم] وقد اختلف في السبع المثاني ماهي فقال ابن مسعود وابن عمر وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم هي السبع الطول يعنون البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف

﴿لآتية﴾ يجازى المحسن باحسانه والمسيء باساءته ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ فاعرض عنهم واعف عفوا حسنا نسختها آية القتال ﴿ ان ربك هو الخلاق العليم ﴾ بخلقه

قوله تعالى ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني﴾ قال عمر وعلي هي فاتحة الكتاب ، وهو قول قتادة وعطاء والحسن وسعيد بن جبير أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا آدم ثنا ابن أبي ذئب ثنا سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « أم القرآن هي السبع المثاني » ﴿ والقرآن العظيم ﴾ وعن ابن مسعود قال السبع المثاني هي فاتحة الكتاب والقرآن العظيم سائر القرآن ، واختلفوا في أن الفاتحة لم سميت مثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لانها تثنى في الصلاة تقرأ في كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين الله وبين العبد نصفين نصفها ثناء ونصفها دعاء كما روينا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « يقول الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين » وقال الحسين بن الفضل سميت مثاني لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة كل مرة معها سبعون الف ملك ، وقال مجاهد سميت مثاني لان الله تعالى استثناها وادخرها لهذه الامة فما أعطاها غيرهم ، وقال أبو زيد البلخي سميت مثاني لانها تثني أهل الشر عن الفسق من

ويونس ، نص عليه ابن عباس وسعيد بن جبير . وقال سعيد ثنا فيهن الفرائض والحدود والقصص والاحكام ، وقال ابن عباس ثنا الامثال والخبر والعبر

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر قال : قال سفيان المثاني البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال وبراءة سورة واحدة ، قال ابن عباس ولم يعطهن أحد إلا النبي ﷺ وأعطي موسى منهن ثنتين . رواه هشيم عن الحجاج عن الوليد بن العيذار عن سعيد ابن جبير عنه وقال الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أوتي النبي ﷺ سبعا من المثاني الطول وأوتي موسى عليه السلام ستا ، فلما ألقى الالواح ارتفع اثنتان وبقي أربع ، وقال مجاهد هي السبع الطوال ويقال هي القرآن العظيم ،وقال خصيف عن زياد بن أبي مريم في قوله تعالى (سبعا من المثاني) قال أعطيتك سبعة أجزاء آمروانهى وأبشروأنذر واضرب الامثال واعدد النعم وأنبئك بنبأ القرآن. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (والقول الثاني) أنها الفاتحة وهي سبع آيات . روي ذلك عن علي وعمر وابن مسعود وابن عباس قال ابن عباس والبسملة هي الآية السابعة وقد خصكم الله بها، وبه قال ابراهيم النخعي وعبد الله بن عبيد بن عمير وابن أبي مليكة وشهر بن حوشب والحسن البصري ومجاهد ، وقال قتادة ذكر لنا أنهن فاتحة الكتاب وأنهن يثنين في كل ركعة مكتوبة أو تطوع ، واختاره ابن جرير واحتج بالاحاديث الواردة في ذلك وقد قدمناها في فضائل سورة الفاتحة في أول التفسير ولله الحمد

وقد أورد البخاري رحمه الله ههنا حديثين أحدهما قال حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن حبيب بن عبدالرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلى قال مر بي النبي ﷺ

قول العرب ثنيت عناني وقيل لان أولها ثناء . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس إن السبع المثاني هي السبع الطول أولها سورة البقرة وآخرها الانفال مع التوبة،وقال بعضهم سورة يونس بدل الانفال أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي ثنا أبو محمد الحسن بن أحمد الخلدي أنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد وعبدالله بن محمد بن مسلم قالا أنبأنا هلال بن العلاء ثنا حجاج بن محمد عن أيوب بن عتبة عن يحيى بن كثير عن شداد بن عبد الله عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال «إن الله تعالى أعطاني السبع الطول مكان التوراة وأعطاني المئين مكان الانجيل وأعطاني مكان الزبور المثاني وفضلني ربي بالمفصل » وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أوتي النبي ﷺ السبع الطول وأعطي موسى ستا فلما ألقى الالواح رفع ثنتان وبقي أربع . قال ابن عباس وانما سميت السبع الطول مثاني لان الفرائض والحدود والامثال والخير والشر والعبر والخبر ثنيت فيها ، وقال طاوس القرآن كله مثاني قال الله تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني) وسمي القرآن مثاني لان الانباء والقصص ثنيت فيه وعلى هذا القول المراد بالسبع سبعة أسباع القرآن فيكون تقديره على هذا وهي القرآن العظيم وقيل الواو مقحمة مجازه : ولقد آتيناك سبعا من المثاني القرآن العظيم .

وأنا أصلي فدعاني فلم آته حتى صليت فأتيته فقال « ما منعك أن تأتيني ؟ » فقلت كنت أصلي فقال « ألم يقل الله (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم) ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد فذهب النبي ﷺ ليخرج فذكرت فقال « (الحمد لله رب العالمين) هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » [الثاني] قال حدثنا آدم حدثنا ابن أبي ذئب حدثنا المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم » فهذا نص في أن الفاتحة السبع المثاني والقرآن العظيم ولكن لاينافي وصف غيرها من السبع الطول بذلك لما فيها من هذه الصفة كما لا ينافي وصف القرآن بكماله بذلك أيضا كما قال تعالى [الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني] فهو مثاني من وجه ومتشابه من وجه ، وهو القرآن العظيم أيضا كما أنه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فأشار إلى مسجده والآية نزلت في مسجد قباء فلا تنافي فان ذكر الشيء لاينفي ذكر ماعداه إذا اشتركا في تلك الصفة والله أعلم

وقوله (لاتمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم) أي استغن بما آتاك الله من القرآن العظيم عما هم فيه من المتاع والزهرة الفانية ، ومن ههنا ذهب ابن عيينة الى تفسير الحديث الصحيح « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » الى أنه يستغني به عما عداه وهو تفسير صحيح ولكن ليس هو المقصود من الحديث كما تقدم في أول التفسير . وقال ابن أبي حاتم ذكر عن وكيع بن الجراح حدثنا موسى بن عبيدة عن يزيد بن عبدالله بن قسيط عن أبي رافع صاحب النبي ﷺ قال ضاف النبي ﷺ ضيف ولم يكن عند النبي ﷺ شيء يصلحه فأرسل الى رجل من اليهود « يقول لك محمد رسول الله أسلفني

قوله تعالى ﴿لاتمدَّن عينيك﴾ يامحمد ﴿إلى ما متعنا به أزواجا﴾ أصنافا ﴿ منهم ﴾ أي من الكفار متمنيا لها نهى الله تعالى رسوله ﷺ عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة أهلها عليها ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ أي لاتغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن الثغري ثنا عيسي بن نصر أنبأنا عبد الله بن المبارك انا جهم ابن أوس قال سمعت عبد الله بن أبي مريم ومر به عبدالله بن رستم في موكبه فقال لابن أبي مريم اني لأشتهي مجالستك وحديثك فلما مضى قال ابن أبي مريم سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ «لاتغبطن فاجرا بنعمته فانك لاتدري ما هو لاق بعد موته إن له عند الله قاتلا لايموت » فبلغ ذلك وهب بن منبه فأرسل اليه وهب ابا داود الاعور فقال ياابا فلان ما قاتلا لايموت ؟ قال ابن ابي مريم النار اخبرنا ابو منصور محمد بن عبد الملك المظفر السرخسي انا ابو سعيد احمد بن محمد بن الفضل الفقيه ثنا ابو الحسن بن ابي اسحاق ثنا ابراهيم بن عبدالله العبسي انا وكيع عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « انظروا إلى من هو اسفل منكم ولا تنظروا إلى من فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم » وقيل هذه الآية متصلة بما قبلها وذلك انه

دقيقا الى هلال رجب » قال لا الا برهن فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال « أما والله اني لامين من في السماء وأمين من في الارض ولئن أسلفني أو باعني لأؤدين اليه » فلما خرجت من عنده نزلت هذه الآية (لاتمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا) الى آخر الآية كأنه يعزيه عن الدنيا قال العوفي عن ابن عباس (لاتمدن عينيك) قال نهى الرجل أن يتمنى مال صاحبه . وقال مجاهد (الى مامتعنا به أزواجا منهم) هم الاغنياء

وقل إني أنا النذير المبين (٨٩) كما أنزلنا على المقتسمين (٩٠) الذين جعلوا القرآن عضين (٩١) فوربك لنسئلنهم أجمعين (٩٢) عما كانوا يعملون (٩٣)

يأمر تعالى نبيه ﷺ أن يقول للناس (اني أنا النذير المبين) البين النذارة نذير للناس من عذاب أليم أن يحل بهم على تكذيبه كما حل بمن تقدمهم من الامم المكذبة لرسلها وما أنزل الله عليهم من العذاب والانتقام .وقوله (المقتسمين) أي المتحالفين أي تحالفوا على مخالفة الانبياء وتكذيبهم وأذاهم كقوله تعالى اخباراً عن قوم صالح أنهم [تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله] الآية أي نقتلهم ليلا قال مجاهد تقاسموا وتحالفوا [وأقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت] [أولم تكونوا أقسمتم من قبل) الآية (أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة ؟) فكأنهم كانوا لايكذبون بشيء من الدنيا إلا أقسموا عليه فسموا مقتسمين . قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المقتسمون أصحاب صالح الذين تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله . وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال « إنما مثلي ومثل مابعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال ياقوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء ،فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا ،وكذبه طائفة منهم فاصبحوا امكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم ،فذلك مثل من أطاعني واتبع ماجئت به ومثل من عصاني وكذب ماجئت به من الحق » وقوله (الذين جعلوا القرآن عضين) أي جزءوا كتبهم المنزلة عليهم فآمنوا

لما من الله تعالى عليه بالقرآن نهاه عن الرغبة في الدنيا « روي ان سفيان بن عيينة تأول قول النبي ﷺ « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » أي من لم يستغن بالقرآن وتأول هذه الآية قوله تعالى ﴿واخفض جناحك﴾ لن جانبك ﴿للمؤمنين﴾ وارفق بهم والجناحان من ابن آدم جانباه ﴿ وقل إني انا النذير المبين* كما انزلنا على المقتسمين ﴾ قال الفراء مجازه انذركم عذابا كعذاب المقتسمين حكي عن ابن عباس أنه قال هم اليهود والنصارى ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ جزءوه فجعلوه أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ،وقال مجاهد هم اليهود والنصارى قسموا كتابهم ففرقوه وبدلوه وقيل المقتسمون قوم اقتسموا القرآن فقال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم كذب وقال بعضهم (أساطير الاولين) وقيل الاقتسام هو أنهم فرقوا القول في رسول الله ﷺ فقالوا ساحر كاهن شاعر وقال

ببعض وكفروا ببعض ، قال البخاري حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم أنبأنا أبو بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس (جعلوا القرآن عضين) قال هم أهل الكتاب جزءوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، حدثنا عبيدالله بن موسى عن الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس (جعلوا القرآن عضين) قال هم اهل الكتاب جزءوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، حدثنا عبيد الله بن موسى عن الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال (كما أنزلنا على المقتسمين) قال آمنوا ببعض وكفروا ببعض اليهود والنصارى ، قال ابن أبي حاتم وروي عن مجاهد والحسن والضحاك وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم نحو ذلك

وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس (جعلوا القرآن عضين) قال السحر ، وقال عكرمة العضه السحر بلسان قريش يقول للساحرة أنها الكاهنة ، وقال مجاهد عضوه إعضاء قالوا سحر وقالوا كهانة وقالوا أساطير الاولين ، وقال عطاء قال بعضهم ساحر وقالوا مجنون وقالوا كاهن فذلك العضين وكذا روي عن الضحاك وغيره ، وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش وكان ذا شرف فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم يامعشر قريش انه قد حضر هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا فقالوا وأنت ياأبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقول به قال بل أنتم قولوا لأسمع قالوا نقول كاهن قال ماهو بكاهن قالوا فنقول مجنون قال ماهو بمجنون قالوا فنقول شاعر قال ماهو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ماهو بساحر قالوا فماذا نقول؟ قال والله ان لقوله لحلاوة فما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا أعرف أنه باطل، وان أقرب القول أن تقولوا هو ساحر فتفرقوا عنه بذلك وأنزل الله فيهم (الذين جعلوا القرآن عضين) أصنافا (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) أولئك النفر

مقاتل كانوا ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقتسموا عقاب مكة وطرقها وقعدوا على نقابها فيقولون لمن جاء من الحجاج لا تغتروا بهذا الرجل الخارج الذي يدعي النبوة منا وتقول طائفة منهم إنه مجنون وطائفة إنه كاهن وطائفة إنه شاعر والوليد قاعد على باب المسجد نصبوه حكما فاذا سئل عنه قال صدق أولئك يعني المقتسمين وقوله (عضين) قيل هو جمع عضو مأخوذ من قولهم عضيت الشيء تعضية إذا فرقته ومعناه أنهم جعلوا القرآن أعضاء فقال بعضهم سحر وقال بعضهم كهانة وقال بعضهم (أساطير الاولين) وقيل هو جمع عضة يقال عضة وعضين مثل برة وبرين وعزة وعزين وأصلها عضهة ذهبت هاؤها الاصلية كما نقصوا من الشفة وأصلها شفهة بدليل أنك تقول في التصغير شفيهة والمراد بالعضة الكذب والبهتان وقيل المراد بالعضين العضه وهو السحر يريد أنهم سموا القرآن سحراً **﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾** يوم القيامة **﴿ عما كانوا يعملون ﴾** في الدنيا قال محمد

الذين قالوا لرسول الله ، وقال عطية العوفي عن ابن عمر في قوله (لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال عن لا إله إلا الله ، وقد روى الترمذي وأبو يعلى الموصلي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شريك القاضي عن ليث بن أبي سليم عن بشير بن نهيك عن أنس عن النبي ﷺ (فوربك لنسألنهم أجمعين) قال عن لا إله إلا الله ورواه ابن ادريس عن ليث عن بشير عن أنس موقوفا . وقال ابن جرير حدثنا احمد حدثنا ابو احمد حدثنا شريك عن هلال عن عبدالله بن عكيم قال قال عبدالله هو ابن مسعود والذي لا إله غيره ما منكم من أحد الا سيخلو الله به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر فيقول ابن آدم ماذا غرك مني بي ؟ ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟ وقال ابو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة عما كانوا يعبدون وعماذا أجابوا المرسلين . وقال ابن عيينة عن عملك وعن مالك ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا احمد بن أبي الحواري حدثنا يونس الحذاء عن أبي حمزة الشيباني عن معاذ بن جبل قال لي : قال رسول الله ﷺ « يا معاذ ان المرء يسئل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه ، وعن فتات الطينة بأصبعه ، فلا ألفينك يوم القيامة وأحد غيرك أسعد بما آتاك الله منك» وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) قال لا يسألهم هل عملتم كذا لأنه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا

فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين (٩٤) انا كفيناك المستهزءين (٩٥) الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون (٩٦) ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما

ابن اسماعيل قال عدة من أهل العلم عن قول لا إله إلا الله فان قيل كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان) ؟ قيل قال ابن عباس لا يسألهم هل عملتم لانه أعلم بهم منهم ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال توبيخ فقوله تعالى (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) يعني استعلاما وقوله (لنسألنهم أجمعين) يعني توبيخا وتقريعا ، وقال عكرمة عن ابن عباس في الآيتين إن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف مختلفة يسألون في بعض المواقف ولا يسألون في بعضها نظير ذلك قوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون) وقال في آية أخرى (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون)

قوله تعالى ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ قال ابن عباس أظهره ويروى عنه أمضه . وقال الضحاك اعلم

يقولون (٩٧) فسبح بحمد ربك وكُنْ من السَّجدين (٩٨) واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (٩٩)

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بابلاغ مابعثه به وانفاذه والصدع به وهو مواجهة المشركين به كما قال ابن عباس في قوله (فاصدع بما تؤمر) أي امضه ، وفي رواية (افعل ماتؤمر) وقال مجاهد هو الجهر بالقرآن في الصلاة ، وقال ابو عبيدة عن عبدالله بن مسعود مازال النبي ﷺ مستخفيا حتى نزلت (فاصدع بما تؤمر) فخرج هو وأصحابه وقوله (وأعرض عن المشركين * انا كفيناك المستهزئين) أي بلغ ما أنزل اليك من ربك ولا تلتفت إلى المشركين الذين يريدون أن يصدوك عن آيات الله وودوا لوتدهن فيدهنون ، ولا تخفهم فان الله كافيك إياهم وحافظك منهم كقوله تعالى (ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) وقال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا يحيى بن محمد بن السكن حدثنا إسحاق بن ادريس حدثنا عون بن كهمس عن يزيد بن درهم عن أنس قال سمعت أنسا يقول في هذه الآية (انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر) قال مر رسول الله ﷺ فغمزه بعضهم فجاء جبريل أحسبه قال فغمزهم فوقع في أجسادهم كهيئة الطعنة فماتوا ، وقال محمد بن إسحاق كان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة ابن الزبير خمسة نفر وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم من بني أسد بن عبدالعزى بن قصي الاسود ابن المطلب ابو زمعة كان رسول الله ﷺ فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه

وقال الاخفش فرق أي فرق بالقرآن بين الحق والباطل ، وقال سيبويه اقض بما تؤمر وأصل الصدع الفصل والفرق أمر النبي ﷺ في هذه الآية باظهار الدعوة ، وروي عن عبد الله بن عبيدة قال كان مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه ﴿ وأعرض عن المشركين ﴾ نسختها آية القتال ﴿انا كفيناك المستهزئين﴾ يقول الله تعالى لنبيه ﷺ فاصدع بما أمر الله ولا تخف أحداً غير الله عز وجل فان الله كافيك من عاداك كما كفاك المستهزئين وهم خمسة نفر من رؤساء قريش الوليد بن المغيرة المخزومي وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمي والاسود بن عبد المطلب بن الحارث بن أسد بن عبدالعزى بن زمعة وكان رسول الله ﷺ قد دعا عليه فقال «اللهم أعم بصره وأثكله بولده» والاسود ابن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحارث بن قيس بن الطلاطلة فأتى جبريل النبي ﷺ والمستهزئون يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام النبي ﷺ إلى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يامحمد كيف تجد هذا ؟ فقال « بئس عبدالله » فقال قد كفيته وأومأ الى ساق الوليد فمر برجل من خزاعة نبال يريش نباله وعليه برد يمان وهو يجر إزاره فتعلقت شظية من نبله بازاره فمنعه الكبر أن يطأطئ رأسه فينزعها وجعلت تضرب ساقه فخدشته فمرض منها فمات، ومر به العاص بن وائل فقال

فقال « اللهم اعم بصره وأثكله ولده » ومن بني زهرة الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف ابن زهرة ، ومن بني مخزوم الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم ، ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد ، ومن خزاعة الحارث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحارث بن عبد عمرو بن ملكان. فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله ﷺ الاستهزاء أنزل الله تعالى (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ۝ انا كفيناك المستهزئين — الى قوله — فسوف يعلمون) قال ابن اسحاق فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء أن جبريل أتى رسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت فقام وقام رسول الله ﷺ الى جنبه فمر به الاسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه ، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار الى أثر جرح بأسفل كعب رجله وكان أصابه قبل ذلك بسنين وهو يجر إزاره وذلك أنه مر برجل من خزاعة يريش نبلا له فتعلق سهم من نبله بازاره فخدش رجله ذلك الخدش وليس بشيء. فانتقض به فقتله ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص قدمه فخرج على حمار له يريد الطائف فربض على شبرقة فدخلت في أخمص قدمه فقتلته ومر به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فامتخط قيحا فقتله قال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن رجل عن ابن عباس قال كان رأسهم الوليد بن المغيرة وهو الذي جمعهم وهكذا روي عن سعيد بن جبير وعكرمة نحو سياق محمد بن إسحاق به عن يزيد عن عروة بطوله الا أن سعيدا يقول الحارث بن غيطلة وعكرمة يقول الحارث بن قيس قال الزهري وصدقا هو الحارث بن قيس وأمه غيطلة وكذا روي عن مجاهد ومقسم وقتادة وغير واحد أنهم كانوا خمسة

جبريل كيف تجد هذا يامحمد ؟ قال « بئس عبدالله » فاشار جبريل إلى أخمص رجليه وقال قد كفيته. فخرج على راحلته ومعه ابنان له يتنزه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطيء على شبرقة فدخلت منها شوكة في أخمص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومر به الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا ؟ قال عبد سوء فاشار بيده إلى عينيه وقال قد كفيتك فعمي. قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فعمي فذهب ضوء بصره ووجعت عيناه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك ، وفي رواية الكلبي أتاه جبريل وهو قاعد في أصل شجرة ومعه غلام له فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال غلامه لا أرى أحداً يصنع بك شيئا غير نفسك ، حتى مات وهو يقول قتلني رب محمد. ومر به الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يامحمد ؟ قال « بئس عبدالله على انه ابن خالي » فقال قد كفيته وأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات حبنا ، وفي رواية الكلبي أنه خرج من أهله فاصابه السموم فاسود حتى عاد حبشيا فاتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب حتى مات وهو يقول قتلني رب محمد . ومر به الحارث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يامحمد ؟ فقال عبد سوء فأومأ إلى رأسه وقال قد كفيته فامتخط

وقال الشعبي كانوا سبعة والمشهور الاول وقوله (الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون)تهديد شديدووعيد أكيدلمن جعل مع الله معبوداً آخر وقوله(ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) أي وإنا لنعلم يامحمد أنك يحصل لك من أذاهم لك ضيق صدر وانقباض فلا يهيدنك ذلك ولا يثنينك عن إبلاغك رسالة الله وتوكل عليه فانه كافيك وناصرك عليهم فاشتغل بذكر الله وتحميده وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة ولهذا قال (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) كما جاء في الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا عبدالرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن نعيم بن عمار أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « قال الله تعالى يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره » ورواه ابو داود والنسائي من حديث مكحول عن كثير بن مرة بنحوه ولهذا كان رسول الله ﷺ اذا حزبه أمر صلى وقوله(واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قال البخاري قال سالم الموت وسالم هذا هو سالم بن عبدالله بن عمر كما قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان حدثنا طارق بن عبدالرحمن عن سالم ابن عبدالله (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)قال الموت وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وعبدالرحمن ابن زيد بن أسلم وغيره والدليل على ذلك قوله تعالى إخباراً عن أهل النار أنهم قالوا (لم نك من المصلين « ولم نك نطعم المسكين « وكنا نخوض مع الخائضين « وكنا نكذب بيوم الدين « حتى أتانا اليقين) وفي الصحيح من حديث الزهري عن خارجة بن زيد بن ثابت عن ام العلاء امرأة من الانصار أن رسول الله ﷺ لما دخل على عثمان بن مظعون وقد مات قالت أم العلاء رحمة الله عليك

قبحا فقتله ، وقال ابن عباس أنه اكل حوتا مالحا فأصابه العطش فلم يزل يشرب عليه من الماء حتى انقد بطنه فمات فذلك قوله تعالى (انا كفيناك المستهزئين) بك وبالقرآن ﴿الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون﴾ وقيل استهزاؤهم واقتسامهم هو أن الله لما أنزل في القرآن سورة البقرة وسورة النحل وسورة النمل وسورة العنكبوت كانوا يجتمعون ويقولون استهزاء يقول هذا في سورة البقرة ويقول هذا في سورة النحل ويقول هذا في سورة العنكبوت فانزل الله تعالى ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك﴾ قال ابن عباس فصل بامر ربك ﴿ وكن من الساجدين ﴾ من المصلين المتواضعين ، وقال الضحاك (فسبح بحمد ربك) قل سبحان الله وبحمده (وكن من الساجدين) يعني من المصلين « وروي أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ أي الموت الموقن به « وهذا معنى ما ذكر في سورة مريم (وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا) أخبرنا المطهر بن علي الفارسي أنا محمد بن ابراهيم الصالحي أنا عبد الله محمد بن جعفر بن الشيخ الحافظ ثنا أمية بن محمد الصواف البصري ثنا محمد بن يحيي الازدي ثنا محمد أبي والهيثم ابن خارجة قالا ثنا اسماعيل بن عياش عن شرحبيل بن مسلم عن أبي مسلم الخولاني عن جبير بن نفير

أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال رسول الله ﷺ « ومايدريك أن الله أكرمه؟ » فقلت بأبي وأمي يارسول الله فمن؟ فقال « أما هو فقدجاءه اليقين واني لأرجو له الخير » ويستدل بهذه الآية الكريمة وهي قوله (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الانسان مادام عقله ثابتا فيصلي بحسب حاله كما ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب » ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم وهذا كفر وضلال وجهل فان الانبياء عليهم السلام كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته ومايستحق من التعظيم وكانوا مع هذا أعبد الناس وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة ، وانما المراد باليقين ههنا الموت كما قدمناه

ولله الحمد والمنة والحمد لله على الهداية وعليه الاستعانة والتوكل

وهو المسئول أن يتوفانا على أكمل الأحوال

وأحسنها فانه جواد كريم

﴿ آخر تفسير سورة الحجر ﴾

﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾

قال : قال رسول الله ﷺ ما أوحى الله إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى إلى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين * وروي عن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انظروا إلى هذا الذي قد نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذيانه باطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها أوشريت له بمائتي درهم فدعاه حب الله وحب رسوله الى ماترونه » والله أعلم

تفسير سورة النحل(١٦) وهي مكية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أتى أمر الله فلا تستعجلوه ، سبحنه وتعلى عما يشركون (١)

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة ودنوها معبراً بصيغة الماضي الدال على التحقيق والوقوع لامحالة كقوله [اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون] وقال [اقتربت الساعة وانشق القمر] وقوله (فلا تستعجلوه) يحتمل أن يعود الضمير على الله ، ويحتمل أن يعود على العذاب وكلاهما متلازم كما قال تعالى [ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لايشعرون ، يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين] وقد ذهب الضحاك في تفسير هذه الآية إلى قول عجيب في قوله (أتى أمر الله) أي فرائضه وحدوده وقد رده ابن جرير فقال : لانعلم أحداً استعجل بالفرائض وبالشرائع قبل وجودها بخلاف العذاب فانهم استعجلوه قبل كونه استبعاداً وتكذيبا قلت كما قال تعالى [يستعجل بها الذين لايؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ، ألا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد]

وقال ابن أبي حاتم ذكر عن يحيي بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن محمد بن عبدالله مولى المغيرة ابن شعبة عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن حجيرة عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله

(سورة النحل)

﴿مكية مائتان وثمانية وعشرون آية إلا قوله تعالى(وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به) إلى آخر السورة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله تعالى ﴿ أتى ﴾ أي جاء ودنا وقرب ﴿ أمر الله ﴾ قال ابن عرفة تقول العرب اتاك الأمر وهو متوقع بعد أي أتى أمر الله وعده ﴿فلا تستعجلوه﴾ وقوع أمر الله قال الكلبي وغيره المراد منه القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى (اقتربت الساعة) قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا يزعم أن القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن فلما لم ينزل شيء قالوا مانرى شيئا فنزل قوله (اقترب للناس حسابهم) فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يامحمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فانزل الله تعالى(أتى امر الله) فوثب النبي ﷺ ورفع الناس رءوسهم وظنوا أنها قد

ﷺ « تطلع عليكم عند الساعة سحابة سوداء من المغرب مثل الترس ، فما تزال ترتفع في السماء ثم ينادي مناد فيها يا أيها الناس فيقبل الناس بعضهم على بعض :هل سمعتم ؟ فمنهم من يقول نعم ومنهم من يشك ، ثم ينادي الثانية يا أيها الناس: فيقول الناس بعضهم لبعض: هل سمعتم؟فيقولون نعم » ثم ينادي الثالثة يا أيها الناس أتى أمر الله فلا تستعجلوه » قال رسول الله ﷺ « فوالذي نفسي بيده ان الرجلين لينشران الثوب فما يطويانه أبداً ، وإن الرجل ليمدز حوضه فما يسقى فيه شيئا أبداً ، وإن الرجل ليحلب ناقته فما يشربه أبداً .قال ويشتغل الناس » ثم إنه تعالى نزه نفسه عن شركهم بغيره وعبادتهم معه ماسواه من الاوثان والانداد تعالى وتقدس علواً كبيراً وهؤلاء هم المكذبون بالساعة فقال (سبحانه وتعالى عما يشركون)

ينزل الملئكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لاإله إلا أنا فاتقون (٢)

يقول تعالى (ينزل الملائكة بالروح) أي الوحي كقوله (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدري ماالكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا) وقوله (على من يشاء من عباده) وهم الانبياء كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقال (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس) وقال (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق * يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شيء :لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار) وقوله (أن أنذروا) أي لينذروا (انه لاإله إلا أنا فاتقون) أي فاتقوا عقوبتي لمن خالف أمري وعبد غيري.

أتت حقيقة فنزلت فلا تستعجلوه فاطانوا والاستعجال طلب الشيء قبل حينه ولما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ « بعثت أنا والساعة كهاتين ـ واشار باصبعيه ـ وان كادت لتسبقني » قال ابن عباس كان بعث النبي ﷺ من أشراط الساعة ولما مر جبريل عليه السلام باهل السموات مبعوثا إلى محمد ﷺ قالوا الله اكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر ههنا عقوبة المكذبين والعذاب بالسيف وذلك ان النضر بن الحارث قال (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء) فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر صبراً ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ معناه تعاظم بالاوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون ﴿ينزل الملائكة﴾ قرأ العامة بضم الياء وكسر الزاي والملائكة نصب وقرأ يعقوب بالتاء وفتحها وفتح الزاى والملائكة رفع ينزل الملائكة ﴿ بالروح ﴾ بالوحي سماه روحا لانه يحيي به القلوب والحق . قال عطاء بالنبوة وقال قتادة بالرحمة قال أبو عبيدة بالروح يعني مع الروح وهو جبرائيل ﴿ من امره على من يشاء من عباده ان انذروا ﴾ أعلموا ﴿ انه لا إله إلا انا فاتقون ﴾ وقيل معناه مروهم بقول لاإله إلا الله منذرين مخوفين بالقرآن ان لم يقولوا وقوله (فاتقون)

خلق السموٰت والارض بالحق ، تعالى عما يشركون (٣) خلق الانسن من نطفة فاذا هو خصيم مبين (٤)

يخبر تعالى عن خلقه العالم العلوي وهو السموات، والعالم السفلي وهو الارض بما حوت ، وأن ذلك مخلوق بالحق لا للعبث بل (ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) ثم نزه نفسه عن شرك من عبد معه غيره وهو المستقل بالخلق وحده لاشريك له ، فلهذا يستحق أن يعبد وحده لاشريك له ، ثم نبه على خلق جنس الانسان من نطفة ، أي مهينة ضعيفة ، فلما استقل ودرج اذا هو يخاصم ربه تعالى ويكذبه ويحارب رسله وهو انما خلق ليكون عبداً لا ضداً كقوله تعالى (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسبا وصهراً وكان ربك قديراً * ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً) وقوله (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وفي الحديث الذي رواه الامام أحمد وابن ماجه عن بشر بن جحاش قال بصق رسول الله ﷺ في كفه ثم قال ، يقول الله تعالى ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هـذه حتى اذا سويتك فعدلتك مشيت بين بردبك وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت الحلقوم قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة ،

والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنٰفع ومنها تأكلون (٥) ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون (٦) وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بٰلغيه إلا بشق الانفس إن ربكم لرءوف رحيم (٧)

يمتن تعالى على عباده بما خلق لهم من الانعام وهي الابل والبقر والغنم كما فصلها في سورة الانعام إلى ثمانية أزواج وبما جعل لهم فيها من المصالح والمنافع من أصوافها وأوبارها وأشعارها يلبسون ويفترشون

اي يخافون ﴿ خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ﴾ اي ارتفع عما يشركون ﴿ خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم ﴾ جدل بالباطل ﴿مبين﴾ نزلت في ابي بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث جاء بعظم رميم فقال اتقول ان الله تعالى يحيي هذا بعد ما قدرم كما قال جل ذكره (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) نزلت فيه ايضا والصحيح ان الآية عامة وفيها بيان القدرة وكشف قبيح ما فعلوا من جحود نعم الله مع ظهورها عليهم .

قوله تعالى ﴿والانعام خلقها﴾ يعني الابل والبقر والغنم ﴿لكم فيها دفء﴾ يعني من أوبارها وأشعارها

ومن ألبانها يشربون ويأكلون من أولادها وما لهم فيها من الجمال وهو الزينة ولهذا قال (ولكم فيها جمال حين تريحون) وهو وقت رجوعها عشياً من المرعى فانها تكون أمده خواصر وأعظمه ضروعا وأعلاه أسنمة (وحين تسرحون) أي غدوة حين تبعثونها الى المرعى (وتحمل أثقالكم) وهي الاحمال الثقيلة التي تعجزون عن نقلها وحملها (الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس) وذلك في الحج والعمرة والغزو والتجارة وما جرى مجرى ذلك تستعملونها في أنواع الاستعمال من ركوب وتحميل كقوله (وإن لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون) وقال تعالى(الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون* ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون* ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون) ولهذا قال ههنا بعد تعداد هذه النعم (إن ربكم لرءوف رحيم) أي ربكم الذي قيض لكم هذه الانعام وسخرها لكم كقوله (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون *وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) وقال (وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون *لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين* وإنا إلى ربنا لمنقلبون) قال ابن عباس لكم فيها دفء أي ثياب، والمنافع ماينتفعون به من الاطعمة والاشربة وقال عبد الرزاق أخبرنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس دفء ومنافع نسل كل دابة ، وقال مجاهد لكم فيها دفء أي لباس ينسج ومنافع مركب ولحم ولبن ، وقال قتادة دفء ومنافع يقول لكم فيها لباس ومنفعة وبلغة وكذا قال غير واحد من المفسرين بألفاظ متقاربة

والخيلَ والبغالَ والحميرَ لتركبوها وزينةً ويخلق ما لا تعلمون (٨)

هذا صنف آخر مما خلق تبارك وتعالى لعباده يمتن به عليهم وهو الخيل والبغال والحمير التي جعلها للركوب والزينة بها وذلك أكبر المقاصد منها، ولما فصلها من الانعام وأفردها بالذكر استدل

وأصوافها ملابس ولحف تستدفئون بها ﴿ومنافع﴾ بالنسل والدر والركوب والحمل وغيرها ﴿ومنها تأكلون﴾ يعنى لحومها ﴿ولكم فيها جمال﴾ زينة ﴿حين تريحون﴾ أي حين تردونها بالعشي من مراعيها إلى مباركها التي تأوي اليها ﴿وحين تسرحون﴾ أي تخرجونها بالغداة من مراحلها إلى مسارحها وقدم الرواح لان المنافع تؤخذ منها بعد الرواح ومالكها يكون أعجب بها اذا راحت ﴿وتحمل أثقالكم﴾ أحمالكم ﴿إلى بلد﴾ آخر غير بلدكم ، قال عكرمة البلد مكة ﴿لم تكونوا بالغيه إلا بشق الانفس﴾ أي بالمشقة والجهد والشق النصف أيضاً ، أي لم تكونوا بالغيه إلا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها . وقرأ أبو جعفر بشق بفتح الشين وهما لغتان مثل رطل ورطل ﴿إن ربكم لرءوف رحيم﴾ بخلقه حيث جعل لهم هذه المنافع ﴿والخيل﴾ يعني وخلق الخيل وهي اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والنساء والسماء ﴿والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ يعني وجعلها زينة لكم مع المنافع التي فيها واحتج بهذه

من استدل من العلماء ممن ذهب الى تحريم لحوم الخيل بذلك على ماذهب اليه فيها كالامام أبي حنيفة رحمه الله ومن وافقه من الفقهاء بأنه تعالى قرنها بالبغال والحمير وهي حرام كما ثبتت به السنة النبوية وذهب اليه أكثر العلماء ‹ وقد روى الامام أبو جعفر ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية أنبأنا هشام الدستوائي حدثنا يحيى بن أبي كثير عن مولى نافع بن علقمة عن ابن عباس انه كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير وكان يقول قال الله تعالى (والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون) فهذه للأكل (والخيل والبغال والحمير لتركبوها) فهذه للركوب ، وكذا روي من طريق سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس بمثله ‹ وقال مثل ذلك الحكم بن عيينة أيضا رضي الله عنه ‹ واستأنسوا بحديث رواه الامام أحمد في مسنده حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقية بن الوليد حدثنا ثور بن يزيد عن صالح بن يحيي بن المقدام بن معد يكرب عن أبيه عن جده عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير . وأخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث صالح بن يحيي بن المقدام وفيه كلام، ورواه أحمد أيضا من وجه آخر بأبسط من هذا وأدل منه فقال حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا محمد بن حرب حدثنا سليمان بن سليم عن صالح بن يحيي بن المقدام عن جده المقدام بن معد يكرب قال غزونا مع خالد بن الوليد الصائفة فقدم أصحابنا إلي اللحم فسألوني رمكة فدفعتها اليهم فحبلوها فقلت مكانكم حتى آتي خالداً فأسأله فأتيته فسألته فقال غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة خيبر فأسرع الناس في حظائر يهود فأمرني أن أنادي الصلاة جامعة ولا يدخل الجنة إلا مسلم ثم قال «أيها الناس انكم قد أسرعتم في حظائر يهود ألا لا يحل أموال المعاهدين إلا بحقها وحرام عليكم لحوم الحمر الاهلية وخيلها وبغالها وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير» والرمكة هي الحجرة. وقوله حبلوها أي أوثقوها في الحبل ليذبحوها ، والحظائر البساتين القريبة من العمران. وكأن هذا الصنيع وقع بعد اعطائهم العهد ومعاملتهم على الشطر والله أعلم . فلو صح هذا الحديث لكان نصاً في

الآية من حرم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الآية فقال هذه للركوب، واليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة، وذهب جماعة إلى إباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير ‹ وبه قال الشافعي وأحمد واسحاق، ومن أباحها قال ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منه تعريف الله عباده نعمه وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته. واحتجوا بما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن عمرو هو بن دينار عن محمد بن علي عن جابر رضي الله عنه قال ‹ نهى النبي ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخص في لحوم الخيل

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسماعيل التميمي أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ ثنا الحسن بن الفرج ثنا عمرو بن خالد ثنا عبد الله بن عبد الكريم عن عطاء بن

تحريم لحوم الخيل ولكن لايقاوم ماثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الحمر الاهلية وأذن في لحوم الخيل . ورواه الامام أحمد وأبو داود باسنادين كل منهما على شرط مسلم عن جابر قال : ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير فنهانا رسول الله ﷺ عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل . وفي صحيح مسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرساً فأكلناه ونحن بالمدينة . فهذه أدل وأقوى وأثبت وإلى ذلك صار جمهور العلماء مالك والشافعي وأحمد وأصحابهم وأكثر السلف والخلف والله أعلم . وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال كانت الخيل وحشية فذللها الله لاسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، وذكر وهب بن منبه في اسرائيلياته أن الله خلق الخيل من ريح الجنوب والله أعلم . فقد دل النص على جواز ركوب هذه الدواب ومنها البغال وقد أهديت الى رسول الله ﷺ بغلة فكان يركبها مع انه قد نهى عن انزاء الحمر على الخيل لئلا ينقطع النسل ، قال الامام أحمد حدثني محمد ابن عبيد حدثنا عمر من آل حذيفة عنه عن الشعبي عن دحية الكلبي قال قلت يارسول الله ألا أحمل لك حماراً على فرس فتنتج لك بغلا فتركبها ؟ قال « انما يفعل ذلك الذين لا يعلمون »

وعلى الله قصدُ السبيل ومنها جائرٌ ولو شاء لهدىٰكم أجمعين (٩)

لما ذكر تعالى من الحيوانات مايسار عليه في السبل الحسية نبه على الطرق المعنوية الدينية وكثيراً مايقع في القرآن العبور من الامور الحسية الى الامور المعنوية النافعة الدينية كقوله تعالى (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) وقال تعالى (يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير) ولما ذكر تعالى في هذه السورة الحيوانات من الانعام وغيرها التي يركبونها ويبلغون عليها حاجة في صدورهم ، وتحمل أثقالهم الى البلاد والاماكن البعيدة والاسفار الشاقة ، شرع في ذكر الطرق التي يسلكها الناس اليه ، فبين أن الحق منها ما هي موصلة اليه فقال (وعلى الله قصد السبيل)

أبي رباح عن جابر أنهم كانوا يأكلون لحوم الخيل على عهد رسول الله ﷺ ونهى عن لحوم البغال والحمير ، وروي عن المقدام بن معديكرب عن خالد بن الوليد أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير واسناده ضعيف ﴿ ويخلق مالا تعلمون ﴾ قيل يعني ماأعدالله في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها مما لم تره عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر ، وقال قتادة : يعني السوس في النبات ، والدود في الفواكه

قوله تعالى ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾ يعني بيان طريق الهدى من الضلالة ، وقيل بيان الحق بالآيات والبراهين والقصد الصراط المستقيم ﴿ ومنها جائر ﴾ يعني ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوج ، فالقصد من السبيل دين الاسلام والجائر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر ،

كقوله (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال (قال هذا صراط علي مستقيم) قال مجاهد في قوله (وعلى الله قصد السبيل) قال طريق الحق على الله، وقال السدي (وعلى الله قصد السبيل) الاسلام وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (وعلى الله قصد السبيل) يقول على الله البيان أي يبين الهدى والضلالة، وكذا روى علي بن أبي طلحة عنه وكذا قال قتادة والضحاك وقول مجاهد ههنا أقوى من حيث السياق لانه تعالى أخبر أن ثم طرقا تسلك اليه فليس يصل اليه منها إلا طريق الحق وهي الطريق التي شرعها ورضيها وما عداها مسدودة والاعمال فيها مردودة ولهذا قال تعالى (ومنها جائر) أي حائر مائل زائغ عن الحق، قال ابن عباس وغيره هي الطرق المختلفة والآراء والاهواء المتفرقة كاليهودية والنصرانية والمجوسية، وقرأ ابن مسعود «ومنكم جائر» ثم أخبر تعالى ان ذلك كله كائن عن قدرته ومشيئته فقال (ولو شاء لهداكم أجمعين) كما قال تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا) وقال (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)

هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شرابٌ ومنه شجرٌ فيه تُسيمون (١٠) يُنبتُ لكم به الزرعَ والزيتونَ والنخيلَ والاعنابَ ومن كل الثمرات إن في ذلك لآيةً لقوم يتفكرون (١١)

لما ذكر تعالى ما أنعم به عليهم من الانعام والدواب شرع في ذكر نعمته عليهم في انزال المطر من السماء، وهو العلو مما لهم فيه بلغة ومتاع لهم ولأنعامهم فقال (لكم منه شراب) أي جعله عذبا زلالا يسوغ لكم شرابه ولم يجعله ملحا اجاجا (ومنه شجر فيه تسيمون) أي وأخرج لكم منه شجراً ترعون فيه أنعامكم. وقال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة وابن زيد في قوله فيه تسيمون أي ترعون ومنه الابل السائمة والسوم الرعي، وروى ابن ماجه أن رسول الله ﷺ نهى عن السوم قبل طلوع الشمس وقوله (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) أي يخرجها من الارض بهذا الماء الواحد على اختلاف صنوفها وطعومها وألوانها وروائحها وأشكالها ولهذا قال (ان في ذلك

قال جابر بن عبدالله: قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض، وقال عبدالله بن المبارك وسهل بن عبدالله (قصد السبيل) السنة (ومنها جائر) الاهواء والبدع دليله قوله تعالى (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ نظيره قوله تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها)

قوله ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب﴾ تشربونه ﴿ومنه شجر﴾ أي من ذلك الماء شراب أشجاركم وحياة نباتكم ﴿فيه﴾ يعني في الشجر ﴿تسيمون﴾ ترعون مواشيكم ﴿ينبت

لآية لقوم يتفكرون) أي دلالة وحجة على أنه لا إله إلا الله كما قال تعالى (أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون) ثم قال تعالى

وسخّر لكم الليلَ والنهارَ والشمسَ والقمرَ والنجومُ مسخرات بأمره إن في ذلك لآيٰتٍ لقوم يعقلون (١٢) وما ذرأ لكم في الارض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون (١٣)

ينبه تعالى عباده على آياته العظام ومننه الجسام في تسخيره الليل والنهار يتعاقبان والشمس والقمر يدوران والنجوم والثوابت والسيارات في ارجاء السموات نوراً وضياء ليهتدى بها في الظلمات ، وكل منها يسير في فلكه الذي جعله الله تعالى فيه يسير بحركة مقدرة لا يزيد عليها ولا ينقص عنها ، والجميع تحت قهره وسلطانه وتسخيره وتقديره وتسهيله كقوله (إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) ولهذا قال (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) أي لدلالات على قدرته تعالى الباهرة وسلطانه العظيم لقوم يعقلون عن الله ويفهمون حججه. وقوله (وما ذرأ لكم في الارض مختلفا ألوانه) لما نبه تعالى على معالم السماء نبه على ما خلق في الارض من الامور العجيبة والاشياء المختلفة من الحيوانات والمعادن والنباتات والجمادات على اختلاف ألوانها وأشكالها ومافيها من المنافع والخواص (إن في ذلك لآية لقوم يذكرون) أي آلاء الله ونعمه فيشكرونها

وهو الذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحما طريًّا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٤) وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم وأنهٰراً وسبلا لعلكم تهتدون (١٥) وعلٰمٰت وبالنجم هم يهتدون (١٦)

لكم به ﴾ أي ينبت الله لكم به يعني بالماء الذي أنزل ، وقرأ أبو بكر عن عاصم ننبت بالنون ﴿ الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ، وسخر لكم ﴾ ذلل لكم ﴿ الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات ﴾ مذللات ﴿ بأمره ﴾ أي باذنه ، وقرأ حفص عن عاصم (والنجوم مسخرات) بالرفع على الابتداء ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ، وما ذرأ ﴾ خلق ﴿ لكم ﴾ لأجلكم أي وسخر ماخلق لأجلكم ﴿ في الارض ﴾ من الدواب والاشجار والثمار وغيرها ﴿ مختلفا ﴾ نصب على الحال ﴿ ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون ﴾ يعتبرون ﴿ وهو

أفمن يخلق كمن لايخلق ؟ أفلا تذكّرون (١٧) وان تعدُّوا نعمة الله لا تُحصوها ان الله لغفور رحيم (١٨)

يخبر تعالى عن تسخيره البحر المتلاطم الامواج ، ويمتن على عباده بتذليله لهم وتيسيرهم للركوب فيه وجعله السمك والحيتان فيه واحلاله لعباده لحمها حيها وميتها في الحل والاحرام وما يخلقه فيه من اللآلئ والجواهر النفيسة وتسهيله للعباد استخراجهم من قراره حلية يلبسونها وتسخيره البحر لحمل السفن التي تمخره أي تشقه وقيل تمخر الرياح وكلاهما صحيح وقيل تمخره بجؤجئها وهو صدرها المسنم التي أرشد العباد إلى صنعتها وهداهم إلى ذلك ارثا عن أبيهم نوح عليه السلام فانه أول من ركب السفن وله كان تعليم صنعتها ثم أخذها الناس عنه قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل يسيرون من قطر إلى قطر ومن بلد إلى بلد ومن إقليم إلى اقليم لجلب ماهناك الى ماهنا وما هنا إلى ماهناك . ولهذا قال تعالى (ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) أي نعمه واحسانه . وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده وجدت في كتابي عن محمد بن معاوية البغدادي حدثنا عبدالرحمن بن عبدالله بن عمرو عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال كلم الله البحر الغربي وكلم البحر الشرقي فقال للبحر الغربي اني حامل فيك عباداً من عبادي فكيف أنت صانع فيهم ؟ قال اغرقهم فقال بأسك في نواحيك واحملهم على يدي وحرمت الحلية والصيد . وكلم هذا البحر الشرقي فقال : اني حامل فيك عباداً من عبادي فما أنت صانع بهم ؟ فقال : أحملهم على يدي وأكون لهم كالوالدة لولدها فأثابه الحلية والصيد . ثم قال البزار لانعلم رواه عن سهل غير عبدالرحمن بن عبدالله بن عمرو وهو منكر الحديث . وقد رواه سهل عن النعمان بن أبي عياش عن عبد الله بن عمرو موقوفا ، ثم ذكر تعالى الارض وما ألقي فيها من الرواسي الشامخات والجبال الراسيات لتقر الارض ولا تميد أي تضطرب بما عليها من الحيوانات فلا يهنأ لهم عيش بسبب ذلك ولهذا قال (والجبال أرساها) وقال عبدالرزاق أنبأنا معمر عن قتادة سمعت

الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا ﴾ يعني السمك ﴿ وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ﴾ يعني اللؤلؤ والمرجان ﴿ وترى الفلك مواخر فيه ﴾ جواري فيه . قال قتادة مقبلة ومدبرة وهو أنك ترى سفينتين احداهما تقبل والاخرى تدبر تجريان بريح واحدة ، وقال الحسن مواخر أي مملوءة وقال الفراء والاخفش مواخر شواق تشق الماء بجؤجؤها ، قال مجاهد تمخر السفن الرياح وأصل المخر الرفع والشق ، وفي الحديث « اذا أراد أحدكم البول فليستمخر الريح » أي لينظر من أين مجراها وهبوبها فليستدبرها حتى لايرد عليه البول ، وقال أبو عبيدة صوائح . والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾ يعني التجارة ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ اذا رأيتم صنع الله فيما سخر لكم

قوله تعالى ﴿ وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم ﴾ أي لئلا تميد بكم أي تتحرك وتميل والميد

الحسن يقول : لما خلقت الارض كانت تميد فقالوا ماهذه بمقرة على ظهرها أحداً فأصبحوا وقد خلقت الجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال ، وقال سعيد عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عبادة أن الله لما خلق الارض جعلت تمور فقالت الملائكة : ماهذه بمقرة على ظهرها أحداً فأصبحت صبحا وفيها رواسيها . وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثني حجاج بن منهال حدثنا حماد عن عطاء بن السائب عن عبدالله بن حبيب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما خلق الله الارض قمصت وقالت أي رب تجعل علي بني آدم يعملون الخطايا ويجعلون علي الخبث قال فأرسى الله فيها من الجبال ماترون ومالا ترون فكان اقرارها كاللحم يترجرج. قوله (وأنهاراً وسبلا) أي جعل فيها أنهاراً تجري من مكان الى مكان آخر رزقا للعباد ينبع في موضع وهو رزق لأهل موضع آخر فيقطع البقاع والبراري والقفار ويخترق الجبال والآكام فيصل الى البلد الذي سخر لاهله وهي سائرة في الارض يمنة ويسرة وجنوبا وشمالا وشرقا وغربا مابين صغار وكبار وأودية تجري حينا وتنقطع في وقت ومابين نبع وجمع وقوى السير وبطئه بحسب ماأراد وقدر وسخر ويسر فلا إله إلا هو ولا رب سواه، وكذلك جعل فيها سبلا أي طرقا يسلك فيها من بلاد إلى بلاد حتى إنه تعالى ليقطع الجبل حتى يكون ما بينهما ممراً ومسلكا كما قال تعالى (وجعلنا فيها فجاجا سبلا) الآية وقوله وعلامات أي دلائل من جبال كبار وآكام صغار ونحو ذلك يستدل بها المسافرون براً وبحراً اذا أضلوا الطرق

وقوله (وبالنجم هم يهتدون) أي في ظلام الليل قاله ابن عباس وعن مالك في قوله (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) يقول النجوم وهي الجبال ثم نبه تعالى على عظمته وانه لاتنبغي العبادة الا له دون ماسواه من الاوثان التي لاتخلق شيئا بل هم يخلقون ولهذا قال (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) ثم نبههم على كثرة نعمه عليهم واحسانه اليهم فقال (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الله لغفور رحيم) أي يتجاوز عنكم ولو طالبكم بشكر جميع نعمه لعجزتم عن القيام بذلك ولو أمركم به لضعفتم وتركتم ولو عذبكم لعذبكم وهو غير ظالم لكم ولكنه غفور رحيم يغفر الكثير ويجازي على اليسير ،

هو الاضطراب والتكفؤ ، ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر ميد ، قال وهب لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة إن هذه غير مقرة أحداً على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال ﴿ وأنهاراً وسبلا ﴾ أي وجعل فيها أنهاراً وطرقا مختلفة ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ إلى ماتريدون فلا تضلون ﴿ وعلامات ﴾ يعني معالم الطرق . قال بعضهم ههنا تم الكلام . ثم ابتدأ ﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴾ قال محمد بن كعب والكلبي اراد بالعلامات الجبال ، والجبال تكون علامات النهار . والنجوم علامات الليل . وقال مجاهد أراد بالكل النجوم منها مايكون علامات ومنها مايهتدون به، قال السدي أراد بالنجوم الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدي يهتدون بها إلى الطرق والقبلة، وقال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة للسماء ومعالم للطرق ورجوما للشياطين . فمن

وقال ابن جرير يقول ان الله لغفور لما كان منكم من تقصير في شكر بعض ذلك اذا تبتم وأبتم الى طاعته واتباع مرضاته رحيم بكم لا يعذبكم بعد الانابة والتوبة

والله يعلم ما تُسِرون وما تُعلنون (١٩) والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يُخلَقون (٢٠) أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يُبعثون (٢١)

يخبر تعالى أنه يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر وسيجزى كل عامل بعمله يوم القيامة ، ان خيراً فخير وان شراً فشر، ثم أخبر أن الاصنام التي يدعونها من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون كما قال الخليل(أتعبدون ما تنحتون؟ والله خلقكم وما تعملون) وقوله(أموات غير أحياء) أي هي جمادات لا أرواح فيها فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل وما يشعرون أيان يبعثون أي لا يدرون متى تكون الساعة فكيف يرتجى عند هذه نفع أو ثواب أو جزاء انما يرجى ذلك من الذي يعلم كل شيء وهو خالق كل شيء

إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكِرة وهم مستكبرون (٢٢) لا جرم أن الله يعلم ما يُسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين (٢٣)

يخبر تعالى أنه لا إله إلا هو الواحد الاحد الفرد الصمد واخبر أن الكافرين تنكر قلوبهم ذلك كما اخبر عنهم متعجبين من ذلك (أجعل الآلهة إلها واحداً ؟ إن هذا لشيء عجاب) وقال تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذاهم

قال غير هذا فقد تكلف مالا علم له به ﴿ أفمن يخلق ﴾ يعني الله تعالى ﴿ كمن لا يخلق ؟ ﴾ يعني الاصنام ﴿ أفلا تذكرون وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور ﴾ لتقصيركم في شكر نعمه ﴿ رحيم ﴾ بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بالتقصير والمعاصي ﴿ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴿ والذين تدعون من دون الله ﴾ يعنى الاصنام ، وقرأ عاصم ويعقوب يدعون بالياء ﴿ لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات ﴾ أي الاصنام ﴿ غير أحياء وما يشعرون ﴾ يعني الاصنام ﴿ أيان ﴾ متى ﴿ يبعثون ﴾ والقرآن يدل على أن الاصنام تبعث وتجعل فيها الحياة فتبرأ من عابديها ، وقيل مايدري الكفار عبدة الاصنام متى يبعثون

قوله تعالى ﴿ إلهكم إله واحد ، فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة ﴾ جاحدة ﴿ وهم مستكبرون ﴾ متعظمون ﴿ لا جرم ﴾ حقا ﴿ أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴿ انه لا يحب المستكبرين ﴾ أخبرنا أبو سعيد بكر بن محمد بن محمد بن يحيي البسطامي أنا أبو الحسن عبد الرحمن بن ابراهيم بن سخوية أنا أبو الفضل سفيان بن محمد الجوهري ثنا علي بن الحسن بن أبي عيسى الهلالي ثنا يحيي بن حماد ثنا شعبة عن أبان بن تغلب عن فضل العقيمي عن ابراهيم النخعي عن علقمة بن قيس عن عبد الله عن أبيه عن النبي ﷺ

يستبشرون) وقوله (وهم مستكبرون) أي عن عبادة الله مع انكار قلوبهم لتوحيده . قال (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) ولهذا قال ههنا (لاجرم) أي حقا (أن الله يعلم مايسرون وما يعلنون) أي وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء (إنه لايحب المستكبرين)

واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم ، قالوا أساطير الاولين (٢٤) ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء مايزرون (٢٥)

يقول تعالى واذا قيل لهؤلاء المكذبين (ماذا انزل ربكم قالوا) معرضين عن الجواب (أساطير الأولين) أي لم ينزل شيئا إنما هذا الذي يتلى علينا أساطير الاولين أي مأخوذ من كتب المتقدمين كما قال تعالى (وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصلا) أي يفترون على الرسول ويقولون اقوالا متضادة مختلفة كلها باطلة كما قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) وذلك أن كل من خرج عن الحق فمهما قال اخطأ وكانوا يقولون ساحر وشاعر وكاهن ومجنون ثم استقر امرهم الى ما اختلقه لهم شيخهم الوحيد المسمى بالوليد بن المغيرة المخزومي لما فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم ادبر واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، أي ينقل ويحكى فتفرقوا عن قوله ورأيه قبحهم الله قال الله تعالى (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) أي إنما قدرنا عليهم أن يقولوا ذلك ليتحملوا أوزارهم ومن أوزار الذين يتبعونهم ويوافقونهم أي يصير عليهم خطيئة ضلالهم في أنفسهم وخطيئة اغوائهم لغيرهم واقتداء اولئك بهم . جاء في الحديث « من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من اتبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام

قال « لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان » فقال رجل يارسول الله : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا ، قال « إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس »

قوله تعالى ﴿ واذا قيل لهم ﴾ يعني لهؤلاء الذين لايؤمنون بالآخرة وهم مشركوا مكة الذين اقتسموا نقابها اذا سأل منهم الحاج ﴿ ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين ﴾ أحاديثهم وأباطيلهم ﴿ ليحملوا ﴾ أي ليجملوا ﴿ أوزارهم ﴾ ذنوب أنفسهم ﴿ كاملة ﴾ وانما ذكر الكمال لان البلايا التي تلحقهم في الدنيا وما يفعلون فيها من الحسنات لاتكفر عنهم شيئا ﴿ يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ﴾ بغير حجة فيصدونهم عن الايمان ﴿ ألا ساء مايزرون ﴾ مايحملون . أنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني أنا عبدالله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر ثنا اسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله

من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » وقال تعالى (وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) ولهذا روي عن ابن عباس في الآية (ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) أنها كقوله (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) وقال مجاهد يحملون أثقالهم ذنوبهم وذنوب من أطاعهم ولا يخفف عمن أطاعهم من العذاب شيئا

قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيٰنهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتٰهم العذاب من حيث لا يشعرون (٢٦) ثم يوم القيٰمة يخزيهم ويقول أين شركاءي الذين كنتم تشٰقون فيهم قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكٰفرين (٢٧)

قال العوفي عن ابن عباس في قوله (قد مكر الذين من قبلهم) قال هو النمرود الذي بنى الصرح قال ابن أبي حاتم وروي عن مجاهد نحوه وقال عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم اول جبار كان في الارض النمرود فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكث أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق وأرحم الناس به من جمع يديه فضرب بهما رأسه وكان جبارا اربعمائة سنة فعذبه الله اربعمائة سنة كملكه ثم أماته وهو الذي بنى الصرح الى السماء الذي قال الله تعالى (فأتى الله بنيانهم من القواعد) وقال آخرون بل هو بختنصر وذكروا من المكر الذي حكاه الله هنا كما قال في سورة ابراهيم (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) وقال آخرون هذا من باب المثل لابطال ما صنعه هؤلاء الذين كفروا بالله وأشركوا في عبادته غيره كما قال نوح عليه السلام (ومكروا مكراً كبارا) أي احتالوا في اضلال الناس بكل حيلة وأمالوهم الى شركهم بكل وسيلة كما يقول لهم اتباعهم يوم القيامة (بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له اندادا) الآية وقوله (فأتى الله بنيانهم من القواعد) أي اجتثه من أصله وأبطل عملهم كقوله تعالى (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله) وقوله (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الابصار) وقال الله هنا (فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وآتاهم العذاب

ﷺ قال « من دعا إلى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا »

قوله تعالى ﴿ قد مكر الذين من قبلهم ﴾ وهو نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل ليصعد السماء ، قال ابن عباس ووهب : كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع » وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبت ريح وألقت رأسه في البحر وخر عليهم الباقي وهم تحته » ولما سقط الصرح تبلبلت ألسن الناس من الفزع يومئذ فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل

من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم) أي يظهر فضائحهم وما كانت تجنه ضمائرهم فيجعله علانية كقوله تعالى (يوم تبلى السرائر) أي تظهر وتشتهر كما في الصحيحين عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه بقدر غدرته فيقال هذه غدرة فلان بن فلان » وهكذا هؤلاء يظهر للناس ما كانوا يسرونه من المكر ويخزيهم الله على رءوس الخلائق ويقول لهم الرب تبارك وتعالى مقرعا لهم وموبخا (أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم) تحاربون وتعادون في سبيلهم أين هم عن نصركم وخلاصكم ههنا (هل ينصرونكم أو ينتصرون « فما له من قوة ولا ناصر) فاذا توجهت عليهم الحجة وقامت عليهم الدلالة ، وحقت عليهم الكلمة وسكتوا عن الاعتذار حين لا فرار (قال الذين أوتوا العلم) وهم السادة في الدنيا والآخرة والمخبرون عن الحق في الدنيا والآخرة فيقولون حينئذ (إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين) أي الفضيحة والعذاب محيط اليوم بمن كفر بالله وأشرك به ما لا يضره وما لا ينفعه

الذين تتوفّٰهم الملٰٓئكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلَم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون (٢٨) فادخلوا أبواب جهنم خٰلدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين (٢٩)

يخبر تعالى عن حال المشركين الظالمي أنفسهم عند احتضارهم ومجيء الملائكة اليهم لقبض أرواحهم الخبيثة (فألقوا السلم) أي أظهروا السمع والطاعة والانقياد قائلين (ما كنا نعمل من سوء) كما يقولون يوم المعاد (والله ربنا ما كنا مشركين ، يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم) قال الله مكذبا لهم في قيلهم ذلك (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون ، فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) أي بئس المقيل والمقام والمكان من دار هوان لمن كان متكبراً عن آيات الله واتباع رسله وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم وينال أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها فاذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم وخلدت في نار جهنم (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا

ذلك بالسريانية فذلك قوله تعالى ﴿ فأتى الله بنيانهم من القواعد ﴾ أي قصد تخريب بنيانهم من أصولها ﴿ فخر عليهم السقف ﴾ يعني أعلى البيوت ﴿ من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ من مأمنهم ﴿ ثم يوم القيامة يخزيهم ﴾ يهينهم بالعذاب ﴿ ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم ﴾ تخالفون المؤمنين فيهم ما لهم لا يحضرونكم فيدفعون عنكم العذاب ، وكسر نافع النون من تشاقون على الاضافة والآخرون بفتحها ﴿ قال الذين أوتوا العلم ﴾ وهم المؤمنون ﴿ إن الخزي ﴾ الهوان ﴿ اليوم والسوء ﴾ أي العذاب ﴿ على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة ﴾ يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه ، وقرأ حمزة يتوفاهم بالياء وكذلك ما بعده ﴿ ظالمي أنفسهم ﴾ بالكفر ونصب على الحال أي في حال كفرهم ﴿ فألقوا السلم ﴾ أي استسلموا وانقادوا وقالوا ﴿ ما كنا نعمل من سوء ﴾ شرك فقال لهم الملائكة ﴿ بلى إن الله

يخفف عنهم من عذابها) كما قال الله تعالى (النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)

وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم؟ قالوا خيراً، للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين (٣٠) جنت عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهر لهم فيها مايشاءون كذلك يجزي الله المتقين (٣١) الذين تتوفيهم الملئكة طيبين يقولون سلم عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون (٣٢)

هذا خبر عن السعداء بخلاف ماأخبر به عن الاشقياء فان أولئك قيل لهم (ماذا أنزل ربكم) قالوا معرضين عن الجواب لم ينزل شيئاانما هذا أساطير الاولين، وهؤلاء قالواخيراً أي أنزل خيراً أي رحمة وبركة لمن اتبعه وآمن به ■ ثم أخبر عما وعد الله عباده فيما أنزله على رسله فقال (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) الآية كقوله تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةطيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أي من أحسن عمله في الدنيا أحسن الله اليه عمله في الآخرة ثم أخبر بأن دار الآخرة خير أي من الحياة الدنيا والجزاء فيها أتم من الجزاء في الدنيا كقوله (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير) الآية . وقال تعالى (وما عند الله خير للابرار) وقال تعالى (والآخرة خير وأبقى) وقال لرسوله ﷺ (وللآخرة خير لك من الأولى) ثم وصف الدار الآخرة فقال (ولنعم دار المتقين) وقوله (جنات عدن) بدل من دار المتقين أي لهم في الآخرة جنات عدن أي مقام يدخلونها (تجري من تحتها الانهار) أي بين أشجارها وقصورها (لهم فيها مايشاءون) كقوله تعالى

عليم بما كنتم تعملون ﴾ قال عكرمة عني بذلك من قتل من الكفار ببدر ﴿ فادخلوا ﴾ أي يقال لهم ادخلوا ﴿ أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ﴾ عن الايمان ﴿وقيل للذين اتقوا ﴾ وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ﷺ فاذا جاء يسأل الذين قعدوا على الطرق عنه فيقولون ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون ولو لم يلقه خير ذلك فيقول السائل أنا شر وفد إن رجعت إلى قومي دون أن أدخل مكة فألقاه فيدخل مكة فيرى أصحاب النبي ﷺ فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث فذلك قوله (وقيل للذين اتقوا) ﴿ ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً ﴾ يعني أنزل خيراً ثم ابتدأ فقال ﴿ للذين أحسنوا في هـذه الدنيا حسنة ﴾ كرامة من الله ■ قال ابن عباس هي تضعيف الاجر إلى العشر ، وقال الضحاك هي النصر والفتح ، وقال مجاهد هي الرزق الحسن ﴿ ولدار الآخرة ﴾ أي ولدار الحال الآخرة ﴿ خير ولنعم دار المتقين ﴾ قال الحسن هي الدنيا لان أهل التقوى يتزودون فيها للآخرة ■ وقال أكثر المفسرين هي الجنة ثم فسرها فقال ﴿ جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها

(وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيهاخالدون) وفي الحديث «ان السحابة لتمر بالملأ من أهل الجنة وهم جلوس على شرابهم فلا يشتهي أحد منهم شيئا إلا أمطرته عليه حتى ان منهم لمن يقول أمطرينا كواعب أترابا فيكون ذلك» (كذلك يجزي الله المتقين) أي كذلك يجزي الله كل من آمن به واتقاه وأحسن عمله ، ثم أخبر تعالى عن حالهم عند الاحتضار انهم طيبون أي مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء وان الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة كقوله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولاتحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلا من غفور رحيم) وقد قدمنا الاحاديث الواردة في قبض روح المؤمن وروح الكافر عند قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء)

هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملٰئكة أو يأتي أمر ربك ؟ كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولٰكن كانوا أنفسهم يظلمون (٣٣) فأصابهم سيئات ماعملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون (٣٤)

يقول تعالى مهدداً للمشركين على تماديهم في الباطل واغترارهم بالدنيا هل ينتظر هؤلاء إلا الملائكة أن تأتيهم لقبض أرواحهم قاله قتادة (أو يأتي أمر ربك) أي يوم القيامة وما يعاينونه من الاهوال وقوله (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي هكذا تمادى في شركهم أسلافهم ونظراؤهم وأشباههم من المشركين حتى ذاقوا بأس الله وحلوا فيما هم فيه من العذاب والنكال (وما ظلمهم الله) لانه تعالى أعذر اليهم وأقام حججه عليهم بارسال رسله وإنزال كتبه (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي بمخالفة الرسل والتكذيب بماجاءوا به، فلهذا أصابتهم عقوبة الله على ذلك (وحاق بهم) أي أحاط بهم من العذاب الاليم (ما كانوا به يستهزئون) أي يسخرون من الرسل اذا توعدوهم بعقاب الله فلهذا يقال لهم يوم القيامة هذه النار التي كنتم بها تكذبون

الانهار لهم فيها مايشاءون كذلك يجزي الله المتقين * الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ﴾ مؤمنين طاهرين من الشرك * قال مجاهد زاكية أفعالهم وأقوالهم ، وقيل معناه أن وفاتهم تقع طيبة سهلة ﴿ يقولون ﴾ يعني الملائكة لهم ﴿ سلام عليكم ﴾ وقيل معناه يبلغونهم سلام الله ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾

قوله ﴿ هل ينظرون إلى أن تأتيهم الملائكة ﴾ لقبض أرواحهم ﴿ أو يأتي أمر ربك ﴾ يعني يوم القيامة وقيل العذاب ﴿ كذلك فعل الذين من قبلهم ﴾ أي كفروا كما كفر الذين من قبلهم ﴿ وماظلمهم الله ﴾ بتعذيبه إياهم ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * فأصابهم سيآت ماعملوا ﴾ عقوبات كفرهم

وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء ، كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلـٰغ المبين ؟ (٣٥) ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطـٰغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلـٰلة ، فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عـٰقبة المكذبين (٣٦) إن تحرص على هدىٰهم فان الله لايهدي من يضل وما لهم من نـٰصرين (٣٧)

يخبر تعالى عن اغترار المشركين بما هم فيه من الاشراك واعتذارهم محتجين بالقدر بقولهم (لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء) أي من البحائر والسوائب والوصائل وغير ذلك مما كانوا ابتدعوه واخترعوه من تلقاء أنفسهم مالم ينزل به سلطانا ومضمون كلامهم انه لو كان تعالى كارها لما فعلنا لأنكره علينا بالعقوبة ولما مكننا منه قال الله تعالى راداً عليهم شبهتهم (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) أي ليس الامر كما تزعمون انه لم ينكره عليكم بل قد أنكره عليكم أشد الانكار ونهاكم عنه آكد النهي وبعث في كل أمة أي في كل قرن وطائفة من الناس رسولا وكلهم يدعون الى عبادة الله وينهون عن عبادة ماسواه (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) فلم يزل تعالى يرسل الى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين أرسل اليهم نوح وكان أول رسول بعثه الله الى أهل الارض الى أن ختمهم بمحمد ﷺ الذي طبقت دعوته الانس والجن في المشارق والمغارب، وكلهم كما قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون) وقوله تعالى (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى في هذه الآية الكريمة (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول (لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء) فمشيئته تعالى الشرعية عنهم منتفية لانه نهاهم عن ذلك على ألسنة رسله ، وأما مشيئته الكونية وهي تمكينهم من ذلك قدراً فلا حجة لهم فيها لانه تعالى خلق النار

وأعمالهم الخبيثة ﴿ وحاق بهم ﴾ نزل بهم ﴿ ماكانوا به يستهزئون ، وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء ﴾ يعني البحيرة والسائبة والوصيلة والحام. فلولا أن الله رضيها لنا لغير ذلك وهدانا إلى غيرها ﴿ كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين؟ ﴾ أي ليس اليهم الهداية انما اليهم التبليغ

قوله تعالى ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ﴾ أي كما بعثنا فيكم ﴿ أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾

وأهلها من الشياطين والكفرة وهو لا يرضى لعباده الكفر وله في ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة . ثم انه تعالى قد أخبر انه أنكر عليهم بالعقوبة في الدنيا بعد انذار الرسل فلهذا قال (فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي اسألوا عما كان من أمر من خالف الرسل وكذب الحق كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها فقال (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) ثم أخبر الله تعالى رسوله ﷺ أن حرصه على هدايتهم لا ينفعهم اذا كان الله قد أراد إضلالهم كقوله تعالى (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) وقال نوح لقومه (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) وقال في هذه الآية الكريمة (إن تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل) كما قال الله (من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون) وقال تعالى (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) وقوله (فان الله) أي شأنه وأمره انه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن فلهذا قال (لا يهدي من يضل) أي من أضله فمن ذا الذي يهديه من بعد الله؟ أي لا أحد (وما لهم من ناصرين) أي ينقذونهم من عذابه ووثاقه (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)

وأقسموا بالله جهدَ أيمٰنهم لا يبعثُ اللهُ من يموت ، بلىٰ وعداً عليه حقاً ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون (٣٨) ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلمَ الذين كفروا أنهم كانوا كٰذبين (٣٩) انما قولنا لشيء إذا أردْنٰهُ أن نقول له كن فيكون (٤٠)

يقول تعالى مخبراً عن المشركين انهم حلفوا فأقسموا بالله جهد أيمانهم أي اجتهدوا في الحلف وغلظوا الايمان على انه لا يبعث الله من يموت أي استبعدوا ذلك وكذبوا الرسل في إخبارهم لهم بذلك وحلفوا على نقيضه فقال تعالى مكذبا لهم ورادا عليهم (بلى) أي بلى سيكون ذلك وعداً عليه حقا أي لا بد منه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي فلجهلهم يخالفون الرسل ويقعون في الكفر

وهو كل معبود من دون الله ﴿ فمنهم من هدى الله ﴾ أي هداه الله إلى دينه ﴿ ومنهم من حقت عليه الضلالة ﴾ أي وجبت بالقضاء السابق حتى مات على كفره ﴿ فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ أي مآل أمرهم وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك ﴿ إن تحرص على هداهم ﴾ يا محمد ﴿ فان الله لا يهدي من يضل ﴾ قرأ أهل الكوفة يهدي بفتح الياء وكسر الدال أي لا يهدي الله من أضله ، وقيل معناه لا يهتدي من أضله الله ، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الدال يعني من أضله الله فلا هادي له كما قال (من يضلل الله فلا هادي له) ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ أي مانعين من العذاب

قوله تعالى ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ﴾ وهم منكرو البعث قال الله تعالى رداً عليهم ﴿ بلى وعداً عليه حقا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ليبين لهم الذي يختلفون ﴾ أي

ثم ذكر تعالى حكمته في المعاد وقيام الاجساد يوم التناد فقال (ليبين لهم) أي للناس (الذي يختلفون فيه) أي من كل شيء ويجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) أي في أيمانهم وأقسامهم لايبعث الله من يموت ولهذا يدعون يوم القيامة الى نار جهنم دعا وتقول لهم الزبانية (هذه النار التي كنتم بها تكذبون*أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون*اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون) ثم أخبر تعالى عن قدرته على مايشاء وانه لايعجزه شيء في الارض ولا في السماء وانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون والمعاد من ذلك اذا أراد كونه فانما يأمر به مرة واحدة فيكون كما يشاء كقوله (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) وقال (ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) وقال في هذه الآية الكريمة (انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) أى ان نأمر به مرة واحدة فاذا هو كائن كما قال الشاعر:

اذا ما أراد الله أمراً فانما * يقول له كن قولة فيكون

أي انه تعالى لايحتاج الى تأكيد فيما يأمر به فانه تعالى لايمانع ولا يخالف لانه الواحد القهار العظيم الذي قهر سلطانه وجبروته وعزته كل شيء فلا إله إلا هو ولا رب سواه * وقال ابن أبي حاتم ذكر الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني عطاء انه سمع أبا هريرة يقول قال الله تعالى شتمني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك، وكذبني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك * فأما تكذيبه إياي فقال (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت) قال وقلت (بلى وعداً عليه حقا ولكن أكثر الناس لايعلمون) وأما شتمه إياي فقال (ان الله ثالث ثلاثة) وقلت (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) هكذا ذكره موقوفا وهو في الصحيحين مرفوعا بلفظ آخر

والذين هاجروا في الله من بعدما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة

ليظهر لهم الحق فيما يختلفون ﴿فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين*انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ يقول الله تعالى اذا أردنا أن نبعث الموتى فلا تعب علينا في احيائهم ولا في شيء مما يحدث انما نقول له كن فيكون

أخبرنا حسان بن سعد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ * قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك * وشتمني عبدي ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياى أن يقول لن يعيدنا كما بدأنا، وأما شتمه إياي أن يقول اتخذ الله ولداً وأنا الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد *

قوله تعالى ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ماظلموا﴾ عذبوا وأوذوا في الله نزلت في بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وجبير وأبي جندل بن سهيل أخذهم المشركون بمكة فعذبوهم * وقال

أكبر لو كانوا يعلمون (٤١) الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون (٤٢)

يخبر تعالى عن جزائه للمهاجرين في سبيله ابتغاء مرضاته الذين فارقوا الدار والاخوان والخلان رجاء ثواب الله وجزائه ، ويحتمل أن يكون سبب نزولها في مهاجرة الحبشة الذين اشتد أذى قومهم لهم بمكة حتى خرجوا من بين أظهرهم إلى بلاد الحبشة ليتمكنوا من عبادة ربهم ، ومن أشرافهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وجعفر بن أبي طالب بن عم الرسول وأبو سلمة بن عبد الاسود في جماعة قريب من ثمانين مابين رجل وامرأة صديق وصديقة رضي الله عنهم وأرضاهم ، وقد فعل فوعدهم تعالى بالمجازاة الحسنة في الدنيا والآخرة فقال (لنبوئنهم في الدنيا حسنة) قال ابن عباس والشعبي وقتادة المدينة وقيل الرزق الطيب قاله مجاهد . ولا منافاة بين القولين فانهم تركوا مساكنهم وأموالهم فعوضهم الله خيراً منها في الدنيا ، فان من ترك شيئا لله عوضه الله بما هو خير له منه وكذلك وقع فانهم مكن الله لهم في البلاد وحكمهم على رقاب العباد وصاروا أمراء حكاماء وكل منهم للمتقين اماماء وأخبر أن ثوابه للمهاجرين في الدار الآخرة أعظم مما أعطاهم في الدنيا فقال (ولأجر الآخرة أكبر) أي مما أعطيناهم في الدنيا (لو كانوا يعلمون) أي لو كان المتخلفون عن الهجرة معهم يعلمون ما ادخر الله لمن أطاعه واتبع رسوله ، ولهذا قال هشيم عن العوام عمن حدثه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول خذ بارك الله لك فيه هذا ماوعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة أفضل ثم قرأ هذه الآية (لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) ثم وصفهم تعالى فقال (الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) أي صبروا على الاذى من قومهم متوكلين على الله الذي أحسن لهم العاقبة في الدنيا والآخرة

وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون (٤٣)

بالبينت والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون (٤٤)

قتادة هم أصحاب النبي ﷺ ظلمهم أهل مكة وأخرجوهم من ديارهم حتى لحق منهم طائفة بالحبشة ثم بوأ الله لهم المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين ﴿ لنبوئنهم في الدنيا حسنة ﴾ وهو أنه أنزلهم المدينة ، روي أن عمر بن الخطاب كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول خذ بارك الله لك فيه هذا ماوعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة أفضل ثم تلا هذه الآية ، وقيل معناه لنحسنن اليهم في الدنيا ، وقيل الحسنة في الدنيا التوفيق والهداية ﴿ ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ وقوله (لو كانوا يعلمون) ينصرف إلى المشركين لان المؤمنين كانوا يعلمونه

قوله ﴿ الذين صبروا ﴾ في الله على مانالهم ﴿ وعلى ربهم يتوكلون * وما أرسلنا من قبلك إلا

قال الضحاك عن ابن عباس لما بعث الله محمداً ﷺ رسولا أنكرت العرب ذلك أو من أنكر منهم وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً فأنزل الله (أ كان للناس عجبا ان أوحينا إلى رجل منهم أن انذر الناس) الآية وقال (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) يعني أهل الكتب الماضية أبشراً كانت الرسل اليهم أم ملائكة فان كانوا ملائكة أنكرتم وان كانوا بشراً فلا تنكروا أن يكون محمد ﷺ رسولا . قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى) ليسوا من أهل السماء كما قلتم ، وكذا روي عن مجاهد عن ابن عباس أن المراد بأهل الذكر أهل الكتاب وقاله مجاهد والاعمش ، وقول عبدالرحمن بن زيد الذكر القرآن واستشهد بقوله (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) صحيح لكن ليس هو المراد ههنا لان المخالف لايرجع في اثباته بعد انكاره اليه ، وكذا قول أبي جعفر الباقر نحن أهل الذكر ومراده أن هذه الامة أهل الذكر صحيح ، فان هذه الامة أعلم من جميع الامم السالفة ، وعلماء أهل بيت رسول الله عليهم السلام والرحمة من خير العلماء اذا كانوا على السنة المستقيمة كعلي وابن عباس وابني علي الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعلي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبدالله بن عباس وأبي جعفر الباقر وهو محمد بن علي بن الحسين وجعفر ابنه وأمثالهم وأضرابهم وأشكالهم ممن هو متمسك بحبل الله المتين وصراطه المستقيم وعرف لكل ذي حق حقه ونزل كل[1] المنزل الذي أعطاه الله ورسوله واجتمعت عليه قلوب عباده المؤمنين والغرض أن هذه الآية الكريمة أخبرت بأن الرسل الماضين قبل محمد ﷺ كانوا بشراً كما هو بشر كما قال تعالى (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا ؟ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا ؟) وقال تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) وقال تعالى (وما جعلناهم جسداً لايأكلون الطعام وما كانوا خالدين) وقال (قل ما كنت بدعا من الرسل) وقال تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) ثم أرشد الله تعالى من شك في كون الرسل كانوا بشراً إلى سؤال أصحاب الكتب المتقدمة عن الانبياء الذين سلفوا هل كان أنبياؤهم بشراً أو ملائكة ، ثم ذكر تعالى انه أرسلهم (بالبينات) أي بالحجج والدلائل (والزبر) وهي الكتب قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم والزبر جمع زبور تقول العرب زبرت الكتاب اذا كتبته . وقال تعالى (وكل شيء فعلوه في الزبر) وقال (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون) ثم قال تعالى (وأنزلنا اليك الذكر) يعني

[1] ، هكذا في جميع النسخ والوجه في الاعراب : ونزل كلا الخ

رجالا نوحي اليهم ﴾ نزلت في مشركي مكة حيث أنكروا نبوة محمد ﷺ وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً فهلا بعث الينا ملكا ﴿ فاسئلوا أهل الذكر ﴾ يعني مؤمني أهل الكتاب ﴿ إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر ﴾ واختلفوا في الجالب للباء في قوله (بالبينات) قيل هي راجعة إلى قوله (وما أرسلنا) وإلا بمعنى غير مجازه وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر غير رجال يوحى اليهم ولم

القرآن (لتبين للناس مانزل اليهم) أي من ربهم لعلمك بمعنى ما أنزل الله عليك وحرصك عليه واتباعك له ولعلمنا بأنك أفضل الخلائق وسيد ولد آدم فتفصل لهم ما أجمل وتبين لهم ما أشكل (ولعلهم يتفكرون) أي ينظرون لأنفسهم فيهتدون فيفوزون بالنجاة في الدارين

أفأمنَ الذينَ مكروا السيئاتِ أن يخسفَ اللهُ بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيثُ لا يشعرون ؟ (٤٥) أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين (٤٦) أو يأخذهم على تخوُّف فان ربكم لرءوف رحيم (٤٧)

يخبر تعالى عن حلمه وانظاره العصاة الذين يعملون السيئات ويدعون اليها ويمكرون بالناس في دعائهم إياهم وحلمهم عليها مع قدرته على أن يخسف بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أي من حيث لا يعلمون مجيئه اليهم كقوله تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) وقوله (أو يأخذهم في تقلبهم) أي في تقلبهم في المعايش واشتغالهم بها في أسفار ونحوها من الاشغال الملهية قال قتادة والسدي تقلبهم أي أسفارهم ، وقال مجاهد والضحاك وقتادة (في تقلبهم) في الليل والنهار كقوله (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون * أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون) وقوله فما هم بمعجزين أي لا يعجزون الله على أي حال كانوا عليه وقوله (أو يأخذهم على تخوف) أي أو يأخذهم الله في حال خوفهم من أخذه لهم فانه يكون أبلغ وأشد فان حصول ما يتوقع مع الخوف شديد ولهذا قال العوفي عن ابن عباس أو يأخذهم على تخوف يقول ان شئت أخذته على أثر موت صاحبه وتخوفه بذلك وكذا روي عن مجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم ثم قال تعالى (فان ربكم لرءوف رحيم) أي

نبعث ملائكة ، وقيل تأويله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحى اليهم أرسلناهم بالبينات والزبر ﴿ وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ﴾ أراد بالذكر الوحي ، وكان النبي ﷺ مبينا للوحي وبيان الكتاب يطلب من السنة ﴿ ولعلهم يتفكرون * أفأمن الذين مكروا ﴾ عملوا ﴿ السيات ﴾ من قبل يعني نمرود بن كنعان وغيره من الكفار ﴿ أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون * أو يأخذهم ﴾ بالعذاب ﴿ في تقلبهم ﴾ تصرفهم في الاسفار ، وقال ابن عباس في اختلافهم وقال ابن جريج في اقبالهم وادبارهم ﴿ فما هم بمعجزين ﴾ سابقين الله ﴿ أو يأخذهم على تخوف ﴾ والتخوف النقص أي ينتقص من أطرافهم ونواحيهم شيئا بعد شيء حتى يهلك جميعهم ، يقال تخوفه الدهر وتخونه اذا نقصه وأخذ ماله وحشمه ويقال هذا لغة بني هذيل ، وقال الضحاك والكلبي هو من الخوف أي أن يعذب طائفة ليتخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم ﴿ فان ربكم لرءوف رحيم ﴾ حين لم يعجل بالعقوبة

حيث لم يعاجلكم بالعقوبة كما ثبت في الصحيحين « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم » وفيهما « ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ رسول الله ﷺ (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد) وقال تعالى (وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير)

أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون (٤٨) ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملئكة وهم لا يستكبرون (٤٩) يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون (٥٠)

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وكبريائه الذي خضع له كل شيء ، ودانت له الاشياء والمخلوقات باسرها جماداتها وحيواناتها ومكلفوها من الانس والجن والملائكة فاخبر أن كل ماله ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال أي بكرة وعشيا فانه ساجد بظله لله تعالى . قال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عز وجل وكذا قال قتادة والضحاك وغيرهم ، وقوله (وهم داخرون) أى صاغرون وقال

قوله ﴿ أو لم يروا الى ما خلق الله من شيء ﴾ قرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب وكذلك في سورة العنكبوت والآخرون بالياء خبراً عن الذين مكروا السيآت إلى ما خلق الله من شيء من جسم قائم له ظل ﴿ يتفيأ ﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب بالتاء والآخرون بالياء ﴿ ظلاله ﴾ أي تميل وتدور من جانب إلى جانب فهي في أول النهار على حال ثم تتقلص ثم تعود في آخر النهار إلى حال أخرى سجداً لله فميلانها ودورانها سجودها لله عز وجل ويقال للظل بالعشى فيء لانه فاء أى رجع من المغرب إلى المشرق ، فالفيء الرجوع والسجود الميل يقال سجدت النخلة اذا مالت ، وقوله عز وجل ﴿ عن اليمين والشمائل سجداً لله ﴾ قال قتاده والضحاك أما اليمين فأول النهار والشمائل آخر النهار تسجد الظلال لله ، وقال الكلبي الظل قبل طلوع الشمس عن يمينك وعن شمالك وقدامك وخلفك وكذلك اذا غابت فاذا طلعت كان من قدامك واذا ارتفعت كان عن يمينك ثم بعده كان خلفك فاذا كان قبل أن تغرب الشمس كان عن يسارك فهذا تفيؤه وتقلبه وهو سجوده ، وقال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شيء لله ، وقيل المراد من الظلال سجود الاشخاص . فان قيل لم وحد اليمين وجمع الشمائل ؟ قيل من شأن العرب في اجتماع العلامتين الاكتفاء بواحدة كقوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) وقوله (يخرجهم من الظلمات الى النور) وقيل اليمين يرجع الى قوله ما خلق الله ولفظ ما واحد والشمائل جمع يرجع الى المعنى ﴿ وهم داخرون ﴾ صاغرون ﴿ ولله يسجد ما في السموات وما في الارض ﴾ إنما أخبر بما لغلبة مالا يعقل على من يعقل في العدد والحكم للاغلب كتغليب المذكر على المؤنث ﴿ من دابة ﴾

مجاهد أيضا سجود كل شيء فيؤه وذكر الجبال قال سجودها فيؤها وقال أبو غالب الشيباني أمواج البحر صلاته ونزلهم منزلة من يعقل اذ اسند السجود اليهم فقال (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) كما قال (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال) وقوله (والملائكة وهم لايستكبرون) أي تسجد لله أي غير مستكبرين عن عبادته (يخافون ربهم من فوقهم) أي يسجدون خائفين وجلين من الرب جل جلاله (ويفعلون مايؤمرون) أي مثابرين على طاعته تعالى وامتثال أوامره ، وترك زواجره

وقال الله لاتتخذوا إلٰهين اثنين إنما هو إله واحد فإيٰي فارهبونِ (٥١) وله مافي السمٰوٰت والارض وله الدين واصباً أفغير الله تتقون ؟ (٥٢) وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذامسكم الضُّر فإليه تجئرون (٥٣) ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون (٥٤) ليكفروا بما آتينٰهم فتمتعوا فسوف تعلمون (٥٥)

يخبر تعالى أنه لاإله إلا هو وأنه لاينبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له فانه مالك كل شيء وخالقه وربه (وله الدين واصبا) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وميمون بن مهران والسدي وقتادة

أراد من كل حيوان يدب ويقال السجود الطاعة والاشياء كلها مطيعة لله عز وجل من حيوان وجماد قال الله تعالى (قالتا أتينا طائعين) وقيل سجود الاشياء تذللها وتسخرها لما اريدت له وسخرت له • وقيل سجود الجمادات ومالا يعقل ظهور أثر الصنع فيه على معنى انه يدعو الغافلين الى السجود لله عند التأمل والتدبر فيه قال الله عز وجل (سنريهم آياتنا في الآفاق)﴿ والملائكة ﴾ خص الملائكة بالذكر مع كونهم من جملة ما في السموات والارض تشريفا ورفعا لشأنهم وقيل لخروجهم من الموصوفين بالدبيب إذلهم أجنحة يطيرون بها وقيل أراد ولله يسجد مافي السموات من الملائكة وما في الارض من دابة وتسجد الملائكة ﴿ وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ﴾ كقوله وهو القاهر فوق عباده ﴿ ويفعلون ما يؤمرون ﴾ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا محمد بن سمعان ثنا أبو بكر محمد بن ابراهيم الشعراني ثنا محمد بن يحيى الذهلي ثنا عبيد الله بن موسى العبسي ثنا اسرائيل عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ «اني أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وفيه ملك يمجد الله ولو تعلمون ما أعلم أنا لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً وماتلذذتم بالنساء على الفرشات ولصعدتم الى الصعدات تجأرون» قال أبو ذر ياليتني كنت شجرة تعضد رواه أبو عيسى عن أحمد بن منيع عن أبي أحمد الزبيري عن اسرائيل وقال الا وملك واضع جبهته ساجدا لله

قوله تعالى ﴿ وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون ﴾ وله ما في

وغير واحد أي دائما،وعن ابن عباس أيضا أي واجبا،وقال مجاهد أي خالصا له أي له العبادة وحده ممن في السموات والارض كقوله (أفغير دين الله يبغون ● وله أسلم من السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون) هذا على قول ابن عباس وعكرمة فيكون من باب الخبر ، وأما على قول مجاهد فانه يكون من باب الطلب أي ارهبوا أن تشركوا بي شيئا واخلصوا لي الطاعة كقوله تعالى (ألا لله الدين الخالص) ثم اخبر أنه مالك النفع والضر وان ما بالعباد من رزق ونعمة وعافية ونصر فمن فضله عليهم ، واحسانه اليهم (ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون) أي لعلمكم أنه لا يقدر على ازالته إلا هو فانكم عند الضرورات تلجؤن اليه وتسألونه وتلحون في الرغبة اليه مستغيثين به كقوله تعالى (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا) وقال ههنا (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون* ليكفروا بما آتيناهم) قيل اللام ههنا لام العاقبة وقيل لام التعليل بمعنى قيضنا لهم ذلك ليكفروا أى يستروا ويجحدوا نعم الله عليهم وانه المسدي اليهم النعم ، الكاشف عنهم النقم ثم توعدهم قائلا (فتمتعوا) أى اعملوا ماشئتم وتمتعوا بما انتم فيه قليلا (فسوف تعلمون) اى عاقبة ذلك

ويجعلون لما لايعلمون نصيباً مما رزقنهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون (٥٦) ويجعلون لله البنٰت سبحٰنه ولهم مايشتهون (٥٧) واذا بُشّر أحدهم بالأُنثى ظل وجهه مسوّدا وهو كظيم (٥٨) يتوارى من القوم من سوء ما بُشّر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء مايحكمون (٥٩) للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السّوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم (٦٠)

السموات والارض وله الدين ﴾ الطاعة والاخلاص ﴿ واصبا ﴾ دائما ثابتا ،معناه ليس من أحد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلاك غير الله عز وجل فان الطاعة تدوم له ولا تنقطع ﴿ أفغير الله تتقون ؟ ﴾ أي تخافون استفهام على طريق الانكار ، قوله تعالى ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ أي وما يكن بكم من نعمة فمن الله ﴿ ثم اذا مسكم الضر ﴾ القحط والمرض ﴿ فاليه تجأرون ﴾ تضجون وتصيحون بالدعاء والاستغاثة

﴿ ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا ﴾ ليجحدوا ﴿ بما آتيناهم ﴾ وهذه اللام تسمى لام العاقبة أى حاصل أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم أعطيناهم من النعماء وكشف الضراء والبلاء ﴿ فتمتعوا ﴾ أى عيشوا في الدنيا المدة التي ضربتها لكم ﴿ فسوف تعلمون ﴾ عاقبة أمركم هذا وعيد لهم ﴿ ويجعلون لما لا يعلمون ﴾ أى ويجعلون له حقا أى الاصنام ﴿ نصيبا مما رزقناكم ﴾ من الاموال

يخبر تعالى عن قبائح المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الاصنام والاوثان والانداد بغير علم وجعلوا للاوثان نصيبا مما رزقهم الله فقالوا (هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء مايحكمون) أى جعلوا لآلهتهم نصيبا مع الله وفضلوها على جانبه فاقسم الله تعالى بنفسه الكريمة ليسألنهم عن ذلك الذى افتروه وائتفكوه وليقابلنهم عليه وليجازينهم أوفر الجزاء في نار جهنم فقال (تالله لتسئلن عما كنتم تفترون) ثم اخبر تعالى عنهم أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وجعلوها بنات الله فعبدوها معه فاخطؤا خطأ كبيراً في كل مقام من هذه المقامات الثلاث فنسبوا اليه تعالى أن له ولداً ولا ولد له ثم أعطوه أخس القسمين من الاولاد وهو البنات وهم لايرضونها لانفسهم كما قال (ألكم الذكر وله الانثى ؛ تلك إذاً قسمة ضيزى) وقوله ههنا (ويجعلون لله البنات سبحانه) أى عن قولهم وافكهم ألا إنهم من افكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون) وقوله (ولهم مايشتهون) أى يختارون لانفسهم الذكور ويأنفون لانفسهم من البنات التي نسبوها الى الله ؛ تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا. فانه (اذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً) أى كئيبا من الهم (وهو كظيم) ساكت من شدة ماهو فيه من الحزن (يتوارى من القوم) أى يكره أن يراه الناس (من سوء مابشر به

وهو ماجعلوا للاوثان من حروثهم وانعامهم فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ثم رجع من الخبر الى الخطاب فقال ﴿ تالله لتسئلن ﴾ يوم القيامة ﴿ عما كنتم تفترون ﴾ في الدنيا ﴿ ويجعلون لله البنات ﴾ وهم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله تعالى ﴿ سبحانه ولهم ما يشتهون ﴾ أى ويجعلون لانفسهم البنين الذين يشتهونهم فيكون ما في محل النصب ويجوز أن يكون على الابتداء فيكون مافي محل الرفع ﴿ واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً ﴾ متغيراً من الغم والكراهية ﴿ وهو كظيم ﴾ وهو ممتلىء حزنا وغيظا فهو يكظمه أى يمسكه ولا يظهره ﴿ يتوارى ﴾ أى يختفي ﴿ من القوم من سوء ما بشر به ﴾ من الحزن والعار ثم يتفكر ﴿ أيمسكه ﴾ ذكر الكناية ردا على ما ﴿ على هون ﴾ أى هوان ﴿ أم يدسه في التراب ﴾ أى يخفيه فيئده ، وذلك أن مضر وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات أحياء خوفا من الفقر عليهن وطمع غير الاكفاء فيهن وكان الرجل من العرب اذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر وتركها ترعى له الابل والغنم في البادية ؛ واذا أراد أن يقتلها تركها حتى اذا صارت سداسية قال لأمها زينيها حتى أذهب بها إلى احمائها وقد حفر لها بئراً في الصحراء ، فاذا بلغ بها البئر قال لها انظري إلى هذه البئر فيدفعها من خلفها في البئر ثم يهيل على رأسها التراب حتى يستوي البئر بالارض فلذلك قوله عز وجل (أيمسكه على هون أم يدسه في التراب) وكان صعصعة عم الفرزدق اذا أحس بشيء من ذلك وجه إلى والد البنت ابلا يحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر به

وعمي الذي منع الوائدات ... فأحيا الوئيد فلم يوأد

أيمسكه على هون أم يدسه في التراب) أى ان ابقاها ابقاها مهانة لايورثها ولا يعتني بها ويفضل أولاده الذكور عليها (أم يدسه في التراب) أى يئدها وهو أن يدفنها فيه حية كما كانوا يصنعون في الجاهلية ، افمن يكرهونه هذه الكراهة ويأنفون لانفسهم عنه يجعلونه لله (ألا ساء مايحكمون) أى بئس ماقالوا وبئس ماقسموا وبئس مانسبوه اليه كقوله تعالى (واذا بشر أحدهم) بما ضرب للرحمن مثلا (ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) وقوله ههنا (للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء) أى النقص إنما ينسب اليهم (ولله المثل الاعلى) أى الكمال المطلق من كل وجه وهو منسوب اليه (وهو العزيز الحكيم)

ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لايستئخرون ساعة ولا يستقدمون (٦١) ويجعلون لله مايكرهون ، وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى ، لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرَطون (٦٢)

يخبر تعالى عن حلمه بخلقه مع ظلمهم وانه لو يؤاخذهم بما كسبوا ماترك على ظهر الارض من دابة أى لأهلك جميع دواب الارض تبعا لاهلاك بني آدم ولكن الرب جل جلاله يحلم ويستر ، وينظر الى أجل مسمى أى لايعاجلهم بالعقوبة اذ لو فعل ذلك بهم لما ابقى أحداً ، قال سفيان الثورى عن أبي اسحاق عن أبي الاحوص انه قال كاد الجعل أن يعذب بذنب بني آدم وقرأ الآية (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة) وكذا روى الاعمش عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة قال :

﴿ ألا ساء مايحكمون ﴾ بئس مايقضون لله البنات ولأنفسهم البنين نظيره (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذاً قسمة ضيزى) وقيل بئس حكمهم وأد البنات

قوله ﴿ للذين لايؤمنون بالآخرة ﴾ يعني لهؤلاء الذين يصفون لله البنات ولأنفسهم البنين ﴿ مثل السوء ﴾ صفة السوء من الاحتياج إلى الولد وكراهية الاناث وقتلهن خوف الفقر ﴿ ولله المثل الاعلى ﴾ الصفة العليا وهي التوحيد وأنه لا إله إلا هو ، وقيل جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء وغيرها من الصفات ، وقال ابن عباس (مثل السوء) النار و (المثل الاعلى) شهادة أن لا إله إلا الله ﴿ وهو العزيز الحكيم ، ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ﴾ فيعاجلهم بالعقوبة على كفرهم وعصيانهم ﴿ ماترك عليها ﴾ أي على الارض كناية عن غير مذكور ﴿ من دابة ﴾ قال قتادة في الآية قد فعل الله ذلك من زمن نوح فأهلك من على الارض إلا من كان في سفينة نوح عليه السلام ، روي أن أبا هريرة سمع رجلا يقول ، إن الظالم لايضر إلا نفسه ، فقال بئس ماقلت إن الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم ، وقال ابن مسعود إن الجعل لتعذب في جحرها بذنب ابن آدم ، وقيل إن معنى الآية لو يؤاخذ الله آباء الظالمين بظلمهم انقطع النسل ولم توجد الأبناء فلم يبق في الارض أحد ﴿ ولكن يؤخرهم

قال عبد الله كاد الجعل أن يهلك في جحره بخطيئة بني آدم ، وقال ابن جرير حدثني محمد بن المثنى حدثنا اسماعيل بن حكيم الخزاعي حدثنا محمد بن جابر الحنفي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال سمع أبو هريرة رجلا وهو يقول « إن الظالم لايضر إلا نفسه قال فالتفت اليه فقال بلى والله إن الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين أنبأنا الوليد بن عبد الملك حدثنا عبيد الله بن شرحبيل حدثنا سليمان بن عطاء عن سلمة بن عبد الله عن عمه أبي مشجعة بن ربعي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال ذكرنا عند رسول الله ﷺ فقال « إن الله لا يؤخر شيئا إذا جاء أجله وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها الله العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادة العمر » .

وقوله (ويجعلون لله مايكرهون) أى من البنات ومن الشركاء الذين هم عبيده وهم يأنفون أن يكون عند أحدهم شريك له في ما له وقوله (وتصف ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى) انكار عليهم في دعواهم مع ذلك ان لهم الحسنى في الدنيا وان كان ثم معاد ففيه أيضا لهم الحسنى واخبار عن قيل من قال منهم كقوله (ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤوس كفور * ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور) وكقوله (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي ان لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ) وقوله (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا) وقال اخبارا عن أحد الرجلين انه (دخل جنته وهو ظالم لنفسه فقال ما أظن أن تبيد هذه أبدا * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا) فجمع هؤلاء بين عمل السوء وتمني الباطل بأن يجازوا على ذلك حسنا وهذا مستحيل ، كما ذكر ابن إسحاق انه وجد حجر في أساس الكعبة حين نقضوها ليجددوها مكتوب عليه حكم ومواعظ فمن ذلك : تعملون السيئات وتجزون الحسنات؟ أجل كما يجتنى من الشوك العنب . وقال مجاهد وقتادة (وتصف ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى) أي الغلمان ، وقال ابن جرير (أن لهم الحسنى) أي يوم القيامة كما قدمنا بيانه وهو الصواب ولله الحمد ، ولهذا قال تعالى رادا عليهم في تمنيهم ذلك (لا جرم) أي حقا لابد منه (ان لهم النار) أي يوم القيامة (وانهم مفرطون) قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم

إلى أجل ﴾ يمهلهم بحلمه إلى أجل ﴿ مسمى ﴾ إلى منتهى آجالهم وانقطاع أعمارهم ﴿ فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾

قوله عز وجل ﴿ ويجعلون لله مايكرهون ﴾ لأنفسهم يعني البنات ﴿ وتصف ﴾ أى تقول ﴿ ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى ﴾ يعني البنين محل ان نصب بدل عن الكذب . قال يمان يعني بالحسنى الجنة في المعاد يقولون نحن في الجنة إن كان محمد صادقا بالوعد في البعث ﴿ لا جرم ﴾ حقا قال ابن عباس بلى ﴿ أن لهم النار ﴾ في الآخرة ﴿ وأنهم مفرطون ﴾ قرأ نافع بكسر الراء أى مسرفون ، وقرأ أبو جعفر

منسيون فيها مضيعون وهذا كقوله تعالى (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) وعن قتادة أيضا مفرطون أي معجلون الى النار من الفرط وهو السابق إلى الورد ولا منافاة لأنهم يعجل بهم يوم القيامة الى النار وينسون فيها أي يخلدون

تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعملهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم (٦٣) وما أنزلنا عليك الكتب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (٦٤) والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون (٦٥)

يذكر تعالى انه أرسل إلى الامم الخالية رسلا فكذبت الرسل فلك يا محمد في اخوانك من المرسلين أسوة فلا يهيدنك تكذيب قومك لك ، وأما المشركون الذين كذبوا الرسل فانما حملهم على ذلك تزيين الشيطان لهم مافعلوه (فهو وليهم اليوم) أي هم تحت العقوبة والنكال والشيطان وليهم ولا يملك لهم خلاصا ولا صريخ لهم ولهم عذاب أليم ، ثم قال تعالى لرسوله انه انما أنزل عليه الكتاب ليبين للناس الذي يختلفون فيه فالقرآن فاصل بين الناس في كل ما يتنازعون فيه وهدى أي للقلوب ورحمة أي لمن تمسك به لقوم يؤمنون ، وكما جعل سبحانه القرآن حياة للقلوب الميتة بكفرها كذلك يحيي الارض بعد موتها بما أنزله عليها من السماء من ماء (ان في ذلك لآية لقوم يسمعون) أي يفهمون الكلام ومعناه

وان لكم في الانعم لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا

بتشديد الراء وكسرها ، أى مضيعون أمر الله ، وقرأ الآخرون بفتح الراء وتخفيفها أى منسيون في النار قاله ابن عباس ، وقال سعيد بن جبير مبعدون ، وقال مقاتل متروكون ، قال قتادة معجلون إلى النار ، قال الفراء مقدمون إلى النار ومنه قوله ﷺ « أنا فرطكم على الحوض » أى متقدمكم

قوله ﴿ تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك ﴾ كما أرسلنا إلى هذه الامة ﴿ فزين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ الخبيثة ﴿ فهو وليهم ﴾ ناصرهم ﴿ اليوم ﴾ وقرينهم سماه وليا لهم لطاعتهم إياه ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ في الآخرة ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه ﴾ من الدين والاحكام ﴿ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ أى ما أنزلنا عليك الكتاب إلا بيانا وهدى ورحمة فالهدى والرحمة عطف على قوله (لتبين) ﴿ والله أنزل من السماء ماء ﴾ يعني المطر ﴿ فأحيا به الارض ﴾ بالنبات ﴿ بعد موتها ﴾ بيوستها ﴿ إن في ذلك لآية لقوم يسمعون ﴾ سمع القلوب لاسمع الآذان

قوله تعالى ﴿ وإن لكم في الانعام لعبرة ﴾ لعظة ﴿ نسقيكم ﴾ بفتح النون ههنا وفي المؤمنين قرأ

للشاربين (٦٦) ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون (٦٧)

يقول تعالى وان لكم أيها الناس في الانعام وهي الابل والبقر والغنم لعبرة أي لآية ودلالة على حكمة خالقها وقدرته ورحمته ولطفه نسقيكم مما في بطونه ، أفرده ههنا عوداً على معنى النعم أو الضمير عائد على الحيوان فان الانعام حيوانات أي نسقيكم مما في بطن هذا الحيوان ، وفي الآية الاخرى مما في بطونها ويجوز هذا وهذا كما في قوله تعالى (كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره) وفي قوله تعالى (واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ، فلما جاء سليمان) أي المال، وقوله (من بين فرث ودم لبنا خالصاً) أي يتخلص الدم بياضه وطعمه وحلاوته من بين فرث ودم في باطن الحيوان فيسري كل إلى موطنه اذا نضج الغذاء في معدته فيصرف منه دم إلى العروق ولبن الى الضرع وبول الى المثانة وروث الى المخرج وكل منها لا يشوب الآخر ولا يمازجه بعد انفصاله عنه ولا يتغير به، وقوله (لبنا خالصاً سائغاً للشاربين) أي لا يغص به أحد ، ولما ذكر اللبن وانه تعالى جعله شرابا للناس سائغاً ثنى بذكر ما يتخذه الناس من الاشربة من ثمرات النخيل والاعناب وما كانوا يصنعون من النبيذ المسكر قبل تحريمه ، ولهذا امتن به عليهم فقال (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً) دل على إباحته شرعا قبل تحريمه ودل على التسوية بين المسكر المتخذ من النخل والمتخذ من العنب كما هو

نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب والباقون بضمها وهما لغتان { مما في بطونه } قال الفراء رد الكناية إلى النعم، والنعم والانعام واحد ولفظ النعم مذكر ، قال أبو عبيدة والاخفش النعم يذكر ويؤنث فمن أنث فالمعنى الجمع ، ومن ذكر فلحكم اللفظ ، قال الكسائي رده إلى «ما» يعني في بطون ماذكرنا ، وقال المؤرخ الكناية مردودة إلى البعض والجزء كأنه قال نسقيكم مما في بطونه اللبن إذ ليس لكلها لبن واللبن فيه مضمر { من بين فرث } وهو ما في الكرش من الثفل فاذا خرج منه لا يسمى فرثا { ودم لبنا خالصاً } من الدم والفرث ليس عليه لون دم ولا رائحة فرث { سائغا للشاربين } هنيئا يجري على السهولة في الحلق ، وقيل انه لم يغص أحد باللبن قط ، قال ابن عباس اذا أكلت الدابة العلف واستقر في كرشها وطحنته كان أسفله الفرث وأوسطه اللبن وأعلاه الدم والكبد مسلطة عليها تقسمها بتقدير الله تعالى فيجرى الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو { ومن ثمرات النخيل والاعناب } يعني ولكم أيضا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم (من ثمرات النخيل والاعناب) { تتخذون منه } والكناية في منه عائدة إلى ما محذوف أي ما تتخذون منه { سكراً ورزقا حسنا } قال قوم (السكر) الخمر (والرزق الحسن) الخل والزبيب والتمر والرب ، قالوا وهذا قبل تحريم الخمر وإلى هذا ذهب ابن مسعود وابن عمر وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد ، وقال الشعبي (السكر) ما شربت (والرزق الحسن) ما أكلت

مذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء ، وكذا حكم سائر الاشربة المتخذة من الحنطة والشعير والذرة والعسل كما جاءت السنة بتفصيل ذلك ، وليس هذا موضع بسط ذلك وقال ابن عباس في قوله (سكرا ورزقا حسنا) السكر ماحرم من ثمرتيهما والرزق الحسن ما أحل من ثمرتيهما وفي رواية السكر حرامه والرزق الحسن حلاله يعني ما يبس منهما من تمر وزبيب وما عمل منهما من طلاء وهو الدبس وخل ونبيذ حلال يشرب قبل أن يشتد كما وردت السنة بذلك (إن في ذلك لآية لقوم يعقلون) ناسب ذكر العقل ههنا فانه أشرف ما في الانسان ولهذا حرم الله على هذه الامة الاشربة المسكرة صيانة لعقولها قال الله تعالى (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ، سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون

وأوحى ربك الي النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون (٦٨) ثم كلي من كل الثمرت فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون (٦٩)

المراد بالوحي هنا الالهام والهداية والارشاد للنحل أن تتخذ من الجبال بيوتا تأوي اليها ، ومن الشجر ومما يعرشون ثم هي محكمة في غاية الاتقان في تسديسها ورصها بحيث لا يكون في بيتها خلل ثم أذن لها تعالى إذنا قدريا تسخيريا أن تأكل من كل الثمرات ، وأن تسلك الطرق التي جعلها الله تعالى مذللة لها أى مسهلة عليها حيث شاءت من هذا الجو العظيم والبراري الشاسعة والاودية والجبال الشاهقة ثم تعود كل واحدة منها إلى بيتها لاتحيد عنه يمنة ولا يسرة بل الى بيتها وما لها فيه من فراخ وعسل فتبني الشمع من أجنحتها وتقيء العسل من فيها وتبيض الفراخ من دبرها ثم تصبح إلى مراعيها وقال قتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم (فاسلكي سبل ربك ذللا) أي مطيعة فجعلاه حالا من السالكة

وروى العوفي عن ابن عباس أن السكر هو الخل بلغة الحبشة ، وقال بعضهم (السكر) النبيذ المسكر وهو نقيع التمر والزبيب اذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعي ومن يبيح شرب النبيذ ، ومن حرم يقول المراد من الآية الاخبار لا الاحلال ، وأولى الاقاويل أن قوله (تتخذون منه سكراً) منسوخ ، روي عن ابن عباس قال (السكر) ماحرم من ثمرها (والرزق الحسن) ما أحل . وقال أبو عبيدة (السكر) الطعم يقال هذا شكر لك أي طعم ﴿ إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ، وأوحى ربك إلى النحل ﴾ أي ألهمها وقذف في أنفسها ففهمته والنحل زنابير العسل واحدتها نحلة ﴿ أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ يبنون وقد جرت العادة أن أهلها يبنون لها الاماكن فهي تأوي اليها ، قال ابن زيد هي الكروم

قوله ﴿ ثم كلي من كل الثمرات ﴾ ليس معنى الكل العموم وهو كقوله تعالى (وأوتيت من كل

قال ابن زيد وهو كقول الله تعالى (وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) قال : ألا ترى أنهم ينقلون النحل ببيوته من بلد إلى بلد وهو يصحبهم . والقول الاول هو الاظهر وهو انه حال من الطريق أى فاسلكيها مذللة لك نص عليه مجاهد . وقال ابن جرير كلا القولين صحيح ، وقد قال أبو يعلى الموصلي حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا مكين بن عبدالعزيز عن أبيه عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « عمر الذباب أربعون يوما . والذباب كله في النار إلا النحل » وقوله تعالى (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) مابين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الالوان الحسنة على اختلاف مراعيها ومأكلها منها

وقوله (فيه شفاء للناس) أى في العسل شفاء للناس أى من أدواء تعرض لهم قال بعض من تكلم على الطب النبوي لو قال فيه الشفاء للناس لكان دواء لكل داء ولكن قال فيه شفاء للناس أى يصلح لكل أحد من أدواء باردة فانه حار والشيء يداوى بضده ، وقال مجاهد وابن جرير في قوله (فيه شفاء للناس) يعني القرآن وهذا قول صحيح في نفسه ولكن ليس هو الظاهر ههنا من سياق الآية فان الآية انما ذكر فيها العسل ولم يتابع مجاهد على قوله ههنا وانما الذى قاله ذكروه في قوله تعالى (وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للؤمنين)

وقوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) والدليل على أن المراد بقوله تعالى (فيه شفاء للناس) هو العسل الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من رواية قتادة عن أبي المتوكل علي بن داود الناجي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا جاء الى رسول الله ﷺ فقال ان أخي استطلق بطنه فقال « اسقه عسلا » فذهب فسقاه عسلا ثم جاء فقال يارسول الله سقيته عسلا فمازاده إلا استطلاقا قال « اذهب فاسقه عسلا » فذهب فسقاه عسلا ثم جاء فقال يارسول الله مازاده إلا استطلاقا فقال رسول الله ﷺ « صدق الله وكذب بطن أخيك اذهب فاسقه عسلا » فذهب فسقاه عسلا فبرىء . قال بعض العلماء بالطب كان هذا الرجل عنده فضلات فلما سقاه عسلا وهو حار تحللت فاسرعت في الاندفاع فزاده اسهالا فاعتقد الاعرابي أن هذا يضره وهو مصلحة لاخيه ثم سقاه فازداد التحليل والدفع ثم سقاه فكذلك فلما اندفعت الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن استمسك بطنه وصلح مزاجه واندفعت

شيء) ﴿ فاسلكي سبل ربك ﴾ فادخلي طرق ربك ﴿ ذللا ﴾ قيل هي نعت الطرق يقول هي مذللة للنحل سهلة المسالك . قال مجاهد لايتوعر عليها مكان سلكته ، وقال آخرون الذلل نعت النحل أي مطيعة منقادة بالتسخير يقال ان أربابها ينقلونها من مكان إلى مكان ولها يعسوب اذا وقف وقفت واذا سار سارت ﴿ يخرج من بطونها شراب ﴾ يعني العسل ﴿ مختلف ألوانه ﴾ أبيض وأحمر وأصفر ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ أي في العسل . وقال مجاهد أي في القرآن والاول أولى

الاسقام والآلام ببركة إشارته عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام[1] وفي الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يعجبه الحلواء والعسل هذا لفظ البخاري . وفي صحيح البخاري من حديث سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « الشفاء في ثلاثة « في شرطة محجم « أو شربة عسل ، أو كية بنار وانهى امتي عن الكي » وقال البخاري حدثنا أبو نعيم حدثنا عبدالرحمن بن الغسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة سمعت جابر بن عبدالله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان كان في شيء من ادويتكم أو يكون في شيء من ادويتكم خير : في شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو لذعة بنار توافق الداء وما أحب أن اكتوي » ورواه مسلم من حديث عاصم بن عمر بن قتادة عن جابر به . وقال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحاق أنبأنا عبدالله ، أنبأنا سعيد بن أيوب ، حدثنا عبدالله بن الوليد عن أبي الخير عن عقبة بن عامر الجهني قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث ان كان في شي شفاء : فشرطة محجم ، أو شربة عسل « أو كية تصيب ألما وأنا أكره الكي ولا أحبه » ورواه الطبراني عن هرون بن سلول المصري عن أبي عبدالرحمن المقري عن عبد الله بن الوليد به . ولفظه « ان كان في شيء شفاء : فشرطة محجم » وذكره وهذا اسناد صحيح ولم يخرجوه . وقال الامام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه حدثنا علي بن سلمة هو التغلبي « حدثنا زيد بن حباب ، حدثنا سفيان عن أبي اسحاق « عن أبي الاحوص ، عن عبدالله هو ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « عليكم بالشفاءين العسل والقرآن « وهذا اسناد جيد تفرد باخراجه ابن ماجه مرفوعا وقد رواه ابن جرير عن سفيان هو الثوري به موقوفا وهو أشبه . وروينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : اذا أراد أحدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب الله في صحيفة وليغسلها بماء السماء وليأخذ من امرأته درهما عن طيب نفس منها فليشتر به عسلا فليشربه كذلك فانه شفاء . أي من وجوه قال الله تعالى (ونزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين) وقال (وانزلنا من السماء ماء مباركا) وقال (فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) وقال في العسل (فيه شفاء للناس) وقال ابن ماجه أيضا : حدثنا محمود بن خداش حدثنا سعيد بن زكريا القرشي حدثنا الزبير بن سعيد الهاشمي عن عبدالحميد بن سالم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من لعق العسل ثلاث غدوات في كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء »

[1] ثبت عند اطباء هذا العصر أن استطلاق البطن سببه الغالب فساد في الامعاء وأن العسل مطهر ومزيل لهذا الفساد وامثاله وان السكر بنفسه يفسد في البطن بخلاف العسل فثبت معنى الحديث في شمول الشفاء لما ذكر بطريقة علمية قطعية

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر ثنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن المثنى أنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة عن أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إن أخي استطلق بطنه ، فقال رسول الله ﷺ « اسقه عسلا » فسقاه ، ثم جاء فقال إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقا ، فقال النبي ﷺ له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال « اسقه عسلا « قال قد سقيته فلم يزده إلا استطلاقا ، فقال

الزبير بن سعيد متروك ، وقال ابن ماجه أيضا حدثنا ابراهيم بن محمد بن يوسف بن سرح الفريابي حدثنا عمرو بن بكير السكسكي ، حدثنا ابراهيم بن أبي عبلة سمعت أبا أبي بن أم حرام وكان قد صلى القبلتين يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « عليكم بالسنا والسنوت فان فيهما شفاء من كل داء إلا السام » قيل يارسول الله وما السام ؟ قال « الموت » قال عمرو قال ابن أبي عبلة السنوت الشبت وقال آخرون بل هو العسل الذى في زقاق السمن وهو قول الشاعر

هم السمن بالسنوت لا لبس فيهم ... وهم يمنعون الجار أن يتفردا

كذا رواه ابن ماجه « وقوله لا لبس فيهم أى لا خلط وقوله يمنعون الجار أن يفردا أى يضطهد ويظلم وقوله (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) أى إن في الهام الله لهذه الدواب الضعيفة الخلقة الى السلوك في هذه المهامه والاجتناء من سائر الثمار ثم جمعها للشمع والعسل وهو من أطيب الاشياء لآية لقوم يتفكرون في عظمة خالقها ومقدرها ومسخرها وميسرها فيستدلون بذلك على أنه الفاعل القادر الحكيم الكريم الرحيم

والله خلقكم ثم يتوفىكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا إن الله عليم قدير (٧٠)

يخبر تعالى عن تصرفه في عباده وأنه هو الذى أنشأهم من العدم ثم بعد ذلك يتوفاهم ومنهم من يتركه حتى يدركه الهرم وهو الضعف في الخلقة كما قال الله تعالى (الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة) الآية وقد روي عن علي رضي الله عنه أرذل العمر خمس وسبعون سنة وفي هذا السن يحصل له ضعف القوى والخرف وسوء الحفظ وقلة العلم ولهذا قال (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) أى بعد ما كان عالما أصبح لا يدري شيئا من الفند والخرف ولهذا روى البخاري عند تفسير هذه الآية : حدثنا موسى

رسول الله ﷺ « صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا » فسقاه فبرأ قال عبدالله بن مسعود العسل شفاء من كل داء ، والقرآن شفاء لما في الصدور ، وروي عنه أنه قال : عليكم بالشفاءين القرآن والعسل ﴿ إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ فيعتبرون

قوله تعالى ﴿ والله خلقكم ثم يتوفاكم ﴾ صبيانا أو شبانا أو كهولا ﴿ ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ﴾ أردئه « قال مقاتل يعني الهرم ، قال قتادة أرذل العمر تسعون سنة ، روي عن علي قال أرذل العمر خمس وسبعون سنة « وقيل ثمانون سنة ﴿ لكيلا يعلم بعد علم شيئا ﴾ لكيلا يعقل بعد عقله الاول شيئا ﴿ إن الله عليم قدير ﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي ثنا أحمد النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا موسى بن اسماعيل ثنا هارون بن موسى ثنا أبو عبد الله الاعور عن شعيب عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو « أعوذ بك من البخل والكسل « وأرذل العمر ، وعذاب القبر ، وفتنة الدجال ، وفتنة المحيا والممات »

ابن اسماعيل ، حدثنا هرون بن موسى أبو عبد الله الاعور عن شعيب عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يدعو « أعوذ بك من البخل والكسل والهرم وارذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات » وقال زهير بن أبي سلمة في معلقته المشهورة

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين عاما لا أبالك يسأم

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطيء يعمر فيهرم

والله فضلَ بعضكمْ على بعضٍ في الرّزق فما الذينَ فُضلوا بِرادّي رزقِهم على ما ملكت أيمانُهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون (٧١)

يبين تعالى للمشركين جهلهم وكفرهم فيما زعموه لله من الشركاء وهم يعترفون أنها عبيد له كما كانوا يقولون في تلبيتهم في حجهم: لبيك لاشريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك .فقال تعالى منكراً عليهم أنتم لاترضون أن تساووا عبيدكم فيما رزقناكم فكيف يرضى هو تعالى بمساواة عبيد له في الالهية والتعظيم كما قال في الآية الاخرى (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) الآية قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية يقول لم يكونوا ليشركوا عبيدهم في اموالهم ونسائهم فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني فذلك قوله (أفبنعمة الله يجحدون) وقال في الرواية الاخرى عنه فكيف ترضون لي مالا ترضون لانفسكم،وقال مجاهد في هذه الآية هذا مثل الآلهة الباطلة، وقال قتادة هذا مثل ضربه الله فهل منكم من أحد يشاركه مملوكه في زوجته وفي فراشه فتعدلون بالله خلقه وعباده فان لم ترض لنفسك هذا فالله أحق أن ينزه منك وقوله (أفبنعمة الله يجحدون) أى إنهم جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فجحدوا نعمته وأشركوا معه غيره ،وعن الحسن البصرى قال كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الرسالة إلى أبي موسى الاشعري : واقنع برزقك من الدنيا فان الرحمن فضل بعض عباده على بعض في الرزق بلاء يبتلي به كلا فيبتلي من بسط له كيف شكره لله وأداؤه الحق الذي افترض عليه فيما رزقه وخوله . رواه ابن أبي حاتم

قوله ﴿ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ﴾ بسط على واحد وضيق على الآخر وقلل وكثر ﴿ فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ماملكت أيمانهم ﴾ من العبيد ﴿ فهم فيه سواء ﴾ أى حتى يستووا هم وعبيدهم في ذلك ، يقول الله تعالى لايرضون أن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقهم الله سواء وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني يلزم به الحجة على المشركين ؛ قال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل فهل منكم أحد يشركه مملوكه في زوجته وفراشه وماله أفتعدلون بالله خلقه وعباده ﴿ أفبنعمة الله يجحدون ﴾ بالاشراك به وقرأ أبو بكر بالتاء كقوله (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) والآخرون بالياء لقوله (فهم فيه سواء)

(والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبت ، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون (٧٢)

يذكر تعالى نعمه على عبيده بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجا من جنسهم وشكلهم ، ولو جعل الازواج من نوع آخر ماحصل الائتلاف والمودة والرحمة ، ولكن من رحمته خلق من بني آدم ذكوراً وإناثاً وجعل الاناث أزواجا للذكور ، ثم ذكر تعالى انه جعل من الازواج البنين والحفدة وهم أولاد البنين قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك وابن زيد . قال شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بنين وحفدة هم الولد وولد الولد . وقال سنيد حدثنا حجاج عن أبي بكر عن عكرمة عن ابن عباس قال بنوك حيث يحفدونك ويرفدونك ويعينونك ويخدمونك . قال جميل:

حفد الولائد حولهن وأسلمت ❊ بأكفهن أزمة الاجمال

وقال مجاهد : بنين وحفدة ابنه وخادمه . وقال في رواية : الحفدة الانصار والاعوان والخدام ، وقال طاوس وغير واحد : الحفدة الخدم . وكذا قال قتادة وأبو مالك والحسن البصري . وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة انه قال : الحفدة من خدمك من ولدك وولد ولدك ، قال الضحاك : إنما كانت العرب تخدمها بنوها . وقال العوفي عن ابن عباس قوله (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) يقول بنو امرأة الرجل ليسوا منه . ويقال الحفدة الرجل يعمل بين يدي الرجل . يقال فلان يحفد لنا أي يعمل لنا قال وزعم رجال ان الحفدة أختان الرجل ، وهذا الاخير الذي ذكره ابن عباس قاله ابن مسعود ومسروق وأبو الضحى وابراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومجاهد والقرظي ، ورواه عكرمة عن ابن عباس . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هم الاصهار . قال ابن جرير : وهذه الاقوال كلها داخلة في معنى الحفدة وهو الخدمة الذي منه قوله في القنوت : واليك نسعى ونحفد . ولما كانت الخدمة قد تكون من الاولاد والخدم والاصهار فالنعمة حاصلة بهذا كله ولهذا قال (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) [قلت] فمن جعل (وحفدة) متعلقا بأزواجكم فلابد أن يكون المراد

قوله تعالى ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ﴾ يعني النساء خلق من آدم زوجته حواء وقيل (من أنفسكم) أى من جنسكم أزواجا ﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ قال ابن مسعود والنخعي الحفدة اختان الرجل على بناته ، وعن ابن مسعود أيضاً أنهم الاصهار فيكون معنى الآية على هذا القول وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيحصل بسببهم من الاختان والاصهار ، وقال عكرمة والحسن والضحاك هم الخدم ، قال مجاهد هم الاعوان من أعانك فقد حفدك ، وقال عطاء هم ولد ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه ، وقال قتادة مهنة تمتهنونهم ويخدمونكم من أولادكم ، قال الكلبي ومقاتل البنين الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينونه على عمله ، وروى مجاهد وسعيد بن

الاولاد وأولاد الاولاد أو الاصهار لانهم أزواج البنات أو أولاد الزوجة . وكذا قال الشعبي والضحاك فانهم يكونون غالباً تحت كنف الرجل وفي حجره وفي خدمته ، وقد يكون هذا هو المراد من قوله عليه الصلاة والسلام في حديث نضرة بن أكثم « والولد عبد لك » رواه أبوداود . وأما من جعل الحفدة الخدم فعنده انه معطوف على قوله (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي جعل لكم الازواج والاولاد خدما . وقوله (ورزقكم من الطيبات) أي من المطاعم والمشارب . ثم قال تعالى منكراً على من أشرك في عبادة المنعم غيره (أفبالباطل يؤمنون) وهم الانداد والاصنام (وبنعمة الله هم يكفرون) أي يسترون نعم الله عليهم ويضيفونها إلى غيره . وفي الحديث الصحيح « ان الله يقول للعبد يوم القيامة ممتنا عليه ألم أزوجك ألم أكرمك ألم أسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع ! »

(ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون (٧٣)

فلا تضربوا لله الامثال ، إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون (٧٤)

يقول تعالى إخباراً عن المشركين الذين عبدوا معه غيره مع أنه هو المنعم المتفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له ومع هذا يعبدون من دونه من الاصنام والانداد والاوثان ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا أي لا يقدر على انزال مطر ولا إنبات زرع ولا شجر ولا يملكون ذلك لانفسهم أي ليس لهم ذلك ولا يقدرون عليه لو أرادوه ولهذا قال تعالى (فلا تضربوا لله الامثال) أي لا تجعلوا له أنداداً وأشباها وأمثالا (ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون) أي انه يعلم ويشهد انه لا إله إلا هو وأنتم بجهلكم تشركون به غيره

(ضرب الله مثلا عبداً مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق

جبير عن ابن عباس أنهم ولد الولد ، وروى العوفي عنه أنهم بنو امرأة الرجل ليسوا منه ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ من النعم الحلال ﴿ أفبالباطل ﴾ يعني الاصنام ﴿ يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ؟ ﴾ يعني التوحيد والاسلام ، وقيل الباطل الشيطان أمرهم بتحريم البحيرة والسائبة (وبنعمة الله) أي بما أحل الله لهم (يكفرون) يجحدون تحليله

قوله ﴿ ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات ﴾ يعني المطر ﴿والارض﴾ يعني النبات ﴿ شيئا ﴾ قال الاخفش هو بدل من الرزق معناه أنهم لا يملكون من أمر الرزق شيئا قليلا ولا كثيراً ، وقال الفراء نصب شيئا بوقوع الرزق عليه أي لا يرزق شيئا ﴿ ولا يستطيعون ﴾ ولا يقدرون على شيء يذكر عجز الاصنام عن إيصال نفع أو دفع ضر ﴿ فلا تضربوا لله الامثال ﴾ يعني الاشباه فتشبهونه بخلقه وتجعلون له شريكا فانه واحد لا مثل له ﴿ إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ خطأ ما تضربون من الامثال ، ثم ضرب مثلا للمؤمن والكافر فقال جل ذكره

﴿ ضرب الله مثلا عبداً مملوكا لا يقدر على شيء ﴾ هذا مثل الكافر رزقه الله مالا فلم يقدر فيه

منه سراً وجهراً هل يستوُون؟ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون (٧٥)

قال العوفي عن ابن عباس: هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن وكذا قال قتادة واختاره ابن جرير فالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء مثل الكافر، والمرزوق الرزق الحسن فهو ينفق منه سرا وجهرا هو المؤمن. وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: هو مثل مضروب الوثن وللحق تعالى فهل يستوي هذا وهذا؟ ولما كان الفرق بينهما ظاهراً واضحا بيناً لا يجهله إلا كل غبي قال الله تعالى (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون)

(وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولٰه أينما يوجهْهُ لا يأت بخير، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم؟ (٧٦)

قال مجاهد وهذا أيضا المراد به الوثن والحق تعالى، يعني ان الوثن أبكم لا يتكلم ولا ينطق بخير ولا بشيء ولا يقدر على شيء بالكلية فلا مقال ولا فعال وهو مع هذا كل أي عيال وكلفة على مولاه (أينما يوجهه) أي يبعثه لا يأت بخير ولا ينجح مسعاه (هل يستوي) من هذه صفاته (ومن يأمر بالعدل) أي بالقسط فمقاله حق وفعاله مستقيمة (وهو على صراط مستقيم) وبهذا قال السدي وقتادة وعطاء الخراساني واختار هذا القول ابن جرير. وقال العوفي عن ابن عباس هو مثل للكافر والمؤمن أيضاً كما تقدم، وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن الصباح البزار حدثنا يحيى بن إسحاق السالحيني حدثنا حماد حدثنا عبد الله بن عثمان بن خيثم عن ابراهيم عن عكرمة عن يعلى بن أمية عن ابن عباس في قوله (ضرب الله مثلا عبداً مملوكا لا يقدر على شيء) قال نزلت في رجل من قريش وعبده يعني

خيراً ﴿ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سراً وجهراً ﴾ هذا مثل المؤمن أعطاه الله مالا فعمل فيه بطاعة الله وأنفقه في رضاء الله سراً وجهراً فأثابه الله عليه الجنة ﴿ هل يستوون ﴾ ولم يقل هل يستويان لمكان من وهو اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع، وكذلك قوله (لا يستطيعون) بالجمع لأجل من. معناه هل يستوي هذا الفقير البخيل والغني السخي؟ كذلك لا يستوي الكافر العاصي والمؤمن المطيع، وروى ابن جريج عن عطاء في قوله تعالى (عبداً مملوكا) أي أبو جهل بن هشام (ومن رزقناه منا رزقا حسناً) أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم قال ﴿ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ يقول ليس الامر كما يقولون ما للاوثان عندهم من يد ولا معروف فتحمد عليه انما الحمد الكامل لله عز وجل لانه المنعم والخالق والرازق ولكن أكثر الكفار لا يعلمون ثم ضرب مثلا للاصنام فقال

﴿ وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه ﴾ كل ثقل ووبال (على مولاه) ابن عمه وأهل ولايته ﴿ أينما يوجهه ﴾ يرسله ﴿ لا يأت بخير ﴾ لأنه لا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه هذا مثل الاصنام لا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهو كل على مولاه عابده يحتاج إلى أن يحمله ويضعه ويخدمه ﴿ هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ﴾ يعني الله فانه قادر متكلم يأمر بالتوحيد ﴿ وهو على صراط مستقيم ﴾ قال الكلبي يعني يدلكم على صراط مستقيم، وقيل هو رسول الله ﷺ يأمر

قوله (عبداً مملوكا) الآية وفي قوله (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم - إلى قوله - وهو على صراط مستقيم) قال هو عثمان بن عفان، قال والابكم الذي أينما يوجهه لايأت بخير قال هو مولى لعثمان ابن عفان كان عثمان ينفق عليه ويكافه ويكفيه المؤونة وكان الآخر يكره الاسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف فنزلت فيهما

ولله غيب السموٰت والارض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقربُ إن الله على كل شيء قدير (٧٧) والله أخرجكم من بطون أمهٰتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصٰر والافئدة لعلكم تشكرون (٧٨) ألم يروا إلى الطير مسخرٰتٍ في جو السماء مايُمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيٰتٍ لقوم يؤمنون (٧٩)

يخبر تعالى عن كمال علمه وقدرته على الاشياء في علمه غيب السموات والارض واختصاصه بعلم الغيب فلا اطلاع لأحد على ذلك إلا أن يطلعه تعالى على مايشاء وفي قدرته التامة التي لاتخالف ولا تمانع وانه اذا أراد شيئاً فانما يقول له كن فيكون كما قال (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) أي فيكون مايريد كطرف العين وهكذا قال ههنا (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير) كما قال (ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) ثم ذكر تعالى منته على عباده في إخراجه إياهم من بطون أمهاتهم لايعلمون شيئا ثم بعد هذا يرزقهم السمع الذي به يدركون الاصوات والابصار التي بها يحسون المرئيات والافئدة وهي العقول التي مركزها القلب على الصحيح وقيل الدماغ والعقل به يميز بين الاشياء ضارها ونافعها وهذه القوى والحواس تحصل للانسان على التدريج قليلا قليلا كلما كبر زيد في سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشده . وانما جعل تعالى هذه في الانسان ليتمكن بها من عبادة ربه تعالى فيستعين بكل جارحة وعضو وقوة على طاعة مولاه كما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ انه قال « يقول تعالى من عادى لي وليًا فقد بارزني بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أفضل من أداء ماافترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب

بالعدل وهو على صراط مستقيم ، وقيل كلا المثلين للمؤمن والكافر يرويه عطية عن ابن عباس قال عطاء : الأبكم أبي بن خلف « ومن يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون، وقال مقاتل نزلت في هاشم بن عمرو بن الحارث بن ربيعة القرشي وكان قليل الخير يعادي رسول الله ﷺ . وقيل نزلت في عثمان بن عفان ومولاه كان عثمان ينفق عليه وكان مولاه يكره الاسلام

قوله ﴿ ولله غيب السموات والارض وما أمر الساعة ﴾ في قرب كونها ﴿ إلا كلمح البصر ﴾ اذا قال له كن فيكون ﴿ أو هو أقرب ﴾ بل هو أقرب ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ نزلت في الكفار

إلي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن دعاني لأجيبنه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه» فمعنى الحديث ان العبد اذا أخلص الطاعة صارت أفعاله كلها لله عز وجل فلا يسمع إلا لله ولا يبصر إلا لله أي ماشرعه الله له ولا يبطش ولا يمشي الا في طاعة الله عز وجل مستعينا بالله في ذلك كله ، ولهذا جاء في بعض رواية الحديث في غير الصحيح بعد قوله ورجله التي يمشي بها « فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي» ولهذا قال تعالى (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون) كقوله تعالى في الآية الأخرى (قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون ، قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون) ثم نبه تعالى عباده الى النظر الى الطير المسخر بين السماء والارض كيف جعله يطير بجناحين بين السماء والارض في جو السماء مايمسكه هناك الا الله بقدرته تعالى التي جعل فيها قوى تفعل ذلك، وسخر الهواء يحملها ويسير الطير كذلك كما قال تعالى في سورة الملك (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن مايمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير) وقال ههنا (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون)

والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين (٨٠) والله

الذين يستعجلون القيامة استهزاء ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم ﴾ قرأ الكسائي بطون وبيوت أمهاتكم بكسر الهمزة ، وقرأ حمزة بكسر الميم والهمزة ، والباقون بضم الهمزة وفتح الميم ﴿ لاتعلمون شيئا ﴾ تم الكلام ثم ابتدأ فقال جل وعلا ﴿ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ﴾ لان الله تعالى جعل هذه الاشياء لهم قبل الخروج من بطون الامهات ، وانما أعطاهم العلم بعد الخروج ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ نعمه من كون السمع والابصار والافئدة قبل الخروج اذ يسمع الطفل ويبصر ولا يعلم وهذه الجوارح من غير هذه الصفات كالمعدوم كما قال فيمن لايسمع الحق ، ولايبصر العبر ، ولا يعقل الثواب (صم بكم عمي فهم لايرجعون) لايشكرون نعمه

﴿ ألم يروا ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء والباقون بالياء لقوله (ويعبدون) ﴿ الى الطير مسخرات ﴾ مذللات ﴿ في جو السماء ﴾ وهو الهوى بين السماء والارض روي عن كعب الاحبار أن الطير ترفع اثني عشر ميلا ولا ترفع فوق هذا وفوق الجو السكاك وفوق السكاك السماء ﴿ مايمسكهن ﴾ في الهواء ﴿ إلا الله ، إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ، والله جعل لكم من بيوتكم ﴾ التي هي من الحجر والمدر ﴿ سكنا ﴾ أي مسكنا تسكنونه ﴿ وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا ﴾ يعني الخيام

جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرَّ وسرابيل تقيكم بأسكم، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تُسلِمون (٨١) فان تولَّوا فانما عليك البلاغ المبين (٨٢) يعرفون نعمتَ الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون (٨٣)

يذكر تبارك وتعالى تمام نعمه على عبيده بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم يأوون اليها ويستترون بها وينتفعون بها بسائر وجوه الانتفاع . وجعل لهم أيضاً من جلود الانعام بيوتا أي من الأدم يستخفون حملها في أسفارهم ليضربوها لهم في اقامتهم في السفر والحضر، ولهذا قال (تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها) أي الغنم (وأوبارها) أي الابل (وأشعارها) أي المعز . والضمير عائد على الانعام (أثاثا) أي تتخذون منه أثاثا وهو المال وقيل المتاع وقيل الثياب ، والصحيح أعم من هذا كله فانه يتخذ من الاثاث البسط والثياب وغير ذلك ويتخذ مالا وتجارة . وقال ابن عباس الاثاث المتاع وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وعطية العوفي وعطاء الخراساني والضحاك وقتادة . وقوله (الى حين) أي الى أجل مسمى ووقت معلوم، وقوله (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) قال قتادة يعني الشجر (وجعل لكم من الجبال أكنانا) أي حصونا ومعاقل كما جعل لكم سرابيل تقيكم الحر وهي الثياب من القطن والكتان والصوف (وسرابيل تقيكم بأسكم) كالدروع من الحديد المصفح والزرد وغير ذلك (كذلك يتم نعمته عليكم) أي هكذا يجعل لكم ماتستعينون به على أمركم وما تحتاجون اليه ليكون عونا لكم على طاعته وعبادته (لعلكم تسلمون) هكذا فسره الجمهور وقرءوه

والقباب والاخبية والفساطيط من الانطاع والأدم ﴿ تستخفونها ﴾ أي يخف عليكم حملها ﴿ يوم ظعنكم ﴾ رحلتكم في سفركم قرأ ابن عامر وأهل الكوفة ساكنة العين والآخرون بفتحها وهو أجول اللغتين ﴿ ويوم إقامتكم ﴾ في بلدكم لاتثقل عليكم في الحالين ﴿ ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها ﴾ يعني أصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز والكنايات راجعة الى الانعام ﴿ أثاثا ﴾ قال ابن عباس مالا قال مجاهد متاعا . قال القتيبي الاثاث المال جميعه من الابل والغنم والعبيد والمتاع، وقال غيره هو متاع البيت من الفرش والاكسية ﴿ ومتاعا ﴾ بلاغا ينتفعون بها ﴿ الى حين ﴾ يعني الى حين الموت وقيل الى حين تبلى ﴿ والله جعل لكم مما خلق ظلالا ﴾ تستظلون بها من شدة الحر وهي ظلال الابنية والاشجار ﴿ وجعل لكم من الجبال أكنانا ﴾ يعني الاسراب والغيران واحدها كن ﴿ وجعل لكم سرابيل ﴾ قمصا من الكتان والقز والقطن والصوف ﴿ تقيكم ﴾ تمنعكم ﴿ الحر ﴾ قال أهل المعاني أراد الحر والبرد اكتفاء بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه ﴿ وسرابيل تقيكم بأسكم ﴾ يعني الدروع والبأس الحرب يعني تقيكم في بأسكم السلاح أن يصيبكم ﴿ كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ تخلصون

بكسر اللام من (تسلمون) من الاسلام ، وقال قتادة في قوله (كذلك يتم نعمته عليكم) هذه السورة تسمى سورة النعم ، وقال عبدالله بن المبارك وعباد بن العوام عن حنظلة السدوسي عن شهر ابن حوشب عن ابن عباس انه كان يقرؤها (تسلمون) بفتح اللام يعني من الجراح رواه أبو عبيد القاسم بن سلام عن عباد وأخرجه ابن جرير من الوجهين ورد هذه القراءة ، وقال عطاء الخراساني انما نزل القرآن على قدر معرفة العرب ألا ترى الى قوله تعالى (والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا) وما جعل من السهل أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب جبال ألا ترى الى قوله (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين) وما جعل لهم من غير ذلك أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب وبر وشعر ألا ترى قوله (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) لعجبهم من ذلك وما أنزل من الثلج أعظم وأكثر ولكنهم كانوا لايعرفونه ألا ترى الى قوله تعالى (سرابيل تقيكم الحر) وما تقي من البرد أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر . وقوله (فان تولوا) أى بعد هذا البيان وهذا الامتنان فلا عليك منهم فانما عليك البلاغ المبين وقد أديته اليهم(يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) أي يعرفون ان الله تعالي هو المسدي اليهم ذلك وهو المتفضل به عليهم ومع هذا ينكرون ذلك ويعبدون معه غيره ويسندون النصر والرزق الى غيره (وأكثرهم الكافرون) كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد. حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن مجاهد ان اعرابيا أتى النبي ﷺ فسأله فقرأ عليه رسول الله ﷺ (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) فقال الاعرابي نعم . قال (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) الآية قال الاعرابي نعم ثم قرأ عليه كل ذلك يقول الاعرابي نعم حتى بلغ (كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) فولى الاعرابي فأنزل الله (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) الآية

له الطاعة قال عطاء الخراساني إنما انزل القرآن على قدر معرفتهم فقال (وجعل لكم من الجبال اكنانا) وما جعل لهم من السهول أكثر وأعظم ولكنهم كانوا أصحاب جبال كما قال [ومن اصوافها وأوبارها وأشعارها] لانهم كانوا أصحاب وبر وشعر وكما قال [وينزل من السماء من جبال فيها من برد] وما أنزل من الثلج أكثر ولكنهم كانوا لايعرفون الثلج وقال [تقيكم الحر] وما تقي من البرد أكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر ﴿ فان تولوا ﴾ فان اعرضوا فلا يلحقك في ذلك عتب ولا سمة تقصير ﴿ فانما عليك البلاغ المبين * يعرفون نعمة الله ﴾ قال السدي يعني محمداً ﷺ ﴿ ثم ينكرونها ﴾ يكذبون به وقال قوم هي الاسلام وقال مجاهد وقتادة يعني ماعد لهم من النعم في هذه السورة يقرون أنها من الله ثم اذا قيل لهم صدقوا وامتثلوا لامر الله فيها ينكرونها فيقولون ورثناها من آبائنا، وقال الكلبي هو انه لما ذكر لهم هذه النعمة قالوا نعم هذه كلها من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا. وقال عوف بن عبدالله هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا وكذا ولولا فلان لما كان كذا ﴿ وأكثرهم الكافرون ﴾ الجاحدون

ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لايؤذَنُ للذين كفروا ولا هم يستعتبون (٨٤) وإذا رءا الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم يُنظرون (٨٥) وإذا رءا الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا اليهم القولَ إنكم لكاذبون (٨٦) وألقوا إلى الله يومئذ السلَم وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون (٨٧) الذين كفروا وصدُّوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون (٨٨)

يخبر تعالى عن شأن المشركين يوم معادهم في الدار الآخرة وانه يبعث من كل أمة شهيداً وهو نبيها يشهد عليها بما أجابته فيما بلغها عن الله تعالى ثم (لايؤذن للذين كفروا) أي في الاعتذار لانهم يعلمون بطلانه وكذبه كقوله (هـذا يوم لاينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) فلهذا قال (ولا هم يستعتبون ۞ واذا رأى الذين ظلموا) أى الذين أشركوا العذاب (فلا يخفف عنهم) أى لايفتر عنهم ساعة واحدة (ولا هم ينظرون) أى لايؤخر عنهم بل يأخذهم سريعا من الموقف بلا حساب فانه اذا جيء بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك فيشرف عنق منها على الخلائق وتزفر زفرة لايبقى أحد الا جثا لركبتيه فتقول اني وكلت بكل جبار عنيد الذى جعل مع الله إلهاً آخر وبكذا وبكذا وتذكر اصنافا من الناس كما جاء في الحديث ، ثم تنطوي عليهم وتلتقطهم من الموقف كما يلتقط الطائر الحب قال الله تعالى (اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ، واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا ، لاتدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيرا) وقال تعالى (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا) وقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لايكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون ، بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون)

قوله عز وجل ﴿ ويوم نبعث من كل امة شهيداً ﴾ يعني رسولا ﴿ ثم لايؤذن للذين كفروا ﴾ في الاعتذار وقيل في الكلام أصلا ﴿ ولاهم يستعتبون ﴾ يسترضون يعني لايكلفون أن يرضوا ربهم لان الآخرة ليست بدار تكليف ولا يرجعون الى الدنيا فيتوبون . وحقيقة المعنى في الاستعتاب انه التعرض لطلب الرضا وهذا الباب منسد في الآخرة على الكفار ﴿ واذا رأى الذين ظلموا ﴾ كفروا ﴿ العذاب ﴾ يعني جهنم ﴿ فلا يخفف عنهم ولاهم ينظرون ۞ واذا رأى الذين أشركوا ﴾ يوم القيامة ﴿ شركاءهم ﴾ أوثانهم ﴿ قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك ﴾ أربابا ونعبدهم ﴿ فألقوا ﴾ يعني الاوثان ﴿ اليهم القول ﴾ أي قالوا لهم ﴿ إنكم لكاذبون ﴾ في تسميتنا آلهة مادعوناكم

ثم أخبر تعالى عن تبري آلهتهم منهم أحوج ما يكونون اليها فقال (وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) أي الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول انكم لكاذبون) أي قالت لهم الآلهة كذبتم ما نحن أمرناكم بعبادتنا كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) وقال الخليل عليه الصلاة والسلام (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) الآية وقال تعالى (وقيل ادعوا شركاءكم) الآية، والآيات في هذا كثيرة

وقوله (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) قال قتادة وعكرمة ذلوا واستسلموا يومئذ أي استسلموا لله جميعهم فلا أحد إلا سامع مطيع كقوله تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) أي ما أسمعهم وما أبصرهم يومئذ وقال (ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا) الآية وقال (وعنت الوجوه للحي القيوم) أي خضعت وذلت واستكانت وأنابت واستسلمت ، وقوله (وألقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي ذهب واضمحل ما كانوا يعبدونه افتراء على الله فلا ناصر لهم ولا معين ولا مجير . ثم قال تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا) الآية أي عذابا على كفرهم وعذابا على صدهم الناس عن اتباع الحق كقوله تعالى (وهم ينهون عنه وينأون عنه) أي ينهون الناس عن اتباعه ويبتعدون هم منه أيضا (وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون) وهذا دليل على تفاوت الكفار في عذابهم كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم في الجنة ودرجاتهم كما قال تعالى (قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) وقد قال الحافظ أبو يعلى حدثنا سريج بن يونس حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله في قول الله (زدناهم عذابا فوق العذاب) قال زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطوال . وحدثنا سريج بن يونس حدثنا ابراهيم بن سليمان حدثنا الاعمش عن الحسن عن ابن عباس في الآية انه قال (زدناهم عذابا فوق العذاب) قال هي خمسة أنهار تحت العرش يعذبون ببعضها في الليل وببعضها في النهار

الى عبادتنا ﴿ وألقوا ﴾ يعني المشركين ﴿ الى الله يومئذ السلم ﴾ استسلموا وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيئا ﴿ وضل ﴾ وزال ﴿ عنهم ماكانوا يفترون ﴾ من انها تشفع لهم ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴾ منعوا الناس عن طريق الحق ﴿ زدناهم عذابا فوق العذاب ﴾ قال عبد الله عقارب لها أنياب أمثال النخل الطوال وقال سعيد بن جبير حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تلسع احداهن اللسعة يجد صاحبها حمتها أربعين خريفا. وقال ابن عباس ومقاتل يعني خمسة أنهار من صفر مذاب كالنار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل إنهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير الى النار مستغيثين بها وقيل

(ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم، وجئنا بك شهيداً على هؤلاء

ونزّلنا عليك الكتب تبينا لكل شيء وهدى ورحمةً وبشرى للمسلمين (٨٩)

يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمدا ﷺ ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء يعني أمتك . أي اذكر ذلك اليوم وهوله وما منحك الله فيه من الشرف العظيم والمقام الرفيع وهذه الاية شبيهة بالآية التي انتهى اليها عبدالله بن مسعود حين قرأ على رسول الله ﷺ صدر سورة النساء فلما وصل إلى قوله (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) فقال له رسول الله ﷺ « حسبك » فقال ابن مسعود رضي الله عنه فالتفت فاذا عيناه تذرفان وقوله (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) قال ابن مسعود قد بين لنا في هذا القرآن علم كل شيء » وقال مجاهد كل حلال وكل حرام ، وقول ابن مسعود أعم وأشمل فان القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ماسبق وعلم ما سيأتي وكل حلال وحرام وما الناس اليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم (وهدى) أي للقلوب (ورحمة وبشرى للمسلمين) وقال الاوزاعي : ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء أي بالسنة ووجه اقتران قوله (ونزلنا عليك الكتاب) مع (وجئنا بك شهيداً على هؤلاء) أن المراد والله أعلم ان الذي فرض عليك تبليغ الكتاب الذي أنزله عليك سائلك عن ذلك يوم القيامة (فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين — فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون — يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لاعلم لنا انك أنت علام الغيوب) وقال تعالى (ان الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أي ان الذي أوجب عليك تبليغ القرآن لرادك اليه ومعيدك يوم القيامة وسائلك عن أداء مافرض عليك هذا أحد الاقوال وهو متجه حسن

ان الله يأمر بالعدل والاحسن وإيتاي ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي

يعظكم لعلكم تذكّرون (٩٠)

يخبر تعالى أنه يأمر عباده بالعدل وهو القسط والموازنة ويندب إلى الاحسان كقوله تعالى (وان

يضاعف لهم العذاب ﴿ بما كانوا يفسدون ﴾ في الدنيا بالكفر وصد الناس عن الايمان ﴿ ويوم نبعث في كل امة شهيداً عليهم من أنفسهم ﴾ يعني نبيها لان الانبياء كانت تبعث الى الامم منها ﴿ وجئنا بك ﴾ يامحمد ﴿ شهيداً على هؤلاء ﴾ الذين بعثت اليهم ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا ﴾ بيانا ﴿ لكل شيء ﴾ يحتاج اليه من الامر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام ﴿ وهدى ﴾ من الضلالة ﴿ ورحمة وبشرى ﴾ بشارة ﴿ للمسلمين ﴾ إن الله يأمر بالعدل ﴾ بالانصاف ﴿ والاحسان ﴾ الى الناس وعن

عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) وقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله) وقال (والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له) الى غير ذلك من الآيات الدالة على شريعة العدل والندب إلى الفضل . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس « (ان الله يأمر بالعدل)قال شهادة أن لا إله إلا الله » وقال سفيان بن عيينة العدل في هذا الموضع هو استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملا والاحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته وقوله (وإيتاء ذي القربى) أي يأمر بصلة الارحام كما قال (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) وقوله (وينهى عن الفحشاء والمنكر) فالفواحش المحرمات والمنكرات ماظهر منها من فاعلها ، ولهذا قال في الموضع الآخر قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن » وأما البغي فهو العدوان على الناس » وقد جاء في الحديث « مامن ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع مايدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم» وقوله(يعظكم)اي يأمركم بما يأمركم به من الخير وينهاكم عما ينهاكم عنه من الشر (لعلكم تذكرون) وقال الشعبي عن بشير بن نهيك سمعت ابن مسعود يقول « ان أجمع آية في القرآن في سورة النحل (إن الله يأمر بالعدل والاحسان) الآية رواه ابن جرير » وقال سعيد عن قتادة قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه الا أمر الله به وليس من خلق سيء كانوا يتعايرونه بينهم الا نهى الله عنه وقدم فيه وانما نهى عن سفاسف الاخلاق ومذامها (قلت)ولهذا جاء في الحديث « ان الله يحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها » وقال الحافظ ابو نعيم في كتاب معرفة الصحابة حدثنا ابو بكر محمد بن الفتح الحنبلي حدثنا يحيى بن محمد مولى بني هاشم حدثنا الحسن بن داود المنكدري حدثنا عمر بن علي المقدمي عن علي بن عبدالملك ابن عمير عن أبيه قال « بلغ أكثم بن صيفي مخرج النبي ﷺ فأراد أن يأتيه فأبى قومه أن يدعوه وقالوا : أنت كبيرنا لم تكن لتخف اليه قال فليأته من يبلغه عني ويبلغني عنه فانتدب رجلان فأتيا النبي ﷺ فقالا نحن رسل أكثم بن صيفي وهو يسألك من أنت وما أنت ؟ فقال النبي ﷺ « أما من أنا فأنا محمد بن عبدالله » وأما ماأنا فأنا عبدالله ورسوله » قال ثم تلا عليهم هذه الآية (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) الآية قالوا ردد علينا هذا القول فردده عليهم حتى حفظوه فأتيا أكثم فقالا ابى

ابن عباس العدل التوحيد والاحسان أداء الفرائض وعنه أيضا الاحسان الاخلاص في التوحيد وذلك معنى قول النبي ﷺ « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه » وقال مقاتل العدل التوحيد والاحسان العفو عن الناس ﴿ وايتاء ذي القربى ﴾ صلة الرحم ﴿ وينهى عن الفحشاء ﴾ ماقبح من القول والفعل وقال ابن عباس الزنا ﴿ والمنكر ﴾ مالا يعرف في شريعة ولا سنة ﴿ والبغي ﴾ الكبر والظلم وقال ابن عيينة العدل استواء السر والعلانية والاحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء

أن يرفع نسبه فسألنا عن نسبه فوجدناه زاكي النسب وسطا في مضر وقد رمى الينا بكلمات قد سمعناها فلما سمعهن أكثم قال « إني أراه يأمر بمكارم الاخلاق وينهى عن ملائمها فكونوا في هذا الامر رءوسا ولا تكونوا فيه أذنابا ، وقد ورد في نزولها حديث حسن رواه الامام احمد: حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثني عبدالله بن عباس قال بينما رسول الله ﷺ بفناء بيته جالس اذ مر به عثمان بن مظعون فكشر إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ « ألا تجلس ؟ » فقال بلى قال فجلس رسول الله ﷺ مستقبله فبينما هو يحدثه اذ شخص رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فنظر ساعة إلى السماء فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الارض فتحرف رسول الله ﷺ عن جليسه عثمان الى حيث وضع بصره فأخذ ينغض رأسه كأنه يستفقه مايقال له وابن مظعون ينظر فلما قضى حاجته واستفقه مايقال له شخص بصر رسول الله ﷺ الى السماء كما شخص أول مرة فاتبعه بصره حتى توارى الى السماء فأقبل الى عثمان بجلسته الاولى فقال : يامحمد فيما كنت أجالسك ماراًيتك تفعل كفعلك الغداة فقال « وما رأيتني فعلت ؟ » قال رأيتك شخص بصرك الى السماء ثم وضعته حيث وضعته على يمينك فتحرفت اليه وتركتني فأخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك . قال « وفطنت لذلك ؟ » فقال عثمان نعم قال رسول الله ﷺ « أتاني رسول الله آنفا وأنت جالس » قال رسول الله ؟ قال « نعم » قال فما قال لك ؟ قال « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » الآية قال عثمان فذلك حين استقر الايمان في قلبي وأحببت محمداً ﷺ اسناد جيد متصل حسن قد بين فيه السماع المتصل ورواه ابن أبي حاتم من حديث عبدالحميد بن بهرام مختصراً

﴿ حديث آخر عن عثمان بن أبي العاص الثقفي في ذلك ﴾ قال الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا هذيم عن ليث عن شهر بن حوشب عن عثمان بن أبي العاص قال : كنت عند رسول الله ﷺ جالساً إذ شخص بصره فقال « أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة (إن الله يأمر بالعدل والاحسان) الآية وهذا إسناد لا بأس به ولعله عند شهر بن حوشب من الوجهين والله أعلم

(وأوفوا بعهد الله إذا عهدتم ولا تنقضوا الأيمن بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، إن الله يعلم ماتفعلون (٩١) ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكثا

والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته ﴿ يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ لعلكم تتعظون قال ابن مسعود أجمع آية في القرآن هذه الآية . وقال أيوب عن عكرمة أن النبي ﷺ قرأ على الوليد (إن الله يأمر بالعدل) الى آخر الآية فقال له يا ابن أخي أعد فعاد عليه فقال ان له والله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن اعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وما هو بقول البشر

قوله تعالى ﴿ وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ﴾ والعهد ههنا هو اليمين قال الشعبي العهد يمين وكفارته

تتخذون أيمٰنكم دَخلا بينكم أن تكون أمّة هي أربىٰ من أمة ، انما يبلوكم الله به ، وليبينن لكم يوم القيٰمة ما كنتم فيه تختلفون (٩٢)

هذا مما يأمر الله تعالى به وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الأيمان المؤكدة ولهذا قال (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) ولا تعارض بين هذا وبين قوله (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) الآية وبين قوله تعالى (ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم) أي لا تتركوها بلا كفارة وبين قوله عليه السلام فيما ثبت عنه في الصحيحين انه عليه الصلاة والسلام قال « اني والله إن شاء الله لأحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها - وفي رواية - وكفرت عن يميني » لا تعارض بين هذا كله ولا بين الآية المذكورة ههنا وهي قوله (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) لان هذه الأيمان المراد بها الداخلة في العهود والمواثيق لا الأيمان التي هي واردة على حث أو منع ولهذا قال مجاهد في قوله (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) يعني الحلف أي حلف الجاهلية ويؤيده مارواه الامام أحمد حدثنا عبدالله بن محمد - هو ابن أبي شيبة - حدثنا ابن نمير وأبو أسامة عن زكريا - هو ابن أبي زائدة - عن سعد بن ابراهيم عن أبيه عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله ﷺ « لا حلف في الاسلام وأيما حلف كان في الجاهلية فانه لا يزيده الاسلام إلا شدة » وكذا رواه مسلم عن ابن أبي شيبة به . ومعناه ان الاسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذي كان اهل الجاهلية يفعلونه فان في التمسك بالاسلام كفاية عما كانوا فيه . وأما ماورد في الصحيحين عن عاصم الاحول عن أنس رضي الله عنه انه قال : حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والانصار في دورنا . فمعناه أنه آخى بينهم فكانوا يتوارثون به حتى نسخ الله ذلك والله أعلم . وقال ابن جرير حدثني محمد بن عمارة الاسدي حدثنا عبدالله بن موسى أخبرنا أبو ليلى عن بريدة في قوله (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) قال نزلت في بيعة النبي ﷺ كان من أسلم بايع النبي ﷺ على الاسلام فقال (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) هذه البيعة التي بايعتم على الاسلام (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) لا يحملنكم قلة محمد وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الاسلام . وقال الامام أحمد حدثنا اسماعيل حدثنا صخر بن جويرية عن نافع قال

كفارة اليمين ﴿ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾ تشديدها فتحنثوا فيها ﴿ وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ﴾ شهيداً بالوفاء ﴿ إن الله يعلم ماتفعلون ﴾ واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية وان كان حكمها عاما قيل نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ أمرهم الله بالوفاء بها ، وقال مجاهد وقتادة نزلت في حلف أهل الجاهلية . ثم ضرب الله مثلا لنقض العهد فقال ﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة ﴾ أي من بعد غزله واحكامه قال الكلبي ومقاتل هي امرأة خرقاء حمقاء من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم وتلقب بجعر وكانت بها وسوسة وكانت

لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنيه وأهله ثم تشهد ثم قال : أما بعد فانا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله واني سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال هذه غدرة فلان ، وان من أعظم الغدر - إلا أن يكون الاشراك بالله - أن يبايع رجل رجلا على بيعة الله ورسوله ثم ينكث بيعته » فلا يخلعن أحد منكم يداً ولا يسرفن أحد منكم في هذا الامر فيكون فصل بيني وبينه » المرفوع منه في الصحيحين وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حجاج عن عبد الرحمن بن عابس عن أبيه عن حذيفة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من شرط لأخيه شرطا لايريد أن يفي له به فهو كالمدلي جاره الى غير منعة » وقوله (إن الله يعلم ماتفعلون) تهديد ووعيد لمن نقض الايمان بعد توكيدها

وقوله (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا) قال عبد الله بن كثير : هذه امرأة خرقاء كانت بمكة كلما غزلت شيئاً نقضته بعد ابرامه، وقال مجاهد وقتادة وابن زيد هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده وهذا القول أرجح وأظهر وسواء كان بمكة امرأة تنقض غزلها أم لا . وقوله (أنكاثا) يحتمل أن يكون اسم مصدر (نقضت غزلها أنكاثا) أي أنقاضاً، ويحتمل أن يكون بدلا عن خبر كان أي لاتكونوا أنكاثا جمع نكث من ناكث ولهذا قال بعده (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) أي خديعة ومكرا (ان تكون أمة هي أربى من أمة) أي تحلفون للناس اذا كانوا أكثر منكم ليطمئنوا اليكم فاذا أمكنكم الغدر بهم غدرتم فنهى الله عن ذلك لينبه بالأدنى على الأعلى اذا كان قد نهى عن الغدر والحالة هذه فلأن ينهى عنه مع التمكن والقدرة بطريق الأولى . وقد قدمنا ولله الحمد في سورة الانفال قصة معاوية لما كان بينه وبين ملك الروم أمد فسار معاوية اليهم في آخر الأجل حتى اذا انقضى وهو قريب من بلادهم أغار عليهم وهم غارون لايشعرون فقال له عمرو بن عنبسة الله أكبر يامعاوية وفاء لا غدر سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كان بينه وبين قوم أجل فلا يحلن عقدة حتى ينقضي أمدها » فرجع معاوية رضي الله عنه بالجيش » قال ابن عباس (أن تكون أمة هي أربى من أمة) أي

اتخذت مغزلا بقدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف والشعر والوبر وتأمر جواريها بذلك فكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا انتصف النهار أمرتهن بنقض جميع ماغزلن فهذا كان رأبها. ومعناه أنها لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك أنتم اذا نقضتم العهد لا كففتم عن العهد ولا حين عاهدتم وفيتم به ﴿ أنكاثا ﴾ يعني أنقاضا واحدها نكث وهو مانقض بعد الفتل غزلا كان أو حبلا ﴿ تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ﴾ أي دخلا وخيانة وخديعة . والدخل مايدخل في شيء للفساد وقيل الدخل والدغل أن يظهر الوفاء ويبطن النقض ﴿ أن تكون ﴾ أي لأن تكون ﴿ أمة هي أربى ﴾ اي أكثر وأعلى ﴿ من أمة ﴾ قال مجاهد وذلك أنهم كانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا قوما أكثر منهم وأعز نقضوا حلف

أكثر، وقال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعز فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون أولئك الذين هم أكثر وأعز فنهوا عن ذلك، وقال الضحاك وقتادة وابن زيد نحوه. وقوله (إنما يبلوكم الله به) قال سعيد بن جبير (انما يبلوكم الله به) يعني بالكثرة رواه ابن أبي حاتم، وقال ابن جرير أي بأمره إياكم بالوفاء بالعهد (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) فيجازي كل عامل بعمله من خير وشر

ولو شاء الله لجعلكم أمّـة واحدة ولكن يُضل من يشاء ويَهدي من يشاء ولتُسئلُنّ عما كنتم تعملون (٩٣) ولا تتخذوا أيمـٰنكم دَخَلا بينكم فتزِل قدمٌ بعد ثبوتها وتذوقوا السُّوء بما صَدَدتم عن سبيل الله ولكم عذابٌ عظيم (٩٤) ولا تشتروا بعهد الله ثمنًا قليلا إنما عند الله هو خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون (٩٥) ماعندكم ينفَدُ وماعنـد الله باق، ولنجزينّ الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون (٩٦)

يقول الله تعالى ولو شاء الله لجعلكم أيها الناس أمة واحدة كقوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا) أي لوفق بينكم ولما جعل اختلافا ولا تباغض ولا شحناء (ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وهكذا قال ههنا (ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء) ثم يسألكم يوم القيامة عن جميع أعمالكم فيجازيكم عليها على الفتيل والنقير والقطمير، ثم حذر تعالى عباده عن اتخاذ الايمان دخلا أي خديعة ومكرا لئلا تزلّ قدم بعد ثبوتها مثـل لمن كان على الاستقامة فحاد عنها وزل عن طريق الهدى بسبب الايمان الحانثة المشتملة على الصد عن سبيل الله لان الكافر اذا رأى ان المؤمن قد عاهده ثم غدر به لم يبق له وثوق بالدين فانصـد بسببه عن الدخول في الاسلام ولهذا قال (وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم

هؤلاء وحالفوا الاكثر، فمعناه طلبتم العز بنقض العهد بان كانت أمة أكثر من أمة فنهاهم الله عن ذلك ﴿إنما يبلوكم الله به﴾ يختبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بالعهد ﴿وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ في الدنيا ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ على ملة واحدة وهي الاسلام ﴿ولكن يضل من يشاء﴾ بخذلانه إياهم عدلا منه ﴿ويهدي من يشاء﴾ بتوفيقه إياهم فضلا منه ﴿ولتسألن عما كنتم تعملون﴾ يوم القيامة ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلا﴾ خديعة وفسادا ﴿بينكم﴾ فتغرون بها الناس فيسكنون الى أيمانكم ويأمنون ثم تنقضونها ﴿فتزل قدم بعد ثبوتها﴾ فتهلكوا بعد ما كنتم آمنين والعرب تقول لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط في ورطة بعد سلامة زلت قدمه ﴿وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل

عذاب عظيم) ثم قال (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) أي لا تعتاضوا عن الايمان بالله عرض الحياة الدنيا وزينتها فانها قليلة ولو حيزت لابن آدم الدنيا بحذافيرها لكان ما عند الله هو خير له أي جزاء الله وثوابه خير لمن رجاه وآمن به وطلبه وحفظ عهده رجاء موعوده ولهذا قال (إن كنتم تعلمون ما عندكم ينفد) أي يفرغ وينقضي فانه الى أجل معدود محصور مقدر متناه (وما عند الله باق) أي وثوابه لكم في الجنة باق لا انقطاع ولا نفاد له فانه دائم لا يحول ولا يزول (ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) قسم من الرب تعالى متلقى باللام انه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم أي ويتجاوز عن سيئها

من عمل صٰلحاً من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فلنحيينه حيوٰة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون (٩٧)

هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ من ذكر أو أنثى من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله وان هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة . والحياة الطيبة تشتمل وجوه الراحة من أي جهة كانت ، وقد روي عن ابن عباس وجماعة انهم فسروها بالرزق الحلال الطيب ، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه فسرها بالقناعة وكذا قال ابن عباس وعكرمة ووهب بن منبه ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس انها هي السعادة . وقال الحسن ومجاهد وقتادة لا يطيب لأحد حياة إلا في الجنة ، وقال الضحاك هي الرزق الحلال والعبادة في الدنيا وقال الضحاك أيضا هي العمل بالطاعة والانشراح بها ، والصحيح ان الحياة الطيبة تشمل هذا كله كما جاء في الحديث

الله ﴾ قيل معناه سهلتم طريق نقض العهد على الناس بنقضكم العهد ﴿ ولكم عذاب عظيم * ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا ﴾ يعني لا تنقضوا عهودكم تطلبون بنقضها عرضا قليلا من الدنيا ولكن أوفوا بها ﴿ إن ما عند الله هو ﴾ من الثواب لكم على الوفاء بالعهد ﴿ خير لكم ان كنتم تعلمون ﴾ فضل ما بين العرضين ثم بين ذلك فقال ﴿ ما عندكم ينفد ﴾ أي الدنيا وما فيها يفنى ﴿ وما عند الله باق * ولنجزين ﴾ قرأ أبو جعفر وابن كثير وعاصم بالنون والباقون بالياء ﴿ الذين صبروا ﴾ على الوفاء في السراء والضراء أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري حدثنا أحمد بن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر ثنا اسماعيل بن جعفر ثنا عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن أبي موسى الاشعري أن رسول الله ﷺ قال « من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى »

قوله تعالى ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾ قال سعيد بن جبير وعطاء هي الرزق الحلال .قال الحسن هي القناعة وقال مقاتل بن حيان يعني العيش في الطاعة قال أبو بكر

الذي رواه الامام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني شرحبيل بن شريك عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه » ورواه مسلم من حديث عبدالله بن يزيد المقري به . وروى الترمذي والنسائي من حديث ابي هانيء عن أبي علي الجنبي عن فضالة بن عبيد انه سمع رسول الله ﷺ يقول « قد أفلح من هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به » وقال الترمذي هذا حديث صحيح ، وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا همام عن يحيى عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « ان الله لايظلم المؤمن حسنة يعطى بها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرا » انفرد باخراجه مسلم

فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطٰن الرجيم (٩٨) انه ليس له سلطٰن على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (٩٩) انما سلطٰنه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون (١٠٠)

هذا أمر من الله تعالى لعباده على لسان نبيه ﷺ اذا أرادوا قراءة القرآن أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم وهذا أمر ندب ليس بواجب حكى الاجماع على ذلك أبو جعفر بن جرير وغيره من الأئمة ، وقد قدمنا الاحاديث الواردة في الاستعاذة مبسوطة في أول التفسير ولله الحمد والمنة . والمعنى في الاستعاذة عند ابتداء القراءة لئلا يلبس على القارىء قراءته ويخلط عليه ويمنعه من التدبر والتفكر. ولهذا ذهب الجمهور الى أن الاستعاذة انما تكون قبل التلاوة ، وحكي عن حمزة وأبي حاتم السجستاني أنها تكون بعد التلاوة واحتجا بهذه الآية ، ونقل النووي في شرح المهذب مثل ذلك عن أبي هريرة أيضا ومحمد بن سيرين وابراهيم النخعي، والصحيح الاول لما تقدم من الاحاديث الدالة

الوراق هي حلاوة الطاعة قال مجاهد وقتادة هي الجنة ورواه عوف عن الحسن وقال لا تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة ﴿ ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾

قوله سبحانه وتعالى ﴿ فاذا قرأت القرآن ﴾ أي اذا أردت قراءة القرآن ﴿ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ كقوله تعالى (اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا) والاستعاذة سنة عند قراءة القرآن وأكثر العلماء على أن الاستعاذة قبل القراءة وقال أبو هريرة بعدها ولفظه أن يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي حدثنا علي بن الجعد أنا شعبة عن عمرو بن مرة سمعت عاصما عن ابن جبير بن مطعم عن ابيه أنه رأى النبي ﷺ يصلي قال فكبر فقال « الله أكبر كبيراً » ثلاث مرات « والحمد لله كثيراً » ثلاث مرات « وسبحان الله بكرة وأصيلا » ثلاث مرات اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ولمزه ونفخه ونفثه قال عمر ونفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة والموتة الجنون. والاستعاذة بالله هي الاعتصام به

على تقدمها على التلاوة والله أعلم . وقوله (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) قال الثوري ليس له عليهم سلطان أن يوقعهم في ذنب لايتوبون منه ، وقال آخرون معناه لا حجة له عليهم ، وقال آخرون كقوله (إلا عبادك منهم المخلصين ، انما سلطانه على الذين يتولونه) قال مجاهد يطيعونه ، وقال آخرون اتخذوه ولياً من دون الله (وهم به مشركون) أي أشركوا في عبادة الله ويحتمل أن تكون الباء سببية أي صاروا بسبب طاعتهم للشيطان مشركين بالله تعالى،وقال آخرون معناه انه شركهم في الاموال والأولاد

وإذا بدلنا آيةمكان آيةوالله أعلم بما يُنَزِّل قالوا إنماأنت مفترٍ بل أكثرهم لا يعلمون (١٠١)

قُل نَزَّله رُوح القدس من ربك بالحق ليثبّتَ الذين آمنوا وهدًى وبشرَى للمسلمين(١٠٢)

يخبر تعالى عن ضعف عقول المشركين وقلة ثباتهم وإيقانهم وانه لايتصور منهم الايمان وقد كتب عليهم الشقاوة وذلك انهم اذا رأوا تغيير الاحكام ناسخها بمنسوخها قالوا لرسول الله ﷺ (انما أنت مفتر) أي كذاب وانما هو الرب تعالى يفعل مايشاء ويحكم مايريد ، وقال مجاهد (بدلنا آية مكان آية) أي رفعناها وأثبتنا غيرها ، وقال قتادة هو كقوله تعالى (ماننسخ من آية أو ننسها) الآية . فقال تعالى مجيباً لهم (قل نزله روح القدس) أي جبريل (من ربك بالحق) أي بالصدق والعدل ليثبت الذين آمنوا) فيصدقوا بما نزل أولا وثانيا وتخبت له قلوبهم (وهدى وبشرى للمسلمين) أي وجعله هاديا وبشارة للمسلمين الذين آمنوا بالله ورسله

ولقد نعلم أنهم يقولون انما يُعلمه بشر ، لسان الذي يُلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين (١٠٣)

﴿ انه ليس له سلطان ﴾ حجة وولاية ﴿ على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ قال سفيان ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لايغفر ﴿ إنما سلطانه على الذين يتولونه ﴾ يطيعونه ويدخلون في ولايته ﴿ والذين هم به مشركون ﴾ أي بالله مشركون وقيل الكناية راجعة الى الشيطان . ومجازه الذين هم من أجله مشركون بالله ﴿ واذا بدلنا آية مكان آية ﴾ يعني واذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكما آخر والله أعلم بما ينزل ﴾ أعلم بما هو أصلح لخلقه فيما يغير ويبدل من أحكامه ﴿ قالوا إنما أنت ﴾ يامحمد ﴿ مفتر ﴾ مختلق وذلك أن المشركين قالوا إن محمداً يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غداً ماهو إلا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه قال الله ﴿ بل أكثرهم لايعلمون ﴾حقيقة القرآن وبيان الناسخ والمنسوخ ﴿ قل نزله ﴾ يعني القرآن ﴿ روح القدس ﴾ جبريل ﴿ من ربك بالحق ﴾ بالصدق ليثبت الذين آمنوا ﴾ أي ليثبت قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا ويقينا ﴿ وهدى وبشرى للمسلمين ﴾ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ﴾ آدمي وما هو من عند الله واختلفوا في هذا البشر قال ابن

يقول تعالى مخبراً عن المشركين ما كانوا يقولونه من الكذب والافتراء والبهت ان محمداً إنما يعلمه هذا الذي يتلوه علينا من القرآن بشر ويشيرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم غلام لبعض بطون قريش وكان بياعاً يبيع عند الصفا وربما كان رسول الله ﷺ يجلس اليه ويكلمه بعض الشيء وذلك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية أو انه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه فلهذا قال الله تعالى راداً عليهم في افترائهم ذلك (لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) أي القرآن أي فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على بني اسرائيل كيف يتعلم من رجل أعجمي؟ لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل . قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة : كان رسول الله ﷺ فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة إلى سبيعة غلام نصراني يقال له جبر عبد لبعض بني الحضرمي فأنزل الله (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وكذا قال عبد الله بن كثير ، وعن عكرمة وقتادة كان اسمه يعيش

وقال ابن جرير حدثني أحمد بن محمد الطوسي حدثنا أبو عامر حدثنا ابراهيم بن طهمان عن مسلم بن عبد الله الملائي عن مجاهد عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يعلم قيناً بمكة وكان اسمه بلعام وكان أعجمي اللسان وكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج من عنده ، فقالوا انما يعلمه بلعام فأنزل الله هذه الآية (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وقال الضحاك بن مزاحم هو سلمان الفارسي وهذا القول ضعيف لان هذه الآية مكية وسلمان إنما أسلم بالمدينة ، وقال عبيد الله بن مسلم كان لنا غلامان روميان يقرآن كتابا لهما

عباس كان رسول الله ﷺ يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانيا أعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج فكانوا يقولون إنما يعلمه بلعام. وقال عكرمة كان النبي ﷺ يقرىء غلاما لبني المغيرة يقال له يعيش وكان يقرأ الكتب فقالت قريش إنما يعلمه بشر يعني يعيش. وقال الفراء قال المشركون إنما يتعلم من عائش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى وكان قد أسلم وحسن اسلامه وكان أعجمي اللسان . وقال ابن اسحاق كان رسول الله ﷺ فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة الى غلام رومي نصراني عبد لبعض بني الحضرمي يقال له جبر وكان يقرأ الكتب وقال عبد الله بن مسلم الحضرمي كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لاحدهما يسار يكنى أبا فكيهة ويقال للآخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن التوراة والانجيل فربما مر بهما النبي ﷺ وهما يقرآن التوراة فيقف ويستمع . قال الضحاك كان النبي ﷺ اذا آذاه الكفار يقعد اليهما ويستريح بكلامهما فقال المشركون إنما يتعلم محمد منهما فنزلت هذه الآية قال الله تعالى تكذيبا لهم ﴿ لسان الذي يلحدون اليه ﴾ أي يميلون ويشيرون اليه ﴿ أعجمي ﴾ الاعجمي الذي لا يفصح وان كان

بلسانهما فكان النبي ﷺ يمر بهما فيقوم فيسمع منهما فقال المشركون يتعلم منهما فأنزل الله هذه الآية وقال الزهري عن سعيد بن المسيب : الذي قال ذلك من المشركين رجل كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ فارتد بعد ذلك عن الاسلام وافترى هذه المقالة قبحه الله

ان الذين لا يؤمنون بآيت الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم (١٠٤) إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيت الله، وأولئك هم الكذبون (١٠٥)

يخبر تعالى انه لايهدي من أعرض عن ذكره وتغافل عما أنزله على رسوله ﷺ ولم يكن له قصد إلى الايمان بما جاء من عند الله فهذا الجنس من الناس لايهديهم الله الى الايمان بآياته وما أرسل به رسله في الدنيا ولهم عذاب أليم موجع في الآخرة ، ثم أخبر تعالى أن رسوله ﷺ ليس بمفتر ولا كذاب لانه إنما يفتري الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ شرار الخلق (الذين لايؤمنون بآيات الله) من الكفرة والملحدين المعروفين بالكذب عند الناس، والرسول محمد ﷺ كان أصدق الناس وأبرهم وأكملهم علما وعملا وايمانا وايقانا معروفا بالصدق في قومه لايشك في ذلك أحد منهم بحيث لايدعى بينهم إلا بالامين محمد ، ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن تلك المسائل التي سألها من صفة رسول الله ﷺ كان فيما قال له : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال لا ، فقال هرقل : فما كان ليدع الكذب على الناس ويذهب فيكذب على الله عز وجل

ينزل بالبادية والعجمي منسوب الى العجم وان كان فصيحا والاعرابي البدوي والعربي منسوب إلى العرب وان لم يكن فصيحا ﴿ وهذا لسان عربي مبين ﴾ فصيح وأراد باللسان القرآن والعرب تقول اللغة لسان وروي أن الرجل الذي كانوا يشيرون اليه أسلم وحسن اسلامه ﴿ ان الذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله ﴾ لايرشدهم الله ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ ثم أخبر الله تعالى أن الكفار هم المفترون فقال ﴿ انما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ﴾ لا محمد ﷺ فان قيل قد قال انما يفتري الكذب الذين لايؤمنون فما معنى قوله (وأولئك هم الكاذبون) قيل انما يفتري الكذب إخبار عن فعلهم وهم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وأنت كاذب أي كذبت في هذا القول ومن عادتك الكذب، أخبرنا ابو سعيد الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أنا ابو حفص عمر بن احمد الجوهري أنا جدي ابو بكر محمد بن عمر بن حفص ثنا ابو بكر محمد ابن الفرج الازرق ثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ثنا يعلى بن الاشدق عن عبد الله بن جراد قال قلت يارسول الله المؤمن يزني؟ قال « قد يكون ذلك » قال قلت المؤمن يسرق؟ قال « قد يكون ذلك » قلت المؤمن يكذب ؟ قال « لا » قال الله (انما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله)

من كفر بالله من بعد إيمنه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمن ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم (١٠٦) ذلك بأنهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكفرين (١٠٧) أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصرهم ، وأولئك هم الغفلون (١٠٨) لاجرم أنهم في الآخرة هم الخسرون (١٠٩)

أخبر تعالى عمن كفر به بعد الايمان والتبصر وشرح صدره بالكفر واطمأن به انه قد غضب عليه لعلمهم بالايمان ثم عدولهم عنه وان لهم عذابا عظيما في الدار الآخرة لانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لاجل الدنيا ولم يهد الله قلوبهم ويثبتهم على الدين الحق فطبع على قلوبهم فهم لا يعقلون بها شيئا ينفعهم وختم على سمعهم وأبصارهم فلا ينتفعون بها ولا أغنت عنهم شيئا فهم غافلون عما يراد بهم (لاجرم) أي لابد ولا عجب أن من هذه صفته (انهم في الآخرة هم الخاسرون) أي الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة

وأما قوله (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) فهو استثناء ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه مكرها لما ناله من ضرب وأذى وقلبه يأبى ما يقول وهو مطمئن بالايمان بالله ورسوله . وقد روى العوفي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد ﷺ فوافقهم على ذلك مكرها وجاء معتذراً إلى النبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية. وهكذا قال الشعبي

﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره﴾ قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عمار وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسرا وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم . فأما سمية فانها ربطت بين بعيرين ووجيء قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين قتلا في الاسلام . وأما عمار فانه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها قال قتادة أخذ بنو المغيرة عماراً وغطوه في بئر ميمونة وقالوا له اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فاخبر رسول الله ﷺ بأن عماراً كفر فقال « كلا إن عماراً ملئ إيمانا من قرنه الى قدمه ، واختلط الايمان بلحمه ودمه » فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي فقال رسول الله ﷺ « ماوراءك ؟ » قال شر يارسول الله نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قال « كيف وجدت قلبك ؟ » قال مطمئن بالايمان فجعل النبي ﷺ يمسح عينيه وقال « ان عادوا لك فعد لهم بما قلت » فنزلت هذه الآية قال مجاهد نزلت في ناس من أهل مكة آمنوا فكتب اليهم بعض أصحاب رسول الله ﷺ أن هاجروا فانا لانراكم منا حتى تهاجروا الينا فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش في الطريق ففتنوهم فكفروا كارهين. وقال مقاتل نزلت في جبر مولى عامر بن الحضرمي أكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها ﴿وقلبه مطمئن بالايمان﴾ ثم أسلم مولى عامر بن الحضرمي وحسن اسلامه

وقتادة وأبو مالك . وقال ابن جرير حدثنا ابن عبدالاعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبدالكريم الجزري عن أبي عبيدة محمد بن عمار بن ياسر قال : أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ماأرادوا فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ « كيف تجد قلبك؟» قال مطمئنا بالايمان قال النبي ﷺ « إن عادوا فعد » ورواه البيهقي بأبسط من ذلك وفيه انه سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما تُركت حتى سببتك وذكرت آلهتهم بخير قال « كيف تجد قلبك ؟ » قال مطمئنا بالايمان فقال « إن عادوا فعد » وفي ذلك أنزل الله (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ولهذا اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له أن يوالي ابقاء لمهجته ويجوز له أن يأبى كما كان بلال رضي الله عنه يأبى عليهم ذلك وهم يفعلون به الافاعيل حتى أنهم ليضعوا الصخرة العظيمة على صدره في شدة الحر ويأمرونه بالشرك بالله فيأبى عليهم وهو يقول : أحد أحد . ويقول : والله لو أعلم كلمة هي أغيظ لكم منها لقلتها رضي الله عنه وأرضاه . وكذلك حبيب بن زيد الانصاري لما قال له مسيلمة الكذاب : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول نعم ، فيقول : أتشهد أني رسول الله ؟ فيقول لا أسمع فلم يزل يقطعه إربا إربا وهو ثابت

وقال الامام أحمد حدثنا اسماعيل حدثنا أيوب عن عكرمة ان عليا رضي الله عنه حرق ناساً ارتدوا عن الاسلام فبلغ ذلك ابن عباس فقال لم أكن لاحرقهم بالنار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تعذبوا بعذاب الله » وكنت قاتلهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بدل دينه فاقتلوه » فبلغ ذلك عليا فقال ويح ام ابن عباس . رواه البخاري

وقال الامام احمد أيضاً حدثنا عبدالرزاق أنبأنا معمر عن أيوب عن حميد بن هلال العدوي عن أبي بردة قال : قدم على أبي موسى معاذ بن جبل باليمن فاذا رجل عنده قال ماهذا ؟ قال رجل كان يهوديا فأسلم ثم تهود ونحن نريده على الاسلام منذ قال أحسبه شهرين فقال والله لا أقعد حتى تضربوا عنقه فضربت عنقه فقال قضى الله ورسوله أن من رجع عن دينه فاقتلوه أو قال « من بدل دينه فاقتلوه » وهذه القصة في الصحيحين بلفظ آخر . والافضل والاولى أن يثبت المسلم على دينه ولو أفضى الى قتله كما ذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة عبدالله بن حذافة السهمي أحد الصحابة انه أسرته الروم فجاءوا به الى عند ملكهم فقال له تنصر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك بنتي ، فقال له لو أعطيتني جميع ماتملك وجميع ماتملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين مافعلت

وهاجر جبر مع سيده ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدراً ﴾ أي فتح صدره بالكفر بالقبول فاختاره ﴿ فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾ وأجمع العلماء على أن من أكره على كلمة الكفر يجوز له أن يقول بلسانه واذا قال بلسانه غير معتقد لايكون كفراً وان أبى أن يقول حتى يقتل كان أفضل واختلف أهل العلم في طلاق المكره فذهب أكثرهم إلى أنه لايقع ﴿ ذلك بأنهم استحبوا ﴾ آثروا

فقال اذا أقتلك ، فقال أنت وذاك ؛ قال فأمر به فصلب وأمر الرماة فرموه قريبا من يديه ورجليه وهو يعرض على دين النصرانية فأبى ثم أمر به فأنزل ؛ ثم أمر بقدر وفي رواية ببقرة من نحاس فأحميت وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر فاذا هو عظام يلوح وعرض عليه فأبى فأمر به أن يلقى فيها فرفع في البكرة ليلقى فيها فبكى وطمع فيه ودعاه فقال اني انما بكيت لان نفسي إنما هي نفس واحدة تلقى في هذه القدر الساعة في الله فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله . وفي بعض الروايات انه سجنه ومنع منه الطعام والشراب أياما ثم أرسل اليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه ثم استدعاه فقال ما منعك أن تأكل ؟ فقال اما انه قد حل لي ولكن لم أكن لاشمتك بي ، فقال الملك فقبل رأسي وأنا أطلقك فقال وتطلق معي جميع أسارى المسلمين قال نعم فقبل رأسه فأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده ، فلما رجع قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبدالله بن حذافة وأنا أبدأ فقام فقبل رأسه رضي الله عنهما

ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتنوا ثم جٰهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفورٌ رحيم (١١٠) يوم تأتي كل نفس تجٰدل عن نفسها وتُوفى كل نفس ما عملت وهم لا يُظلمون (١١١)

هؤلاء صنف آخر كانوا مستضعفين بمكة مهانين في قومهم فوافقوهم على الفتنة ثم انهم أمكنهم الخلاص بالهجرة فتركوا بلادهم وأهليهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله وغفرانه وانتظموا في سلك المؤمنين وجاهدوا معهم الكافرين وصبروا فأخبر تعالى انه من بعدها اي تلك الفعلة وهي الاجابة

﴿ الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ لا يرشدهم ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴾ عما يراد بهم ﴿ لا جرم ﴾ أي حقا ﴿ أنهم في الآخرة هم الخاسرون ﴾ أي المغبونون ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ﴾ عذبوا ومنعوا من الاسلام فتنهم المشركون ﴿ ثم جاهدوا وصبروا ﴾ على الايمان والهجرة والجهاد ﴿ إن ربك من بعدها ﴾ من بعد تلك الفتنة والفعلة ﴿ لغفور رحيم ﴾ نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل من الرضاعة وفي أبي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله ابن أبي أسيد الثقفي فتنهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم ثم إنهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا . وقال الحسن وعكرمة نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكان يكتب للنبي ﷺ فاستزله الشيطان فلحق بالكفار فأمر النبي ﷺ يوم فتح مكة بقتله فاستجاره عثمان وكان أخاه لامه من الرضاعة فأجاره رسول الله ﷺ ثم إنه أسلم وحسن اسلامه فأنزل الله هذه الآية وقرأ

الى الفتنة لغفور لهم رحيم بهم يوم معادهم (يوم تأتي كل نفس تجادل) اي تحاج (عن نفسها) ليس أحد يحاج عنها لا أب ولا ابن ولا أخ ولا زوجة (وتوفى كل نفس ماعملت) اي من خير وشر (وهم لا يظلمون) اي لا ينقص من ثواب الخير ولا يزاد على ثواب الشر ولا يظلمون نقيرا

وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون (١١٢) ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظلمون (١١٣)

هذا مثل أريد به أهل مكة فانها كانت آمنة مطمئنة مستقرة يتخطف الناس من حولها ومن دخلها كان آمنا لا يخاف كما قال تعالى (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا) وهكذا قال ههنا (يأتيها رزقها رغداً) أي هنيئا سهلا (من كل مكان فكفرت بأنعم الله) أي جحدت آلاء الله عليها وأعظمها بعثة محمد ﷺ اليهم قال تعالى (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار) ولهـذا بدلهم الله بحاليهم الاولين خلافهما فقال (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) أي ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يجبى اليهم ثمرات كل شيء ويأتيها رزقها رغداً من كل مكان وذلك

ابن عامر فتنوا بفتح الفاء والتاء ورده الى من أسلم من المشركين فتنوا المسلمين ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل ﴾ تخاصم وتحتج ﴿ عن نفسها ﴾ بما أسلفت من خير وشر مشتغلا بها لا يتفرغ الى غيرها ﴿ وتوفى كل نفس ماعملت وهم لا يظلمون ﴾ روي أن عمر بن الخطاب قال لكعب الاحبار خوفنا قال يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لأتت عليك ساعات وأنت لا تهمك إلا نفسك وإن لجهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل منتخب إلا وقع جاثيا على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يارب لا أسألك إلا نفسي وإن تصديق ذلك الذي انزله الله عليكم (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال ماتزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح يارب لم يكن لي يد أبطش بها ، ولا رجل أمشي بها ، ولا عين أبصر بها ، فنجني وعذبه ويقول الجسد يارب خلقتني كالخشب لم تبطش يدى ، ولم تمشي رجلي ، ولم تبصر عيني فجاء هذا كشعاع النور فبه نطق لساني ، وأبصرت عيني ، وبطشت يدي ، ومشت رجلي قال فيضرب الله لهما مثلا فقال إنما مثلكما مثل أعمى ومقعد دخلا حائطا فيه ثمار فالاعمى لا يبصر الثمر والمقعد يرى ولا يناله فحمل الاعمى المقعد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب قوله تعالى ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة ﴾ يعني مكة كانت آمنـة لا يهاج أهلها ولا يغار

أنهم استعصوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو إلاخلافة فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء لهم فأكلوا العلهز وهو وبر البعير يخلط بدمه اذا نحروه وقوله (والخوف) وذلك انهم بدلوا بأمنهم خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين هاجروا الى المدينة من سطوته وسراياه وجيوشه وجعل كل مالهم في دمار وسفال حتى فتحها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك بسبب صنيعهم وبغيهم وتكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله فيهم منهم وامتن به عليهم في قوله (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) الآية . وقوله تعالى (فاتقوا الله يا أولي الألباب * الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكراً رسولا) الآية ؛ وقوله (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة - إلى قوله - ولا تكفرون ؛ وكما انه انعكس على الكافرين حالهم فخافوا بعد الأمن وجاعوا بعد الرغد فبدل الله المؤمنين من بعد خوفهم أمنا ورزقهم بعد العيلة وجعلهم أمراء الناس وحكامهم وسادتهم وقادتهم وأئمتهم . وهذا الذي قلناه من أن هذا المثل ضرب لأهل مكة قاله العوفي عن ابن عباس واليه ذهب مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وحكاه مالك عن الزهري رحمهم الله ؛ وقال ابن جرير حدثني ابن عبد الرحيم البرقي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثنا عبد الرحمن بن شريح ان عبد الكريم بن الحارث الحضرمي حدثه انه سمع مشرح بن هاعان يقول سمعت سليم بن نمير يقول صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبي ﷺ وعثمان رضي الله عنه محصور بالمدينة فكانت تسأل عنه ما فعل؟ حتى رأت راكبين فأرسلت اليهما تسألهما فقالا قتل. فقالت حفصة والذي نفسي بيده انها القرية - تعني المدينة - التي قال الله تعالى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله) قال ابن شريح وأخبرني عبيد الله بن المغيرة عمن حدثه انه كان يقول انها المدينة

عليها ﴿ مطمئنة ﴾ قارة بأهلها لايحتاجون الى الانتقال للانتجاع كما يحتاج اليه سائر العرب ﴿ يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ﴾ يحمل اليها من البر والبحر نظيره (يجبى اليه ثمرات كل شيء) ﴿ فكفرت بأنعم الله ﴾ جمع النعمة وقيل جمع نعماء مثل بأساء وأبؤس ﴿ فأذاقها الله لباس الجوع ﴾ ابتلاهم الله بالجوع سبع سنين وقطعت العرب عنهم الميرة بامر رسول الله ﷺ حتى جهدوا وأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعلهز وهو الوبر يعالج بالدم حتى كان أحدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع . ثم إن رؤساء مكة كلموا رسول الله ﷺ وقالوا ماهذا ؛ هبك عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان؟ فأذن رسول الله ﷺ للناس بحمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون. وذكر اللباس لان ما أصابهم من الهزال والشحوب وتغير ظاهرهم عما كانوا عليه من قبل كاللباس لهم ﴿ والخوف ﴾ يعني بعوث النبي ﷺ وسراياه التي كانت تطيف بهم ﴿ بما كانوا يصنعون * ولقد جاءهم رسول

فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمتَ الله إن كنتم إياه تعبُدون (١١٤) إنما حرَّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلَّ لغير الله به، فمن اضطُرَّ غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم (١١٥) ولا تقولوا لِمَا تصف ألسنتكم الكَذِبَ هذا حلالٌ وهذا حرام لتفتَروا على الله الكذبَ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يُفلحون (١١٦) متَاعٌ قليلٌ ولهم عذاب أليم (١١٧)

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بأكل رزقه الحلال الطيب وبشكره على ذلك فانه المنعم المتفضل به ابتداء الذي يستحق العبادة وحده لاشريك له، ثم ذكر تعالى ماحرمه عليهم مما فيه مضرة لهم في دينهم ودنياهم من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلَّ لغير الله به أي ذبح على غير اسم الله ومع هذا فمن اضطر اليه أي احتاج من غير بغي ولا عدوان فان الله غفور رحيم . وقد تقدم الكلام على مثل هذه الآية في سورة البقرة بما فيه كفاية عن إعادته ولله الحمد، ثم نهى تعالى عن سلوك سبيل المشركين الذين حللوا وحرموا بمجرد ماوصفوه واصطلحوا عليه من الاسماء بآرائهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك مما كان شرعا لهم ابتدعوه في جاهليتهم فقال (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي أو حلل شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه وما في قوله (لما تصف) مصدرية أي ولا تقولوا الكذب لوصف ألسنتكم ثم توعد على ذلك فقال (إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون) أي في الدنيا ولا في الآخرة . أما في الدنيا فمتاع قليل وأما في الآخرة فلهم عذاب أليم كما قال (نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) وقال (إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون)

منهم ﴾ محمد ﷺ ﴿ فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ▪ فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون ▪ انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ﴾

قوله تعالى ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ﴾ أي لاتقولوا لوصف ألسنتكم أو لاجل وصفكم الكذب أى إنكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب لا لغيره ﴿ هذا حلال وهذا حرام ﴾ يعني البحيرة والسائبة ﴿ لتفتروا على الله الكذب ﴾ فتقولون إن الله أمرنا بهذا ﴿ إن الذين يفترون على

وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمنٰهم ولـٰكن كانوا أنفسهم يظلمون (١١٨) ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهـٰلة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم (١١٩)

لما ذكر تعالى انه انما حرم علينا الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وإنما أرخص فيه عند الضرورة وفي ذلك توسعة لهذه الأمة التي يريد الله بها اليسر ولا يريد بها العسر ذكر سبحانه وتعالى ما كان حرمه على اليهود في شريعتهم قبل أن ينسخها وما كانوا فيه من الآصار والتضييق والاغلال والحرج فقال (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) أي في سورة الانعام في قوله (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما ـ إلى قوله ـ لصادقون) ولهذا قال ههنا (وما ظلمناهم) أي فيما ضيقنا عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي فاستحقوا ذلك كقوله (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) ثم أخبر تعالى تكرما وامتنانا في حق العصاة المؤمنين أن من تاب منهم إليه تاب عليه فقال (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة) قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) أي أقلعوا عما كانوا فيه من المعاصي وأقبلوا على فعل الطاعات (إن ربك من بعدها) أي تلك الفعلة والزلة (لغفور رحيم)

إن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين (١٢٠) شاكرا لأنعمه اجتبٰه وهدٰه إلى صراط مستقيم (١٢١) وآتينٰه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصٰلحين (١٢٢) ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين (١٢٣)

الله الكذب لا يفلحون ﴾ لا ينجون من عذاب الله ﴿ متاع قليل ﴾ يعني الذي هم فيه متاع قليل أو لهم متاع قليل في الدنيا ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ في الآخرة ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل ﴾ يعني في سورة الانعام وهو قوله تعالى (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) الآية ﴿ وما ظلمناهم ﴾ بتحريم ذلك عليهم ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ فحرمناه عليهم ببغيهم ﴿ ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ﴾ يعني بالاصلاح الاستقامة على التوبة ﴿ ان ربك من بعدها ﴾ أي من بعد الجهالة ﴿ لغفور رحيم ﴾

قوله تعالى ﴿ ان ابراهيم كان أمة ﴾ قال ابن مسعود : الامة معلم الخير أي كان معلم الخير يأتم به

يمدح تعالى عبده ورسوله وخليله ابراهيم إمام الحنفاء ووالد الانبياء ويبرئه من المشركين ومن اليهودية والنصرانية فقال (إن ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً) فأما الأمة فهو الامام الذي يقتدى به والقانت هو الخاشع المطيع والحنيف المنحرف قصداً عن الشرك الى التوحيد ولهذا قال (ولم يك من المشركين) قال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين انه سأل عبد الله ابن مسعود عن الأمة القانت فقال الامة معلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله ، وعن مالك قال قال ابن عمر الامة الذي يعلم الناس دينهم ، وقال الاعمش عن يحيى بن الجزار عن أبي العبيدين انه جاء الى عبدالله فقال من نسأل اذا لم نسألك ؟ فكأن ابن مسعود رق له فقال أخبرني عن الامة فقال الذي يعلم الناس الخير ▪ وقال الشعبي حدثني فروة بن نوفل الاشجعي قال: قال ابن مسعود إن معاذاً كان أمة قانتاً لله حنيفاً، فقلت في نفسي غلط أبو عبدالرحمن وقال انما قال الله (إن ابراهيم كان أمة) فقال تدري ما الأمة وما القانت ▪ قلت الله أعلم . فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكذلك كان معاذ ، وقد روي من غير وجه عن ابن مسعود أخرجه ابن جرير ، وقال مجاهد أمة أي أمة وحده والقانت المطيع وقال مجاهد أيضاً كان ابراهيم أمة أي مؤمناً وحده والناس كلهم إذ ذاك كفار، وقال قتادة كان إمام هدى والقانت المطيع لله ، وقوله (شاكراً لأنعمه) أي قائماً بشكر نعم الله عليه كقوله تعالى (وابراهيم الذي وفى) أي قام بجميع ما أمره الله تعالى به ▪ وقوله (اجتباه) أي اختاره واصطفاه كقوله (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) ثم قال (وهداه الى صراط مستقيم) وهو عبادة الله وحده لا شريك له على شرع مرضي ▪ وقوله (وآتيناه في الدنيا حسنة) أي جمعنا له خير الدنيا من جميع مايحتاج المؤمن اليه في إكمال حياته الطيبة (وانه في الآخرة لمن الصالحين) وقال مجاهد في قوله (وآتيناه في الدنيا حسنة) أي لسان صدق ، وقوله (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً) أي ومن كماله وعظمته وصحة توحيده وطريقه أنا أوحينا إليك ياخاتم الرسل وسيد

أهل الدنيا وقد اجتمع فيه من الخصال الحميدة مااجتمع في أمة ▪ قال مجاهد :كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار ▪ قال قتادة : ليس من أهل دين إلا يتولونه ويرضونه ﴿ قانتاً لله ﴾ مطيعاً له ▪ وقيل قائماً بأوامر الله تعالى ﴿ حنيفاً ﴾ مستقيماً على دين الاسلام وقيل مخلصاً ﴿ ولم يك من المشركين ٭ شاكراً لأنعمه اجتباه ﴾ اختاره ﴿ وهداه إلى صراط مستقيم ﴾ أي إلى دين الحق ﴿ وآتيناه في الدنيا حسنة ﴾ يعني الرسالة والخلة ، وقيل لسان الصدق والثناء الحسن . وقال مقاتل بن حيان :يعنى الصلاة عليه في قول هذه الامة : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم . وقيل أولاداً أبراراً على الكبر ، وقيل القبول العام في جميع الامم ﴿ وانه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ مع آبائه الصالحين في الجنة ، وفي الآية تقديم وتأخير مجازه وآتيناه في الدنيا والآخرة حسنة وانه لمن الصالحين ﴿ ثم أوحينا

الانبياء (أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) كقوله في الانعام (قل إنني هداني ربي الى صراط مستقيم * دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) ثم قال تعالى منكراً على اليهود

إنما جُعِل السبتُ على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١٢٤)

لاشك ان الله تعالى شرع في كل ملة يوما من الاسبوع يجتمع الناس فيه للعبادة فشرع تعالى لهذه الامة يوم الجمعة لانه اليوم السادس الذي أكمل الله فيه الخليقة واجتمعت فيه وتمت النعمة على عباده ويقال ان الله تعالى شرع ذلك لبني إسرائيل على لسان موسى فعدلوا عنه واختاروا السبت لانه اليوم الذي لم يخلق فيه الرب شيئا من المخلوقات الذي كمل خلقها يوم الجمعة فألزمهم تعالى به في شريعة التوراة ووصاهم أن يتمسكوا به وأن يحافظوا عليه مع أمره إياهم بمتابعة محمد ﷺ إذا بعثه وأخذ مواثيقهم وعهودهم على ذلك ولهذا قال تعالى (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) قال مجاهد اتبعوه وتركوا الجمعة ثم انهم لم يزالوا متمسكين به حتى بعث الله عيسى بن مريم فيقال انه حولهم الى يوم الاحد ويقال انه لم يترك شريعة التوراة الا مانسخ من بعض أحكامها وانه لم يزل محافظا على السبت حتى رفع وان النصارى بعده في زمن قسطنطين هم الذين تحولوا إلى يوم الاحد مخالفة لليهود وتحولوا إلى الصلاة شرقا عن الصخرة والله أعلم

وقد ثبت في الصحيحين من حديث عبدالرزاق عن معمر عن همام عن ابي هريرة رضي الله عنه

اليك﴾ يامحمد ﴿أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا﴾ حاجا مسلما ﴿وماكان من المشركين﴾ وقال أهل الاصول كان ﷺ مأموراً بشريعة ابراهيم إلا مانسخ في شريعته ومالم ينسخ صار شرعا

قوله تعالى ﴿انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه﴾ أي خالفوا فيه، قيل معناه انما جعل السبت لعنة على الذين اختلفوا فيه، وقيل معناه: مافرض الله تعظيم السبت وتحريمه إلا على الذين اختلفوا فيه يعني اليهود فقال قوم هو أعظم الايام لان الله تعالى فرغ من خلق الاشياء يوم الجمعة ثم سبت يوم السبت، وقال قوم بل أعظم الايام يوم الاحد لان الله تعالى ابتدأ فيه خلق الاشياء فاختاروا تعظيم غير مافرض الله عليهم وقد افترض عليهم تعظيم يوم الجمعة ◆ قال الكلبي: أمرهم موسى بالجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما فاعبدوه يوم الجمعة ولا تعملوا فيه لصنعتكم وستة أيام لصناعتكم فأبوا وقالوا لا نريد إلا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه، ثم جاءهم عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقالوا لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الاحد، فأعطى الله الجمعة هذه الامة فقبلوها وبورك لهم فيها ◆ أخبرنا أبو علي حسان ابن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا

ان رسول الله ﷺ قال « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد » لفظ البخاري . وعن ابي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا قال رسول الله ﷺ « أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والاولون يوم القيامة والمقضي بينهم قبل الخلائق » رواه مسلم

ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجـٰدلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (١٢٥)

يقول تعالى آمراً رسوله محمداً ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة . قال ابن جرير وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة والموعظة الحسنة أي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى « وقوله (وجادلهم بالتي هي أحسن) اي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب كقوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم) الآية فأمره تعالى بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون في قوله (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) وقوله (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) الآية أي قدم علم الشقي منهم والسعيد وكتب ذلك عنده وفرغ منه فادعهم إلى الله ولا تذهب نفسك على من ضل منهم حسرات فانه ليس عليك هداهم إنما أنت نذير عليك البلاغ وعلينا الحساب (إنك لا تهدي من أحببت — ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء)

أحمد بن يوسف السلمي أنبأنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه قال حدثنا أبو هريرة عن محمد ﷺ « قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم ـ يعني يوم الجمعة ـ فاختلفوا فيه فهدانا الله له والناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد » قال الله تعالى (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) قال قتادة الذين اختلفوا فيه « هم اليهود استحله بعضهم وحرمه بعضهم ﴿ وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » ادع الى سبيل ربك بالحكمة ﴾ بالقرآن ﴿ والموعظة الحسنة ﴾ يعني مواعظ القرآن وقيل الموعظة الحسنة هي الدعاء الى الله بالترغيب والترهيب وقيل هو القول اللين الرقيق من غير تغليظ ولا تعنيف ﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ وخاصمهم وناظرهم بالخصومة التي هي أحسن أي أعرض عن أذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق . نسختها آية القتال ﴿ ان ربك هو أعلم بمن

وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصّـٰبرين (١٢٦) واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تكُ في ضَيْق مما يمكرون (١٢٧) ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محْسنون (١٢٨)

يأمر تعالى بالعدل في القصاص والمماثلة في استيفاء الحق كما قال عبدالرزاق عن الثوري عن خالد عن ابن سيرين أنه قال في قوله تعالى (فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به) ان أخذ منكم رجل شيئاً فخذوا مثله وكذا قال مجاهد وابراهيم والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير . وقال ابن زيد كانوا قد أمروا بالصفح عن المشركين فأسلم رجال ذو منعة فقالوا يارسول الله لو أذن الله لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب فنزلت هذه الآية ثم نسخ ذلك بالجهاد

وقال محمد بن إسحاق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت سورة النحل كلها بمكة وهي مكية إلا ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة بعد أحد حين قتل حمزة رضي الله عنه ومثل به فقال رسول الله ﷺ « لئن أظهرني الله عليهم لأمثلن بثلاثين رجلا منهم » فلما سمع المسلمون ذلك قالوا والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط فأنزل الله (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به) الى آخر السورة وهذا مرسل وفيه رجل مبهم لم يسم ، وقد روي هذا من وجه آخر متصل فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الحسن بن يحيي حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا صالح المري عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ وقف على حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حين استشهد فنظر الى منظر لم ينظر الى منظر أوجع للقلب منه أو قال لقلبه فنظر اليه وقد مثل به فقال « رحمة الله عليك ان كنت ما علمتك إلا وصولا للرحم فعولا للخيرات والله

ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين * وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ﴾ هذه الآيات نزلت بالمدينة في شهداء أحد وذلك أن المسلمين لما رأوا مافعل المشركون بقتلاهم يوم احد من تبقير البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين الا مثل به غير حنظلة بن الراهب فان أباه أبا عامر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن أظهرنا الله عليهم لنزيدن على صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها أحد من العرب بأحد فوقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة ابن عبد المطلب وقد جدعوا أنفه وأذنه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطتها لتأكلها فلم تلبث في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال « أما انها لو أكلتها لم تدخل النار أبداً ان حمزة اكرم على الله تعالى من أن يدخل شيئا من جسده النار » فلما نظر رسول الله ﷺ الى عمه حمزة نظر الى شيء لم ينظر الى شيء قط كان أوجع لقلبه

لولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أتركك حتى يحشرك الله من بطون السباع ـ أو كلمة نحوها ـ أما والله على ذلك لأمثلن بسبعين كمثلتك » فنزل جبريل عليه السلام على محمد ﷺ بهذه السورة وقرأ (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به) الى آخر الآية » فكفر رسول الله ﷺ يعني عن يمينه وأمسك عن ذلك » وهذا إسناد فيه ضعف لان صالحا هو ابن بشير المري ضعيف عند الائمة » وقال البخاري هو منكر الحديث ، وقال الشعبي وابن جريج نزلت في قول المسلمين يوم أحد فيمن مثل بهم لنمثلن بهم فأنزل الله فيهم ذلك ، وقال عبد الله بن الامام أحمد في مسند أبيه حدثنا هدبة بن عبد الوهاب المروزي حدثنا الفضل بن موسى حدثنا عيسى بن عبيد عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال لما كان يوم أحد قتل من الانصار ستون رجلا ومن المهاجرين ستة فقال أصحاب رسول الله ﷺ لئن كان لنا يوم مثل هذا من المشركين لنمثلن بهم فلما كان يوم الفتح قال رجل لا تعرف قريش بعد اليوم » فنادى مناد: إن رسول الله ﷺ قد أمن الاسود والابيض إلا فلانا وفلانا ناسا سماهم فأنزل الله تبارك وتعالى (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به) الى آخر السورة » فقال رسول الله ﷺ « نصبر ولا نعاقب » وهذه الآية الكريمة لها أمثال في القرآن فانها مشتملة على مشروعية العدل والندب الى الفضل كما في قوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ثم قال (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) الآية . وقال (والجروح قصاص) ثم قال (فمن تصدق به فهو كفارة له) وقال في هذه الآية (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به) ثم قال (ولئن صبرتم لهو خير الصابرين)

وقوله (واصبر وما صبرك إلا بالله) تأكيد للامر بالصبر وإخبار بأن ذلك لاينال إلا بمشيئة الله واعانته ، وحوله وقوته ، ثم قال تعالى (ولا تحزن عليهم) أي على من خالفك فان الله قدر ذلك (ولا تك في ضيق) أي غم (مما يمكرون) أى مما يجهدون أنفسهم في عداوتك وايصال الشر اليك فان

منه فقال النبي ﷺ « رحمة الله عليك أبا السائب فانك ماعلمتك الا فعالا للخيرات . وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تحشر من أفواج شتى أما والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين منهم مكانك » فانزل الله تعالى (وان عاقبتم فعاقبوا) الآية

﴿ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ أي ولئن عفوتم لهو خير للعافين فقال النبي ﷺ « بل نصبر » وأمسك عما أراد و كفر عن يمينه ، قال ابن عباس والضحاك كان هذا قبل نزول براءة حين أمر النبي ﷺ بقتال من قاتله ومنع من الابتداء بالقتال فلما أعز الله الاسلام وأهله نزلت براءة وأمروا بالجهاد ونسخت هذه الآية » قال النخعي والثوري ومجاهد وابن سيرين : الآية محكمة نزلت فيمن ظلم بظلامة فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال الظالم منه ، أمر بالجزاء والعفو ومنع من الاعتداء ، ثم قال لنبيه ﷺ ﴿ واصبر وماصبرك إلا بالله ﴾ أي بمعونة الله وتوفيقه ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ في إعراضهم عنك ﴿ ولاتك في ضيق مما يمكرون ﴾ أي مما فعلوا من الافاعيل » قرأ ابن كثير ههنا وفي النمل (ضيق)

الله كافيك وناصرك ومؤيدك ومظهرك ومظفرك بهم، وقوله (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أى معهم بتأييده ونصره ومعونته وهديه وسعيه وهذه معية خاصة كقوله (اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا) وقوله لموسى وهرون (لا تخافا انني معكما أسمع وأرى) وقول النبي ﷺ للصديق وهما في الغار « لاتحزن ان الله معنا » وأما المعية العامة فبالسمع والبصر والعلم كقوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) وكقوله تعالى (ألم تر أن الله يعلم مافي السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) وكما قال تعالى (وما تكون في شأن وماتتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهوداً) الآية ومعنى الذين اتقوا أى تركوا المحرمات والذين هم محسنون أى فعلوا الطاعات فهؤلاء الله يحفظهم ويكلؤهم وينصرهم ويؤيدهم ويظفرهم على اعدائهم ومخالفيهم وقال ابن أبي حاتم ثنا ابي ثنا محمد بن بشار ثنا أبو احمد الزبيري ثنا مسعر عن ابن عون عن محمد بن حاطب قال كان عثمان رضي الله عنه من الذين اتقوا والذين هم محسنون

آخر تفسير سورة النحل ولله الحمد والمنة

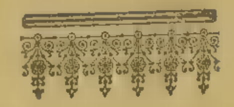
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

بكسر الضاد وقرأ الآخرون بفتح الضاد « قال أهل الكوفة هما لغتان مثل رطل ورطل ، وقال أبو عمرو الضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة « وقال أبو عبيدة : الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المساكن « وأما ماكان في القلب والصدر فانه بالفتح، وقال ابن قتيبة: الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا هو صفة كأنه قال : ولا تكن في أمر ضيق من مكرهم

﴿ إن الله مع الذين اتقوا ﴾ المناهي

﴿ والذين هم محسنون ﴾

بالعون والنصرة



تفسير سورة سبحان وهي مكية

قال الامام الحافظ المتقن أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري: حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت عبدالرحمن بن يزيد سمعت بن مسعود رضي الله عنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: انهن من العتاق الاول وهن من تلادي . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد بن زيد عن مروان عن أبي لبابة سمعت عائشة تقول: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول مايريد أن يفطر ، ويفطر حتى نقول مايريد أن يصوم وكان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

سُبحٰنَ الذي أسرىٰ بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريَهُ من آيٰتنا ، إنه هو السميع البصير (١)

يمجد تعالى نفسه ، ويعظم شأنه ، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره ولا رب سواه، (الذي أسرى بعبده) يعني محمداً ﷺ (ليلا) أي في جنح الليل (من المسجد الحرام) وهو مسجد مكة (إلى المسجد الاقصى) وهو بيت المقدس الذي بإيلياء معدن الانبياء من لدن ابراهيم الخليل عليه السلام ولهذا جمعوا له هنالك كلهم فأمهم في محلتهم ودارهم فدل على أنه هو الامام الاعظم، والرئيس المقدم ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . وقوله تعالى (الذي باركنا حوله) أي في الزروع

(سورة الاسراء)

﴿ مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ﴾ سبحان الله تنزيه الله تعالى من كل سوء ووصف بالبراءة من كل نقص على طريق المبالغة، وتكون سبحان بمعنى التعجب (أسرى بعبده) أي سيّره وكذلك سرى به والعبد هو محمد ﷺ ﴿ من المسجد الحرام ﴾ قيل كان الاسراء من مسجد مكة روى قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة أن رسول الله ﷺ قال « بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق » فذكر حديث المعراج . وقال قوم: عرج به من دار أم هانيء بنت أبي طالب ومعنى قوله (من المسجد الحرام) أي من الحرم ، قال مقاتل: كانت ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة ويقال كان في رجب وقيل كان في رمضان ﴿ إلى المسجد الاقصى ﴾ يعني بيت المقدس ، وسمي أقصى لانه أبعد المساجد التي تزار وقيل لبعده من المسجد الحرام ﴿ الذي باركنا حوله ﴾ بالأنهار والاشجار

والثمار (لنريه) أي محمداً (من آياتنا) أي العظام كما قال تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وسنذكر من ذلك ما وردت به السنة من الاحاديث عنه ﷺ . وقوله تعالى (انه هو السميع البصير) أي السميع لاقوال عباده مؤمنهم وكافرهم ، مصدقهم ومكذبهم ، البصير بهم فيعطي كلا منهم مايستحقه في الدنيا والآخرة

﴿ ذكر الاحاديث الواردة في الاسراء رواية أنس بن مالك رضي الله عنه ﴾

قال الامام أبو عبد الله البخاري : حدثني عبد العزيز بن عبدالله حدثنا سليمان ـ هو بن بلال عن شريك بن عبدالله قال :سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو ؟ فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ـ وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولاتنام قلوبهم ـ فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى انقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشو ايمانا وحكمة فحشا به صدره ولغاديده ـ يعني عروق حلقه ـ ثم اطبقه ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل السماء من هذا ؟ فقال جبريل ،قالوا ومن معك؟ قال معي محمد قالوا وقد بعث اليه؟ قال نعم قالوا فرحبا به وأهلا ، يستبشر به أهل السماء لايعلم أهل السماء بما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم ، فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلم عليه ورد عليه آدم فقال مرحبا وأهلا بابني نعم الابن أنت ، فاذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال « ماهذان النهران ياجبريل؟ » قال هذان النيل والفرات عنصرهما ، ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك أذفر فقال « ماهذا ياجبريل ؟ » قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك » ثم عرج به الى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ماقالت له الملائكة

والثمار، وقال مجاهد سماه مباركا لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة والوحي وفيه الصخرة ومنه يحشر الناس يوم القيامة ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ من عجائب قدرتنا وقد رأى هناك الانبياء والآيات الكبرى ﴿ انه هو السميع البصير ﴾ ذكر السميع لينبه على انه المجيب لدعائه وذكر البصير لينبه على انه الحافظ له في ظلمة الليل » وروي عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تقول : مافقد جسد النبي ﷺ ولكن أسري بروحه ، والاكثرون على انه أسرى بجسده في اليقظة وتواترت الاخبار الصحيحة على ذلك

أخبرنا أبو عمرو عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو حامد أحمد بن عبدالله النعيمي أنا أبو عبدالله محمد بن يوسف الفربري ثنا أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري ثنا هدبة بن خالد ثنا همام بن يحيى ثنا قتادة ح قال البخاري وقال لي خليفة العصفري ثنا يزيد بن ذريع ثنا سعيد بن هشام قال ثنا قتادة

الاولى من هذا ؟قال جبريل قالوا ومن معك؟ قال محمد ﷺ قالوا وقد بعث اليه ؟ قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا ، ثم عرج به الى السماء الثالثة فقالوا له مثل ماقالت الاولى والثانية ثم عرج به الى السماء الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج الى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به السماء السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فوعيت منهم ادريس في الثانية وهارون في الرابعة وآخر في الخامسة لم احفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله تعالى فقال موسى رب لم أظن أن ترفع علي أحداً ثم علا به فوق ذلك بما لايعلمه إلا الله عز وجل حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فاوحى الله اليه فيما يوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط به حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يامحمد ماذا عهد اليك ربك ؟قال « عهد إلي خمسين صلاة كل يوم وليلة »قال إن امتك لاتستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي ﷺ الى جبريل كأنه يستشيره في ذلك فأشار اليه جبريل أن نعم إن شئت فعلا به الى الجبار تعالى وتقدس فقال وهو في مكانه « يارب خفف عنا فان امتي لاتستطيع هذا » فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت الى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يامحمد والله لقد راودت بني اسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فامتك أضعف أجساداً وقلوبا وابدانا وابصاراً وأسماعا فارجع فليخفف عنك ربك ، كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال« يارب ان أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وأبدانهم فخفف عنا » فقال الجبار تبارك وتعالى :يامحمد قال « لبيك وسعديك » قال انه لايبدل القول لديّ كما فرضت عليك في أم الكتاب فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك » فرجع إلى موسى فقال كيف فعلت ؟ فقال « خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر امثالها » قال موسى قد والله راودت بني اسرائيل على ادنى من ذلك فتركوه فارجع الى ربك فليخفف عنك أيضا قال رسول الله ﷺ « ياموسى قد والله استحييت من ربي عز وجل مما اختلف اليه » قال فاهبط باسم الله ، قال واستيقظ وهو في المسجد الحرام ، هكذا ساقه البخاري في كتاب التوحيد ورواه في صفة النبي ﷺ عن اسماعيل بن أبي أويس عن أخيه أبي بكر عبد الحميد عن سليمان بن بلال

ثنا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به ح قال البخاري ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث الناس ان رسول الله ﷺ قال ح وأخبرنا أبو سعيد اسماعيل بن عبد القاهر أنا أبو الحسين عبد الغافر ابن محمد الفارسي أنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي ثنا أبو إسحاق ابراهيم محمد بن سفيان ثنا أبو الحسين مسلم بن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله

رواه مسلم عن هارون بن سعيد عن ابن وهب عن سليمان قال فزاد ونقص وقدم وأخر وهو كما قال مسلم فان شريك بن عبدالله بن ابي نمر اضطرب في هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه كما سيأتي بيانه إن شاء الله في الاحاديث الاخر ومنهم من يجعل هذا مناما توطئة لما وقع بعد ذلك والله أعلم.

وقد قال الحافظ ابو بكر البيهقي في حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم انه ﷺ رأى الله عز وجل يعني قوله ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين او أدنى. قال وقول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل أصح وهذا الذي قاله البيهقي رحمه الله في هذه المسئلة هو الحق فان أبا ذر قال يارسول الله هل رأيت ربك؟ قال « نور أنى أراه » وفي رواية « رأيت نوراً » أخرجه مسلم وقوله (ثم دنا فتدلى) انما هو جبريل عليه السلام كما ثبت ذلك في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين، وعن ابن مسعود وكذلك هو في صحيح مسلم عن أبي هريرة ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بهذا

وقال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال « أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الانبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتاني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل: أصبت الفطرة قال ثم عرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل له من أنت؟ قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه؟ قال قد أرسل اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل له من أنت؟ قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه؟ قال قد أرسل اليه ففتح لنا فاذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى فرحبابي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل له من أنت؟ قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه؟ قال قد أرسل اليه ففتح لنا فاذا أنا بيوسف عليه السلام وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال جبريل فقيل ومن معك؟ قال محمد فقيل وقد أرسل اليه؟ قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير ثم يقول الله تعالى (ورفعناه مكانا عليا) ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال جبريل فقيل ومن معك؟ قال محمد فقيل قد أرسل اليه؟ قال بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال جبريل قيل ومن

ﷺ قال دخل حديث بعضهم في بعض قال أبو ذر ان رسول الله ﷺ قال « فرج عني سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطشت من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري ثم أطبقه » وقال مالك بن صعصعة أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به

معك؟ قال محمد فقيل وقد بعث اليه ؟ قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بإبراهيم عليه السلام وإذا هو مستند إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه ، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله ماغشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن يصفها من حسنها قال فأوحى الله إلي ما أوحى ، وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت الى موسى قال مافرض ربك على أمتك ؟ قلت خمسين صلاة في كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فان أمتك لاتطيق ذلك واني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت أي رب خفف عن أمتي فحط عني خمساً فنزلت حتى انتهيت الى موسى فقال مافعلت فقلت قد حط عني خمساً فقال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمساً خمساً حتى قال : يامحمد هن خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت عشراً ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب فان عملها كتبت سيئة واحدة . فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فان أمتك لاتطيق ذلك فقال رسول الله ﷺ « لقد رجعت الى ربي حتى استحييت » رواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن حماد بن سلمة بهذا السياق وهو أصح من سياق شريك . قال البيهقي وفي هذا السياق دليل على ان المعراج كان ليلة أسري به عليه الصلاة والسلام من مكة الى بيت المقدس وهذا الذي قاله هو الحق الذي لاشك فيه ولامرية ،

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس ان النبي ﷺ أتى بالبراق ليلة اسري به مسرجا ملجما ليركبه فاستصعب عليه فقال له جبريل مايحملك على هذا فوالله ماركبك قط أكرم على الله منه . قال فارفض عرقا ورواه الترمذي عن اسحاق بن منصور عن عبد الرزاق وقال غريب لانعرفه الا من حديثه

وقال احمد ايضاً حدثنا ابو المغيرة حدثنا صفوان حدثني راشد بن سعيد وعبدالرحمن بن جبير عن انس قال : قال رسول الله ﷺ « لما عرج بي الى ربي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبريل » قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم

قال « بينا أنا في الحطيم وربما قال في الحجر بين النائم واليقظان وذكر بين رجلين فأتيت بطست من ذهب مملوء حكمة وايمانا فشق من النحر الى مراق البطن واستخرج قلبي فغسل ثم ملىء وقيل حشي ثم أعيد » وقال سعيد وهشام « ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملىء ايمانا وحكمة ثم أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يقع حافره عند منتهي طرفه فركبته فانطلقت مع جبريل حتى أتيت

الناس ويقعون في أعراضهم » وأخرجه ابو داود من حديث صفوان بن عمرو به ومن وجه آخر ليس فيه أنس فالله أعلم

وقال أيضاً حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سليمان التيمي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « مررت ليلة اسري بي على موسى عليه السلام قائماً يصلي في قبره » ورواه من حديث حماد بن سلمة عن سليمان بن طرخان التيمي وثابت البناني كلاهما عن انس قال النسائي هذا أصح من رواية من قال سليمان عن ثابت عن أنس » وقال الحافظ ابو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد عن التيمي عن أنس قال أخبرني بعض أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ليلة أسري به مر على موسى وهو يصلي في قبره . وقال ابو يعلى حدثنا ابراهيم بن محمد بن عرعرة حدثنا معتمر عن أبيه قال سمعت أنسا ان النبي ﷺ ليلة أسري به مر بموسى وهو يصلي في قبره قال أنس ذكر انه حمل على البراق فأوثق الدابة اوقال الفرس، قال ابو بكر صفها لي فقال رسول الله ﷺ « هي كذه وذه » فقال أشهد انك رسول الله وكان ابو بكر رضي الله عنه قد رآها ، وقال الحافظ ابو بكر احمد بن عمرو البزار في مسنده حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن منصور حدثنا الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « بينا أنا نائم اذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها كوكري الطير فقعد في أحدهما وقعدت في الآخر فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين وأنا أقلب طرفي ولو شئت أن أمس السماء لمسست فالتفت الى جبريل كأنه حلس لاط فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب من أبواب السماء فرأيت النور الاعظم واذا دون الحجاب رفرف الدر والياقوت وأوحى الى ماشاء الله أن يوحى » ثم قال ولا نعلم روى هذا الحديث الا أنس ولا نعلم رواه عن أبي عمران الجوني الا الحارث بن عبيد وكان رجلا مشهوراً من أهل البصرة . ورواه الحافظ البيهقي في الدلائل عن أبي بكر القاضي عن أبي جعفر محمد بن علي بن دحيم عن محمد بن الحسين بن أبي الحسين عن سعيد بن منصور فذكره بسنده مثله ثم قال وقال غيره في هذا الحديث في آخره ولط دوني أو قال دون الحجاب رفرف الدر والياقوت ثم قال هكذا رواه الحارث ابن عبيد ورواه حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عمير بن عطارد ان النبي ﷺ كان في ملأ من أصحابه فجاءه جبريل فنكت في ظهره فذهب به الى الشجرة وفيها مثل وكري الطير فقعد في أحدهما وقعد جبريل في الآخر فنشأت بنا حتى بلغت الافق فلو بسطت يدي الى السماء لنلتها فدلى بسبب وهبط النور فوقع جبريل مغشياً عليه كأنه حلس فعرفت فضل خشيته على خشيتي فأوحى إلي

بيت المقدس ـ قال ـ فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء ـ قال ـ ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن ، فقال جبريل اخترت الفطرة فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح ، قيل من هـذا » قال جبريل . قيل ومن

نبيا ملكا أو نبيا عبدا وإلى الجنة ماأنت فأومأ الي جبريل وهو مضطجع أن تواضع قال قلت لا بل نبيا عبداً قلت وهذا ان صح يقتضي انها واقعة غير ليلة الاسراء فانه لم يذكر فيها بيت المقدس ولا الصعود الى السماء فهي كائنة غير مانحن فيه والله أعلم ، وقال البزار أيضا حدثنا عمرو بن عيسي حدثنا ابو بحر حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس أن محمداً ﷺ رأى ربه عز وجل . وهذا غريب

وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا يونس حدثنا عبدالله بن وهب حدثنا يعقوب بن عبدالرحمن الزهري عن أبيه عن عبدالرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس بن مالك قال : لما جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ بالبراق فكأنها حركت ذنبها فقال لها جبريل مه يابراق فوالله ماركبك مثله وسار رسول الله ﷺ فاذاهو بعجوز على جانب الطريق فقال « ماهذه ياجبريل ؟ » قال سر يامحمد ، قال فسار ماشاء الله أن يسير فاذا شيء يدعوه متنحيا عن الطريق فقال هلم يامحمد فقال له جبريل سر يامحمد فسار ماشاء الله أن يسير، قال فلقيه خلق من خلق الله فقالوا السلام عليك ياأول السلام عليك يا آخر السلام عليك ياحاشر « فقال له جبريل أردد السلام يامحمد فرد السلام » ثم لقيه الثانية فقال له مثل مقالته الاولى ثم الثالثة كذلك حتى انتهى إلى بيت المقدس فعرض عليه الخمر والماء واللبن فتناول رسول الله ﷺ اللبن فقال له جبريل أصبت الفطرة ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك ، ولو شربت الخمر لغويت ولغوت أمتك ثم بعث له آدم فمن دونه من الانبياء عليهم السلام فأمهم رسول الله ﷺ تلك الليلة ، ثم قال « جبريل: أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا كما بقي من عمر تلك العجوز ، وأما الذي أراد أن تميل اليه فذاك عدو الله ابليس أراد أن تميل اليه » وأما الذين سلموا عليك فابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن وهب وفي بعض ألفاظه نكارة وغرابة

﴿ طريق أخرى ﴾ عن أنس بن مالك وفيها غرابة ونكارة جداً وهي في سنن النسائي المجتبى ولم أرها في الكبير قال : حدثنا عمرو بن هشام حدثنا مخلد عن ابي الحسين عن سعيد بن عبدالعزيز حدثنا يزيد بن أبي مالك حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال « أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل خطوها عند منتهى طرفها فركبت ومعي جبريل عليه السلام فسرت فقال انزل فصل فصليت » فقال أتدري أين صليت « صليت بطيبة وإليها المهاجرة ، ثم قال انزل فصل فصليت فقال أتدري أين صليت صليت بطور سينا حيث كلم الله موسى » ثم قال انزل فصل فصليت ، فقال أتدري أين صليت صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام ، ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الانبياء عليهم السلام فقدمني جبريل عليه السلام حتى أممتهم ثم صعد بي إلى السماء الدنيا فاذا فيها آدم عليه السلام » ثم صعد بي إلى

معك ؟ قال محمد . قيل وقد أرسل اليه قال نعم . قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح الباب « فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال لي هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح » وفي حديث أبي ذر « علونا السماء الدنيا فاذا رجل قاعد عن يمينه أسودة

السماء الثانية فاذا فيها ابنا الخالة عيسى ويحيى عليهما السلام » ثم صعد بي إلى الثالثة فاذا فيها يوسف عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فاذا فيها هارون عليه السلام » ثم صعد بي إلى السماء الخامسة فاذا فيها ادريس عليه السلام ، ثم صعد بي الى السماء السادسة فاذا فيها موسى عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاذا فيها ابراهيم عليه السلام » ثم صعد بي فوق سبع سموات وأتيت سدرة المنتهى فغشيتني ضبابة فخررت ساجداً فقيل لي اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك فرجعت بذلك حتى أمر بموسى عليه السلام فقال مافرض ربك على أمتك ؟ قلت خمسين صلاة، قال فانك لا تستطيع أن تقوم بها لا أنت ولا أمتك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف فرجعت الى ربي فخفف عني عشراً » ثم أتيت موسى فأمرني بالرجوع فرجعت فخفف عني عشراً ثم ردت إلى خمس صلوات » قال فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فانه فرض على بني اسرائيل صلاتين فما قاموا بهما فرجعت إلى ربي عز وجل فسألته التخفيف فقال اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمس صلوات فخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك » قال فعرفت أنها من الله عز وجل صرى فرجعت الى موسى عليه السلام فقال ارجع فعرفت أنها من الله عز وجل صرى - يقول أي حتم - فلم أرجع »

﴿ طريق أخرى ﴾ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما كان ليلة أسري برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس أتاه جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل حمله جبريل عليها ينتهي خفها حيث ينتهي طرفها ، فلما بلغ بيت المقدس وبلغ المكان الذي يقال له باب محمد أتى إلى الحجر الذي ثمة فغمزه جبريل بأصبعه فثقبه ثم ربطها ثم صعد فلما استويا في صرحة المسجد قال جبريل يامحمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين؟ فقال « نعم » فقال فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن وهن جلوس عن يسار الصخرة » قال فأتيتهن فسلمت عليهن فرددن علي السلام فقلت » من أنتن » فقلن نحن خيرات حسان نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا » وأقاموا فلم يظعنوا ، وخلدوا فلم يموتوا ، قال ثم انصرفت فلم ألبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناس كثير ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة قال فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فأخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدمني فصليت بهم ، فلما انصرفت قال جبريل يامحمد أتدري من صلى خلفك ؟ قال قلت » لا » قال صلى خلفك كل نبي بعثه الله عز وجل ، قال ثم أخذ بيدي جبريل فصعد بي إلى السماء فلما انتهينا إلى الباب استفتح فقالوا من أنت ؟ قال أنا جبريل » قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم » قال ففتحوا » وقالوا مرحبا بك وبمن معك ، قال فلما استوى على ظهرها

وعن يساره أسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك ، واذا نظر قبل شماله بكى ، فقال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح . قلت لجبريل من هذا ؟ قال هذا أبوك آدم وهذه الاسودة التي عن يمينه وشماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا

اذا فيها آدم فقال لي جبريل يامحمد ألا تسلم على أبيك آدم ؟ قال قلت بلى فأتيته فسلمت عليه فرد علي وقال مرحبا بابني الصالح والنبي الصالح ،قال ثم عرج بي الى السماء الثانية فاستفتح فقالوا من أنت؟قال جبريل قالوا ومن معك ؟ قال محمد . قالوا وقد بعث اليه ؟ قال نعم ففتحوا له وقالوا مرحبا بك وبمن معك فاذا فيها عيسى وابن خالته يحيي عليهما السلام . قال ثم عرج بي الى السماء الثالثة فاستفتح . قالوا من أنت ؟ قال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال محمد . قالوا وقد بعث اليه ؟ قال نعم ففتحوا له وقالوا مرحبا بك وبمن معك فاذا فيها يوسف عليه السلام ، ثم عرج بي الى السماء الرابعة فاستفتح قالوا من أنت ؟ قال جبريل . قالوا ومن معك ؟ قال محمد . قالوا وقد بعث اليه قال نعم ، قال ففتحوا وقالوا مرحبا بك وبمن معك فاذا فيها إدريس عليه السلام . قال فعرج بي الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقالوا من أنت قال جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد . قالوا وقد بعث اليه ؟ قال نعم . قال ففتحوا وقالوا مرحبا بك وبمن معك واذا فيها هارون عليه السلام . ثم عرج بي إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقالوا من أنت ، قال جبريل . قالوا ومن معك قال محمد ، قالوا وقد بعث اليه قال نعم . قال ففتحوا وقالوا مرحبا بك وبمن معك واذا فيها موسى عليه السلام ، ثم عرج بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقالوا من أنت قال جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد . قالوا وقد بعث اليه ؟ قال نعم ففتحوا له وقالوا مرحبا بك وبمن معك واذا فيها ابراهيم عليه السلام فقال جبريل يامحمد ألا تسلم على أبيك ابراهيم ؟ قلت بلى فأتيته فسلمت عليه فرد علي السلام وقال مرحبا بابني الصالح والنبي الصالح ، ثم انطلق بي على ظهر السماء السابعة حتى انتهى بي إلى نهر عليه خيام اللؤلؤ والياقوت والزبرجد وعليه طير خضر أنعم طير رأيت ، فقلت ياجبريل ان هذا الطير لناعم قال يامحمد آكله أنعم منه ، ثم قال يامحمد أتدري أي نهر هذا ؟ قال قلت لا ، قال هذا الكوثر الذي أعطاك الله إياه فاذا فيه آنية الذهب والفضة يجري على رضراض من الياقوت والزمرذ ماؤه أشد بياضاً من اللبن . قال فأخذت من آنيته آنية من الذهب فاغترفت من ذلك الماء فشربت فاذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك ثم انطلق بي حتى انتهيت إلى الشجرة فغشيتني سحابة فيها من كل لون فرفضني جبريل وخررت ساجداً لله عز وجل . فقال الله لي: يامحمد اني يوم خلقت السموات والارض افترضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك. قال ثم انجلت عني السحابة فأخذ بيدي جبريل فانصرفت سريعاً فأتيت على ابراهيم فلم يقل لي شيئاً . فأتيت على موسى فقال ماصنعت يامحمد ؟ فقلت فرض ربي علي وعلى أمتي خمسين صلاة قال فلن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك فرجعت سريعاً حتى انتهيت

نظر عن شماله بكى . ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح ، قيل من هـذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك؟ قال محمد ، قيل وقد أرسل اليه؟ قال نعم . قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح ، فلما خلصت اذا بيحيي ابن زكريا وعيسى عليهما السلام وهما ابنا خالة قال هذا يحيي وعيسى فسلم عليهما فسلمت

إلى الشجرة فغشيتني السحابة ورفضنى جبريل وخررت ساجداً وقلت رب انك فرضت علي وعلى أمتي خمسين صلاة ولن أستطيعها أنا ولا أمتي فخفف عنا قال قد وضعت عنكم عشراً قال ثم انجلت عني السحابة وأخذ بيدي جبريل قال فانصرفت سريعاً حتى أتيت على ابراهيم فلم يقل لي شيئاً ثم أتيت على موسى فقال لي ماصنعت يا محمد ؟ فقلت وضع عني ربي عشراً قال فاربعون صلاة لن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع الى ربك فاسأله أن يخفف عنكم . فذكر الحديث كذلك إلى خمس صلوات وخمس بخمسين ثم أمره موسى أن يرجع فيسأله التخفيف فقلت اني قد استحييت منه تعالى. قال ثم انحدر فقال رسول الله ﷺ لجبريل مالي لم آت أهل سماء إلا رحبوا بي وضحكوا لي غير رجل واحد فسلمت عليه فرد علي السلام ورحب بي ولم يضحك لي قال يا محمد ذاك مالك خازن جهنم لم يضحك منذ خلق ولو ضحك الى أحد لضحك اليك »

قال ثم ركب منصرفا فبينا هو في بعض بش تحمل طعاما الطريق مر بعير لقريش فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذى بالعير نفرت منه واستدارت وصرع ذلك البعير وانكسر، ثم انه مضى فأصبح فأخبر عما كان فلما سمع المشركون قوله أتوا أبابكر فقالوا يا أبابكر هل لك في صاحبك ؟ يخبر انه أتى في ليلته هذه مسيرة شهر ورجع في ليلته فقال ابو بكر رضي الله عنه ان كان قاله فقد صدق وانا لنصدقه فيما هو أبعد من هذا لنصدقه على خبر السماء. فقال المشركون لرسول الله ﷺ ماعلامة ماتقول قال مررت بعير لقريش وهي في مكان كذا وكذا فنفرت الابل منا واستدارت وفيها بعير عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فصرع فانكسر فلما قدمت العير سألوهم فأخبروهم الخبر على مثل ماحدثهم رسول الله ﷺ ومن ذلك سمي ابو بكر الصديق وسألوه وقالوا هل كان فيمن حضر معك موسى وعيسى ؟ قال نعم قالوا فصفهم لنا قال « نعم اما موسى فرجل آدم كأنه من رجال ازدعمان، وأما عيسى فرجل ربعة سبط تعلوه حمرة كأنما يتحادر من شعره الجمان » هذا سياق فيه غرائب عجيبة

﴿ رواية أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ﴾ قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا همام قال سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك ان مالك بن صعصعة حدثه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به قال « بينما أنا في الحطيم - وربما قال قتادة في الحجر - مضطجعا اذ أتاني آت فجعل يقول لصاحبه الاوسط بين الثلاثة قال فأتاني فقد - سمعت قتادة يقول فشق - مابين هذه إلى هذه » وقال قتادة فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني قال من ثغرة نحره الى شعرته وقد سمعته يقول من قصته الى شعرته قال فاستخرج قلبي قال فأتيت بطست من ذهب مملوء ايمانا وحكمة فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض . قال فقال الجارود هو البراق يا أباحمزة ؟ قال نعم

فردا علي السلام ثم قالا مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح، قيل من هذا ؟ قال جبريل « قيل ومن معك ؟ قال محمد « قيل وقد أرسل اليه قال نعم « قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت فاذا يوسف واذا هو قد أعطي شطر الحسن قال هذا يوسف فسلم

يقع خطوه عند أقصى طرفه قال فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى أتاني إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد قيل أو قد أرسل اليه؟ قال نعم فقيل مرحبا به ولنعم المجيء جاء قال ففتح لنا فلما خلصت فاذا فيها آدم عليه السلام قال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا فقال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد قيل أوقد أرسل اليه؟ قال نعم قيل مرحبا به ولنعم المجيء جاء قال ففتح لنا فلما خلصت فاذا عيسى ويحيى وهما ابنا الخالة قال هذان يحيى وعيسى فسلم عليهما قال فسلمت فردا السلام ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا؟ قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد قيل أوقد أرسل اليه؟ قال نعم قيل مرحبا به ولنعم المجيء جاء قال ففتح لنا فلما خلصت اذا يوسف عليه السلام قال هذا يوسف قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا؟ قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد قيل أو قد أرسل اليه؟ قال نعم قيل مرحبا به ولنعم المجيء جاء قال ففتح لنا فلما خلصت فاذا ادريس عليه السلام قال هذا ادريس قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ، قال ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أو قد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ولنعم المجيء جاء ففتح لنا فلما خلصت فاذا هارون عليه السلام قال هذا هارون فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ، قال ثم صعد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه؟ قال نعم قيل مرحباً به ولنعم المجيء جاء ففتح لنا فلما خلصت فاذا أنا بموسى عليه السلام قال هذا موسى عليه السلام فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح قال فلما تجاوزته بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممايدخلها من أمتي. قال ثم صعد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به ولنعم المجيء جاء قال ففتح لنا فلما خلصت فاذا ابراهيم عليه السلام فقال هذا ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ، قال ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة فقال هذه سدرة المنتهى قال واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ماهذا ياجبريل؟ قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران

عليه فسلمت عليه فرد علي ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي الى السماء الرابعة فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد أرسل اليه قال نعم ، قيل مرحبا به فنعم المجي جاء ففتح ، فلما خلصت فاذا إدريس ، قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت

فالنيل والفرات قال ثم رفع الي البيت المعمور « قال قتادة وحدثنا الحسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفا ثم لايعودون فيه » ثم رجع الى حديث أنس قال « ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن وإناء من عسل - قال - فأخذت اللبن قال هذه الفطرة أنت عليها وامتك - قال - ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم - قال - فنزلت حتى أتيت موسى فقال مافرض ربك على أمتك ؟ قال فقلت خمسين صلاة كل يوم قال إن امتك لاتستطيع خمسين صلاة وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسئله التخفيف لامتك قال فرجعت فوضع عني عشراً قال فرجعت الى موسى فقال بم امرت ؟ قلت بأربعين صلاة كل يوم قال إن امتك لاتستطيع أربعين صلاة كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك. قال فرجعت فوضع عني عشراً أخر فرجعت الى موسى فقال بم امرت فقلت أمرت بثلاثين صلاة قال إن امتك لاتستطيع ثلاثين صلاة كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال فرجعت فوضع عني عشراً أخر فرجعت الى موسى فقال بم امرت ؟ قلت بعشرين صلاة كل يوم فقال إن امتك لاتستطيع لعشرين صلاة كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال فرجعت فوضع عني عشراً أخر فرجعت الى موسى فقال بم امرت ؟ فقلت امرت بعشر صلوات كل يوم فقال إن امتك لاتستطيع لعشر صلوات كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال فرجعت فامرت بخمس صلوات فرجعت الى موسى فقال بما امرت فقلت امرت بخمس صلوات كل يوم فقال إن امتك لاتستطيع لخمس صلوات كل يوم واني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال قلت قد سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم فنفذت فنادى مناد قد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي » وأخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة بنحوه.

﴿ رواية أنس عن أبي ذر ﴾ قال البخاري حدثنا يحيي ابن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال « فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا فافرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي الى السماء الدنيا فلما جئت الى السماء قال جبريل لخازن السماء افتح قال من هذا قال جبريل

عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل « قيل ومن معك ؟ قال محمد « قيل وقد أرسل اليه قال نعم ، قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فاذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ

قال هل معك أحد قال نعم معي محمد ﷺ فقال أرسل اليه؟ قال نعم فلما فتح علونا السماء الدنيا فاذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى ثم رجع بي الى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال له الاول ففتح قال أنس فذكر أنه وجد في السموات آدم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة فلما مر جبريل والنبي ﷺ بادريس قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح فقلت من هذا؟ قال ادريس ثم مر بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح فقلت من هذا قال هذا موسى ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قلت من هذا؟ قال هذا عيسى ثم مررت بابراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت من هذا قال هذا ابراهيم. قال الزهري فاخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الانصاري كانا يقولان قال النبي ﷺ «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله ﷺ «ففرض الله على امتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى عليه السلام فقال مافرض الله على امتك قلت فرض خمسين صلاة قال فارجع الى ربك فان امتك لا تطيق فرجعت فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت الى موسى فقال ارجع الى ربك قلت قد استحييت من ربي» ثم انطلق بي حتى انتهى الى سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ماهي ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جبال اللؤلؤ واذا ترابها المسك وهذا لفظ البخاري في كتاب الصلاة ورواه في ذكر بني اسرائيل وفي الحج وفي أحاديث الانبياء من طرق أخرى عن يونس به» ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الايمان عن حرملة عن يونس به نحوه

وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا همام عن قتادة عن عبدالله بن شقيق قال قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته قال وما كنت تسأله قال كنت أسأله هل رأى ربه فقال إني قد سألته فقال «قد رأيته نوراً انى أراه» هكذا قد وقع في رواية الامام احمد وأخرجه مسلم في صحيحه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن يزيد بن ابراهيم عن قتادة عن عبدالله بن شقيق عن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك قال «نور أنى أراه»، وعن محمد بن بشار عن معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن عبدالله بن شقيق قال قلت لابي ذر لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته

الصالح والنبي الصالح» ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح «قيل من هذا؟ قال جبريل» قيل ومن معك؟ قال محمد «قيل وقد أرسل اليه قال نعم، قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح» فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ

فقال عن أي شيء كنت تسأله « قال كنت أسأله هل رأيت ربك قال ابو ذر قد سألت فقال رأيت نوراً

﴿رواية أنس عن أبي بن كعب الانصاري رضي الله عنه﴾ قال عبدالله بن الامام احمد حدثنا محمد ابن إسحاق بن محمد بن المثنى حدثنا أنس بن عياض حدثنا يونس بن يزيد قال قال ابن شهاب قال أنس بن مالك كان أبي بن كعب يحدث ان رسول الله ﷺ قال « فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فلما جاء السماء الدنيا اذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة فاذا نظر قبل يمينه تبسم واذا نظر قبل يساره بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت لجبريل من هذا « قال هذا آدم وهذه الاسودة التي عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل يمينه هم أهل الجنة والاسودة التي عن شماله هم أهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى « قال ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ماقال خازن السماء الدنيا ففتح له ، قال أنس فذكر أنه وجد في السموات آدم وادريس وموسى وابراهيم وعيسى ولم يثبت لي كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم عليه السلام في السماء الدنيا « وابراهيم في السماء السادسة ، قال أنس فلما مر جبريل عليه السلام ورسول الله ﷺ بادريس قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح ، قال قلت من هذا ياجبريل قال هذا ادريس ، قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح فقلت من هذا قال هذا موسى ، ثم مررت بعيسى فقال مرحباً بالنبي الصالح والاخ الصالح « قلت من هذا قال هذا عيسى بن مريم ، قال ثم مررت بابراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت من هذا قال هذا ابراهيم »

قال ابن شهاب وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الانصاري كانا يقولان قال رسول الله ﷺ « ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع صريف الاقلام « قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله ﷺ « فرض الله على أمتي خمسين صلاة قال فرجعت بذلك حتى أمر على موسى فقال موسى ماذا فرض ربك على أمتك قلت فرض عليهم خمسين صلاة « فقال لي موسى راجع ربك فان أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فوضع شطرها فرجعت الى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فان أمتك لا تطيق ذلك فراجعت فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي ، قال فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي ، قال ثم انطلق بي حتى أتى سدرة المنتهى قال فغشيها ألوان ما أدري ماهي قال ثم دخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك » هكذا

الصالح « قال فلما جاوزته بكى ، قيل مايبكيك ؟ قال أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي ، ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل « قيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك « قال محمد ، قيل وقد أرسل اليه قال نعم ، قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء «

رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه وليس هو في شيء من الكتب الستة ، وقد تقدم في الصحيحين من طريق يونس عن الزهري عن أنس عن أبي ذر مثل هذا السياق سواء فالله أعلم

﴿ رواية بريدة بن الحصيب الاسلمي ﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عبد الرحمن بن المتوكل ويعقوب بن ابراهيم واللفظ له قالا : حدثنا أبو نميلة حدثنا الزبير بن جنادة عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « لما كان ليلة أسري بي ـ قال ـ فأتى جبريل الصخرة التي ببيت المقدس قال فوضع أصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق » ثم قال البزار لانعلم رواه عن الزبير بن جنادة إلا أبو نميلة ولا نعلم هذا الحديث الا عن بريدة وقد رواه الترمذي في التفسير من جامعه عن يعقوب بن ابراهيم الدورقي به وقال غريب

﴿ رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه ﴾ قال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب قال : قال أبو سلمة سمعت جابر بن عبدالله يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « لما كذبني قريش حين أسري بي الى بيت المقدس قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه » أخرجاه في الصحيحين من طرق عن حديث الزهري به ، وقال البيهقي حدثنا أحمد بن الحسين القاضي حدثنا أبو العباس الاصم ثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا أبي عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال سمعت سعيد بن المسيب يقول : ان رسول الله ﷺ حين انتهى إلى بيت المقدس لقي فيه ابراهيم وموسى وعيسى وإنه أتي بقدحين قدح من لبن وقدح من خمر فنظر اليهما ثم أخذ قدح اللبن فقال جبريل هديت للفطرة لو أخذت الخمر لغوت أمتك ثم رجع رسول الله ﷺ الى مكة فأخبر أنه أسري به فافتتن ناس كثير كانوا قد صلوا معه . قال ابن شهاب قال أبو سلمة بن عبد الرحمن فتجهز أو كلمة نحوها ناس من قريش الى أبي بكر فقالوا هل لك في صاحبك يزعم أنه جاء إلى بيت المقدس ثم رجع الى مكة في ليلة واحدة ، فقال أبو بكر أوقال ذلك ؟ قالوا نعم » قال فأنا أشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا فتصدقه في أن يأتي الشام في ليلة واحدة ثم يرجع الى مكة قبل أن يصبح » قال نعم أنا أصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء . قال أبو سلمة فبها سمي أبو بكر الصديق

قال أبو سلمة فسمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « لما كذبني قريش حين اسري بي الى بيت المقدس قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه »

فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح فرفع لي البيت المعمور » فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا لم يعودوا اليه آخر ما عليهم » وقال ثابت عن أنس فاذا أنا بابراهيم

﴿ رواية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ﴾ قال الامام أحمد ثنا أبو النضر ثنا شيبان عن عاصم عن زر بن حبيش قال أتيت على حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وهو يحدث عن ليلة اسري بمحمد ﷺ وهو يقول : فانطلقا حتى أتيا بيت المقدس قال قلت بل دخله رسول الله ﷺ ليلتئذ وصلى فيه قال ما اسمك يا أصلع؟ فأنا أعرف وجهك ولا ادري ما اسمك قال قلت أنا زر بن حبيش قال فما علمت بأن رسول الله ﷺ صلى فيه ليلتئذ قال قلت القرآن يخبرني بذلك قال من تكلم بالقرآن فلج اقرأ قال فقلت (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) قال يا أصلع هل تجد صلى فيه ؟ قلت لا قال والله ما صلى فيه رسول الله ﷺ ليلتئذ ولو صلى فيه لكتب عليكم صلاة فيه كما كتب عليكم صلاة في البيت العتيق والله ما زايلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء فرأيا الجنة والنار ووعد الآخرة أجمع ثم عادا عودهما على بدئهما قال ثم ضحك حتى رأيت نواجذه . قال وتحدثوني أنه ربطه لا يفر منه وإنما سخره له عالم الغيب والشهادة قلت أبا عبد الله أي دابة البراق؟ قال دابة أبيض طويل هكذا خطوه مد البصر . ورواه أبو داود الطيالسي عن حماد بن سلمة عن عاصم به ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من حديث عاصم وهو ابن أبي النجود به وقال الترمذي حسن وهذا الذي قاله حذيفة رضي الله عنه نفي ما أثبته غيره عن رسول الله ﷺ من ربط الدابة بالحلقة ومن الصلاة ببيت المقدس مما سبق وما سبق مقدم على قوله والله أعلم بالصواب

﴿ رواية أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري ﴾ قال الحافظ ابو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة حدثنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ حدثنا ابو العباس محمد بن يعقوب حدثنا ابو بكر يحيى بن أبي طالب حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا ابو محمد راشد الحماني عن أبي هارون العبدي [1] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال له أصحابه يا رسول الله أخبرنا عن ليلة أسري بك فيها قال قال الله عز وجل (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) الآية قال فأخبرهم قال « فبينما أنا نائم عشاء في المسجد الحرام إذ أتاني آت فأيقظني فاستيقظت فلم أر شيئاً فاذا أنا بكهيئة خيال فاتبعته بصري حتى خرجت من المسجد الحرام فاذا أنا بدابة أدنى شبهها بدوابكم هذه بغالكم هذه غير أنه مضطرب الاذنين يقال له البراق وكانت الانبياء تركبه قبلي يقع حافره عنـد مد بصره فركبته فبينما أنا أسير عليه اذ دعاني داع عن يميني يا محمد انظرني أسألك يا محمد انظرني أسألك يا محمد انظرني أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه ، فبينما أنا أسير عليه اذ دعاني داع عن يساري يا محمد انظرني أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه ، فبينما أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله فقالت يا محمد انظرني أسألك فلم ألتفت اليها ولم أقم عليها حتى

(١) هو ضعيف وقيل كذاب

مسند ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا أوراقها مثل آذان الفيلة قال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ، في أصلها أربعة أنهار نهران

أتيت بيت المقدس فأوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الانبياء توثقها بها ثم أتاني جبريل عليه السلام باناءين أحدهما خمر والآخر لبن فشربت اللبن وأبيت الخمر فقال جبريل أصبت الفطرة أما انك لو أخذت الخمر غوت امتك فقلت الله أكبر الله أكبر فقال جبريل ما رأيت في وجهك هذا ؟ قال فقلت بينما أنا أسير اذ دعاني داع عن يميني يا محمد انظرني أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه قال ذاك داعي اليهود أما انك لو أجبته أو وقفت عليه لتهودت أمتك . قلت فبينما أنا أسير إذ دعاني داع عن يساري قال يا محمد انظرني أسألك فلم ألتفت ولم أقم عليه قال ذاك داعي النصارى أما إنك لو أجبته لتنصرت أمتك. قال فبينما أنا أسير اذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها عليها من كل زينة خلقها الله تقول يا محمد انظرني أسألك فلم أجبها ولم أقم عليها قال تلك الدنيا أما انك لو أجبتها او أقمت عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة. قال ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين ثم أتيت بالمعراج الذي كانت تعرج عليه أرواح الانبياء فلم ير الخلائق أحسن من المعراج أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحا الى السماء فانما يشق بصره طامحا إلى السماء عجبه بالمعراج قال فصعدت أنا وجبريل فاذا أنا بملك يقال له اسماعيل وهو صاحب السماء الدنيا وبين يديه سبعون الف ملك مع كل ملك جنوده مائة الف ملك قال قال الله عز وجل (وما يعلم جنود ربك إلا هو)قال فاستفتح جبريل باب السماء قيل من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل أو قد بعث اليه ؟ قال نعم فاذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه الله عز وجل على صورته فاذا هو تعرض عليه أرواح ذريته من المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين ثم مضيت هنيهة فاذا أنا بأخونة عليها لحم مشرح ليس يقربها أحد واذا أنا باخونة أخرى عليها لحم قد أروح وأنتن عندها أناس يأكلون منها قلت ياجبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء من أمتك يأتون الحرام ويتركون الحلال . قال ثم مضيت هنيهة فاذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الابل قال فتفتح أفواههم فيلقمون من ذلك الجمر ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون إلى الله عز وجل فقلت من هؤلاء ياجبريل ؟ قال هؤلاء من أمتك (الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا) قال ثم مضيت هنيهة فاذا أنا بنساء تعلقن بثديهن فسمعتهن يضججن إلى الله عز وجل قلت ياجبريل من هؤلاء النساء ؟ قال هؤلاء الزناة[1] من أمتك. قال ثم مضيت هنيهة فاذا أنا باقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر فيقول اللهم لا تقم الساعة قال وهم على سابلة آل فرعون قال فتجيء السابلة فتطؤهم قال فسمعتهم يضجون إلى الله قال قلت ياجبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم

[1] الزناة جمع زان فهو للمذكر ، وفي الخصائص ، اللاتي يزنين ويقتلن أولادهن

باطنان ونهران ظاهران فقلت ماهذان ياجبريل ؟ فقال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات. وأوحى إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال مافرض ربك على أمتك ؟ قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك

الذي يتخبطه الشيطان من المس قال ثم مضيت هنيهة فاذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه فيقال له كل كما كنت تأكل من لحم أخيك قلت ياجبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون قال ثم صعدنا إلى السماء الثانية فاذا أنا برجل أحسن ماخلق الله عز وجل قد فضل الناس في الحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب قلت ياجبريل من هذا ؟ قال هذا أخوك يوسف ومعه نفر من قومه فسلمت عليه فرد علي ، ثم صعدنا إلى السماء الثالثة واستفتح فاذا أنا بيحيى وعيسى عليهما السلام ومعهما نفر من قومهما فسلمت عليهما وسلما علي ثم صعدنا إلى السماء الرابعة فاذا أنا بادريس قد رفعه الله مكانا عليا فسلمت عليه فسلم علي، قال ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فاذا أنا بهارون ونصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء تكاد لحيته تصيب سرته من طولها قلت ياجبريل من هذا ؟ قال هذا المحبب في قومه هذا هارون بن عمران ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي ، ثم صعدت إلى السماء السادسة فاذا أنا بموسى بن عمران رجل آدم كثير الشعر لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دون القميص فاذا هو يقول يزعم الناس اني أكرم على الله من هذا بل هذا أكرم على الله مني قال قلت ياجبريل من هذا ؟ قال هذا أخوك موسى بن عمران عليه السلام ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي ، ثم صعدت إلى السماء السابعة فاذا أنا بأبينا ابراهيم خليل الرحمن ساند ظهره إلى البيت المعمور كأحسن الرجال قلت ياجبريل من هذا ؟ قال هذا أبوك ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام ومعه نفر من قومه فسلمت عليه فسلم علي وإذا أنا بأمتي شطرين شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس وشطر عليهم ثياب رمد قال فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرمد وهم على خير فصليت أنا ومن معي في البيت المعمور ثم خرجت أنا ومن معي . قال والبيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه إلى يوم القيامة قال ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فاذا كل ورقة منها تكاد تغطي هذه الامة ، واذا فيها عين تجري يقال لها سلسبيل فينشق منها نهران (أحدهما) الكوثر (والآخر) يقال له نهر الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لي ماتقدم من ذنبي وما تأخر ثم اني رفعت الى الجنة فاستقبلتني جارية فقلت لمن أنت ياجارية قالت لزيد بن حارثة واذا بأنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، واذا رمانها كالدلاء عظما واذا أنا بطيرها كانه بختيكم هذه فقال عندها ﷺ ان الله تعالى قد أعد لعباده الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . قال ثم عرضت علي النار فاذا فيها غضب الله وزجره ونقمته ولو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها ثم أغلقت دوني ثم اني رفعت إلى سدرة

لا تطيق ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يارب خفف على أمتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال إن امتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل ارجع بين ربي وبين موسى حتى قال الله تعالى يامحمد إنهن خمس صلوات

المنتهى فتغشاني فكان بيني وبينه قاب قوسين او أدنى . قال وينزل على كل ورقة منها ملك من الملائكة قال وفرضت علي خمسون صلاة ، وقال لك بكل حسنة عشر فاذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتبت لك حسنة فاذا عملتها كتبت لك عشراً ، وإذا هممت بالسيئة فلم تعملها لم يكتب عليك شيء فان عملتها كتبت عليك سيئة واحدة ثم رجعت إلى موسى فقال بم أمرك ربك ؟ فقلت بخمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فان أمتك لاتطيق ذلك ، ومتى لاتطيقه تكفر . فرجعت الى ربي فقلت يارب خفف عن أمتي فانها أضعف الامم فوضع عني عشراً وجعلها أربعين فمازلت أختلف بين موسى وربي كلما أتيت عليه قال لي مثل مقالته حتى رجعت اليه فقال لي بم أمرت فقلت أمرت بعشر صلوات قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت الى ربي فقلت أي رب خفف عن أمتي فانها أضعف الامم فوضع عني خمساً وجعلها خمساً فناداني ملك عندها تمت : فريضتي وخففت عن عبادي وأعطيتهم بكل حسنة عشر أمثالها ثم رجعت الى موسى فقال بم أمرت ؟ فقلت بخمس صلوات قال ارجع الى ربك فانه لايؤوده شيء فاسأله التخفيف لامتك فقلت رجعت الى ربي حتى استحييت » ثم أصبح بمكة يخبرهم بالاعاجيب« اني أتيت البارحة بيت المقدس وعرج بي الى السماء ورأيت كذا وكذا فقال ابو جهل يعني ابن هشام الا تعجبون مما قال محمد ؟ يزعم انه أتى البارحة بيت المقدس ثم اصبح فينا وأحدنا يضرب مطيته مصعدة شهراً ومقفلة شهراً فهذه مسيرة شهرين في ليلة واحدة قال فاخبرتهم بعير لقريش لما كنت في مصعدي رأيتها في مكان كذا وكذا وانها نفرت فلما رجعت وجدتها عند العقبة وأخبرهم بكل رجل وبعيره كذا وكذا ومتاعه كذا وكذا فقال ابوجهل يخبرنا بأشياء فقال رجل منهم أنا أعلم الناس ببيت المقدس وكيف بناؤه وهيئته وكيف قربه من الجبل فان يكن محمد صادقا فسأخبركم وان يك كذابا فسأخبركم فجاء ذلك المشرك فقال يامحمد أنا أعلم الناس ببيت المقدس فاخبرني كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل قال فرفع لرسول الله ﷺ بيت المقدس من مقعده فنظر اليه كنظر أحدنا الى بيته قال بناؤه كذا وكذا وهيئته كذا وكذا وقربه من الجبل كذا وكذا فقال الآخر صدقت فرجع اليهم فقال صدق محمد فيما قال أو نحواً من هذا الكلام

وكذا رواه الامام أبو جعفر بن جرير بطوله عن محمد بن عبد الاعلى عن محمد بن ثور عن معمر عن أبي هارون العبدي ، وعن الحسن بن يحيي عن عبد الرزاق عن معمر عن أبي هارون العبدي به ، ورواه أيضاً من حديث ابن اسحاق حدثني روح بن القاسم عن أبي هارون به نحو سياقه المتقدم ، ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أحمد بن عبدة عن أبي عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد عن أبي

كل يوم وليلة لكل صلاة عشر هي خمس وهي خمسون لايبدل القول لدي ، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشراً ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة . قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك

هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري فذكره بسياق طويل حسن أنيق أجود مما ساقه غيره على غرابته وما فيه من النكارة ، ثم ذكره البيهقي أيضاً من رواية روح بن قيس الحدائي وهشيم ومعمر عن أبي هارون العبدي واسمه عمارة بن جوين وهو مضعف عند الائمة ، وانما سقنا حديثه ههنا لما فيه من الشواهد لغيره « ولما رواه البيهقي أخبرنا أبو عثمان علي بن عبد الرحمن أنبأنا أبو نعيم أحمد بن محمد بن ابراهيم البزار حدثنا أبو حامد بن بلال حدثنا أبو الازهر ثنا يزيد بن أبي حكيم قال : رأيت في النوم رسول الله ﷺ قلت يارسول الله رجل من أمتك يقال له سفيان الثوري لا بأس به ، فقال رسول الله ﷺ «لا بأس به» حدثنا عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري عنك يارسول الله ليلة أسري بك قلت رأيت في السماء فحدثته بالحديث فقال لي « نعم » فقلت له يارسول الله ان ناسا من أمتك يحدثون عنك في السرى بعجائب » فقال لي « ذاك حديث القصاص »

﴿ رواية شداد بن أوس ﴾ قال الامام أبو اسماعيل محمد بن اسماعيل الترمذي حدثنا اسحاق بن ابراهيم بن العلاء بن الضحاك الزبيدي حدثنا عمرو بن الحارث عن عبدالله بن سالم الاشعري عن محمد ابن الوليد بن عامر الزبيدي حدثنا أبو الوليد بن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثنا شداد بن أوس قال : قلنا يارسول الله كيف أسري بك » قال « صليت بأصحابي صلاة العتمة بمكة معتماً فأتاني جبريل عليه السلام بدابة أبيض أو قال بيضاء فوق الحمار ودون البغل فقال اركب فاستصعب علي فدارها باذنها ثم حملني عليها فانطلقت تهوي بنا يقع حافرها حيث انتهى طرفها حتى بلغنا أرضاً ذات نخل فأنزلني فقال صل فصليت ثم ركبت فقال أتدري أين صليت؟ قلت الله أعلم ، قال صليت بيثرب صليت بطيبة فانطلقت تهوي بنا يقع حافرها عند منتهى طرفها ثم بلغنا أرضاً قال انزل ثم قال صل فصليت ثم ركبنا فقال أتدري أين صليت؟ قلت الله أعلم ، قال صليت بمدين عند شجرة موسى ، ثم انطلقت تهوي بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ثم بلغنا أرضا بدت لنا قصور فقال انزل فنزلت فقال صل فصليت ثم ركبنا فقال أتدري أين صليت ؟ قلت الله أعلم « قال صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى المسيح بن مريم ثم انطلق بي حتى دخلنا المدينة من بابها اليماني فأتى قبلة المسجد فربط فيه دابته ودخلنا المسجد من باب تميل فيه الشمس والقمر فصليت من المسجد حيث شاء الله وأخذني من العطش أشد ما أخذني فأتيت باناءين في أحدهما لبن وفي الآخر عسل أرسل إلي بهما جميعاً فعدلت بينهما ثم هداني الله عز وجل فأخذت اللبن فشربت حتى عرقت به جبيني وبين يدي شيخ متكيء على مثواة له فقال أخذ صاحبك الفطرة انه ليهدى، ثم انطلق بي حتى أتينا الوادي الذي فيه المدينة فاذا جهنم تنكشف عن مثل الروابي[1] قلت يارسول الله

[1] وفي الازهرية الزرابي ومثلها في الخصائص

فقلت سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم. قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ثم أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك قال ابن شهاب فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا دجانة الانصاري كانا يقولان قال النبي ﷺ « ثم عرج بي حتى ظهرت

كيف وجدتها ؟ قال وجدتها مثل الحمة السخنة ثم انصرف بي فمررنا بعير لقريش بمكان كذا وكذا قد أضلوا بعيراً لهم قد جمعه فلان فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة فأتاني أبو بكر رضي الله عنه فقال يارسول الله أين كنت الليلة فقد التمستك في منامك ، فقال علمت أني أتيت بيت المقدس الليلة ، فقال يارسول الله انه مسيرة شهر فصفه لي ، قال ففتح لي صراط كأني أنظر اليه لايسألني عن شيء الا أنبأته به ، فقال أبو بكر أشهد أنك لرسول الله ، وقال المشركون انظروا إلى ابن أبي كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة ، قال فقال ان من آية ماأقول لكم اني مررت بعير لكم في مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيراً لهم فجمعه لهم فلان وإن مسيرهم ينزلون بكذا ثم بكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حين كان قريبا من نصف النهار حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله ﷺ . هكذا رواه البيهقي من طريقين عن أبي اسماعيل الترمذي به ثم قال بعد تمامه هذا اسناد صحيح ، وروي ذلك مفرقا من أحاديث غيره ونحن نذكر ان شاء الله ماحضرنا ثم ساق أحاديث كثيرة في الاسراء كالشاهد لهذا الحديث ، وقد روي هذا الحديث عن شداد بن أوس بطوله الامام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن اسحاق بن ابراهيم بن العلاء الزبيدي به ، ولا شك أن هذا الحديث أعني الحديث المروي عن شداد بن أوس مشتمل على أشياء منها ماهو صحيح كما ذكره البيهقي ومنها ماهو منكر كالصلاة في بيت لحم ، وسؤال الصديق عن نعت بيت المقدس وغير ذلك والله أعلم

﴿ رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن قابوس عن أبيه قال حدثنا ابن عباس قال : ليلة أسري برسول الله ﷺ دخل الجنة فسمع في جانبها وخشا[1] فقال ياجبريل ماهذا؟ قال هذا بلال المؤذن فقال النبي ﷺ حين جاء إلى الناس «قد أفلح بلال رأيت له كذا وكذا» قال فلقيه موسى عليه السلام فرحب به وقال مرحبا بالنبي الامي قال وهو رجل آدم طويل سبط شعره مع أذنيه أو فوقها فقال من هذا ياجبريل ؟ قال هذا موسى ، قال فمضى فلقيه شيخ جليل متهيب فرحب به وسلم عليه وكلهم يسلم عليه ، قال من هذا ياجبريل قال هذا أبوك ابراهيم ، قال ونظر في النار فاذا قوم يأكلون الجيف قال من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ورأى رجلا أحمر أزرق جداً قال من هذا ياجبريل ؟ قال هذا عاقر الناقة ، قال فلما أتى رسول الله ﷺ المسجد الاقصى قام يصلي فاذا النبيون أجمعون يصلون معه ، فلما انصرف جيء بقدحين أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال في أحدهما لبن وفي الآخر عسل فأخذ اللبن فشرب

(١) في النسخ كلها: وهو تصحيف والوجس بالجيم والسين المهملة الصوت الخفي

لمستوى أسمع فيه صريف الاقلام » قال ابن حزم وأنس قال النبي ﷺ « ففرض الله على امتي خمسين صلاة » وروى معمر عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ أتي بالبراق ليلة أسري به ملجما

منه فقال الذي كان معه القدح أصبت الفطرة » اسناد صحيح ولم يخرجوه

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ثابت أبو زيد حدثنا هلال حدثني عكرمة عن ابن عباس قال : أسري برسول الله ﷺ الى بيت المقدس ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره وبعلامة بيت المقدس وبعيرهم فقال ناس نحن لا نصدق محمداً بما يقول فارتدوا كفاراً فضرب الله رقابهم مع أبي جهل، وقال أبو جهل يخوفنا محمد بشجرة الزقوم هاتوا تمراً وزبداً فتزقموا ، ورأى الدجال في صورته رؤيا عين ليس برؤيا منام وعيسى وموسى وابراهيم » وسئل النبي ﷺ عن الدجال فقال « رأيته فيلمانيا أقمر هجار ، احدى عينيه قائمة كأنها كوكب دري كأن شعر رأسه أغصان شجرة » ورأيت عيسى عليه السلام أبيض جعد الرأس حديد البصر ، ومبطن الخلق ، ورأيت موسى عليه السلام أسحم آدم كثير الشعر شديد الخلق ، ونظرت الى ابراهيم عليه السلام فلم أنظر الى أرب منه إلا نظرت اليه مني حتى كأنه صاحبكم » قال جبريل سلم على أبيك فسلمت عليه » ورواه النسائي من حديث أبي يزيد ثابت بن زيد عن هلال وهو ابن حبان به وهو اسناد صحيح

﴿ طريق أخرى ﴾ قال البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو بكر الشافعي أنبأنا اسحاق ابن الحسن حدثنا الحسين بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة عن أبي العالية قال حدثنا ابن عم نبيكم ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « رأيت ليلة اسري بي موسى بن عمران رجلا طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة » ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الرأس » وأري مالكا خازن جهنم والدجال في آيات أراهن الله إياه قال (فلا تكن في مرية من لقائه) فكان قتادة يفسرها أن نبي الله ﷺ قد لقي موسى عليه السلام (وجعلناه هدى لبني اسرائيل) قال جعل الله موسى هدى لبني اسرائيل . رواه مسلم في الصحيح عن عبد بن حميد عن يونس بن محمد عن شيبان واخرجاه من حديث شعبة عن قتادة مختصراً

﴿ طريق اخرى ﴾ وقال البيهقي أخبرنا علي بن أحمد بن عبد الله أنا أحمد بن عبيد الستار ثنا ديبس المعدل ثنا عفان قال ثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لما أسري بي مرت بي رائحة طيبة فقلت ماهذه الرائحة ؟ قال ماشطة بنت فرعون وأولادها سقط المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت بنت فرعون أبي قالت ربي وربك ورب أبيك قالت أولك رب غير أبي ؟ قالت نعم ربي وربك ورب أبيك الله . قال فدعاها فقال ألك رب غيري ؟ قالت نعم ربي وربك الله عز وجل . قال فأمر ببقرة من نحاس فاحميت ثم أمر

مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا ؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه ، فارفض عرقا . وقال ابن بريدة عن أبيه قال : قال النبي ﷺ « لما انتهينا الى بيت المقدس قال جبريل باصبعه فخرق بها الحجر وشد به البراق » أنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا

بها أن تلقى فيها قالت إن لي اليك حاجة قال ماهي ؟ قالت تجمع عظامي وعظام ولدي في موضع قال ذاك لك لما لك علينا من الحق قال فأمر بهم فالقوا واحداً واحداً حتى بلغ رضيعا فيهم فقال يا أمه قعي ولا تقاعسي فانت على الحق. قال وتكلم أربعة في المهد وهم صغار هذا وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليه السلام. اسناد لا بأس به ولم يخرجوه.

﴿طريق اخرى﴾ قال الامام أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر وروح بن المعين قالا حدثنا عوف عن زرارة ابن أوفى عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ « لما كان ليلة أسري بي فاصبحت بمكة فظعت وعرفت أن الناس مكذبي فقعدت معتزلا حزينا فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس اليه فقال له كالمستهزيء هل كان من شيء » فقال له رسول الله ﷺ « نعم » قال وما هو ؟ قال « اني أسري بى الليلة » قال إلى أين ؟ قال « إلى بيت المقدس » قال ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال « نعم » قال فلم ير أن يكذبه مخافة أن يجحد الحديث إن دعا قومه اليه » فقال أرأيت إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني فقال رسول الله ﷺ « نعم » فقال يا معشر بني كعب بن لؤي قال فانفضت اليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله ﷺ « انى أسري بى الليلة » فقالوا إلى أين ؟ قال « إلى بيت المقدس » قالوا ثم أصبحت بين ظهرانينا قال « نعم » قال فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا للكذب ، قالوا وتستطيع أن تنعت لنا المسجد وفيهم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد ، فقال رسول الله ﷺ « فما زلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت قال فجيء بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع دون دار عقيل أو عقال فنعته وأنا أنظر اليه قال وكان مع هذا نعت لم أحفظه قال فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب فيه. وأخرجه النسائي من حديث عوف بن أبي جميلة وهو الاعرابي به ، ورواه البيهقي من حديث النضر بن شميل وهوذة عن عوف وهو ابن أبي جميلة الاعرابي أحد الائمة الثقات

﴿رواية عبدالله بن مسعود رضي الله عنه﴾ قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبدالله الحافظ حدثنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب حدثنا السري بن خزيمة حدثنا يوسف بن بهلول حدثنا عبدالله بن نمير عن مالك بن مغول عن الزبير بن عدي عن طلحة بن مصرف عن مرة الهمداني عن عبدالله بن مسعود قال: لما أسري برسول الله ﷺ فانتهى إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة واليها ينتهي مايصعد به حتى يقبض منها واليها ينتهي مايهبط من فوقها حتى يقبض (إذ يغشى السدرة مايغشى) قال غشيها فراش من ذهب وأعطي رسول الله ﷺ الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا

محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل حدثني محمود ثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « ليلة أسري بي لقيت موسى قال فنعته فاذ هو رجل - حسبته قال - مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة قال ولقيت عيسى فنعته النبي ﷺ فقال ربعة

المقحمات يعني الكبائر . ورواه مسلم في صحيحه عن محمد بن عبد الله بن نمير وزهير بن حرب كلاهما عن عبد الله بن نمير به ، ثم قال البيهقي وهذا الذي ذكره عبد الله بن مسعود طرف من حديث المعراج ، وقد رواه أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ ثم عن أبي ذر عن النبي ﷺ ثم رواه مرة مرسلا من دون ذكرهما ثم إن البيهقي ساق الاحاديث الثلاثة كما تقدم

قلت وقد روي عن ابن مسعود بأبسط من هذا وفيه غرابة وذلك فيما رواه الحسن بن عرفة في جزئه المشهور : حدثنا مروان بن معاوية عن قتادة بن عبد الله التيمي حدثنا أبو ظبيان الجنبي قال : كنا جلوساً عند أبي عبيدة بن عبد الله يعني ابن مسعود ومحمد بن سعد بن أبي وقاص وهما جالسان فقال محمد بن سعد لأبي عبيدة حدثنا عن أبيك ليلة أسري بمحمد ﷺ فقال أبو عبيدة لا بل حدثنا أنت عن أبيك فقال محمد لو سألتني قبل أن أسألك لفعلت ، قال فأنشأ أبو عبيدة يحدث يعني عن أبيه كما سئل قال: قال رسول الله ﷺ «أتاني جبريل عليه السلام بدابة فوق الحمار ودون البغل فحملني عليه ثم انطلق يهوي بنا كلما صعد عقبة استوت رجلاه كذلك مع يديه واذا هبط استوت يداه مع رجليه حتى مررنا برجل طوال سبط آدم كأنه من رجال أزدشنوءة فيرفع صوته يقول أكرمته وفضلته قال فدفعنا اليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال من هذا معك يا جبريل ؟ قال هذا أحمد ، قال مرحبا بالنبي الامي العربي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته ، قال ثم اندفعنا فقلت من هذا يا جبريل ؟ قال هذا موسى بن عمران قال قلت ومن يعاتب قال يعاتب ربه فيك ، قلت ويرفع صوته على ربه قال إن الله قد عرف له حدته . قال ثم اندفعنا حتى مررنا بشجرة كأن ثمرها السرج تحتها شيخ وعياله قال فقال لي جبريل اعمد إلى أبيك ابراهيم فدفعنا اليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال ابراهيم من هذا معك يا جبريل ؟ قال هذا ابنك أحمد قال فقال مرحبا بالنبي الامي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لامته يا بني إنك لاق ربك الليلة وان أمتك آخر الامم وأضعفها فان استطعت أن تكون حاجتك أو جلها في امتك فافعل . قال ثم اندفعنا حتى انتهينا الى المسجد الاقصى فنزلت فربطت الدابة في الحلقة التي في باب المسجد التي كانت الانبياء تربط بها ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد قال ثم أتيت بكأسين من عسل ولبن فأخذت اللبن فشربت فضرب جبريل عليه السلام منكبي وقال أصبت الفطرة ورب محمد قال ثم أقيمت الصلاة فأممتهم ثم انصرفنا فأقبلنا » اسناد غريب ولم يخرجوه ، فيه من الغرائب سؤال الانبياء عنه عليه السلام ابتداء ثم سؤاله عنهم بعد انصرافه والمشهور في الصحاح كما تقدم أن جبريل كان يعلمه بهم أولا ليسلم عليهم سلام معرفة ، وفيه أنه اجتمع بالانبياء عليهم السلام قبل دخوله المسجد

أحمر كأنما خرج من ديماس يعني الحمام ورأيت ابراهيم وأنا أشبه ولده به قال وأتيت باناءين أحدهما لبن والآخر فيه خمر فقيل لي خذ أيهما شئت فأخذت اللبن فشربته فقيل لي هديت الفطرة أو أصبت الفطرة أما انك لو أخذت الخمر لغوت امتك . أنا عبد الواحد المليحي حدثنا أحمد بن عبد الله النعيمي

الاقصى ، والصحيح أنه إنما اجتمع بهم في السموات ثم نزل الى بيت المقدس ثانيا وهم معه وصلى بهم فيه ثم انه ركب البراق وكر راجعا الى مكة والله أعلم

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الامام أحمد حدثنا هشيم حدثنا العوام عن جبلة بن سحيم عن مرثد بن جنادة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال « لقيت ليلة أسري بي ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا أمر الساعة قال فردوا أمرهم الى ابراهيم عليه السلام فقال لاعلم لي بها فردوا أمرهم الى موسى فقال لاعلم لي بها فردوا أمرهم الى عيسى فقال أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله عز وجل وفيما عهد الي ربي أن الدجال خارج قال ومعي قضيبان فاذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله اذا رآني حتى إن الحجر والشجر يقول يامسلم إن تحتي كافراً فتعال فاقتله قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس الى بلادهم وأوطانهم قال فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطؤون بلادهم فلا يأتون على شيء إلا اهلكوه ولا يمرون على ماء إلا شربوه قال ثم يرجع الناس إلي فيشكونهم فادعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوي الارض من نتن ريحهم أي تنتن قال فينزل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر ففيما عهد الى ربي أن ذلك اذا كان كذلك ان الساعة كالحامل المتم لايدري أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلا أو نهاراً » وأخرجه ابن ماجه عن بندار عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب رواية عبد الرحمن بن قرط أخي عبد الله بن قرط الثمالي قال سعيد بن منصور حدثنا مسكين بن ميمون مؤذن مسجد الرملة حدثني عروة بن رويم عن عبد الرحمن ابن قرط أن رسول الله ﷺ ليلة اسري به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى من بين زمزم والمقام جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطارا به حتى بلغ السموات العلى فلما رجع قال سمعت تسبيحا في السموات العلى مع تسبيح كثير سبحت السموات العلى من ذي المهابة مشفقات من ذي العلو بما علا سبحان العلي الاعلى سبحانه وتعالى . ونذكر هذا الحديث عند قوله تعالى من هذه السورة (تسبح له السموات السبع) الآية

﴿ رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴾ قال الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن أبي سنان عن عبيد بن آدم وأبي مريم وأبي شعيب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس قال : قال أبو سلمة فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب أين ترى أن اصلي فقال ان أخذت عني صليت خلف الصخرة فكانت القدس

ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عمرو عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) قال هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به الى بيت المقدس . قال والشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة الزقوم أنا عبد الواحد أنا احمد بن عبدالله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبدالعزيز بن عبدالله حدثني

كلها بين يديك فقال عمر (رض) ضاهيت اليهودية ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ فتقدم الى القبلة فصلى ثم جاء فبسط رداءه وكنس الكناسة في ردائه وكنس الناس فلم يعظم الصخرة تعظيما يصلي وراءها وهي بين يديه كما أشار كعب الاحبار وهو من قوم يعظمونها حتى جعلوها قبلتهم ولكن من الله عليه بالاسلام فهدي الى الحق ولهذا لما أشار بذلك قال له أمير المؤمنين عمر ضاهيت اليهودية ولا أهانها اهانة النصارى الذين كانوا قد جعلوها مزبلة من أجل انها قبلة اليهود ولكن أماط عنها الاذى وكنس عنها الكناسة بردائه . وهذا شبيه بما جاء في صحيح مسلم عن أبي مرثد الغنوي قال : قال رسول الله ﷺ « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها »

﴿رواية أبي هريرة وهي مطولة جداً وفيها غرابة﴾ قال الامام أبو جعفر ابن جرير في تفسير سورة سبحان ثنا علي بن سهل ثنا حجاج ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي عن أبي هريرة أو غيره شك أبو جعفر في قول الله عز وجل (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) الآية قال جاء جبريل الى النبي ﷺ ومعه ميكائيل فقال جبرائيل لميكائيل ائتني بطست من ماء زمزم كيما اطهر قلبه واشرح « صدره قال فشق عن بطنه فغسله ثلاث مرات واختلف اليه ميكائيل بثلاث طساس من ماء زمزم فشرح صدره فنزع ما كان فيه من غل وملأه علما وحلما وإيمانا ويقينا واسلاما وختم بين كتفيه بخاتم النبوة ثم أتاه بفرس فحمله عليه كل خطوة منه منتهى بصره أو أقصى بصره قال فسار وسار معه جبريل عليهما السلام قال فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا جبريل ماهذا ؟ » قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال « ماهؤلاء ياجبريل ؟ » قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والنعم « ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها » قال فما هؤلاء ياجبريل ؟ » قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله تعالى شيئا وما الله بظلام للعبيد ثم أتى على قوم بين ايديهم لحم نضيج في قدر ولحم آخر نيء في قدر خبيث فجعلوا يأكلون من اللحم النيء الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال « ماهؤلاء ياجبريل ؟ » فقال هذا الرجل من امتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح « والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتي رجلا خبيثا فتبيت معه

سليمان عن شريك بن عبد الله قال سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة: انه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال اولهم أيهم هو؟ فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى اتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه

حتى تصبح قال ثم أتى على خشبة على الطريق لايمر بها ثوب الا شقته ولا شيء الاخرقته قال ما هذا ياجبريل ؟ قال هذا مثل اقوام من امتك يقعدون على الطريق فيقطعونها ثم تلا(ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون)الآية قال ثم اتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال« ماهذا ياجبريل ؟ »قال هذا الرجل من امتك يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها ثم اتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لايفتر عنهم من ذلك شيء. فقال« ماهذا ياجبريل ؟ » فقال هؤلاء خطباء الفتنة ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال« ماهذا ياجبريل؟» فقال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع ان يردها . ثم اتى على واد فوجد ريحا طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتا فقال« ياجبريل ماهذه الريح الطيبة الباردة وما هذا المسك وما هذا الصوت ؟ »قال هذا صوت الجنة تقول يارب ائتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي واستبرقي وحريري وسندسي وعبقري ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي وأكوسي وعسلي ومائي »لبني وخمري فائتني بما وعدتني فقال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك بي شيئا ولم يتخذ من دوني اندادا، ومن خشيني فهو آمن، ومن سألني أعطيته، ومن أقرضني جزيته، ومن توكل علي كفيته، اني انا الله لا إله الا أنا لا أخلف الميعاد، وقد أفلح المؤمنون. وتبارك الله أحسن الخالقين » قالت قد رضيت قال ثم اتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا خبيثة فقال« ماهذه الريح ياجبريل وماهذا الصوت ؟ »فقال هذا صوت جهنم تقول يارب ائتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فائتني بما وعدتني ، قال لك كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل خبيث وخبيثة » وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب » قالت قد رضيت . قال ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى الصخرة ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا ياجبريل من هذا معك قال محمد ﷺ قالوا او قد ارسل اليه» قال نعم قالوا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء . قال ثم لقي ارواح الانبياء فأثنوا على ربهم فقال ابراهيم عليه السلام: الحمد لله الذي اتخذني خليلا وأعطاني ملكا عظيما وجعلني امة قانتا يؤتم بي وأنقذني من النار وجعلها علي بردا وسلاما. ثم ان موسى عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي كلمني تكليما وجعل هلاك

ووضعوه عند بئر زمزم فشق جبريل مابين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده. وساق حديث المعراج بقصته فقال: وإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان قال هذا النيل والفرات عنصرهما واحد ثم مضى به الى السماء الدنيا فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب يده فاذا هو مسك أذفر قال« ماهذا ياجبريل ؟ قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك. وساق

آل فرعون ونجاة بني اسرائيل على يدي وجعل من أمتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون. ثم ان داود عليه السلام أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزبور وألان لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن والطير واعطاني الحكمة وفصل الخطاب . ثم ان سليمان عليه السلام أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين يعملون لي ماشئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، وعلمني منطق الطير وآتاني من كل شيء فضلا وسخر لي جنود الشياطين والانس والطير وفضلني على كثير من عباده المؤمنين، وآتاني ملكا عظيما لاينبغي لاحد من بعدي وجعل ملكي ملكا طيبا ليس فيه حساب. ثم ان عيسى عليه السلام أثنى على ربه عز وجل فقال: الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعل مثلي كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وجعلني أبرىء الاكمه والابرص وأحيي الموتى باذن الله ورفعني وطهرني وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل. قال ثم ان محمداً ﷺ أثنى على ربه عزوجل فقال « كلكم أثنى على ربه واني مثن على ربي : الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين كافة للناس بشيراً ونذيراً وانزل علي الفرقان فيه بيان لكل شيء وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتي امة وسطاً وجعل أمتي هم الاولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما » فقال ابراهيم عليه السلام بهذا فضلكم محمد ﷺ (قال ابو جعفر الرازي خاتم بالنبوة فاتح بالشفاعة يوم القيامة) ثم أتي بآنية ثلاثة مغطاة أفواهها فأتي باناء منها فيه ماء فقيل له اشرب فشرب منه يسيراً ، ثم رفع اليه اناء آخر فيه لبن فقيل له اشرب فشرب منه حتى روي، ثم دفع اليه اناء آخر فيه خمر فقيل له اشرب فقال لاأريده قد رويت ، فقال له جبريل أما انها ستحرم على أمتك ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلا القليل ، قال ثم صعد به إلى السماء فاستفتح فقيل من هذا ياجبريل فقال محمد ، فقالوا أوقد أرسل اليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء فنتح لهما، فدخل فاذا هو برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء كما ينقص من خلق الناس عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة فاذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه ضحك واستبشر واذا نظر إلى الباب الذي عن شماله بكى وحزن ، فقلت ياجبريل من هذا الشيخ التام الخلق الذي لم ينقص من خلقه شيء وما هذان البابان ؟ فقال هذا أبوك آدم وهذا الباب الذي

الحديث ، وقال ثم عرج بي إلى السماء السابعة وقال قال موسى رب لم أظن ان ترفع علي أحداً ثم علا به فوق ذلك بما لايعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او أدنى فاوحى اليه فيما أوحى خمسين صلاة كل يوم وليلة وقال فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت الى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يامحمد والله لقد راودت بني

عن يمنه باب الجنة فاذا نظر إلى من يدخل الجنة من ذريته ضحك واستبشر ، والباب الذي عن شماله باب جهنم اذا نظر الى من يدخلها من ذريته بكى وحزن ، ثم صعد به جبريل إلى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا معك ؟ فقال محمد رسول الله ، قالوا أوقد أرسل اليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، قال فدخل فاذا هو بشابين فقال ياجبريل من هذان الشابان ؟ قال هذا عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا الخالة عليهما السلام ، قال فصعد به إلى السماء الثالثة فاستفتح فقالوا من هذا ؟ قال جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد ، قالوا أوقد أرسل اليه قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، قال فدخل فاذا هو برجل قد فضل على الناس في الحسن كما فضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، قال من هذا ياجبريل الذي قد فضل على الناس في الحسن ؟ قال هذا أخوك يوسف عليه السلام ، قال ثم صعد به إلى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا أوقد أرسل اليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، قال فدخل فاذا هو برجل قال من هذا ياجبريل ؟ قال هذا إدريس عليه السلام رفعه الله مكانا عليا ، ثم صعد به إلى السماء الخامسة فاستفتح فقالوا من هذا ؟ قال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا أوقد أرسل اليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء قال فدخل فاذا هو برجل جالس وحوله قوم يقص عليهم قال من هذا ياجبريل ومن هؤلاء حوله قال هذا هارون المحبب وهؤلاء بنو اسرائيل ، ثم صعد به إلى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا أوقد أرسل اليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، قال فدخل فاذا هو برجل جالس فجاوزه فبكى الرجل فقال ياجبريل من هذا ؟ قال موسى ، قال فما باله يبكي ، قال يزعم بنو اسرائيل أني أكرم بني آدم على الله عز وجل وهذا رجل من بني آدم قد خلفني في دنيا وأنا في اخرى فلو أنه بنفسه لم أبال ولكن مع كل نبي أمته ، قال ثم صعد به إلى السماء السابعة فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك قال محمد ، قالوا أوقد أرسل اليه قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، قال فدخل فاذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسي وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس ، وقوم في ألوانهم شيء فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فدخلوا نهراً

إسرائيل قومي على أدنى من ذلك فضعفوا عنه وتركوه فامتك أضعف قلوبا وأجساداً وأبدانا وأبصاراً وأسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي ﷺ الى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يارب ان أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنهم فقال الجبار يامحمد قال ، لبيك وسعديك ، قال انه لايبدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب

فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلصت ألوانهم فصارت مثل ألوان أصحابهم فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم فقال ياجبريل من هذا الاشمط ثم من هؤلاء البيض الوجوه ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء وماهذه الانهار التي دخلوا فيها فجاءوا وقد صفت ألوانهم ؟ قال هذا أبوك ابراهيم أول من شمط على وجه الارض، وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم ، وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتابوا فتاب الله عليهم ، وأما الانهار فأولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث سقاهم ربهم شرابا طهوراً ، قال ثم انتهى إلى السدرة فقيل له هذه السدرة ينتهي اليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك . فاذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والورقة منها تغطي الامة كلها قال فغشيها نور الخلاق عز وجل وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حتى وقع على الشجرة من حب الرب تبارك وتعالى ، قالوا فكلمه الله عند ذلك فقال له سل ، فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما ، وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد ، وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا وسخرت له الجن والانس والشياطين وسخرت له الرياح، وأعطيت له ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرىء الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذنك وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل ، فقال له الرب عز وجل وقد اتخذتك خليلا ـ وهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن ـ وأرسلتك إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وشرحت لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك ، ورفعت لك ذكرك ، فلا أذكر إلا ذكرت معي ، وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس ، وجعلت أمتك أمة وسطا ، وجعلت أمتك هم الاولين وهم الآخرين وجعلت أمتك لاتجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي ، وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأولهم يقضى له ، وأعطيتك سبعا من المثاني لم يعطها نبي قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبياً قبلك ، وأعطيتك الكوثر وأعطيتك ثمانية أسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلتك فاتحا خاتما ؛ فقال النبي ﷺ « فضلني ربي بست : أعطاني فواتح الكلام وخواتيمه وجوامع الحديث ، وأرسلني إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وقذف في قلوب أعدائي الرعب من

فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في ام الكتاب وهي خمس عليك فقال موسى ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً فقال رسول الله ﷺ « قد والله استحييت من ربي مما اختلف اليه » قال فاهبط باسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ، وروى مسلم هذا الحديث مختصراً عن هارون بن سعيد الايلي عن ابن وهب عن سليمان بن بلال . قال شيخنا الامام رضي الله عنه قد قال بعض أهل

مسيرة شهر ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الارض كلها طهوراً ومسجداً ، قال وفرض عليه خمسين صلاة ، فلما رجع إلى موسى قال بم أمرت يا محمد ،قال بخمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم فقد لقيت من بني اسرائيل شدة ، قال فرجع النبي ﷺ الى ربه عز وجل فسأله التخفيف فوضع عنه عشراً ثم رجع الى موسى فقال له بكم أمرت قال بأربعين قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم ولقد لقيت من بني اسرائيل شدة،قال فرجع النبي ﷺ الى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشراً فرجع الى موسى فقال بكم أمرت قال أمرت بثلاثين ، فقال له موسى ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم وقد لقيت من بني اسرائيل شدة ، قال فرجع الى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشراً فرجع الى موسى عليه السلام فقال بكم أمرت قال أمرت بعشرين قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم وقد لقيت من بني اسرائيل شدة ،قال فرجع الى ربه عز وجل فسأله التخفيف فوضع عنه عشراً فرجع الى موسى فقال بكم أمرت قال أمرت بعشر ، قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم وقد لقيت من بني اسرائيل شدة ، قال فرجع على حياء الى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه خمسا فرجع الى موسى عليه السلام فقال بكم أمرت قال أمرت بخمس ، قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم وقد لقيت من بني اسرائيل شدة ، قال قد رجعت الى ربي حتى استحييت فما أنا براجع اليه ، قيل أما انك كما صبرت نفسك على خمس صلوات فانهن يجزين عنك خمسين صلاة فان كل حسنة بعشر أمثالها ، قال فرضي محمد ﷺ كل الرضا ، قال وكان موسى عليه السلام من أشدهم عليه حين مر به وخيرهم له حين رجع اليه . ثم رواه ابن جرير عن محمد بن عبيد الله عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية أو غيره شك أبو جعفر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره بمعناه وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي عن أبي سعيد الماليني عن ابن عدي عن محمد بن الحسن السكوني البالسي بالرملة حدثنا علي بن سهل فذكر مثل ما رواه ابن جرير عنه ، وذكر البيهقي أن الحاكم أبا عبدالله رواه عن اسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمد الشعراني عن جده عن ابراهيم بن حمزة الزبيري عن حاتم بن اسماعيل حدثني عيسى بن ماهان يعني أبا جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره

وقال ابن أبي حاتم ذكر أبو زرعة حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا يونس بن بكير حدثنا

الحديث ما وجدنا لمحمد بن اسماعيل ولمسلم في كتابيهما شيئاً لا يحتمل مخرجا الا هذا وأحال الامر فيه الى شريك بن عبدالله وذلك انه ذكر فيه ان ذلك قبل أن يوحى اليه واتفق أهل العلم على ان المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثنتى عشرة سنة قبل الهجرة بسنة وفيه أيضاً ان الجبار دنا فتدلى وذكرت عائشة ان الذي دنا فتدلى جبريل عليه السلام. قال شيخنا الامام رضي الله عنه وهذا الاعتراض عندي

عيسى بن عبد الله التميمي عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس البكري عن أبي العالية أو غيره شك عيسى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال في قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام) فذكر الحديث بطوله كنحو مما سقناه (قلت) وأبو جعفر الرازي قال فيه الحافظ أبو زرعة الرازي يهم في الحديث كثيراً وقد ضعفه غيره أيضا ووثقه بعضهم ، والظاهر أنه سيء الحفظ ففيما تفرد به نظر . وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة وفيه شيء من حديث المنام من رواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري ويشبه أن يكون مجموعا من أحاديث شتى أو منام أو قصة أخرى غير الاسراء والله أعلم

وقد روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «حين اسري بي لقيت موسى عليه السلام - فنعته فاذا رجل حسبته قال -مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة ، قال ولقيت عيسى - فنعته النبي ﷺ قال - ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس - يعني حمام، قال - ولقيت ابراهيم وأنا أشبه ولده به قال وأتيت باناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر قيل لي خذ أيهما شئت فأخذت اللبن فشربت فقيل لي هديت الفطرة أو أصبت الفطرة أما إنك لو أخذت الخمر غوت امتك» وأخرجاه من وجه آخر عن الزهري به نحوه

وفي صحيح مسلم عن محمد بن رافع عن حجين بن المثنى عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن عبد الله ابن الفضل الهاشمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله إلي انظر اليه ماسألوني عن شيء إلا انبأتهم به وقد رأيتني في جماعة من الانبياء واذا موسى قائم يصلي واذا هو رجل جعد كأنه من رجال شنوءة واذا عيسى قائم يصلي أقرب الناس شبها به عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قائم يصلي أقرب الناس شبها به صاحبكم يعني نفسه فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت قال قائل يا محمد هذا مالك خازن جهنم فالتفت اليه فبدأني بالسلام »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي الصلت عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « رأيت ليلة أسري بي لما انتهيت الى السماء السابعة فنظرت فوق فاذا رعد وبرق وصواعق. قال وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى

لا يصح لان هذا كان رؤيا في النوم أراه الله عز وجل قبل الوحي بدليل آخر الحديث قال فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي قبل الهجرة بسنة تحقيقاً لرؤياه من قبل كما انه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقه سنة ثمان ونزل قوله عز وجل (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) وروي انه لما رجع رسول الله ﷺ ليلة أسري به وكان بذي طوى

من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء ياجبريل؟ قال هؤلاء أكلة الربا ، فلما نزلت الى السماء الدنيا نظرت) أسفل مني فاذا أنا برهج ودخان وأصوات فقلت من هؤلاء ياجبريل؟ قال هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم لايتفكرون في ملكوت السموات والارض ولولا ذلك لرأوا العجائب » ورواه الامام أحمد عن حسن وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة به ورواه ابن ماجه من حديث حماد به

﴿ رواية جماعة من الصحابة ممن تقدم وغيرهم ﴾ قال الحافظ البيهقي حدثنا ابوعبيدالله بن الحاكم حدثنا عبدالله بن يزيد بن يعقوب الدقاق الهمداني حدثنا ابراهيم بن الحسين الهمداني حدثنا ابومحمد هو اسماعيل بن موسى الفزاري حدثنا عمر بن سعد النضري من بني نضرة بن معين حدثني عبدالعزيز وليث بن أبي سليم وسليمان الاعمش وعطاء بن السائب بعضهم يزيد في الحديث على بعض عن علي ابن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعن محمد بن اسحاق بن يسار عمن حدثه عن ابن عباس وعن سليم ابن مسلم العقيلي عن عامر الشعبي عن عبد الله بن مسعود وجويبر عن الضحاك بن مزاحم قالوا كان رسول الله ﷺ في بيت أم هانيء راقداً وقد صلى العشاء الآخرة قال أبو عبد الله الحاكم قال لنا هذا الشيخ وذكر الحديث فكتبت المتن من نسخة مسموعة منه فذكر حديثا طويلا يذكر فيه عدد الدرج والملائكة وغير ذلك مما لاينكر شيء منها في قدرة الله إن صحت الرواية. قال البيهقي فيما ذكرنا قبل في حديث أبي هارون العبدي في اثبات الاسراء والمعراج كفاية وبالله التوفيق (قلت) وقد أرسل هذا الحديث غير واحد من التابعين وأئمة المفسرين رحمة الله عليهم أجمعين

﴿ رواية عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ﴾ قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني مكرم ابن أحمد القاضي حدثني ابراهيم بن أحمد البلدي حدثني محمد بن كثير الصنعاني حدثنا معمر بن راشد عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت لما أسري برسول الله ﷺ الى المسجد الاقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك الى أبي بكر فقالوا هل لك في صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة الى بيت المقدس فقال أو قال ذلك؟ قالوا نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا فتصدقه أنه ذهب الليلة الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ قال نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة فلذلك سمي أبو بكر الصديق

قال ياجبريل « ان قومي لايصدقوني » قال يصدقك ابو بكر وهو الصديق

قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ « لما كانت ليلة أسري بي أصبحت بمكة فضقت بأمري وعرفت ان الناس يكذبوني » فروي انه عليه الصلاة والسلام قعد معتزلا حزينا فمر به ابوجهل فجاس اليه فقال له كالمستهزيء هل استفدت من شيء ؟ قال « نعم ، اني أسري بي الليلة» قال إلى أين « قال » الى بيت المقدس » قال ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم فلم ير ابو جهل ان ينكر ذلك مخافة أن يجحده الحديث قال أتحدث قومك بما حدثتني به « قال نعم : قال ابو جهل يامعشر بني كعب

﴿ رواية أم هاني، بنت أبي طالب ﴾ قال محمد بن اسحاق حدثني بن محمد السائب الكلبي عن أبي صالح باذان عن أم هاني، بنت أبي طالب في مسرى رسول الله ﷺ أنها كانت تقول : ما أسري برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبيل الفجر أهبنا برسول الله ﷺ فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا أم هاني، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترين » الكلبي متروك بمرة ساقط لكن رواه أبو يعلى في مسنده عن محمد بن اسماعيل الانصاري عن ضمرة بن ربيعة عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن أبي صالح عن أم هاني، بأبسط من هذا السياق فليكتب ههنا

وروى الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبدالاعلى بن أبي المساور عن عكرمة عن أم هاني، قالت بات رسول الله ﷺ ليلة أسري به في بيتي ففقدته من الليل فامتنع مني النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قريش فقال رسول الله ﷺ « إن جبريل عليه السلام أتاني فأخذ بيدي فاخرجني فاذا على الباب دابة دون البغل وفوق الحمار فحملني عليها ثم انطلق حتى انتهى بي الى بيت المقدس فأراني ابراهيم عليه السلام يشبه خلقه خلقي ويشبه خلقي خلقه وأراني موسى آدم طويلا سبط الشعر شبهته برجال أزدشنوءة ، وأراني عيسى بن مريم ربعة أبيض يضرب الى الحمرة شبهته بعروة بن مسعود الثقفي ، وأراني الدجال ممسوح العين اليمنى شبهته بقطن بن عبد العزى - قال - وأنا أريد أن أخرج الى قريش فأخبرهم بما رأيت » فأخذت بثوبه فقلت إني أذكرك الله إنك تأتي قومك يكذبونك وينكرون مقالتك فأخاف أن يسطوا بك قالت فضرب ثوبه من يدي ثم خرج اليهم فأتاهم وهم جلوس فأخبرهم ما أخبرني فقام جبير بن مطعم فقال يامحمد ان لو كنت لك شأن كما كنت ماتكلمت بما تكلمت به وانت بين ظهرانينا. فقال رجل من القوم يامحمد هل مررت بابل لنا في مكان كذا وكذا ؟ قال « نعم والله قد وجدتهم قد أضلوا بعيراً لهم فهم في طلبه » قال هل مررت بابل لبني فلان ؟ قال « نعم وجدتهم في مكان كذا وكذا وقد انكسرت لهم ناقة حمراء وعندهم قصعة من ماء فشربت مافيها » قالوا فاخبرنا عدتها وما فيها من الرعاة قال « قد كنت عن عدتها مشغولا » فقام فأتي بالابل فعدها وعلم

ابن لؤي هلموا قال فانفضت اليه المجالس فجاءوا حتى جلسوا اليهما قال فحدث قومك بما حدثتني قال «نعم انه أسري بي الليلة» قالوا الى اين ؟قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا للكذب، وارتد ناس ممن كان آمن به وصدقه وسعى رجل من المشركين الى ابي بكر فقال هل لك في صاحبك؟ يزعم انه أسري به الليلة الى بيت المقدس قال اوقد قال ذلك ؟قال نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا وتصدقه انه ذهب إلى بيت المقدس في ليلة وجاء قبل أن يصبح قال نعم اني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في

مافيها من الرعاة ثم أتى قريشا فقال لهم « سألتموني عن ابل بني فلان فهي كذا وكذا وفيها من الرعاة فلان وفلان وسألتموني عن ابل بني فلان فهي كذا وكذا وفيها من الرعاة ابن أبي قحافة وفلان وفلان وهي تصبحكم بالغداة على الثنية » قال فقعدوا على الثنية ينظرون أصدقهم ماقال فاستقبلوا الابل فسألوهم هل ضل لكم بعير ؟ فقالوا نعم فسأل الآخر هل انكسرت لكم ناقة حمراء ؟ قالوا نعم قالوا فهل كانت عندكم قصعة قال أبو بكر أنا والله وضعتها فما شربها أحد ولا أهراقوه في الارض فصدقه أبو بكر وآمن به فسمي يومئذ الصديق

(فصل) واذا حصل الوقوف على مجموع هذه الاحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها يحصل مضمون مااتفقت عليه من مسرى رسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس وأنه مرة واحدة ، وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه فان الخطأ جائز على من عدا الانبياء عليهم السلام. ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فأثبت اسراآت متعددة فقد أبعد وأغرب، وهرب إلى غير مهرب، ولم يتحصل على مطلب ، وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه السلام أسري به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ومرة من مكة الى السماء فقط ومرة الى بيت المقدس ومنه الى السماء وفرح بهذا المسلك وأنه قدظفر بشيء يخلص به من الاشكالات وهذا بعيد جداً ولم ينقل هذا عن أحد من السلف ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبي ﷺ به أمته ولنقله الناس على التعدد والتكرر ، قال موسى بن عقبة عن الزهري كان الاسراء قبل الهجرة بسنة ، وكذا قال عروة وقال السدي بستة عشر شهراً

والحق أنه عليه السلام أسري به يقظة لامناما من مكة الى بيت المقدس راكبا البراق، فلما انتهى الى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين ثم أتي بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها فصعد فيه الى السماء الدنيا ثم الى بقية السموات السبع فتلقاه من كل سماء مقربوها وسلم على الانبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم حتى مر بموسى الكليم في السادسة وابراهيم الخليل في السابعة ثم جاوز منزلتيهما صلى الله وسلم عليهما وعلى سائر الانبياء حتى انتهى الى مستوى يسمع فيه صريف الاقلام أي أقلام القدر بما هو كائن ورأى سدرة المنتهى وغشيها من أمر الله تعالى

غدوة او روحة فلذلك سمي ابو بكر الصديق. قال وفي القوم من أتى المسجد الاقصى فقالوا هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد الاقصى ؟ قال نعم : قال فذهبت أنعت وأنعت فمازلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت قال فجيء بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فنعت المسجد وأنا أنظر اليه فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب، ثم قالوا يامحمد أخبرنا عن عيرنا فهي أهم الينا فهل لقيت منها شيئاً ؟ قال نعم مررت على عير بني فلان وهي بالروحاء وقد أضلوا بعيراً لهم وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فأخذته فشربته ثم وضعته كما كان فسلوهم هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا

عظمة عظيمة من فراش من ذهب وألوان متعددة وغشيتها الملائكة ورأى هنالك جبريل على صورته وله ستمائة جناح ورأى رفرفاً أخضر قد سد الافق ، ورأى البيت المعمور وابراهيم الخليل باني الكعبة الارضية مسند ظهره اليه لأنه الكعبة السماوية يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه ثم لا يعودون اليه إلى يوم القيامة ، ورأى الجنة والنار ، وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفاً بعباده وفي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها ، ثم هبط إلى بيت المقدس وهبط معه الانبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة ، ويحتمل أنها الصبح من يومئذ ، ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء والذي تظاهرت به الروايات أنه ببيت المقدس ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله اليه، والظاهر أنه بعد رجوعه اليه لأنه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً وهو يخبره بهم وهذا هو اللائق لأنه كان أولا مطلوباً إلى الجناب العلوي ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى ثم لما فرغ من الذي أريد به اجتمع به هو واخوانه من النبيين ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الامامة وذلك عن اشارة جبريل عليه السلام له في ذلك ، ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس والله سبحانه وتعالى أعلم

وأما عرض الآنية عليه من اللبن والعسل أو اللبن والخمر ، أو اللبن والماء أو الجميع فقد ورد أنه في بيت المقدس وجاء أنه في السماء ، ويحتمل أن يكون ههنا وههنا لانه كالضيافة للقادم والله أعلم.

ثم اختلف الناس هل كان الاسراء ببدنه عليه السلام وروحه أو بروحه فقط على قولين فالاكثرون من العلماء على أنه أسري ببدنه وروحه يقظة لا مناماً، ولا ينكرون أن يكون رسول الله ﷺ رأى قبل ذلك مناماً ثم رآه بعده يقظة لانه كان عليه السلام لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، والدليل على هذا قوله تعالى (سبحان الذي أسري بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله) فالتسبيح انما يكون عند الامور العظام فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظماً ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم، وأيضاً فان العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال (أسرى بعبده ليلا) وقال تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) قال ابن عباس هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم . رواه البخاري ، وقال تعالى

اليه قالوا هذه آية ، قال ومررت بعير بني فلان وفلان راكبان قعوداً لهما بذي طوى فنفر بعيرهما مني فرمى بفلان فانكسرت يده فسلوهما عن ذلك . قالوا هذه آية ، قالوا فأخبرنا عن عيرنا نحن متى تجيء ؟ قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها وأحمالها وهيئتها ومن فيها ؟ فقال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان يطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية أخرى ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيئاً وبينه حتى أتوا كداء فجلسوا عليه فجعلوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه إذ قال قائل منهم والله هذه الشمس قد طلعت ، وقال آخر

(مازاغ البصر وما طغى) والبصر من آلات الذات لا الروح وأيضا فانه حمل على البراق وهو دابة بيضاء براقة لها لمعان وانما يكون هذا للبدن لا للروح لانها لا تحتاج في حركتها إلى مركب تركب عليه والله أعلم

وقال آخرون بل أسري برسول الله ﷺ بروحه لا بجسده . قال محمد بن اسحاق في السيرة حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أن معاوية بن أبي سفيان كان اذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: كانت رؤيا من الله صادقة . وحدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول مافقد جسد رسول الله ﷺ ولكن أسري بروحه . قال ابن اسحاق فلم ينكر ذلك من قولها لقول الحسن ان هذه الآية نزلت (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) [1] ولقول الله في الخبر عن ابراهيم (اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى) قال ثم مضى على ذلك فعرفت أن الوحي يأتي للانبياء من الله أيقاظا ونياما فكان رسول الله ﷺ يقول « تنام عيناي وقلبي يقظان » والله أعلم أي ذلك كان قد جاءه وعاين من الله فيه ماعاين على أي حالاته كان نائما أو يقظانا كل ذلك حق وصدق انتهى كلام ابن اسحاق. وقد تعقبه أبو جعفر بن جرير في تفسيره بالرد والانكار والتشنيع بأن هذا خلاف ظاهر سياق القرآن وذكر من الادلة على رده بعض ماتقدم والله أعلم

﴿ فائدة حسنة جليلة ﴾ روى الحافظ ابو نعيم الاصبهاني في كتاب دلائل النبوة من طريق محمد ابن عمر الواقدي حدثني مالك بن أبي الرجال عن عمر بن عبدالله عن محمد بن كعب القرظي . قال بعث رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الى قيصر فذكر وروده عليه وقدومه اليه

وفي السياق دلالة عظيمة على وفور عقل هرقل ثم استدعى من بالشام من التجار فجيء بأبي سفيان صخر بن حرب وأصحابه فسألهم عن تلك المسائل المشهورة التي رواها البخاري ومسلم كما سيأتي بيانه وجعل ابو سفيان يجهد أن يحقر أمره ويصغره عنده . قال في هذا السياق عن ابي سفيان والله مامنعني من أن أقول عليه قولا أسقطه من عينه إلا اني أكره أن أكذب عنده كذبة يأخذها علي ولا يصدقني في شيء . قال حتى ذكرت قوله ليلة أسري به قال فقلت ايها الملك ألا أخبرك خبراً تعرف انه قد كذب ؟ قال وما هو ، قال قلت انه يزعم لنا انه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة فجاء مسجدكم هذا مسجد إيلياء ورجع الينا تلك الليلة قبل الصباح . قال و - بطريق إيلياء عند رأس قيصر - فقال بطريق

---

[1] كذا في الاصول كلها وفيه سقط والمروي عن الحسن أن هذه الآية نزلت فيمن ارتد من المشركين عند ما أخبرهم(ص) باسرائه والمراد أن لفظ الرؤيا إنما هو لما يرى في المنام

وهذه والله الابل قد طلعت يقدمها بعير أورق فيها فلان وفلان كما قال لهم فلم يؤمنوا وقالوا (ان هذا الا سحر مبين) أنا اسماعيل بن عبدالقادر أنبأنا عبدالغافر بن محمد أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي أنبأنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني زهير بن حرب ثنا حجين بن المثنى أنبأنا عبدالعزيز وهو ابن ابي سلمة عن عبدالله بن الفضل عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن ابي هريرة رضي الله عنهم قال قال رسول الله ﷺ « لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها قال فكربت كربا ما كربت مثله قط ، قال فرفعه الله لي انظر اليه

ايليا قد علمت تلك الليلة قال فنظر اليه قيصر وقال : وما علمك بهذا قال اني كنت لا أنام ليلة حتى أغلق ابواب المسجد فلما كان تلك الليلة أغلقت الابواب كلها غير باب واحد غلبني فاستعنت عليه بعمالي ومن يحضرني كلهم معالجة فغلبنا فلم نستطع أن نحركه كأنما نزاول به جبلا فدعوت اليه النجاجرة فنظروا اليه فقالوا ان هذا الباب سقط عليه النجاف والبنيان مانستطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر من اين أتى . قال فرجعت وتركت البابين مفتوحين . فلما أصبحت غدوت عليهما فاذا الحجر الذي من زاوية المسجد مثقوب واذا فيه أثر مربط الدابة قال فقلت لاصحابي ماحبس هذا الباب الليلة الاعلى شيء ، وقد صلى الليلة في مسجدنا وذكر تمام الحديث

﴿ فائدة ﴾ قال الحافظ ابو الخطاب عمر بن دحية في كتابه(التنوير في مولد السراج المنير) وقد ذكر حديث الاسراء من طريق أنس وتكلم عليه فأجاد وأفاد ثم قال . وقد تواترت الروايات في حديث الاسراء عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وابي ذر ومالك بن صعصعة وابي هريرة وابي سعيد وابن عباس وشداد بن أوس وأبي بن كعب وعبدالرحمن بن قرظ وأبي حبة وابي ليلى الانصاريين وعبدالله بن عمرو وجابر وحذيفة وبريدة وأبي ايوب وأبي امامة وسمرة بن جندب وأبي الحمراء وصهيب الرومي وام هانيء وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره على ماوقع في المسانيد ، وان لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة فحديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)

وآتينا موسى الكتب وجعلنه هدى لبني اسرءيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا (٢)

ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا (٣)

لما ذكر تعالى انه أسرى بعبده محمد ﷺ عطف بذكر موسى عبده ورسوله وكليمه أيضاً فانه تعالى كثيراً مايقرن بين ذكر موسى ومحمد عليهما من الله الصلاة والسلام وبين ذكر التوراة والقرآن ولهذا قال بعد ذكر الاسراء (وآتينا موسى الكتاب) يعني التوراة وجعلناه أي الكتاب هدى أي هاديا لبني اسرائيل أن لا تتخذوا أي لئلا تتخذوا من دوني وكيلا أي وليا ولا نصيراً ولا معبوداً

ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به ، ولقد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلي فاذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة ، واذا عيسى قائم يصلي أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي . واذا ابراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل يامحمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام

قوله عز وجل ﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل أن لا ﴾ بأن لا ﴿ تتخذوا من دوني وكيلا ﴾ ربا كفيلا قرأ ابو عمرو لا يتخذوا بالياء لانه خبر عنهم . والآخرون بالتاء يعني

دوني لأن الله تعالى أنزل على كل نبي أرسله أن يعبده وحده لاشريك له ثم قال (ذرية من حملنا مع نوح) تقديره ياذرية من حملنا مع نوح فيه تهييج وتنبيه على المنة أي ياسلالة من نجينا فحملنامع نوح في السفينة تشبهوا بأبيكم (انه كان عبداً شكورا) فاذكروا أنتم نعمتي عليكم بارسالي اليكم محمداً ﷺ وقد ورد في الحديث وفي الاثر عن السلف ان نوحا عليه السلام كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله فلهذا سمي عبداً شكورا . قال الطبراني حدثنا علي بن عبدالعزيز حدثنا ابو نعيم حدثنا سفيان عن أبي حصين عن عبدالله بن سنان عن سعد بن مسعود الثقفي قال انماسمي نوح عبداً شكوراً لأنه كان إذا أكل أو شرب حمد الله

وقال الامام احمد حدثنا ابو اسامة حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن سعيد بن أبي بردة عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ان الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها » وهكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق أبي اسامة به ، وقال مالك عن زيد بن أسلم كان يحمد الله على كل حال « وقد ذكر البخاري هنا حديث أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة » بطوله « وفيه » فيأتون نوحا فيقولون يانوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الارض ، وقد سماك الله عبداً شكورا فاشفع لنا إلى ربك » وذكر الحديث بكماله

وقضينا الى بني اسراءيل في الكتب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا (٤) فاذا جاء وعد أولهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلل الديار وكان وعداً مفعولا (٥) ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددنكم بأموال وبنين وجعلنكم أكثر نفيرا (٦) ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا (٧) عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكفرين حصيرا (٨)

قلنا لهم لاتتخذوا ﴿ ذرية من حملنا ﴾ قال مجاهد هذا نداء يعني ياذرية من حملنا ﴿ مع نوح ﴾ في السفينة فأنجيناهم من الطوفان ﴿ انه كان عبداً شكورا ﴾ كان نوح عليه السلام إذا أكل طعاما او شرب شرابا او لبس ثوبا قال الحمد لله فسمي عبداً شكورا أي كثير الشكر

قوله عز وجل ﴿ وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب ﴾ الآيات . روى سفيان بن سعيد الثوري عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن خراش عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ « إن بني اسرائيل لما اعتدوا وقتلوا الانبياء بعث الله عليهم ملك فارس بختنصر وكان الله ملكه سبعمائة سنة فسار اليهم

يخبر تعالى انه قضى إلى بني اسرائيل في الكتاب أي تقدم اليهم وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم أنهم سيفسدون في الارض مرتين ويعلون علواً كبيرا أي يتجبرون ويطغون ويفجرون على الناس كقوله تعالى (وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) أي تقدمنا اليه وأخبرناه بذلك وأعلمناه به

حتى دخل بيت المقدس فحاصرها وفتحها حتى قتل على دم يحيى بن زكريا عليه السلام سبعين ألفا ثم سبى أهلها وأولاد الانبياء وسلب حلي بيت المقدس ، واستخرج منها سبعين ألفا ومائة ألف عجلة من حلي ■ت يارسول الله كان بيت المقدس عظيما ؟ قال ■ أجل بناه سليمان بن داود من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد وكان عمده ذهبا أعطاه الله ذلك وسخر له الشياطين يأتونه بهذه الاشياء في طرفة عين فسار بها بختنصر حتى نزل بابل فأقام بنو اسرائيل في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس وأبناء المجوس فيهم الانبياء ، ثم إن الله رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس يقال له كورش وكان مؤمنا أن يسير اليهم ليستنقذ بقايا بني اسرائيل فسار كورش لبني اسرائيل وحلي بيت المقدس حتى رده اليه فأقام بنو اسرائيل مطيعين لله تعالى مائة سنة ■ ثم إنهم عادوا في المعاصي فسلط الله عليهم ملكا يقال له انطيانوس فغزا بني اسرائيل حتى أتاهم بيت المقدس فسبى أهله وأحرق بيت المقدس، وقال لهم يابني اسرائيل إن عدتم في المعاصي عدنا عليكم بالسبي فعادوا فسلط الله عليهم ملكا روميا يقال له قاقس بن استيانوس فغزاهم في البر والبحر فسباهم وسبى حلي بيت المقدس وأحرق بيت المقدس . قال رسول الله ﷺ ■ هذا من صفة حلي بيت المقدس ، ويرده المهدي الى بيت المقدس هو ألف وسبعمائة سفينة يرمي بها على بابها حتى تنقل الى بيت المقدس وبها يجمع الله الاولين والآخرين ■

قال محمد بن اسحاق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزاً عنهم محسنا اليهم ، وكان أول مانزل بهم بسبب ذنوبهم كما أخبر على لسان موسى عليه السلام أن ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله تعالى اذا ملك الملك عليهم بعث معه نبيا يسدده ويرشده لا ينزل عليهم الكتب انما يؤمرون باتباع التوراة والاحكام التي فيها ■ فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعياء بن أصفياء وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ■ وشعياء هو الذي بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام فقال أبشري أورى تعلم الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير . فملك ذلك الملك بني اسرائيل وبيت المقدس زمانا طويلا ، فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الاحداث وشعياء [1] معه بعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل ■ ستمائة ألف راية فأقبل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض في ساقه قرحة فجاء النبي شعياء وقال له ياملك بني اسرائيل ان سنحاريب [2] ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده بستمائة ألف راية وقد هابهم الناس وفرقوا فكبر ذلك على الملك فقال يانبي الله هل أتاك وحي من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنجاريب وجنوده ؟ فقال لم يأتني وحي ■

١) أشعياء بالهمزة في أوله ولكن يذكرونه في كتبنا بدونها
٢) سنحاريب ملك اشور بالحاء المهملة وقد تكرر هنا وفي الخازن وغيره ذكره بالجيم فالظاهر انه من غلط علمائنا لا من النسخ والطبع

وقوله (فاذا جاء وعد أولاهما) أي أولى الافسادتين (بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد) أي سلطنا عليكم جنداً من خلقنا أولي بأس شديد أي قوة وعـدة وسلطنة شديدة فجاسوا خلال الديار أي تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم أي بينها ووسطها وانصرفوا ذاهبين وجائين لايخافون أحداً وكان وعداً مفعولا ، وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين عليهم من

فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعياء النبي أن ائت ملك بني اسرائيل فمره أن يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فأتى شعياء ملك بني اسرائيل صديقة فقال له إن ربك قد أوحى إلي أن آمرك أن توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت ، فلما قال شعياء لصديقة هذا أقبل على القبلة فصلى ودعا وبكى فقال وهو يبكي ويتضرع إلى الله بقلب مخلص اللهم رب الارباب وإله الآلهة ياقدوس يامتقدس يارحمن يارحيم يارءوف يامن لاتأخذه سنة ولا نوم اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضائي على بني اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني ، سري وعلانيتي لك وأنت الرحمن فاستجاب ، وكان عبداً صالحا فأوحى الله إلى شعياء أن يخبر صديقة أن ربه قد استجاب له ورحمه وأخر له أجله خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنجاريب فأتاه شعياء فأخبره بذلك ، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الحزن وخر ساجداً لله وقال : ياإلهي وإله آبائي لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذي تعطي الملك لمن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير ، عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخر ، والظاهر والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين . وأنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي ، فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعياء أن قل للملك صديقة فيأمر عبداً من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله في قرحته فيشفى فيصبح وقد برأ ، ففعل وشفي ، وقال الملك لشعياء سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا ، قال الله لشعياء قل له اني قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم وانهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه أحدهم بختنصر ، فلما أصبحوا جاء صارخ فصرخ على باب المدينة ياملك بني اسرائيل إن الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه قد هلكوا ، فلما خرج الملك التمس سنجاريب في القتلى فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فأدركه الطالب في مغارة وخمسة نفر من كتابه أحدهم بختنصر فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم الى ملك بنى اسرائيل فلما رآهم خر ساجداً لله من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال ياسنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون ؟ فقال سنجاريب له قد أتاني خبر ربكم ونصره اياكم ، ورحمته التي يرحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشـداً ولم يلقني في الشقوة الا قلة عقلي ، ولو سمعت أو عقلت ماغزوتكم ، فقال صديقة الحمد لله رب العالمين الذي كفاناكم بما شاء وإن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامتك على ربك ، ولكنه انما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذابا في الآخرة ولتخبروا من

م فعن ابن عباس وقتادة انه جالوت الجزري وجنوده سلط عليهم أولا ثم أديلوا عليه بعد ذلك ، وقتل داود جالوت ولهذا قال (ثم رددنا لـكم الـكرة عليهم) الآية وعن سعيد بن جبير انه ملك الموصل سنجاريب وجنوده وعنه أيضاً وعن غيره انه بختنصر ملك بابل ، وقد ذكر ابن أبي حاتم ، قصة عجيبة في كيفية ترقيه من حال إلى حال الى أن ملك البلاد وانه كان فقيراً مقعداً ضعيفاً يستعطي الناس

وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتنذروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلكم ولدمك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلت . ثم إن ملك بني اسرائيل أمر أمير حرسه فقذف في رقابهم الجوامع فطافت بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايليا وكان يرزقهم كل يوم خبزين من شعير لكل رجل منهم ، فقال سنحاريب لملك بني اسرائيل القتل خير مما تفعل بنا فأمر بهم الملك إلى سجن القتل فأوحى الله إلى شعياء عليه السلام أن قل لملك بني اسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعياء الملك ذلك ففعل الملك صديقة ما أمر به فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل ، فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده ، فقال له كهانه وسحرته ياملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحي الله إلى نبيهم فلم تطعنا وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم وكان أمر سنحاريب تخويفا لهم ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف بختنصر ابن ابنه على ماكان عليه جده يعمل عمله فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بنى اسرائيل صديقة فمرج أمر بني اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا ونبيهم شعياء معهم ولا يقبلون منه ، فلما فعلوا ذلك قال الله لشعياء قم في قومك حتى أوحي على لسانك فلما قام النبي شعياء أنطق[1] الله لسانه بالوحي فقال : ياسماء استمعي وياأرض أنصتي فان الله يريد أن يقص شأن بني اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه ، وخصهم بكرامته ، وفضلهم على عباده ، وهم كالغنم الضائعة التي لاراعي لها ، فآوى شاردتها ، وجمع ضالتها ، وجبر كسرها ، وداوى مريضها ، وأسمن مهزولها ، وحفظ سمينها ، فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر اليه آخر كسير، فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لايدرون أنى جاءهم الحين، ان البعير مما يذكر وطنه فينتابه ، وإن الحمار مما يذكر الارط[2] الذي شبع عليه فيراجعه وان الثور مما يذكر المرج الذي سمن فيه فينتابه ، وان هؤلاء القوم لايذكرون من حيث جاءهم الخير وهم أولو الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير، واني ضارب لهم مثلا فليسمعوه وقل لهم كيف ترون في الارض كانت خرابا زمانا مواتا لاعمران فيها ، وكان لها رب حكيم قوي فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه وهو قوي ، أو أن يقال ضيع وهو حكيم ، فأحاط عليها جداراً وشيد فيها قصوراً ، وأنبط نهراً ، وصف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وألوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه قيما ذا رأي وهمة حفيظا قويا أمينا ، فلما أطلعت جاء طلعها خروبا قالوا بئست الارض هذه فنرى أن يهدم جدارها وقصرها

[1] وفي الخازن: أطلق

[2] وفي الخازن: الأري

ويستطعمهم ثم آل به الحال الى ما آل وانه سار إلى بلاد بيت المقدس فقتل بها خلقا كثيرا من بني اسرائيل ▪ وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثا أسنده عن حذيفة مرفوعا مطولا وهو حديث موضوع لامحالة لايستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث، والعجب كل العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره وامامته وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة ابو الحجاج المزي رحمه الله بانه

ويدفن نهرها ، ويقبض قيمها ، ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول مرة خرابا مواتا لاعمران فيها قال الله قل لهم فان الجدار ديني ، وان القصر شريعتي ، وإن النهر كتابي ▪ وإن القيم نبيي ،وان الغراس هم ، وإن الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة ▪ وإني قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وإنه مثل ضربته لهم يتقربون إلي بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا آكله ويدعون أن يتقربوا إلي بالتقوى، والكف عن ذبح الانفس التي حرمتها فأيديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملة بدمائها، يشيدون لي البيوت مساجد ▪ ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها ويزوقون لي المساجد ويزينونها ▪ ويخربون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها ، فأي حاجة لي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها ▪ وأي حاجة لي إلى تزويق المساجد ولست أدخلها ، انما أمرت برفعها لأذكر وأسبح فيها . يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا ▪ وصلينا فلم تنور صلاتنا ، وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا ، ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئاب في كل ذلك لايستجاب لنا ، قال الله فاسألهم ماالذي يمنعني أن أستجيب لهم ▪ ألست أسمع السامعين ▪ وأبصر الناظرين ▪ وأقرب المجيبين ، وأرحم الراحمين؟ فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام؟ أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يحاربني ويحادني وينتهك محارمي، أم كيف تزكو عندي صدقاتهم؟ وهم يتصدقون بأموال غيرهم؟ انما آجر عليها أهلها المغصوبين ، أم كيف أستجيب دعاءهم وانما هو قول بألسنتهم بلا فعل والفعل من ذلك بعيد؟ انما أستجيب للداعي اللين ، وانما أسمع قول المستضعف المسكين ، وان من علامة رضائي رضا المساكين، يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي إنها أقاويل منقولة وأحاديث متوارثة وتآليف مما يؤلف السحرة والكهنة ، وزعموا أنهم لو شاءوا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا ، ولو شاءوا أن يطلعوا على علم الغيب بما يوحي اليهم الشياطين اطلعوا ▪ واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء أثبته وحتمته على نفسي وجعلت دونه أجلا مؤجلا لابد أنه واقع ، فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروا متى أنفذه ، أو في أي زمان يكون ؟ وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاءون فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها امضيت فاني أظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وان كانوا يقدرون على أن يؤلفوا مايشاءون فليؤلفوا مثل الحكمة التي بها أدبر أمر ذلك القضاء ان كانوا صادقين ،وإني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض أن أجعل النبوة في الاجراء، وأن اجعل الملك في الرعاء ، والعز في الاذلاء ، والقوة في الضعفاء ، والغنى في الفقراء ، والعلم في الجهلة ▪ والحكمة في

موضوع مكذوب ، وكتب ذلك على حاشية الكتاب، وقد وردت في هذا آثار كثيرة اسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها لان منها ماهو موضوع من وضع بعض زنادقتهم ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحاً ونحن في غنية عنها ولله الحمد ،وفيما قص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية

في الاميين ، فسلهم متى هذا ومن القائم بهذا ومن أعوان هذا الامر وأنصاره ان كانوا يعلمون ، وإني باعث لذلك نبيا أميا أمينا ليس أعمى من عميان ، ولا ضالا من ضالين ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ، ولا متزين بالفحش ، ولا قوال للخنا ، أسدده بكل جميل ،وأهب له كل خلق كريم ، أجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى امامه ، والاسلام ملته والحمد دينه ، وأحمد اسمه ، أهدي به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأشهر به بعد النكرة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغني به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين قلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وأمم متفرقة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، توحيداً لي وإيمانا واخلاصا لي يصلون قياما وقعوداً ، وركعاً وسجوداً، ويقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا ، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضواني ، ألهمهم التكبير والتوحيد ، والتسبيح والتحميد ، والتهليل والمدحة والتمجيد لي في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم، يكبرون ويهللون ويقدسون على رءوس الاشراف ، ويطهرون لي الوجوه والاطراف ،و يعقدون لي الثياب على الانصاف ، قربانهم دماؤهم ، وأناجيلهم في صدورهم ، رهبان بالليل ليوث بالنهار. ذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم

، فلما فرغ شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إياها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها، واستخلف الله على بني اسرائيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشية بن أموص وبعث لهم أرمياء بن حلقيا نبيا وكان من سبط هارون بن عمران وذكر ابن اسحاق أنه الخضر واسمه أرمياء سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تهتز خضراء. فبعث الله أرمياء الى ذلك الملك ليسدده ويرشده ، ثم عظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم ، فاوحى الله إلى أرمياء أن ائت قومك من بني اسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمتي وعرفهم باحداثهم ، فقال أرمياء يارب إني ضعيف ان لم تقوني ، عاجز ان لم تبلغني، مخذول ان لم تنصرني. قال الله تعالى أولم تعلم أن الامور كلها تصدر عن مشيئتي، وان القلوب والالسنة بيدي أقلبها كيف شئت؟ إني معك ولن يصل اليك شيء معي ، فقام أرمياء فيهم ولم يدر مايقول فالهمه الله عز وجل في الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله تعالى وإني حلفت بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه

الـكتب قبله ولم يحوجنا الله ولا رسوله اليهم ، وقد أخبر الله عنهم أنهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوهم فاستباح بيضتهم وسلك خلال بيوتهم وأذلهم وقهرهم جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد فانهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقاً من الانبياء والعلماء ، وقد روى ابن جرير حدثني يونس بن عبد الاعلى

الهيبة ، وأنزع من صدره الرحمة ، يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله الى أرمياء إني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث من أهل بابل على ماذكرنا في سورة البقرة فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطيء الشام وقتل بني اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفوه في بيت المقدس ففعلوا ذلك ذلك حتى ملؤه ، ثم أمرهم أن يجمعوا من في بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرائيل فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمان وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلاث فرق : فثلثا أقر بالشام ،وثلثا سبي ، وثلثا قتله ، وذهب بناشئة بيت المقدس وبالصبيان السبعين الالف حتى أقدمهم بابل فـكانت هذه الواقعة الاولى التي أنزل الله ببني اسرائيل بظلمهم فذلك قوله تعالى (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد) يعني بختنصر وأصحابه، ثم إن بختنصر أقام في سلطانه ماشاء الله ثم رأى رؤيا أعجبته إذ رأى شيئا أصابه فأنساه الله الذي رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزازيا وميشائيل وكانوا من ذراري الانبياء وسألهم عنها قالوا اخبرنا بها نخبرك بتأويلها قال ما أذكرها ولئن لم تخبروني بها وبتأويلها لانزعن أكتافكم. فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الله بالذي رأى وسألهم عنه فجاؤه وقالوا رأيت تمثالا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فبينما أنت تنظر اليه وقد أعجبك أرسل الله تعالى صخرة من السماء فدقته فهي التي أنستكها قال صدقتم قال فما تأويلها قالوا تأويلها أنك رأيت ملك الملوك فبعضهم كان ألين ملكا وبعضهم كان أحسن ملكا وبعضهم كان أشبه ملكا الفخار أضعفه ثم فوقه النحاس أشد منه ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل والذهب أحسن من الفضـة وأفضل ثم الحديد ملكك فهو أشد وأعز مما كان قبله والصخرة التي رأيت ارسل الله من السماء فدقته نبي يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع ويصير الامر اليه .ثم إن أهل بابل قالوا لبختنصر أرأيت هؤلاء الغلمان من بني اسرائيل الذين كنا سألناك أن تعطيناهم ففعلت فانا قد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا لقد رأينا نساءنا انصرفت عنا وجوههن اليهم فاخرجهم من بين أظهرنا أو اقتلهم. قال شأنكم بهم فمن أحب منكم أن يقتـل من كان في يده فليفعل ذلك. فلما قربوهم للقتل بكوا الى الله تعالى وقالوا يارب أصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعد الله أن يحييهم

حدثنا ابن وهب أخبرني سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : ظهر بختنصر على الشام فخرب بيت المقدس وقتلهم ثم أتى دمشق فوجد بها دما يغلي على كبا فسألهم ماهذا الدم ؟ فقالوا أدركنا آباءنا على هذا وكلما ظهر عليه الكبا ظهر قال فقتل على ذلك الدم سبعين

فقتلوا إلا من استبقى بختنصر منهم دانيال وحنانيا وعزازيا وميشائيل

ثم لما أراد الله هلاك بختنصر انبعث وتيقظ فقال لمن في يده من بني اسرائيل أرأيتم هذا البيت الذي خربته والناس الذين قتلتهم منهم وماهذا البيت ؟ قالوا هذا بيت الله وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الانبياء فظلموا وتعدوا فتسلطت عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السموات والأرض ورب الخلق كلهم يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا مافعلوا أهلكهم الله وسلط عليهم غيرهم فاستكبر وظن أنه بجبروته فعل ذلك ببني اسرائيل قال فاخبروني كيف لي أن أطلع إلى السماء العليا فأقتل من فيها واتخذها ملكا لي فاني قد فرغت من الارض ، قالوا مايقدر عليها أحد من الخلائق ، قال لتفعلن أو لأقتلنكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا إلى الله تعالى . فبعث الله تعالى عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت بأم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أم دماغه ، فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه ليري الله العباد قدرته وينجي الله من بقي من بني اسرائيل في يديه فردهم إلى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على أحسن ماكانوا عليه ، ويزعمون أن الله تعالى أحيا أولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم، ثم إنهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله تعالى ، وكانت التوراة قد احترقت ، وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع إلى الشام يبكي عليها ليلا ونهاراً وقد خرج من الناس فهو كذلك إذ أقبل اليه رجل فقال ياعزير مايبكيك ؟ قال أبكي على كتاب الله وعهده الذي كان بين أظهرنا الذي لايصلح أمر دنيانا وآخرتنا غيره ، قال أفتحب أن يرد اليك ؟ قال نعم ، قال ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غداً . فرجع عزير فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد إلى المكان الذي وعده فجلس فيه فأتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني اسرائيل فوضع لهم التوراة فأحبوه حتى لم يحبوا حبه شيئا قط ثم قبضه الله وجعلت بنو اسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون ، حتى كان آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيي وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت آل داود فمات زكريا وقيل قتل زكريا ، فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيي بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رءوس جنوده يدعى بيورزاذان صاحب الفيل فقال إني كنت حلفت بالهي لئن ظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري الا أن لا أجد أحداً أقتله فأمره أن يقتلهم حتى بلغ ذلك منهم بيورزاذان ودخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون

ألفا من المسلمين وغيرهم فسكن وهذا صحيح الى سعيد بن المسيب وهذا هو المشهور وانه قتل أشرافهم وعلماءهم حتى انه لم يبق من يحفظ التوراة وأخذ معه منهم خلقا كثيراً أسرى من أبناء الانبياء وغيرهم وجرت أمور وكوائن يطول ذكرها ولو وجدنا ماهو صحيح أو مايقاربه لجاز كتابته وروايته والله أعلم

فيها قربانهم فوجد دما يغلي فسألهم عنه فقال يابني اسرائيل ماشأن هذا الدم يغلي أخبروني خبره قالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي ، ولقد قربنا القربان منذ ثمانمائة سنة فتقبل منا إلا هذا ، فقال ماصدقتموني ، فقالوا لو كان كأول زماننا لتقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يقبل منا فذبح بيورزاذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلا من رءوسهم فلم يهدأ فأمر بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فأمر بسبعة آلاف من شيبهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ ، فلما رأى بيورزاذان أن الدم لايهدأ قال لهم يابني اسرائيل ويلكم اصدقوني واصبروا على أمر ربكم فقد طال ماملكتم في الارض تفعلون فيها ماشئتم قبل أن لا اترك منكم نافخ نار انثى ولا ذكر إلا قتلته فلما رأوا الجهد منه وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا إن هذا الدم دم نبي كان ينهانا عن امور كثيرة من سخط الله فلو أنا أطعناه فيها لكان لنا خير كثير ورشد لنا وكان يخبرنا بامركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه . فقال لهم بيورزاذان ما كان اسمه ؟ قالوا يحيى بن زكريا . قال الآن صدقتموني بمثل هذا انتقم ربكم منكم فلما رأى بيورزاذان أنهم صدقوه خر ساجداً وقال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة واخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش وخلا في بني اسرائيل قال يايحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ماقد أصاب قومك من أجلك وماقتل منهم فاهدأ أيها الدم باذن ربك قبل أن لا ابقي من قومك أحداً . فهدأ الدم باذن الله تعالى ، ورفع بيورزاذان عنهم القتل وقال آمنت بالذي آمنت به بنو اسرائيل وايقنت أنه لارب غيره . وقال لبني اسرائيل ان خردوش أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره واني لست أستطيع ان أعصيه ، قالوا له افعل ماأمرت به فأمرهم فحفروا خندقا وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ماقتل من مواشيهم فلم يظن خردوش الا أن مافي الخندق من دماء بني اسرائيل فلما بلغ الدم عسكره أرسل إلى بيورزاذان أن ارفع عنهم القتل . ثم انصرف الى بابل وقد أفنى بني اسرائيل أو كاد أن يفنيهم وهي الوقعة الاخيرة التي أنزل الله ببني اسرائيل وذلك قوله (لتفسدن في الارض مرتين) فكانت الوقعة الاولى بختنصر وجنوده ، والاخرى خردوش وجنوده وكانت أعظم الوقعتين فلم يقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها الى الروم واليونانية الا أن بقايا بني اسرائيل كثروا وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا في نعمة الى أن بدلوا وأحدثوا الاحداث فسلط الله عليهم ططيوس بن اصطيانوس الرومي فأخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة ، وضربت عليهم الذلة فلا يبقى أحد منهم الا وعليه الصغار والجزية وبقي

ثم قال تعالى (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها أي فعليها كما قال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) وقوله (فاذا جاء وعد الآخرة) أي الكرة الآخرة أي اذا أفسدتم الكرة الثانية وجاء أعداؤكم (ليسوؤا وجوهكم) أي يهينوكم ويقهروكم (وليدخلوا المسجد) أي بيت المقدس

بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعمره المسلمون بأمره ؛ وقال قتادة بعث الله عليهم جالوت في الاولى فسبي وقتل وخرب (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) يعنى في زمان داود فاذا جاء وعد الآخرة بعث الله عليهم بختنصر فسبي وخرب ثم قال (عسى ربكم أن يرحمكم) فعاد الله عليهم بالرحمة ، ثم عاد القوم بشر مابحضرتهم فبعث الله عليهم ماشاء من نقمته وعقوبته ثم بعث الله عليهم العرب كما قال (واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) فهم في العذاب الى يوم القيامة

وذكر السدي أن رجلا من بني اسرائيل رأى في النوم أن خراب بيت المقدس على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل يدعى بختنصر وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم فأقبل يسأل عنه حتى نزل على امه وهو يحتطب فجاء وعلى رأسه حزمة حطب فألقاها ثم قعد فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم فقال اشتر بهذا طعاما وشرابا فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزاً وبدرهم خمراً فأكلوا وشربوا وفعل في اليوم الثاني كذلك وفي اليوم الثالث كذلك ثم قال اني أحب أن تكتب لي أمانا ان أنت ملكت يوما من الدهر . فقال أتسخر مني ؟ فقال اني لا أسخر منك ولكن ماعليك أن تتخذ بها عندي يداً فكتب له أمانا ، وقال أرأيت ان جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك قال ترفع صحيفتك على قصبة فأعرفك فكتب له وأعطاه ثم ان ملك بني اسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ويدني مجلسه وانه هوي ابنة امرأته ، وقال ابن عباس ابنة أخيه فسأل يحيى بن زكريا عن تزوجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى بن زكريا وعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقاقا حمراً وطيبتها وألبستها الحلي وأرسلتها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه الخمر فان أرادها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته فاذا أعطاها سألت رأس يحيى بن زكريا أن يؤتى به في طست ففعلت ذلك فلما أرادها قالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال فما تسأليني ؟ قالت رأس يحيى بن زكريا أن يؤتى به في هذا الطست . فقال ويحك سليني غير هذا فقالت ما أريد إلا هذا فلما أبت عليه بعث فأتى برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم ويقول : ويل لك لاتحل لك ؛ ويكرر ذلك فلما أصبح اذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقى عليه فرقى الدم يعني صعد الدم يغلي ويلقي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يغلي فبعث صخايين ملك بابل جيشا اليهم وأمر عليهم بختنصر فسار بختنصر وأصحابه حتى بلغوا ذلك المكان فلما سمعوا به تحصنوا منه في مدائنهم فلما اشتد عليهم المقام أراد الرجوع فخرجت اليه عجوز من عجائز بني اسرائيل فقالت تريد أن ترجع قبل فتح المدينة ؟ قال نعم

(كما دخلوه أول مرة)أي في التي جاسوا فيها خلال الديار (وليتبروا)أي يدمروا ويخربوا (ماعلوا)أي ماظهروا عليه(تتبيرا *عسى ربكم أن يرحمكم)أى فيصرفهم عنكم (وان عدتم عدنا)أي متى عدتم الى الافساد (عدنا)الى الادالة عليكم في الدنيا مع ماندخره لكم في الآخرة من العذاب والنكال ، ولهذا

قد طال مقامي وجاع أصحابي قالت أرأيت ان فتحت لك المدينة تعطيني ماأسألك فتقتل من أمرتك بقتله وتكف اذا أمرتك أن تكف ؟ قال نعم : قالت إذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أرباع ثم أقم على كل زاوية ربعاً ثم ارفعوا أيديكم الى السماء فنادوا انا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا فانها سوف تتساقط ففعلوا فتساقطت المدينة ودخلوا من جوانبها ،فقالت كف يدك وانطلقت به الى دم يحيى ابن زكريا وقالت اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين الفا حتى سكن فلما سكن قالت كف الآن يدك فان الله لم يرض اذا قتل نبي حتى يقتل من قتله ومن رضي بقتله فأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته ،فخرب بيت المقدس وطرح فيه الجيف وأعانه على خرابه الروم من أجل ان بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا ، وذهب معه بوجوه بني اسرائيل وذهب بدانيال وقوم من اولاد الانبياء وذهب معه برأس جالوت، فلما قدم بابل وجد صحابين قد مات فتملك مكانه وكان أكرم الناس عنده دانيال وأصحابه فحسدهم المجوس ووشوا بهم اليه وقالوا له ان دانيال وأصحابه لا يعبدون الهك ولا يأكلون ذبيحتك فسألهم فقالوا أجل ان لنا ربا نعبده ولسنا نأكل من ذبيحتكم فأمر الملك بخد فخدلهم فألقوا فيه وهم ستة وألقى معهم بسبع ضار ليأكلهم فذهبوا ثم راحوا فوجدوهم جلوساً والسبع مفترش ذراعيه معهم لم يخدش منهم أحداً ووجدوا معهم رجلا سابعا فقال ماهذا السابع ؟ انما كانوا ستة فخرج السابع وكان ملكا فلطمه لطمة فصار في صورة الوحش ومسخه الله سبع سنين،

وذكر وهب ان الله مسخ بختنصر نسراً في الطيور ثم مسخه ثورا في الدواب ، ثم مسخه أسداً في الوحوش، فكان مسخه سبع سنين وقلبه في ذلك قلب انسان ، ثم رد الله اليه ملكه فآمن فسئل وهب أكان مؤمنا ؟ فقال وجدت أهل الكتاب اختلفوا فيه فمنهم من قال مات مؤمنا ومنهم من قال أحرق بيت الله وكتبه وقتل الانبياء فغضب الله عليه فلم يقبل توبته ، وقال السدي : ثم ان بختنصر لما رجع الى صورته بعد المسخ ورد الله اليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسدهم المجوس وقالوا لبختنصر ان دانيال اذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عاراً فجعل لهم طعاما وشرابا فأكلوا وشربوا ،وقال للبواب انظر أول من يخرج ليبول فاضربه بالطبرزين فان قال أنا بختنصر فقل كذبت بختنصر أمرني بذلك فكان أول من قام للبول بختنصر فلما رآه البواب شد عليه فقال ويحك أنا بختنصر فقال كذبت بختنصر أمرني فضربه فقتله هذا ماذكره في المبتدأ الا أن رواية من روى ان بختنصر غزا بني اسرائيل عند قتلهم يحيي بن زكريا غلط عند أهل السير بل هم مجمعون على ان بختنصر انما غزا بني اسرائيل عند قتلهم شعياء في عهد أرمياء ومن وقت أرمياء

قال (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أي مستقراً ومحصراً وسجنا لامحيد لهم عنه. قال ابن عباس حصيراً أي سجناً ، وقال مجاهد يحصرون فيها وكذا قال غيره ، وقال الحسن فراشا ومهاداً ، وقال

وتخريب بختنصر بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا أربعمائة واحدى وستون سنة ، وذلك انهم كانوا يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس الى حين عمارته في عهد كيوس بن أخشورش بن أصهيد ببابل من قبل بهمن بن أسفنديار سبعين سنة ، ثم من بعد عمارته الى ظهور الاسكندر على بيت المقدس ثماني وثمانين سنة ، ثم من بعد مملكته الى قتل يحيى بن زكريا ثلثمائة وثلاثا وستين سنة والصحيح من ذلك ماذكر محمد بن اسحاق.

قوله عز وجل (وقضينا الى بني إسرائيل في الكتاب) أي أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون ، والقضاء على وجوه يكون أمراً كقوله (وقضى ربك) ويكون حكما كقوله (ان ربك يقضي بينهم) ويكون خلقا كقوله (فقضاهن سبع سموات) وقال ابن عباس وقتادة يعني وقضينا عليهم فالى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ ﴿لتفسدن﴾ لام القسم مجازه والله لتفسدن ﴿في الارض مرتين﴾ بالمعاصي والمراد بالارض أرض الشام وبيت المقدس ﴿ولتعلن﴾ ولتستكبرن ولتظلمن الناس ﴿علوا كبيرا ، فاذا جاء وعد أولاهما﴾ يعني أولى المرتين قال قتادة ، افسادهم في المرة الاولى ماخالفوا من أحكام التوراة وركبوا المحارم وقال محمد بن اسحاق افسادهم في المرة الاولى قتل شعياء بين الشجرة وارتكابهم المعاصي ﴿بعثنا عليكم عباداً لنا﴾ قال قتادة يعني جالوت الجزري وجنوده وهو الذي قتله داود وقال سعيد بن جبير يعني سنجاريب من أهل نينوى وقال ابن اسحاق بختنصر البابلي وأصحابه وهو الأظهر ﴿أولي بأس﴾ ذوي بطش ﴿شديد﴾ في الحرب ﴿فجاسوا﴾ أي فطافوا وداروا ﴿خلال الديار﴾ وسطها يطلبونكم ويقتلونكم والجوس طلب الشيء بالاستقصاء قال الفراء جاسوا قتلوكم بين بيوتكم ﴿وكان وعداً مفعولا﴾ قضاء كائنا لاخلف فيه ﴿ثم رددنا لكم الكرة﴾ يعني الرجعة والدولة ﴿عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا﴾ عدداً أي من ينفر معكم وعاد البلد أحسن مما كان ﴿إن أحسنتم أحسنتم لانفسكم﴾ أي لها ثوابها ﴿وإن أسأتم فلها﴾ أي فعليها كقوله تعالى (فسلام لك) أي عليك وقيل فلها الجزاء والعقاب ﴿فاذا جاء وعد الآخرة﴾ أي المرة الاخيرة من افسادكم وذلك قصدهم قتل عيسى عليه السلام حين رفع وقتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم خردوش وطيطوس حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم عن ديارهم فذلك قوله تعالى ﴿ليسوءوا وجوهكم﴾ أي تحزن وجوهكم وسوء الوجه بادخال الغم والحزن قرأ الكسائي ويعقوب لنسوء بالنون وفتح الهمزة على التعظيم كقوله وقضينا وبعثنا ، وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر بالياء وفتح الهمزة على التوحيد أي ليسوء الله وجوهكم وقيل ليسوء الوعد وجوهكم وقرأ الباقون بالياء وضم الهمزة على الجمع أي ليسوء العباد أولوا البأس الشديد وجوهكم ﴿وليدخلوا المسجد﴾ يعني بيت المقدس ونواحيه ﴿كما دخلوه

قتادة قد عاد بنو إسرائيل فسلط الله عليهم هذا الحي محمداً ﷺ وأصحابه يأخذون منهم الجزية عن يدوهم صاغرون

ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصلحت أن لهم أجراً كبيرا (٩) وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما (١٠)

يمدح تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن بأنه يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل ويبشر المؤمنين به الذين يعملون الصالحات على مقتضاه ان لهم أجراً كبيراً أي يوم القيامة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة أي ويبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة ان لهم عذابا أليما أي يوم القيامة كما قال تعالى(فبشرهم بعذاب أليم)

ويدع الانسن بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا (١١)

يخبر تعالى عن عجلة الانسان ودعائه في بعض الاحيان على نفسه أو ولده أو ماله بالشر أي بالموت او الهلاك والدمار واللعنة ونحو ذلك فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه كما قال تعالى (ولو يعجل الله للناس الشر) الآية وكذا فسره ابن عباس ومجاهد وقتادة ، وقد تقدم في الحديث « لا تدعوا على أنفسكم ولا على أموالكم ان توافقوا من الله ساعة اجابة يستجيب فيها » وانما يحمل ابن آدم على ذلك قلقه وعجلته ولهذا قال تعالى (وكان الانسان عجولا) وقد ذكر سلمان الفارسي وابن عباس ههنا قصة

أول مرة وليتبروا ﴾ وليهلكوا ﴿ ماعلوا ﴾ أي ماغلبوا عليه من بلادكم ﴿ تتبيرا ، عسى ربكم ﴾ يابني اسرائيل ﴿ أن يرحمكم ﴾ بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم ﴿ وان عدتم عدنا ﴾ أي ان عدتم إلى المعصية عدنا الى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله عليهم محمداً ﷺ فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴾ سجنا ومحبسا من الحصر وهو الحبس قال الحسن حصيراً أي فراشا وذهب الى الحصير الذي يبسط ويفرش ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ أي الى الطريقة التي هي أصوب وقيل الى الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا إله إلا الله ﴿ ويبشر ﴾ يعني القرآن ﴿ المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم ﴾ بأن لهم ﴿ أجراً كبيراً ﴾ وهو الجنة ﴿ وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ﴾ وهو النار

قوله تعالى ﴿ ويدع الانسان ﴾ حذف الواو لفظا لاستثقال اللام الساكنة كقوله (سندع الزبانية) وحذف في الخط أيضا وهي غير محذوفة في المعنى ومعناه ويدعو الانسان على ماله وولده ونفسه ﴿ بالشر ﴾ فيقول عند الغضب اللهم العنه وأهلكه ونحوهما ﴿ دعاءه بالخير ﴾ أي كدعائه ربه بالخير أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ولكن الله لا يستجيب بفضله ﴿ وكان الانسان

آدم عليه السلام حين هم بالنهوض قائما قبل أن تصل الروح الى رجليه وذلك انه جاءته النفخة من قبل رأسه فلما وصلت الى دماغه عطس فقال الحمد لله فقال الله « يرحمك ربك يا آدم » فلما وصلت الى عينيه فتحهما فلما سرت إلى أعضائه وجسده جعل ينظر اليه ويعجبه فهم بالنهوض قبل أن تصل الى رجليه فلم يستطع ، وقال يارب عجل قبل الليل

وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا (١٢)

يمتن تعالى على خلقه بآياته العظام فمنها مخالفته بين الليل والنهار ليسكنوا في الليل وينتشروا في النهار للمعايش والصنائع والاعمال والاسفار وليعلموا عدد الايام والجمع والشهور والاعوام ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والاجارات وغير ذلك ولهذا قال (لتبتغوا فضلا من ربكم) أي في معايشكم وأسفاركم ونحو ذلك (ولتعلموا عدد السنين والحساب) فانه لو كان الزمان كله نسقا واحداً وأسلوبا متساويا لماعرف شيء من ذلك كما قال تعالى (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون * قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون *ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) وقال تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمراً منيرا * وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر او أراد شكورا) وقال تعالى (وله اختلاف الليل والنهار) وقال (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار) وقال تعالى (فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم) وقال تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون * والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) ثم انه تعالى جعل الليل آية أي علامة يعرف بها وهي الظلام وظهور القمر فيه ، وللنهار علامة وهي النور وطلوع الشمس النيرة فيه وفاوت بين نور القمر وضياء الشمس ليعرف هذا من هذا

﴿ عجولا ﴾ بالدعاء على مايكره أن يستجاب له فيه قال جماعة من أهل التفسير وقال ابن عباس ضجراً لاصبر له على السراء والضراء.

قوله عز وجل ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴾ أي علامتين دالتين على وجودنا ووحدانيتنا وقدرتنا ﴿ فمحونا آية الليل ﴾ قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزأ ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزأ فجعلها مع نور الشمس . حكي أن الله تعالى أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور ، وسأل ابن الكواء عليا عن السواد

كما قال تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك إلا بالحق — الى قوله — لآيات لقوم يتقون) وقال تعالى (يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج) الآية قال ابن جريج عن عبدالله بن كثير في قوله (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) قال ظلمة الليل وسدف النهار ، وقال ابن جريج عن مجاهد الشمس آية النهار والقمر آية الليل (فمحونا آية الليل) قال السواد الذي في القمر وكذلك خلقه الله تعالى ، وقال ابن جريج قال ابن عباس كان القمر يضيء كما تضيء الشمس والقمر آية الليل والشمس آية النهار فمحونا آية الليل السواد الذي في القمر ، وقد روى ابو جعفر بن جرير من طرق متعددة جيدة ان ابن الكواء سأل أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب فقال ياأمير المؤمنين ماهذه اللطخة التي في القمر ؟ فقال ويحك أما تقرأ القرآن ؟ فمحونا آية الليل فهذه محوه . وقال قتادة في قوله (فمحونا آية الليل) كنا نحدث أن محو آية الليل سواد القمر الذي فيه ؛ وجعلنا آية النهار مبصرة أي منيرة وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم وقال ابن أبي نجيح عن ابن عباس (وجعلنا الليل والنهار آيتين) . قال ليلا ونهارا كذلك خلقهما الله عز وجل.

وكلّ انسن ألزمنه طئره في عنقه ونُخرج له يوم القيمة كتبا يلقـه منشورا (١٣)

اقرأ كتـبك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (١٤)

يقول تعالى بعد ذكر الزمان وذكر مايقع فيه من أعمال بني آدم وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه وطائره هو ماطار عنه من عمله كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما من خير وشر ويلزمه به ويجازى عليه (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وقال تعالى (عن اليمين وعن الشمال قعيد * مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وقال (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون) الآية وقال (انما تجزون ما كنتم تعملون) وقال (من يعمل سوءا يجز به) والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ عليه قليله وكثيره ويكتب عليه ليلا ونهارا صباحا ومساء

الذي في القمر قال هو أثر المحو ﴿ وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ منيرة مضيئة يعني يبصر بها قال الكسائي تقول العرب أبصر النهار اذا أضاء بحيث يبصر بها ﴿ لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ أي لو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يدر وقت الحج ولا وقت حلول الآجال ولا وقت السكون والراحة ﴿ وكل شيء فصلناه تفصيلا ﴾

قوله عز وجل ﴿ وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾ قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه اينما كان ، وقال الكلبي ومقاتل خيره وشره معه لايفارقه حتى يحاسبه به ، وقال الحسن يمنه وشؤمه وعن مجاهد : مامن مولود إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد . وقال أهل المعاني

وقال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر سمعت رسول الله ﷺ يقول « لطائر كل انسان في عنقه » قال ابن لهيعة يعني الطيرة « وهذا القول من ابن لهيعة في تفسير هذا الحديث غريب جدا والله أعلم . وقوله (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) أي نجمع له عمله كله في كتاب يعطاه يوم القيامة اما بيمينه ان كان سعيدا او بشماله ان كان شقيا منشورا أي مفتوحا يقرؤه هو وغيره فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر * بل الانسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره) ولهذا قال تعالى (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) أي انت تعلم انك لم تظلم ولم يكتب عليك الا ما عملت لأنك ذكرت جميع ما كان منك ولا ينسى أحد شيئا مما كان منه وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمي وقوله (ألزمناه طائره في عنقه) انما ذكر العنق لانه عضو من الاعضاء لانظير له في الجسد ، ومن ألزم بشيء فيه فلا محيد له عنه كما قال الشاعر

اذهب بها اذهب بها طوقتها طوق الحمام

قال قتادة عن جابر بن عبدالله عن النبي ﷺ انه قال « لاعدوى ولاطيرة وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه » كذا رواه ابن جرير ، وقد رواه الامام عبد بن حميد في مسنده متصلا فقال : حدثنا الحسن ابن موسى حدثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « طير كل عبد في عنقه »

وقال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحاق ثنا عبدالله ثنا ابن لهيعة حدثني يزيد أن أبا الخير حدثه أنه سمع عقبة بن عامر رضي الله عنه يحدث عن النبي ﷺ قال « ليس من عمل يوم الا وهو يختم عليه » فاذا مرض المؤمن قالت الملائكة يا ربنا عبدك فلان قد حبسته فيقول الرب جل جلاله اختموا له على مثل عمله حتى يبرأ أو يموت » اسناد جيد قوي ولم يخرجوه . وقال معمر عن قتادة (ألزمناه طائره في عنقه) قال عمله (ونخرج له يوم القيامة) قال نخرج ذلك العمل (كتابا يلقاه منشوراً) قال معمر وتلا الحسن البصري (عن اليمين وعن الشمال قعيد) يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك ووكل بك ملكان

أراد بالطائر ماقضى الله عليه أنه عامله وما هو صائر اليه من سعادة أو شقاوة سمي طائراً على عادة العرب فيما كانت تتفاءل وتتشاءم به من سوانح الطير وبوارحها . وقال أبو عبيدة والقتيبي أراد بالطائر حظه من الخير والشر من قولهم طار سهم فلان بكذا وكذا ، وخص العنق من بين سائر الاعضاء لانه موضع القلائد والاطواق وغيرها مما يزين أو يشين فجرى كلام العرب بتشبيه الاشياء اللازمة الى الاعناق ﴿ ونخرج له ﴾ يقول الله تعالى ونحن نخرج له ﴿ يوم القيامة كتابا ﴾ وقرأ الحسن ومجاهد ويعقوب ويخرج له بفتح الياء وضم الراء معناه ويخرج له الطائر يوم القيامة كتابا وقرأ أبو جعفر يخرج بالياء وضمها وفتح الراء ﴿ يلقاه ﴾ قرأ ابن عامر وأبو جعفر يلقاه بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف يعني يلقى الانسان ذلك الكتاب أي يؤتاه وقرأ الباقون بفتح الياء خفيفة أي يراه ﴿ منشورا ﴾

كريمان (أحدهما) عن يمينك (والآخر) عن شمالك ، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ماشئت أقلل أو أكثر حتى اذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابا تلقاه منشوراً اقرأ كتابك الآية فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك هذا من أحسن كلام الحسن رحمه الله

من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (١٥)

يخبر تعالى أن من اهتدى واتبع الحق واقتفى أثر النبوة فانما يحصل عاقبة ذلك الحميدة لنفسه (ومن ضل) أي عن الحق وزاغ عن سبيل الرشاد فانما يجني على نفسه وانما يعود وبال ذلك عليه ثم قال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لايحمل أحد ذنب أحد ولا يجني جان الا على نفسه كما قال تعالى (وإن تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شيء) ولا منافاة بين هذا وبين قوله (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) وقوله (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) فان الدعاة عليهم اثم ضلالتهم في أنفسهم ، واثم آخر بسبب ماأضلوا من أضلوا من غير أن ينقص من أوزار أولئك ولا يحمل عنهم شيئا. وهذا من عدل الله ورحمته بعباده ، وكذا قوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) اخبار عن عدله تعالى وأنه لايعذب أحداً الا بعد قيام الحجة عليه بارسال الرسول اليه كقوله تعالى (كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ؟ قالوا بلى قد جاء نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شيء إن أنتم الا في ضلال كبير) وكذا قوله (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) وقال تعالى (وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير؟ فذوقوا فما للظالمين من نصير) الى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لايدخل أحدا النار الا بعد ارسال الرسول اليه ، ومن ثم طعن جماعة من العلماء في اللفظة التي جاءت معجمة في صحيح البخاري عند قوله تعالى (ان رحمة الله قريب من المحسنين)

حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن صالح بن كيسان عن الاعرج باسناده الى

وفي الآثار أن الله تعالى يأمر الملك بطي الصحيفة إذا تم عمر العبد فلا تنشر إلا في يوم القيامة ﴿ اقرأ كتابك ﴾ أي يقال له اقرأ كتابك، قوله تعالى ﴿ كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ محاسبا قال الحسن لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك قال قتادة سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا في الدنيا ﴿ من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ﴾ لها ثوابه ﴿ ومن ضل فانما يضل عليها ﴾ لان عليها عقابه ﴿ ولا تزر

أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « اختصمت الجنة والنار » فذكر الحديث الى أن قال « وأما الجنة فلا يظلم الله من خلقه أحداً وإنه ينشيء للنار خلقا فيلقون فيها فتقول هل من مزيد ثلاثا» وذكر تمام الحديث فهذا انما جاء في الجنة لانها دار فضل ، وأما النار فانها دار عدل لايدخلها أحد الا بعد الاعذار اليه وقيام الحجة عليه ، وقد تكلم جماعة من الحفاظ في هذه اللفظة وقالوا لعله انقلب على الراوي بدليل ماأخرجاه في الصحيحين واللفظ للبخاري من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ « تحاجت الجنة والنار » فذكر الحديث الى أن قال « فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع فيها قدمه فتقول قط قط فهنالك تمتلىء وينزوي بعضها الى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحداً ، وأما الجنة فان الله ينشيء لها خلقا »

بقي ههنا مسئلة قد اختلف الائمة رحمهم الله تعالى فيها قديما وحديثا وهي الولدان الذين ماتوا وهم صغار وآباؤهم كفار ماذا حكمهم، وكذا المجنون والاصم والشيخ الخرف ومن مات في الفترة ولم تبلغه دعوة، وقد ورد في شأنهم أحاديث أنا أذكرها لك بعون الله وتوفيقه ثم نذكر فصلا ملخصا من كلام الائمة والله المستعان

﴿ فالحديث الاول ﴾ عن الاسود بن سريع قال الامام أحمد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن الاحنف بن قيس عن الاسود بن سريع أن رسول الله ﷺ قال « أربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئا ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات في فترة ، فأما الاصم فيقول رب قد جاء الاسلام وما أسمع شيئا ، وأما الاحمق فيقول رب قد جاء الاسلام والصبيان يحذفوني بالبعر ، وأما الهرم فيقول رب لقد جاء الاسلام وما أعقل شيئا ، وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني لك رسول. فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم أن ادخلوا النار فوالذي نفس محمد بيده لودخلوها لكانت عليهم برداً وسلاما » وبالاسناد عن قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة مثله غير أنه قال في آخره « فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاما ، ومن لم يدخلها يسحب اليها » وكذا رواه اسحاق بن راهويه عن معاذ بن هشام ، ورواه البيهقي في كتاب الاعتقاد من حديث أحمد بن اسحاق عن علي بن عبد الله المديني به وقال هذا اسناد صحيح ، وكذا رواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي رافع عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربعة كلهم يدلي على الله بحجة » فذكر نحوه ، ورواه ابن جرير من حديث معمر عن همام عن أبي هريرة فذكره مرفوعا ، ثم قال أبو هريرة فاقرءوا ان شئتم (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وكذا رواه معمر عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة موقوفا

﴿ الحديث الثاني ﴾ عن أنس بن مالك. قال أبو داود الطيالسي حدثنا الربيع عن يزيد هو ابن أبان

وازرة وزر أخرى﴾ أي لاتحمل حاملة حمل اخرى من الآثام أي لايؤخذ أحد بذنب أحد ﴿ وما

قال : قلنا لأنس يا أبا حمزة ماتقول في أطفال المشركين ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ « لم يكن لهم سيئات فيعذبوا بها فيكونوا من أهل النار ، ولم يكن لهم حسنات فيجازوا بها فيكونوا من أهل الجنة »

﴿ الحديث الثالث ﴾ عن أنس أيضاً . قال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن ليث عن عبد الوارث عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « يؤتى بأربعة يوم القيامة : بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة والشيخ الفاني الهم كلهم يتكلم بحجته فيقول الرب تبارك وتعالى لعنق من النار ابرز ويقول لهم اني كنت أبعث الى عبادي رسلا من أنفسهم واني رسول نفسي اليكم ادخلوا هـذه قال فيقول من كتب عليه الشقاء يارب أنى ندخلها ومنها كنا نفر ، قال ومن كتبت عليه السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعا ، قال فيقول الله تعالى أنتم لرسلي أشد تكذيبا ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار » وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البزار عن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد باسناده مثله

﴿ الحديث الرابع ﴾ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده أيضا حدثنا قاسم بن أبي شيبة حدثنا عبد الله يعني ابن داود عن عمر بن ذر عن يزيد بن أمية عن البراء قال : سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المسلمين قال « هم مع آبائهم » وسئل عن أولاد المشركين فقال « هم مع آبائهم » فقيل يارسول الله مايعملون ؟ قال « الله أعلم بهم » ورواه عمر بن ذر عن يزيد ابن أمية عن رجل عن البراء عن عائشة فذكره

﴿ الحديث الخامس ﴾ عن ثوبان قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبـد الخالق البزار في مسنده حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا ريحان بن سعيد حدثنا عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان أن النبي ﷺ عظم شأن المسئلة قال « اذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوزارهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل الينا رسولا ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت الينا رسولا لكنا أطوع عبادك فيقول لهم ربهم أرأيتم إن أمرتكم بأمر تطيعوني ؟ فيقولون نعم ، فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلوها فينطلقون حتى اذا دنوا منها وجدوا لها تغيظا وزفيراً فرجعوا إلى ربهم فيقولون ربنا أخرجنا أو أجرنا منها ، فيقول لهم ألم تزعموا أني إن أمرتكم بأمر تطيعوني ؟ فيأخذ على ذلك مواثيقهم فيقول اعمدوا اليها فادخلوها فينطلقون حتى اذا رأوها فرقوا منها فرجعوا وقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها فيقول ادخلوها داخرين » فقال نبي الله ﷺ « لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برداً وسلاما » ثم قال البزار ومتن هذا الحديث غير معروف الا من هذا الوجه لم يروه عن أيوب الا عباد ولا عن عباد الا ريحان بن سعيد ، قلت وقد ذكره ابن حبان في ثقاته ، وقال يحيى بن معين والنسائي لا بأس به ولم يرضه أبو داود ، وقال أبو حاتم شيخ لا بأس به يكتب حديثه ولا يحتج به

كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ اقامة للحجة وقطعا للعذر وفيه دليل على ان ماوجب وجب بالسمع لا بالعقل

﴿ الحديث السادس ﴾ عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري : قال الامام محمد بن يحيي الذهلي حدثنا سعيد بن سليمان عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « الهالك في الفترة والمعتوه والمولود : يقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب ، ويقول المعتوه رب لم تجعل لي عقلا أعقل به خيراً ولا شراً ، ويقول المولود رب لم أدرك العقل فترفع لهم نار فيقال لهم ردُوها ، قال فيردها من كان في علم الله سعيداً لو أدرك العمل ، ويمسك عنها من كان في علم الله شقياً لو أدرك العمل ، فيقول اياي عصيتم فكيف لو أن رسلي أتتكم؟ » وكذا رواه البزار عن محمد بن عمر بن هياج الكوفي عن عبيدالله بن موسى عن فضيل بن مرزوق به ثم قال لا يعرف من حديث أبي سعيد الا من طريقه عن عطية عنه ، وقال في آخره « فيقول الله اياي عصيتم فكيف برسلي بالغيب »

﴿ الحديث السابع ﴾ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال هشام بن عمار ومحمد بن المبارك الصوري حدثنا عمرو بن واقد عن يونس بن جليس عن أبي ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل عن نبي الله ﷺ قال « يؤتى يوم القيامة بالممسوخ عقلا وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيرا فيقول الممسوخ يارب لو آتيتني عقلا ما كان من آتيته عقلا باسعد مني » وذكر في الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك فيقول الرب عز وجل اني آمركم بأمر فتطيعوني؟ فيقولون نعم فيقول اذهبوا فادخلوا النار قال ولو دخلوها ماضرتهم فتخرج عليهم قوابص فيظنون أنها قد أهلكت ماخلق الله من شيء فيرجعون سراعا ثم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك فيقول الرب عز وجل قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون ، على علمي خلقتكم والى علمي تصيرون ، ضميهم . فتأخذهم النار »

﴿ الحديث الثامن ﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه. قد تقدم روايته مدرجة مع رواية الاسود بن سريع رضي الله عنه وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » وفي رواية قالوا يارسول الله أفرأيت من يموت صغيرا ؟ قال « الله أعلم بما كانوا عاملين »

وقال الامام احمد حدثنا موسى بن داود حدثنا عبدالرحمن بن ثابت عن عطاء بن قرة عن عبدالله ابن ضمرة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما أعلم شك موسى قال « ذراري المسلمين في الجنة يكفلهم ابراهيم عليه السلام » وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل أنه قال « اني خلقت عبادي حنفاء » وفي رواية لغيره « مسلمين »

﴿ الحديث التاسع ﴾ عن سمرة رضي الله عنه رواه الحافظ أبو بكر البرقاني في كتابه المستخرج على البخاري من حديث عوف الاعرابي. عن أبي رجاء العطاردي عن سمرة (رض) عن النبي ﷺ قال « كل مولود يولد على الفطرة » فناداه الناس يارسول الله وأولاد المشركين ؟ قال « وأولاد المشركين »

وقال الطبراني : حدثنا عبدالله بن احمد حدثنا عقبة بن مكرم الضبي عن عيسى بن شعيب عن عباد بن

منصور عن أبي رجاء عن سمرة قال سألنا رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين فقال « هم خدم أهل الجنة »

﴿الحديث العاشر﴾ عن عم خنساء . قال احمد حدثنا روح حدثنا عوف عن خنساء بنت معاوية من بني صريم قالت حدثني عمي قال : قلت يارسول الله من في الجنة ? قال « النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والوئيد في الجنة »

فمن العلماء من ذهب الى الوقوف فيهم لهذا الحديث ، ومنهم من جزم لهم بالجنة لحديث سمرة بن جندب في صحيح البخاري انه عليه الصلاة والسلام قال في جملة ذلك المنام حين مر على ذلك الشيخ تحت الشجرة وحوله ولدان فقال له جبريل هذا ابراهيم عليه السلام وهؤلاء أولاد المسلمين وأولاد المشركين قالوا يارسول الله وأولاد المشركين قال « نعم وأولاد المشركين » ومنهم من جزم لهم بالنار لقوله عليه السلام « هم مع آبائهم » ومنهم من ذهب إلى انهم يمتحنون يوم القيامة في العرصات فمن أطاع دخل الجنة وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة ، ومن عصى دخل النار داخراً وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة . وهذا القول يجمع بين الادلة كلها وقد صرحت به الاحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض . وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري عن أهل السنة والجماعة وهو الذي نصره الحافظ ابو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ والنقاد ، وقد ذكر الشيخ ابو عمر بن عبد البر النمري بعض ماتقدم من أحاديث الامتحان ثم قال : وأحاديث هذا الباب ليست قوية ولا تقوم بها حجة وأهل العلم ينكرونها لان الآخرة دار جزاء وليست بدار عمل ولا ابتلاء فكيف يكلفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين والله لايكلف نفسا إلا وسعها (والجواب) عما قال ان أحاديث هذا الباب منها ماهو صحيح كما قد نص على ذلك كثير من أئمة العلماء ، ومنها ماهو حسن ومنها ماهو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن ، واذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط أفادت الحجة عند الناظر فيها ، وأما قوله ان الدار الآخرة دار جزاء فلا شك أنها دار جزاء ولا ينافي التكليف في عرصاتها قبل دخول الجنة أو النار كما حكاه الشيخ ابو الحسن الاشعري عن مذهب أهل السنة والجماعة من امتحان الاطفال وقد قال تعالى (يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود) الآية ، وقد ثبت في الصحاح وغيرها أن المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة وان المنافق لايستطيع ذلك ويعود ظهره كالصفيحة الواحدة طبقا واحداً كلما أراد السجود خر لقفاه . وفي الصحيحين في الرجل الذي يكون آخر أهل النار خروجا منها ان الله يأخذ عهوده ومواثيقه ان لايسأل غير ماهو فيه ويتكرر ذلك مراراً ويقول الله تعالى يا ابن آدم ما أغدرك ثم يأذن له في دخول الجنة ، وأما قوله فكيف يكلفهم الله دخول النار وليس ذلك في وسعهم فليس هذا بمانع من صحة الحديث فان الله يأمر العباد يوم القيامة بالجواز على الصراط وهو جسر على جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة ويمر المؤمنون عليه بحسب أعمالهم كالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب ومنهم الساعي ومنهم الماشي ومنهم من يحبو حبواً ومنهم المكدوش

على وجهه في النار ، وليس ماورد في اولئك بأعظم من هذا بل هذا أطم وأعظم ، وأيضاً فقد ثبتت السنة بأن الدجال يكون معه جنة ونار ، وقد أمر الشارع المؤمنين الذين يدركونه أن يشرب أحدهم من الذي يرى انه نار فانه يكون عليه برداً وسلاما فهذا نظير ذاك ، وأيضا فان الله تعالى أمر بني اسرائيل أن يقتلوا أنفسهم فقتل بعضهم بعضا حتى قتلوا فيما قيل في غداة واحدة سبعين الفا يقتل الرجل أباه وأخاه وهم في عماية غمامة أرسلها الله عليهم وذلك عقوبة لهم على عبادتهم العجل وهذا أيضا شاق على النفوس جدا لايتقاصر عما ورد في الحديث المذكور والله أعلم

(فصل) إذا تقرر هذا فقد اختلف الناس في ولدان المشركين على أقوال (أحدها) أنهم في الجنة واحتجوا بحديث سمرة أنه عليه السلام رأى مع ابراهيم عليه السلام أولاد المسلمين وأولاد المشركين وبما تقدم في رواية احمد عن خنساء عن عمها أن رسول الله ﷺ قال « والمولود في الجنة » وهذا استدلال صحيح ولكن أحاديث الامتحان أخص منه . فمن علم الله منه أنه يطيع جعل روحه في البرزخ مع ابراهيم وأولاد المسلمين الذين ماتوا على الفطرة ، ومن علم منه أنه لا يجيب فأمره إلى الله تعالى ويوم القيامة يكون في النار كما دلت عليه أحاديث الامتحان ونقله الاشعري عن أهل السنة ، ثم إن هؤلاء القائلين بانهم في الجنة منهم من يجعلهم مستقلين فيها ومنهم من يجعلهم خدما لهم كما جاء في حديث علي بن زيد عن أنس عند أبي داود الطيالسي وهو ضعيف والله أعلم

(والقول الثاني) انهم مع آبائهم في النار واستدل عليه بما رواه الامام احمد بن حنبل عن أبي المغيرة حدثنا عتبة بن ضمرة بن حبيب حدثني عبدالله بن أبي قيس مولى غطيف انه أتى عائشة فسألها عن ذراري الكفار فقالت قال رسول الله ﷺ « هم تبع لا بائهم » فقلت يارسول الله بلا أعمال؟ فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » وأخرجه ابو داود من حديث محمد بن حرب عن محمد بن زياد الالهاني سمعت عبدالله بن أبي قيس سمعت عائشة تقول سألت رسول الله ﷺ عن ذراري المؤمنين قال « هم مع آبائهم » قلت فذراري المشركين ؟ قال « هم مع آبائهم » فقلت بلا عمل ؟ قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » ورواه احمد أيضاً عن وكيع عن أبي عقيل يحيى بن المتوكل وهو متروك عن مولاته بهية عن عائشة أنها ذكرت أطفال المشركين لرسول الله ﷺ فقال « ان شئت أسمعتك تضاغيهم في النار » وروى عبدالله بن الامام احمد حدثنا عثمان بن أبي شيبة عن محمد بن فضيل بن غزوان عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي رضي الله عنه قال : سألت خديجة رسول الله ﷺ عن ولدين لها ماتا في الجاهلية فقال « هما في النار » قال فلما رأى الكراهية في وجهها فقال لها « لو رأيت مكانهما لأبغضتهما » قالت فولدي منك ؟ قال « إن المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن المشركين وأولادهم في النار ثم قرأ (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم)وهذا حديث غريب فان في إسناده محمد بن عثمان مجهول الحال وشيخه زاذان لم يدرك عليا والله أعلم

وروى ابو داود من حديث ابن أبي زائدة عن أبيه عن الشعبي قال قال رسول الله ﷺ « الوائدة

والموءودة في النار » ثم قال الشعبي حدثني به علقمة عن أبي وائل عن ابن مسعود » وقد رواه جماعة عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن سلمة بن قيس الاشجعي قال : أتيت أنا وأخي النبي ﷺ فقلنا ان أمنا ماتت في الجاهلية وكانت تقري الضيف وتصل الرحم وانها وأدت اختا لنا في الجاهلية لم تبلغ الحنث فقال « الوائدة والموءودة في النار إلا أن تدرك الوائدة الاسلام فتسلم » وهذا اسناد حسن

(والقول الثالث) التوقف فيهم واعتمدوا على قوله ﷺ « الله أعلم بما كانوا عاملين » وهو في الصحيحين من حديث جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » وكذلك هو في الصحيحين من حديث الزهري عن عطاء بن يزيد، وعن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه سئل عن أطفال المشركين فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » ومنهم من جعلهم من أهل الاعراف وهذا القول يرجع إلى قول من ذهب الى انهم من أهل الجنة لان الاعراف ليس دار قرار ومآل أهلها إلى الجنة كما تقدم تقرير ذلك في سورة الاعراف والله أعلم

(فصل) وليعلم أن هذا الخلاف مخصوص بأطفال المشركين » فأما ولدان المؤمنين فلا خلاف بين العلماء كما حكاه القاضي أبو يعلى بن الفراء الحنبلي عن الامام أحمد أنه قال : لا يختلف فيهم أنهم من أهل الجنة وهذا هو المشهور بين الناس وهو الذي نقطع به ان شاء الله عز وجل ، فأما ماذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر عن بعض العلماء أنهم توقفوا في ذلك وأن الولدان كلهم تحت المشيئة » قال أبو عمر ذهب إلى هذا القول جماعة من أهل الفقه والحديث منهم حماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك واسحاق بن راهويه وغيرهم قالوا وهو يشبه مارسم مالك في موطئه في أبواب القدر وما أورده من الاحاديث في ذلك » وعلى ذلك أكثر أصحابه وليس عن مالك فيه شيء منصوص إلا أن المتأخرين من أصحابه ذهبوا إلى أن أطفال المسلمين في الجنة وأطفال المشركين خاصة في المشيئة . انتهى كلامه وهو غريب جداً ، وقد ذكر أبو عبد الله القرطبي في كتاب التذكرة نحو ذلك أيضاً والله أعلم

وقد ذكروا في ذلك أيضا حديث عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت : دعي النبي ﷺ إلى جنازة صبي من الانصار فقلت يارسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه ؟ فقال « أوغير ذلك ياعائشة، ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم » وخلق النار وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم » رواه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه

ولما كان الكلام في هذه المسئلة يحتاج إلى دلائل صحيحة جيدة وقد يتكلم فيها من لا علم عنده عن الشارع كره جماعة من العلماء الكلام فيها روي ذلك عن ابن عباس والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن الحنفية وغيرهم . وأخرج ابن حبان في صحيحه عن جرير بن حازم سمعت أبا رجاء العطاردي سمعت ابن عباس (رض) وهو على المنبر يقول: قال رسول الله ﷺ « لا يزال أمر هذه الامة مواتيا أو مقاربا مالم يتكلموا في الولدان والقدر » قال ابن حبان يعني أطفال المشركين ، وهكذا رواه

أبو بكر البزار من طريق جرير بن حازم به ثم قال وقد رواه جماعة عن أبي رجاء عن ابن عباس موقوفا

وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً (١٦)

اختلف القراء في قراءة قوله (أمرنا) فالمشهور قراءة التخفيف واختلف المفسرون في معناها فقيل معناه أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمراً قدريا كقوله تعالى (أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً) فان الله لا يأمر بالفحشاء « قالوا معناه أنه سخرهم إلى فعل الفواحش فاستحقوا العذاب ، وقيل معناه أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة . رواه ابن جريج عن ابن عباس وقاله سعيد بن جبير أيضا ، وقال ابن جرير يحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء قلت انما يجيء هذا على قراءة من قرأ (أمرنا مترفيها) قال علي بن طلحة عن ابن عباس قوله (أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) يقول سلطنا أشرارها فعصوا فيها فاذا فعلوا ذلك أهلكهم الله بالعذاب وهو قوله (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها) الآية ، وكذا قال أبو العالية ومجاهد والربيع بن أنس ، وقال العوفي عن ابن عباس (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) يقول أكثرنا عددهم ، وكذا قال عكرمة والحسن والضحاك وقتادة ، وعن مالك عن الزهري (أمرنا مترفيها) أكثرنا وقد استشهد بعضهم بالحديث الذي رواه الامام أحمد حيث قال : حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو نعامة العدوي عن مسلم بن بديل عن اياس بن زهير عن سويد بن هبيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خير مال امرىء له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة » قال الامام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه الغريب المأمورة كثيرة النسل

﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ﴾ قرأ مجاهد أمّرنا بالتشديد أي سلطنا شرارها فعصوا وقرأ الحسن وقتادة ويعقوب آمرنا بالمد أي أكثرنا وقرأ الباقون بالقصر مخففا أي أمرناهم بالطاعة فعصوا ويحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء ويحتمل أن تكون بمعنى اكثرنا يقال أمرهم الله أي كثرهم الله وفي الحديث « خير المال مهرة مأمورة » أي كثيرة النسل ويقال منه أمر القوم يأمرون أمراً اذا كثروا وليس من الامر بمعنى الفعل فان الله لا يأمر بالفحشاء واختار أبو عبيدة قراءة العامة وقال لان المعاني الثلاثة تجتمع فيها يعني الامر والامارة والكثرة (مترفيها) منعميها واغنياءها ﴿ ففسقوا فيها فحق عليها القول ﴾ وجب عليها العذاب ﴿ فدمرناها تدميرا ﴾ أي خربناها وأهلكنا من فيها أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة حدثته عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ دخل عليها فزعا وهو يقول « لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب » فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه » وحلق بأصبعه الابهام

والسكة الطريقة المصطفة من النخل والمأبورة من التأبير » وقال بعضهم انما جاء هذا متناسبا كقوله « مأزورات غير مأجورات »

وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً (١٧)

يقول تعالى منذراً كفار قريش في تكذيبهم رسوله محمداً ﷺ بأنه قد أهلك أمما من المكذبين للرسل من بعد نوح ودل هذا على أن القرون التي كانت بين آدم ونوح على الاسلام كما قاله ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام. ومعناه أنكم أيها المكذبون لستم أكرم على الله منهم وقد كذبتم أشرف الرسل وأكرم الخلائق فعقوبتكم أولى وأحرى . وقوله (وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً) أي هو عالم بجميع أعمالهم خيرها وشرها لايخفى عليه منها خافية سبحانه وتعالى

من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحوراً (١٨) ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً (١٩)

يخبر تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له بل انما يحصل لمن أراد الله ومايشاء وهذه مقيدة لاطلاق ماسواها من الآيات فانه قال (عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم) أي في الآخرة (يصلاها) أي يدخلها حتى تغمره من جميع جوانبه (مذموما) أي في حال كونه مذموما على سوء تصرفه وصنيعه اذ اختار الفاني على الباقي (مدحوراً) مبعداً مقصيا حقيراً ذليلا مهانا . روى الامام أحمد حدثنا حسين حدثنا دويل عن أبي اسحاق عن زرعة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا دار من لادار له ، ومال من لامال له ، ولها يجمع من لاعقل له » وقوله (ومن أراد الآخرة) أي أراد الدار الآخرة وما فيها من النعيم والسرور (وسعى لها سعيها) أي طلب ذلك

والتي تليها قالت زينب فقلت يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال « نعم اذا كثر الخبث »

قوله ﴿ وكم أهلكنا من القرون ﴾ أي المكذبة ﴿ من بعد نوح ﴾ يخوف كفار مكة ﴿ وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيرا ﴾ قال عبد الله بن أبي أوفى القرن مائة وعشرون سنة فبعث رسول الله ﷺ في أول قرن وكان في آخره يزيد بن معاوية وقيل مائة سنة وروى عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بشر المازني أن رسول الله ﷺ وضع يديه على رأسه وقال « سيعيش هذا الغلام قرنا » وقال محمد بن القاسم فما زلنا نعد له حتى تم له مائة سنة ثم مات . قال الكلبي القرن ثمانون سنة وقيل أربعون سنة ﴿ من كان يريد العاجلة ﴾ يعني الدنيا أي الدار العاجلة ﴿ عجلنا له فيها مانشاء ﴾ من البسط والتقتير ﴿ لمن نريد ﴾ أن نفعل به ذلك واهلاكه ﴿ ثم جعلنا له ﴾ في الآخرة ﴿ جهنم يصلاها ﴾ يدخل نارها ﴿ مذموما مدحورا ﴾ مطرودا مبعداً ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها ﴾ عمل عملها ﴿ وهو

من طريقه وهو متابعة الرسول ﷺ (وهو مؤمن) أي قلبه مؤمن أي مصدق بالثواب والجزاء (فأولئك كان سعيهم مشكوراً)

كُلاًّ نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً (٢٠) انظر كيف فضَّلنا بعضَهم على بعض ، وللآخرةُ أكبر درجتٍ وأكبر تفضيلا (٢١)

يقول تعالى (كلا) أي كل واحد من الفريقين الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة نمدهم فيما هم فيه (من عطاء ربك) أي هو المتصرف الحاكم الذي لايجور فيعطي كلا مايستحقه من السعادة والشقاوة فلا راد لحكمه ولا مانع لما أعطى ولا مغير لما أراد ولهذا قال (وما كان عطاء ربك محظوراً) أي لايمنعه أحد ولا يرده راد « قال قتادة (وما كان عطاء ربك محظوراً) أي منقوصا ، وقال الحسن وغيره أي ممنوعا ثم قال تعالى (أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) أي في الدنيا فمنهم الغني والفقير وبين ذلك، والحسن والقبيح وبين ذلك « ومن يموت صغيراً ، ومن يعمر حتى يبقى شيخا كبيراً، وبين ذلك (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) أي ولتفاوتهم في الدار الآخرة أكبر من الدنيا فان منهم من يكون في الدركات في جهنم وسلاسلها وأغلالها « ومنهم من يكون في الدرجات العلى ونعيمها وسرورها ، ثم أهل الدركات يتفاوتون فيما هم فيه كما أن أهل الدرجات يتفاوتون فان الجنة مائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء والارض . وفي الصحيحين « ان أهل الدرجات العلى ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء » ولهذا قال تعالى (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) وفي الطبراني من رواية زاذان عن سلمان مرفوعا « مامن عبد يريد أن يرتفع في الدنيا درجة فارتفع إلا وضعه الله في الآخرة أكبر منها » ثم قرأ (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا)

لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعدَ مذموما مخذولا (٢٢)

يقول تعالى والمراد المكلفون من الامة لاتجعل أيها المكلف في عبادتك ربك له شريكا (فتقعد مذموما) أي على اشراكك به (مخذولا) لان الرب تعالى لاينصرك بل يكلك الى الذي عبدت معه وهو لايملك لك ضراً ولا نفعا لان مالك الضر والنفع هو الله وحده لاشريك له . وقد قال الامام أحمد

مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا ﴾ مقبولا ﴿ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء ﴾ أي نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة ﴿ من عطاء ربك ﴾ أي يرزقهما جميعا ثم يختلف بهما الحال في المآل ﴿ وما كان عطاء ربك ﴾ رزق ربك ﴿ محظوراً ﴾ ممنوعا عن عباده فالمراد من العطاء العطاء في الدنيا وإلا فلا حظ للكفار في الآخرة ﴿ انظر ﴾ يامحمد ﴿ كيف فضلنا بعضهم على بعض ﴾ في الرزق والعمل الصالح يعني طالب العاجلة وطالب الآخرة ﴿ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾ لاتجعل مع الله

حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا بشير بن سلمان عن سيار ابن الحكم عن طارق بن شهاب عن عبدالله ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن أنزلها بالله أرسل الله له بالغنى اما آجلا واما غنى عاجلا» ورواه أبو داود والترمذي من حديث بشير بن سلمان به ، وقال الترمذي حسن صحيح غريب

وقضى ربك ألا تعبدوا الا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما (٢٣) واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً (٢٤)

يقول تعالى آمراً بعبادته وحده لاشريك له فان القضاء ههنا بمعنى الامر ، قال مجاهد (وقضى) يعني وصى ، وكذا قرأ أبي بن كعب وابن مسعود والضحاك بن مزاحم(ووصى ربك أن لاتعبدوا إلا إياه) ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين فقال (وبالوالدين احسانا) أي وأمر بالوالدين احسانا كقوله في الآية الاخرى (أن اشكرلي ولوالديك إلي المصير) وقوله (اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف) أى لاتسمعهماقولا سيئا حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيء (ولا تنهرهما) أي ولا يصدر منك اليهما فعل قبيح كما قال عطاء بن أبي رباح في قوله (ولا تنهرهما) أي لاتنفض يدك عليهما ، ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال

إلها آخر ﴾ الخطاب مع النبي ﷺ والمراد غيره وقيل معناه لاتجعل أيها الانسان مع الله إلها آخر ﴿ فتقعد مذموما مخذولا ﴾ مذموما من غير حمد مخذولا من غير نصر

قوله عز وجل ﴿ وقضى ربك ﴾ وأمر ربك قاله ابن عباس وقتادة والحسن قال الربيع بن أنس: وأوجب ربك قال مجاهد: وأوصى ربك وحكي عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأ ووصى ربك وقال إنهم ألصقوا الواو بالصاد فصارت قافا ﴿ ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا ﴾ أي وأمر بالوالدين احسانا براً بهما وعطفا عليهما ﴿ إما يبلغن عندك الكبر ﴾ قرأ حمزة والكسائي بالالف على التثنية فعلى هذا قوله ﴿ أحدهما أو كلاهما ﴾ كلام مستأنف كقوله تعالى (ثم عموا وصموا كثير منهم) وقوله (وأسروا النجوى الذين ظلموا) وقوله (الذين ظلموا) ابتداء ، وقرأ الباقون يبلغن على التوحيد ﴿ فلا تقل لهما أف ﴾ فيه ثلاث لغات قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بفتح الفاء ، وقرأ أبو جعفر ونافع وحفص بالكسر والتنوين والباقون بكسر الفاء غير منون ومعناها واحد وهي كلمة كراهية قال أبو عبيدة: أصل التف والأف الوسخ على الاصابع اذا فتلتها وقيل الاف مايكون في المغابن من الوسخ والتف مايكون

(وقل لهما قولا كريما) أي لينا طيبا حسنا بتأدب وتوقير وتعظيم (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أي تواضع لهما بفعلك (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) أي في كبرهما وعند وفاتهما ، قال ابن عباس ثم أنزل الله (ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) الآية

وقد جاء في بر الوالدين أحاديث كثيرة منهـا الحديث المروي من طرق عن أنس وغيره أن النبي ﷺ صعد المنبر ثم قال « آمين آمين آمين » قيل يارسول الله على ما أمنت » قال « أتاني جبريل فقال يامحمد رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك ، قل آمين فقلت آمين ثم قال رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له ، قل آمين فقلت آمين ، ثم قال رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة ، قل آمين فقلت آمين »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا هشيم حدثنا علي بن زيد عن زرارة بن أوفى عن مالك بن الحرث عن رجل منهم انه سمع النبي ﷺ يقول « من ضم يتيما من أبوين مسلمين الى طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له الجنة البتة ، ومن أعتق امرأ مسلما كان فكاكه من النـار يجزي بكل عضو منه عضـواً منـه » ثم قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شـعبة سمعت علي بن زيد فذكر معناه إلا أنه قال عن رجـل عن قومه يقال له مالك أو ابن مالك وزاد « ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله »

﴿ حديث آخر ﴾ وقال الامام أحمد حدثنا عفان عن حماد بن سلمة حدثنا علي بن زيد عن زرارة ابن أوفى عن مالك بن عمرو القشـيري سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار فان كل عظم من عظامه محررة بعظم من عظامه ، ومن أدرك أحد والديه ثم لم يغفر له فأبعده الله عز وجل ، ومن ضم يتيما من أبوين مسلمين الى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله وجبت له الجنة »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا حجاج ومحـمد بن جعفر قالا حدثنا شعبة عن قتادة سمعت زرارة بن أوفى يحدث عن أبي مالك القشيري قال : قال النبي ﷺ « من أدرك والديه

في الاصابع وقيل الأف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار وقيل الأف وسخ الظفر والتف مارفعته بيدك من الارض من شيء حقير ﴿ ولا تنهرهما ﴾ ولا تزجرهما ﴿ وقل لهما قولا كريما ﴾ حسنا جميلا لينا قال ابن المسيب : كقول العبد المذنب للسيد الفظ وقال مجاهد : لاتسميهما ولا تكنيهما وقل لهما ياأبتاه ياأماه وقال مجاهد في هذه الآية أيضا : إذا بلغا عندك من الكبر مايبولان فلا تتقذرهما ولا تقل لهما أف حين تميط عنهما الخلاء والبول كما كانا يميطانه عنك صغيراً ﴿ واخفض لهما جناح الذل ﴾ أي ألن جانبك لهما واخضع لهما قال عروة بن الزبير ألن لهما حتى لاتمتنع عن شيء أحباه ﴿ من الرحمة ﴾ من الشفقة ﴿ وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ أراد إذا كانا مسلمين قال ابن عباس هذا منسوخ بقوله ﴿ ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو مسعود محمد

أو أحدهما ثم دخل النار من بعد ذلك فأبعده الله وأسحقه » ورواه أبو داود الطيالسي عن شعبة به وفيه زيادات أخر

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا ابو عوانة حدثنا سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف رجل أدرك أحد أبويه أو كلاهما عنده الكبر لم يدخل الجنة » صحيح من هذا الوجه ولم يخرجوه سوى مسلم من حديث أبي عوانة وجرير وسليمان بن بلال عن سهيل به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا ربعي بن ابراهيم قال احمد وهو أخو اسماعيل بن علية وكان يفضل على أخيه عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان فانسلخ فلم يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة » قال ربعي ولا أعلمه إلا قال « أو أحدهما » ورواه الترمذي عن احمد بن ابراهيم الدورقي عن ربعي بن ابراهيم ثم قال غريب من هذا الوجه

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا يونس حدثنا محمد حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل حدثنا أسيد بن علي عن أبيه عن أبي عبيد عن أبي اسيل وهو مالك بن ربيعة الساعدي قال بينا أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من الانصار فقال يارسول الله هل بقى علي من بر أبوي شيء بعد موتهما أبرهما به ؟ قال « نعم خصال اربع الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما فهو الذي بقى عليك من برهما بعد موتهما » ورواه ابو داود وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن سليمان وهو ابن الغسيل به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا روح حدثنا ابن جريج أخبرني محمد بن طلحة بن عبيد الله ابن عبد الرحمن عن معاوية بن جاهمة السلمي أن جاهمة جاء الى النبي ﷺ فقال يارسول الله

ابن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا سليمان ابن حرب ثنا حماد بن يزيد عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن يعني السلمي عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « الوالد أوسط أبواب الجنة فاحفظ إن شئت أو ضيع » أخبرنا أبوطاهر محمد بن محمد بن علي الزراد أنا أبو بكر محمد بن ادريس الجرجاني أنا أبو الحسن علي بن الحسين المالايني أنا الحسن بن سفيان ثنا يحيى بن حبيب بن عدي ثنا خالد بن الحارث عن سعيد عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال « رضا الله في رضا الوالد ، وسخط الله في سخط الوالد » أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الصفار ثنا أبو جعفر محمد بن غالب بن تمام الضبي ثنا عبد الله بن مسلمة ثنا عبد العزيز

أردت الغزو وجئتك أستشيرك ؟ فقال « فهل لك من أم ؟ » قال نعم قال « فالزمها فان الجنة عند رجليها » ثم الثانية ثم الثالثة في مقاعد شتى كمثل هذا القول ◦ ورواه النسائي وابن ماجه من حديث ابن جريج به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عياش عن يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معد يكرب عن النبي ﷺ قال « ان الله يوصيكم بآبائكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بالاقرب فالاقرب » وأخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عياش به

﴿ حديث آخر ﴾ قال احمد حدثنا يونس حدثنا ابو عوانة عن أشعث بن سليم عن ابيه عن رجل من بني يربوع قال أتيت النبي ﷺ فسمعته وهو يكلم الناس يقول ◦ يد المعطي العليا أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك ◦

﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ ابو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده حدثنا ابراهيم ابن المستمر العروقي حدثنا عمرو بن سفيان حدثنا الحسن بن أبي جعفر عن ليث بن أبي سليم عن علقمة ابن يزيد عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلا كان في الطواف حاملا أمه يطوف بها فسأل النبي ﷺ هل أديت حقها ◦ قال « لا ولا بزفرة واحدة ◦ أو كما قال ثم قال البزار لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه . قلت والحسن بن أبي جعفر ضعيف والله أعلم

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا (٢٥)

قال سعيد بن جبير هو الرجل تكون منه البادرة الى أبويه وفي نيته وقلبه انه لا يؤخذ به ، وفي رواية لا يريد إلا الخير بذلك فقال (ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين) وقوله (فانه كان للاوابين غفورا) قال قتادة للمطيعين أهل الصلاة ، وعن ابن عباس المسبحين وفي رواية عنه المطيعين

ابن مسلم عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « لا يدخل الجنة منان ، ولا عاق ، ولا مدمن خمر » أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن نامويه الاصفهاني أنا أبو سعيد أحمد بن زياد البصري أنا الحسن بن محمد بن الصباح ثنا ربعي بن علية عن عبد الرحمن بن اسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ◦ ورغم انف رجل أتى عليه شهر رمضان فلم يغفر له ورغم انف امرىء أدرك أبواه عنده الكبر فلم يدخلاه الجنة » ﴿ ربكم اعلم بما في نفوسكم ﴾ من بر الوالدين وعقوقهما ﴿ إن تكونوا صالحين ﴾ ابرارا مطيعين بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغير ذلك ﴿ فانه كان للأوابين ﴾ بعد المعصية ﴿ غفورا ﴾ قال سعيد بن جبير في هذه الآية هو الرجل يكون منه البادرة الى ابويه ولا يريد به إلا

المحسنين . وقال بعضهم هم الذين يصلون بين العشاءين، وقال بعضهم هم الذين يصلون الضحى، وقال شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب في قوله (فانه كان للأوابين غفورا) قال الذين يصيبون الذنب ثم يتوبون ويصيبون الذنب ثم يتوبون . وكذا رواه عبدالرزاق عن الثوري ومعمر عن يحيى ابن سعيد عن ابن المسيب بنحوه وكذا رواه الليث وابن جريج عن ابن المسيب به ، وقال عطاء بن يسار وسعيد بن جبير ومجاهد هم الراجعون الى الخير وقال مجاهد عن عبيد بن عمير في الآية هو الذي اذا ذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله منها وواقفه مجاهد في ذلك . وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسلمة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير في قوله (فانه كان للأوابين غفورا) قال كنا نعد الأواب الحفيظ أن يقول اللهم اغفرلي ما أصبت في مجلسي هذا . وقال ابن جرير والأولى في ذلك قول من قال هو التائب من الذنب الرجاع من المعصية الى الطاعة مما يكره الله الى مايحبه ويرضاه ، وهذا الذي قاله هو الصواب لان الأواب مشتق من الاوب وهو الرجوع يقال آب فلان اذا رجع قال تعالى (إن الينا إيابهم) وفي الحديث الصحيح ان رسول الله ﷺ كان اذا رجع من سفر قال « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون »

وآتِ ذا القُرْبى حقَّهُ والمسكينَ وابنَ السبيلِ ولا تُبَذِّرْ تبذيرا (٢٦) ان المبذِّرينَ كانوا إخوانَ الشيٰطينِ وكانَ الشيطانُ لربهِ كفورا (٢٧) وإمَّا تعرِضَن عنهُمُ ابتغاءَ رحمةٍ مِنْ ربِّكَ ترجُوها فقُلْ لهُمْ قولا ميسورا (٢٨)

الخير فانه لايؤخذ به قال سعيد بن المسيب الاواب الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب قال سعيد بن جبير الرجاع إلى الخير . وعن ابن عباس قال : الرجاع الى الله فيما يجزيه وينوبه وعن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : هم المسبحون دليله قوله(ياجبال أوبي معه)قال قتادة هم المصلون قال عون العقيلي هم الذين يصلون صلاة الضحى أخبرنا ابو الحسن طاهر بن الحسين الدورقي الطوسي أنا ابو الحسن محمد بن يعقوب أنا ابو النضر محمد بن محمد بن يوسف ثنا الحسن بن سفيان ثنا ابوبكر بن أبي شيبة ثنا وكيع عن هشام صاحب الدستوائي عن قتادة عن القاسم بن عوف عن زيد بن أرقم قال خرج رسول الله ﷺ على أهل قباء وهم يصلون صلاة الضحى فقال « صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال من الضحى » وقال محمد بن المنكدر الاواب الذي يصلي بين المغرب والعشاء . وروي عن ابن عباس أنه قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاوابين

قوله تعالى﴿وآت ذا القربى حقه﴾ يعني صلة الرحم وأراد به قرابة الانسان وعليه الاكثرون وعن علي

لما ذكر تعالى بر الوالدين عطف بذكر الاحسان الى القرابة وصلة الارحام، وفي الحديث «أمك وأباك ثم أدناك أدناك» وفي رواية «ثم الاقرب فالاقرب» وفي الحديث «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أجله فليصل رحمه» وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن يعقوب حدثنا أبو يحيي التميمي حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد قال لما نزلت (وآت ذا القربى حقه) دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدك ثم قال لا نعلم حدث به عن فضيل بن مرزوق إلا أبو يحيي التميمي وحميد بن حماد بن أبي الجوزاء. وهذا الحديث مشكل لو صح اسناده لان الآية مكية وفدك انما فتحت مع خيبر سنة سبع من الهجرة فكيف يلتئم هذا مع هذا؟ فهو اذا حديث منكر والاشبه أنه من وضع الرافضة والله أعلم. وقد تقدم الكلام على المساكين وأبناء السبيل في سورة براءة بما أغنى عن إعادته ههنا

قوله (ولا تبذر تبذيرا) لما أمر بالانفاق نهى عن الاسراف فيه بل يكون وسطا كما قال في الآية الاخرى (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) الآية ثم قال منفراً عن التبذير والسرف (إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أي أشباههم في ذلك قال ابن مسعود التبذير الانفاق في غير حق وكذا قال ابن عباس وقال مجاهد لو انفق انسان ماله كله في الحق لم يكن مبذراً ولو انفق مدا في غير حق كان مبذراً. وقال قتادة التبذير النفقة في معصية الله تعالى وفي غير الحق والفساد

وقال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال أتى رجل من بني تميم الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله إني ذو مال كثير وذو أهل وولد وحاضرة فاخبرني كيف أنفق وكيف اصنع؟ فقال رسول الله ﷺ «تخرج الزكاة من مالك فانها طهرة تطهرك وتصل اقرباءك وتعرف حق السائل والجار والمسكين» فقال يارسول الله اقلل لي؟ قال «فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا» قال حسبي يارسول الله اذا أديت الزكاة الى رسولك فقد برئت منها إلى الله والى رسوله فقال رسول الله ﷺ «نعم اذا أديتها الى رسولي فقد برئت منها فلك أجرها وإثمها على من بدلها»

وقوله (إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أي في التبذير والسفه وترك طاعة الله وارتكاب معصيته ولهذا قال (وكان الشيطان لربه كفورا) أي جحوداً لانه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته

ابن الحسن أراد به قرابة الرسول ﷺ ﴿والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا﴾ أي لا تنفق مالك في المعصية، وقال مجاهد لو أنفق الانسان ماله كله في الحق ما كان تبذيرا ولو أنفق مدا في باطل كان تبذيراً وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال انفاق المال في غير حقه قال شعبة كنت أمشي مع أبي اسحاق في طريق الكوفة فأتى على دار بنيت بجص وآجر فقال هذا التبذير، وفي قول عبدالله انفاق المال في غير حقه ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ أي أولياءهم والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم هو أخوهم ﴿وكان الشيطان لربه كفورا﴾ جحود النعمة ﴿واما تعرضن عنهم﴾ نزلت في

بل أقبل على معصيته ومخالفته وقوله (واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك) الآية أي اذاسألك أقاربك ومن أمرناك باعطائهم وليس عندك شيء وأعرضت عنهم لفقدالنفقة فقل لهم قولاميسوراً أي عدهم وعداً بسهولة ولين اذا جاء رزق الله فسنصلكم إن شاء الله هكذافسر قوله(فقل لهم قولاميسورا) بالوعد مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغير واحد

ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا (٢٩)

ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيراً بصيرا (٣٠)

يقول تعالى آمراً بالاقتصاد في العيش ذاما للبخل ناهيا عن السرف (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) أي لاتكن بخيلا منوعا لاتعطي أحداً شيئا كما قالت اليهود عليهم لعائن الله يد الله مغلولة أي نسبوه الى البخل تعالى وتقدس الكريم الوهاب وقوله (ولا تبسطها كل البسط) أي ولاتسرف في الانفاق فتعطي فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك فتقعد ملوما محسورا وهذا من باب اللف والنشر أي فتقعد ان بخلت قعدت ملوما يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك كما قال زهير بن أبي سلمى في المعلقة

ومن كان ذا مال فيبخل بماله　　على قومه يستغن عنه ويذمم

ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقه فتكون كالحسير وهو الدابة التي قد عجزت عن السير فوقفت ضعفاً وعجزا فانها تسمى الحسير وهو مأخوذ من الكلال كما قال (فارجع البصر هل ترى من فتور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) أي كليل عن أن يرى عيبا هكذا فسر هذه الآية بان المراد هنا البخل والسرف ابن عباس والحسن وقتادة وابن

مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسألون النبي ﷺ في الاحايين ما يحتاجون اليه ولايجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول فنزل (واما تعرضن عنهم) يعني وان تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم ﴿ ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ﴾ انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك ﴿ فقل لهم قولا ميسورا ﴾ لينا وهي العدة أي عدهم وعداً جيلا وقيل القول الميسور أن تقول : رزقنا الله وإياك ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ﴾ قال جابر أتى صبي فقال يارسول الله إن امي تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله ﷺ إلا قميصه فقال للصبي « من ساعة الى ساعة يظهر كذا فعد الينا وقتا آخر » فعاد الى امه فقالت قل له إن امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل رسول الله ﷺ دارا فنزع قميصه فاعطاه إياه وقعد عريانا فأذن بلال بالصلاة فانتظروه فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فانزل الله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) يعني ولا تمسك يدك عن النفقة في الحق كالمغلولة يده لايقدر على مدها ﴿ ولا تبسطها ﴾ فتعطي جميع ماعندك

جريج وابن زيد وغيرهم، وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق الاسبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه «تعفو أثره»، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع» هذا لفظ البخاري في الزكاة وفي الصحيحين من طريق هشام بن عروة عن زوجته فاطمة بنت المنذر عن جدتها أسماء بنت أبي بكر قالت قال رسول الله ﷺ «انفقي هكذا وهكذا وهكذا ولا توعي فيوعي الله عليك ولا توكي فيوكي الله عليك» وفي لفظ ولا «تحصي فيحصي الله عليك» وفي صحيح مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «إن الله قال لي أنفق أنفق عليك» وفي الصحيحين من طريق معاوية بن أبي مزرد عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا» وروى مسلم عن قتيبة عن اسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً «ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبداً أنفق الا عزاً ومن تواضع لله رفعه الله» وفي حديث أبي كثير عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً «اياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا» وروى البيهقي من طريق سعدان بن نصر عن أبي معاوية عن الاعمش عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ «مايخرج رجل صدقة حتى يفك لحي سبعين شيطانا»

وقال الامام احمد حدثنا ابو عبيدة الحداد حدثنا سكين بن عبدالعزيز حدثنا ابراهيم الهجري عن أبي الاحوص عن عبدالله بن مسعود (رض) قال قال رسول الله ﷺ «ماعال من اقتصد» وقوله (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) اخبار أنه تعالى هو الرزاق القابض الباسط المتصرف في خلقه بما يشاء فيغني من يشاء ويفقر من يشاء لما له في ذلك من الحكمة ولهذا قال (انه كان بعباده خبيراً بصيرا) أي خبير بصير بمن يستحق الغنى ومن يستحق الفقر كما جاء في الحديث «ان من عبادي لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت علية دينه» وإن من عبادي لمن لايصلحه إلا الغني ولو أفقرته لافسدت عليه دينه» وقد يكون الغني في حق بعض الناس استدراجا، والفقر عقوبة عياذاً بالله من هذا وهذا

﴿ فتقعد ملوما ﴾ يلومك سائلوك بالامساك اذا لم تعطهم والملوم الذي أتى بما يلوم نفسه أو يلومه غيره ﴿ محسوراً ﴾ منقطعا بك لاشيء عندك تنفقه يقال حسرته بالمسئلة اذا ألحفت عليه ودابة حسيرة اذا كانت كالة رازحة قال قتادة محسوراً نادما على مافرط منك ﴿ إن ربك يبسط ﴾ يوسع ﴿ الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ أي يقتر ويضيق ﴿ إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ﴾

ولا تقتلوا أولٰـدكم خشية إملٰـق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيرا (٣١)

هذه الآية الكريمة دالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالد بولده لانه نهى عن قتل الاولاد كما أوصى الآباء بالاولاد في الميراث وكان أهل الجاهلية لا يورثون البنات بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لئلا تكثر عيلته فنهى الله تعالى عن ذلك وقال (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق) أي خوف أن تفتقروا في ثاني الحال ، ولهذا قدم الاهتمام برزقهم فقال (نحن نرزقهم واياكم) وفي الانعام (ولا تقتلوا أولادكم من املاق) أي من فقر (نحن نرزقكم واياهم) وقوله (إن قتلهم كان خطأ كبيراً) أي ذنبا عظيما وقرأ بعضهم كان خطأ كبيرا وهو بمعناه .وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود قلت يارسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال « أن تجعل لله نداً وهو خلقك ـ قلت ثم أي ؟ ـ قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ـ قلت ثم أي ؟ ـ قال أن تزاني حليلة جارك »

ولا تقربوا الزنىٰ إنه كان فٰحشة وساء سبيلاً (٣٢)

يقول تعالى ناهيا عباده عن الزنا وعن مقاربته ومخالطة أسبابه ودواعيه ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة أي ذنبا عظيما وساء سبيلا أي وبئس طريقا ومسلكا

وقد قال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا جرير حدثنا سليم بن عامر عن أبي امامة ان فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مه مه فقال « ادنه » فدنا منه قريبا فقال« اجلس »فجلس فقال « أتحبه لامك » ؟ قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لأمهاتهم قال« أفتحبه لابنتك؟» قال لا والله يارسول الله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لبناتهم قال « أفتحبه لأختك ؟» قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال« أفتحبه لعمتك؟» قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لعماتهم قال «أفتحبه لخالتك ؟ » قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال فوضع يده عليه وقال « اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وأحصن فرجه » قال فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت الى شيء» وقال ابن أبي الدنيا حدثنا عمار بن نصر حدثنا بقية عن أبي بكر بن أبي مريم عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي ﷺ قال « مامن ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له »

قوله تعالى ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ﴾فقر ﴿ نحن نرزقهم وإياكم ﴾وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة فنهوا عنه واخبروا أن رزقهم ورزق أولادهم على الله تعالى ﴿ إن قتلهم كان خطأ كبيراً ﴾ قرأ ابن عامر وابو جعفر خطأ بفتح الخاء والطاء مقصوراً وقرأ ابن كثير بكسر الخاء ممدوداً وقرأ الآخرون بكسر الخاء وجزم الطاء ومعنى الكل واحد أي اثما كبيراً ﴿ ولا تقربوا

ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق، ومن قُتِلَ مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطٰنا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا (٣٣)

يقول تعالى ناهياً عن قتل النفس بغير حق شرعي كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا باحدى ثلاث: النفس بالنفس والزاني المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة » وفي السنن « لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مسلم » وقوله (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) أي سلطه على القاتل فانه بالخيار فيه إن شاء قتله قودا وإن شاء عفا عنه على الدية وإن شاء عفا عنه مجانا كما ثبتت السنة بذلك » وقد أخذ الامام الحبر ابن عباس من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية السلطنة انه سيملك [1] لانه كان ولي عثمان وقد قتل عثمان مظلوما رضي الله عنه وكان معاوية يطالب عليا رضي الله عنه ان يسلمه قتلته حتى يقتص منهم لانه أموي وكان علي رضي الله عنه يستمهله في الامر حتى يتمكن ويفعل ذلك ويطلب علي من معاوية أن يسلمه الشام فيأبى معاوية ذلك حتى يسلمه القتلة وأبى أن يبايع عليا هو وأهل الشام ثم مع المطاولة تمكن معاوية وصار الامر اليه كما قاله ابن عباس واستنبطه من هذه الآية الكريمة وهذا من الامر العجب ، وقد روى ذلك الطبراني في معجمه حيث قال حدثنا يحيى بن عبد الباقي حدثنا أبو عمير بن النحاس حدثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن زهدم الجرمي قال: كنا في سمر ابن عباس فقال اني محدثكم بحديث ليس بسر ولا علانية انه لما كان من أمر هذا الرجل ما كان يعني عثمان قلت لعلي اعتزل فلو كنت في جحر طلبت حتى تستخرج فعصاني، وايم الله ليتأمرن عليكم معاوية وذلك ان الله يقول (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل) الآية

[1] هذا استنباط ظاهر البطلان لاجماع الامة على ما ثبت في السنة من أن سلطان ولي المقتول خاص بقتل القاتل فأين هو من الولاية العامة ؟

الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا * ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ﴾ وحقها ما روينا أن النبي ﷺ قال « لا يحل دم امرىء مسلم إلا باحدى ثلاث : رجل كفر بعد إيمانه، أو زنا بعد احصانه ، أو قتل نفسا بغير نفس فيقتل بها » ﴿ ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ﴾ أي قوة وولاية على القاتل بالقتل قاله مجاهد وقال الضحاك سلطانه هو أنه يتخير فان شاء استقاد منه وان شاء أخذ الدية وان شاء عفا عنه ﴿ فلا يسرف في القتل ﴾ قرأ حمزة والكسائي فلا تسرف بالتاء يخاطب ولي القتيل، وقرأ الآخرون بالياء على الغائب أي لا يسرف الولي في القتل واختلفوا في هذا الاسراف الذي منع منه ولي القتيل فقال ابن عباس وأكثر المفسرين معناه لا يقتل غير القاتل وذلك انهم كانوا في الجاهلية إذا قتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل أشرف منه ،وقال سعيد بن جبير اذا كان القاتل واحداً فلا يقتل جماعة بدل واحد وكان أهل الجاهلية إذا كان المقتول شريفا لا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه وقال قتادة معناه لا يمثل بالقاتل ﴿ إنه كان منصورا ﴾

وليحملنكم قريش على سنة فارس والروم وليقيمن عليكم النصارى واليهود والمجوس » فمن أخذ منكم يومئذ بما يعرف نجا » ومن ترك وأنتم تاركون كنتم كقرن من القرون هلك فيمن هلك ، وقوله (فلا يسرف في القتل) قالوا معناه فلا يسرف الولي في قتل القاتل بأن يمثل به أو يقتص من غير القاتل ، وقوله (انه كان منصورا) أي ان الولي منصور على القاتل شرعا وغالبا وقدرا

ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا (٣٤) وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا (٣٥)

يقول تعالى (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده) أي لا تتصرفوا في مال اليتيم إلا بالغبطة (ولا تأكلوها [1] إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) وقد جاء في صحيح مسلم ان رسول الله ﷺ قال لابي ذر « يا أبا ذر اني أراك ضعيفا واني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم » وقوله (وأوفوا بالعهد) أي الذي تعاهدون عليه الناس والعقود التي تعاملون بها فان العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه (إن العهد كان مسؤولا) أي عنه وقوله (وأوفوا الكيل اذا كلتم) أي من غير تطفيف ولا تبخسوا الناس أشياءهم (وزنوا بالقسطاس) قرىء بضم القاف وكسرها كالقرطاس وهو الميزان ، قال مجاهد هو العدل بالرومية وقوله (المستقيم) أي الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب (ذلك خير) أي لكم في معاشكم ومعادكم ولهذا قال (وأحسن تأويلا) أي مآلا ومنقلبا في آخرتكم . قال سعيد عن قتادة (ذلك خير وأحسن تأويلا) أي خير ثوابا وأحسن عاقبة . وابن عباس كان يقول يا معشر الموالي إنكم وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم هذا المكيال وهذا الميزان ، قال وذكر لنا ان نبي الله عليه السلام كان يقول « لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به إلا مخافة الله إلا أبدله الله به في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير من ذلك »

[1] في جميع النسخ ولا تأكلوا أموالهم إسرافا الخ وهو غلط ربما كان سببه ان المصنف ذكر أولا آية (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) ثم ذكر هذه فسقط من النساخ تتمة الآية الاولى وأول الثانية

فالهاء راجعة الى المقتول في قوله (ومن قتل مظلوما) يعني أن المقتول منصور في الدنيا بإيجاب القود على قاتله وفي الآخرة بتكفير خطاياه وإيجاب النار لقاتله هذا قول مجاهد، وقال قتادة الهاء راجعة الى ولي المقتول معناه إنه منصور على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية وقيل في قوله (فلا يسرف في القتل) إنه أراد به القاتل المعتدي يقول لا يعتدي بالقتل بغير الحق فانه إن فعل ذلك فولي المقتول منصور عليه باستيفاء القصاص منه ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ﴾ بالاتيان بما أمر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه وقيل أراد بالعهد ما يلتزمه الانسان على نفسه ﴿ إن العهد كان مسؤولا ﴾ عنه وقال السدي كان مطلوبا وقيل العهد يسأل عن صاحب العهد فيقال فيم نقضت كالموءودة تسأل فيم قتلت ﴿ وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف والباقون بضمه وهما لغتان وهو الميزان صغيرا كان أو كبيرا أي

ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا (٣٦)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (رض) يقول لاتقل ، وقال العوفي لاترم أحداً بما ليس لك به علم وقال محمد بن الحنفية يعني شهادة الزور ، وقال قتادة لاتقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم فان الله تعالى سائلك عن ذلك كله ، ومضمون ماذكروه ان الله تعالى نهى عن القول بلا علم بل بالظن الذي هو التوهم والخيال كما قال تعالى (اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم) وفي الحديث « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث » وفي سنن أبي داود « بئس مطية الرجل زعموا » وفي الحديث الآخر « ان أفرى الفري أن يري الرجل عينيه مالم تريا » وفي الصحيح « من تحلم حلما كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعرتين وليس بفاعل » وقوله (كل أولئك) أي هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد (كان عنه مسئولا) أي سيسأل العبد عنها يوم القيامة وتسأل عنه وعما عمل فيها ، ويصح استعمال أولئك مكان تلك كما قال الشاعر

ذم المنازل بعد منزلة اللوى ▪ والعيش بعد أولئك الايام

ولا تمش في الارض مرحا إنك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا (٣٧)

بميزان العدل وقال الحسن هو القبان وقال مجاهد هو رومي وقال غيره هو عربي مأخوذ من القسط وهو العدل أي زنوا بالعدل ﴿ المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ أي عاقبة ﴿ ولا تقف ماليس لك به علم ﴾ قال قتادة لاتقل رأيت ولم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه وقال مجاهد لاترم أحداً بما ليس لك به علم قال القتيبي لاتتبعه بالحدس والظن وهو في اللغة اتباع الاثر يقال قفوت فلانا أقفوه وقفيته وأقفيته اذا اتبعت أثره وبه سميت القافة لتتبعهم الا ثار ،وقال القتيبي هو مأخوذ من القفو كأنه يقفو الامور أي يكون في اقفائها يتبعها ويتعرفها، وحقيقة المعنى لاتتكلم أيها الانسان بالحدس والظن ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا ﴾ قيل معناه يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يسأل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء وقوله (كل أولئك) أي كل هذه الجوارح والاعضاء وعلى القول الاول يرجع أولئك الى أربابها. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن الحسن أنا ابو علي حامد بن محمد الرفاء ثنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز أنا الفضل بن دكين حدثنا سعيد بن أوس العبسي حدثني بلال بن يحيى العبسي أن شتير بن شكل أخبره عن أبيه شكل بن حميد قال أتيت النبي ﷺ فقلت يارسول الله علمني تعويذا أتعوذ به قال فأخذ بيدي ثم قال قل « اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر لساني وشر قلبي وشر مني » قال فحفظتها قال سعيد المني ماؤه ﴿ ولا تمش في الارض مرحا ﴾ أي بطراً وكبراً وخيلاء وهو

كلُّ ذلك كان سيئهُ عند ربك مكروها (٣٨)

يقول تعالى ناهيا عباده عن التجبر والتبختر في المشية (ولا تمش في الارض مرحا) أي متبخترا متمايلا مشي الجبارين (انك لن تخرق الارض) أي لن تقطع الارض بمشيك قاله ابن جرير واستشهد عليه بقول رؤبة بن العجاج :

* وقاتم الاعماق خاوي المخترق *

وقوله (ولن تبلغ الجبال طولا) أي بتمايلك وفخرك واعجابك بنفسك ، بل قد يجازى فاعل ذلك بنقيض قصده كما ثبت في الصحيح « بينما رجل يمشي فيمن كان قبلكم وعليه بردان يتبختر فيهما إذ خسف به الارض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنه خرج على قومه في زينته وأن الله تعالى خسف به وبداره الارض . وفي الحديث « من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير . ومن استكبر وضعه الله فهو في نفسه كبير وعند الناس حقير ، حتى لهو أبغض اليهم من الكلب والخنزير » وقال أبو بكر بن ابي الدنيا في كتاب الخمول والتواضع: حدثنا أحمد بن ابراهيم بن كثير حدثنا حجاج بن محمد عن ابي بكر الهذلي قال : بينما نحن مع الحسن إذ مر عليه ابن الاهتم يريد المنصور وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي ويتبختر إذ نظر اليه الحسن نظرة فقال: أف أف، شامخ بأنفه، ثاني عطفه، مصعر خده « ينظر في عطفيه ، أي حميق ينظر في عطفه في نعم غير مشكورة ولا مذكورة » غير المأخوذ بأمر الله فيها ،

تفسير المشي فلذلك أخرجه على المصدر ﴿ إنك لن تخرق الارض ﴾ أي لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها ﴿ ولن تبلغ الجبال طولا ﴾ أي لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك . معناه أن الانسان لاينال بكبره وبطره شيئا كمن يريد خرق الارض ومطاولة الجبال لايحصل على شيء. وقيل ذكر ذلك لان من مشى مختالا يمشي مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه فقيل له إنك لن تنقب الارض ان مشيت على عقبيك ولن تبلغ الجبال طولا إن مشيت على صدور قدميك أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجرجاني أنا أبو القاسم علي بن احمد الخزاعي أنا أبو الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي حدثنا سفيان بن وكيع ثنا أبي عن المسعودي عن عثمان بن مسلم بن هرمز عن نافع بن جبير ابن مطعم « عن علي قال كان رسول الله ﷺ اذا مشى يتكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب . أخبرنا أبو محمد الجوزجاني أنا أبو القاسم الخزاعي أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن ابي يونس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال مارأيت شيئا أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله ﷺ كأنما الارض تطوى له « إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث ﴿ كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴾

ولا المؤدى حق الله منها » والله ان يمشي أحدهم طبيعته يتلجلج تلجلج المجنون في كل عضو منه نعمة، وللشيطان به لعنة . فسمعه ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه » فقال لا تعتذر إلي وتب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى (ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) ورأى البختري العابد رجلا من آل علي يمشي وهو يخطر في مشيته فقال له ياهذا : ان الذي أكرمك به لم تكن هذه مشيته قال فتركها الرجل بعد . ورأى ابن عمر رجلا يخطر في مشيته فقال ان للشياطين اخوانا . وقال خالد بن معدان : اياكم والخطر فان الرجل يده من سائر جسده رواهما ابن أبي الدنيا

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا خلف بن هشام البزار حدثنا حماد بن زيد عن يحيي عن سعيد عن محسن قال : قال رسول الله ﷺ « اذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض » وقوله (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) أما من قرأ سيئة أي فاحشة فمعناه عنده كل هذا الذي نهيناعنه من قوله (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق) الى هنا فهو سيئة مؤاخذ عليها مكروه عند الله لا يحبه ولا يرضاه ، وأما من قرأ سيئه على الاضافة فمعناه عنده كل هذا الذي ذكرناه من قوله (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا إياه) إلى هنا فسيئه أي فقبيحه مكروه عند الله . هكذا وجه ذلك ابن جرير رحمه الله

ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ٣٩)

يقول تعالى هذا الذى أمرناك به من الاخلاق الجميلة ونهيناك عنه من الصفات الرذيلة مما أوحينا اليك يامحمد لتأمر به الناس (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما) أي تلومك نفسك ويلومك

قرأ ابن عامر واهل الكوفة برفع الهمزة وضم الهاء على الاضافة ومعناه كل الذي ذكرنا من قوله (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه - كان سيئه) أي سيء ماعددنا عليك (عند ربك مكروها) لان فيما عددنا اموراً حسنة كقوله (وآت ذا القربى حقه — واخفض لهما جناح الذل) وغير ذلك وقرأ الآخرون سيئة منصوبة منونة يعني كل الذي ذكرنا من قوله (ولا تقتلوا أولادكم) الى هذا الموضع سيئة لا حسنة فيه اذ الكل يرجع الى المنهي عنه دون غيره » ولم يقل مكروهة لان فيه تقديما وتأخيرا تقديره كل ذلك كان مكروها سيئه وقوله (مكروها) على التكرير لا على الصفة مجازه كل ذلك كان سيئة وكان مكروها راجع الى المعنى دون اللفظ لان السيئة الذنب وهو مذكر

قوله تعالى ﴿ ذلك ﴾ الذي ذكرناه ﴿ مما أوحى اليك ربك من الحكمة ﴾ وكل ما أمر الله به أو نهى الله عنه فهو حكمة ﴿ ولا تجعل مع الله إلها آخر ﴾ خاطب النبي ﷺ في هذه الآيات والمراد منه الامة

الله والخلق (مدحوراً) أي مبعداً من كل خير ، قال ابن عباس وقتادة مطروداً والمراد من هذا الخطاب الامة بواسطة الرسول ﷺ فانه صلوات الله عليه وسلامه معصوم

أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملئكة إنٰثا ؞ انكم لتقولون قولا عظيما (٤٠)

يقول تعالى راداً على المشركين الكاذبين الزاعمين عليهم لعائن الله ان الملائكة بنات الله فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ، ثم ادعوا أنهم بنات الله ثم عبدوهم فأخطؤا في كل من المقامات الثلاث خطأ عظيما فقال تعالى منكراً عليهم (أفأصفاكم ربكم بالبنين) أي خصصكم بالذكور (واتخذ من الملائكة اناثا) أي واختار لنفسه على زعمكم البنات ثم شدد الانكار عليهم فقال(انكم لتقولون قولا عظيما) أي في زعمكم أن لله ولداً ثم جعلكم ولده الاناث التي تأنفون أن يكن لكم وربما قتلتموهن بالوأد فتلك اذاً قسمة ضيزى وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ؞ لقد جئتم شيئا إداً ؞ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ؞ أن دعوا للرحمن ولداً ؞ وماينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ؞ ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً ؞ لقد أحصاهم وعدهم عداً ؞ وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً)

ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذّكّروا وما يزيدهم الا نفوراً (٤١)

يقول تعالى (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي صرفنا فيه من الوعيد لعلهم يذكرون مافيه من الحجج والبينات والمواعظ فينزجروا عما هم فيه من الشرك والظلم والافك (وما يزيدهم) أي الظالمين منهم (الا نفوراً) أي عن الحق وبعداً منه

قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذاً لابتغوا الى ذي العرش سبيلا (٤٢) سبحٰنه وتعٰلى عما يقولون عُلواً كبيرا (٤٣)

يقول تعالى قل يامحمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أن لله شريكا من خلقه العابدين معه غيره ليقربهم

﴿ فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ﴾ مطرودا مبعدا من كل خير

قوله عز وجل ﴿ أفأصفاكم ربكم ﴾ أي اختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ماليس بصفوة يعني اختاركم ﴿ بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا ﴾ لأنهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله ﴿ انكم لتقولون قولا عظيما ﴾ يخاطب مشركي مكة ﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن ﴾ يعني العبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والاعلام ، والتشديد للتكثير والتكرير ﴿ ليذكروا ﴾ أي ليتذكروا ويتعظوا ، وقرأ حمزة والكسائي باسكان الذال وضم الكاف وكذلك في الفرقان ﴿ وما يزيدهم ﴾ تصريفنا وتذكيرنا وتكريرنا ﴿ إلا نفورا ﴾ ذهابا وتباعداً عن الحق ﴿قل﴾ يامحمد لهؤلاء المشركين ﴿ لو كان معه آلهة كما

فيه زلفى لو كان الامر كما تقولون وأن معه آلهة تعبد لتقرب اليه وتشفع لديه لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون اليه ويبتغون اليه الوسيلة والقربة فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه ولا حاجة لكم الى معبود يكون واسطة بينكم وبينه فانه لايحب ذلك ولا يرضاه بل يكرهه ويأباه وقد نهى عن ذلك على ألسنة جميع رسله وأنبيائه ثم نزه نفسه الكريمة وقدسها فقال (سبحانه وتعالى عما يقولون) أي هؤلاء المشركون المعتدون الظالمون في زعمهم أن معه آلهة أخرى (علواً كبيراً) أي تعاليا كبيراً، بل هو الله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

تُسبِّحُ له السموٰتُ السبع والأرض ومن فيهن، وإن من شيء الا يسبح بحمده ولٰكن لاتفقهون تسبيحهم، انه كان حليما غفوراً (٤٤)

يقول تعالى تقدسه السموات السبع والارض ومن فيهن أي من المخلوقات وتنزهه وتعظمه وتبجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون وتشهد له بالوحدانيـة في ربوبيته وإلهيته

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

كما قال تعالى (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً) وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا سعيد بن منصور حدثنا سليمان بن ميمون مؤذن مسـجد الرملة حدثنا عروة بن رويم عن عبـد الرحمن بن قرط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به الى المسجد الاقصى كان بين المقام وزمزم جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطارا به حتى بلغ السموات السبع، فلما رجع قال، سمعت تسبيحا في السموات العلى مع تسبيح كثير سبحت السموات العلى، من ذي المهابة مشفقات لذي العلو بما علا، سبحان العلي الاعلى سبحانه وتعالى،

وقوله (وان من شيء الا يسبح بحمده) أي وما من شيء من المخلوقات الايسبح بحمد الله (ولكن لاتفقهون تسبيحهم) أي لاتفقهون تسبيحهم أيها الناس لانها بخلاف لغاتكم وهذا عام في

يقولون﴾ قرأ حفص وابن كثير يقولون بالياء وقرأ الآخرون بالتاء ﴿إذا لابتغوا﴾ لطلبوا يعني الآلهة ﴿إلى ذي العرش سبيلا﴾ بالمغالبة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض، وقيـل معناه لطلبوا الى ذي العرش سبيلا بالتقرب اليه. قال قتادة لعرفوا الله بفضلـه وابتغوا مايقربهم اليه والاول أصح

ثم نزه نفسه فقال عز من قائل ﴿سبحانه وتعالى عما يقولون﴾ قرأ حمزه والكسائي تقولون بالتاء والآخرون بالياء ﴿علواً كبيرا، تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن﴾ قرأ أبو عمر وحمزة والكسائي وحفص ويعقوب تسبح بالتاء وقرأ الآخرون بالياء للحائل بين الفعل والتأنيث ﴿وإن من

الحيوانات والجمادات والنباتات وهذا أشهر القولين كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال « كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل . وفي حديث أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ في يده حصيات فسمع لهن تسبيح كحنين النحل » وكذا في يد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وهو حديث مشهور في المسانيد

وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان عن سهل بن معاذ عن ابن أنس عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم « اركبوها سالمة » ودعوها سالمة ، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والاسواق فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكرا لله منه » وفي سنن النسائي عن عبد الله بن عمرو قال : نهى رسول الله ﷺ عن قتل الضفدع وقال « نقيقها تسبيح » وقال قتادة عن عبدالله بن أبي عن عبدالله ابن عمرو: أن الرجل اذا قال لا إله إلا الله فهي كلمة الاخلاص التي لا يقبل لله من أحد عملا حتى يقولها ، واذا قال الحمد لله فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها ، واذا قال الله أكبر فهي تملأ ما بين السماء والارض ، واذا قال سبحان الله فهي صلاة الخلائق التي لم يدع الله أحداً من خلقه الا قرره بالصلاة والتسبيح ، واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال أسلم عبدي واستسلم .

وقال الامام أحمد حدثنا وهب حدثنا جرير حدثنا أبي سمعت الصعب بن زهير يحدث عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال أتى النبي ﷺ أعرابي عليه جبة من طيالسة مكفوفة بديباج :أو مزورة بديباج فقال: ان صاحبكم هذا يريد أن يرفع كل راع بن راع ويضع كل رأس بن رأس: فقام اليه النبي ﷺ مغضبا فأخذ بمجامع جبته فاجتذبه فقال «لا أرى عليك ثياب من يعقل » ثم رجع رسول الله ﷺ فجلس فقال « ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال اني قاص عليكما الوصية آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك بالله والكبر وآمركما بلا إله إلا الله فان السموات والارض وما فيهما لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الاخرى كانت أرجح ولو أن السموات والارض كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليهما لقصمتها أو لفصمتها ، وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء» ورواه

شيء إلا يسبح بحمده) روي عن ابن عباس انه قال وإن من شيء حي إلا يسبح بحمده وقال قتادة يعني الحيوانات والناميات ، وقال عكرمة الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح » وعن المقدام بن معديكرب قال ان التراب يسبح مالم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح وإن الخرزة تسبح مالم ترفع من موضعها فاذا رفعت تركت التسبيح ، وان الورقة لتسبح ما دامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح ، وان الثوب ليسبح مادام جديداً فاذا وسخ ترك التسبيح » وان الماء يسبح مادام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح ، وان الوحش والطير تسبح اذا صاحت فاذا سكنت تركت التسبيح . وقال ابراهيم

الامام أحمد أيضا عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن الصعب بن زهير به أطول من هـذا وتفرد به * وقال ابن جرير حدثني نصر بن عبد الرحمن الاودي حدثنا محمد بن يعلى عن موسى ابن عبيدة عن زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه؟ إن نوحا عليه السلام قال لابنه يابني آمرك أن تقول سبحان الله فانها صلاة الخلق وتسبيح الخلق وبها يرزق الخلق» قال الله تعالى (وان من شيء الا يسبح بحمده) اسناده فيه ضعيف فان الاودي ضعيف عند الاكثرين ، وقال عكرمة في قوله تعالى (وان من شيء إلا يسبح بحمده) قال الاسطوانة تسبح والشجرة تسبح - الاسطوانة السارية - وقال بعض السلف صرير الباب تسبيحه وخرير الماء تسبيحه قال الله تعالى (وان من شيء إلا يسبح بحمده) وقال سفيان الثوري عن منصور عن ابراهيم قال الطعام يسبح ويشهد لهـذا القول آية السجدة في الحج ، وقال آخرون انما يسبح من كان فيه روح يعنون من حيوان ونبات قال قتادة في قوله (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) قال كل شيء فيه روح يسبح من شجر أو شيء فيه * وقال الحسن والضحاك في قوله (وان من شيء إلا يسبح بحمده) قالا كل شيء فيه الروح

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن حميد حدثنا يحيى بن واضح وزيد بن حباب قالا حدثنا جرير أبو الخطاب قال كنا مع يزيد الرقاشي ومعه الحسن في طعام فقدموا الخوان فقال يزيد الرقاشي يا أبا سعيد يسبح هذا الخوان؟ فقال كان يسبح مرة - قلت الخوان هو المائدة من الخشب - فكأن الحسن رحمه الله ذهب إلى أنه لما كان حيا فيه خضرة كان يسبح فلما قطع وصار خشبة يابسة انقطع تسبيحه وقد يستأنس لهذا القول بحديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال « انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لايستنزه من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة » ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة ثم قال « لعله يخفف عنهما مالم ييبسا » أخرجاه في الصحيحين قال بعض من تكلم على هـذا الحديث من العلماء إنما قال مالم ييبسا لأنهما يسبحان ما دام فيهما خضرة فاذا يبسا انقطع تسبيحهما والله أعلم. وقوله (إنه كان حليما غفورا) أي إنه لا يعاجل

النخعي وإن من شيء جماد وحي إلا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف ، وقال مجاهد كل الاشياء تسبح لله حيا كان أو ميتا أو جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده * أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن المثنى أنا أبو احمد الزبير أنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله قال كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فقال « اطلبوا فضلة من ماء » فجاءوا باناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الاناء ثم قال « حي على الطهور المبارك والبركة من الله » فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل ، وقال بعض أهل المعاني تسبيح

من عصاه بالعقوبة بلى يؤجله وينظره فان استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر كما جاء في الصحيحين «ان الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ رسول الله ﷺ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة) وقال تعالى (وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة) الآية وقال (وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة) الآيتان ومن أقلع عما هو فيه من كفر أو عصيان ورجع الى الله وتاب اليه تاب عليه كما قال تعالى (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله) الآية وقال ههنا (إنه كان حليما غفورا) كما قال في آخر فاطر (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا) الى أن قال (ولو يؤاخذ الله الناس) إلى آخر السورة

واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستوراً (٤٥)

وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً، واذا ذكرت ربك في القرآن وحده

ولّوا على أدبارهم نفورا (٤٦)

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ واذا قرأت يامحمد على هؤلاء المشركين القرآن جعلنا بينك وبينهم حجابا مستوراً. قال قتادة وابن زيد هو الاكنة على قلوبهم كما قال تعالى (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) أي مانع حائل أن يصل الينا مما تقول شيء وقوله (حجابا مستوراً) بمعنى ساتر كميمون ومشؤوم بمعنى يامن وشائم لانه من يمنهم وشؤمهم وقيل مستوراً عن الابصار فلا تراه وهو مع ذلك حجاب بينهم وبين الهدى ومال إلى ترجيحه ابن جرير رحمه الله وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو موسى الهروي اسحاق بن ابراهيم حدثنا سفيان عن الوليد ابن كثير عن يزيد بن تدرس عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنها قالت لما نزلت (تبت يدا أبي لهب) جاءت العوراء أم جميل ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول: مذمما أتينا - أو أبينا قال أبو موسى الشك مني - ودينه قلينا، وأمره عصينا. ورسول الله ﷺ جالس وأبو بكر الى جنبه فقال

السموات السبع والارض والجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء مادامت تدل بلطيف تركيبها وعجيب هيئتها على خالقها فيصير ذلك بمنزلة التسبيح منها، والاول هو المنقول عن السلف واعلم ان لله تعالى علماً في الجمادات لايقف عليه غيره فينبغي أن يوكل علمه اليه (ولكن لاتفقهون تسبيحهم) أي لاتعلمون تسبيح ماعدا من يسبح بلغاتكم وألسنتكم (انه كان حليما غفورا ■ واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به قال قتادة هو الأكنة والمستور بمعنى الساتر كقوله (إنه كان وعده مأتيا) مفعول بمعنى فاعل وقيل مستور عن أعين الناس فلا يرونه وفسره بعضهم بالحجاب عن الاعين الظاهرة كما روي عن سعيد بن

أبو بكر (رض) لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك فقال «انها لن تراني» وقرأ قرآنا اعتصم به منها(وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستوراً) قال فجاءت حتى قامت على أبي بكر فلم تر النبي ﷺ فقالت يا أبا بكر بلغني أن صاحبك هجاني قال أبو بكر لا ورب هذا البيت ما هجاك قال فانصرفت وهي تقول لقد علمت قريش أني بنت سيدها. وقوله (وجعلنا على قلوبهم أكنة)وهي جمع كنان الذي يغشى القلب (أن يفقهوه) أي لئلا يفهموا القرآن (وفي آذانهم وقرا) وهو الثقل الذي يمنعهم من سماع القرآن سماعا ينفعهم ويهتدون به

وقوله تعالى (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده) أي اذا وحدت الله في تلاوتك وقلت لا إله الا الله (ولوا) اي أدبروا راجعين (على أدبارهم نفورا) ونفور جمع نافر كقعود جمع قاعد ويجوز ان يكون مصدرا من غير الفعل والله أعلم كما قال تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) الآية قال قتادة في قوله (واذا ذكرت ربك في القرآن) الآية إن المسلمين لما قالوا لا إله إلا الله انكر ذلك المشركون وكبرت عليهم فضاقها إبليس وجنوده فابى الله الا ان يمضيها ويعليها وينصرها ويظهرها على من ناوأها، انها كلمة من خاصم بها فلج ومن قاتل بها نصر انما يعرفها اهل هذه الجزيرة من المسلمين التي يقطعها الراكب في ليال قلائل ويسير الدهر في فئام من الناس لا يعرفونها ولا يقرون بها

﴿قول آخر في الآية﴾ روى ابن جرير حدثني الحسين بن محمد الذراع حدثنا روح بن المسيب ابو رجاء الكلبي حدثنا عمرو بن مالك عن ابي الجوزاء عن ابن عباس فى قوله(وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا) هم الشياطين وهذا غريب جدا في تفسيرها والا فالشياطين إذا قرىء القرآن او نودي بالآذان او ذكر الله انصرفوا

نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون اليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظلمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً (٤٧) انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا (٤٨)

يخبر تعالى نبيه محمداً ﷺ بما يتناجى به رؤساء كفار قريش حين جاءوا يستمعون قراءته

جبير انه لما نزلت (تبت يدا أبي لهب) جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر والنبي ﷺ مع أبي بكر فلم تره فقالت لأبى بكر أين صاحبك لقد بلغني انه هجاني ؟ فقال والله ماينطق عن الهوى ولا ينطق بالشعر ولا يقوله « فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ برأسه ، فقال أبو بكر مارأتك يارسول الله ؟ قال « لا لم يزل ملك بيني وبينها يسترني» ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ أغطية ﴿ أن يفقهوه ﴾ كراهية أن يفقهوه وقيل لئلا يفقهوه ﴿ وفي آذانهم وقرا ﴾ ثقلا لئلا يسمعوه ﴿ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ﴾ يعني اذا قلت لا إله الا الله في القرآن وأنت تتلوه ﴿ ولوا على أدبارهم نفورا ﴾ جمع نافر مثل قاعد وقعود وجالس وجلوس أي نافرين ﴿ نحن أعلم بما يستمعون به ﴾ قيل به

ﷺ سراً من قومهم بما قالوا من انه رجل مسحور من السحر على المشهور أو من السحر وهو الرئة أي إن تتبعون ان اتبعتم محمداً إلا بشراً يأكل كما قال الشاعر :

فان تسألينا فيم نحن فاننا ■ عصافير من هذا الانام المسحر

وقال الراجز ■ يسحر بالطعام وبالشراب ■ أي يغذى وقد صوب هذا القول ابن جرير وفيه نظر لانهم أرادوا ههنا انه مسحور له رئي يأتيه بما استمعوه من الكلام الذي يتلوه ومنهم من قال شاعر ومنهم من قال كاهن ومنهم من قال مجنون ومنهم من قال ساحر ولهذا قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) أي فلا يهتدون الى الحق ولا يجدون اليه مخلصا ، قال محمد بن إسحاق في السيرة حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث ان أبا سفيان بن حرب وأباجهل بن هشام والاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته فأخذ كل واحد منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا حتى اذا جمعتهم الطريق تلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لاوقعتم في نفسه شيئا، ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا وجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ماقال أول مرة ثم انصرفوا ، حتى اذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الاخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته فقال اخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف مايراد بها وسمعت أشياء ماعرفت معناها ولا مايراد بها . قال الاخنس وأنا الذي حلفت به. قال ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم مارأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف :أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا

صلة أي يطلبون سمعه ﴿ اذ يستمعون اليك ﴾ وأنت تقرأ القرآن ﴿ واذ هم نجوى ﴾ يتناجون في أمرك وقيل ذوو نجوى فبعضهم يقول هو مجنون وبعضهم يقول كاهن وبعضهم يقول ساحر وبعضهم يقول شاعر ﴿ اذ يقول الظالمون ﴾ يعني الوليد بن المغيرة وأصحابه ﴿ ان تتبعون الا رجلا مسحورا ﴾ مطبوبا وقال مجاهد مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق يقال ماسحرك عن كذا أي ماصرفك عنه وقال أبو عبيدة أي رجلا له سحر والسحر الرئة أي انه بشر مثلكم تغذى معللا بالطعام والشراب يأكل ويشرب قال الشاعر

أرانا موضعين لأمر غيب ويسحر بالطعام وبالشراب

أي يغذي ويعلل ﴿ انظر ﴾ يامحمد ﴿ كيف ضربوا لك الامثال ﴾ الاشباه فقالوا شاعر وساحر

وأعطوا فأعطينا حتى اذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه والله لا نؤمن بهذا أبدا ولا نصدقه . قال فقام عنه الاخنس وتركه

وقالوا أءذا كنا عظٰماً ورفٰتاً أءنا لمبعوثون خلقا جديداً (٤٩) قل كونوا حجارة أو حديداً (٥٠) أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا ، قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون اليك رءوسهم ويقولون متى هو ، قل عسى أن يكون قريبا (٥١) يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا (٥٢)

يقول تعالى مخبراً عن الكفار المستبعدين وقوع المعاد القائلين استفهام انكار منهم لذلك (أئذا كنا عظاما ورفاتا) أي ترابا قاله مجاهد ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما غبارا (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أي يوم القيامة بعد ما بلينا وصرنا عدما لا نذكر كما أخبر عنهم في الموضع الآخر (يقولون أئنا لمردودون في الحافرة ، أئذا كنا عظاما نخرة ، قالوا اذا تلك كرة خاسرة) وقوله تعالى (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) الآيتين فأمر الله سبحانه رسول الله ﷺ أن يجيبهم فقال (قل كونوا حجارة أو حديداً) إذ هما أشد امتناعا من العظام والرفات (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) قال ابن اسحاق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سألت ابن عباس عن ذلك فقال : هو الموت وروى عطية عن ابن عمر انه قال في تفسير هذه الآية لو كنتم موتى لأحييتكم ، وكذا قال سعيد بن جبير وابو صالح والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم ، ومعنى ذلك انكم لو فرضتم انكم قد صرتم الى الموت الذي هو ضد الحياة لاحيا كم الله إذا شاء فانه لا يمتنع عليه شيء اذا أراده

وقد ذكر ابن جرير ههنا حديثا « يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة أتعرفون هذا ؟ فيقولون نعم : ثم يقال يا أهل النار أتعرفون هذا ؟ فيقولون نعم فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت » وقال مجاهد (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) يعني السماء والارض والجبال ، وفي رواية : ماشئتم فكونوا فسيعيدكم الله

وكاهن ومجنون ﴿ فضلوا ﴾ فجاروا وحادوا ﴿ فلا يستطيعون سبيلا ﴾ أي وصولا الى طريق الحق ﴿ وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا ﴾ بعد الموت قال مجاهد ترابا وقيل حطاما والرفات كل ما يكسر ويبلى من كل شيء كالفتات والحطام ﴿ أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ، قل ﴾ لهم يا محمد ﴿ كونوا حجارة أو حديداً ﴾ في الشدة والقوة وليس هذا بأمر الزام بل هو أمر تعجيز أي استشعروا في قلوبكم انكم حجارة أو حديد في القوة ﴿ أو خلقا مما يكبر في صدوركم ﴾ قيل السماء والارض والجبال وقال مجاهد وعكرمة وأكثر المفسرين انه الموت فانه ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر من الموت أي ولو كنتم

بعد موتكم ، وقد وقع في التفسير المروي عن الامام مالك عن الزهري في قوله (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) قال النبي ﷺ قال مالك ويقولون هو الموت

وقوله تعالى (فسيقولون من يعيدنا) أي من يعيدنا إذا كنا حجارة او حديداً أو خلقا آخر شديداً (قل الذي فطركم أول مرة) أي الذي خلقكم ولم تكونوا شيئاً مذكوراً ثم صرتم بشراً تنتشرون فانه قادر على اعادتكم ولو صرتم إلى أي حال (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) الآية وقوله تعالى (فسينغضون اليك رءوسهم)قال ابن عباس وقتادة يحركونها استهزاء وهذا الذي قالاه هو الذي تعرفه العرب من لغاتها لان الانغاض هو التحرك من أسفل إلى أعلى أو من أعلى إلى أسفل ، ومنه قيل للظليم وهو ولد النعامة نغضاً لأنه إذا مشى عجل بمشيته وحرك رأسه ويقال نغضت سنه اذا تحركت وارتفعت من منبتها . وقال الراجز

« ونغضت من هرم أسنانها »

وقوله (ويقولون متى هو) اخبار عنهم بالاستبعاد منهم لوقوع ذلك كما قال تعالى (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) وقال تعالى (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) وقوله (قل عسى أن يكون قريبا) أي احذروا ذلك فانه قريب اليكم سيأتيكم لامحالة فكل ماهو آت آت

وقوله تعالى (يوم يدعوكم) أي الرب تبارك وتعالى (اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون أي) إذا أمركم بالخروج منها فانه لايخالف ولا يمانع بل كما قال تعالى (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وقوله (فانما هي زجرة واحدة « فاذا هم بالساهرة) أي إنما هو أمر واحد بانتهار فاذا الناس قد خرجوا من باطن الارض إلى ظاهرها كما قال تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) أي تقولون كلكم اجابة لأمره وطاعة لارادته . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فتستجيبون بحمده أي بأمره وكذا قال ابن جريج ، وقال قتادة بمعرفته وطاعته « وقال بعضهم (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) أي وله الحمد في كل حال

وقد جاء في الحديث « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم كأني بأهل لا إله إلا الله

الموت بعينه لاميتتكم ولا بعثتكم ﴿ فسيقولون من يعيدنا؟ ﴾ من يبعثنا بعد الموت ﴿ قل الذي فطركم ﴾ خلقكم ﴿ أول مرة ﴾ ومن قدر على الانشاء قدر على الاعادة ﴿ فسينغضون اليك رءوسهم ﴾ أي يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بها ﴿ ويقولون متى هو ﴾ أي البعث والقيامة ﴿ قل عسى أن يكون قريبا ﴾ أي هو قريب لان عسى من الله واجب نظيره قوله تعالى (وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) ﴿ يوم يدعوكم ﴾ من قبوركم الى موقف القيامة ﴿ فتستجيبون بحمده ﴾ قال ابن عباس بأمره وقال قتادة بطاعته وقيل مقرين بأنه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لاينفعهم الحمد وقيل هذا

يقومون من قبورهم ينفضون التراب عن رءوسهم يقولون لا إله إلا الله » وفي رواية يقولون (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) وسيأتي في سورة فاطر . وقوله تعالى(وتظنون) أي يوم تقومون من قبوركم (ان لبثتم) أي في الدار الدنيا (إلا قليلا) وكقوله تعالى(كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) وقال تعالى (يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا * يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا * نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما) وقال تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون) وقال تعالى (قال كم لبثتم في الارض عدد سنين *قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين * قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون)

وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ان الشيطن ينزغ بينهم ان الشيطن كان للانسن عدوا مبينا (٥٣) »

يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الاحسن والكلمة الطيبة فانهم ان لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخرج الكلام الى الفعال ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة فانه عدو لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم وعداوته ظاهرة بينة، ولهذا نهى أن يشير الرجل الى أخيه المسلم بحديدة فان الشيطان ينزغ في يده أي فربما أصابه بها

وقال الامام احمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا يشيرن أحدكم الى أخيه بالسلاح فانه لايدري أحدكم لعل الشيطان أن ينزغ في يده فيقع في حفرة من النار » أخرجاه من حديث عبدالرزاق

وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد أنبأنا علي بن زيد عن الحسن قال حدثني رجل من بني سليط قال أتيت النبي ﷺ وهو في أزفلة من الناس فسمعته يقول « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا

خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين ﴿ وتظنون ان لبثتم ﴾ في الدنيا أو في القبور ﴿ إلا قليلا ﴾ لان الانسان لو مكث ألوفا من السنين في الدنيا أو في القبور عد ذلك قليلا في مدة القيامة والخلود قال قتادة يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة

قوله تعالى ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ﴾ قال الكلبي كان المشركون يؤذون المسلمين فشكوا الى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى (وقل لعبادي يقولوا) للكافرين (التي هي أحسن) ولا يكافئوهم بسفههم قال الحسن يقول له يهديك الله وكان هذا قبل الاذن في الجهاد والقتال وقيل نزلت في عمر بن الخطاب شتمه بعض الكفار فأمره الله بالعفو وقيل أمر الله المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا التي هي أحسن أي الخلة التي هي أحسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لاإله إلا الله ﴿ إن

يخذله التقوى ههنا » قال حماد وقال بيده الى صدره « وما تواد رجلان في الله ففرق بينهما الا حدث يحدثه أحدهما والمحدث شر والمحدث شر والمحدث شر »

ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا (٥٤)

وربك أعلم بمن في السموٰت والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود

زبورا (٥٥)

يقول تعالى ربكم أعلم بكم أيها الناس أي أعلم بمن يستحق منكم الهداية ومن لا يستحق ان يشأ يرحمكم بأن يوفقكم لطاعته والانابة اليه أو ان يشأ يعذبكم وما أرسلناك يامحمد عليهم وكيلا أي انما أرسلناك نذيرا فمن أطاعك دخل الجنة » ومن عصاك دخل النار . وقوله (وربك أعلم بمن في السموات والارض) أي بمراتبهم في الطاعة والمعصية (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وكما قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) وهذا لا ينافي ماثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « لا تفضلوا بين الانبياء » فان المراد من ذلك هو التفضيل بمجرد التشهي والعصبية لا بمقتضى الدليل فاذا دل الدليل على شيء وجب اتباعه، ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الانبياء وان أولي العزم منهم أفضلهم وهم الخمسة المذكورون نصا في آيتين من القرآن في سورة الاحزاب (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) وفي الشورى في قوله (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) ولا خلاف ان محمداً ﷺ أفضلهم ثم بعده ابراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم السلام على المشهور وقد بسطناه بدلائله في غير هذا الموضع والله الموفق.

الشيطان ينزغ بينهم ﴾ أي يفسد ويلقي العداوة بينهم ﴿ ان الشيطان كان للانسان عدواً مبينا ﴾ ظاهر العداوة ﴿ ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم ﴾ يوفقكم فتؤمنوا ﴿ أو ان يشأ يعذبكم ﴾ يميتكم على الشرك فتعذبوا قاله ابن جريج ، وقال الكلبي ان يشأ يرحمكم فينجيكم من أهل مكة وان يشأ يعذبكم فيسلطهم عليكم ﴿ وما أرسلناك عليهم وكيلا ﴾ حفيظا وكفيلا قيل نسختها آية القتال ﴿ وربك أعلم بمن في السموات والارض ﴾ أي ربك العالم بمن في السموات والارض فجعلهم مختلفين في صورهم وأخلاقهم وأحوالهم ومللهم ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ قيل جعل السموات والارض مختلفين كما فضل بعض النبيين على بعض قال قتادة في هذه الآية اتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما وقال لعيسى كن فيكون وآتى سليمان ملكا عظيما لا ينبغي لأحد من بعده وآتى داود زبوراً كما قال

وقوله تعالى (وآتينا داود زبورا) تنبيه على فضله وشرفه . قال البخاري حدثنا اسحاق بن نصر أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « خفف على داود القراءة فكان يأمر بدوابه فتسرج فكان يقرؤه قبل أن يفرغ يعني القرآن

قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا (٥٦)

أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا (٥٧)

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله (ادعوا الذين زعمتم من دونه) من الاصنام والانداد فارغبوا اليهم فانهم لا يملكون كشف الضر عنكم أي بالكلية ولا تحويلا أي بان يحولوه الى غيركم والمعنى أن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لاشريك له الذي له الخلق والامر . قال العوفي عن ابن عباس في قوله (ادعوا الذين زعمتم) الآية قال كان أهل الشرك يقولون نعبد الملائكة والمسيح وعزيراً وهم الذين يدعون يعني الملائكة والمسيح وعزيرا

وقوله تعالى (أولئك الذين يدعون) الآية روى البخاري من حديث سليمان بن مهران الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن عبد الله في قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) قال ناس من الجن كانوا يعبدون فاسلموا » وفي رواية قال كان ناس من الانس يعبدون ناسا من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم ، وقال قتادة عن معبد بن عبدالله الرماني عن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن ابن مسعود في قوله (أولئك الذين يدعون) الآية قال نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فاسلم الجنيون والانس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون باسلامهم فنزلت هذه الآية وفي رواية عن ابن مسعود كانوا يعبدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجن فذكره ، وقال السدي عن

﴿ وآتينا داود زبورا ﴾ والزبور كتاب علمه الله داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وتمجيد وثناء على الله عز وجل وليس فيها حرام ولا حلال ولا فرائض ولا حدود ومعناه إنكم لم تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون فضل النبي ﷺ واعطاءه القرآن وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الانبياء عليهم السلام من أهل الكتاب وغيرهم

قوله عز وجل ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ﴾ وذلك أن المشركين أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي ﷺ ليدعو لهم قال الله تعالى قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم أنها آلهة من دونه ﴿ فلا يملكون كشف الضر ﴾ القحط والجوع ﴿ عنكم ولا تحويلا ﴾ الى غيركم أو تحويل الحال من العسر الى اليسر ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ﴾

أبي صالح عن ابن عباس في قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) قال عيسى وأمه وعزير » وقال مغيرة عن ابراهيم كان ابن عباس يقول في هذه الآية هم عيسى وعزير والشمس والقمر » وقال مجاهد عيسى والعزير والملائكة ، واختار ابن جرير قول ابن مسعود لقوله (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) وهذا لايعبر به عن الماضي فلا يدخل فيه عيسى والعزير والملائكة وقال والوسيلة هي القربة كما قال قتادة ولهذا قال (أيهم أقرب) وقوله تعالى (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) لاتتم العبادة الا بالخوف والرجاء فبالخوف ينكف عن المناهي وبالرجاء يكثر من الطاعات، وقوله تعالى (إن عذاب ربك كان محذورا) أي ينبغي أن يحذر منه ويخاف من وقوعه وحصوله عياذاً بالله منه.

وان من قرية الا نحن مُهلكوها قبل يوم القيٰمة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتٰب مسطورا (٥٨)

هذا اخبار من الله عز وجل بأنه قد حتم وقضى بما قد كتب عنده في اللوح المحفوظ أنه ما من قرية الا سيهلكها بأن يبيد أهلها جميعهم أو يعذبهم (عذابا شديداً) أما بقتل أو ابتلاء بما يشاء وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم كما قال تعالى عن الامم الماضيين (وماظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم) وقال تعالى (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله) الآيات

يعني الذين يدعونهم المشركون أنهم آلهة يعبدونهم. قال ابن عباس ومجاهد وهم عيسى وامه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم (يبتغون) أي يطلبون (الى ربهم الوسيلة) أي القربة وقيل الوسيلة الدرجة أي يتضرعون الى الله في طلب الدرجة العليا وقيل الوسيلة كل ما يتقرب به الى الله تعالى وقوله ﴿ أيهم أقرب ﴾ معناه ينظرون أيهم أقرب الى الله فيتوسلون به وقال الزجاج أيهم أقرب يبتغي الوسيلة الى الله تعالى ويتقرب اليه بالعمل الصالح ﴿ ويرجون رحمته ﴾ جنته ﴿ ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً ﴾ أي يطلب منه الحذر وقال عبد الله بن مسعود نزلت الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فاسلم الجنيون ولم يعلم الانس الذين كانوا يعبدونهم باسلامهم فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وأنزل هذه الآية وقرأ ابن مسعود أولئك الذين تدعون بالتاء ﴿ وان من قرية ﴾ وما من قرية ﴿ إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة ﴾ أي مخربوها ومهلكو أهلها ﴿ أو معذبوها عذابا شديداً ﴾ بانواع العذاب اذا كفروا وعصوا وقال مقاتل وغيره مهلكوها في حق المؤمنين بالاماتة أو معذبوها في حق الكفار بأنواع العذاب قال عبد الله بن مسعود : اذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله في اهلاكها ﴿ كان ذلك في الكتاب ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿ مسطوراً ﴾ مكتوبا قال عبادة بن الصامت سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول ماخلق الله القلم فقال اكتب : فقال ما أكتب ؟ قال القدر وما كان وما هو كائن الى الابد

ومامنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا (٥٩)

قال سنيد عن حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال :قال المشركون يامحمد انك تزعم أنه كان قبلك أنبياء فمنهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيي الموتى فان سرك أن نؤمن بك ونصدقك فادع ربك أن يكون لنا الصفا ذهبا فاوحى الله اليه (إني قد سمعت الذي قالوا فان شئت أن نفعل الذي قالوا فان لم يؤمنوا نزل العذاب فانه ليس بعد نزول الآية مناظرة وإن شئت أن نستأني بقومك استأنيت بهم قال «يارب استأن بهم» وكذا قال قتادة وابن جريج وغيرهما ، وروى الامام أحمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن الاعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبا وان ينحي الجبال عنهم فيزرعوا فقيل له ان شئت ان تستأني بهم وان شئت ان يأتيهم الذي سألوا فان كفروا هلكوا كما أهلكت من كان قبلهم من الامم قال « لا بل استأن بهم » وانزل الله تعالى (وما منعنا ان نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الاولون) الآية ورواه النسائي من حديث جرير به و قال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن حكيم عن ابن عباس قال قالت قريش للنبي ﷺ ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن بك قال « وتفعلون؟ » قالوا نعم قال فدعا فأتاه جبريل فقال ان ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك ان شئت اصبح لهم الصفا ذهبا فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذابا لا أعذبه احدا من العالمين وان شئت فتحت لهم ابواب التوبة والرحمة فقال «بل باب التوبة والرحمة» وقال الحافظ ابو يعلى في مسنده حدثنا محمد بن اسماعيل بن علي الانصاري حدثنا خلف بن تميم المصيصي عن عبد الجبار بن عمر الايلي عن عبد الله بن عطاء بن ابراهيم عن جدته ام عطاء مولاة الزبير بن العوام قالت: سمعت الزبير يقول لما نزلت (وانذر عشيرتك الاقربين) صاح رسول الله ﷺ على ابي قبيس « يا آل عبد مناف اني نذير» فجاءته قريش فحذرهم وانذرهم فقالوا تزعم انك نبي يوحى اليك وان سليمان سخر له الريح والجبال وان موسى سخر له البحر وان عيسى كان يحيي الموتى فادع الله ان يسير عنا هذه الجبال ويفجر لنا الارض انهارا فنتخذ محارث فنزرع ونأكل والا فادع الله ان يحيي لنا موتانا

قوله تعالى ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ﴾ قال ابن عباس سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن ينحي الجبال عنهم فيزرعوا فاوحى الله تعالى الى رسوله ﷺ إن شئت أن أستأني بهم فعلت وان شئت أن أوتيهم ماسألوا فعلت فان لم يؤمنوا أهلكهم كما أهلكت من كان قبلهم فقال النبي ﷺ « لا بل تستأني بهم » فانزل الله عز وجل (وما منعنا أن نرسل بالآيات) التي سألها كفار قريش (إلا أن كذب بها الاولون) فاهلكناهم

لنكلمهم ويكلمونا والا فادع الله ان يصير هذه الصخرة التي تحتك ذهبا فننحت منها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف فانك تزعم انك كهيئتهم .قال فبينا نحن حوله إذ نزل عليه الوحي فلما سري عنه قال « والذي نفسي بيده لقد اعطاني ما سألتم ولو شئت لكان ولكنه خيرني بين ان تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وبين ان يكلكم الى ما اخترتم لانفسكم فتضلوا عن باب الرحمة فلا يؤمن منكم احد فاخترت باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم واخبرني انه ان اعطاكم ذلك ثم كفرتم انه يعذبكم عذابا لايعذبه أحدا من العالمين » ونزلت (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون) وقرأ ثلاث آيات ونزلت (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى) الآية ولهذا قال تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات) أي نبعث الآيات ونأتي بها على ما سأل قومك منك فانه سهل علينا يسير لدينا الا أنه قد كذب بها الاولون بعد ما سألوها وجرت سنتنا فيهم وفي أمثالهم أنهم لايؤخرون ان كذبوا بها بعد نزولها كما قال الله تعالى في المائدة (قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لاأعذبه أحداً من العالمين) وقال تعالى عن ثمود حين سألوا آية ناقة تخرج من صخرة عينوها فدعا صالح عليه السلام ربه فأخرج لهم منها ناقة على ما سألوا فلما ظلموا بها أي كفروا بمن خلقها وكذبوا رسوله وعقروها فقال (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) ولهذا قال تعالى (وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها) أي دالة على وحدانية من خلقها وصدق رسوله الذي اجيب دعاؤه فيها (فظلموا بها) أي كفروا بها ومنعوها شربها وقتلوها فأبادهم الله عن آخرهم وانتقم منهم وأخذهم اخذ عزيز مقتدر وقوله تعالى (وما نرسل بالآيات الا تخويفا) قال قتادة ان الله تعالى يخوف الناس بما شاء من الآيات لعلهم يعتبرون ويذكرون ويرجعون ذكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود رضي الله عنه فقال يا أيها الناس ان ربكم يستعتبكم فاعتبوه ، وهكذا روي ان المدينة زلزلت على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرات فقال عمر احدثتم والله لئن عادت لافعلن ولافعلن . وكذا قال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله وانهما لاينكسفان لموت احد ولا لحياته ولكن الله عزوجل يخوف بهما عباده فاذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره ــ ثم قال ــ يا أمة محمد والله ما أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً »

فان لم يؤمن قومك بعد ارسال الآيات أهلكناهم لأن من شأننا في الامم اذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد اتيانها نهلكهم ولا نمهلهم وقد حكمنا بامهال هذه الامة في العذاب فقال جل ذكره (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) ثم قال ﴿ وآتينا ثمود الناقة مبصرة ﴾ مضيئة بينة ﴿ فظلموا بها ﴾ أي جحدوا بها انها من عند الله كما قال (وما كانوا بآياتنا يظلمون) أي بها يجحدون وقيل ظلموا أنفسهم بتكذيبها يريد فعاجلناهم بالعقوبة ﴿ وما نرسل بالآيات ﴾ أي العبر والدلالات ﴿ إلا تخويفا ﴾ للعباد ليؤمنوا قال قتادة ان الله تعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون

وإذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا (٦٠)

يقول تعالى لرسوله ﷺ محرضا له على إبلاغ رسالته ومخبراً له بانه قد عصمه من الناس فانه القادر عليهم وهم في قبضته وتحت قهره وغلبته . قال مجاهد وعروة بن الزبير والحسن وقتادة وغيرهم في قوله (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) أي عصمك منهم وقوله (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) الآية قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) قال هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به (والشجرة الملعونة في القرآن) شجرة الزقوم وكذا رواه أحمد وعبد الرزاق وغيرهما عن سفيان بن عيينة به وكذا رواه العوفي عن ابن عباس، وهكذا فسر ذلك بليلة الاسراء مجاهد وسعيد بن جبير والحسن ومسروق وابراهيم وقتادة وعبد الرحمن بن زيد وغير واحد. وقد تقدمت أحاديث الاسراء في أول السورة مستقصاة ولله الحمد والمنة. وتقدم أن ناساً رجعوا عن دينهم بعد ما كانوا على الحق لانه لم تحمل قلوبهم وعقولهم ذلك فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وجعل الله ذلك ثباتاً ويقينا لآخرين ولهذا قال (إلا فتنة) أي اختباراً وامتحانا . وأما الشجرة الملعونة فهي شجرة الزقوم لما أخبرهم رسول الله ﷺ أنه رأى الجنة والنار ورأى شجرة الزقوم فكذبوا بذلك حتى قال أبو جهل عليه لعائن الله

قوله عز وجل ﴿ وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس ﴾ أي هم في قبضته لايقدرون على الخروج عن مشيئته فهو حافظك ومانعك منهم فلا تهبهم وامض الى ما أمرك الله به من تبليغ الرسالة كما قال (والله يعصمك من الناس) ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ فالاكثرون على أن المراد منه ما رأى النبي ﷺ ليلة المعراج من العجائب والآيات قال ابن عباس هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج والاكثرين والعرب تقول رأيت بعيني رؤية ورؤيا فلما ذكر رسول الله ﷺ للناس أنكر بعضهم ذلك وكذبوا وكان فتنة للناس . وقال قوم أسري بروحه دون بدنه وقال بعضهم كان له معراجان معراج رؤية بالعين ومعراج رؤيا بالقلب، وقال قوم أراد بهذه الرؤيا ما رأى النبي ﷺ عام الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه فعجل السير الى مكة قبل الاجل فصده المشركون فرجع الى المدينة وكان رجوعه في ذلك العام بعد ما أخبر أنه يدخلها فكان رجوعه فتنة لبعضهم حتى دخلها في العام المقبل فانزل الله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) ﴿ والشجرة الملعونة في القرآن ﴾ يعني شجرة الزقوم. مجازه والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن والعرب تقول : لكل طعام كريه طعام ملعون وقيل معناه الملعون أكلها و نصب الشجرة عطفا على الرؤيا أي وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة

هاتوا لنا تمراً وزبداً وجعل يأكل من هذا بهذا ويقول تزقموا فلا نعلم الزقوم غير هـذا حكى ذلك ابن عباس ومسروق وأبو مالك والحسن البصري وغير واحد وكل من قال انها ليلة الاسراء فسره كذلك بشجرة الزقوم وقيل المراد الشجرة الملعونة بنو أمية وهو غريب ضعيف ، وقال ابن جرير حدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد حدثني أبي عن جدي قال رأى رسول الله ﷺ بني فلان ينزون على منبره نزو القرود فساءه ذلك فما استجمع ضاحكا حتى مات قال وأنزل الله في ذلك (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) الآية وهذا السند ضعيف جداً فان محمد بن الحسن بن زبالة متروك وشيخه أيضا ضعيف بالكلية ، ولهذا اختار ابن جرير أن المراد بذلك ليلة الاسراء وأن الشجرة المعونة هي شجرة الزقوم قال لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك أي في الرؤيا والشجرة وقوله (ونخوفهم) أي الكفار بالوعيد والعذاب والنكال (فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا) أي تماديا فيما هم فيه من الكفر والضلال وذلك من خذلان الله لهم

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال ءأسجد لمن خلقت طينا ؟ (٦١)

قال أرءيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن الى يوم القيـٰمة لاحتنكن ذريته إلا قليلا (٦٢)

يذكر تبارك وتعالى عداوة ابليس لعنه الله لآدم وذريته وأنها عداوة قديمة منذ خلق آدم فانه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا كلهم الا إبليس استكبر وأبى أن يسجد له افتخارا عليه واحتقاراً له (قال أأسجد لمن خلقت طينا) كما قال في الآية الأخرى (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) وقال أيضا أرأيتك يقول للرب جراءة وكفرا والرب يحلم وينظر (قال أرأيتك

إلا فتنة للناس فكانت الفتنة في الرؤيا ماذكرنا والفتنة في الشجرة الملعونة من وجهين (أحدهما) أن أبا جهل قال إن ابن أبي كبشة يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنه ينبت فيها شجرة وتعلمون أن النار تحرق الشجرة (والثاني) أن عبد الله بن الزبعرى قال ان محمـداً يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر . وقال أبو جهل ياجارية تعالي فزقمينا فأتت بالتمر والزبد فقال ياقوم تزقموا فان هذا مايخوفكم به محمد . فوصفها الله تعالى في الصافات، وقيل الشجرة الملعونة هي التي تلتوي على الشجر فتخنقه يعني الكشوث ﴿ ونخوفهم فما يزيدهم ﴾ التخويف إلا طغيانا كبيراً ﴾ أي تمرداً وعتواً عظيما

قوله عز وجل ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا ﴾ أي خلقتـه من طين أنا جئت به وذلك ماروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : أن الله تعالى بعث ابليس حتى أخذ كفا من تراب الارض من عذبها ومالحها فخلق منه آدم فمن خلقه من العذب فهو سعيد وان كان ابن كافرين ومن خلقه من الملح فهو شقي وان كان ابن نبي ﴿ قال ﴾ يعني ابليس ﴿ أرأيتك ﴾ أي أخبرني والكاف لتأكيد المخاطبة ﴿ هذا الذي كرمت علي ﴾ أي فضلته علي

هذا الذي كرمت علي) الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول لاستولين على ذريته إلا قليلا وقال مجاهد لاحتوين وقال ابن زيد لاضلنهم وكلها متقاربة والمعنى أرأيتك هذا الذي شرفته وعظمته علي لئن أنظرتني لاضلن ذريته الا قليلا منهم

قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاءا موفورا (٦٣) واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا (٦٤) إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا (٦٥)

لما سأل إبليس النظرة قال الله له (اذهب) فقد أنظرتك كما قال في الآية الاخرى قال (فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) ثم أوعده ومن اتبعه من ذرية آدم جهنم (قال اذهب فمن اتبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) أي على أعمالكم (جزاءاً موفورا) قال مجاهد وافرا ، وقال قتادة موفوراً عليكم لا ينقص لكم منه .

وقوله تعالى (واستفزز من استطعت منهم بصوتك) قيل هو الغناء قال مجاهد باللهو والغناء أي استخفهم بذلك وقال ابن عباس في قوله (واستفزز من استطعت منهم بصوتك) قال كل داع دعا الى معصية الله عز وجل وقاله قتادة واختاره ابن جرير ، وقوله تعالى (واجلب عليهم بخيلك ورجلك) يقول واحمل عليهم بجنودك خيالتهم ورجالتهم فان الرجل جمع راجل كما أن الركب جمع راكب وصحب

﴿ لئن أخرتن ﴾ أمهلتني ﴿ إلى يوم القيامة لاحتنكن ذريته ﴾ أي لاستأصلنهم بالاضلال يقال احتنك الجراد الزرع اذا أكله كله وقيل هو من قول العرب حنك الدابة يحنكها اذا شد في حنكها الاسفل حبلا يقودها أي لأقودنهم كيف شئت وقيل لأستولين عليهم بالاغواء ﴿ إلا قليلا ﴾ يعني المعصومين الذين استثناهم الله عز وجل في قوله (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) ﴿ قال ﴾ الله ﴿ اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم ﴾ أي جزاؤك وجزاء أتباعك ﴿ جزاء موفورا ﴾ وافراً مكملا يقال وفرته أفره وفراً وقوله ﴿ واستفزز ﴾ واستخفف واستجهد ﴿ من استطعت منهم ﴾ أي من ذرية آدم ﴿ بصوتك ﴾ قال ابن عباس وقتادة بدعائك الى معصية الله وكل داع الى معصية الله فهو من جند ابليس قال الازهري معناه ادعهم دعاء تستفزهم به الى جانبك أي تستخفهم، وقال مجاهد بالغناء والمزامير ﴿ وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ﴾ قيل اجمع عليهم مكايدك وخيلك يقال أجلبوا وجلبوا اذا صاحوا يقول صح بخيلك ورجلك واحثثهم عليهم بالاغواء . قال . مقاتل استعن عليهم بركبان جندك

جمع صاحب ومعناه تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه وهذا أمر قدري كقوله تعالى (ألم تر انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) أي تزعجهم الى المعاصي ازعاجا وتسوقهم اليها سوقا وقال ابن عباس ومجاهد في قوله (واجلب عليهم بخيلك ورجلك) قال كل راكب وماش في معصية الله وقال قتادة ان له خيلا ورجالا من الجن والانس وهم الذين يطيعونه تقول العرب أجلب فلان على فلان إذا صاح عليه ومنه نهي في المسابقة عن الجلب والجنب ومنه اشتقاق الجلبة وهي ارتفاع الاصوات

وقوله تعالى (وشاركهم في الاموال والاولاد) قال ابن عباس ومجاهد هوما أمرهم به من انفاق الاموال في معاصي الله تعالى ، وقال عطاء هو الربا ، وقال الحسن هو جمعها من خبيث وانفاقها في حرام ، وكذا قال قتادة ، وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما اما مشاركته اياهم في أموالهم فهو ماحرموه من أنعامهم يعني من البحائر والسوائب ونحوها وكذا قال الضحاك وقتادة ، وقال ابن جرير والأولى أن يقال ان الآية تعم ذلك كله ، وقوله (والاولاد) قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد والضحاك يعني أولاد الزنا ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هوما كانوا قتلوه من أولادهم سفها بغير علم ، وقال قتادة عن الحسن البصري قد والله شاركهم في الاموال والاولاد مجسوا وهودوا ونصروا وصبغوا غير صبغة الاسلام وجزءوا من أموالهم جزءاً للشيطان

وكذا قال قتادة سواء ، وقال ابو صالح عن ابن عباس هو تسميتهم أولادهم عبد الحارث

ومشاتهم والخيل الركبان والرجل المشاة قال أهل التفسير كل راكب وماش في معاصي الله فهو من جند ابليس ، وقال مجاهد وقتادة ان له خيلا ورجلامن الجن والانس وهو كل من يقاتل في المعصية والرجل والرجالة والرَّجلة واحد يقال راجل ورجل مثل تاجر وتجر وراكب وركب ، وقرأ حفص ورجلك بكسر الجيم وهما لغتان ﴿ وشاركهم في الاموال والاولاد ﴾ فالمشاركة في الاموال كل ماأصيب من حرام أو أنفق في حرام هذا قول مجاهد والحسن وسعيد بن جبير ، وقال عطاء هو الربا ، وقال قتادة هو ما كان المشركون يحرمونه من الانعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وقال الضحاك هو ما كانوا يذبحونه لآلهتهم ، وأما الشركة في الاولاد فروي عن ابن عباس أنها الموءودة ، وقال مجاهد والضحاك هم أولاد الزنا ، وقال الحسن وقتادة هو أنهم هودوا أولادهم ونصروهم ومجسوهم وعن ابن عباس رواية أخرى هو تسميتهم الاولاد عبد الحارث وعبد شمس وعبد العزى وعبد الدار ونحوها ، وروي عن جعفر بن محمد أن الشيطان يقعد على ذكر الرجل فاذا لم يقل بسم الله أصاب معه امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل ، وروي في بعض الاخبار: إن فيكم مغربين ، قيل وما المغربون؟ قال الذين يشارك فيهم الجن ، وروي أن رجلا قال لابن عباس ان امرأتي استيقظت وفي فرجها شعلة من نار ، قال ذلك من وطء الجن . وفي الآثار أن ابليس لما أخرج إلى الارض قال يارب أخرجتني من الجنة لاجل آدم فسلطني عليه وعلى ذريته ، قال أنت مسلط ، قال لاأستطيعه الا بك فزدني قال

وعبد شمس وعبد فلان . قال ابن جرير وأولى الاقوال بالصواب أن يقال كل مولود ولدته أنثى عصي الله فيه بتسميته بما يكرهه الله أو بادخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله أو بالزنا بأمه أو بقتله أو وأده أو غير ذلك من الامور التي يعصى الله بفعله به أو فيه فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك الولد له أو منه لان الله لم يخصص بقوله (وشاركهم في الاموال والاولاد) معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى فكل ماعصي الله فيه أو به أو أطيع الشيطان فيه أو به فهو مشاركة . وهذا الذي قاله متجه وكل من السلف رحمهم الله فسر بعض المشاركة . فقد ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حمار أن رسول الله ﷺ قال « يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاختالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ماأحللت لهم » وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « لو أن أحدهم اذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا » وقوله تعالى (وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) كما أخبر تعالى عن ابليس انه يقول : اذا حصحص الحق يوم يقضى بالحق : ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم الآية وقوله تعالى (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) اخبار بتأييده تعالى عباده المؤمنين وحفظه إياهم وحراسته لهم من الشيطان الرجيم ولهذا قال تعالى (وكفى بربك وكيلا) أي حافظا ومؤيداً ونصيراً ، وقال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ان المؤمن لينضي شياطينه كما ينضي أحدكم بعيره في السفر » ينضي أي يأخذ بناصيته ويقهره

(استفزز من استطعت منهم بصوتك) الآية ، فقال آدم يارب سلطت ابليس علي وعلى ذريتي واني لاأستطيعه الا بك ، قال لايولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظونه . قال زدني . قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها ، قال زدني . قال التوبة معروضة مادام الروح في الجسد ، فقال زدني ، قال (ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) الآية . وفي الخبر أن ابليس قال يارب بعثت أنبياء وأنزلت كتبا فما قراءتي ؟ قال الشعر . قال فما كتابي ؟ قال الوشم ، قال ومن رسلي ؟ قال الكهنة ، قال وأين مسكني ؟ قال الحمامات ، قال وأين مجلسي ؟ قال الاسواق ، قال فما مطعمي ؟ قال مالم يذكر عليه اسمي . قال ماشرابي ؟ قال كل مسكر ، قال وما حبائلي ؟ قال النساء ، قال وما أذاني ؟ قال المزامير .

قوله عز وجل ﴿ وعدهم ﴾ أي خذ منهم الحيل في طاعتك . وقيل قل لهم لاجنة ولانار ولابعث ﴿ وما يعدهم الشيطان الا غروراً ﴾ والغرور تزيين الباطل بما يظن أنه حق ، فان قيل كيف ذكر الله هذه الاشياء وهو يقول (ان الله لايأمر بالفحشاء) قيل هذا على طريق التهديد كقوله تعالى (اعملوا ماشئتم) وكقول القائل : افعل ماشئت فسترى

قوله ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ﴾ أي حافظا ومن يوكل الامر اليه

ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما (٦٦)

يخبر تعالى عن لطفه بخلقه في تسخيره لعباده الفلك في البحر وتسهيله لمصالح عباده لابتغائهم من فضله في التجارة من اقليم إلى اقليم ولهذا قال (انه كان بكم رحيما) أي انما فعل هذا بكم من فضله عليكم ورحمته بكم

وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسن كفورا (٦٧)

يخبر تبارك وتعالى أن الناس اذا مسهم ضر دعوه منيبين اليه مخلصين له الدين ولهذا قال تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا اياه) أي ذهب عن قلوبكم كل ما تعبدون غير الله تعالى كما اتفق لعكرمة بن أبي جهل لما ذهب فاراً من رسول الله ﷺ حين فتح مكة فذهب هاربا فركب في البحر ليدخل الحبشة فجاءتهم ريح عاصف فقال القوم بعضهم لبعض انه لا يغني عنكم إلا أن تدعوا الله وحده فقال عكرمه في نفسه والله ان كان لا ينفع في البحر غيره فانه لا ينفع في البر غيره اللهم لك علي عهد لئن أخرجتني منه لأذهبن فلأضعن يدي في يد محمد فلأجدنه رءوفا رحيما فخرجوا من البحر فرجع الى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه وأرضاه . وقوله تعالى (فلما نجاكم الى البر أعرضتم) أي نسيتم ما عرفتم من توحيده في البحر وأعرضتم عن دعائه وحده لاشريك له وكان الانسان كفورا أي سجيته هذا ينسى النعم ويجحدها إلا من عصم الله

أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لاتجدوا لكم وكيلا (٦٨)

يقول تعالى أفحسبتم بخروجكم الى البر أمنتم من انتقامه وعذابه أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا وهو المطر الذي فيه حجارة . قاله مجاهد وغير واحد كما قال تعالى (انا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا)وقد قال في الآية الاخرى (وأمطرنا عليهم حجارة من طين) وقال (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور * أم أمنتم من

قوله عز وجل ﴿ ربكم الذي يزجي لكم الفلك ﴾ أي يسوق ويجري لكم الفلك ﴿في البحر لتبتغوا من فضله ﴾ لتطلبوا من رزقه ﴿ انه كان بكم رحيما * واذا مسكم الضر ﴾ الشدة وخوف الغرق ﴿ في البحر ضل﴾ أي بطل وسقط ﴿ من تدعون ﴾ من الآلهة ﴿ الا إياه ﴾ الا الله فلم تجدوا مغيثا سواه ﴿ فلما نجاكم ﴾ أجاب دعاءكم وأنجاكم من هول البحر وأخرجكم ﴿ إلى البر أعرضتم ﴾ عن الايمان والاخلاص والطاعة كفراً منكم لنعمه ﴿ وكان الانسان كفوراً * أفأمنتم ﴾ بعد ذلك ﴿ أن يخسف بكم﴾ يغور بكم ﴿ جانب البر ﴾ ناحية البر وهي الارض ﴿ أو يرسل عليكم حاصبا ﴾ أي يمطر عليكم

في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) وقوله (ثم لاتجدوا لكم وكيلا) أى ناصراً يرد ذلك عنكم وينقذكم منه

أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا (٦٩)

يقول تبارك وتعالى أم أمنتم أيها المعرضون عنا بعد ما اعترفوا بتوحيدنا في البحر وخرجوا الى البر أن يعيدكم في البحر مرة ثانية فيرسل عليكم قاصفاً من الريح أي يقصف الصواري ويغرق المراكب قال ابن عباس وغيره القاصف ريح البحار التي تكسر المراكب وتغرقها وقوله (فيغرقكم بما كفرتم) أي بسبب كفركم واعراضكم عن الله تعالى : وقوله (ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا) قال ابن عباس نصيرا وقال مجاهد نصيراً ثائراً أي يأخذ بثاركم بعدكم وقال قتادة ولانخاف أحدا يتبعنا بشيء من ذلك

ولقد كرمنا بني آدم وحملنهم في البر والبحر ورزقنهم من الطيبت وفضلنهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (٧٠)

يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه اياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها كقوله تعالى (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) أي يمشي قائما منتصبا على رجليه ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً يفقه بذلك كله وينتفع به

حجارة من السماء كما أمطر على قوم لوط ، وقال أبو عبيدة والقتيبي الحاصب الريح التي ترمي بالحصباء وهي الحصا الصغار ﴿ ثم لاتجدوا لكم وكيلا ﴾ قال قتادة مانعا ﴿ أم أمنتم أن يعيدكم فيه ﴾ يعني في البحر ﴿ تارة ﴾ مرة ﴿ أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح ﴾ قال ابن عباس أي عاصفا وهي الريح الشديدة ، وقال أبو عبيدة هي الريح التي تقصف كل شيء أي تدقه وتحطمه ، وقال القتيبي هي التي تقصف الشجر أي تكسره ﴿ فيغرقكم بما كفرتم ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا ﴾ ناصرا ولا ثائرا وتبيع بمعنى تابع ، أي تابعا مطالبا بالثار ، وقيل من يتبعنا بالانكار . قرأ ابن كثير وأبو عمرو (أن نخسف ونرسل ونعيدكم ، فنرسل فنغرقكم بالنون فيهن لقوله (علينا) وقرأ الآخرون بالياء لقوله (الا اياه) وقرأ أبو جعفر ويعقوب فتغرقكم بالتاء يعني الريح

قوله عز وجل ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ روي عن ابن عباس أنه قال هو أنهم يأكلون بالايدي وغير الآدمي يأكل بفيه من الارض ، وروي عنه أنه قال بالعقل ، وقال الضحاك بالنطق ، وقال عطاء بتعديل القامة وامتدادها والدواب منكبة على وجوهها ، وقيل بحسن الصورة ، وقيل الرجال باللحي

ويفرق بين الاشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الامور الدينية والدنيوية وحملناهم في البر أي على الدواب من الانعام والخيل والبغال وفي البحر أيضاً على السفن الكبار والصغار ورزقناهم من الطيبات أي من زروع وثمار ولحوم وألبان من سائر أنواع الطعوم والالوان المشتهاة اللذيذة والمناظر الحسنة والملابس الرفيعة من سائر الانواع على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها مما يصنعونه لانفسهم ويجلبه اليهم غيرهم من أقطار الاقاليم والنواحي وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا أي من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات ، وقد استدل بهذه الآية الكريمة على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة . قال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم قال قالت الملائكة يا ربنا انك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتنعمون ولم تعطنا ذلك فاعطنا الآخرة فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ، وهذا الحديث مرسل من هذا الوجه ، وقد روى من وجه آخر متصلا

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي حدثنا ابراهيم بن عبدالله بن خارجة المصيصي حدثنا حجاج بن محمد حدثنا أبو غسان محمد بن مطرف عن صفوان ابن سليم عن عطاء بن يسار عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « إن الملائكة قالت يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح بحمدك ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة قال لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان » وقد روى ابن عساكر[1] من طريق محمد بن أيوب الرازي حدثنا الحسن بن علي بن خلف الصيدلاني حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثني عثمان بن حصن بن عبيدة بن علاق سمعت عروة بن رويم اللخمي حدثني أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال « ان الملائكة قالوا ربنا خلقتنا وخلقت بني آدم وجعلتهم يأكلون الطعام ويشربون الشراب ويلبسون الثياب ويتزوجون النساء ويركبون الدواب

[1] هذا الحديث غير موجود في المكية

والنساء بالذوائب ، وقيل بأن سخر لهم هذه الاشياء ، وقيل بأن منهم خير أمة أخرجت للناس ﴿ وحملناهم في البر والبحر ﴾ أي حملناهم في البر على الدواب وفي البحر على السفن ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ يعني لذيذ المطاعم والمشارب ، قال مقاتل السمن والزبد والتمر والحلوى وجعل رزق غيرهم مالا يخفى ﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ وظاهر الآية أنه فضلهم على كثير من خلقهم لا على الكل وقال قوم فضلوا على جميع الخلق إلا على الملائكة ، وقال الكلبي فضلوا على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وأشباههم ، وفي تفضيل الملائكة على البشر اختلاف فقال قوم فضلوا على جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم وقد يوضع الاكثر موضع الكل كما قال تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين — الى قوله تعالى — وأكثرهم كاذبون) أي كلهم وفي الحديث عن جابر يرفعه قال « لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يارب خلقتهم يأكلون

ينامون ويستريحون ولم تجعل لنا من ذلك شيئا فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال الله عز وجل « لا أجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان » وقال الطبراني حدثنا عبدان ابن أحمد حدثنا معمر بن سهل حدثنا عبد الله بن تمام عن خالد الحذاء عن بشر بن شغاف عن أبيه عن عبد الله ابن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « ما شيء أكرم على الله يوم القيامة من ابن آدم » قيل يا رسول الله ولا الملائكة ؟ قال « ولا الملائكة الملائكة مجبورون بمنزلة الشمس والقمر » وهذا حديث غريب جداً .

يوم ندعوا كل أناس بامامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا (٧١) ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا (٧٢)

يخبر تبارك وتعالى عن يوم القيامة أنه يحاسب كل أمة بامامهم ، وقد اختلفوا في ذلك فقال مجاهد وقتادة أي بنبيهم وهذا كقوله تعالى (ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط) الآية وقال بعض السلف هذا أكبر شرف لاصحاب الحديث لان امامهم النبي ﷺ وقال ابن زيد بكتابهم الذي أنزل على نبيهم من التشريع واختاره ابن جرير ، وروي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال بكتبهم فيحتمل أن يكون أراد هذا وأن يكون أراد ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله (يوم ندعوا كل أناس بامامهم) أي بكتاب أعمالهم وكذا قال أبو العالية والحسن والضحاك وهذا القول هو الارجح لقوله تعالى (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) وقال تعالى (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه) الآية ويحتمل أن المراد بامامهم أي كل قوم بمن يؤتمون به فاهل الايمان ائتموا بالانبياء عليهم السلام وأهل الكفر ائتموا بأئمتهم كما قال وجعلناهم أئمة يدعون الى النار وفي الصحيحين « لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت » الحديث وقال تعالى (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون * هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وهذا لا ينافي أن يجاء بالنبي اذا حكم الله بين أمته فانه لابد أن يكون شاهداً على أمته بأعمالها كقوله

ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة ، فقال تعالى لا أجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان » والاولى أن يقال عوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة ، وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة قال الله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) وروي عن أبي هريرة أنه قال ، المؤمن أفضل وأكرم على الله من الملائكة الذين عنده ،

قوله تعالى ﴿ يوم ندعوا كل أناس بامامهم ﴾ قال مجاهد وقال قتادة بنبيهم ، وقال أبو صالح والضحاك بكتابهم الذي أنزل عليهم ، وقال الحسن وأبو العالية بأعمالهم ، وقال قتادة أيضا بكتابهم الذي فيه أعمالهم بدليل سياق الآية (فمن أوتي كتابه بيمينه) ويسمى الكتاب اماما كما قال عز وجل (وكل شيء أحصيناه في امام مبين) وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما بامام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا إلى ضلالة أو هدى قال الله تعالى (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) وقال وجعلناهم أئمة يدعون

تعالى (وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء) وقوله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) ولكن المراد ههنا بالامام هو كتاب الاعمال ولهذا قال تعالى (يوم ندعوا كل أناس بامامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم) أي من فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح يقرأه ويحب قراءته كقوله (فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه — إلى قوله — وأما من أوتي كتابه بشماله) الآيات ، وقوله تعالى (ولا يظلمون فتيلا) قد تقدم أن الفتيل هو الخيط المستطيل في شق النواة

وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديثا في هذا فقال : حدثنا محمد بن يعمر ومحمد بن عثمان بن كرامة قالا : حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن السدي عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله تعالى (يوم ندعوا كل أناس بامامهم) قال « يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤة يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم آتنا بهذا ، وبارك لنا في هذا فيأتيهم فيقول لهم أبشروا فان لكل رجل منكم مثل هذا ، وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ويراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من هذا أو من شر هذا اللهم لا تأتنا به فيأتيهم فيقولون اللهم اخزه فيقول أبعدكم الله فان لكل رجل منكم مثل هذا » ثم قال البزار لا يروى الا من هذا الوجه ، وقوله تعالى (ومن كان في هذه أعمى) الآية ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد (ومن كان في هذه) أي في الحياة الدنيا (أعمى) أي عن حجة الله وآياته وبيناته (فهو في الآخرة أعمى) أي كذلك يكون (وأضل سبيلا) وأضل منه كما كان في الدنيا عياذاً بالله من ذلك

إلى النار) وقيل بمعبودهم . وعن سعيد بن المسيب قال : كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر وقال محمد بن كعب بامامهم قيل يعني بأمهاتهم وفيه ثلاثة أوجه من الحكمة (أحدها) لاجل عيسى عليه السلام (والثاني) لشرف الحسن والحسين (والثالث) لئلا يفتضح أولاد الزنا ﴿فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا﴾ أي لا ينقص من حقهم قدر فتيل

قوله ﴿ ومن كان في هذه أعمى ﴾ اختلفوا في هذه الاشارة فقال قوم هي راجعة إلى النعم التي عددها الله تعالى في هذه الآيات من قوله (ربكم الذي يزجي لكم الفلك — الى قوله — تفضيلا) يقول ومن كان منكم في هذه النعم التي قد عاين أعمى ﴿ فهو في ﴾ أمر ﴿ الآخرة ﴾ التي لم يعاين ولم ير ﴿ أعمى وأضل سبيلا ﴾ يروى هذا عن ابن عباس ، وقال الآخرون هي راجعة إلى الدنيا يقول من كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق (فهو في الآخرة أعمى) أي أشد عمى (وأضل سبيلا) أي أخطأ طريقا ، وقيل من كان في هذه الدنيا أعمى عن الاعتبار فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار . وقال الحسن من كان في الدنيا ضالا كافراً فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته . وأمال بعض القراء هذين الحرفين وفتحهما بعضهم وكان أبو عمرو يكسر الاول ويفتح الثاني فهو في الآخرة أشد عمى لقوله وأضل سبيلا

وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذاً لاتخذوك خليلا (٧٣) ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا (٧٤) اذاً لأذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيراً (٧٥)

يخبر تعالى عن تأييده رسوله صلوات الله عليه وسلامه وتثبيته وعصمته وسلامته من شر الاشرار وكيد الفجار وانه تعالى هو المتولي أمره ونصره وانه لايكله إلى أحد من خلقه بل هو وليه وحافظه

قوله عز وجل ﴿ وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك ﴾ الآية اختلفوا في سبب نزولها قال سعيد بن جبير : كان النبي ﷺ يستلم الحجر الاسود فمنعته قريش وقالوا لاندعك حتى تستلم بآلهتنا وتمسها فحدث نفسه ماعلي أن أفعل ذلك والله تعالى يعلم أني لها كاره بعد أن يدعوني حتى أستلم الحجر وقيل طلبوا منه أن يمس آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه بذلك فأنزل الله هذه الآية . قال ابن عباس : قدم وفد ثقيف[1] على النبي ﷺ فقالوا نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال ، قال « وماهن ؟ » قالوا أن نجبي في الصلاة أي لانجبي ، ولا نكسر أصنامنا بأيدينا ، وأن تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها فقال النبي ﷺ « لاخير في دين لاركوع فيه ولاسجود ، وأما أن لاتكسروا أصنامكم بأيديكم فذلك لكم ، وأما الطاغية يعني اللات والعزى فاني غير ممتعكم بها » فقالوا يارسول الله انا نحب أن تسمع العرب انك أعطيتنا مالم تعط غيرنا فان خشيت أن تقول العرب أعطيتهم مالم تعطنا فقل الله أمرني بذلك فسكت رسول الله ﷺ فطمع القوم في سكوته أن يعطيهم ذلك فأنزل الله عز وجل هذه الآية (وان كادوا ليفتنونك) ليصرفونك (عن الذي أوحينا اليك) ﴿ لتفتري ﴾ لتختلق ﴿ علينا غيره واذا ﴾ لو فعلت مادعوك اليه ﴿ لاتخذوك خليلاً ﴾ أي والوك وصافوك ﴿ ولولا أن ثبتناك ﴾ على الحق بعصمتنا ﴿ لقد كدت تركن ﴾ أي تميل ﴿ اليهم شيئاً قليلا ﴾ أي قريبا من الفعل فان قيل كان النبي ﷺ معصوما فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه وما طلبوه كفر ؟ قيل كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما « وقد عفا الله عز وجل عن حديث النفس . قال قتادة كان النبي ﷺ يقول بعد ذلك « اللهم لاتكلني الى نفسي طرفة عين » والجواب الصحيح هو أن الله تعالى قال (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلا) وقد ثبته الله ولم يركن وهذا مثل قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا) وقد تفضل فلم يتبعوا ﴿ إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ﴾ أي لو فعلت ذلك لاذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعني أضعفنا لك العذاب في الدنيا

[1] السورة مكية وانما كانت الوفود بعد الهجرة وظهور الاسلام

وناصره ومؤيده ومظفره ومظهر دينه على من عاداه وخالفه وناوأه في مشارق الارض ومغاربها ﷺ تسليما كثيراً إلى يوم الدين

وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليُخرجوك منها واذا لايلبثون خلفك الا قليلا (٧٦) سنة من قد أرسلنا قبلك من رُسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا (٧٧)

قيل نزلت في اليهود إذأشاروا على رسول الله ﷺ بسكنى الشام بلاد الانبياء . وترك سكنى المدينة وهذا القول ضعيف لان هذه الآية مكية وسكنى المدينة بعد ذلك . وقيل انها نزلت بتبوك وفي صحته نظر . روى البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار العطاردي عن يونس بن بكير عن عبدالحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن غنم أن اليهود أتوا رسول الله ﷺ يوما فقالوا يا أبا القاسم ان كنت صادقا انك نبي فالحق بالشام فان الشام أرض المحشر وأرض الانبياء، فصدق ماقالوا فغزا غزوة تبوك لايريد إلا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آيات من سورة بني إسرائيل بعد ماختمت السورة (وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها — إلى قوله — تحويلا) فأمره الله بالرجوع إلى المدينة . وقال : فيها محياك ومماتك ومنها تبعث . وفي هذا الاسناد نظر والاظهر أن هذا ليس بصحيح فان النبي ﷺ لم يغز تبوك عن قول اليهود وانما غزاها امتثالا لقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) ولقوله تعالى (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين

والآخرة . وقيل الضعف هو العذاب سمي ضعفا لتضاعف الألم فيه ﴿ ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ أي ناصراً يمنعك من عذابنا

قوله تعالى ﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها ﴾ اختلفوا في معنى الآية . فقال بعضهم هذه الآية مدنية . قال الكلبي لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة حسداً منهم فأتوه وقالوا ياأبا القاسم لقد علمت ماهذه بأرض الانبياء فان أرض الانبياء الشام وهي الارض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبياء عليهم الصلاة والسلام فان كنت نبيًا مثلهم فائت الشام وانما يمنعك من الخروج اليها مخافتك الروم وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله . فعسكر النبي ﷺ على ثلاثة أميال من المدينة وفي رواية الى ذي الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه ويخرج . فأنزل الله الآية . والارض ههنا هي المدينة وقال مجاهد وقتادة الارض أرض مكة والآية مكية هم المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالهجرة فخرج بنفسه وهذا أليق بالآية لان ماقبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية . وقيل هم الكفار كلهم وأرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله عز وجل رسوله ﷺ ولم ينالوا منه ماأملوا ، والاستفزاز هو الازعاج بسرعة

أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وغزاها ليقتص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه والله أعلم ، ولو صح هذا لحمل عليه الحديث الذي رواه الوليد بن مسلم عن عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي امامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة مكة والمدينة والشام » قال الوليد يعني بيت المقدس وتفسير الشام بتبوك أحسن مما قال الوليد أنه بيت المقدس والله أعلم . وقيل نزلت في كفار قريش هموا باخراج رسول الله ﷺ من بين أظهرهم فتوعدهم الله بهذه الآية وانهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيراً ، وكذلك وقع فانه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم بعد ما اشتد أذاهم له إلا سنة ونصف حتى جمعهم الله وإياه ببدر على غير ميعاد فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم فقتل أشرافهم وسبى ذراريهم ، ولهذا قال تعالى (سنة من قد أرسلنا) الآية أي هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلنا وآذوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم يأتيهم العذاب ولولا أنه ﷺ رسول الرحمة لجاءهم من النقم في الدنيا مالا قبل لأحد به ، ولهذا قال تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) الآية

أقم الصلوٰة لِدُلُوكِ الشمس الى غسق الليل وقرآنَ الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً (٧٨) ومن الليل فتهجّد به نافلةً لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا (٧٩)

يقول تبارك وتعالى لرسوله ﷺ آمراً باقامة الصلوات المكتوبات في أوقاتها (أقم الصلاة لدلوك الشمس) قيل لغروبها قاله ابن مسعود ومجاهد وابن زيد وقال هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن ابن عباس

﴿ وإذاً لا يلبثون خلفك ﴾ أي بعدك ، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ويعقوب خلافك اعتباراً بقوله تعالى (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) ومعناهما واحد ﴿ إلا قليلا ﴾ أي لا يلبثون بعدك إلا قليلا حتى يهلكوا ، فعلى القول الاول مدة حياتهم وعلى الثاني ما بين خروج النبي ﷺ الى المدينة الى أن قتلوا ببدر .

قوله عز وجل ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ﴾ أي كسنة فانتصب بحذف الكاف وسنة الله في الرسل اذا كذبتهم الامم أن لا يعذبهم مادام نبيهم بين أظهرهم فاذا خرج نبيهم من بين أظهرهم عذبهم ﴿ ولا تجد لسنتنا تحويلا ﴾ أي تبديلا .

قوله ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾ اختلفوا في الدلوك ، روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: الدلوك هو الغروب وهو قول ابراهيم النخعي ومقاتل بن حيان والضحاك والسدي، وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثر التابعين، ومعنى اللفظ يجمعهما لان أصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت وغربت والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين

دلوكها زوالها ورواه نافع عن ابن عمر ورواه مالك في تفسيره عن الزهري عن ابن عمر وقاله ابو برزة الاسلمي وهو رواية أيضاً عن ابن مسعود ومجاهد وبه قال الحسن والضحاك وابو جعفر الباقر وقتادة ، واختاره ابن جرير ومما استشهد عليه مارواه عن ابن حميد عن الحكم بن بشير حدثنا عمرو بن قيس عن ابن أبي ليلى عن رجل عن جابر بن عبدالله قال دعوت رسول الله ﷺ ومن شاء من أصحابه فطعموا عندي ثم خرجوا حين زالت الشمس فخرج النبي ﷺ فقال « اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس » ثم رواه عن سهل بن بكار عن أبي عوانة عن الاسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر عن رسول الله ﷺ نحوه فعلى هذا تكون هذه الآية دخل فيها أوقات الصلوات الخمس فمن قوله (لدلوك الشمس إلى غسق الليل) وهو ظلامه وقيل غروب الشمس أخذ منه الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقوله (وقرآن الفجر) يعني صلاة الفجر ، وقد ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ تواتراً من أفعاله وأقواله بتفاصيل هذه الاوقات على ماعليه أهل الاسلام اليوم مما تلقوه خلفا عن سلف وقرنا بعد قرن كما هو مقرر في مواضعه ولله الحمد (إن قرآن الفجر كان مشهودا) قال الاعمش عن ابراهيم عن ابن مسعود وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في هذه الآية (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) قال تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار

وقال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة وسعيد ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر » يقول أبو هريرة : اقرءوا ان شئتم (وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً)

وقال الامام أحمد حدثنا اسباط حدثنا الاعمش عن ابراهيم عن ابن مسعود عن النبي ﷺ ، وحدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله (وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً) قال « تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار » ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ثلاثتهم

به ولانا إذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر، وإلى غسق الليل يتناول المغرب والعشاء ، وقرآن الفجر هو صلاة الصبح . قوله عز وجل ﴿ الى غسق الليل ﴾ أي ظهور ظلمته ، وقال ابن عباس بدو الليل وقال قتادة وقت صلاة المغرب ، وقال مجاهد غروب الشمس ﴿ وقرآن الفجر ﴾ يعني صلاة الفجر سمى صلاة الفجر قرآنا لانها لاتجوز إلا بقرآن وانتصاب القرآن من وجهين أحدهما أنه عطف على الصلاة أي وأقم قرآن الفجر قاله الفراء، وقال أهل البصرة على الاغراء أي وعليك قرآن الفجر ﴿ إن قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ أي يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب

عن عبيد بن اسباط بن محمد عن أبيه به وقال الترمذي حسن صحيح . وفي لفظ في الصحيحين من طريق مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر ، فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون » وقال عبدالله ابن مسعود يجتمع الحرسان في صلاة الفجر فيصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء . وكذا قال ابراهيم النخعي ومجاهد وقتادة وغير واحد في تفسير هذه الآية . وأما الحديث الذي رواه ابن جرير ههنا من حديث الليث بن سعد عن زيادة عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ فذكر حديث النزول وأنه تعالى يقول « من يستغفرني أغفر له ، من يسألني أعطيه ، من يدعني فأستجيب له . حتى يطلع الفجر فلذلك يقول (وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً) فيشهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار . فانه تفرد به زيادة » وله بهذا حديث في سنن أبي داود

وقوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) أمر له بقيام الليل بعد المكتوبة كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال « صلاة الليل » ولهذا أمر

وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « تفضل صلاة الجمع على صلاة احدكم وحده بخمس وعشرين جزأ وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر » ثم يقول أبو هريرة اقرءوا إن شئتم (ان قرآن الفجر كان مشهودا)

قوله تعالى ﴿ ومن الليل فتهجد به ﴾ أي قم بعد نومك والتهجد لايكون إلا بعد النوم يقال تهجد اذا قام بعد مانام وهجد اذا نام ، والمراد من الآية قيام الليل للصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبي ﷺ في الابتداء وعلى الامة لقوله تعالى (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا) ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا في حق الامة بالصلوات الخمس وبقي الاستحباب ، قال الله تعالى (فاقرءوا ما تيسر منه) وبقي الوجوب في حق النبي ﷺ ، وروي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال « ثلاث هن عليّ فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل » قوله عز وجل ﴿ نافلة لك ﴾ أي زيادة لك يريد فضيلة زائدة على سائر الفرائض فرضها الله عليك وذهب قوم الى ان الوجوب صار منسوخا في حقه كما في حق الامة فصارت نافلة وهو قول مجاهد وقتادة لان الله تعالى قال (نافلة لك) ولم يقل عليك ، فان قيل فما معنى التخصيص وهي زيادة في حق كافة المسلمين كما في حقه ﷺ ؟ قيل التخصيص من حيث ان نوافل العباد كفارة لذنوبهم والنبي ﷺ قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر فكانت نوافله لا تعمل في كفارة الذنوب فتبقى له زيادة في رفع الدرجات . أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة وبشر بن معاذ قالا ثنا أبو عوانة عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال قام

تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل فان التهجد ما كان بعد نوم . قاله علقمة والاسود وابراهيم النخعي وغير واحد وهو المعروف في لغة العرب ، وكذلك ثبتت الاحاديث عن رسول الله ﷺ أنه كان يتهجد بعد نومه عن ابن عباس وعائشة وغير واحد من الصحابة رضي الله عنهم كما هو مبسوط في موضعه ولله الحمد والمنة « وقال الحسن البصري هو ما كان بعد العشاء ويحمل على ما كان بعد النوم ، واختلف في معنى قوله تعالى (نافلة لك) فقيل معناه انك مخصوص بوجوب ذلك وحدك فجعلوا قيام الليل واجباً في حقه دون الامة . رواه العوفي عن ابن عباس وهو أحد قولي العلماء ، وأحد قولي الشافعي رحمه الله واختاره ابن جرير ، وقيل انما جعل قيام الليل في حقه نافلة على الخصوص لانه قد غفر له ما تقدم من

النبي ﷺ حتى انتفخت قدماه فقيل « أتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال «أفلا أكون عبداً شكوراً» أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبدالله بن أبي بكرة عن أبيه عن عبدالله بن قيس بن مخرمة انه أخبره عن زيد بن خالد الجهني انه قال لأرمقن صلاة رسول الله ﷺ الليلة فتوسدت عتبته أو فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون التين قبلهما ثم صلى ركعتين دون التين قبلهما ثم صلى ركعتين دون التين قبلهما ثم صلى ركعتين دون التين قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة . أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر ابن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه أخبره انه سأل عائشة رضي الله عنها كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان قال فقالت ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عائشة فقلت يارسول الله أتنام قبل أن توتر فقال ياعائشة « ان عيني تنامان ولا ينام قلبي » أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق أنا يونس بن هارون بن عبد الاعلى أنا ابن وهب أخبرني يونس وابن أبي ذئب وعمرو بن الحارث ان ابن شهاب أخبرهم عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء الى الفجر إحدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين ويوتر بواحدة فيسجد السجدة قدر مايقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه فاذا سكت المؤذن من أذان الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن للاقامة فيخرج، وبعضهم يزيد على بعض . أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يزيد بن هرون أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال ما كنا نشاء أن نرى رسول الله ﷺ في الليل مصلياً إلا رأيناه

ذنبه وما تأخر ، وغيره من أمته انما يكفر عنه صلواته النوافل الذنوب التي عليه . قاله مجاهد وهو في المسند عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه

وقوله (عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً) أي افعل هذا الذي أمرتك به لنقيمك يوم القيامة مقاما محموداً يحمدك فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى . قال ابن جرير قال أكثر أهل التأويل ذلك هو المقام الذي يقومه محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ماهم فيه من شدة ذلك اليوم

ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن أبي اسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة قال : يجمع الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا قياما لاتكلم نفس الا باذنه ينادى يامحمد فيقول « لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، والشر ليس اليك ، والمهدي من هديت ، وعبدك بين يديك » ومنك واليك لامنجى ولا ملجأ منك الا اليك « تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت » فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله عز وجل « ثم رواه عن بندار عن غندر عن شعبة عن أبي اسحاق به ، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر والثوري عن أبي اسحاق به ، وقال ابن عباس هذا المقام المحمود مقام الشفاعة « وكذا قال ابن أبي نجيح عن مجاهد وقاله الحسن البصري « وقال قتادة هو أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة وأول شافع « وكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود الذي قال الله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً) قلت لرسول الله ﷺ تشريفات يوم القيامة لايشركه فيها أحد ، وتشريفات لايساويه فيها أحد فهو أول من تنشق عنه الارض ويبعث راكبا إلى المحشر وله اللواء الذي آدم فمن دونه تحت لوائه « وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثر

ولا نشاء أن نراه نائما إلا رأيناه وقال كان يصوم من الشهر حتى نقول لايفطر منه شيئاً ويفطر حتى نقول لايصوم منه شيئا .

قوله عز وجل ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ عسى من الله تعالى واجب لانه لايدع أن يعطي عباده أو يفعل بهم ماأطمعهم فيه « والمقام المحمود هو مقام الشفاعه لامته لانه يحمده فيه الاولون والآخرون أخبرنا عبدالواحد بن احمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا ابو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه أنا عبدالله بن يزيد المقري أنا حيوة عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لاينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله

وارداً منه » وله الشفاعة العظمى عند الله ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق وذلك بعد ماتسأل الناس آدم ثم نوحا ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى فكل يقول لست لها حتى يأتوا إلى محمد ﷺ فيقول «أنا لها أنا لها » كما سنذكر ذلك مفصلا في هذا الموضع ان شاء الله تعالى ، ومن ذلك أنه يشفع في أقوام قد أمر بهم إلى النار فيردون عنها وهو أول الانبياء يقضى بين أمته وأولهم اجازة على الصراط بأمته وهو أول شفيع في الجنة كما ثبت في صحيح مسلم

وفي حديث الصور أن المؤمنين كلهم لايدخلون الجنة الا بشفاعته وهو أول داخل اليها وأمته قبل الامم كلهم » ويشفع في رفع درجات أقوام لاتبلغها أعمالهم ، وهو صاحب الوسيلة التي «هي أعلى منزلة في الجنة لاتليق الا له ، واذا أذن الله تعالى في الشفاعة للعصاة شفع الملائكة والنبيون والمؤمنون فيشفع هو في خلائق لايعلم عدتهم الا الله تعالى ولا يشفع أحد مثله ولا يساويه في ذلك ، وقد بسطت ذلك مستقصى في آخر كتاب السيرة في باب الخصائص ولله الحمد والمنة . ولنذكر الآن الاحاديث الواردة في المقام المحمود وبالله المستعان

قال البخاري حدثنا اسماعيل بن أبان حدثنا أبو الاحوص عن آدم بن علي سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيامة جثا، كل أمة تتبع نبيها يقولون يافلان اشفع يافلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى محمد ﷺ فذلك يوم يبعثه الله مقاما محموداً . ورواه حمزة بن عبدالله عن أبيه عن النبي ﷺ . قال ابن جرير حدثني محمد بن عبدالله بن عبدالحكم حدثنا شعيب بن الليث ثنا الليث عن عبيدالله بن أبي جعفر أنه قال سمعت حمزة بن عبدالله بن عمر يقول سمعت عبدالله بن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ « ان الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم فيقول لست بصاحب ذلك » ثم بموسى فيقول كذلك ، ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيشفع بين الخلق فيمشي

النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا علي بن عياش ثنا سعيد بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال « من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة » أخبرنا ابو حامد احمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو بكر احمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن احمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يعلي عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ان لكل نبي دعوة مستجابة واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي وهي نائلة منكم ان شاء الله من مات لايشرك بالله شيئا » أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل قال ، وقال الحجاج بن منهال ثنا همام بن يحيى ثنا قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال « يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو الناس خلقك الله

حتى يأخذ بحلقة باب الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محموداً . وهكذا رواه البخاري في الزكاة عن يحيى ابن بكير وعلقمة عن عبدالله بن صالح كلاهما عن الليث بن سعد به. وزاد فيومئذ يبعثه الله مقاما محموداً يحمده أهل الجمع كلهم .

قال البخاري وحدثنا علي بن عياش حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله أن رسول لله صلى الله عليه وسلم قال « من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محموداً الذي وعدته . حلت له شفاعتي يوم القيامة » انفرد به دون مسلم

﴿حديث أبي بن كعب﴾ قال الامام أحمد حدثنا أبو عامر الازدي حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه عن النبي ﷺ قال « اذا كان يوم القيامة كنت امام الانبياء وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر » وأخرجه الترمذي من حديث أبي عامر عبدالملك ابن عمرو العقدي وقال حسن صحيح . وابن ماجه من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل به ،وقد قدمنا في حديث أبي بن كعب في قراءة القرآن على سبعة أحرف ، قال ﷺ في آخره « فقلت اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي فيه الخلق حتى ابراهيم عليه السلام »

﴿ حديث أنس بن مالك ﴾ قال الامام أحمد حدثنا يحيي بن سعيد حدثنا سعيد بن أبي عروبة حدثنا قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال « يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون ذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فأراحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون ياآدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء. فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . فيقول لهم آدم لست هناكم ويذكر ذنبه الذي أصاب فيستحيي ربه عز وجل من ذلك ويقول ولكن ائتوا نوحا فانه أول رسول بعثه الله إلى أهل الارض. فيأتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئة سؤاله ربه ماليس له

بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء. اشفع لنا عند ربك حتي يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هنا كم ويذكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة وقد نهي عنها ولكن ائتوا نوحا أول نبي بعثه الله الى أهل الارض فيأتون نوحا فيقول لست هنا كم ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم ولكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن قال فيأتون ابراهيم فيقول : اني لست هنا كم ويذكر ثلاث كذبات كذبهن ، ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول : إني لست هنا كم ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس ولكن ائتوا عيسى عبدالله ورسوله وروح الله وكلمته قال فيأتون عيسى فيقول : لست هنا كم ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر قال فيأتوني فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته

به علم فيستحيي ربه من ذلك، ويقول ولكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن. فيأتونه فيقول لست هناكم ولكن ائتوا موسى عبد كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس فيستحيي ربه من ذلك ويقول ولكن ائتوا عيسى عبدالله ورسوله وكلمته وروحه. فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني- قال الحسن هذا الحرف- فأقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين- قال أنس - حتى استأذن على ربي فاذا رأيت ربي وقعت له- أو خررت- ساجداً لربي فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع محمد قل تسمع واشفع تشفع، وسل تعطه فارفع رأسي فاحمده بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حداً فادخلهم الجنة، ثم أعود اليه الثانية فاذا رأيت ربي وقعت له أو خررت ساجداً لربي فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع محمد قل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فاحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة فاذا رأيت ربي وقعت - أو خررت - ساجداً لربي فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع محمد قل تسمع وسل تعطه، واشفع تشفع فارفع رأسي فاحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فادخلهم الجنة » ثم أعود الرابعة فأقول يارب مابقي الا من حبسه القرآن» فحدثنا أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « فيخرج من النار من قال لاإله إلا الله وكان في قلبه من الخير مايزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لاإله إلا الله وكان في قلبه من الخير مايزن برة ثم يخرج من النار من قال لاإله إلا الله وكان في قلبه من الخير مايزن ذرة » أخرجاه من حديث سعيد به، وهكذا رواه الامام أحمد عن عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بطوله

وقال الامام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا حرب بن ميمون أبو الخطاب الانصاري عن النضر بن أنس عن أنس قال حدثني نبي الله ﷺ قال «اني لقائم أنتظر أمتي تعبر الصراط إذجاءني عيسى عليه السلام فقال هذه الانبياء قد جاءتك يامحمد يسألون- أو قال يجتمعون اليك - ويدعون الله أن يفرق بين جميع الامم الى حيث يشاء الله لغم ماهم فيه فالخلق ملجمون بالعرق » فأما المؤمن فهو

وقعت ساجداً فيدعني ماشاء الله أن يدعني فيقول: ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود الثانية فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل تستمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرج فأخرجهم من النار وأخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة » قال قتادة وقد سمعته يقول

عليه كالزكة وأما الكافر فيغشاه الموت فقال انتظر حتى أرجع اليك فذهب نبي الله ﷺ فقام تحت العرش فلقي مالم يلق ملك مصطفى ولا نبي مرسل فأوحى الله عز وجل الى جبريل أن اذهب إلى محمد وقل له ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فشفعت في أمتي أن أخرج من كل تسعة وتسعين انسانا واحداً فما زلت أتردد إلى ربي عز وجل فلا أقوم منه مقاما إلا شفعت حتى أعطاني الله عز وجل من ذلك أن قال يامحمد أدخل من أمتك من خلق الله عز وجل من شهد أن لاإله إلا الله يوما واحداً مخلصا ومات على ذلك »

حديث بريدة رضي الله عنه. قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا الاسود بن عامر أخبرنا أبو إسرائيل عن الحارث بن حضيرة عن ابن بريدة عن أبيه انه دخل على معاوية فاذا رجل يتكلم فقال بريدة يامعاوية تأذن لي في الكلام؟ فقال نعم وهو يرى انه سيتكلم بمثل ماقال الآخر فقال بريدة سمعت رسول الله ﷺ يقول « اني لأرجو أن أشفع يوم القيامة عدد ما على الارض من شجرة ومدرة » قال فترجوها أنت يامعاوية ولا يرجوها علي رضي الله عنه

حديث ابن مسعود. قال الامام أحمد حدثنا عارم بن الفضل حدثنا سعيد بن الفضل حدثنا سعيد ابن زيد حدثنا علي بن الحكم البناني عن عثمان عن ابراهيم عن علقمة والاسود عن ابن مسعود قال: جاء ابنا مليكة الى النبي ﷺ فقالا إن أمنا تكرم الزوج وتعطف على الولد، قال وذكرا الضيف غير أنها كانت وأدت في الجاهلية « فقال «أمكما في النار» قال فأدبرا والسوء يرى في وجوههما فأمر بهما فردا فرجعا والسرور يرى في وجوههما رجاء أن يكون قد حدث شيء. فقال « أمي مع أمكما » فقال رجل من المنافقين وما يغني هذا عن أمه شيئا ونحن نطأ عقبيه. فقال رجل من الانصار لم أر رجلا قط أكثر سؤالا منه يارسول الله هل وعدك ربك فيها أو فيهما. قال فظن انه من شيء قد سمعه فقال « ماشاء الله ربي وما أطمعني فيه واني لاقوم المقام المحمود يوم القيامة » فقال الانصاري يارسول الله وما ذاك المقام المحمود؟ قال « ذاك اذا جيء بكم حفاة عراة غرلا فيكون أول من يكسى ابراهيم عليه السلام فيقول

« فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى مايبقى في النار إلا من قد حبسه القرآن » أي وجب عليه الخلود ثم تلا هذه الآية (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ وبهذا الاسناد قال: حدثنا محمد بن اسماعيل ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد ثنا معبد بن هلال الغزي قال ذهبنا إلى أنس بن مالك فذكر حديث الشفاعة بمعناه وقال « فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لاتحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً فيقال يامحمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً - فذكر مثله وقال - فيقال لي انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان قال

اكسوا خليلي فيؤتى بريطتين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعده مستقبل العرش ثم أوتى بكسوتي فالبسها فأقوم عن يمينه مقاما لايقومه أحد فيغبطني فيه الاولون والآخرون» قال ويفتح لهم من الكوثر إلى الحوض. فقال المنافق انه ما جرى ماء قط إلا على حال أو رضراض فقال رسول الله ﷺ «حاله المسك ورضراضه التؤلؤ» فقال المنافق لم أسمع كاليوم فانه قلما جرى ماء على حال أو رضراض إلا كان له نبت . فقال الانصاري يارسول الله هل له نبت ؟ فقال «نعم قضبان الذهب» قال المنافق لم أسمع كاليوم فانه قلما ينبت قضيب إلا أورق وإلا كان له ثمر . قال الانصاري يارسول الله هل له ثمرة ؟ قال «نعم ألوان الجوهر وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل من شرب منه شربة لايظمأ بعده من حرمه لم يرو بعده» وقال أبو داود الطيالسي حدثنا يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن أبي الزعراء عن عبد الله قال : ثم يأذن الله عز وجل في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل ثم يقوم ابراهيم خليل الله ثم يقوم عيسى أو موسى قال أبو الزعراء لا أدري أيهما قال . ثم يقوم نبيكم ﷺ رابعا فيشفع لا يشفع أحد بعده أكثر مما شفع وهو المقام المحمود الذي قال الله عز وجل(عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)

حديث كعب بن مالك رضي الله عنه ، قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا محمد بن حرب حدثنا الزبيدي عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن كعب بن مالك ان رسول الله ﷺ قال «يبعث الناس يوم القيامة فاكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي عز وجل حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ماشاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود»

حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ «أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه فأنظر الى مابين يدي فأعرف بين أمتي من الأمم ومن خلفي مثل ذلك وعن يميني مثل ذلك وعن شمالي مثل ذلك» فقال رجل يارسول الله كيف تعرف أمتك من بين الامم فيما بين نوح الى أمتك ؟ قال «هم غر محجلون من أثر الوضوء

فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فذكر مثله ثم يقال انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأنطلق فأفعل - فلما خرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث إلى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو يومئذ مضطجع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال «ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال يامحمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله فيقول : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله الا الله» وروي عن عبدالله بن عمر قال : ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشي حتى يأخذ

ليس أحد كذلك غيرهم وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم تسعى من بين أيديهم ذريتهم »

حديث أبي هريرة رضي الله عنه : قال الامام احمد رحمه الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا أبو حيان حدثنا أبو زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتي رسول الله ﷺ بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال « أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذاك؟ يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ماأنتم فيه مما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكه فسجدوا لك فاشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا؟ فيقول آدم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحا فيقولون يانوح أنت أول الرسل الى أهل الارض وقد سماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا ، فيقول نوح ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا إلى ابراهيم . فيأتون ابراهيم فيقولون ياابراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الارض اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا ؟ فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله فذكر كذباته نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى ، فيأتون موسى فيقولون ياموسى أنت رسول الله اصطفاك الله برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب

بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم: وأخبرناه الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا ابو محمد عبيدالله بن يوسف بن محمد بن ناموية ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا محمد بن حنوية ثنا سعيد بن سليمان ثنا منصور بن أبي الاسود ثنا الليث عن الربيع بن أنس عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أنا أولهم خروجا إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم اذا أيسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف علي ألف خادم كأنهم لؤلؤ بيض مكنون أو لؤلؤ منثور » أخبرنا اسماعيل بن عبدالقاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني الحكم بن موسى ثنا معقل يعني ابن زياد عن الاوزاعي حدثني ابو عمار حدثني عبدالله بن فروخ حدثني ابو هريرة قال : قال رسول الله

بعده مثله واني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فيأتون عيسى فيقولون ياعيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد صبيافاشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا « فيقول لهم عيسى ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله « لن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد ﷺ « فيأتون محمداً ﷺ فيقولون يامحمد أنت رسول الله وخاتم الانبياء وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر فاشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا « فأقوم فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل ثم يفتح الله علي" ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه مالم يفتحه على أحد قبلي، فيقال يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع . فأرفع رأسي فأقول أمتي يارب أمتي يارب ؟ فيقال يامحمد ادخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفس محمد بيده ان مابين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى » أخرجاه في الصحيحين . وقال مسلم رحمه الله حدثنا الحكم بن موسى حدثنا هقل بن زياد عن الاوزاعي حدثني أبوعمار حدثني عبد الله بن فروخ حدثني أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع » وقال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا وكيع عن داود بن يزيد الزعافري عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) سئل عنها فقال « هي الشفاعة » رواه الإمام احمد عن وكيع عن محمد بن عبيد عن داود عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) قال « هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه » وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن

ﷺ « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة أنا أول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع « والاخبار في الشفاعة متواترة كثيرة ، وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة « وروي عن يزيد بن صهيب الفقيه قال كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج وكنت رجلا شابا فخرجنا في عصابة نريد الحج فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبدالله يحدث القوم عن رسول الله ﷺ وذكر حديث الجهنميين فقلت له ياصاحب رسول الله ماهذا الذي تحدثونه والله عز وجل يقول (انك من تدخل النار فقد أخزيته) وكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها . فقال لي يافتى أتقرأ القرآن ؟ قلت نعم قال هل سمعت بمقام محمد المحمود الذي يبعثه الله فيه « قلت نعم . قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه وان قوما يخرجون من النار بعد مايكونون فيها قال فرجعنا وقلنا أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ ، وروي عن أبي وائل عن عبدالله عن النبي ﷺ قال « إن الله عز وجل اتخذ ابراهيم خليلا وان صاحبكم خليل

علي بن الحسين قال قال رسول الله ﷺ « اذا كان يوم القيامة مد الله الارض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه قال النبي ﷺ فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن تبارك وتعالى والله ماراه قبلها ، فأقول أي رب ان هذا أخبرني انك أرسلته إلي فيقول الله عز وجل صدق ثم أشفع فأقول يارب عبادك عبدوك في اطراف الارض قال فهو المقام المحمود » وهذا حديث مرسل

وقل رب أدخلني مُدخل صدق وأخرجني مخرَجَ صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا (٨٠) وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا (٨١).

قال الامام أحمد حدثنا جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة فأنزل الله (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيراً) وقال الترمذي حسن صحيح ، وقال الحسن البصري في تفسير هذه الآية : إن كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول الله ﷺ ليقتلوه أو يطردوه أو يوثقوه فأراد الله قتال أهل مكة أمره أن يخرج الى المدينة فهو الذي قال الله عز وجل (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) الآية ، وقال قتادة (وقل رب أدخلني مدخل صدق) يعني المدينة (وأخرجني مخرج صدق) يعني مكة ، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا القول هو أشهر الاقوال ، وقال العوفي عن ابن عباس (أدخلني مدخل صدق) يعني الموت (وأخرجني مخرج صدق) يعني الحياة بعد الموت ، وقيل غير ذلك من الاقوال والاول أصح وهو اختيار ابن جرير

الله وأكرم الخلق على الله ثم قرأ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ، وعن مجاهد في قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) قال يجلسه على العرش ، وعن عبدالله بن سلام قال يقعده على الكرسي

قوله عز وجل ﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ﴾ المراد من المدخل والمخرج الادخال والاخراج واختلف أهل التفسير فيه فقال ابن عباس والحسن وقتادة أدخلني مدخل صدق المدينة وأخرجني مخرج صدق من مكة نزلت حين أمر النبي ﷺ بالهجرة ، وقال الضحاك وأخرجني مخرج صدق من مكة آمنا من المشركين وأدخلني مدخل صدق مكة ظاهراً عليها بالفتح ، وقال مجاهد أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من حقها مخرج صدق ، وعن الحسن أنه قال : أدخلني مدخل صدق الجنة وأخرجني مخرج صدق من مكة وقيل أدخلني في طاعتك وأخرجني من المناهي ، وقيل معناه أدخلني حيثما أدخلتني بالصدق وأخرجني بالصدق أي لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه فان ذا الوجهين لا يكون أمينا وجيها عند الله ووصف الادخال والاخراج بالصدق لما يؤل اليه الخروج والدخول من النصر والعز ودولة الدين كما وصف القدم بالصدق فقال (أن لهم قدم صدق عند ربهم)

وقوله (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيراً) قال الحسن البصري في تفسيرها وعده ربه لينزعن ملك فارس وعز فارس وليجعلنه له ، وملك الروم وعز الروم وقال قتادة فيها ان نبي الله ﷺ علم أن لاطاقة له بهذا الامر الا بسلطان فسأل سلطانا نصيراً لكتاب الله ، ولحدود الله ، ولفرائض الله ، ولاقامة دين الله فان السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم قال مجاهد سلطانا نصيراً حجة بينة ، واختار ابن جرير قول الحسن وقتادة وهو الارجح لأنه لابدَّ مع الحق من قهر لمن عاداه وناوأه ولهذا يقول تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات — إلى قوله — وأنزلنا الحديد) الآية . وفي الحديث « ان الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » أي ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام مالا يمتنع كثير من الناس بالقرآن وفيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد وهذا هو الواقع

وقوله (وقل جاء الحق وزهق الباطل) الآية . تهديد ووعيد لكفار قريش فانه قد جاءهم من الله الذي لامرية فيه ولا قبل لهم به وهو مابعثه الله به من القرآن والايمان والعلم النافع وزهق باطلهم أي اضمحل وهلك ، فان الباطل لاثبات له مع الحق ولا بقاء (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذاهو زاهق) .

وقال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبدالله ابن مسعود قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبديء الباطل وما يعيد » وكذا رواه البخاري أيضا في غير هذا الموضع ومسلم والترمذي والنسائي كلهم من طرق عن سفيان بن عيينة به ، وكذا رواه عبد الرزاق عن ابن أبي نجيح به

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا شبابة حدثنا المغيرة حدثنا أبو الزبير عن جابر رضي

﴿ واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ قال مجاهد حجة بينة ، وقال الحسن ملكا قويا تنصرني به على من ناوأني ، وعزاً ظاهراً أقيم به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما فيجعله له قال قتادة علم نبي الله ﷺ أن لاطاقة له بهذا الامر إلا بسلطان نصير فسأل سلطانا نصيرا لكتاب الله وحدوده واقامة دينه

قوله عز وجل ﴿وقل جاء الحق﴾ يعني القرآن ﴿ وزهق الباطل ﴾ أي ذهب الشيطان قال قتادة ، وقال السدي الحق الاسلام والباطل الشرك ، وقيل الحق عبادة الله والباطل عبادة الاصنام ﴿ إن الباطل كان زهوقا ﴾ ذاهبا يقال زهقت نفسه أي خرجت . أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا صدقة بن الفضل ثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبدالله قال دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها

الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ثلثمائة وستون صنماً تعبد من دون الله . فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكبت على وجوهها وقال « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا »

ونتزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظلمين الا خساراً (٨٢)

يقول تعالى مخبراً عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد انه شفاء ورحمة للمؤمنين أي يذهب مافي القلوب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزيغ وميل فالقرآن يشفي من ذلك كله وهو أيضا رحمة يحصل فيها الايمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه فانه يكون شفاء في حقه ورحمة ، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيده سماعه القرآن الا بعداً وكفراً والآفة من الكافر لامن القرآن كقوله تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) وقال تعالى (واذا ماأنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا ، فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون ، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون) والآيات في ذلك كثيرة . قال قتادة في قوله (ونتزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين) اذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه (ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) أي لاينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه فان الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين

واذا أنعمنا على الانسن أعرض ونا بجانبه واذا مسه الشر كان يئوسا (٨٣) قل كل يعمل على شاكلته . فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا (٨٤)

بعود في يده ويقول (جاء الحق وزهق الباطل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد)

قوله عز وجل ﴿ ونتزل من القرآن ماهو شفاء الناس ورحمة للمؤمنين ﴾ قيل من ليس للتبعيض ومعناه ونتزل من القرآن ما هو كله شفاء أي بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدي به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها ، ورحمة للمؤمنين ﴿ ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾ لان الظالم لاينتفع به والمؤمن ينتفع به فيكون رحمة له وقيل زيادة الخسارة للظالم من حيث أن كل آية تنزل يتحدد منهم تكذيب وتزداد لهم خسارة . قال قتادة لم يجالس هذا القرآن أحد الا قام عنه بزيادة أو نقصان قضاء الله الذى قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً .

قوله تعالى ﴿ واذا أنعمنا على الانسان أعرض ﴾ عن ذكرنا ودعائنا ﴿ ونأى بجانبه ﴾ أي تباعد

يخبر تعالى عن نقص الانسان من حيث هو الا من عصمه الله تعالى في حالتي السراء والضراء فانه اذا أنعم الله عليه بمال وعافية وفتح ورزق ونصر ونال مايريد أعرض عن طاعة الله وعبادته ونآى بجانبه قال مجاهد بعد عنا قلت وهذا كقوله تعالى (فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه) وقوله (فلما نجاكم إلى البر أعرضتم) وبأنه اذا مسه الشر وهو المصائب والحوادث والنوائب (كان يؤسا) أي قنط أن يعود يحصل له بعد ذلك خير كقوله تعالى (ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ٭ ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور ٭ الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) وقوله تعالى (قل كل يعمل على شاكلته) قال ابن عباس على ناحيته ٭ وقال مجاهد على حدته وطبيعته ، وقال قتادة على نيته ٭ وقال ابن زيد دينه وكل هذه الاقوال متقاربة في المعنى . وهذه الآية والله أعلم تهديد للمشركين ووعيد لهم كقوله تعالى (وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم) الآية ، ولهذا قال (قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أي منا ومنكم وسيجزي كل عامل بعمله فانه لاتخفى عليه خافية

ويسئلونك عن الرُّوح قل الرُّوح من أمر ربي وما أُوتيتم من العلم الا قليلا (٨٥)

قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في حرث في المدينة وهو متوكيء على عسيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح ٭ وقال بعضهم لاتسألوه ، قال فسألوه عن الروح

منا بنفسه أي ترك التقرب الى الله بالدعاء ، وقال عطاء تعظم وتكبر ويكسر النون والهمزة حمزة والكسائي وبفتح النون وبكسر الهمزة ابو بكر ، وقرأ ابن عامر وابو جعفر وناء مثل جاء قيل هو بمعنى نأى وقيل ناء من النوء وهو النهوض والقيام ﴿ وإذا مسه الشر ﴾ الشدة والضر ﴿ كان يؤسا ﴾ أي آيسا قنوطا وقيل معناه أنه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فاذا تأخرت الاجابة يئس ولا ينبغي للمؤمن أن ييأس من الاجابة وان تأخرت فيدع الدعاء

قوله عز وجل ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ قال ابن عباس على ناحيته قال الحسن وقتادة على نيته ٭ وقال مقاتل على خليقته قال الفراء طريقته التي جبل عليها ، وقال القتيبي على طبيعته وجبلته ٭ وقيل على السبيل الذي اختاره لنفسه وهو من الشكل يقال لست على شكلي ولا شاكلتي وكلها لغات متقاربة تقول العرب طريق ذو شواكل إذا تشعبت منه الطرق ، ومجاز الآية كل يعمل على مايشبهه كما يقال في المثل كل امريء يشبهه فعله ﴿ فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ﴾ أوضح طريقا

قوله تعالى ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾ الآية أخبرنا عبدالواحد بن أحمد

فقالوا يا محمد ماالروح ؟ فما زال متوكئا على العسيب قال فظننت أنه يوحى اليه فقال (وَيسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) قال فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لاتسألوه . وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث الاعمش به ، ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في حرث وهو متوكيء على عسيب إذ مرّ اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال مارابكم اليه ، وقال بعضهم لا يستقبلنكم بشيء تكرهونه ، فقالوا سلوه فسألوه عن الروح فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئا فعلمت أنه يوحى اليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) الآية وهذا السياق يقتضي فيما يظهر بادي الرأي أن هذه الآية مدنية وأنها نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة مع أن السورة كلها مكية ، وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك أو أنه نزل عليه الوحي بأنه يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم انزالها عليه وهي هذه الآية (ويسئلونك عن الروح) ومما يدل على نزول هذه الآية بمكة ماقال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا يحيى بن زكريا عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال : قالت قريش ليهود اعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح فنزلت (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا) قالوا أوتينا علما كثيراً أوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيراً » قال وأنزل الله (قل لو كان البحرُ مداداً لكلمات ربي لنفد البحر) الآية

وقد روى ابن جرير عن محمد بن المثنى عن عبد الاعلى عن داود عن عكرمة قال سأل أهل الكتاب

المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قيس بن حفص ثنا عبدالواحد يعني ابن زياد ثنا الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله قال « بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في حرث المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لاتسألوه لايجيء فيه بشيء تكرهونه فقال بعضهم لنسألنه فقام رجل منهم فقال : يا أبا القاسم ما الروح ؟ فسكت فقلت انه يوحى اليه فقمت فلما انجلى عنه قال (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) وفي رواية وما أوتوا من العلم إلا قليلا قال الاعمش هكذا في قراءتنا . وروي عن ابن عباس أنه قال : ان قريشا قد اجتمعوا وقالوا إن محمداً نشأ فينا بالامانة والصدق وما اتهمناه بكذب وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفراً إلى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها أولم يجب عن شيء منها فليس بنبي وان أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحدة فهو نبي فسلوه عن فتية فقدوا في الزمن الاول ما كان من أمرهم فانه كان لهم حديث عجيب ، وعن رجل بلغ شرق الارض وغربها ماخبره ، وعن الروح فسألوه فقال النبي ﷺ « أخبركم بما سألتم غداً » ولم يقل إن شاء

رسول الله ﷺ عن الروح فانزل الله (ويسألونك عن الروح) الآية فقالوا تزعم أنا لم نؤت من العلم إلا قليلا وقد اوتينا التوراة وهي الحكمة (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) قال فنزلت (ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر) الآية قال ماأتيتم من علم فنجاكم الله به من النار فهو كثير طيب وهو في علم الله قليل

وقال محمد بن اسحاق عن بعض اصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت بمكة (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) فلما هاجر رسول الله ﷺ الى المدينة أتاه أحبار يهود وقالوا يا محمد ألم يبلغنا عنك أنك تقول (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) أفعنيتنا أم عنيت قومك فقال « كلا قد عنيت » فقالوا إنك تتلو إنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء فقال رسول الله ﷺ « هي في علم الله قليل وقد آتاكم الله ماان عملتم به انتفعتم » وأنزل الله (ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم)

وقد اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا على أقوال (أحدها) أن المراد أرواح بني آدم وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (ويسألونك عن الروح) الآية وذلك أن اليهود قالوا للنبي ﷺ أخبرنا عن الروح وكيف تعذب الروح التي في الجسد وإنما الروح من الله ولم يكن نزل عليه شيء فلم يحر اليهم شيئا فأتاه جبريل فقال له (قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) فاخبره النبي ﷺ بذلك فقالوا من جاءك بهذا قال جاءني به جبريل من عند الله فقالوا له والله ماقاله لك إلا عدونا فأنزل الله (قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه) وقيل المراد بالروح ههنا جبريل قاله قتادة قال وكان ابن عباس يكتمه ، وقيل المراد به ههنا ملك عظيم بقدر المخلوقات

الله فلبث الوحي قال مجاهد اثنتي عشرة ليلة وقيل خمسة عشر يوما ، وقال عكرمة أربعين يوما وأهل مكة يقولون وعدنا محمد غداً وقد أصبحنا لايخبرنا بشيء حتى حزن النبي ﷺ من مكث الوحي وشق عليه مايقوله أهل مكة ثم نزل جبريل بقوله (ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) ونزل في الفتية (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) ونزل فيمن بلغ الشرق والغرب (ويسألونك عن ذي القرنين) ونزل في الروح (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) واختلفوا في الروح الذي وقع السؤال عنه فروي عن ابن عباس أنه جبريل وهو قول الحسن وقتادة وروي عن علي أنه قال ملك له سبعون الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان يسبح الله تعالى بكلها ، وقال مجاهد خلق على صور بني آدم لهم أيد وأرجل ورءوس وليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام ، وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله تعالى خلقا أعظم من الروح غير العرش لوشاء أن يبتلع السموات السبع والارضين السبع ومن فيها بلقمة واحدة لفعل صورة خلقه على صورة خلق الملائكة وصورة وجهه على صورة الآدميين يقوم يوم القيامة عن يمين العرش وهو أقرب الخلق إلي

كلها ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (ويسئلونك عن الروح) يقول الروح ملك . وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن عرس المصري حدثنا وهب الله بن رزق بن هبيرة حدثنا بشر ابن بكير حدثنا الاوزاعي حدثنا عطاء عن عبد الله بن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن لله ملكا لو قيل له التقم السموات السبع والارضين بلقمة واحدة لفعل ، تسبيحه سبحانك حيث كنت » وهذا حديث غريب بل منكر . وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثني علي حدثني عبد الله حدثني أبو مروان يزيد بن سمرة صاحب قيسارية عمن حدثه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال في قوله (ويسألونك عن الروح) قال هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه لكل وجه منها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة الى يوم القيامة . وهذا أثر غريب عجيب والله أعلم . وقال السهيلي روي عن علي انه قال : هو ملك له مائة ألف رأس لكل رأس مائة ألف وجه في كل وجه مائة ألف فم في كل فم مائة ألف لسان يسبح الله تعالى بلغات مختلفة . قال السهيلي وقيل المراد بذلك طائفة من الملائكة على صور بني آدم ، وقيل طائفة يرون الملائكة ولا تراهم فهم للملائكة كالملائكة لبني آدم ، وقوله (قل الروح من أمر ربي) أي من شأنه ومما استأثر بعلمه دونكم ولهذا قال (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) أي وما أطلعكم من علمه إلا على القليل فانه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء تبارك وتعالى ، والمعنى ان علمكم في علم الله قليل وهذا الذي تسألون عنه من أمر الروح مما استأثر به تعالى ولم يطلعكم عليه كما انه لم يطلعكم الا على القليل من علمه تعالى ، وسيأتي إن شاء الله في قصة موسى والخضر أن الخضر نظر الى عصفور وقع على حافة السفينة فنقر في البحر نقرة أي شرب منه بمنقاره فقال يا موسى ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر أو كما قال صلوات الله وسلامه عليه ولهذا قال تعالى (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) وقال السهيلي قال بعض الناس لم يجبهم عما سألوا لانهم سألوا على وجه التعنت وقيل أجابهم ، وعول السهيلي على

الله عز وجل اليوم عند الحجب السبعين وأقرب إلى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا أن بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق أهل السموات من نوره ، وقيل الروح هو القرآن وقيل المراد منه عيسى عليه السلام فانه روح الله وكلمته ومعناه أنه ليس كما يقوله اليهود ولا كما يقوله النصارى وقال قوم هو الروح المركب في الخلق الذي يحيا به الانسان وهو الاصح وتكلم فيه قوم فقال بعضهم هو الدم ألا ترى أن الحيوان اذا مات لا يفوت منه شيء الا الدم ، وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل أنه يموت باحتباس النفس ، وقال قوم هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف ، وقال بعضهم الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلو والعلم والبقاء ألا ترى انه إذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات فاذا خرج ذهب الكل . وأولى الاقاويل أن يوكل علمه إلى الله عز وجل وهو

ان المراد بقوله (قل الروح من أمر ربي) أي من شرعه أي فادخلوا فيه وقد علمتم ذلك لانه لا سبيل الى معرفة هذا من طبع ولا فلسفة وانما ينال من جهة الشرع وفي هذا المسلك الذي طرقه وسلكه نظر والله أعلم . ثم ذكر السهيلي الخلاف بين العلماء في أن الروح هي النفس أو غيرها وقرر أنها ذات لطيفة كالهواء سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر وقرر أن الروح التي ينفخها الملك في الجنين هي النفس بشرط اتصالها بالبدن واكتسابها بسببه صفات مدح أو ذم فهي إما نفس مطمئنة أو أمارة بالسوء ▪ قال كما ان الماء هو حياة الشجر ثم يكتسب بسبب اختلاطه معها اسما خاصا فاذا اتصل بالعنبة وعصر منها صار ماء مصطاراً أو خمرا ولا يقال له ماء حينئذ إلا على سبيل المجاز ، وكذا لا يقال للنفس روح إلا على هـذا النحو وكذا لا يقال للروح نفس إلا باعتبار ما تؤول اليه ▪ فحاصل ما نقول ان الروح هي أصل النفس ومادتها والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن فهي هي من وجه لا من كل وجه وهذا معنى حسن والله أعلم . قلت وقد تكلم الناس في ماهية الروح وأحكامها وصنفوا في ذلك كتبا ومن أحسن من تكلم على ذلك الحافظ ابن منده في كتاب سمعناه في الروح

ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا (٨٦) إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا (٨٧) قل لئن اجتمعت الانس والجنّ على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (٨٨) ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثلٍ فأبىٰ أكثر الناس إلا كفورا (٨٩)

قول أهل السنة . قال عبدالله بن بريدة إن الله لم يطلع على الرّوح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا . وقوله عز وجل (قل الروح من أمر ربي) قيل من علم ربي ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ أي في جنب علم الله . قيل هذا خطاب لرسول الله ﷺ وقيل خطاب لليهود فانهم كانوا يقولون : أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير ▪ وقيل كان النبي ﷺ يعلم معنى الروح ولكن لم يخبر به أحدا لان ترك اخباره به كان علما لنبوته والاول أصح لان الله عز وجل استأثر بعلمه

قوله تعالى ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ﴾ يعني القرآن معناه انا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك لو شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك يعني القرآن ﴿ ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ﴾ أي من ينوب برد القرآن اليك ﴿ إلا رحمة من ربك ﴾ هذا استثناء منقطع معناه ولكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك ﴿ إن فضله كان عليك كبيرا ﴾ فان قيل كيف يذهب القرآن وهو كلام الله عز وجل؟ قيل المراد منه محوه من المصاحف واذهاب ما في الصدور

وقال عبدالله بن مسعود اقرءوا القرآن قبل أن يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع . قيل هذه

يذكر تعالى نعمته وفضله العظيم على عبده ورسوله الكريم ﷺ فيما أوحاه اليه من القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . قال ابن مسعود رضي الله عنه يطرق الناس ريح حمراء يعني في آخر الزمان من قبل الشام فلا يبقى في مصحف رجل ولا في قلبه آية ثم قرأ ابن مسعود (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) الآية . ثم نبه تعالى على شرف هذا القرآن العظيم فأخبر انه لو اجتمعت الانس والجن كلهم واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا فان هذا أمر لا يستطاع وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظير له ولا مثال له ولا عديل له . وقد روى محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في نفر من اليهود جاءوا رسول الله ﷺ فقالوا له إنا نأتيك بمثل ما جئتنا به فأنزل الله هذه الآية. وفي هذا نظر لان هذه السورة مكية وسياقها كله مع قريش، واليهود انما اجتمعوا به في المدينة فالله أعلم . وقوله (ولقد صرفنا للناس) الآية . أي بينا لهم الحجج والبراهين القاطعة ووضحنا لهم الحق وشرحناه وبسطناه ومع هذا فأبى أكثر الناس إلا كفورا أي جحوداً للحق ورداً للصواب

وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفْجُرَ لنا من الأرض ينبوعا (٩٠) أو تكون لك جنةٌ من نخيل وعنب فتفجّرَ الانهرَ خللها تفجيرا (٩١) أو تُسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا (٩٢) أو يكون لك بيت من زخرُف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لِرُقيك حتى تُنزل علينا كتٰبا نقرؤه ، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا (٩٣)

المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس ؟ قال يسري عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئا ولا يجدون في المصاحف شيئا ثم يفيضون في الشعر ، وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب مالك وهو أعلم فيقول : يارب أتلى ولا يعمل بي

قوله جل وعلا ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ﴾ لا يقدرون على ذلك ﴿ ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ عونا ومظاهرا نزلت حين قال الكفار لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله تعالى ؛ فالقرآن معجز في النظم والتأليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلا طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخالق لانه غير مخلوق ولو كان مخلوقا لأتوا بمثله

قوله عز وجل ﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ من كل وجه من العبر والاحكام والوعد والوعيد وغيرها ﴿ فأبى أكثر الناس إلا كفورا ﴾ جحودا ﴿ وقالوا لن نؤمن لك ﴾ لن

قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير حدثنا محمد بن إسحاق حدثني شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس ان عتبة وشيبة ابني ربيعة وأباسفيان ابن حرب ورجلا من بني عبد الدار وأبا البختري أخا بني أسد والاسود بن المطلب بن أسد وزمعة ابن الاسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج السهميين اجتمعوا أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بدء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس اليهم « فقالوا : يامحمد إنا قد بعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله مانعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ماأدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقي من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك، فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت انما تطلب الشرف فينا سودناك علينا، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وان كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رئيا تراه قدغلب عليك ـ وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي ـ فربما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك . فقال رسول الله ﷺ « مابي ماتقولون ماجئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ماجئتكم به فهوحظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » أو كما قال رسول الله ﷺ تسليما فقالوا يامحمد فان كنت غير قابل منا

نصدقك، ﴿ حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ﴾ قرأ أهل الكوفة ويعقوب تفجر بفتح التاء وضم الجيم مخففا لأن الينبوع واحد وقرأ الباقون بالتشديد من التفجير واتفقوا على تشديد قوله (فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا) لأن الانهار جمع والتشديد يدل على التكثير ولقوله تفجيرا من بعد وروى عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحارث وأبا البختري بن هشام والاسود بن عبدالمطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبدالله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا ومن اجتمع معهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بدء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا: يامحمد انا بعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله لانعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت الآباء

ماعرضنا عليك فقد علمت انه ليس أحد من الناس أضيق منا بلاداً ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا فاسأل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلاداً وليفجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول حق هو أم باطل فان صنعت ماسألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وانه بعثك رسولا كما تقول . فقال لهم رسول الله ﷺ «مابهذا بعثت انما جئتكم من عندالله بما بعثني به فقد بلغتكم ماأرسلت به اليكم فان تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وان تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » قالوا فان لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك فسل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وتسأله فيجعل لك جنات وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ويغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم . فقال لهم رسول الله ﷺ « ماأنا بفاعل ماأنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت اليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيرا فان تقبلوا ماجئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وان تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » قالوا: فأسقط السماء كما زعمت ان ربك ان شاء فعل ذلك فإنا لن نؤمن لك إلا أن تفعل . فقال لهم رسول الله ﷺ «ذلك الى الله ان شاء فعل بكم ذلك» فقالوا يامحمد أما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك مانطلب فيقدم اليك ويعلمك ماتراجعنا به ويخبرك ماهو صانع في ذلك بنا اذا لم نقبل منك ماجئتنا به، فقد بلغنا انه انما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن وإنا والله لانؤمن بالرحمن أبداً فقد أعذرنا اليك يامحمد أما والله لانتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا

وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بينك وبيننا ، فان كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تطلب الشرف سودناك علينا ، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وان كان هذا الامر الذي بك رئي تراه حتى قد غلب عليك لاتستطيع رده بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك وكانوا يسمعون التابع في الجن الرئي فقال رسول الله ﷺ « مابي ماتقولون ماجئتكم بما جئتكم به اطلب أموالكم ولا الشرف عليكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وان تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » فقالوا يامحمد إن كنت غير قابل منا ماعرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد أضيق منا بلادا ولا أشد منا عيشا فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويفجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن منهم قصي بن كلاب فانه كان شيخا

وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله ، وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا . فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته عاتكة ابنة عبد المطلب فقال يامحمد عرض عليك قومك ماعرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لانفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ثم سألوك أن تعجل لهم ماتخوفهم به من العذاب فوالله لاأومن بك أبداً حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بصحيفة منشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول، وايم الله لو فعلت ذلك لظننت اني لاأصدقك ثم انصرف عن رسول الله ﷺ وانصرف رسول الله ﷺ الى أهله حزينا أسفا لما فاته مما كان طمع فيه من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدتهم اياه. وهكذا رواه زياد بن عبد الله البكائي عن ابن اسحاق حدثني بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس فذكر مثله سواء .وهذا المجلس الذي اجتمع هؤلاء له لو علم الله منهم انهم يسألون ذلك استرشاداً لأجيبوا اليه ولكن علم انهم انما يطلبون ذلك كفراً وعناداً، فقيل لرسول الله ﷺ إن شئت أعطيناهم ماسألوا فان كفروا عذبتهم عذابا لاأعذبه أحداً من العالمين ، وان شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة . فقال « بل تفتح عليهم باب التوبة والرحمة » كما تقدم ذلك في حديثي ابن عباس والزبير بن العوام أيضا عند قوله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون * وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا)

وقال تعالى (وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيراً * أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً * انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا * تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من

صدوقا فنسألهم عمن تقول أحق هو أم باطل فان صدقوك صدقناك ، فقال رسول الله ﷺ مابهذا بعثت فقد بلغتكم ماأرسلت به « فان تقبلوه مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه أصبر لامر الله » قالوا فان لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث لنا ملكا يصدقك وسله أن يجعل لنا جنانا وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال « مابعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً » قالوا فاسقط السماء كما زعمت أن ربك لو شاء فعل، فقال « ذلك الى الله ان شاء فعل ذلك بكم فعله » وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا ، فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ وقام معه عبد الله بن أبي أمية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يامحمد عرض عليك قومك ماعرضوا عليك فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أموراً يعرفون بها منزلتك من الله تعالى فلم تفعل « ثم سألوك أن تعجل ماتخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله لاأومن لك أبداً حتى تتخذ الى السماء سلما ترقى فيها وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي بنسخة منشورة

ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً ■ بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) وقوله تعالى (حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) الينبوع العين الجارية سألوه أن يجري لهم عيونا معينا في أرض الحجارة ههنا وههنا وذلك سهل على الله تعالى يسير لو شاء لفعله ولأجابهم إلى جميع ماسألوا وطلبوا ولكن علم أنهم لايهتدون كما قال تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) وقال تعالى (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ماكانوا ليؤمنوا) الآية

وقوله تعالى (أو تسقط السماء كما زعمت) أي انك وعدتنا أن يوم القيامة تنشق فيه السماء وتدلى أطرافها فعجل ذلك في الدنيا وأسقطها كسفا أي قطعاً كقولهم اللهم إن كان هـذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء) الآية ، وكذلك سأل قوم شعيب منه فقالوا (أسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين) فعاقبهم الله بعذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ، وأمانبي الرحمة ونبي التوبة المبعوث رحمة للعالمين فسأل انظارهم وتأجيلهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من من يعبده لايشرك به شيئا وكذلك وقع فان من هؤلاء الذين ذكروا من أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه حتى عبد الله بن أبي أمية الذي تبع النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ماقال أسلم اسلاما تاما وأناب إلى الله عز وجل

وقوله تعالى (أو يكون لك بيت من زخرف) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة هو الذهب، وكذلك هو في قراءة ابن مسعود أو يكون لك بيت من ذهب (أو ترقى في السماء) أي تصعد في سلم ونحن

معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول ■ وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك فانصرف رسول الله ﷺ الى أهله حزينا لما رأى من مباعدتهم فأنزل الله تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض) يعني أرض مكة (ينبوعا) أي عيونا ﴿ أو تكون لك جنة ﴾ بستان ﴿من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً ﴾ تشقيقا ﴿ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ﴾ قرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح السين أي قطعا وهي جمع كسفة وهي القطعة والجانب مثل كسرة وكسر ، وقرأ الآخرون بسكون السين على التوحيد وجمعه اكساف وكسوف أي تسقطها طبقا واحداً ، وقيل أراد جانبا علينا ، وقيل معناه أيضاً القطع وهي جمع التكسير مثل سدرة وسدر وفي الشعراء وسبأ كسفا بالفتح حفص ■ وفي الروم ساكنة أبو جعفر وابن عامر ﴿ أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ﴾ قال ابن عباس كفيلا ، أي يكفلون بما تقول ، وقال الضحاك ضامناً ، وقال مجاهد هو جمع القبيلة أي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة ، وقال قتادة عيانا أي نراهم مقابلة أي معاينة ■ وقال الفراء هو من قول العرب لقيت فلانا قبيلا وقبيلا أي معاينة ﴿ أو يكون لك بيت من زخرف ﴾ أي من ذهب وأصله الزينة ﴿ أو ترقى ﴾ تصعد ﴿ في السماء ﴾ هذا قول عبد الله بن أبي أمية ﴿ ولن نؤمن لرقيك ﴾ لصعودك ﴿ حتى تنزل علينا

تنظر اليك (ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) قال مجاهد أي مكتوب فيه الى كل واحد واحد صحيفة هذا كتاب من الله لفلان بن فلان تصبح موضوعة عند رأسه ، وقوله تعالى (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا) أي سبحانه وتعالى وتقدس أن يتقدم أحد بين يديه في أمر من أمور سلطانه وملكوته بل هو الفعال لما يشاء ان شاء أجابكم إلى ماسألتم وإن شاء لم يجبكم وما أنا الا رسول اليكم أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وقد فعلت ذلك وأمركم فيما سألتم الى الله عز وجل

قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا علي بن اسحاق حدثنا ابن المبارك حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيدالله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة عن النبي ﷺ قال « عرض علي ربي عز وجل ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما - أو نحو ذلك - فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك ، واذا شبعت حمدتك وشكرتك » ورواه الترمذي في الزهد عن سويد بن زهير عن ابن المبارك به وقال هذا حديث حسن وعلي بن يزيد يضعف في الحديث

وما منع الناسَ أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بَشَراً رسولا (٩٤)

قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزّلنا عليهم من السماء مَلَكا رسولا (٩٥)

يقول تعالى (وما منع الناس) أي أكثرهم (أن يؤمنوا) ويتابعوا الرسل الا استعجابهم من بعثة البشر رسلا كما قال تعالى (أكان للناس عجبا أن أوحينا الي رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) وقال تعالى (ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا ؟) الآية ، وقال فرعون وملؤه (أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) وكذلك قالت الامم لرسلهم (إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فائتونا بسلطان مبين) والآيات في هذا كثيرة ، ثم قال تعالى منبها على لطفه ورحمته بعباده انه يبعث اليهم الرسول من جنسهم ليفقهوا عنه ويفهموا منه لتمكنهم من مخاطبته ومكالمته ولو بعث الى البشر رسولا من الملائكة لما استطاعوا مواجهته ولا الاخذ عنه كما قال تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من

كتابا نقرؤه ﴾ أمرنا فيه باتباعك ﴿ قل سبحان ربي ﴾ وقرأ ابن كثير وابن عامر قال يعني محمداً ، وقرأ الآخرون على الامر أي قل يامحمد ﴿ هل كنت الا بشراً رسولا ﴾ أمره بتنزيهه وتمجيده على معنى أنه لو أراد أن ينزل ماطلبوا لفعل ، ولكن الله لاينزل الآيات على مايقترحه البشر وما أنا إلا بشر وليس ماسألتم في طوق البشر ، واعلم أن الله تعالى قد أعطى النبي ﷺ من الآيات والمعجزات مايغني عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر وتفجير العيون من بين الاصابع وماأشبهها والقوم عامتهم كانوا متعنتين لم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد الله عليهم سؤالهم

قوله عز وجل ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا ﴾ جهلا منهم ﴿ أبعث

أنفسهم) وقال تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) وقال تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون ، فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) ولهذا قال ههنا (قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين) أي كما أنتم فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) أي من جنسهم ، ولما كنتم أنتم بشراً بعثنا فيكم رسلنا منكم لطفا ورحمة

قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم انه كان بعباده خبيراً بصيراً (٩٦)

يقول تعالى مرشداً نبيه ﷺ الى الحجة على قومه في صدق ماجاءهم به إنه شاهد علي وعليكم ، عالم بما جئتكم به فلو كنت كاذبا عليه لانتقم مني أشد الانتقام ، قال تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) وقوله (انه كان بعباده خبيراً بصيراً) أي عليما بهم بمن يستحق الانعام والاحسان والهداية ممن يستحق الشقاء والاضلال والازاغة ولهذا قال

ومن يهد الله فهو المهتد ، ومن يُضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيـٰمة على وجوههم عُميا وبكما وصُمًّا مأويـٰهم جهنم كلما خبت زدنـٰهم سعيرا (٩٧)

يقول تعالى مخبراً عن تصرفه في خلقه ونفوذ حكمه وأنه لامعقب له بأنه من يهده فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه أي يهدونهم كما قال (من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل

الله بشراً رسولا ﴾ أراد أن الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لانك بشر وهلا بعث الله الينا ملكا فأجابهم الله تعالى ﴿ قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين ﴾ مستوطنين مقيمين ﴿ لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ﴾ من جنسهم لان القلب الى الجنس أميل منه إلى غير الجنس ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ﴾ اني رسوله اليكم ﴿ انه كان بعباده خبيراً بصيراً * ومن يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ﴾ يهدونهم ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم ﴾

أخبرنا احمد بن عبدالله الصالحي أنا الحسن بن شجاع الصوفي المعروف بابن الموصلي أنبأنا أبو بكر ابن الهيثم ثنا جعفر بن محمد الصائغ ثنا حسين بن محمد ثنا سفيان عن قتادة عن أنس أن رجلا قال : يارسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال النبي ﷺ « إن الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه » وجاء في الحديث « إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك » ﴿ عميا وبكما وصما ﴾ فان قيل كيف وصفهم بأنهم عمي وبكم وصم ، وقد قال (ورأى المجرمون النار) وقال (دعوا هنالك ثبورا) وقال (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) أثبت لهم الرؤية والكلام والسمع ؟ قيل يحشرون على ماوصفهم الله ثم تعاد اليهم هذه الاشياء وجواب آخر قال ابن عباس عميا لايرون مايسرهم بكما لا

فلن تجد له وليا مرشداً) وقوله (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) قال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا اسماعيل عن نفيع قال سمعت أنس بن مالك يقول : قيل يارسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ قال « الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم » وأخرجاه في الصحيحين وقال الامام أحمد أيضا حدثنا الوليد بن جميع القرشي عن أبيه عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة ابن أسيد قال : قام أبو ذر فقال يابني غفار قولوا ولا تحلفوا فان الصادق المصدوق حدثني أن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج « فوج راكبين طاعمين كاسين ، وفوج يمشون ويسعون ، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم الى النار » فقال قائل منهم هذان قد عرفناهما فما بال الذين يمشون ويسعون ؟ قال « يلقي الله عز وجل الآفة على الظهر حتى إن الرجل لتكون له الحديقة المعجبة فيعطيها بالشارف ذات القتب فلا يقدر عليها » وقوله (عميا) أي لايبصرون (وبكما) يعني لاينطقون (وصما) لايسمعون وهذا يكون في حال دون حال جزاء لهم كما كانوا في الدنيا بكما وعميا وصما عن الحق فجوزوا في محشرهم بذلك أحوج مايحتاجون اليه (مأواهم) أي منقلبهم ومصيرهم (جهنم كلما خبت) قال ابن عباس سكنت ، وقال مجاهد طفئت (زدناهم سعيراً) أي لهبا ووهجا وجمراً كما قال (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا)

ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآيتنا وقالوا أءذا كنا عظما ورفتا أءنا لمبعوثون خلقا جديداً (٩٨) أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لاريب فيه فأبى الظلمون الا كفوراً (٩٩)

يقول تعالى هذا الذي جازيناهم به من البعث على العمى والبكم والصمم جزاؤهم الذي يستحقونه لانهم كذبوا (بآياتنا) أي بأدلتنا وحجتنا واستبعدوا وقوع البعث (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا) أي بالية نخرة (أئنا لمبعوثون خلقا جديداً) أي بعد ماصرنا الى ماصرنا اليه من البلى والهلاك والتفرق والذهاب في الارض نعاد مرة ثانية فاحتج تعالى عليهم ونبههم على قدرته على ذلك بأنه خلق السموات

ينطقون بحجة صما لايسمعون شيئا يسرهم ، وقال الحسن هذا حين يساقون الى الموقف إلى أن يدخلوا النار ، وقال مقاتل هذا حين يقال لهم (اخسؤا فيها ولا تكلمون) يصيرون بأجمعهم عميا وبكما وصما لايرون ولا ينطقون ولا يسمعون

قوله عز وجل ﴿ مأواهم جهنم كلما خبت ﴾ قال ابن عباس كلما سكنت أي سكن لهيبها ، وقال مجاهد طفئت ، وقال قتادة ضعفت وقيل هو الهدو من غير أن يوجد نقصان في ألم الكفار لان الله تعالى قال (لايفتر عنهم) وقيل كلماخبت أي أرادت أن تخبو ﴿ زدناهم سعيرا ﴾ أي وقوداً وقيل المراد

والارض فقدرته على اعادتهم أسهل من ذلك * قال (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) وقال (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى) الآية وقال (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) الى آخر السورة * وقال ههنا (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم) أي يوم القيامة يعيد أبدانهم وينشئهم نشأة أخرى كما بدأهم * وقوله (وجعل لهم أجلا لاريب فيه) أي جعل لاعادتهم واقامتهم من قبورهم أجلا مضروبا ومدة مقدرة لابد من انقضائها كما قال تعالى (وما نؤخره الا لأجل معدود) وقوله (فأبى الظالمون) أي بعد الحجة عليهم (الا كفوراً) الا تماديا في باطلهم وضلالهم

قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي اذاً لأمسكتم خشية الانفاق * وكان الانسان قتوراً (١٠٠)

يقول تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه قل لهم يامحمد لو أنكم أيها الناس تملكون التصرف في خزائن الله لأمسكتم خشية الانفاق قال ابن عباس وقتادة أي الفقر أي خشية أن تذهبوها مع أنها لاتفرغ ولا تنفد أبداً لان هذا من طباعكم وسجاياكم ولهذا قال (وكان الانسان قتورا) قال ابن عباس وقتادة أي بخيلا منوعا وقال الله تعالى (أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا) أي لو أن لهم نصيبا في ملك الله لما أعطوا أحداً شيئا ولا مقدار نقير والله تعالى يصف الانسان من حيث هو الا من وفقه الله وهداه فان البخل والجزع والهلع صفة له كما قال تعالى (ان الانسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين) ولهذا نظائر كثيرة في القرآن العزيز ويدل هذا على كرمه وجوده واحسانه وقدجاء في الصحيحين يدالله ملأى لايغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض مافي يمينه *

من قوله كلما خبت أي نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا فيها إلى ما كانوا عليه وزيد في تسعير النار لتحرقهم ﴿ ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ فأجابهم الله تعالى فقال ﴿ أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ﴾ في عظمتها وشدتها ﴿ قادر على أن يخلق مثلهم ﴾ في صغرهم وضعفهم، نظيره قوله تعالى (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) ﴿ وجعل لهم أجلا ﴾ أي وقتا لعذابهم ﴿ لاريب فيه ﴾ انه يأتيهم قيل هو الموت وقيل هو يوم القيامة ﴿ فأبى الظالمون إلا كفورا ﴾ أي جحوداً وعناداً ﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي ﴾ اي نعمة ربي وقيل رزق ربي ﴿ اذا لامسكتم ﴾ لبخلتم وحبستم ﴿ خشية الانفاق ﴾ أي خشية الفاقة قاله قتادة وقيل خشية النفاد يقال أنفق الرجل أي أملق وذهب ماله ونفق الشيء أي ذهب وقيل لأمسكتم عن الانفاق خشية الفقر ﴿ وكان الانسان قتورا ﴾ أي بخيلا ممسكا عن الانفاق

ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لأظنك ياموسى مسحورا (١٠١) قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والارض بصائر وإني لأظنك يافرعون مثبورا (١٠٢) فاراد أن يستفزهم من الارض فأغرقناه ومن معه جميعا (١٠٣) وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا (١٠٤) .

يخبر تعالى أنه بعث موسى بتسع آيات بينات وهي الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عمن أرسله الى فرعون وهي العصا واليد والسنين والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات قاله ابن عباس وقال محمد بن كعب هي اليد والعصا والخمس في الاعراف والطمس والحجر ، وقال ابن عباس أيضا ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة هي يده وعصاه والسنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، وهذا القول ظاهر جلي حسن قوي، وجعل الحسن البصري السنين ونقص الثمرات واحدة وعنده أن التاسعة هي تلقف العصا ما يأفكون (فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) أي ومع هذه الايات ومشاهدتهم لها كفروا بها وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وما نجعت فيهم فكذلك لو أجبنا هؤلاء الذين سألوا منك ما سألوا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى آخرها لما استجابوا ولا آمنوا الا أن يشاء الله كما قال فرعون لموسى وقد شاهد منه ما شاهد من هذه الآيات (إني لاظنك يا موسى مسحورا) قيل بمعنى ساحر والله تعالى أعلم، فهذه الآيات التسع التي ذكرها هؤلاء الائمة هي المرادة ههنا وهي المعينة في قوله تعالى (وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ياموسى لاتخف - الى قوله في تسع آيات -

---

قوله عز وجل ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ أي دلالات واضحات فهي الآيات التسع قال ابن عباس والضحاك هي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فحلها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، وقال عكرمة وقتادة ومجاهد وعطاء هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد والسنون ونقص الثمرات. وذكر محمد بن كعب القرظي الطمس والبحر بدل السنين ونقص من الثمرات . قال فكان الرجل منهم مع أهله في فراشه وقد صارا حجرين والمرأة منهم قائمة تخبز وقد صارت حجرا ، وقال بعضهم هن آيات الكتاب. أخبرنا ابو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحي أنا ابو اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرني الحسن بن محمد الثقفي أنا هارون بن محمد بن هارون العطاردي أنبأنا يوسف بن عبدالله بن ماهان ثنا الوليد الطيالسي ثنا شعبة عن عمرو

إلى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين) فذكر هاتين الآيتين العصا واليد وبين الآيات الباقيات في سورة الاعراف وفصلها، وقد أوتي موسى عليه السلام آيات أخر كثيرة منها ضربه الحجر بالعصا وخروج الماء منه ومنها تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك مما أوتوه بنو اسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر ولكن ذكر ههنا التسع آيات التي شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر فكانت حجة عليهم فخالفوها وعاندوها كفرا وجحوداً . فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال قال يهودي لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبي حتى نسأله عن هذه الآية (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) فقال لاتقل له نبي فانه لو سمعك لصارت له أربع أعين فسألاه . فقال النبي ﷺ « لا تشركوا بالله شيئا ولاتسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولاتمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة - أو قال لاتفروا من الزحف شعبة الشاك - وأنتم يايهود عليكم خاصة أن لاتعدوا في السبت» فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد انك نبي قال « فما يمنعكما أن تتبعاني؟ » قالا لان داود عليه السلام دعا أن لايزال من ذريته نبي وانا نخشى ان اسلمنا أن تقتلنا يهود . فهذا الحديث رواه هكذا الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير في تفسيره من طرق عن شعبة بن حجاج به وقال الترمذي حسن صحيح . وهو حديث مشكل وعبد الله بن سلمة في حفظه شيء وقد تكلموا فيه ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات فانها وصايا في التوراة لاتعلق لها بقيام الحجة على فرعون والله أعلم. ولهذا قال موسى لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا

ابن مرة عن عبدالله بن مسلمة عن صفوان بن عسال المرادي أن يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي فقال الآخر لا تقل نبي فانه لو سمعك صارت له أربع أعين فأتياه فسألاه عن هذه الآية (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) فقال « لاتشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولاتأكلوا الربا ولاتسحروا ولاتمشوا بالبريء الى سلطان ليقتله ولاتسرقوا ولاتقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لاتعدوا في السبت » فقبلا يده وقالا نشهد أنك نبي قال فما يمنعكما أن تتبعاني قالا ان داود دعا ربه أن لايزال في ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك أن يقتلنا اليهود

قوله عز وجل ﴿ فاسئل ﴾ يامحمد ﴿ بني إسرائيل إذ جاءهم ﴾ موسى يجوز أن يكون الخطاب معه والمراد غيره ويجوز أن يكون خاطبه عليه السلام وأمره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم ﴿ فقال له فرعون اني لأظنك ياموسى مسحورا ﴾ أي مطبوبا سحروك قاله الكلبي وقال ابن عباس مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق ، وقال الفراء وابو عبيدة ساحراً فوضع المفعول موضع الفاعل . وقال محمد بن جرير معطى علم السحر فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ لقد علمت ﴾ قرأ العامة بفتح التاء خطابا لفرعون ، وقرأ الكسائي بضم التاء ويروى ذلك عن علي وقال لم يعلم الخبيث أن موسى

رب السموات والارض بصائر) أي حججا وأدلة على صدق ماجئتك به (واني لاظنك يافرعون مثبوراً) أي هالكا قاله مجاهد وقتادة ، وقال ابن عباس ملعونا ، وقال أيضا هو والضحاك (مثبوراً) أي مغلوبا والهالك كما قال مجاهد يشمل هذا كله قال الشاعر

إذ أجاري الشيطان في سنن الغـ ـي ومن مال ميله مثبور

بمعنى هالك وقرأ بعضهم برفع التاء من قوله علمت وروي ذلك عن علي بن أبي طالب ولكن قراءة الجمهور بفتح التاء على الخطاب لفرعون (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) الآية فهذا كله مما يدل على أن المراد بالتسع الآيات انما هي ما تقدم ذكره من العصا واليد والسنين ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم التي فيها حجج وبراهين على فرعون وقومه وخوارق ودلائل على صدق موسى ووجود الفاعل المختار الذي أرسله ، وليس المراد منها كما ورد في هذا الحديث فان هذه الوصايا ليس فيها حجج على فرعون وقومه وأي مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فرعون؟ وما جاء هذا الوهم الا من قبل عبد الله ابن مسلم فان له بعض ماينكر والله أعلم ، ولعل ذينك اليهوديين انما سألا عن العشر الكلمات فاشتبه على الراوي بالتسع الآيات فحصل وهم في ذلك والله أعلم

وقوله (فأراد أن يستفزهم من الارض) أي يخليهم منها ويزيلهم عنها (فأغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض) وفي هذا بشارة لمحمد ﷺ بفتح مكة مع أن السورة مكية نزلت قبل الهجرة وكذلك وقع فان أهل مكة هموا باخراج الرسول منها كما قال تعالى (وإن كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها) الآيتين ولهذا أورث الله رسوله مكة فدخلها عنوة على أشهر القولين وقهر أهلها ثم أطلقهم حلما وكرما كما أورث الله القوم الذين كانوا يستضعفون من

على الحق ولو علم لآمن ولكن موسى هو الذي علم ، وقال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عاند قال الله تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) وهذه القراءة وهي نصب التاء أصح في المعنى وعليها أكثر القراء لان موسى لايحتج عليه بعلم نفسه ولا يثبت عن علي رفع التاء لانه روي عن رجل من مراد عن علي وذلك الرجل مجهول ولم يتمسك بها أحد من القراء غير الكسائي ﴿ ما أنزل هؤلاء ﴾ هذه الآيات التسع ﴿ إلا رب السموات والارض بصائر ﴾ جمع بصيرة أي يبصر بها ﴿ واني لأظنك يافرعون مثبورا ﴾ قال ابن عباس ملعونا ، وقال مجاهد هالكا ، وقال قتادة مهلكا وقال الفراء أي مصروفا ممنوعا عن الخير يقال ماثبرك عن هذا الامر أي مامنعك وصرفك عنه ﴿ فأراد أن يستفزهم ﴾ أي أراد فرعون أن يستفز موسى وبني إسرائيل أي يخرجهم ﴿ من الارض ﴾ يعني أرض مصر ﴿ فأغرقناه ومن معه جميعا ﴾ ونجينا موسى وقومه ﴿ وقلنا من بعده ﴾ أي من بعد هلاك فرعون ﴿ لبني اسرائيل اسكنوا الارض ﴾ يعني أرض مصر والشام ﴿ فاذا جاء وعد الآخرة ﴾ يعني يوم القيامة

بني إسرائيل مشارق الارض ومغاربها وأورثهم بلاد فرعون وأموالهم وزروعهم وثمارهم وكنوزهم كما قال كذلك وأورثنا بني اسرائيل وقال ههنا (وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا) أي جميعكم أنتم وعدوكم ▪ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك لفيفا أي جميعا.

وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيرا (١٠٥) وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا (١٠٦)

يقول تعالى مخبراً عن كتابه العزيز وهو القرآن المجيد إنه بالحق نزل أي متضمنا للحق كما قال تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون) أي متضمنا علم الله الذي أراد أن يطلعكم عليه من أحكامه وأمره ونهيه ▪ وقوله (وبالحق نزل) أي ونزل اليك يا محمد محفوظا محروسا لم يشب بغيره ولا زيد فيه ولا نقص منه بل وصل اليك بالحق فانه نزل به شديد القوى الامين المكين المطاع في الملأ الاعلى وقوله (وما أرسلناك) أي يا محمد (إلا مبشراً ونذيرا) مبشراً لمن أطاعك من المؤمنين ونذيرا لمن عصاك من الكافرين، وقوله (وقرآنا فرقناه) أما قراءة من قرأ بالتخفيف فمعناه فصلناه من اللوح المحفوظ الى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفرقا منجما على الوقائع الى رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة، قاله عكرمة عن ابن عباس . وعن ابن عباس أيضا أنه قرأ فرقناه بالتشديد أي أنزلناه آية آية مبينا مفسرا ولهذا قال لتقرأه على الناس أي لتبلغه الناس وتتلوه عليهم أي (على مكث) أي مهل (ونزلناه تنزيلا) أي شيئا بعد شيء.

قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان

﴿جئنا بكم لفيفا﴾ أي جميعا إلى موقف القيامة واللفيف الجمع الكثير اذا كانوا مختلطين من كل نوع يقال لفت الجيوش إذا اختلطوا وجمع القيامة كذلك فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر ▪ وقال الكلبي فاذا جاء وعد الآخرة يعني مجيء عيسى من السماء جئنا بكم لفيفا أي النزاع من كل قوم من ههنا وههنا لفوا جميعا ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾ يعني القرآن ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً﴾ للمطيعين ﴿ونذيراً﴾ للعاصين ﴿وقرآنا فرقناه﴾ قيل أنزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قراءة ابن عباس وقرآنا فرقناه بالتشديد وقراءة العامة بالتخفيف أي فصلناه وقيل بيناه، وقال الحسن معناه فرقنا به بين الحق والباطل ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ أي على تؤدة وترسل في ثلاث وعشرين سنة ﴿ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به أو لا تؤمنوا﴾ هذا على طريق الوعيد والتهديد ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾

سُجّداً (١٠٧) ويقولون سبحٰن ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا (١٠٨) ويخرون للاذقان

يبكون ويزيدهم خشوعا (١٠٩)

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء الكافرين بما جئتهم به من هذا القرآن العظيم (آمنوا به أو لا تؤمنوا) أي سواء آمنتم به أم لا فهو حق في نفسه أنزله الله ونوه بذكره في سالف الازمان في كتبه المنزلة على رسله ، ولهذا قال (ان الذين أوتوا العلم من قبله) أي من صالحي أهل الكتاب الذين تمسكوا بكتابهم ويقيمونه ولم يبدلوه ولا حرفوه (إذا يتلى عليهم) هذا القرآن (يخرون للاذقان) جمع ذقن وهو أسفل الوجه (سجداً) أي لله عز وجل شكراً على ما أنعم به عليهم من جعله إياهم أهلا ان أدركوا هذا الرسول الذي أنزل عليه هذا الكتاب ، ولهذا يقولون (سبحان ربنا) أي تعظيما وتوقيراً على قدرته التامة وأنه لا يخلف الميعاد الذي وعدهم على ألسنة الانبياء المتقدمين عن بعثة محمد ﷺ ولهذا قالوا (سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا)

وقوله (ويخرون للاذقان يبكون) أي خضوعا لله عز وجل وايمانا وتصديقا بكتابه ورسوله (ويزيدهم خشوعا) أي إيمانا وتسليما كما قال (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقوله (ويخرون) عطف صفة على صفة لا عطف السجود على السجود كما قال الشاعر:

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

قيل هم مؤمنو أهل الكتاب وهم الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله ﷺ ثم أسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وأبي ذر وغيرهم ﴿إذا يتلى عليهم﴾ يعني القرآن ﴿يخرون للأذقان﴾ أي يسقطون على الاذقان قال ابن عباس أراد بها الوجوه ﴿سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا﴾ أي كائنا واقعا ﴿ويخرون للأذقان يبكون﴾ أي يقعون على الوجوه يبكون والبكاء مستحب عند قراءة القرآن ﴿ويزيدهم﴾ نزول القرآن ﴿خشوعا﴾ خضوعا لربهم نظيره قوله تعالى (إذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجداً وبكيا) أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا ابو عمرو بن بكر بن محمد المزني ثنا ابو بكر محمد بن عبدالله الجنيد ثنا الحسن بن الفضل البجلي أنا عاصم عن علي بن عاصم ثنا المسعودي هو عبدالرحمن بن عبدالله عن محمد بن عبدالرحمن مولى أبي طلحة عن أبي عيسى بن طلحة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع » ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبدا » أخبرنا ابو القاسم بن عبدالكريم بن هوازن القشيري أنا ابو القاسم عبدالخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن أنا ابو احمد بن بكر بن محمد بن حمدان ثنا محمد بن يونس السكريمي أنبأنا عبدالله ابن محمد الباهلي ثنا ابو حبيب الغنوي ثنا بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله ﷺ

قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى، ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا (١١٠) وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليٌّ من الذل وكبِّره تكبيرا (١١١)

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين صفة الرحمة لله عز وجل المانعين من تسميته بالرحمن (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) أي لا فرق بين دعائكم باسم الله أو باسم الرحمن فانه ذو الاسماء الحسنى كما قال تعالى (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم - إلى أن قال - له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض) الآية، وقد روى مكحول أن رجلا من المشركين سمع النبي ﷺ وهو يقول في سجوده «يارحمن يارحيم» فقال إنه يزعم أنه يدعو واحداً وهو يدعو اثنين فانزل الله هذه الآية، وكذا روي عن ابن عباس رواهما ابن جرير، وقوله (ولا تجهر بصلاتك) الآية

قال الامام أحمد حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوار بمكة (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال كان إذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به قال فقال الله تعالى لنبيه ﷺ (ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبون القرآن (ولا تخافت بها) عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك (وابتغ بين ذلك سبيلا) أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي بشر جعفر بن إياس به، وكذا رواه الضحاك عن ابن عباس وزاد فلما هاجر إلى

يقول «حرمت النار على ثلاثة أعين: عين بكت من خشية الله، وعين سهرت في سبيل الله، وعين غضت عن محارم الله»

قوله جل وعلا ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ قال ابن عباس سجد رسول الله ﷺ بمكة ذات ليلة فجعل يبكي ويقول في سجوده «ياألله يارحمن» فقال ابو جهل ان محمدا ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعناه أنهما اسمان لواحد ﴿أيا ما تدعوا﴾ قيل ما صلة معناه أيا تدعوا من هذين الاسمين ومن جميع أسمائه ﴿فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ أخبرنا عبدالواحد بن احمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل أنا يعقوب بن ابراهيم ثنا هشيم ثنا ابو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تعالى لنبيه ﷺ

المدينة سقط ذلك يفعل أي ذلك شاء ، وقال محمد بن اسحاق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرقوا عنه وأبوا أن يسمعوا منه وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقا منهم فاذا رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يسمع فان خفض صوته ﷺ لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئا فأنزل الله (ولا تجهر بصلاتك) فيتفرقوا عنك (ولا تخافت بها) فلا يسمع من أراد أن يسمع ممن يسترق ذلك منهم فلعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به (وابتغ بين ذلك سبيلا) وهكذا قال عكرمة والحسن البصري وقتادة نزلت هذه الآية في القراءة في الصلاة ، وقال شعبة عن أشعث بن سليم عن الاسود بن هلال عن ابن مسعود ولا تخافت بها من أسمع أذنيه

قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته وان عمر كان يرفع صوته فقيل لأبي بكر لم تصنع هذا ؟ قال أناجي ربي عز وجل وقد علم حاجتي فقيل أحسنت . وقيل لعمر لم تصنع هذا ؟ قال أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان قيل أحسنت فلما نزلت (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) قيل لأبي بكر ارفع شيئا ، وقيل لعمر اخفض شيئا ، وقال أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس نزلت في الدعاء ، وهكذا روى الثوري ومالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها نزلت في الدعاء ، وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وابن عياض ومكحول وعروة بن الزبير ؛ وقال الثوري عن ابن عياش العامري عن عبد الله بن شداد قال كان أعرابي من بني تميم إذا سلم النبي ﷺ قال « اللهم ارزقني ابلا وولدا » قال فنزلت هذه الآية (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها)

﴿ قول آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا حفص بن غياث عن هشام بن عروة

(ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن (ولا تخافت بها) عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾ وبهذا الاسناد عن محمد بن اسماعيل قال : ثنا مسدد عن هشيم عن أبي بشر باسناده مثله وزاد (وابتغ بين ذلك سبيلا) أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن . وقال قوم نزلت الآية في الدعاء ، وهو قول عائشة رضي الله عنها والنخعي ومجاهد ومكحول . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا طلق بن غنام ثنا زائدة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قالت أنزل ذلك في الدعاء . وقال عبد الله بن شداد كان أعراب من بني تميم اذا سلم النبي ﷺ قالوا اللهم ارزقنا مالا وولداً فيجهرون بذلك فأنزل الله هذه الآية (ولا تجهر بصلاتك) أي لا ترفع صوتك بقراءتك أو بدعائك ولا تخافت بها والمخافتة خفض الصوت والسكوت وابتغ بين ذلك سبيلا أي بين الجهر والاخفاء . أخبرنا ابو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أنا ابو محمد عبد الجبار بن محمد الخزاعي أنا ابو العباس محمد بن احمد المحبوبي ثنا

عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها نزلت هذه الآية في التشهد (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) وبه قال حفص عن أشعث بن سوار عن محمد بن سيرين مثله

﴿قول آخر﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال لا تصل مرآة للناس ولا تدعها مخافة الناس، وقال الثوري عن منصور عن الحسن البصري (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال لاتحسن علانيتها وتسيء سريرتها وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن الحسن به وهشيم عن عوف عنه به وسعيد عن قتادة عنه كذلك

﴿قول آخر﴾ قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (وابتغ بين ذلك سبيلا) قال أهل الكتاب يخافتون ثم يجهر أحدهم بالحرف فيصيح به ويصيحون هم به وراءه فنهاه أن يصيح كما يصيح هؤلاء وأن يخافت كما يخافت القوم ثم كان السبيل الذي بين ذلك الذي سن له جبريل من الصلاة .

وقوله (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) لما أثبت تعالى لنفسه الكريمة الاسماء الحسنى نزه نفسه عن النقائص فقال (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك) بل هو الله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (ولم يكن له ولي من الذل) أي ليس بذليل فيحتاج إلى أن يكون له ولي أو وزير أو مشير بل هو تعالى خالق الاشياء وحده لاشريك له قال مجاهد في قوله (ولم يكن له ولي من الذل) لم يحالف أحدا ولم يبتغ نصر أحد (وكبره تكبيرا) أي عظمه وأجله عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيرا

قال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني أبو صخر عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية (الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) الآية قال ان اليهود والنصارى قالوا اتخذ الله ولدا وقالت العرب

أبو عيسى الترمذي ثنا محمود بن غيلان ثنا يحيى بن إسحاق ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الله ابن أبي رباح الانصاري عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال لأبي بكر « مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض صوتك » فقال اني أسمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا وقال لعمر « مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع صوتك » فقال اني أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال « اخفض قليلا »

قوله تعالى ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ﴾ أمر الله نبيه ﷺ بأن يحمده على وحدانيته ومعنى الحمد لله هو الثناء عليه بما هو أهله قال الحسين بن الفضل معناه الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولداً ﴿ ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل ﴾ قال مجاهد : لم يذل حتى يحتاج الى ولي يتعزز به ﴿ وكبره تكبيرا ﴾ أي وعظمه عن أن يكون له شريك أو ولي أخبرنا الامام أبو علي الحسين ابن محمد القاضي أنا الامام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان ثنا أبو العباس الاصم ثنا محمد بن اسحاق الصغاني ثنا نضر بن حماد أبو الحارث الوراق ثنا شعبة عن حبيب بن أبى ثابت قال سمعت سعيد ابن جبير يحدث عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « أول مايدعى الى الجنة يوم القيامة

لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك. وقال الصائبون والمجوس لولا أولياء الله لذل فأنزل الله هذه الآية (قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا) وقال أيضا حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن النبي ﷺ كان يعلم أهله هذه الآية (الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) الآية الصغير من أهله والكبير. قلت وقد جاء في حديث أن رسول الله ﷺ سمى هذه الآية آية العز وفي بعض الآثار أنها ما قرئت في بيت في ليلة فيصيبه سرق أو آفة والله أعلم

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا بشر بن سيحان البصري حدثنا حرب بن ميمون حدثنا موسى ابن عبيدة الزبيدي عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال خرجت أنا ورسول الله ﷺ ويده في يدي أو يدي في يده فأتى على رجل رث الهيئة فقال « أي فلان ما بلغ بك ما أرى » قال السقم والضر يارسول الله قال « ألا أعلمك كلمات تذهب عنك السقم والضر » قال ما يسرني ان شهدت بها معك بدرا أو أحدا قال فضحك رسول الله ﷺ وقال «وهل يدرك أهل بدر وأهل أحد ما يدرك الفقير القانع » قال فقال أبو هريرة يارسول الله اياي فعلمني قال « فقل يا أبا هريرة توكلت على الحي الذي لا يموت الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ». قال فأتى علي رسول الله وقد حسنت حالي قال فقال لي «مهيم» قال قلت يارسول الله لم أزل أقول الكلمات التي علمتني. اسناده ضعيف وفي متنه نكارة والله أعلم

(آخر تفسير سورة سبحان ولله الحمد والمنة)

الحامدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء « أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسن بن بشران أنا اسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنبأنا عبد الرزاق ثنا معمر عن قتادة أن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ « الحمد لله رأس الشكر ماشكر الله عبد لا يحمده » أخبرنا أبو الفضل بن زياد ابن محمد الحنفي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد الانصاري أنا أبو محمد يحيي بن محمد بن صاعد ثنا يحيى بن خالد بن أيوب المخزومي ثنا موسى بن ابراهيم بن كثير بن بشر الخزامي الانصاري عن طلحة بن خراش عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « إن أفضل الدعاء الحمد لله، وافضل الذكر لا إله إلا الله » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجعد ثنا زهير ثنا منصور عن هلال بن يساف عن الربيع بن خثيم عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ « أحب الكلام الى الله تعالى أربع لا إله إلا الله » والله أكبر » وسبحان الله ، والحمد لله لا يضرك بأيهن بدأت »

تفسير سورة الكهف وهي مكية

ذكر ماورد في فضلها والعشر الآيات من أولها وآخرها وأنها عصمة من الدجال. قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي اسحاق قال سمعت البراء يقول : قرأ رجل الكهف وفي الدار دابة فجعلت تنفر فنظر فاذا ضبابة أو سحابة قد غشيته فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال « اقرأ فلان فانها السكينة تنزل عند القرآن أو تنزلت للقرآن » أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة به وهذا الرجل الذي كان يتلوها هو أسيد بن حضير كما تقدم في تفسير سورة البقرة . وقال الامام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا همام بن يحيى عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي من حديث قتادة به « ولفظ الترمذي » من حفظ ثلاث آيات من أول الكهف « وقال حسن صحيح

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن قتادة سمعت سالم بن أبي الجعد يحدث عن معدان عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ العشر الاواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » ورواه مسلم أيضاً والنسائي من حديث قتادة به « وفي لفظ النسائي « من قرأ عشر آيات من الكهف » فذكره

﴿ حديث آخر ﴾ وقد رواه النسائي في اليوم والليلة عن محمد بن عبد الاعلى عن خالد عن شعبة عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان عن رسول الله ﷺ أنه قال « من قرأ العشر الاواخر من سورة الكهف فانه عصمة له من الدجال » فيحتمل أن سالما سمعه من ثوبان ومن أبي الدرداء . وقال أحمد حدثنا حسين حدثنا ابن لهيعة حدثنا ثوبان بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال « من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت » نوراً من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نوراً مابين السماء والارض » انفرد به أحمد ولم يخرجوه .

وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره باسناد له غريب عن خالد بن سعيد بن أبي مريم عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه الى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له مابين الجمعتين » وهذا الحديث في رفعه نظر وأحسن أحواله الوقف . وهكذا روى الامام سعيد بن منصور في سننه عن هشيم بن بشير عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عبادة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور مابينه وبين البيت العتيق . هكذا وقع موقوفا ، وكذا رواه الثوري عن أبي هاشم به من حديث أبي سعيد الخدري « وقد أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي بكر محمد بن

المؤمل حدثنا الفضيل بن محمد الشعراني حدثنا نعيم بن حماد حدثنا هشيم حدثنا أبو هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور مابينه وبين الجمعتين » ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه

وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في سننه عن الحاكم ، ثم قال البيهقي ورواه يحيى بن كثير عن شعبة عن أبي هاشم باسناده أن النبي ﷺ قال « من قرأ سورة الكهف كما نزلت كانت له نوراً يوم القيامة » وفي المختارة للحافظ الضياء المقدسي عن عبدالله بن مصعب عن منظور بن زيد بن خالد الجهني عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي مرفوعا « من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنه ، وإن خرج الدجال عصم منه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتٰب ولم يجعل له عوجا (١) قيّما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصٰلحٰت أن لهم أجراً حسنا (٢) مٰكثين فيه أبداً (٣) وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً (٤) مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا (٥)

قد تقدم في أول التفسير أنه تعالى يحمد نفسه المقدسة عند فواتح الامور وخواتمها فانه المحمود على كل حال وله الحمد في الاولى والآخرة ولهذا حمد نفسه على انزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه فانه أعظم نعمة أنعمها على أهل الارض إذ أخرجهم به من الظلمات إلى النور حيث جعله كتابا مستقيما لااعوجاج فيه ولا زيغ بل يهدي إلى صراط مستقيم واضحا بينا جلياً نذيراً

﴿ سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ﴾ أثنى الله على نفسه بانعامه على خلقه وخص رسوله ﷺ بالذكر لان انزال القرآن عليه كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم ﴿ ولم يجعل له عوجا ٭ قيما ﴾ فيه تقديم وتأخير معناه انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا (قيما) أي مستقيما قال ابن عباس عدلا وقال الفراء قيما على الكتب كلها أي مصدقا لها ناسخا لشرائعها وقال قتادة ليس على التقديم والتأخير بل معناه أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ولكن جعله قيما

للكافرين بشيراً للمؤمنين ولهذا قال (ولم يجعل له عوجا) أي لم يجعل فيه اعوجاجا ولا زيغا ولا ميلا بل جعله معتدلا مستقيما ولهذا قال (قيما) أي مستقيما (لينذر بأسا شديداً من لدنه) أي لمن خالفه وكذبه ولم يؤمن به ينذره بأسا شديداً عقوبة عاجلة في الدنيا وآجلة في الاخرى (من لدنه) أي من عند الله الذي لا يعذب عذابه أحد ، ولا يوثق وثاقه أحد (ويبشر المؤمنين) أي بهذا القرآن الذين صدقوا ايمانهم بالعمل الصالح (أن لهم أجراً حسنا) أي مثوبة عند الله جميلة (ماكثين فيه) في ثوابهم عند الله وهو الجنة خالدين فيه (أبداً) دائما لا زوال له ولا انقضاء.

وقوله (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) قال ابن اسحاق وهم مشركو العرب في قولهم نحن نعبد الملائكة وهم بنات الله (مالهم به من علم) أي بهذا القول الذي افتروه وائتفكوه (ولا لآبائهم) أي لاسلافهم (كبرت كلمة) نصب على التمييز تقديره كبرت كلمتهم هذه وقيل على التعجب تقديره أعظم بكلمتهم كلمة كما تقول أكرم بزيد رجلا قاله بعض البصريين ، وقرأ ذلك بعض قراء مكة كبرت كلمة كما يقال عظم قولك وكبر شأنك ، والمعنى على قراءة الجمهور أظهر فان هذا تبشيع لمقالتهم واستعظام لافكهم ولهذا قال (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) أي ليس لها مستند سوى قولهم ولا دليل لهم عليها الا كذبهم وافتراؤهم ولهذا قال (إن يقولون الا كذبا) وقد ذكر محمد بن اسحاق سبب نزول هذه السورة الكريمة فقال: حدثني شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال : بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط الى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فانهم أهل الكتاب الاول وعندهم ماليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقالا انكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، قال فقالوا لهم سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فرجل متقول فروا فيه رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من أمرهم فانهم قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبؤه ، وسلوه عن الروح ماهو ؟ فان أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وان لم يخبركم فانه رجل متقول فاصنعوا في أمره مابدا لكم ، فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا يامعشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فاخبروهم بها فجاءوا رسول الله ﷺ

قوله عز وجل (ولم يجعل له عوجا) أي مختلفا على ماقال الله تعا (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً) وقيل معناه لم يجعله مخلوقا وروي عن ابن عباس في قوله (قرآنا عربيا غير ذي عوج أي غير مخلوق ﴿ لينذر بأسا شديداً ﴾ أي لينذر ببأس شديد ﴿ من لدنه ﴾ أي من عنده ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسنا ﴾ أي الجنة ﴿ ماكثين فيه أبداً ﴾ أي مقيمين فيه ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا * مالهم به من علم ولا لآبائهم ﴾ أي قالوه عن جهل

فقالوا يامحمد أخبرنا فسألوه عما أمروهم به فقال لهم رسول الله ﷺ « أخبركم غداً عما سألتم عنه ولم يستثن » فانصرفوا عنه ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لايحدث الله له في ذلك وحيا ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لايخبرنا بشيء مما سألناه عنه وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه وشق عليه مايتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ماسألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف ، وقول الله عز وجل (ويسئلونك عن الروح ؟ قل الروح) الآية

فلعلك باخع نفسك على آثرهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا (٦) انا جعلنا ماعلى

الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا (٧) وإنا لجاعلون ماعليها صعيداً جرزاً (٨)

يقول تعالى مسليا لرسوله صلوات الله وسلامه عليه في حزنه على المشركين لتركهم الايمان وبعدهم عنه كما قال تعالى (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وقال (ولا تحزن عليهم) وقال (لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين) باخع أي مهلك نفسك بحزنك عليهم ولهذا قال (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) يعني القرآن (أسفا) يقول لاتهلك نفسك أسفا ، قال قتادة قاتل نفسك غضبا وحزنا عليهم ، وقال مجاهد جزعا والمعنى متقارب أي لاتأسف عليهم بل أبلغهم رسالة الله فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ، ثم أخبر تعالى أنه جعل الدنيا فانية مزينة بزينة زائلة ، وانما جعلها دار اختبار لادار قرار فقال (انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) قال قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال « ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء » ثم أخبر تعالى بزوالها وفنائها وفراغها وانقضائها وذهابها وخرابها فقال تعالى (وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزاً) أي وانا لمصيروها بعد الزينة إلى الخراب والدمار فنجعل كل شيء عليها هالكا صعيداً جرزاً لاينبت ولا ينتفع به كما قال العوفي عن

لاعن علم ﴿ كبرت ﴾ أي عظمت ﴿ كلمة ﴾ نصب على التمييز يقال تقديره كبرت الكلمة كلمة وقيل من كلمة فحذف من فانتصب ﴿ تخرج من افواههم ﴾ أي تظهر من افواههم ﴿ إن يقولون ﴾ مايقولون ﴿ إلا كذبا * فلعلك باخع نفسك ﴾ قاتل نفسك ﴿ على آثارهم ﴾ من بعدهم ﴿ ان لم يؤمنوا بهذا الحديث ﴾ أي القرآن ﴿ أسفا ﴾ أي حزنا وقيل غضبا ﴿ إنا جعلنا ماعلى الارض زينة لها ﴾ فان قيل أي زينة في الحيات والعقارب والشياطين ؟ قيل فيها زينة على معنى انها تدل على وحدانية الله تعالى وقال مجاهد أراد به الرجال خاصة هم زينة الارض وقيل أراد بهم العلماء والصلحاء وقيل الزينة بالنبات

ابن عباس في قوله تعالى (وانا لجاعلون ماعليها صعيداً جرزاً) يقول يهلك كل شيء عليها ويبيد ، وقال مجاهد صعيداً جرزاً بلقعا ، وقال قتادة الصعيد الارض التي ليس فيها شجر ولا نبات ، وقال ابن زيد الصعيد الارض التي ليس فيها شيء ألا ترى الى قوله تعالى [أولم يروا انا نسوق الماء إلى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون] وقال محمد بن اسحاق [وانا لجاعلون ماعليها صعيداً جرزاً] يعني الارض وان ماعليها لفان وبائد ، وان المرجع لالى الله فلا تأس ولا يحزنك ماتسمع وترى

أم حسبتَ أن أصحٰبَ الكهف والرقيم كانوا من آيٰتنا عجبا (٩) إذ أوى الفِتيةُ إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيِّئ لنا من أمرنا رَشَدا (١٠) فضربنا على آذانهم في الكهف سنينَ عددا (١١) ثم بعثنٰهم لنعلم أيُّ الحزبين أحصىٰ لما لبثوا أمدا (١٢)

هذا إخبار من الله تعالى عن قصة أصحاب الكهف على سبيل الاجمال والاختصار ثم بسطها بعد

والاشجار والانهار كما قال (حتى إذا أخذت الارض زخرفها وازينت) « لنبلوهم » لنختبرهم « أيهم أحسن عملا » أي اصلح عملا وقيل أيهم اترك للدنيا « وإنا لجاعلون ماعليها صعيداً جرزا » فالصعيد وجه الارض وقيل هو التراب جرزاً يابسا أملس لاينبت شيئا يقال جرزت الارض اذا أكل نباتها

قوله تعالى « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا » يعني أظننت يامحمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا أي هم عجب من آياتنا وقيل معناه انهم ليسوا بأعجب من آياتنا فان ماخلقت من السموات والارض وما فيهن من العجائب أعجب منهم . والكهف هو الغار في الجبل واختلفوا في الرقيم قال سعيد بن جبير هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصصهم وهذا أظهر الاقاويل ثم وضعوه على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة فعلى هذا يكون الرقيم بمعنى المرقوم أي المكتوب والرقم الكتابة . وحكي عن ابن عباس انه قال هو اسم للوادي الذي فيه أصحاب الكهف وعلى هذا هو من رقمة الوادي وهو جانبه . وقال كعب الاحبار هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذي فيه الكهف ثم ذكر الله قصة أصحاب الكهف فقال « اذ أوى الفتية الى الكهف » أي صاروا اليه واختلفوا في سبب مصيرهم الى الكهف فقال محمد بن اسحاق ومحمد بن يسار مزج أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله وتوحيده فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم ولا يترك في قرية نزلها أحداً إلا فتنه حتى يعبد

ذلك فقال (أم حسبت) يعني يامحمد (أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أي ليس أمرهم عجيبا في قدرتنا وسلطاننا فان خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى وأنه على ما يشاء قادر ولا يعجزه شيء أعجب من أخبار أصحاب الكهف كما قال ابن جريج عن مجاهد (أم حسبت أن أصحاب

الاصنام ويذبح للطواغيت أو قتله حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهي أفسوس فلما نزلها كبر على أهل الايمان فاستخفوا منه وهربوا في كل وجه وكان دقيانوس حين قدمها أمر أن يتبع أهل الايمان فيجمعوا ، واتخذ شرطا من الكفار من أهلها يتبعون أهل الايمان في أماكنهم فيخرجونهم الى دقيانوس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت ، فمنهم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الايمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ثم يربط ماقطع من اجسامهم على سور المدينة من نواحيها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة ، فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديداً فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من أشراف الروم وكانوا ثمانية نفر بكوا وتضرعوا الى الله وجعلوا يقولون (ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذاً شططا) ان عبدنا غيره اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة ، وارفع عنهم هذا البلاء حتى يعلنوا عبادتك . فبينما هم على مثل ذلك وقد دخلوا في مصلى لهم أدركهم الشرط فوجدوهم وهم سجود على وجوههم يبكون ويتضرعون الى الله فقالوا لهم ماخلفكم عن أمر الملك؟ انطلقوا اليه ثم خرجوا فرفعوا أمرهم الى دقيانوس فقالوا تجمع الناس للذبح لآلهتك وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يستهزئون بك ويعصون أمرك . فلما سمع ذلك بعث اليهم فأتي بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب فقال لهم مامنعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الارض وتجعلوا أنفسكم أسوة لسادات من أهل مدينتكم ، اختاروا إما أن تذبحوا لآلهتنا وإما أن أقتلكم ؟ فقال مكسلمينا وهو أكبرهم سنا : إن لنا إلهاً ملأ السموات والارض عظمة لن ندعو من دونه إلها أبداً له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصاً أبداً إياه نعبد وإياه نسأل النجاة والخير ، فأما الطواغيت فلن نعبدها أبداً فاصنع بنا مابدا لك . وقال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ماقال مكسلمينا ، فلما قالوا ذلك أمر فنزع عنهم لبوسا كان عليهم من لبوس عظمائهم ثم قال سأفرغ لكم فأنجز لكم ماأوعدتكم من العقوبة وما يمنعني أن أعجل ذلك لكم إلا اني أراكم شبانا حديثة أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا تذكرون فيه وتراجعون عقولكم ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم، ثم أمرهم فأخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة سوى مدينتهم قريبا منهم لبعض أموره ، فلما رأى الفتية خروجه بادروا قدومه وخافوا اذا قدم مدينتهم أن يذكر بهم فائتمروا بينهم أن يأخذ كل رجل

الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) يقول قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك . وقال العوفي عن ابن عباس (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) يقول الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم ، وقال محمد بن اسحاق ماأظهرت من حججي على العباد أعجب من شأن أصحاب الكهف والرقيم ، وأما الكهف فهو الغار في الجبل وهو الذي لجأ

منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له مخلوس فيمكثون فيه ويعبدون الله حتى اذا جاء دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ماشاء ، فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم الى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها ، ثم انطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه . قال كعب الاحبار مروا بكلب فتبعهم فطردوه ففعل ذلك مراراً فقال لهم الكلب ياقوم ماتريدون مني لاتخشون جانبي فأنا أحب أحباب الله فناموا حتى أحرسكم . وقال ابن عباس هربوا ليلا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعه كلبه فخرجوا من البلد الى الكهف وهو قريب من البلد قال ابن اسحاق فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد ابتغاء وجه الله وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال له تمليخا فكان يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سراً وكان من أجملهم وأجلدهم وكان اذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا ويأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ ورقة فينطلق الى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكر هو وأصحابه بشيء ، ثم يرجع الى أصحابه فلبثوا بذلك مالبثوا ، ثم قدم دقيانوس المدينة فأمر عظماء أهلها فذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك أهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشتري لاصحابه طعامهم فرجع الى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل وأخبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ففزعوا ووقعوا سجوداً يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة . ثم ان تمليخا قال لهم ياإخوتاه ارفعوا رءوسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رءوسهم وأعينهم تفيض من الدمع فطعموا وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضا فبينا هم على ذلك إذ ضرب الله على آذانهم النوم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فأصابه ماأصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رءوسهم ، فلما كان من الغد فقدهم دقيانوس فالتمسهم فلم يجدهم فقال لبعضهم لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا ظنوا أن بي غضبا عليهم لجهلهم ماجهلوا من أمري ما كنت لأحمل عليهم ان هم تابوا وعبدوا آلهتي . فقال عظماء المدينة ماأنت بحقيق أن ترحم قوما فجرة مردة عصاة قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاءوا لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا ، فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديداً ثم أرسل الى آبائهم فأتي بهم فسألهم عنهم فقال أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا له أما نحن فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة

اليه هؤلاء الفتية المذكورن ، وأما الرقيم فقال العوفي عن ابن عباس هو واد قريب من إيلة و كذا قال عطية العوفي وقتادة . وقال الضحاك أما الكهف فهو غار الوادي والرقيم اسم الوادي ، وقال مجاهد الرقيم كتاب بنيانهم ويقول بعضهم هو الوادي الذي فيه كهفهم

وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله الرقيم كان

قد ذهبوا بأموالنا فأهلكوها في أسواق المدينة ثم انطلقوا وارتقوا الى جبل يدعى بنجلوس. فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل لايدري مايصنع بالفتية فألقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم ، وأراد الله أن يكرمهم ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم ان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من في القبور ، فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوهم كما هم في الكهف يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروه قبراً لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون مايصنع بهم وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيهم ماغشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ، ثم ان رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم أحدهما بيندوسيس والآخر روپانس ائتمرا أن يكتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم ففعلا وبنيا عليه فبقي دقيانوس مابقي ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك ، وقال عبيد ابن عمير كان أصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوي ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التي يعبدونها وقد قذف الله في قلوب الفتية الايمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد منهم ايمانه فقالوا في أنفسهم نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لايصيبنا عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك ثم خرج الآخر فاجتمعوا في مكان فقال بعضهم لبعض ماجمعكم وكل واحد يكتم صاحبه إيمانه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتى فيخلو بصاحبه ثم يفشي كل واحد منكم سره الى صاحبه ففعلوا فاذا هم جميعا على الايمان واذا كهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا وفقدهم قومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فكتبوا أسماءهم وانسابهم في لوح فلان وفلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في شهر كذا في سنة كذا في مملكة فلان بن فلان ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا ليكونن لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن . وقال وهب بن منبه جاء حواري عيسى عليه السلام الى مدينة أصحاب الكهف فأراد ان يدخلها فقيل له إن على بابها صنما لايدخلها

بزعم كعب أنها القرية ، وقال ابن جريج عن ابن عباس الرقيم الجبل الذي فيه الكهف » وقال ابن اسحاق عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال اسم ذلك الجبل بنجلوس ، وقال ابن جريج أخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي أن اسم جبل الكهف بنجلوس واسم الكهف حيزم والكلب حمران .

أحد إلا يسجد له فكره أن يدخلها فأتى حماما قريبا من المدينة فكان يؤاجر نفسه من الحمامي ويعمل فيه ورأى صاحب الحمام في حمامه البركة واجتمع عليه فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا وصدقوه وكان شرط صاحب الحمام أن الليل لي لا يحول بيني وبينه ولا بين الصلاة أحد وكان على ذلك حتى أتى ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام فعيره الحواري وقال أنت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحيا وذهب فرجع مرة اخرى فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت الى مقالته حتى دخلا معا فماتا في الحمام ، وأتى الملك فقيل له قتل صاحب الحمام ابنك فالتمس فلم يقدر عليه وهرب فقال من كان يصحبه » فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم على مثل ايمانهم فانطلق معهم ومعه كلب حتى آواهم الليل الى الكهف فدخلوه وقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح ان شاء الله تعالى فترون رأيكم فضرب الله على آذانهم فخرج الملك في أصحابه يتبعونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف فلما أراد رجل منهم دخوله أرعب فلم يطق أحد أن يدخله فقال قائل منهم أليس لو قدرت عليهم قتلتهم؟ قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتون جوعا ففعل قال وهب فغبر بعد ماسدوا عليهم باب الكهف زمان بعد زمان ثم إن راعيا أدركه المطر عند الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف وأدخلت غنمي فيه من المطر فأكنه من المطر فلم يزل يعالجه حتى فتح ورد الله عليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا

وقال محمد بن اسحاق ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له يندوسيس فلما ملك بقي في ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس في ملكه فكانوا أحزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فبكى وتضرع الى الله وحزن حزنا شديداً لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون لا حياة إلا حياة الدنيا وإنما تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد فجعل يندوسيس يرسل الى من يظن فيهم خيراً وأنهم أئمة في الخلق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته وأغلقه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رماداً فجلس عليه فدأب ليله ونهاره زمانا يتضرع الى الله تعالى ويبكي كله ويقول : أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء . فابعث اليهم آية تبين لهم بطلان ماهم عليه . ثم إن الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد أراد أن يظهر الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لاريب فيها ويستجيب لعبده الصالح يندوسيس

وقال عبد الرزاق أنبأنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال القرآن أعلمه الا حنانا والاواه والرقيم ¤ وقال ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة يقول قال ابن عباس ما أدري ما الرقيم كتاب أم بنيان ؟

ويتم نعمته عليه وأن يجمع من كان تبدد من المؤمنين فالقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي فيه الكهف وكان اسم ذلك الرجل أولياس أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة لغنمه فاستأجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان تلك الحظيرة حتى نزعا ما على فم الكهف وفتحا باب الكهف وحجبهم الله عن الناس بالرعب ، فلما فتحا باب الكهف أذن الله ذو القدرة والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون فيها اذا أصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا الوانهم شيء ينكرونه كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن دقيانوس في طلبهم. فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقاتهم أنبئنا ما الذي قال الناس في شأننا عشية أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد تخيل اليهم انهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما ؟ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ثم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم تمليخا التمستم في المدينة فلم توجدوا وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم فتذبحون للطواغيت أو يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم عدو الله . ثم قالوا لتمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها وما الذي يذكر عند دقيانوس وتلطف ولا تشعرن بك أحداً وابتع لنا طعاما فائتنا به وزدنا على الطعام الذي جئتنا به فقد أصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها وأخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس فكانت كخفاف الربع والربع أول ماينتج من ولد الضأن في الربيع . فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفيا يصد عن الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما أتى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لاهل الايمان اذا كان أمر الايمان ظاهراً فيها ، فلما رآها عجب وجعل ينظر اليها مستخفيا وجعل ينظر يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب فتحول الى باب آخر من أبوابها فرأى مثل ذلك فجعل يخيل اليه ان المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى ناسا كثيرين محدثين لم يكن يراهم قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل اليه انه حيران ثم رجع الى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الرقيم الكتاب ، وقال سعيد بن جبير الرقيم لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الرقيم الكتاب ثم قرأ كتاب مرقوم ، وهذا هو الظاهر من الآية وهو اختيار ابن جرير قال الرقيم فعيل بمعنى مرقوم كما يقال للمقتول قتيل وللمجروح جريح والله

ياليت شعري ماهذا ؟ أمّا عشية أمس فكان المسلمون يخبئون هذه العلامة ويستخفون بها وأما اليوم فانها ظاهرة لعلي نائم ثم يرى انه ليس بنائم ، فأخذ كساءه وجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين ظهراني سوقها فيسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا ورأى انه حيران فقام مسنداً ظهره الى جدار من جدر المدينة وقال في نفسه والله ماأدري ماهذا أما عشية أمس فليس على ظهر الارض انسان يذكر عيسى بن مريم إلا قتل وأما الغداة فأسمعهم وكل انسان يذكر اسم عيسى ولا يخاف أحداً ، ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف والله ماأعرف مدينة قرب مدينتنا فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له مااسم هذه المدينة يافتى ؟ قال اسمها افسوس. فقال في نفسه لعل بي مساً أو أمراً أذهب عقلي والله يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزى فيها أو يصيبني شر فأهلك ثم انه أفاق فقال والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بي لكان أكيس بي ، فدنا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التي كانت معه فأعطاها رجلا منهم فقال بعني بهذه الورق طعاما فأخذها الرجل فنظر الى ضرب الورق ونقشها فعجب منها ثم طرحها الى رجل آخر من أصحابه فنظر اليها فجعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها ثم جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا أصاب كنزاً خبيئا في الارض منذ زمان ودهر طويل . فلما رآهم تمليخا يتشاورون من أجله فرق فرقا شديداً وجعل يرتعد ويظن انهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون أن يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرفونه فلا يعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق منهم أفضلوا عليّ قد أخذتم ورقي فامسكوها وأما طعامكم فلا حاجة لي به ؟ فقالوا له من أنت يافتى وما شأنك والله لقد وجدت كنزاً من كنوز الاولين وأنت تريد أن تخفيه منا فانطلق معنا وأرنا وشاركنا فيه نخفف عليك ما وجدت فانك ان لم تفعل نأت بك الى السلطان فنسلمك اليه فيقتلك . فلما سمع قولهم قال في نفسه قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه ، فقالوا يافتى انك والله لاتستطيع أن تكتم ماوجدت . فجعل تمليخا لايدري مايقول لهم وما يرجع اليهم وفرق حتى مايحير اليهم شيئا ، فلما رأوه لايتكلم أخذوا كساءه فطرحوه في عنقه ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قد أخذ رجل معه كنز فاجتمع اليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم فجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ماهذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فينا قط وما نعرفه قط ، فجعل تمليخا لايدري مايقول لهم ، فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق وسكت فلم يتكلم وكان مستيقنا ان أباه واخوته

أعلم ، وقوله (إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا) يخبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه فهربوا منهم فلجؤا إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم فقالوا حين دخلوا سائلين من الله تعالى رحمته ولطفه بهم (ربنا آتنا من

بالمدينة وان حسبه ونسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها وانهم سيأتونه اذا سمعوا به ، فبينا هو قائم كالحيران ينتظر من يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم اذ اختطفوه وانطلقوا به الى رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر طنطيوس ، فلما انطلق به اليهما ظن تمليخا انه ينطلق به الى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه يسخرون من المجنون وجعل تمليخا يبكي ثم رفع رأسه الى السماء فقال في نفسه اللهم إله السماء وإله الارض أفرغ اليوم علي صبراً وأولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار ، وجعل يبكي ويقول في نفسه فرق بيني وبين اخوتي ياليتهم يعلمون مالقيت ياليتهم يأتوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا كنا تواثقنا لنكونن معا لانكفر بالله ولا نشرك به شيئا ، فرق بيني وبينهم فلن يروني ولن أرهم أبداً وكنا تواثقنا أن لا نفترق في حياة ولا موت أبداً. يحدث به نفسه تمليخا فما يخبر أصحابه حين يرجع اليهم حتى انتهوا الى الرجلين الصالحين أريوس وطنطيوس ، فلما رأى تمليخا انه لايذهب به الى دقيانوس أفاق وذهب عنه البكاء فأخذ أريوس وطنطيوس الورق فنظرا اليها وعجبا منها ثم قال أحدهما أين الكنز الذي وجدت يافتى ؟ فقال تمليخا ماوجدت كنزاً ولكن هذا ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ماشأني وما أقول لكم . فقال أحدهما فمن أنت؟ فقال تمليخا أما أنا فكنت أرى اني من أهل هذه المدينة . فقال ومن أبوك ومن يعرفك فيها ؟ فأنبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحداً يعرفه ولا أباه . فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لاتنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا مايقول لهم غير انه نكس بصره الى الارض ، فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون . وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمداً لكي يفلت منكم . فقال له أحدهما ونظر اليه نظراً شديداً أتظن انا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك ونقش هذه الورق وضربها أكثر من ثلثمائة سنة وانما أنت غلام شاب أتظن انك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط كما ترى وحولك سراة أهل المدينة وولاة امرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار واني لاظنني سآمر بك فتعذب عذابا شديداً ثم أوثقك حتى تعرف بهذا الكنز الذي وجدته . فلما قال ذلك قال لهم تمليخا أنبئوني عن شيء أسألكم عنه فان فعلتم صدقتكم عما عندي . قالوا سل لانكتمك شيئا . قال لهم مافعل الملك دقيانوس ؟ قالوا لانعرف اليوم على وجه الارض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن إلا ملك هلك منذ زمان ودهر طويل وهلكت بعده قرون كثيرة . فقال تمليخا اني إذاً لحيران وما يصدقني أحد من الناس بما أقول لقد كنا فتية على دين واحد وهو الاسلام وإن الملك

لدنك رحمة) أي هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها وتسترنا عن قومنا (وهيء لنا من أمرنا رشدا) أي وقدر لنا من أمرنا هذا رشدا أي اجعل عاقبتنا رشداً كما جاء في الحديث «وماقضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبته رشدا » وفي المسند من حديث بسر بن أرطاة عن رسول الله ﷺ أنه كان يدعو « اللهم أحسن عاقبتنا في الامور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة »

أكرهنا على عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فنمنا فلما انتبهنا خرجت لاشتري لهم طعاما وأتجسس الاخبار فاذا أنا كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف أريكم أصحابي. فلما سمع أريوس مايقول تمليخا قال ياقوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم على يدي هـذا الفتى فانطلقوا بنا معه يرنا أصحابه . فانطلق معه أريوس وطنطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو الكهف لينظروا اليهم ، ولما رأى الفتية أصحاب الكهف تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القـدر الذي كان يأتي به ظنوا أنه قد أخـذ فذهب به الى ملكهم دقيانوس ، فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه إذ سمعوا الاصوات وجلب الخيل مصعدة نحوهم فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس بعث اليهم ليؤتى بهم ، فقاموا الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تمليخا فانه الآن بين يدي الجبار ينتظر متى نأتيه ، فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهراني الكهف لم يروا إلا اريوس وأصحابه وقوفا على باب الكهف وسبقهم تمليخا فدخل عليهم وهو يبكي ، فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم سألوه عن شأنه فأخبرهم وقص عليهم القصة والنبأ كله فعرفوا عند ذلك انهـم كانوا نيـاما ذلك الزمان كله بأمر الله وانما أوقظوا ليكونوا آية للنـاس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لاريب فيها ، ثم دخل على أثر تمليخا اريوس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عنـدهم فوجدوا فيـه لوحين من رصاص مكتوبا فيهمـا ان مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونس ويبرونس وديموس وبطيوس والكلب اسمه قطمير كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبـار مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا هـذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وإنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم . فلما قرءوه عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية البعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الى الكهف فوجدوهم جلوسا بين ظهرانيهم مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم ، فخر اريوس وأصحابه سجوداً وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأنبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس، ثم ان اريوس وأصحابه بعثوا بريداً إلى ملكهم الصالح بندوسيس أن عجل لعلك تنظر الى آية من آيات الله جعلها الله في ملكك وجعلها آية للعالمين لتكون لهم نوراً وضياء وتصديقا للبعث فاعجل الى فتية بعثهم الله عز وجل وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة . فلما أتى الملك الخبر رجع اليه عقله وذهب عنه غمه

وقوله (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا) أي القينا عليهم النوم حين دخلوا الى الكهف فناموا سنين كثيرة (ثم بعثناهم) أي من رقدتهم تلك وخرج أحدهم بدراهم معه ليشتري لهم بها طعاما يأكلونه كما سيأتي بيانه وتفصيله ، ولهذا قال (ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين) أي المختلفين فيهم (أحصى

فقال أحمد الله رب السموات والارض وأعبدك وأسبح لك تطولت علي ورحمتني فلم تطفيء النور الذي كنت جعلته لآبائي وللعبد الصالح قسطنطينوس الملك ، فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا اليه وساروا معه حتى أتوا مدينة دقسوس فتلقاهم أهل المدينة وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف فلما رأى الفتية يندوسيس فرحوا به وخروا سجداً على وجوهم وقام يندوسيس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية ليندوسيس نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن ، فبينما الملك قائم إذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أنفسهم وقام الملك اليهم فجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب ، فلما أمسى ونام أتوه في المنام فقالوا له اننا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكنا خلقنا من تراب وإلى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه . فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم ، فأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً يصلى فيه وجعل لهم عيداً عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة . وقيل ان تمليخا لما حمل الى الملك الصالح قال له الملك من أنت ؟ قال أنا رجل من أهل هذه المدينة وذكر انه خرج أمس أو منذ أيام وذكر منزله وأقواما لم يعرفهم أحد وكان الملك قد سمع ان فتية فقدوا في الزمن الاول وان أسماءهم مكتوبة على اللوح بالخزانة فدعا باللوح ونظر في أسمائهم فاذا هو من أولئك القوم وذكر أسماء الآخرين فقال تمليخا هم أصحابي فلما سمع الملك ذلك ركب ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تمليخا دعوني حتى أدخل على أصحابي فأبشرهم فانهم ان رأوكم معي ارعبتموهم فدخل فبشرهم فقبض الله أرواحهم وأعمى عليهم أثرهم فلم يهتدوا اليهم مرة ثانية وذلك قوله عز وجل ﴿ اذ أوى الفتية الى الكهف ﴾ أي صاروا الى الكهف يقال أوى فلان الى موضع كذا أي اتخذه منزلا ، الى الكهف وهو غار في جبل تنلوس واسم الكهف جيرم ﴿ فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة ﴾ ومعنى الرحمة الهداية في الدين وقيل الرزق ﴿ وهيء لنا ﴾ يسر لنا ﴿ من أمرنا رشدا ﴾ أي ما نلتمس من خير رضاك وما فيه رشدنا ، وقال ابن عباس (رشداً) أي مخرجا من الغار في سلامة ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ أي أنمناهم وألقينا عليهم النوم ، وقيل معناه منعنا نفوذ الاصوات إلى مسامعهم فان النائم اذا سمع الصوت ينتبه ﴿ في الكهف سنين عدداً ﴾ أي أنمناهم سنين معدودة وذكر العدد على سبيل التأكيد ، وقيل ذكره يدل على الكثرة فان القليل لا يعد في العادة ﴿ ثم بعثناهم ﴾ يعنى من نومهم ﴿ لنعلم ﴾ أي علم المشاهدة ﴿ أي الحزبين ﴾ أي الطائفتين

لما لبثوا أمدا) قيل عددا ، وقيل غاية فان الامد الغاية كقوله * سبق الجواد إذا استولى على الامد *

نحن نقصّ عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهُم هُدى (١٣) وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربُّنا رب السموٰت والارض لن ندعو من دونه إلهًا لقد قلنا إذاً شططا (١٤) هؤلاء قومُنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطٰن بيّن فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا (١٥) وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا (١٦)

من ههنا شرع في بسط القصة وشرحها فذكر تعالى أنهم فتية وهم الشباب وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل ، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله ﷺ شبابا ، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل ، وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شبابا ، وقال مجاهد بلغني أنه كان في اذان بعضهم القرطة يعني الحلق فألهمهم الله رشدهم وآتاهم تقواهم فآمنوا بربهم أي اعترفوا له بالوحدانية وشهدوا أنه لا إله إلا هو (وزدناهم هدى) استدل بهذه الآية وأمثالها غير واحد من الائمة كالبخاري وغيره ممن ذهب الى زيادة الايمان وتفاضله وأنه يزيد وينقص ، ولهذا قال تعالى (وزدناهم هدى) كما قال (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون) وقال (ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) الى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك . وقد ذكر أنهم كانوا على دين المسيح عيسى بن مريم فالله أعلم ، والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية فانهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمباينتهم لهم

وقد تقدم عن ابن عباس أن قريشا بعثوا إلى أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله ﷺ فبعثوا اليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء وعن خبر ذي القرنين وعن الروح فدل

﴿ أحصى لما لبثوا أمدا ﴾ وذلك أن أهل القرية تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف واختلفوا في قوله (أحصى لما لبثوا) أحفظ لما مكثوا في كهفهم نياما (أمدا) أي غاية، وقال مجاهد عدداً ونصبه على التفسير

قوله تعالى ﴿ نحن نقص عليك ﴾ نقرأ عليك ﴿ نبأهم ﴾ خبر أصحاب الكهف ﴿ بالحق ﴾ بالصدق ﴿ انهم فتية ﴾ شبان ﴿ آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾ إيمانا وبصيرة ﴿ وربطنا ﴾ شددنا ﴿ على قلوبهم ﴾ بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا فيه من خفض العيش وفروا بدينهم الى الكهف ﴿ إذ قاموا ﴾ بين يدي دقيانوس حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم

هذا علي أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب وانه متقدم على دين النصرانية والله أعلم. وقوله (وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض) يقول تعالى وصبرناهم على مخالفة قومهم ومدينتهم ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة فانه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف انهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم وانهم خرجوا يوما في بعض أعياد قومهم وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد « وكانوا يعبدون الاصنام والطواغيت ويذبحون لها وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له دقيانوس وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم اليه فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ونظروا إلى مايصنع قومهم بعين بصيرتهم عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لاينبغي إلا لله الذي خلق السموات والارض فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز منهم ويتبرز عنهم ناحية فكان أول من جلس منهم وحده أحدهم جلس تحت ظل شجرة فجاء الآخر فجلس اليها عنده وجاء الآخر فجلس اليهم وجاء الآخر وجاء الآخر ولا يعرف واحد منهم الآخر وانما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الايمان كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري تعليقا من حديث يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث سهيل عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ والناس يقولون الجنسية علة الضم. والغرض ان كل أحد منهم يكتم ماهو عليه عن أصحابه خوفا منهم ولايدري أنهم مثله حتى قال أحدهم تعلمون والله ياقوم انه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم إلا شيء فليظهر كل واحد منكم في أمره. فقال آخر أما أنا فاني والله رأيت ماقومي عليه فعرفت انه باطل وانما الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به شيئا هو الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما « وقال الآخر وانا والله وقع لي كذلك ، وقال الآخر كذلك حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة فصاروا يدا واحدة وإخوان صدق فاتخذوا لهم معبداً يعبدون الله فيه فعرف بهم قومهم فوشوا بأمرهم إلى ملكهم فاستحضرهم بين يديه فسألهم عن أمرهم وماهم عليه فأجابوه بالحق ودعوه إلى الله عز وجل ولهذا أخبر تعالى عنهم بقوله (وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا

﴿ فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه إلها ﴾ قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاوثان ﴿ لقد قلنا اذا شططا ﴾ يعني ان دعونا غير الله لقد قلنا اذا شططا « قال ابن عباس جوراً » وقال قتادة كذبا « وأصل الشطط والاشطاط مجاوزة القدر والافراط

قوله ﴿ هؤلاء قومنا ﴾ يعنى أهل بلدهم ﴿ اتخذوا من دونه ﴾ أي من دون الله ﴿ آلهة ﴾ يعنى الاصنام يعبدونها ﴿ لولا ﴾ أي هلا ﴿ يأتون عليهم ﴾ أي على عبادتهم ﴿ بسلطان بين ﴾ بحجة واضحة ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ وزعم أن له شريكا أو ولداً ثم قال بعضهم لبعض ﴿ وإذا اعتزلتموهم ﴾

رب السموات والارض لن ندعو من دونه إلها) ولن لنفي التأبيد أي لايقع مناهذا أبدا لأنا لوفعلنا ذلك لكان باطلا ولهذا قال عنهم (لقد قلنا إذا شططا) أي باطلا و كذبا وبهتانا (هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أي هلا أقاموا على صحة ماذهبوا اليه دليلا واضحا صحيحا (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يقولون بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك فيقال ان ملكهم لما دعوه إلى الايمان بالله أبى عليهم وتهددهم وتوعدهم وأمر بنزع لباسهم عنهم الذي كان عليهم من زينة قومهم وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يرجعون عن دينهم الذي كانوا عليه ، وكان هذا من لطف الله بهم فانهم في تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس أن يفر العبدمنهم خوفا على دينه كما جاء في الحديث « يوشك أن يكون خير مال أحدكم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » ففي هذه الحال تشرع العزلة عن الناس ولا تشرع فيما عداها لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع فلما وقع عزمهم على الذهاب والهرب من قومهم واختار الله تعالى لهم ذلك وأخبر عنهم بذلك في قوله (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) أي وإذ فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله ففارقوهم أيضا بأبدانكم (فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته) أي يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم ويهيء لكم من أمركم الذي أنتم فيه مرفقا أي أمرا ترتفقون به فعند ذلك خرجوا هرابا إلى الكهف فأووا اليه ففقدهم قومهم من بين أظهرهم وتطلبهم الملك فيقال أنه لم يظفر بهم وعمى الله عليه خبرهم كما فعل بنبيه محمد ﷺ وصاحبه الصديق حين لجآ الى غار ثور وجاء المشركون من قريش في الطلب فلم يهتدوا اليه مع أنهم يمرون عليه وعندها قال النبي ﷺ حين رأى جزع الصديق في قوله يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لابصرنا فقال « يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما » وقد قال تعالى (إلا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) فقصة هذا الغار أشرف وأجل وأعظم وأعجب من قصة أصحاب الكهف ، وقد قيل إن قومهم ظفروا بهم ووقفوا على باب الغار الذي دخلوه فقالوا ما كنا

يعني قومكم ﴿ وما يعبدون إلا الله ﴾ قرأ ابن مسعود وما يعبدون من دون الله ، وأما القراءة المعروفة فمعناها أنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الاوثان ، ويقول إذ اعتزلتموهم وجميع مايعبدون إلا الله فانكم لم تعتزلوا عبادته ﴿ فأووا إلى الكهف ﴾ فالجؤا اليه ﴿ ينشر لكم ﴾ يبسط لكم ﴿ ربكم من رحمته ويهيء لكم ﴾ يسهل لكم ﴿ من أمركم مرفقا ﴾ أي مايعود اليه يسركم ورفقكم ، قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر (مرفقا) بفتح الميم وكسر الفاء ، وقرأ الآخرون بكسر الميم وفتح الفاء ، ومعناهما واحد وهو مايرتفق به الانسان

نريد منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم فأمر الملك بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم ففعلوا ذلك ، وفي هذا نظر والله أعلم . فان الله تعالى قد أخبر أن الشمس تدخل عليهم في الكهف بكرة وعشيا كما قال تعالى .

وترى الشمس اذا طلعت تزٰور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيٰت الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا (١٧)

فهذا فيه دليل على أن باب هذا الكهف كان من نحو الشمال لانه تعالى أخبر أن الشمس اذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه (ذات اليمين) أي يتقلص الفيء عنة كما قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة (تزاور) أي تميل وذلك أنها كلما ارتفعت في الافق تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان ، ولهذا قال (واذا غربت تقرضهم ذات الشمال) أي تدخل إلى غارهم من شمال بابه وهو من ناحية المشرق فدل على صحة ما قلناه وهذا بين لمن تأمله وكان له علم بمعرفة الهيئة وسير الشمس والقمر والكواكب، وبيانه أنه لو كان باب الغار من ناحية الشرق لما دخل اليه منها شيء عند الغروب ولو كان من ناحية القبلة لما دخل منها شيء عند الطلوع ولا عند الغروب ولا تزاور الفيء يمينا ولا شمالا ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع بل بعد الزوال ولم تزل فيه إلى الغروب فتعين ما ذكرناه ولله الحمد ، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة تقرضهم تتركهم ، وقد أخبر الله تعالى بذلك وأراد منا فهمه وتدبره ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الارض إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالا فتقدم عن ابن عباس أنه قال هو قريب من أيلة ، وقال اسحاق هو عند نينوى وقيل ببلاد الروم وقيل ببلاد البلقاء والله أعلم بأي بلاد الله هو . ولو كان فيه مصلحة دينية لارشدنا الله تعالى ورسوله اليه فقد قال ﷺ « ما

قوله تعالى ﴿ وترى الشمس اذا طلعت تزاور ﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب تزور بسكون الزاي وتشديد الراء على وزن تحمر ، وقرأ أهل الكوفة بفتح الزاي خفيفة وألف بعدها ، وقرأ الآخرون بتشديد الزاي وكلها بمعنى واحد أي تميل وتعدل ﴿ عن كهفهم ذات اليمين ﴾ أي جانب اليمين ﴿ واذا غربت تقرضهم ﴾ أي تتركهم وتعدل عنهم ﴿ ذات الشمال ﴾ أصل القرض القطع ﴿ وهم في فجوة منه ﴾ أي متسع من الكهف وجمعها فجوات ، قال ابن قتيبة كان كهفهم مستقبل بنات نعش لا تقع فيه الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب ولا فيما بين ذلك قالوا اختار الله لهم مضطجعا في مقناة لا تدخل عليهم الشمس فتؤذيهم بحرها وتغير ألوانهم وهم في متسع ينالهم برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار وغمومه

تركت شيئا يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار الا وقد أعلمتكم به فأعلمنا تعالى بصفته ولم يعلمنا مكانه فقال (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم) قال مالك عن زيد بن أسلم تميل (ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه) أي في متسع منه داخلا بحيث لاتصيبهم إذ لو أصابتهم لأحرقت أبدانهم وثيابهم قاله ابن عباس (ذلك من آيات الله) حيث أرشدهم الى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقى أبدانهم ، ولهذا قال تعالى (ذلك من آيات الله - ثم قال- من يهد الله فهو المهتد) الآية أي هو الذي أرشد هؤلاء الفتية إلى الهداية من بين قومهم فانه من هداه الله اهتدى ومن أضله فلا هادي له

وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا (١٨)

ذكر بعض أهل العلم أنهم لما ضرب الله على آذانهم بالنوم لم تنطبق أعينهم لئلا يسرع اليها البلى فاذا بقيت ظاهرة للهواء كان أبقى لها ، ولهذا قال تعالى (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) وقد ذكر عن الذئب أنه ينام فيطبق عينا ويفتح عينا ثم يفتح هذه ويطبق هذه وهو راقد ، قال الشاعر :

ينام باحدى مقلتيه ويتقي باخرى الرزايا فهو يقظان نائم

وقوله تعالى (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قال بعض السلف يقلبون في العام مرتين قال ابن عباس لو لم يقلبوا لاكلتهم الارض وقوله (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) قال ابن عباس ومجاهد

وقال بعضهم هذا القول خطأ وهو أن الكهف كان مستقبل بنات نعش فكانت الشمس لاتقع عليهم ، ولكن الله صرف الشمس عنهم بقدرته وحال بينها وبينهم ألا ترى أنه قال ﴿ ذلك من آيات الله ﴾ من عجائب صنع الله ودلالات قدرته التي يعتبر بها ﴿ من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل ﴾ أي من يضلله الله ولم يرشده ﴿ فلن تجد له وليا ﴾ معينا ﴿ مرشداً ﴾

قوله تعالى ﴿ وتحسبهم أيقاظا ﴾ أي منتبهين جمع يقظ ، يقظ ﴿ وهم رقود ﴾ نيام جمع راقد مثل قاعد وقعود وانما اشتبه حالهم لأنهم كانوا مفتحة أعينهم يتنفسون ولا يتكلمون ﴿ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾ مرة للجنب الايمن ومرة للجنب الايسر ، قال ابن عباس كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب الى جانب لئلا تأكل الارض لحومهم ، وقيل كان يوم عاشوراء يوم تقلبهم ، وقال أبو هريرة كان لهم في كل سنة تقلبان ﴿ وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ﴾ أكثر أهل التفسير على أنه كان من من جنس الكلاب ، وروي عن ابن جريج أنه كان أسداً وسمي الاسد كلبا فان النبي ﷺ دعا على عتبة بن أبي لهب فقال « اللهم سلط عليه كلبا من كلابك » فافترسه أسد والاول المعروف .قال ابن عباس كان كلبا أغر ، ويروى عنه فوق القلطي ودون الكرزي ، والقلطي كلب صيني ، وقال مقاتل

وسعيد بن جبير وقتادة الوصيد الفناء ، وقال ابن عباس بالباب وقيل بالصعيد وهو التراب والصحيح أنه بالفناء وهو الباب ومنه قوله تعالى (إنها عليهم موصدة) أي مطبقة مغلقة ويقال وصيد وأصيد ربض كلبهم على الباب كما جرت به عادة الكلاب ◘ قال ابن جريج يحرس عليهم الباب وهذا من سجيته وطبيعته حيث يربض ببابهم كأنه يحرسهم وكان جلوسه خارج الباب لان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب كما ورد في الصحيح ولا صورة ولا جنب ولا كافر كما ورد به الحديث الحسن. وشملت كلبهم بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال وهذا فائدة صحبة الاخيار فانه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن .وقد قيل انه كان كلب صيد لاحدهم وهو الاشبه وقيل كلب طباخ الملك وقد كان وافقهم على الدين وصحبه كلبه والله أعلم ، وقد روى الحافظ بن عساكر في ترجمة همام بن الوليد الدمشقي حدثنا صدقة بن عمر الغساني حدثنا عباد المنقري سمعت الحسن البصري يقول كان اسم كبش ابراهيم عليه الصلاة والسلام جرير واسم هدهد سليمان عليه السلام عنفز واسم كلب أصحاب الكهف قطمير واسم عجل بني اسرائيل الذي عبدوه بهموت . وهبط آدم عليه السلام بالهند وحواء بجدة وإبليس بدست بيسان والحية باصفهان ، وقد تقدم عن شعيب الجبائي أنه سماه حمران واختلفوا في لونه على أقوال لا حاصل لها ولا طائل تحتها ولا دليل عليها ولا حاجة اليها بل هي مما ينهى عنه فان مستندها رجم بالغيب ◘ وقوله تعالى (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعبا) أي أنه تعالى القى

كان أصفر ◘ وقال القرظي كانت شدة صفرته تضرب إلى الحمرة ، وقال الكلبي لونه كالخليج وقيل لون الحجر ، قال ابن عباس اسمه قطمير ، وعن علي اسمه ريان ◘ وقال الاوزاعي بثور ، وقال السدي يور ◘ وقال كعب صهبا . قال خالد بن معدان ليس في الجنة شيء من الدواب سوى كلب أصحاب الكهف وحمار بلعام

وقوله (بالوصيد) قال مجاهد والضحاك والوصيد فناء الكهف ◘ وقال عطاء الوصيد عتبة الباب ، وقال السدي الوصيد الباب وهو رواية عكرمة عن ابن عباس، فان قيل لم يكن للكهف باب ولا عتبة قيل معناه موضع الباب والعتبة كان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهما ، قال السدي كان أصحاب الكهف اذا انقلبوا انقلب الكلب معهم ، واذا انقلبوا إلى اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى ورقد عليها واذا انقلبوا إلى الشمال كسر أذنه اليسرى ورقد عليها ﴿ لو اطلعت عليهم ﴾ يا محمد ﴿ لوليت منهم فراراً ﴾ لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله تعالى من رقدتهم ﴿ ولملئت منهم رعبا ﴾ خوفا قرأ أهل الحجاز بتشديد اللام والآخرون بتخفيفها واختلفوا في أن الرعب كان لماذا قيل من وحشة المكان ◘ وقال الكلبي لان أعينهم كانت مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام ، وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا شعور . وقيل إن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد . وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :

عليهم المهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم الا هابهم لما ألبسوا من المهابة والذعر لئلا يدنو منهم أحد ولا تمسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب أجله وتنقضي رقدتهم التي شاء تبارك وتعالى فيهم لماله في ذلك من الحكمة والحجة البالغة والرحمة الواسعة

وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم؟ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هـذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يُشعِرنَّ بكم أحدا (١٩) انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذاً أبدا (٢٠)

يقول تعالى كما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبشارهم لم يفقدوا من أحوالهم وهيآتهم شيئا وذلك بعد ثلثمائة سنة وتسع سنين ولهذا تساءلوا بينهم (كم لبثتم؟) أي كم رقدتم (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) لانه كان دخولهم إلى الكهف في أول نهار واستيقاظهم كان في آخر نهار ولهذا استدركوا فقالوا (أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) أي الله أعلم بأمركم وكأنه حصل لهم نوع تردد في كثرة نومهم فالله أعلم ثم عدلوا الى الاهم في أمرهم إذ ذاك وهو احتياجهم الى الطعام والشراب فقالوا (فابعثوا أحدكم بورقكم) أي فضتكم هذه وذلك أنهم كانوا قد استصحبوا معهم دراهم من منازلهم لحاجتهم اليها فتصدقوا منها وبقي منها فلهذا قالوا (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة) أي مدينتكم

غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال ابن عباس رضي الله عنه لقد منع ذلك من هو خير منك فقال تعالى (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً) فبعث معاوية ناساً فقال اذهبوا فانظروا ، فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأحرقتهم

قوله تعالى ﴿ وكذلك بعثناهم ﴾ أي كما أنمناهم في الكهف وحفظنا أجسادهم من البلى على طول الزمان فكذلك بعثناهم من النومة التي تشبه الموت ﴿ ليتساءلوا بينهم ﴾ ليسأل بعضهم بعضاً واللام فيه لام العاقبة لانهم لم يبعثوا للسؤال ﴿ قال قائل منهم ﴾ وهو رئيسهم مكسلمينا ﴿ كم لبثتم ﴾ في نومكم وذلك أنهم استنكروا طول نومهم ويقال انهم راعوا مافاتهم من الصلاة فقالوا ذلك ﴿ قالوا لبثنا يوما ﴾ وذلك أنهم دخلوا الكهف غدوة فانتبهوا حين انتبهوا عشية فقالوا لبثنا يوماً ، ثم نظروا وقد بقيت من الشمس بقية فقالوا ﴿ أو بعض يوم ﴾ فلما نظروا إلى شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم ﴿ قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ﴾ وقيل ان رئيسهم مكسلمينا لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم ﴿ فابعثوا أحدكم بورقكم هذه ﴾ يعني تمليخا . قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر بورقكم

التي خرجتم منها والالف واللام للعهد (فلينظر أيها أزكي طعاما) أي أطيب طعاما كقوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من أحد أبدا) وقوله (قد افلح من تزكى) ومنه الزكاة التي تطيب المال وتطهره وقيل أكثر طعاما ومنه زكا الزرع إذا كثر قال الشاعر :

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة وللسبع أزكى من ثلاث وأطيب

والصحيح الاول لأن مقصودهم انما هو الطيب الحلال سواء كان كثيراً أو قليلا ، وقوله (وليتلطف) أي في خروجه وذهابه وشرائه وإيابه يقولون وليتخفف كلما يقدر عليه (ولا يشعرن) أي ولا يعلمن (بكم أحدا * انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم) أي ان علموا بمكانكم (يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم) يعنون أصحاب دقيانوس يخافون منهم أن يطلعوا على مكانهم فلا يزالون يعذبونهم بأنواع العذاب إلى أن يعيدوهم في ملتهم التي هم عليها أو يموتوا وان وافقتموهم على العود في الدين فلا فلاح لكم في الدنيا ولا في الآخرة ولهذا قال (ولن تفلحوا إذاً أبدا)

وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم

فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم * قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا (٢١)

يقول تعالى (وكذلك أعثرنا عليهم) أي أطلعنا عليهم الناس (ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها) ذكر غير واحد من السلف أنه كان قد حصل لاهل ذلك الزمان شك في البعث وفي أمر القيامة ، وقال عكرمة : كان منهم طائفة قد قالوا نبعث الارواح ولا تبعث الاجساد فبعث

ساكنة الراء والباقون بكسرها ومعناهما واحد وهي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة ﴿إلى المدينة﴾ قيل هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية دفسوس فسموها في الاسلام طرسوس ﴿فلينظر أيها أزكى طعاما﴾ أي أحل طعاما حتى لايكون من غصب أو سبب حرام ، وقيل أمروه أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا يكون من ذبيحة من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون إيمانهم ، وقال الضحاك أطيب طعاما وقال مقاتل بن حيان أجود طعاما ، وقال عكرمة أكثر وأصل الزكاة الزيادة * وقيل أرخص طعاما ﴿فليأتكم برزق منه﴾ أي قوت وطعام تأكلونه ﴿وليتلطف﴾ وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان ﴿ولا يشعرن﴾ ولا يعلمن ﴿بكم أحداً﴾ من الناس ﴿انهم ان يظهروا عليكم﴾ أي يعلموا بمكانكم ﴿يرجموكم﴾ قال ابن جريج يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم ، وقيل كان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل * وقيل يضربوكم ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ أي إلى الكفر ﴿ولن تفلحوا اذا أبداً﴾ ان عدتم اليه

قوله عز وجل ﴿وكذلك أعثرنا﴾ أي اطلعنا ﴿عليهم﴾ يقال عثرت على الشيء اذا اطلعت عليه وأعثرت غيري أي اطلعته ﴿ليعلموا أن وعد الله حق﴾ يعني أصحاب بندوسيس الذين أنكروا البعث

الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك . وذكروا أنه لما أراد أحدهم الخروج ليذهب إلى المدينة في شراء شيء لهم ليأكلوه تنكر وخرج يمشي في غير الجادة حتى انتهى إلى المدينة، وذكروا أن اسمها دقسوس وهو يظن أنه قريب العهد بها وكان الناس قد تبدلوا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل وأمة بعد أمة ، وتغيرت البلاد ومن عليها كما قال الشاعر :

أما الديار فانها كديارهم وأرى رجال الحي غير رجاله

فجعل لا يرى شيئاً من معالم البلد التي يعرفها ولا يعرف أحداً من أهلها لا خواصها ولا عوامها فجعل يتحير في نفسه ويقول لعل بي جنونا أو مساً او أنا حالم ويقول : والله مابي شيء من ذلك وان عهدي بهذه البلدة عشية أمس على غير هذه الصفة . ثم قال : ان تعجيل الخروج من ههنا لأولى لي ، ثم عمد إلى رجل ممن يبيع الطعام فدفع اليه ما معه من النفقة وسأله أن يبيعه بها طعاماً فلما رآها ذلك الرجل أنكرها وأنكر ضربها فدفعها إلى جاره وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون لعل هذا وجد كنزاً فسألوه عن أمره ومن أين له هذه النفقة لعله وجدها من كنز وممن انت . فجعل يقول انا من اهل هذه البلدة وعهدي بها عشية امس وفيها دقيانوس فنسبوه الى الجنون فحملوه إلى ولي أمرهم فسأله عن شأنه وخبره حتى اخبرهم بأمره وهو متحير في حاله وما هو فيه فلما اعلمهم بذلك قاموا معه إلى الكهف — ملك البلد وأهلها — حتى انتهى بهم إلى الكهف فقال لهم دعوني حتى أتقدمكم في الدخول لأعلم أصحابي فدخل فيقال أنهم لايدرون كيف ذهب فيه وأخفى الله عليهم خبرهم . ويقال بل دخلوا عليهم ورأوهم وسلم عليهم الملك واعتنقهم وكان مسلماً فيما قيل واسمه يندوسيس ففرحوا به وآنسوه بالكلام ثم ودعوه وسلموا عليه وعادوا إلى مضاجعهم وتوفاهم الله عز وجل فالله أعلم

قال قتادة : غزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة فمروا بكهف في بلاد الروم فرأوا فيه عظاماً فقال قائل هذه عظام أهل الكهف فقال ابن عباس لقد بليت عظامهم من اكثر من ثلثمائة سنة رواه ابن جرير

وقوله (وكذلك اعثرنا عليهم) اي كما ارقدناهم وأيقظناهم بهيآتهم اطلعنا عليهم اهل ذلك الزمان (ليعلموا ان وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها إذ يتنازعون بينهم امرهم) اي في امر القيامة فمن مثبت لها ومن منكر فجعل الله ظهورهم على اصحاب الكهف حجة لهم وعليهم (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم) اي سدوا عليهم باب كهفهم وذروهم على حالهم (قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا) حكى ابن جرير في القائلين ذلك قولين (احدهما) انهم المسلمون منهم (والثاني)

﴿ وأن الساعة لاريب فيها ، إذ يتنازعون بينهم أمرهم ﴾ قال ابن عباس يتنازعون في البنيان ، فقال المسلمون نبني عليهم مسجدا يصلي فيه الناس لانهم على ديننا . وقال المشركون نبني عليهم بنيانا لانهم من أهل نسبنا ، وقال عكرمة تنازعوا في البعث فقال المسلمون البعث للاجساد والارواح ، وقال قوم للأرواح دون الاجساد فبعثهم الله تعالى وأراهم أن البعث للاجساد والارواح . وقيل تنازعوا في

اهل الشرك منهم فالله اعلم ، والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم اصحاب الكلمة والنفوذ ولكن هل هم محمودون ام لا؟ فيه نظر لان النبي ﷺ قال «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد» يحذر مافعلوا. وقد روينا عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق امر ان يخفى عن الناس وان تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده فيها شيء من الملاحم وغيرها

سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل ، فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحدا (٢٢)

يقول تعالى مخبراً عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف فحكى ثلاثة اقوال فدل على انه لاقائل برابع ولما ضعف القولين الاولين بقوله (رجما بالغيب) اي قول بلا علم كمن يرمي إلى مكان لا يعرفه فانه لايكاد يصيب وإن اصاب فبلا قصد ، ثم حكى الثالث وسكت عليه او قرره بقوله (وثامنهم كلبهم) فدل على صحته وانه هو الواقع في نفس الامر

وقوله (قل ربي أعلم بعدتهم) ارشاد الى أن الاحسن في مثل هذا المقام رد العلم الى الله تعالى

مدة لبثهم وقيل في عددهم ﴿ فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم ﴾ بندوسيس الملك واصحابه ﴿ لنتخذن عليهم مسجدا ، سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ﴾ روي ان السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى أهل نجران كانوا عند النبي ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم ، وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم ، وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين بعد ماحكى قول النصارى فقال (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) ﴿ ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ﴾ أي ظنا وحدسا من غير يقين ولم يقل هذا في حق السبعة فقال ﴿ ويقولون ﴾ يعني المسلمين ﴿ سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ اختلفوا في الواو في قوله (وثامنهم) قيل تركها وذكرها سواء ، وقيل هي واو الحكم والتحقيق كأنه حكى اختلافهم وتم الكلام عند قوله (ويقولون سبعة) ثم حقق هذا القول بقوله (وثامنهم كلبهم) والثامن لايكون إلا بعد السابع وقيل هذه واو الثمانية وذلك أن العرب تعد فتقول واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية لان العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة نظيره قوله تعالى (التائبون العابدون الحامدون — إلى قوله — والناهون عن المنكر) وقال في أزواج النبي ﷺ (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا) ﴿ قل ربي أعلم بعدتهم ﴾ أي بعددهم ﴿ مايعلمهم إلا قليل ﴾ أي إلا قليل من الناس قال

إذ لا احتياج إلى الخوض في مثل ذلك بلا علم لكن اذا أطلعنا على أمر قلنا به وإلا وقفنا . وقوله (مايعلمهم إلا قليل) أي من الناس . قال قتادة قال ابن عباس انا من القليل الذي استثنى الله عز وجل كانوا سبعة وكذا روى ابن جرير عن عطاء الخراساني عنه أنه كان يقول انا ممن استثنى الله عز وجل ويقول عدتهم سبعة . وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبدالرحمن حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس (مايعلمهم إلا قليلا) أنا من القليل كانوا سبعة فهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس أنهم كانوا سبعة وهو موافق لما قدمناه

وقال محمد بن اسحاق بن يسار عن عبدالله بن أبي نجيح عن مجاهد قال لقد حدثت انه كان على بعضهم من حداثة سنه وضح الورق. قال ابن عباس فكانوا كذلك ليلهم ونهارهم في عبادة الله يبكون ويستغيثون بالله وكانوا ثمانية نفر مكسلمينا وكان أكبرهم وهو الذي كلم الملك عنهم ويمليخا ومرطونس وكسطونس وبيرونس ودنيموس ويطبونس وقالوش هكذا وقع في هذه الرواية ويحتمل أن هذا من كلام ابن إسحاق ومن بينه وبينه فان الصحيح عن ابن عباس انهم كانوا سبعة وهو ظاهر الآية وقد تقدم عن شعيب الجبائي ان اسم كلبهم حمران وفي تسميتهم بهذه الاسماء واسم كلبهم نظر في صحته والله أعلم فان غالب ذلك متلقى من اهل الكتاب ، وقد قال تعالى (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا) أي سهلا هينا فان الامر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) أي فانهم لا علم لهم بذلك إلا مايقولونه من تلقاء أنفسهم رجما بالغيب أي من غير استناد إلى كلام معصوم ، وقد جاءك الله يامحمد بالحق الذي لاشك فيه ولا مرية فيه فهو المقدم الحاكم على كل ماتقدمه من الكتب والاقوال

ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا (٢٣) الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا (٢٤)

هذا ارشاد من الله تعالى لرسوله ﷺ إلى الادب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن

قال ابن عباس أنا من القليل كانوا سبعة. وقال محمد بن اسحاق كانوا ثمانية وقرأ وثامنهم كالبهم أي حافظهم. والصحيح هو الاول وروي عن ابن عباس أنه قال : هم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وينبونس وسارينونس وذونوانس وكفشيططيونس وهو الراعي والكلب قطمير ﴿ فلا تمار فيهم ﴾ أي لاتجادل ولا تقل في عددهم وشأنهم ﴿ إلا مراءاً ظاهراً ﴾ إلا بظاهر ماقصصنا عليك يقول حسبك ماقصصت عليك فلا تزد عليه وقف عنده ﴿ ولا تستفت فيهم منهم ﴾ من أهل الكتاب ﴿ أحداً ﴾ أي لا ترجع الى قولهم بعد أن أخبرناك ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ﴾ يعني اذا عزمت

يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل علام الغيوب الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة على سبعين امرأة ـ وفي رواية تسعين امرأة وفي رواية مائة امرأة ـ تلد كل امرأة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله فقيل له ـ وفي رواية قال له الملك ـ قل إن شاء الله فلم يقل فطاف بهن فلم يلد منهن إلا امرأة واحدة نصف انسان. فقال رسول الله ﷺ ـ والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركا لحاجته » وفي رواية « ولقاتلوا في سبيل الله فرسانا أجمعين » وقد تقدم في أول السورة ذكر سبب نزول هذه الآية في قول النبي ﷺ لما سئل عن قصة أصحاب الكهف غداً أجيبكم فتأخر الوحي خمسة عشر يوما، وقد ذكرناه بطوله في أول السورة فأغنى عن اعادته وقوله (واذكر ربك اذا نسيت) قيل معناه اذا نسيت الاستثناء فاستثن عند ذكرك له قاله ابو العالية والحسن البصري « وقال هشيم عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس في الرجل يحلف قال له أن يستثني ولو الى سنة وكان يقول (واذكر ربك اذا نسيت) ذلك قيل للاعمش سمعته عن مجاهد فقال حدثني به ليث بن أبي سليم يرى ذهب كسائي هذا ورواه الطبراني من حديث أبي معاوية عن الاعمش به. ومعنى قول ابن عباس أنه يستثني ولو بعد سنة أي اذا نسي أن يقول في حلفه أو في كلامه ان شاء الله وذكر ولو بعد سنة فالسنة له أن يقول ذلك ليكون آتيا بسنة الاستثناء حتى ولو كان بعد الحنث قاله ابن جرير رحمه الله ونص على ذلك لا أن يكون رافعا لحنث اليمين ومسقطا للكفارة وهذا الذي قاله ابن جرير رحمه الله هو الصحيح وهو الاليق بحمل كلام ابن عباس عليه والله أعلم « وقال عكرمة (واذكر ربك اذا نسيت) اذا غضبت

وقال الطبراني حدثنا محمد بن الحارث الجبلي حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم عن

على أن تفعل غداً شيئا فلا تقل أفعل غداً حتى تقول ان شاء الله، وذلك أن أهل مكة سألوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال « أخبركم غداً » ولم يقل إن شاء الله فلبث الوحي اياما ثم نزلت هذه الآية ﴿ واذكر ربك اذا نسيت ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن معناه اذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وان كان الى سنة وجوزه الحسن مادام في المجلس وجوزه بعضهم اذا قرب الزمان فان بعد فلا يصح، ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالكلام وقال عكرمة معنى الآية واذكر ربك اذا غضبت وقال وهب مكتوب في الانجيل: ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين أغضب. وقال الضحاك والسدي هذا في الصلاة أخبرنا عبدالواحد المليحي أنبأنا الحسن بن أحمد المخلدي ثنا عبد الواحد أبو العباس السراج ثنا قتيبة ثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ « من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها » ﴿ وقل عسى أن يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا ﴾ أي يثبتني على طريق هو أقرب اليه وأرشد وقيل أمر الله نبيه

عبد العزيز بن حصين عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قوله (ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً الا أن يشاء الله * واذكر ربك اذا نسيت) أن تقول ان شاء الله ، وروى الطبراني أيضا عن ابن عباس في قوله (واذكر ربك اذا نسيت) الاستثناء فاستثن اذا ذكرت ، وقال هي خاصة برسول الله ﷺ وليس لأحد منا أن يستثني الا في صلة من يمينه ثم قال انفرد به الوليد عن عبد العزيز بن الحصين ، ويحتمل في الآية وجه آخر وهو أن يكون الله تعالى قد أرشد من نسي الشيء في كلامه الى ذكر الله تعالى لان النسيان منشؤه من الشيطان كما قال فتى موسى (وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره) وذكر الله تعالى يطرد الشيطان فاذا ذهب الشيطان ذهب النسيان فذكر الله تعالى سبب للذكر ولهذا قال (واذكر ربك اذا نسيت) وقوله (وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا) أي اذا سئلت عن شيء لا تعلمه فاسأل الله تعالى فيه وتوجه اليه في أن يوفقك للصواب والرشد في ذلك ، وقيل في تفسيره غير ذلك والله أعلم

ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا (٢٥) قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموٰت والارض أبصر به وأسمع مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا (٢٦)

هذا خبر من الله تعالى لرسوله ﷺ بمقدار مالبث أصحاب الكهف في كهفهم منذ أرقدهم الى أن بعثهم الله وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان وانه كان مقداره ثلثمائة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية وهي ثلثمائة سنة بالشمسية فان تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين فلهذا قال بعد الثلثمائة وازدادوا تسعا ، وقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) أي اذا سئلت عن لبثهم وليس عندك علم في

أن يذكره اذا نسي شيئا ويسأله أن يهديه لما هو خير له من ذكر مانسيه ويقال هو أن القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله عز وجل أن يخبرهم أن الله سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ماهو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل حيث آتاه من علم غيب حال المرسلين ماكان أوضح لهم في الحجة وأقرب الى الرشد من خبر أصحاب الكهف ، وقال بعضهم هذا شيء أمر أن يقوله مع قوله إن شاء الله اذا ذكر الاستثناء بعد النسيان واذا نسي الانسان ان شاء الله فتوبته من ذلك أن يقول (عسى أن يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا)

قوله عز وجل ﴿ ولبثوا في كهفهم ﴾ يعني أصحاب الكهف قال بعضهم هذا خبر عن أهل الكهف انهم قالوا ذلك ولو كان خبراً من الله عز وجل عن قدر لبثهم لم يكن لقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) وجه وهذا قول قتادة ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقالوا لبثوا في كهفهم ثم رد الله تعالى عليهم فقال (قل الله أعلم بما لبثوا) وقال الآخرون هذا اخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف وهو الاصح وأما قوله (قل الله أعلم بما لبثوا) فمعناه إن الامر في مدة لبثهم كما ذكرنا فان نازعوك فيها فأجبهم وقل الله أعلم بما لبثوا أي هو أعلم منكم وقد اخبر بمدة لبثهم وقيل إن أهل الكتاب قالوا إن هذه المدة

ذلك وتوقيف من الله تعالى فلا تتقدم فيه بشيء، بل قل في مثل هذا (الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض) أي لا يعلم ذلك إلا هو أو من أطلعه عليه من خلقه وهذا الذي قلناه عليه غير واحد من علماء التفسير كمجاهد وغير واحد من السلف والخلف

وقال قتادة في قوله (ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين)الآية هذا قول أهل الكتاب ، وقد رده الله تعالى بقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) قال وفي قراءة عبدالله وقالوا ولبثوا يعني انه قاله الناس وهكذا قال قتادة ومطرف بن عبدالله وفي هذا الذي زعمه قتادة نظر فان الذي بأيدي أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلثمائة سنة من غير تسع يعنون بالشمسية ولو كان الله قد حكى قولهم لما قال وازدادوا تسعا والظاهر من الآية انما هو إخبار من الله لا حكاية عنهم وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله ورواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعة ثم هي شاذة بالنسبة الى قراءة الجمهور فلا يحتج بها والله أعلم

وقوله (أبصر به وأسمع) أي انه لبصير بهم سميع لهم ، قال ابن جرير وذلك في معنى المبالغة في المدح كأنه قيل ما أبصره وأسمعه وتأويل الكلام ما أبصر الله لكل موجود وأسمعه لكل مسموع لا يخفى عليه من ذلك شيء، ثم روى عن قتاده في قوله (أبصر به وأسمع) فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع ، وقال ابن زيد (أبصر به وأسمع) يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم سميعا بصيرا . وقوله (مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا) أي انه تعالى هو الذي له الخلق والامر الذي لا معقب لحكمه وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير تعالى وتقدس

من لدن دخلوا الكهف الى يومنا هذا ثلثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم وقال (قل الله أعلم بما لبثوا) يعني بعد قبض ارواحهم الى يومنا هذا لا يعلمه إلا الله

قوله تعالى ﴿ ثلثمائة سنين ﴾ قرأ حمزة والكسائي ثلثمائة بلا تنوين وقرأ الآخرون بالتنوين فان قيل لم قال ثلثمائة سنين ولم يقل سنة؟ قيل نزل قوله (ولبثوا في كهفهم ثلثمائة) فقالوا أياما أو شهوراً أو سنين فنزلت سنين قال الفراء ومن العرب من يضع سنين في موضع سنة وقيل معناه ولبثوا في كهفهم سنين ثلثمائة ﴿ وازدادوا تسعا ﴾ قال الكلبي قالت نصارى نجران أما ثلثمائة فقد عرفنا وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت ﴿ قل الله أعلم بما لبثوا ﴾ روي عن علي أنه قال عند أهل الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة شمسية والله تعالى ذكر ثلثمائة قمرية والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون في ثلثمائة تسع سنين فلذلك قال (وازدادوا تسعا) ﴿ له غيب السموات والارض ﴾ فالغيب مايغيب عن ادراكك والله عز وجل لا يغيب عن ادراكه شيء ﴿ أبصر به وأسمع ﴾ أي ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه لكل مسموع أي لا يغيب عن سمعه وبصره شيء ﴿ مالهم ﴾ أي ما لاهل السموات والارض ﴿ من دونه ﴾ أي من دون الله ﴿ من ولي ﴾ ناصر ﴿ ولا يشرك في حكمه أحدا ﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب ولا تشرك بالتاء على الخطاب والنهي وقرأ الآخرون بالياء أي لا يشرك الله

واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلمـٰته ولن تجد من دونه ملتحدا (٢٧)

واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدوٰة والعشي يريدون وجهه ولا تعدُ عيناك عنهم

تريد زينة الحيوٰة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هوٰه وكان أمره فُرُطا (٢٨)

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بتلاوة كتابه العزيز وابلاغه الى الناس (لا مبدل لكلماته) أي لا مغير لها ولا محرف ولا مزيل

وقوله (ولن تجد من دونه ملتحدا) عن مجاهد ملتحدا قال ملجأ وعن قتادة وليا ولا مولى قال ابن جرير يقول ان أنت يا محمد لم تتل ما أوحي اليك من كتاب ربك فانه لا ملجأ لك من الله كما قال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) وقال (ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) أي سائلك عما فرض عليك من ابلاغ الرسالة

• وقوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) أي اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيا من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء يقال انها نزلت في أشراف قريش حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود وليفرد أولئك بمجلس على حدة فنهاه الله عن ذلك فقال (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الآية وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء فقال (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الآية وقال مسلم في صحيحه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن عبدالله الاسدي عن اسرائيل عن المقدام بن شريح عن أبيه عن سعد هو ابن أبي وقاص قال كنا مع النبي ﷺ ستة فقال المشركون للنبي ﷺ اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال وكنت أنا وابن مسعود

في حكمه أحداً وقيل الحكم ههنا علم الغيب أي لا يشرك في علم غيبه أحداً

قوله عز وجل ﴿ واتل ﴾ أي واقرأ يا محمد ﴿ ما أوحي اليك من كتاب ربك ﴾ يعني القرآن واتبع ما فيـه ﴿ لا مبدل لكلماته ﴾ قال الكلبي لا مغير للقرآن وقيل لا مغير لما أوعد بكلماته أهل معاصيه ﴿ ولن تجد ﴾ أنت ﴿ من دونه ﴾ ان لم تتبع القرآن ﴿ ملتحدا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما حرزاً وقال الحسن مدخلا وقال مجاهد ملجأ وقيل معدلا وقيل مهربا وأصله من الميل

قوله عز وجل ﴿ واصبر نفسك ﴾ الآية نزلت في عيينة بن حصن الفزاري أتى النبي ﷺ قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء فيهم سلمان وعليه شملة قد عرق فيها وبيده خوصة يشقها ثم ينسجها فقال عيينة للنبي ﷺ أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر واشرافها فان اسلمنا اسلم الناس

ورجل من هذيل و بلال ورجلان نسيت اسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ماشاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) انفرد باخراجه مسلم دون البخاري

وقال أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن ابي التياح قال سمعت ابا الجعد يحدث عن ابي امامة قال خرج رسول الله ﷺ على قاص يقص فامسك فقال رسول الله ﷺ « قص فلأن اقعد غدوة إلى ان تشرق الشمس احب إلي من أن أعتق أربع رقاب »

وقال احمد ايضا حدثنا هاشم ثنا شعبة عن عبدالملك بن ميسرة قال سمعت كردوس بن قيس وكان قاص العامة بالكوفة يقول أخبرني رجل من أصحاب بدر أنه سمع النبي ﷺ يقول « لأن أقعد في مثل هذا المجلس أحب إلي من ان اعتق اربع رقاب » قال شعبة فقلت أي مجلس؟ قال كان قاصا وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا محمد حدثنا يزيد بن ابان عن انس قال : قال رسول الله ﷺ « لان اجالس قوما يذكرون الله من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب الي مما طلعت عليه الشمس ولأن اذكر الله من صلاة العصر إلى غروب الشمس أحب الي من ان اعتق ثمانية من ولد اسماعيل دية كل واحد منهم اثنا عشر الفا » فحسبنا دياتهم ونحن في مجلس انس فبلغت ستة وتسعين الفا وههنا من يقول أربعة من ولد اسماعيل والله ما قال الا ثمانية دية كل واحد منهم اثنا عشر الفا

وقال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا محمد بن اسحاق الاهوازي حدثنا ابو احمد الزبيري حدثنا عمرو بن ثابت عن علي بن الاقمر عن الاغر أبي مسلم وهو الكوفي أن رسول الله ﷺ مر برجل يقرأ سورة الكهف فلما رأى النبي ﷺ سكت فقال النبي ﷺ « هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم » هكذا رواه أبو أحمد عن عمرو بن ثابت عن علي بن الاقمر عن الاغر مرسلا وحدثنا يحيى بن المعلى عن منصور حدثنا محمد بن الصلت حدثنا عمرو بن ثابت عن علي بن الاقمر عن الاغر أبي مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا جاء رسول الله ﷺ ورجل يقرأ سورة الحج أو سورة الكهف فسكت فقال رسول الله ﷺ « هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم »

ولا يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فنحهم حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا فانزل الله عز وجل (واصبر نفسك) أي احبس يا محمد نفسك ﴿ مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ طرفي النهار ﴿ يريدون وجهه ﴾ أي يريدون الله لا يريدون به عرضا من الدنيا قال قتادة نزلت في اصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ لا يرجعون الى تجارة ولا الى زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون اخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ « الحمد لله الذي جعل في امتي من أمرت أن اصبر نفسي معهم » ﴿ ولا تعد ﴾ أي لا تصرف ولا تتجاوز ﴿ عيناك عنهم ﴾ الى غيرهم ﴿ تريد زينة الحياة الدنيا ﴾ أي تطلب مجالسة الاغنياء والاشراف وصحبة أهل الدنيا ﴿ ولا تطع

وقال الامام أحمد ثنا محمد بن بكير ثنا ميمون المرئي ثنا ميمون بن سياه عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله لايريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات» تفرد به أحمد رحمه الله. وقال الطبراني ثنا اسماعيل بن الحسن ثنا أحمد بن صالح ثنا ابن وهب عن أسامة بن زيد عن أبي حازم عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال: نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بعض أبياته (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الآية فخرج يلتمسهم فوجد قوما يذكرون الله منهم ثائر الرأس وجاف الجلد وذو الثوب الواحد فلما رآهم جلس معهم وقال «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم» عبد الرحمن هذا ذكره أبو بكر بن أبي داود في الصحابة وأما أبوه فمن سادات الصحابة رضي الله عنهم

وقوله (ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) قال ابن عباس ولا تجاوزهم إلى غيرهم يعني تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أي شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا (وكان أمره فرطا) أي اعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع ولا تكن مطيعا له ولا محبا لطريقته ولا تغبطه بما هو فيه كما قال (ولا تمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى)

وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا (٢٩)

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ وقل يامحمد للناس هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لامرية فيه ولاشك (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا من باب التهديد، والوعيد الشديد، ولهذا

من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أي جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا يعني عيينة بن حصن وقيل أمية بن خلف ﴿واتبع هواه﴾ أي مراده في طلب الشهوات ﴿وكان أمره فرطا﴾ قال قتادة ومجاهد ضياعا وقيل معناه ضيع أمره وعطل أيامه وقيل ندما وقال مقاتل بن حيان سرفا وقال الفراء متروكا وقيل باطلا وقيل مخالفا للحق وقال الاخفش مجاوزا للحد قيل معنى التجاوز في الحد هو قول عيينة ان أسلمنا اسلم الناس وهذا افراط عظيم ﴿وقل الحق من ربكم﴾ أي ماذكر من الايمان والقرآن معناه قل يامحمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا أيها الناس الحق من ربكم واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال ليس إلي من ذلك شيء ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله (اعملوا ماشئتم) وقيل معنى الآية وقل الحق من ربكم ولست بطارد المؤمنين لهواكم فان شئتم فآمنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد أعد لكم ربكم ناراً أحاط بكم سرادقها وان آمنتم فلكم ماوصف الله عز وجل لاهل طاعته وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية

قال (إنا اعتدنا ، أي أرصدنا (للظالمين)وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه (ناراً أحاط بهم سرادقها) أي سورها. قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن ابي الهيثم عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ انه قال « لسرادق النار اربعة جدر كثافة كل جدار مسافة اربعين سنة » وأخرجه الترمذي في صفة النار وابن جرير في تفسيره من حديث دراج أبي السمح به

وقال ابن جريج قال ابن عباس (أحاط بهم سرادقها) قال حائط من نار . قال ابن جرير : حدثني الحسين بن نصر والعباس بن محمد قالا حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن أمية حدثني محمد بن حيي بن يعلى عن صفوان بن يعلى عن يعلى بن أمية قال : قال رسول الله ﷺ « البحر هو جهنم » قال فقيل له كيف ذلك فتلا هذه الآية أو قرأ هذه الآية (ناراً أحاط بهم سرادقها) ثم قال « والله لا أدخلها أبداً أو مادمت حيا لا تصيبني منها قطرة »

وقوله (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه) الآية قال ابن عباس : المهل الماء الغليظ مثل دردي الزيت ، وقال مجاهد : هو كالدم والقيح « وقال عكرمة هو الشيء الذي انتهى حره ، وقال آخرون : هو كل شيء أذيب . وقال قتادة : أذاب ابن مسعود شيئاً من الذهب في أخدود فلما انماع وأزبد قال : هذا أشبه شيء بالمهل . وقال الضحاك : ماء جهنم أسود وهي سوداء وأهلها سود ، وهذه الاقوال ليس شيء منها ينفي الآخر فان المهل يجمع هذه الاوصاف الرذيلة كلها فهو أسود منتن غليظ حار ولهذا قال (يشوي الوجوه) أي من حره إذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه شواه حتى تسقط جلدة وجهه فيه كما جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد باسناده المتقدم في سرادق النار عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ انه قال « ماء كالمهل » قال كعكر الزيت فاذا قربه اليه سقطت فروة وجهه فيه » وهكذا رواه الترمذي في صفة النار من جامعه من حديث رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج به . ثم قال لا نعرفه إلا من حديث رشدين وقد تكلم فيه من قبل حفظه هكذا قال . وقد رواه الامام أحمد كما تقدم عن حسن الاشيب عن ابن لهيعة عن دراج والله أعلم

وقال عبد الله بن المبارك وبقية بن الوليد عن صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بشر عن أبي أمامة عن

من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء الله له الكفر كفر وهو قوله (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) ﴿ إنا أعتدنا ﴾ أعددنا وهيأنا من العتاد وهو العدة ﴿ للظالمين ﴾ الكافرين ﴿ ناراً أحاط بهم سرادقها ﴾ السرادق الحجزة التي تطيف بالفساطيط أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا عبد الله بن محمود أنبأنا ابراهيم بن عبد الله الخلال أنبأنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد حدثني عمرو بن الحارث عن دراج بن أبي السمح عن أبي الهيثم بن عبد الله عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال « سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة قال ابن عباس هو حائط من نار وقال الكلبي هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار وهو الذي ذكره الله تعالى (انطلقوا

النبي ﷺ في قوله (ويسقى من ماء صديد يتجرعه) قال « يقرب اليه فيتكرهه فاذا قرب منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه » يقول الله تعالى (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب) «وقال سعيد بن جبير : إذا جاع أهل النار استغاثوا فأغيثوا بشجرة الزقوم فيأكلون منها فاختلبت جلود وجوههم فلو أن ماراً مر بهم يعرفهم لعرف جلود وجوههم فيها ، ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل وهو الذي قد انتهى حره فاذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود ولهذا قال تعالى بعد وصفه هذا الشراب بهذه الصفات الذميمة القبيحة (بئس الشراب) أي بئس هذا الشراب كما قال في الآية الاخرى (وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) وقال تعالى (تسقى من عين آنية) أي حارة كما قال تعالى (وبين حميم آن) (وساءت مرتفقا) أي وساءت النار منزلا ومقيلا ومجتمعا وموضعا للارتفاق كما في الآية الاخرى (انها ساءت مستقراً ومقاماً)

ان الذين آمنوا وعملوا الصّٰلحٰت انا لا نضيع أجر من أحسن عملا (٣٠) أولـٰئك لهم جنّٰت عدن تجري من تحتهم الانهٰر يحلّون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا (٣١)

لما ذكر تعالى حال الاشقياء ثنى بذكر السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين فيما جاءوا به وعملوا بما أمروهم به من الاعمال الصالحة فلهم جنات عدن والعدن الاقامة (تجري من تحتهم الانهار)

الى ظل ذي ثلاث شعب) ﴿ وان يستغيثوا ﴾ من شدة العطش ﴿ يغاثوا بماء كالمهل ﴾ أخبرنا محمد ابن عبد الله بن أبي توبة أنبأنا محمد بن احمد بن الحارث أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا عبد الله ابن محمود أنبأنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد ثنا عمرو بن الحارث عن دراج بن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (بماء كالمهل) قال « كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه فيه » وقال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردي الزيت وقال مجاهد هو القيح والدم وسئل ابن مسعود عن المهل فدعا بذهب وفضة فأوقد عليهما النار حتى ذابا ثم قال هذا أشبه شيء بالمهل ﴿ يشوي الوجوه ﴾ ينضج الوجوه من حره ﴿ بئس الشراب وساءت ﴾ النار ﴿ مرتفقا ﴾ قال ابن عباس منزلا وقال مجاهد مجتمعا وقال عطاء مقراً وقال القتيبي مجلسا وأصل المرتفق المتكأ

قوله تعالى ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ﴾ فان قيل أين جواب قوله (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قيل جوابه قوله (أولئك لهم جنات عدن تجري)

أي من تحت غرفهم ومنازلهم . قال فرعون (وهذه الأنهار تجري من تحتي) الآية (يحلون) أي من الحلية (فيها من أساور من ذهب) وقال في المكان الآخر (ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير) وفصله ههنا فقال (ويلبسون ثيابا خضراً من سندس وإستبرق) فالسندس لباس رفاع رقاق كالقمصان وماجرى مجراها . وأما الاستبرق فغليظ الديباج وفيه بريق

وقوله (متكئين فيها على الأرائك) الاتكاء قيل الاضطجاع وقيل التربع في الجلوس وهو أشبه بالمراد ههنا ومنه الحديث الصحيح «أما أنا فلا آكل متكئا» فيه القولان .والارائك جمع أريكة وهي السرير تحت الحجلة والحجلة كما يعرفه الناس في زماننا هذا بالبشخانة والله أعلم

قال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة(على الارائك)قال هي الحجال قال معمر وقال غيره السرر في الحجال . وقوله (نعم الثواب وحسنت مرتفقا) أي نعمت الجنة ثوابا على أعمالهم وحسنت مرتفقا أي حسنت منزلا ومقيلا ومقاما كما قال في النار (بئس الشراب وساءت مرتفقا) وهكذا قابل بينهما في سورة الفرقان في قوله (انها ساءت مستقراً ومقاما) ثم ذكر صفات المؤمنين فقال (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاما)

واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا

بينهما زرعا (٣٢) كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهراً (٣٣)

وكان له ثمر فقال لصحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا (٣٤) ودخل جنته

وأما قوله (إنا لانضيع) فكلام معترض وقيل فيه اضمار معناه إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانا لانضيع أجرهم بل نجازيهم ثم ذكر الجزاء فقال ﴿أولئك لهم جنات عدن﴾ أي اقامة يقال عدن فلان بالمكان اذا أقام به سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها ﴿تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ قال سعيد بن جبير يحلى كل واحد منهم ثلاثة أساور واحد من ذهب وواحد من فضة وواحد من لؤلؤ ويواقيت ﴿ويلبسون ثيابا خضراً من سندس﴾ وهو مارق من الديباج ﴿واستبرق﴾ وهو ماغلظ منه ومعنى الغلظ في ثياب الجنة احكامه وعن أبي عمران الجوني قال السندس هو الديباج المنسوج بالذهب ﴿متكئين فيها﴾ في الجنان ﴿على الأرائك﴾ وهي السرر في الحجال واحدتها أريكه ﴿نعم الثواب﴾ أي نعم الجزاء ﴿وحسنت﴾ الجنان ﴿مرتفقا﴾ أي مجلسا ومقراً

قوله تعالى ﴿واضرب لهم مثلا رجلين﴾ الآية نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن عبد ياليل وكان زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ والآخر كافر وهو الاسود بن عبد الاسد بن عبد ياليل وقيل هذا مثل لعيينة بن حصن وأصحابه مع

وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً (٣٥) وما أظن الساعة قائمة ولئن رُدِدت

إلى ربي لأجدنَّ خيراً منها منقلَبا (٣٦)

يقول تعالى بعد ذكره المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين وافتخروا عليهم بأموالهم واحسابهم فضرب لهم وَلهم مثلا برجلين جعل الله لأحدهما جنتين أي بستانين من أعناب محفوفتين بالنخيل المحدقة في جنباتهما وفي خلالها الزروع وكل من الاشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجودة ولهذا قال (كلتا الجنتين آتت أُكلها) أي أخرجت ثمرها (ولم تظلم منه شيئا) أي ولم تنقص منه شيئا (وفجرنا خلالها نهراً) أي والانهار متفرقة فيهما ههنا وههنا (وكان له ثمر) قيل المراد به المال روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل الثمار وهو أظهر ههنا ويؤيده القراءة

سلمان وأصحابه شبههما برجلين من بني اسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقال مقاتل يمليخا والآخر كافر واسمه قطروس وقال وهب قطفير وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة والصافات وكانت قصتهما على ماحكى عبد الله بن المبارك عن معمر عن عطاء الخراساني قال كان رجلان شريكين لهما ثمانية آلاف دينار. وقيل كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها فعمد أحدهما فاشترى أرضا بألف دينار فقال صاحبه اللهم إن فلانا قد اشترى أرضا بألف دينار فاني اشتري منك أرضا في الجنة بألف دينار فتصدق بألف دينار ثم إن صاحبه بنى داراً بألف دينار فقال هذا اللهم إن فلانا بنى داراً بألف دينار فاني اشتري منك داراً في الجنة بألف دينار فتصدق بذلك ثم تزوج صاحبه امرأة فانفق عليها ألف دينار فقال هذا المؤمن اللهم إني أخطب اليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار فتصدق بألف دينار، ثم اشترى صاحبه خدما ومتاعا بالف دينار فقال هذا اللهم إني اشتري منك متاعا وخدما في الجنة بالف دينار فتصدق بالف دينار، ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت صاحبي لعله ينالني منه معروف فجلس على طريقه حتى مر به في حشمه فقام اليه فنظر اليه الآخر فعرفه فقال فلان قال نعم فقال ماشأنك ؟ قال أصابتني حاجة بعدك فأتيتك لتصيبني بخير فقال مافعل مالك وقد اقتسمنا مالا وأخذت شطره فقص عليه قصته فقال وإنك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا اعطيك شيئا فطرده فقضي لهما أن توفيا فنزل فيهما (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ■ قال قائل منهم إني كان لي قرين) وروي انه لما أتاه أخذ بيده وجعل يطوف به ويريه أموال نفسه فنزل فيهما (واضرب لهم مثلا رجلين) اذكر لهم خبر رجلين ﴿ جعلنا لأحدهما جنتين ﴾ بستانين ﴿ من أعناب وحففناهما بنخل ﴾ أي اطفناهما من جوانبهما بنخل والحفاف الجانب وجمعه أحفة يقال حف به القوم أي أطافوا بجوانبه ﴿ وجعلنا بينهما زرعا ﴾ أي جعلنا حول الاعناب النخيل ووسط الاعناب الزرع وقيل بينهما أي بين الجنتين زرعا يعني لم يكن بين الجنتين موضع

الاخرى (وكان له ثمر) بضم الثاء وتسكين الميم فيكون جمع ثمرة كخشبة وخشب * وقرأ آخرون ثمر بفتح الثاء والميم فقال أي صاحب هاتين الجنتين لصاحبه وهو يحاوره أي يجادله ويخاصمه يفتخر عليه ويترأس (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أي أكثر خدما وحشما وولداً

قال قتادة تلك والله أمنية الفاجر كثرة المال وعزة النفر وقوله (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه) أي بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وانكاره المعاد (قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً)) وذلك اغترار منه لما رأى فيهما من الزروع والثمار والاشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله واعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة ولهذا قال (وما أظن الساعة قائمة) اي كائنة (ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلبا) أي ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله ليكونن لي هناك أحسن من هذا الحظ عند ربي ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا كما قال في الآية الاخرى (ولئن رجعت إلى ربي ان لي عنده للحسنى) وقال (أفرأيت الذي كفر بآياتنا) وقال (لأوتين مالا وولدا) أي في الدار الآخرة تألى على الله عز وجل . وكان سبب نزولها في العاص بن وائل كما سيأتي بيانه في موضعه ان شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان

خراب ﴿ كلتا الجنتين آتت ﴾ أي اعطت كل واحدة من الجنتين ﴿ أكلها ﴾ ثمرها تاما ﴿ ولم تظلم ﴾ لم تنقص ﴿ منه شيئا * وفجرنا ﴾ قرأ العامة بالتشديد وقرأ يعقوب بتخفيف الجيم ﴿ خلالهما نهراً ﴾ يعني شققنا واخرجنا وسطهما نهراً ﴿ وكان له ﴾ لصاحب البستان ﴿ ثمر ﴾ قرأ عاصم وأبو جعفر ويعقوب ثمر بفتح الثاء والميم وكذلك بثمره وقرأ أبو عمرو بضم الثاء ساكنة الميم وقرأ الآخرون بضمهما فمن قرأ بالفتح فهو جمع ثمرة وهو ماتخرجه الشجرة من الثمار المأكولة ومن قرأ بالضم فهي الاموال الكثيرة المثمرة من كل صنف جمع ثمار * وقال مجاهد ذهب وفضة وقيل جمع الثمرات قال الازهري الثمرة تجمع على ثمر ويجمع الثمر على ثمار ثم تجمع الثمار على ثمر ﴿ فقال ﴾ يعني صاحب البستان ﴿ لصاحبه ﴾ المؤمن ﴿ وهو يحاوره ﴾ يخاطبه ويجاوبه ﴿ أنا اكثر منك مالا وأعز نفرا ﴾ أي عشيرة ورهطا وقال قتادة خدما وحشما وقال مقاتل ولداً تصديقه قوله تعالى (ان ترن أنا أقل منك مالا وولداً ﴿ ودخل جنته ﴾ يعني الكافر آخذا بيد أخيه المسلم يطوف به فيها ويريه أثمارها ﴿ وهو ظالم لنفسه ﴾ بكفره ﴿ قال ما أظن أن تبيد ﴾ تهلك ﴿ هذه أبدا ﴾ قال أهل المعاني راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم انها لا تفنى أبداً وانكر البعث فقال ﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾ كائنة ﴿ ولئن رددت الى ربي لأجدن خيراً منهما منقلبا ﴾ قرأ أهل الحجاز والشام هكذا على التثنية يعني من الجنتين وكذلك هو في مصاحفهم وقرأ الآخرون منها أي من الجنة التي دخلها (منقلبا) أي مرجعا فان قيل كيف قال ولئن رددت الى ربي وهو منكر للبعث ؟ قيل معناه ولئن رددت الى ربي على ما تزعم أنت يعطي هناك خيراً منها فانه لم يعطي هذه الجنة في الدنيا الا ليعطيني في الآخرة أفضل منها

قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا؟ (٣٧) لـكنّا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا (٣٨) ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة الا بالله ان ترن أنا أقلّ منك مالا وولدا (٣٩) فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيداً زلقا (٤٠) أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلبا (٤١)

يقول تعالى مخبراً عما أجابه به صاحبه المؤمن واعظا له وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار (أكفرت بالذي خلقك من تراب) الاية وهذا انكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه وابتدأ خلق الانسان من طين وهو آدم ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين كما قال تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم) الآية اي كيف تجحدون ربكم ودلالته عليكم ظاهر جلية كل أحد يعلمها من نفسه فانه مامن أحد من المخلوقات إلا ويعلم انه كان معدوما ثم وجد وليس وجوده من نفسه ولا مستنداً إلى شيء من المخلوقات لانه بمثابته فعلم اسناد إيجاده إلى خالقه وهوالله لا إله الا هو خالق كل شيء.ولهذا قال المؤمن (لكنا هو الله ربي) أي لكن أنا لا أقول بمقالتك بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية (ولا أشرك بربي أحدا) أي بل هو الله المعبود وحده لاشريك له ثم قال (ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة إلا بالله ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا) اي هلا اذا أعجبتك حين دخلتها و نظرت فيها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد مالم يعطه غيرك وقلت ماشاء الله لاقوة الا بالله ولهذا قال بعض السلف من أعجبه شيء من حاله او ماله او ولده

﴿قال له صاحبه﴾ المسلم ﴿وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾ اي خلق أصلك من تراب ﴿ثم﴾ خلقك ﴿من نطفة ثم سواك رجلا﴾ اي عدلك بشراً سويا ذكراً ﴿لـكنا هو الله ربي﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب لكنا بالالف في الوصل وقرأ الباقون بلا الف واتفقوا على اثبات الالف في الوقف وأصله لكن أنا فحذفت الهمزة طلبا للتخفيف لكثرة استعمالها ثم ادغمت احدى النونين في الاخرى قال الكسائي فيه تقديم وتأخير مجازه لكن الله هو ربي ﴿ولا أشرك بربي أحدا * ولولا اذ دخلت جنتك﴾ اي هلا اذ دخلت جنتك ﴿قلت ماشاء الله﴾ اي الامر ماشاء الله وقيل جوابه مضمر اي ماشاء الله كان وقوله ﴿لاقوة الا بالله﴾ اي لا أقدر على حفظ مالي او دفع شيء عنه الا بالله * وروي عن هشام بن عروة عن ابيه انه كان اذا رأى من ماله شيئا يعجبه او دخل حائطا من حيطانه قال

يقل ماشاء الله لاقوة الا بالله وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة وقد روي فيه حديث مرفوع أخرجه الحافظ ابو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا جراح بن مخلد حدثنا عمر بن يونس حدثنا عيسى بن عون حدثنا عبدالملك بن زرارة عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل او مال او ولد فيقول ماشاء الله لاقوة الا بالله فيرى فيه آفة دون الموت » وكان يتأول هذه الآية (ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة الا بالله) قال الحافظ ابو الفتح الازدي عيسى بن عون عن عبدالملك بن زرارة عن أنس لايصح حديثه

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة وحجاج حدثني شعبة عن عاصم بن عبيدالله عن عبيد مولى أبي رهم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لاقوة الا بالله » تفرد به احمد ، وقد ثبت في الصحيح عن ابي موسى ان رسول الله ﷺ قال له « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة لاحول ولا قوة الا بالله »

وقال الامام أحمد حدثنا بكير بن عيسى حدثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون قال : قال أبو هريرة قال لي رسول الله ﷺ « ياأبا هريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة تحت العرش ؟ » قال قلت نعم فداك أبي وأمي « قال أن تقول (لاقوة الا بالله) قال أبو بلج واحسب أنه قال « فان الله يقول أسلم عبدي واستسلم » قال فقلت لعمرو قال أبو بلج قال عمرو قلت لابي هريرة لا حول ولا قوة إلا بالله فقال لا إنها في سورة الكهف (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة الا بالله) وقوله (فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك) أي في الدار الآخرة (ويرسل عليها) أي على جنتك في الدنيا التي ظننت أنها لاتبيد ولاتفنى (حسبانا من السماء) قال ابن عباس والضحاك وقتادة ومالك عن الزهري أي عذابا من السماء والظاهر أنه مطر عظيم مزعج يقلع زرعها وأشجارها ولهذا قال (فتصبح صعيدا زلقا) أي بلقعا ترابا أملس لايثبت فيه قدم وقال ابن عباس كالجرز الذي لا ينبت شيئا ، وقوله (أو يصبح ماؤها غوراً) اي غائرا في الارض وهو ضد النابع الذي يطلب وجه الارض فالغائر يطلب أسفلها كما قال تعالى (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين) أي جار وسائح قال ههنا (أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا) والغور مصدر بمعنى غائر وهو أبلغ منه كما قال الشاعر :

ماشاء الله لاقوة الا بالله ثم قال ﴿ ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا ﴾ (أنا) عماد ولذلك نصب أقل معناه ان ترني اقل منك مالا وولدا فتكبرت وتعظمت علي ﴿ فعسى ربي ﴾ فلعل ربي ﴿ أن يؤتين ﴾ يعطيني في الآخرة ﴿ خيراً من جنتك ويرسل عليها ﴾ اي على جنتك ﴿ حسبانا ﴾ قال قتادة عذابا وقال ابن عباس رضي الله عنه ناراً ، وقال القتيبي مرامي ﴿ من السماء ﴾ وهي مثل صاعقة او شيء يهلكها واحدتها حسبانة ﴿ فتصبح صعيداً زلقا ﴾ اي أرضا جرداء ملساء لانبات فيها وقيل تزلق فيها الاقدام وقال مجاهد رملا هائلا ﴿ او يصبح ماؤها غوراً ﴾ اي غائراً منقطعا ذاهبا لاتناله الايدي ولا الدلاء

تظل جياده نوحا عليه تقلده أعنتها صفوفا

بمعنى نائحات عليه

وأُحيط بثمره فأصبح يُقَلِّب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول

ياليتني لم أشرك بربي أحدا (٤٢) ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا (٤٣)

هنالك الوَلاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عُقْبا (٤٤)

يقول تعالى (وأحيط بثمره) بأمواله أو بثماره على القول الآخر والمقصود أنه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر مما خوفه به المؤمن من ارسال الحسبان على جنته التي اغتر بها وألهته عن الله عز وجل (فأصبح يقلب على كفيه ما أنفق فيها) قال قتادة يصفق كفيه متأسفا متلهفا على الاموال التي اذهبها عليها (ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحدا ولم تكن له فئة) أي عشيرة أو ولد كما افتخر بهم واستعز (ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا * هنالك الولاية لله الحق) اختلف القراء ههنا فمنهم من يقف على قوله (وما كان منتصرا هنالك) أي في ذلك الموطن الذي حل به عذاب الله فلا منقذ له منه ويبتدىء بقوله (الولاية لله الحق) ومنهم من يقف على (وما كان منتصرا) ويبتدىء بقوله (هنالك الولاية لله الحق) ثم اختلفوا في قراءة الولاية فمنهم من فتح الواو من الولاية فيكون المعنى هنالك الموالاة لله أي هنالك كل أحد مؤمن أو كافر يرجع الى الله والى موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب كقوله (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) كقوله اخبارا عن فرعون (حتى

والغور مصدر وضع موضع الاسم مثل زور وعدل ﴿فلن تستطيع له طلبا﴾ يعني ان طلبته لم تجده ﴿وأحيط بثمره﴾ أي أحاط العذاب بثمر جنته وذلك ان الله تعالى أرسل عليها نارا فأهلكتها وغار ماؤها ﴿فأصبح﴾ صاحبها الكافر ﴿يقلب كفيه﴾ أي يصفق بيده على الأخرى ويقلب كفيه ظهرا لبطن تأسفا وتلهفا ﴿على ما أنفق فيها وهي خاوية﴾ أي ساقطة ﴿على عروشها﴾ سقوفها ﴿ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحدا﴾

قال الله تعالى ﴿ولم تكن له فئة﴾ جماعة ﴿ينصرونه من دون الله﴾ يمنعونه من عذاب الله ﴿وما كان منتصرا﴾ ممتنعا منتقما أي لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل لا يقدر على رد ما ذهب عنه ﴿هنالك الولاية لله الحق﴾ يعني في القيامة قرأ حمزة والكسائي الولاية بكسر الواو يعني السلطان وقرأ الآخرون بفتح الواو من الموالاة والنصرة كقوله تعالى (الله ولي الذين آمنوا) قال القتيبي يريد أنهم يتولونه يومئذ (ويتبرءون مما كانوا يعبدون) وقيل بالفتح الربوبية وبالكسر الامارة (الحق) برفع القاف أبو عمرو والكسائي على نعت الولاية وتصديقه قراءة أبي (هنالك الولاية الحق لله) وقرأ الآخرون بالجر على

اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين * آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) ومنهم من كسر الواو من الولاية أي هنالك الحكم لله الحق ثم منهم من رفع الحق على أنه نعت للولاية كقوله تعالى (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا) ومنهم من خفض القاف على أنه نعت لله عز وجل كقوله (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) الآية ولهذا قال تعالى (هو خير ثوابا) أي جزاء (وخير عقبى) اي الاعمال التي تكون لله عز وجل ثوابها خير وعاقبتها حميدة رشيدة كلها خير

واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا (٤٥ المال والبنون زينة الحياة الدنيا) والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا (٤٦)

يقول تعالى (واضرب) يامحمد للناس (مثل الحياة الدنيا) في زوالها وفنائها وانقضائها (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) أي ما فيها من الحب فشب وحسن وعلاه الزهر والنور والنضرة ثم بعد هذا كله (أصبح هشيما) يابسا (تذروه الرياح) أي تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال (وكان الله على كل شيء مقتدرا) أى هو قادر على هذه الحال وهذه الحال وكثيرا مايضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل كما قال تعالى في سورة يونس (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام) الآية وقال في الزمر (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه) الآية وقال في سورة الحديد (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته) الآية وفي الحديث «الدنيا خضرة حلوة» وقوله (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) كقوله (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب) الآية وقال تعالى (إنما أموالكم وأولادكم

صفة الله كقوله تعالى (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) ﴿هو خير ثوابا﴾ أفضل جزاء لاهل طاعته لو كان غيره يثيب ﴿وخير عقبى﴾ أي عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير اثابة وعاقبة طاعة قرأ حمزة وعاصم عقبى ساكنة القاف وقرأ الآخرون بضمها

قوله تعالى ﴿واضرب لهم﴾ يامحمد أي لقومك ﴿مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء﴾ يعني المطر ﴿فاختلط به نبات الارض﴾ خرج منه كل لون وزهرة ﴿فأصبح﴾ عن قريب ﴿هشيما﴾ يابسا قاله ابن عباس وقال الضحاك كسيرا والهشيم مايبس وتفتت من النبات فأصبح هشيما ﴿تذروه الرياح﴾ قال ابن عباس تفرقه الرياح وقال أبو عبيدة مثله وقال القتيبي تنسفه ﴿وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾

فتنة والله عنده أجر عظيم) أي الاقبال عليه والتفرغ لعبادته خير لكم من اشتغالكم بهم والجمع لهم والشفقة المفرطة عليهم * ولهذا قال (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) قال ابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف الباقيات الصالحات الصلوات الخمس ، وقال عطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير عن ابن عباس الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر، وهكذا سئل أمير المؤمنين عثمان بن عفان عن الباقيات الصالحات ماهي فقال هي لا إله الا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * رواه الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن المقري حدثنا حيوة حدثنا أبو عقيل أنه سمع الحارث مولى عثمان رضي الله عنه يقول جلس عثمان يوما وجلسنا معه فجاءه المؤذن فدعا بماء في إناء أظنه سيكون فيه مد فتوضأ ثم قال رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئي هذا ثم قال « من توضأ وضوئي هذا ثم قام يصلي صلاة الظهر غفر له ما كان بينها وبين الصبح ثم صلى العصر غفر له ما بينها وبين الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما بينها وبين العصر ثم صلى العشاء غفر له ما بينها وبين المغرب ثم لعله يتمرغ يبيت يتمرغ ليلته ثم ان قام فتوضأ وصلى صلاة الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء وهن الحسنات يذهبن السيئات » قالوا هذه الحسنات فما الباقيات الصالحات ياعثمان؟ قال هي لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله تفرد به * وروى مالك عن عمارة بن عبدالله بن جياد عن سعيد بن المسيب قال الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله

وقال محمد بن عجلان عن عمارة قال سألني سعيد بن المسيب عن الباقيات الصالحات فقلت الصلاة والصيام فقال لم تصب فقلت الزكاة والحج فقال لم تصب ولكنهن الكلمات الخمس لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله

وقال ابن جريج أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم عن نافع بن سرجس أنه أخبره أنه سأل ابن عمر عن الباقيات الصالحات قال لا إله الا الله والله اكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة الا بالله * قال ابن جريج وقال عطاء بن أبي رباح مثل ذلك ، وقال مجاهد الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر .

قادراً ﴿ المال والبنون ﴾ التي يفتخر بها عتبة وأصحابه الاغنياء ﴿ زينة الحياة الدنيا ﴾ ليست من زاد الآخرة قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : المال والبنون حرث الدنيا والاعمال الصالحات حرث الآخرة وقد يجمعها الله لاقوام ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ اختلفوا فيها فقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد هي قول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله اكبر وقد روينا أن النبي ﷺ قال « أفضل الكلام أربع كلمات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله اكبر ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسين الحيري أخبرنا أبو جعفر عبد الله بن اسماعيل

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة في قوله (والباقيات الصالحات) قال لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله هن الباقيات الصالحات « قال ابن جرير : وجدت في كتابي عن الحسن بن الصباح البزار عن أبي نصر التمار عن عبد العزيز بن مسلم عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال :قال رسول الله ﷺ « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات » قال وحدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث ان دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن ابي سعيد ان رسول الله ﷺ قال « استكثروا من الباقيات الصالحات » قيل وما هن يارسول الله « قال « الملة » قيل وماهي يارسول الله ؟ قال « التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله » وهكذا رواه أحمد من حديث دراج به

قال ابن وهب أخبرني أبو صخر أن عبد الله بن عبد الرحمن مولى سالم بن عبد الله حدثه قال : أرسلني سالم إلى محمد بن كعب القرظي في حاجة فقال قل له القني عند زاوية القبر فان لي اليك حاجة قال فالتقيا فسلم أحدهما على الآخر ثم قال سالم: ماتعد الباقيات الصالحات؟ فقال لا إله الا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة الا بالله ، فقال له سالم :متى جعلت فيها لا حول ولا قوة الا بالله ؟ قال: مازلت أجعلها قال فراجعه مرتين أو ثلاثا فلم ينزع قال فأبيت ؟ قال سالم أجل فأبيت فان أبا ايوب الانصاري حدثني انه سمع رسول الله ﷺ وهو يقول « عرج بي الى السماء فرأيت ابراهيم عليه السلام فقال ياجبريل من هذا الذي معك ؟ فقال محمد فرحب بي وسهل ثم قال مر امتك فلتكثر من غراس الجنة فان تربتها طيبة وأرضها واسعة فقلت وما غراس الجنة فقال لا حول ولا قوة الا بالله »

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن يزيد عن العوام حدثني رجل من الانصار من آل النعمان بن بشير قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في المسجد بعد صلاة العشاء فرفع بصره الى السماء ثم خفض حتى ظننا انه قد حدث في السماء شيء ثم قال « اما انه سيكون بعدي امراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم ومالأهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يمالئهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه « ألا وان سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات »

وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا أبان حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد عن ابي سلام عن مولى

الهاشمي أنبأنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لأن أقول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله اكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد ابن سمعان أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار أنبأنا حميد بن زنجويه ثنا عثمان بن صالح ثنا ابن لهيعة ثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال « استكثروا من الباقيات الصالحات » قيل وما هن يارسول الله ؟ قال « الملة » قيل وما هي يارسول الله ؟ قال

لرسول الله ﷺ ان رسول الله ﷺ قال «بخ بخ لخمس ماأثقلهن في الميزان :لااله الاالله والله أكبر وسبحان الله والحمدلله والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده ـ وقال ـ بخ بخ لخمس من لقي الله مستيقنا بهن دخل الجنة :يؤمن بالله واليوم الآخر وبالجنة وبالنار وبالبعث بعد الموت وبالحساب » وقال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا الاوزاعي عن حسان بن عطية قال : كان شداد بن أوس رضي الله عنه في سفر فنزل منزلا فقال لغلامه « ائتنا بالشفرة فعبث بها فأنكرت عليه فقال ماتكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمها غير كلمتي هذه فلا تحفظوها علي واحفظوا مااقول لكم :سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا أنتم هؤلاء الكلمات :اللهم إني أسألك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك ،وأسألك حسن عبادتك ، وأسألك قلبا سليما ، وأسألك لسانا صادقا ، وأسألك من خير ماتعلم وأعوذ بك من شر ماتعلم وأستغفرك لما تعلم انك أنت علام الغيوب » ثم رواه أيضا النسائي من وجه آخر عن شداد بنحوه . وقال الطبراني « حدثنا عبدالله بن ناجية حدثنا محمد ابن سعد العوفي حدثني أبي حدثنا عمر بن الحسين عن يونس بن نفيع الجدلي عن سعد بن جنادة رضي الله عنه قال « كنت في أول من أتى النبي ﷺ من أهل الطائف فخرجت من أعلى الطائف من السراة غدوة فأتيت منى عند العصر فتصاعدت في الجبل ثم هبطت فأتيت النبي ﷺ فأسلمت وعلمني (قل هو الله أحد) و (إذا زلزلت) وعلمني هؤلاء الكلمات : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقال « هن الباقيات الصالحات » وبهذا الاسناد « من قام من الليل فتوضأ ومضمض فاه ثم قال سبحان الله مائة مرة والحمد لله مائة مرة والله أكبر مائة مرة ولا اله الا الله مائة مرة غفرت ذنوبه الا الدماء فانها لاتبطل » وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (والباقيات الصالحات)قال هي ذكر الله قول لااله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله وتبارك الله ولا حول ولا قوة الا بالله وأستغفر الله وصلى الله على رسول الله والصيام والصلاة والحج والصدقة والعتق والجهاد والصلة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لاهلها في الجنة مادامت السموات والارض . وقال العوفي عن ابن عباس : هي الكلام الطيب . وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم :هي الاعمال الصالحة كلها واختاره ابن جرير رحمه الله

ويوم نُسيّر الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا (٤٧) وعرضوا

« التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » وقال سعيد بن جبير ومسروق وابراهيم: الباقيات الصالحات هي الصلوات الخمس، ويروى هذا عن ابن عباس وعنه رواية اخرى انها الاعمال الصالحة ، وهو قول قتادة . قوله تعالى ﴿ خير عند ربك ثوابا ﴾ أي جزاء ﴿ وخير أملا ﴾ أي ما يأمله الانسان

قوله تعالى ﴿ ويوم نسير الجبال ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر تسير بالتاء وفتح الياء

على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقنـٰكم أول مرة بل زعمتم ألّن نجعل لكم موعداً (٤٨) ووضع الكتـٰب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يـٰويلتنا مال هذا الكتـٰب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصـٰها ووجدوا ماعملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً (٤٩)

يخبر تعالى عن أهوال يوم القيامة وما يكون فيه من الامور العظام كما قال تعالى (يوم تمور السماء موراً ٭ وتسير الجبال سيراً) أي تذهب من أماكنها وتزول كما قال تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) وقال تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وقال (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) يذكر تعالى انه تذهب الجبال وتتساوى المهاد وتبقى الارض قاعا صفصفا أي سطحا مستويا لا عوج فيه ولا أمتا أي لا وادي ولا جبل ولهذا قال تعالى (وترى الارض بارزة) أي بادية ظاهرة ليس فيها معلم لاحد ولا مكان يواري أحداً بل الخلق كلهم ضاحون لربهم لا تخفى عليه منهم خافية . قال مجاهد وقتادة (وترى الارض بارزة) لاحجر فيها ولا غيابة قال قتادة لا بناء ولا شجر

وقوله (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً) أي وجمعناهم الاولين منهم والآخرين فلم نترك منهم أحداً لا صغيراً ولا كبيراً كما قال (قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) وقال (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وقوله (وعرضوا على ربك صفا) يحتمل ان يكون المراد أن جميع الخلائق يقومون بين يدي الله صفا واحداً كما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا) ويحتمل انهم يقومون صفوفا صفوفا كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) وقوله (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) هذا تقريع للمنكرين للمعاد، وتوبيخ لهم على رءوس الاشهاد، ولهذا قال مخاطبا لهم (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) أي ما كان ظنكم أن هذا واقع بكم ولا أن هذا كائن

الجبال رفع دليله قوله تعالى (وإذا الجبال سيرت) وقرأ الآخرون بالنون وكسر الياء الجبال نصب وتسيير الجبال نقلها من مكان الى مكان ﴿ وترى الارض بارزة ﴾ أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا نبات كما قال (فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا) قال عطاء هو بروزما في بطنها من الموتى وغيرهم فترى باطن الارض ظاهراً ﴿ وحشرناهم ﴾ جميعا الى الموقف والحساب ﴿ فلم نغادر منهم ﴾ أي نترك منهم أحدا ٭ وعرضوا على ربك صفا ﴾ أي صفا صفا وفوجا فوجا لا انهم صف واحد وقيل قياما ثم يقال لهم يعني الكفار ﴿ لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ يعني أحياء وقيل فرادى كما ذكر في سورة الانعام وقيل عراة وقيل غرلا ﴿ بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعداً ﴾ يوم القيامة يقوله لمنكري البعث أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن

وقوله (ووضع الكتاب) أي كتاب الاعمال الذي فيه الجليل والحقير والفتيل والقطمير والصغير والكبير (فترى المجرمين مشفقين مما فيه) أي من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة (ويقولون ياويلتنا) أي ياحسرتنا وويلنا على مافرطنا في أعمارنا (مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) أي لايترك ذنبا صغيراً ولا كبيراً ولا عملا وان صغر إلا أحصاها أي ضبطها وحفظها وروى الطبراني باسناده المتقدم في الآية قبلها إلى سعد بن جنادة قال لمافرغ رسول الله ﷺ من غزوة حنين نزلنا قفرا من الارض ليس فيه شيء فقال النبي ﷺ « اجمعوا من وجد عودا فليأت به

اسماعيل ثنا معلى بن أسد ثنا وهب عن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « يحشر الناس على ثلاث طرائق : راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان بن المغيرة بن النعمان حدثني سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « إنكم محشورون حفاة عراة غرلا - ثم قرأ (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين) وأول من يكسى يوم القيامة ابراهيم وان ناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابي أصحابي فيقول إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح (وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم - الى قوله - العزيز الحكيم) » أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد السرخسي أنا ابو القاسم جعفر بن محمد بن مغلس ببغداد ثنا هارون بن اسحاق الهمداني أنبأنا أبو خالد عن حاتم بن أبي صغير عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يارسول الله كيف يحشر الناس يوم القيامة ؟ قال « عراة حفاة » قالت قلت والنساء ؟ قال « والنساء » قالت قلت يارسول الله أنستحيي ؟ قال « ياعائشة الامر أشد من ذلك أن يهمهم أن ينظر بعضهم الى بعض »

قوله عز وجل ﴿ ووضع الكتاب ﴾ يعني كتاب أعمال العباد يوضع في ايدي الناس في أيمانهم وشمائلهم وقيل معناه يوضع بين يدي الله عز وجل ﴿ فترى المجرمين مشفقين ﴾ خائفين ﴿ مما فيه ﴾ من الاعمال السيئة ﴿ ويقولون ﴾ اذا رأوها ﴿ ياويلتنا ﴾ ياهلاكنا والويل والويلة الهلكة وكل من وقع في هلكة دعا بالويل ومعنى النداء تنبيه المخاطبين ﴿ مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة ﴾ من من ذنوبنا قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم والمسيس والقبل والكبيرة الزنا ﴿ إلا احصاها ﴾ عددها قال السدي كتبها واثبتها قال مقاتل بن حيان حفظها أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنبأنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطيسفوني أنبأنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي أنبأنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو بن بسطام أنبأنا أبو الحسن

ومن وجد حطبا او شيئا فليأت به « قال فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركاما فقال النبي ﷺ « أترون هذا ؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا فليتق الله رجل ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة فانها محصاة عليه »

وقوله (ووجدوا ماعملوا حاضراً) أي من خير وشر كما قال تعالى (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا) الآية وقال تعالى (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) وقال تعالى (يوم تبلى السرائر) أي تظهر المخبآت والضمائر

قال الامام احمد حدثنا ابو الوليد حدثنا شعبة عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ قال « لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به » أخرجاه في الصحيحين وفي لفظ « يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه بقدر غدرته يقال هذه غدرة فلان بن فلان » وقوله (ولا يظلم ربك أحدا) أي فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعا ولا يظلم أحداً من خلقه بل يعفو ، يصفح ، يغفر ويرحم ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله ويملأ النار من الكفار وأصحاب المعاصي ثم ينجي أصحاب المعاصي ويخلد فيها الكافرين وهو الحاكم الذي لايجور ولا يظلم قال تعالى (إن الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها) الآية وقال (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا — إلى قوله — حاسبين) والآيات في هذا كثيرة

وقال الامام احمد حدثنا يزيد أخبرنا همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد المكي عن عبدالله بن محمد بن عقيل انه سمع جابر بن عبدالله يقول : بلغني حديث عن رجل سمعه من النبي ﷺ فاشتريت بعيراً ثم شددت عليه رحلا فسرت عليه شهراً حتى قدمت عليه الشام فاذا عبدالله بن أنيس فقلت للبواب قل له جابر على الباب فقال ابن عبدالله قلت نعم فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته فقلت حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص فخشيت أن تموت او أموت قبل أن أسمعه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامه أو قال العباد عراة غرلا بهما قلت وما بهما؟ قال ليس معهم شيء ، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان لاينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه ولا ينبغي لاحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله عند رجل من أهل النار حق حتى

أحمد بن يسار القرشي ثنا يوسف بن عدي المصري ثنا أبو ضمرة أنس بن عياض عن أبي حازم قال لا أعلمه إلا عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ « إياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فانضجوا خبزتهم وإن محقرات الذنوب لموبقات »

قوله تعالى ﴿ ووجدوا ماعملوا حاضراً ﴾ مكتوبا مثبوتا في كتبهم ﴿ ولا يظلم ربك أحدا ﴾ أي

أقضيه منه حتى اللطمة قال قلنا كيف وانما نأتي الله عز وجل حفاة عراة غرلا بهما ؟ قال بالحسنات والسيئات « وعن شعبة عن العوام بن مزاحم عن أبي عثمان عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ان الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة » رواه عبدالله بن الامام احمد وله شواهد من وجوه أخر وقد ذكرناها عند قوله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) وعند قوله تعالى (إلا أمم أمثالكم مافرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون)

واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا (٥٠)

يقول تعالى منبها بني آدم على عداوة ابليس لهم ولابيهم من قبلهم ومقرعا لمن اتبعه منهم وخالف خالقه ومولاه وهو الذي أنشأه وابتداه بالطافه ورزقه غذاه ثم بعد هذا كله والى ابليس وعادى الله فقال تعالى (واذ قلنا للملائكة) أي لجميع الملائكة كما تقدم تقريره في أول سورة البقرة (اسجدوا لآدم) أي سجود تشريف وتكريم وتعظيم كما قال تعالى (واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) وقوله (فسجدوا إلا إبليس كان من الجن) أي خانه أصله فانه خلق من مارج من نار وأصل خلق الملائكة من نور كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال « خلقت الملائكة من نور وخلق ابليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه وخانه الطبع عند الحاجة وذلك انه كان قد توسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك فلهذا دخل في خطابهم وعصى بالمخالفة » ونبه تعالى ههنا على أنه من الجن أي على انه خلق من نار كما قال (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)

لاينقص ثواب أحد عمل خيراً وقال الضحاك لايؤاخذ أحداً بجرم لم يعمله وقال عبد الله بن قيس يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله ورفعه بعضهم عن أبي موسى

قوله تعالى ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ يقول واذكر يامحمد اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴿ فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ﴾ قال ابن عباس كان من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم. وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الانس ﴿ ففسق ﴾ أي خرج ﴿ عن أمر ربه ﴾ عن طاعة ربه ﴿ أفتتخذونه ﴾ يعني يابني آدم ﴿ وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ﴾ أي أعداء روى مجاهد عن الشعبي قال إني لقاعد يوما اذ أقبل رجل فقال اخبرني هل لابليس زوجة قلت إن ذلك العرس ماشهدته ثم ذكرت قوله تعالى (أفتتخذونه

قال الحسن البصري ما كان ابليس من الملائكة طرفة عين قط وانه لاصل الجن كما ان آدم عليه السلام أصل البشر رواه ابن جرير باسناد صحيح عنه ‫.‬ وقال الضحاك عن ابن عباس كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان اسمه الحارث وكان خازنا من خزان الجنة وخلقت الملائكة من نور غير هذا الحي قال وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذي يكون في طرفها اذا التهبت

وقال الضحاك أيضا عن ابن عباس كان ابليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الارض وكان مما سولت له نفسه من قضاء الله أنه رأى أن له بذلك شرفا على أهل السماء فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله واستخرج الله ذلك الكبر منه حين أمره بالسجود لآدم (فاستكبر وكان من الكافرين) قال ابن عباس قوله (كان من الجن) أي من خزان الجنان كما يقال للرجل مكي ومدني وبصري وكوفي

وقال ابن جريج عن ابن عباس نحو ذلك ‫.‬ وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال هو من خزان الجنة وكان يدبر أمر السماء الدنيا ، رواه ابن جرير من حديث الاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد به ‫.‬ وقال سعيد بن المسيب كان رئيس ملائكة سماء الدنيا ، وقال ابن اسحاق عن خلاد عن عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال: كان ابليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الارض وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علما فذلك دعاه الى الكبر وكان من حي يسمون جنا .

وقال ابن جريج عن صالح مولى التوأمة وشريك بن أبي نمر أحدهما أو كلاهما عن ابن عباس

وذريته أولياء من دوني) فعلمت أنه لاتكون الذرية إلا من الزوجة فقلت نعم وقال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل إنه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد: من ذرية ابليس لاقيس وولهان وهما صاحبا الطهارة والصلاة، والهفاف ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذبة ومدح السلع ، وبثر وهو صاحب المصائب يزين للناس خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب ‫.‬ والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ في احليل الرجل وعجز المرأة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس ولا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذي اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله بصره من المتاع مالم يرفع ولم يوضع في موضعه أو يحتبس موضعه واذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم اذكر اسم الله ولم اسلم فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم ثم أذكر اسم الله فأقول داسم داسم وروي عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال ‫.‬ إن للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء ‫.‬ أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي

قال إن من الملائكة قبيلة من الجن وكان إبليس منها وكان يسوس مابين السماء والارض فعصى فسخط الله عليه فسخه شيطانا رجيما لعنه الله ممسوخا قال وإذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجه وإذا كانت في معصية فارجه « وعن سعيد بن جبير أنه قال كان من الجنانين الذين يعملون في الجنة وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف وغالبها من الاسرائيليات التي تنقل لينظر فيها والله أعلم بحال كثير منها ومنها ماقد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بايدينا وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة لانها لاتكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان وقد وضع فيها أشياء كثيرة وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين كما لهذه الامة من الائمة والعلماء والسادة والاتقياء والبررة والنجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث وحرروه وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين وغير ذلك من أصناف الرجال كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي خاتم الرسل وسيد البشر ﷺ أن ينسب اليه كذب أو يحدث عنه بما ليس منه فرضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل ، وقوله (ففسق عن أمر ربه) أي فخرج عن طاعة الله فان الفسق هو الخروج يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من أكمامها وفسقت الفأرة من جحرها إذا خرجت منه للعيث والفساد ثم قال تعالى مقرعا وموبخا لمن اتبعه وأطاعه (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني) الآية أي بدلا عني ولهذا قال (بئس للظالمين بدلا) وهذ المقام كقوله بعد ذكر القيامة وأهوالها ومصير كل من الفريقين السعداء والاشقياء في سورة يس (وامتازوا اليوم أيها المجرمون – الى قوله – أفلم تكونوا تعقلون)

أنبأنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنبأنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن خلف الباهلي أنبأنا عبد الاعلى عن سعيد الحريري عن أبي العلاء أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي ﷺ فقال يارسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا » ففعلت ذلك فاذهبه الله عني وأخبرنا اسماعيل بن عبدالقاهر أنبأنا عبدالغافر بن محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنبأنا مسلم بن الحجاج ثنا ابو كريب محمد بن العلاء أنبأنا ابو معاوية ثنا الاعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهم قال قال رسول الله ﷺ « ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه يفتنون الناس فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ماصنعت شيئا قال ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت » قال الاعمش أراه قال فيلتزمه قوله تعالى ﴿ بئس للظالمين بدلا ﴾ قال قتادة

ما أشهدتهم خلق السموٰت والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا (٥١)

يقول تعالى هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء من دوني عبيد أمثالكم لا يملكون شيئا ولا أشهدتهم خلق السموات والارض ولا كانوا إذ ذاك موجودين) يقول تعالى أنا المستقل بخلق الاشياء كلها ومدبرها ومقدرها وحدي ليس معي في ذلك شريك ولا وزير ولا مشير ولا نظير كما قال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) الآية ولهذا قال (وما كنت متخذ المضلين عضدا) قال مالك أعوانا

ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا (٥٢)

ورءا المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا (٥٣)

يقول تعالى مخبرا عما يخاطب به المشركين يوم القيامة على رءوس الاشهاد تقريعا لهم وتوبيخا (نادوا شركائي الذين زعمتم) أي في دار الدنيا ادعوهم اليوم ينقذونكم مما أنتم فيه كما قال تعالى (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) وقوله (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) كما قال (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) الآية وقال (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) الآيتين وقال تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا

بئس ما استبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادة ربهم ﴿ ما أشهدتهم ﴾ ما أحضرتهم وقرأ ابو جعفر ما أشهدناهم بالنون والالف على التعظيم أي أحضرناهم يعني ابليس وذريته وقيل الكفار وقال الكلبي يعني الملائكة ﴿ خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم ﴾ يقول ما أشهدتهم خلقا فأستعين بهم على خلقها وأشاورهم فيها ﴿ وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾ أي الشياطين الذين يضلون الناس عضداً أي أنصاراً وأعوانا

قوله تعالى ﴿ ويوم يقول ﴾ قرأ حمزة بالنون والآخرون بالياء أي يقول الله لهم يوم القيامة ﴿ نادوا شركائي ﴾ يعني الاوثان ﴿ الذين زعمتم ﴾ أنهم شركائي ﴿ فدعوهم ﴾ فاستغاثوا بهم ﴿ فلم يستجيبوا لهم ﴾ أي لم يجيبوهم ولم ينصروهم ﴿ وجعلنا بينهم ﴾ يعني بين الاوثان وعبدتها ، وقيل بين أهل

سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) وقوله (وجعلنا بينهم موبقا) قال ابن عباس وقتادة وغير واحد مهلكا ، وقال قتادة ذكر لنا أن عمرو البكالي حدث عن عبد الله بن عمر وقال هو واد عميق فرق به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة وقال قتادة موبقا واديا في جهنم

وقال ابن جرير حدثني محمد بن سنان القزاز حدثنا عبد الصمد حدثنا يزيد بن زريع سمعت أنس بن مالك يقول في قول الله تعالى (وجعلنا بينهم موبقا) قال واد في جهنم من قيح ودم ، وقال الحسن البصري موبقا عداوة والظاهر . من السياق ههنا أنه المهلك ويجوز أن يكون واديا في جهنم أو غيره والمعنى أن الله تعالى بين أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ولا وصول لهم إلى آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا وأنه يفرق بينهم وبينها في الآخرة فلا خلاص لاحد من الفريقين الى الآخر بل بينهما مهلك وهول عظيم وأمر كبير . وأما ان جعل الضمير في قوله بينهم عائدا الى المؤمنين والكافرين كما قال عبد الله بن عمرو أنه يفرق بين أهل الهدى والضلالة به فهو كقوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) وقال يومئذ يصدعون وقال تعالى (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وقال تعالى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم -الى قوله- وضل عنهم ما كانوا يفترون) وقوله (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا) أي انهم لما عاينوا جهنم حين جيء بها تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك (فاذا رأى المجرمون النار) تحققوا لامحالة أنهم (مواقعوها) ليكون ذلك من باب تعجيل الهم والحزن لهم فان توقع العذاب والخوف منه قبل وقوعه عذاب ناجز وقوله (ولم يجدوا عنها مصرفا) أي ليس لهم طريق يعدل بهم عنها ولا بد لهم منها

قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال « ان الكافر ليرى جهنم فيظن أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة » وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ ينصب الكافر مقدار خمسين الف سنة كما لم يعمل في الدنيا وإن الكافر ليرى جهنم ويظن أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة

الهدى وأهل الضلالة ﴿ موبقا ﴾ مهلكا قاله عطاء والضحاك ، وقال ابن عباس هو واد في النار ، وقال مجاهد واد في جهنم ، وقال عكرمة هو نهر في النار يسيل نارا على حافته حيات مثل البغال الدهم قال ابن الاعرابي وكل حاجز بين شيئين فهو موبق وأصله الهلاك يقال أوبقه أي أهلكه قال الفراء وجعلنا تواصلهم في الدنيا مهلكا لهم في الآخرة والبين على هذا القول التواصل كقوله تعالى (لقد تقطع بينكم) على قراءة من قرأ بالرفع ﴿ ورأى المجرمون النار ﴾ أي المشركون ﴿ فظنوا ﴾ أيقنوا ﴿ أنهم مواقعوها ﴾ داخلوها وواقعون فيها ﴿ ولم يجدوا عنها مصرفا ﴾ معدلا لأنها أحاطت بهم من كل جانب

ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مَثل وكان الانسان أكثر شيء جدلاً (٥٤)

يقول تعالى (ولقد) بينا للناس (في هذا القرآن) ووضحنا لهم الامور وفصلناها كيلا يضلوا عن الحق ويخرجوا عن طريق الهدى ومع هذا البيان وهذا الفرقان الانسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق بالباطل الا من هدى الله وبصره لطريق النجاة

قال الامام أحمد حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني علي بن الحسين أن حسين ابن علي أخبره أن علي بن أبي طالب أخبره أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلة فقال « ألا تصليان» فقلت يارسول الله انما أنفسنا بيد الله فاذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع الي شيئا ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه ويقول (وكان الانسان أكثر شيء جدلا)أخرجاه في الصحيحين .

وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهُدَى ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سُنة الاولين أو يأتيهم العذاب قُبُلا (٥٥) وما نرسل المرسلين الا مبشّرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليُدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما انذروا هزوا (٥٦)

يخبر تعالى عن تمرد الكفرة في قديم الزمان وحديثه وتكذيبهم بالحق البين الظاهر مع مايشاهدون من الآيات والدلالات الواضحات وأنه مامنعهم من اتباع ذلك الا طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذي وعدوا به عيانا كما قال أولئك لنبيهم (فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين) وآخرون

قوله تعالى ﴿ ولقد صرفنا ﴾ بينا ﴿ في هذا القرآن للناس من كل مثل ﴾ أي ليتذكروا ويتعظوا ﴿ وكان الانسان أكثر شيء جدلا ﴾ خصومة في الباطل . قال ابن عباس أراد النضر بن الحارث وجداله في القرآن . وقاله الكلبي أراد به أبي بن خلف الجمحي وقيل المراد من الآية الكفار لقوله تعالى (ويجادل الذين كفروا بالباطل) وقيل هي على العموم وهذا أصح أخبرنا عبدالواحد بن احمد المليحي أنبأنا احمد بن عبدالله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف أنبأنا محمد بن اسماعيل أنا ابو اليمان أنا شعيب عن الزهري أنبأنا علي بن الحسين أن الحسين بن علي أخبره ان علياً أخبره أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلة فقال « ألا تصليان ؟ » فقلت يارسول الله ان أنفسنا بيد الله فاذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك ولم يرجع الي شيئا ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول (وكان الانسان أكثر شيء جدلا)

قوله عز وجل ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ﴾ القرآن والاسلام والبيان من الله

قالوا (ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) وقالت قريش (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم* وقالوا ياأيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ماتأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين) الى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك ثم قال (الا أن تأتيهم سنة الاولين من غشيانهم بالعذاب واخذهم عن آخرهم (أو يأتيهم العذاب قبلا) أي يرونه عيانا مواجهة ومقابلة ثم قال تعالى (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) أي قبل العذاب مبشرين من صدقهم وآمن بهم ومنذرين لمن كذبهم وخالفهم ثم أخبر عن الكفار بأنهم (يجادلون بالباطل ليدحضوا به) أي ليضعفوا به الحق الذي جاءتهم به الرسل وليس ذلك بحاصل لهم (واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا) أي اتخذوا الحجج والبراهين وخوارق العادات التي بعث بها الرسل وما أنذروهم وخوفوهم به من العذاب (هزوا) أي سخروا منهم في ذلك وهو أشد التكذيب

ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ماقدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا (٥٧) وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا (٥٨) وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا (٥٩)

يقول تعالى وأي عباد الله أظلم ممن ذكر بآيات الله فاعرض عنها أي تناساها وأعرض عنها ولم يصغ لها ولا ألقى اليها بالا (ونسي ماقدمت يداه) أي من الاعمال السيئة والافعال القبيحة (انا جعلنا على قلوبهم) أي قلوب هؤلاء (أكنة) أي أغطية وغشاوة (أن يفقهوه) أي لئلا يفهموا هذا

عز وجل وقيل انه الرسول ﷺ ﴿ ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الاولين ﴾ يعني سنتنا في اهلاكهم ان لم يؤمنوا ، وقيل الا طلب أن تأتيهم سنة الاولين في معاينة العذاب كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴿ أو يأتيهم العذاب قبلا ﴾ قال ابن عباس أي عيانا من المقابلة ، وقال مجاهد فجأة وقرأ ابو جعفر وأهل الكوفة قبلا بضم القاف والباء جمع قبيل أي أصناف العذاب نوعا نوعا ﴿ وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ﴾ ومجادلتهم قولهم أبعث الله بشرا رسولا * ولولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وما أشبهه ﴿ ليدحضوا ﴾ ليبطلوا ﴿ به الحق ﴾ وأصل الدحض الزلق يريد ليزيلوا به الحق ﴿ واتخذوا آياتي وماأنذروا هزوا ﴾ فيه اضمار يعني وما أنذروا به وهو القرآن هزوا أي استهزاء ﴿ ومن أظلم ممن ذكر ﴾ وعظ ﴿ بآيات ربه فأعرض عنها ﴾ تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها ﴿ ونسي ماقدمت يداه ﴾ أي ماعمل من المعاصي من قبل ﴿ انا جعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ أغطية ﴿ أن يفقهوه ﴾

القرآن والبيان (وفي آذانهم وقرا) أي صما معنويا عن الرشاد (وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبدا)

وقوله (وربك الغفور ذو الرحمة) أي ربك يامحمد غفور ذو رحمة واسعة (لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) كما قال (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) وقال (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب) والآيات في هذا كثيرة ثم أخبر أنه يحلم ويستر ويغفر وربما هدى بعضهم من الغي الى الرشاد ومن استمر منهم فله يوم يشيب فيه الوليد وتضع كل ذات حمل حملها ، ولهذا قال (بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا) أي ليس لهم عنه محيص ولا محيد ولا معدل

وقوله (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا) أي الامم السالفة والقرون الخالية أهلكناهم بسبب كفرهم وعنادهم (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أي جعلناه إلى مدة معلومة ووقت معين لايزيد ولا ينقص أي وكذلك أنتم أيها المشركون احذروا أن يصيبكم ما أصابهم فقد كذبتم أشرف رسول وأعظم نبي ولستم بأعز علينا منهم فخافوا عذابي ونذر

واذ قال موسى لفتاه لا ابرحُ حتى ابلغ مجمع البحرين او امضيَ حقُبا (٦٠) فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سَربا (٦١) فلما جاوزا قال لفتٰه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا (٦٢) قال أرأيت إذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسٰنيهِ الا الشيطٰن أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عَجبا (٦٣) قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا (٦٤) فوجدا عبدا من عبادنا آتينٰه رحمة من عندنا وعلمنٰه من لدنا علما (٦٥)

أي يفهموه يريد لئلا يفهموه ﴿ وفي آذانهم وقرا ﴾ أي صمما وثقلا ﴿ وان تدعهم ﴾ يامحمد ﴿إلى الهدى﴾ إلى الدين ﴿ فلن يهتدوا اذا أبداً ﴾ وهذا في أقوام علم الله منهم أنهم لايؤمنون ﴿ وربك الغفور ذو الرحمة ﴾ ذو النعمة ﴿ لو يؤاخذهم ﴾ يعاقب الكفار ﴿ بما كسبوا ﴾ من الذنوب ﴿ لعجل لهم العذاب ﴾ في الدنيا ﴿ بل لهم موعد ﴾ يعني البعث والحساب ﴿ لن يجدوا من دونه موئلا ﴾ ملجأ ﴿ وتلك القرى أهلكناهم ﴾ يعني قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ﴿ لما ظلموا ﴾ كفروا ﴿ وجعلنا لمهلكهم موعدا ﴾ أي أجلا قرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام وكذلك في النمل مهلك أي لوقت هلاكهم ، وقرأ الآخرون بضم الميم وفتح اللام أي لاهلاكهم

قوله تعالى ﴿ واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين ﴾ عامة أهل العلم قالوا انه

سبب قول موسى لفتاه وهو يوشع بن نون هذا الكلام أنه ذكر له أن عبداً من عباد الله بمجمع البحرين عنده من العلم مالم يحط به موسى فأحب الرحيل اليه وقال لفتاه ذلك (لا أبرح) أي لا أزال سائرا حتى أبلغ مجمع البحرين أي هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين قال الفرزدق

فما برحوا حتى تهادت نساؤهم ببطحاء ذي قار عياب اللطائم

قال قتادة وغير واحد هما بحر فارس مما يلي المشرق وبحر الروم مما يلي المغرب، وقال محمد بن كعب القرظي: مجمع البحرين عند طنجة يعني في أقصى بلاد المغرب فالله أعلم، وقوله (أوأمضي حقبا) أي ولو أني أسير حقبا من الزمان . قال ابن جرير رحمه الله ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب أن الحقب في لغة قيس سنة ثم قد روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال الحقب ثمانون سنة ، وقال مجاهد سبعون خريفا ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (أو أمضي حقبا) قال دهراً ، وقال قتادة وابن زيد مثل ذلك

وقوله (فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما) وذلك أنه كان قد أمر بحمل حوت مملوح معه وقيل له متى فقدت الحوت فهو ثمة فسارا حتى بلغا مجمع البحرين وهناك عين يقال لها عين الحياة فناما هنالك وأصاب الحوت من رشاش ذلك الماء فاضطرب وكان في مكتل مع يوشع عليه السلام وطفر من المكتل الى البحر فاستيقظ يوشع عليه السلام وسقط الحوت في البحر فجعل يسير في الماء والماء له مثل الطاق لا يلتئم بعده ، ولهذا قال تعالى (واتخذ سبيله في البحر سربا) أي مثل السرب في الارض قال ابن جريج قال ابن عباس صار أثره كأنه حجر . وقال العوفي عن ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيئا من البحر الا يبس حتى يكون صخرة ، وقال محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ حين ذكر حديث ذلك ما انجاب ماء منذ كان الناس غير مسير مكان الحوت الذي فيه فانجاب كالكوة حتى رجع اليه موسى فرأى مسلكه فقال (ذلك ما كنا نبغي) وقال قتادة سرب من البر حتى أفضى الى البحر ثم سلك فجعل لا يسلك فيه طريقا الا صار ماء جامداً

موسى بن عمران ، وقال بعضهم هو موسى بن ميشا من أولاد يوسف والاول أصح أخبرنا عبد الواحد ابن احمد المليحي أنبأنا احمد بن عبدالله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عمرو بن دينار أخبرني سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا أبي بن كعب انه سمع رسول الله ﷺ يقول ، ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل أي الناس أعلم فقال أنا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك . قال موسى يارب فكيف لي به قال تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمة

وقوله (فلما جاوزا) أي المكان الذي نسيا الحوت فيه ونسب النسيان اليهما وان كان يوشع هو الذي نسيه كقوله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وانما يخرج من المالح على أحد القولين فلما ذهبا عن المكان الذي نسياه فيه بمرحلة (قال) موسى (لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا) أي الذي جاوزا فيه المكان (نصبا) يعني تعبا (قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره) قال قتادة وقرأ ابن مسعود أن أذكركه ولهذا قال (فاتخذ سبيله) أي طريقه (في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغي) أي هذا هو الذي نطلب (فارتدا) أي رجعا (على آثارهما) أي طريقهما (قصصا) أي يقصان آثر مشيهما ويقفوان أثرهما (فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) وهذا هو الخضر عليه السلام كما دلت عليه الاحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ

قال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرني سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس إن نوفا البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر عليه السلام ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل . قال ابن عباس كذب عدو الله ، حدثنا أبي بن كعب رضي الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول «ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ قال أنا . فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم اليه ، فأوحى الله اليه ان لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى يارب وكيف لي به؟ قال تأخذ معك حوتا فتجعله بمكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم » فأخذ حوتا فجعله بمكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون عليه السلام حتى اذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق « فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغداة قال موسى لفتاه (آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به » قال له فتاه (أرأيت إذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا) قال فكان للحوت

فأخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد فلما جاوزا قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به وقال له فتاه (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا) قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا وقال موسى (ذلك ما كنا نبغ) نطلبه فارتدا

سربا ولموسى وفتاه عجبا (فقال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا) قال فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بأرضك السلام. فقال أنا موسى. فقال موسى بني اسرائيل؟ قال نعم قال أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا (قال إنك لن تستطيع معي صبرا) ياموسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه. فقال موسى (ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمرا) قال له الخضر (فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا) فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول، فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم ■ فقال له موسى قد حملونا بغير نول فعمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرا (قال ألم أقل إنك ان تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا) قال وقال رسول الله ﷺ ■ فكانت الاولى من موسى نسيانا ■ قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة او نقرتين فقال له الخضر: ماعلمي وعلمك في علم الله إلا مثل مانقص هذا العصفور من هذا البحر. ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى (أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكرا) قال (ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا) قال وهذه أشد من الأولى، (قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراء فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض) أي مائلا فقال الخضر بيده (فأقامه) فقال موسى قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا (لو شئت لاتخذت عليه أجرا) قال (هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) فقال رسول الله ﷺ «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما ■ قال سعيد بن جبير: كان ابن عباس يقرأ (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) وكان يقرأ (وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين) ثم رواه البخاري عن قتيبة عن سفيان بن عيينة فذكر نحوه وفيه فخرج موسى ومعه

على آثارهما قصصا * فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما * قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر عليك السلام وانى بأرضك السلام فقال له أنا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم: قال أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا (قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) ياموسى اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه فقال موسى (ستجدني ان شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمرا) فقال له الخضر (فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا ■ فانطلقا) يمشيان على

فتاه يوشع بن نون ومعهما الحوت حتى انتهيا الى الصخرة فنزلا عندها قال فوضع موسى رأسه فنام قال سفيان وفي حديث عن عمرو قال وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حيي فأصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر ، فلما استيقظ قال موسى لفتاه (آتنا غداءنا) قال وساق الحديث ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر فقال الخضر لموسى ماعلمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ماغمس هذا العصفور منقاره وذكر تمامه بنحوه ، وقال البخاري أيضاً حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف ان ابن جريج أخبرهم قال أخبرني يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار عن سعيد بن جبير يزيد أحدهما على صاحبه وغيرهما قد سمعته يحدث عن سعيد بن جبير قال إنا لعند ابن عباس في بيته إذ قال سلوني فقلت أي أباعباس جعلني الله فداك بالكوفة رجل قاص يقال له نوف يزعم انه ليس بموسى بني اسرائيل أما عمرو فقال لي قال كذب عدو الله « وأما يعلى فقال لي قال ابن عباس حدثني أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ « موسى رسول الله ذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فأدركه رجل فقال أي رسول الله هل في الارض أحد أعلم منك ؟ قال لا . فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم الى الله قيل بلى قال اي رب واين قال مجمع البحرين قال أي رب اجعل لي علما أعلم ذلك به . قال لي عمرو حيث يفارقك الحوت وقال لي يعلى خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح فأخذ حوتا فجعله في مكتل فقال لفتاه لا أكلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت قال ماكلفت كبيراً فذلك قوله (وإذ قال موسى لفتاه) يوشع بن نون .ليست عند سعيد بن جبير قال فبينا هو في ظل صخرة في مكان ريان إذ يضرب الحوت وموسى نائم فقال فتاه لا أوقظه حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره ويضرب الحوت حتى دخل في البحر فأمسك الله عنه جرية الماء حتى كأن أثره في حجر قال فقال لي عمرو هكذا كأن أثره في حجر وحلق بين إبهاميه واللتين تليهما قال (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) قال وقد قطع الله عنك النصب ليست هذه عند سعيد بن جبير أخبره فرجعا فوجدا خضراً قال : قال عثمان بن أبي سليمان على طنفسة خضراء على كبد البحر قال سعيد بن جبير مسجى بثوب قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه

ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول حتى اذا ركبا في السفينة لم يفجأ الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم قد حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها (لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا » فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله) وقال رسول الله ﷺ فكانت الاولى من موسى نسيانا والوسطى شرطاً والثالثة عمداً قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر مانقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثلما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر

وقال هل بأرض من سلام من أنت؟ قال أنا موسى، قال موسى بني اسرائيل؟ قال نعم قال فما شأنك؟ قال: جئتك لتعلمني مما علمت رشداً، قال أما يكفيك أن التوراة بيديك وان الوحي يأتيك؟ ياموسى ان لي علما لاينبغي لك أن تعلمه وان لك علما لاينبغي لي أن أعلمه فأخذ طائر بمنقاره من البحر فقال والله ماعلمي وعلمك في جنب علم الله الا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر حتى اذا ركبا في السفينة وجدا معابر صغاراً تحمل أهل هذا الساحل الى هذا الساحل الآخر عرفوه فقالوا عبد الله الصالح قال فقلنا لسعيد بن جبير خضر قال نعم لانحمله بأجر فخرقها ووتد فيها وتدا قال موسى أخرقتها لتغرق اهلها؟ لقد جئت شيئا امرا قال مجاهد: منكراً قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبراً كانت الاولى نسيانا والثانية شرطا والثالثة عمداً قال لاتؤاخذني بما نسيت ولاترهقني من أمري عسراً فانطلقا حتى لقيا غلاما فقتله قال يعلى قال سعيد وجد غلمانا يلعبون فأخذ غلاما كافراً ظريفا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين فقال أقتلت نفسا زكية لم تعمل الحنث وابن عباس قرأها زكية زاكية مسلمة كقولك غلاما زكيا فانطلقا فوجدا جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال بيده هكذا ودفع بيده فاستقام قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال يعلى حسبت أن سعيداً قال فمسحه بيده فاستقام قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً قال سعيد أجرا نأكله وكان وراءهم ملك وكان أمامهم قرأها ابن عباس أمامهم ملك يزعمون عن غير سعيد أنه هدد بن بدد والغلام المقتول اسمه يزعمون حيسور ملك يأخذ كل سفينة غصبا فأردت اذا هي مرت به أن يدعها بعيبها فاذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها، منهم من يقول سدوها بقارورة ومنهم من يقول بالقار كان أبواه مؤمنين وكان هو كافرا فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا أن يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة كقوله (أقتلت نفسا زكية) وقوله (وأقرب رحما) هما به أرحم منهما بالاول الذي قتل خضر وزعم غير سعيد بن جبير انهما أبدلا جارية وأما داود بن أبي عاصم فقال عن غير واحد أنها جارية

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبي اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خطب موسى عليه السلام بني اسرائيل فقال ما أحد أعلم بالله وبأمره مني فأمر أن يلقى هذا الرجل فذكر نحو ماتقدم

الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده وقتله فقال له موسى (أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا) قال وهذه أشد من الاولى (قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض) قال كان مائلا فقال الخضر بيده فاقامه فقال موسى قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لوشئت لاتخذت عليه اجراً قال هذا فراق بيني وبينك) الى قوله ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا فقال رسول الله ﷺ «وددنا ان موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما» قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ وكان امامهم ملك يأخذ كل

بزيادة ، نقصان والله أعلم . وقال محمد بن اسحاق عن الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن سعيد بن جبير قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم يا أبا العباس ان نوفا بن امرأة كعب يزعم عن كعب ان موسى النبي الذي طلب العلم انما هو موسى بن ميشا ، قال سعيد فقال ابن عباس أنوف يقول هذا ياسعيد ؟ فقلت له نعم أنا سمعت نوفا يقول ذلك قال أنت سمعته يا سعيد قال قلت نعم قال كذب نوف . ثم قال ابن عباس حدثني أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ ان موسى بني اسرائيل سأل ربه فقال أي رب ان كان في عبادك أحد هو أعلم مني فدلني عليه فقال له نعم في عبادي من هو أعلم منك ثم نعت له مكانه وأذن له في لقيه، فخرج موسى ومعه فتاه ومعه حوت مليح قد قيل له اذا حيي هذا الحوت في مكان فصاحبك هنالك وقد أدركت حاجتك ، فخرج موسى ومعه فتاه ومعه ذلك الحوت يحملانه فسار حتى جهده السير وانتهى الى الصخرة والى ذلك الماء وذلك الماء ماء الحياة من شرب منه خلد ولا يقاربه شيء ميت الا حيي فلما نزلا ومس الحوت الماء حيي فاتخذ سبيله في البحر سربا فانطلقا فلما جاوز النقلة قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ، قال الفتى وذكر أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا، قال ابن عباس فظهر موسى على الصخرة حتى اذا انتهيا اليها فاذا رجل متلفف في كساء له فسلم موسى عليه فرد عليه السلام ثم قال له ماجاء بك ان كان لك في قومك لشغل قال له موسى جئتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكان رجلا يعلم علم الغيب قد علم ذلك فقال موسى بلى قال (وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) أي انما تعرف ظاهر ماترى من العدل ولم تحط من علم الغيب بما أعلم قال (ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمرا) وان رأيت مايخالفني ، قال (فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء) وإن أنكرته (حتى أحدث لك منه ذكرا) فانطلقا يمشيان على ساحل البحر يتعرضان الناس يلتمسان من يحملهما حتى مرت بهما سفينة جديدة وثيقة لم يمر بهما من السفن شيء أحسن ولا أجمل ولا أوثق منها فسألا أهلها أن يحملوهما فحملوهما فلما اطمأنا فيها ولجت بهما مع أهلها أخرج منقاراً له ومطرقة ثم عمد الى ناحية منها فضرب فيها بالمنقار حتى خرقها ثم أخذ لوحا فطبقه عليها

سفينة صالحة غصبا ، وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافراً وكان ابواه مؤمنين وعن سعيد بن جبير في رواية أخرى عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال . قال رسول الله ﷺ ، قام موسى رسول الله فذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فأدركه رجل فقال أي رسول الله هل في الارض أحد أعلم منك ؟ قال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم إلى الله قيل بلى عبدنا الخضر قال يارب وأين قال بمجمع البحرين . قال خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح ، وفي رواية قيل له تزود حوتا مالحا فانه حيث تفقد الحوت فأخذ حوتا فجعله في مكتل رجعنا الى التفسير قوله (واذ قال موسى لفتاه) يوشع بن نون (لا أبرح) أي لا أزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) قال قتادة بحر فارس وبحر

ثم جلس عليها يرقعها فقال له موسى ورأى أمراً أفظع به (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت امرا) قال (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا ▪ قال لا تؤاخذني بما نسيت) أي بما تركت من عهدك (ولا ترهقني من أمري عسرا) ثم خرجا من السفينة فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية فاذا غلمان يلعبون خلفها فيهم غلام ليس في الغلمان غلام أظرف منه ولا أثرى ولا أوضأ منه فأخذه بيده وأخذ حجراً فضرب به رأسه حتى دمغه فقتله ▪ قال فرأى موسى أمراً فظيعاً لا صبر عليه ، صبي صغير قتله لا ذنب له قال (أقتلت نفساً زكية) أي صغيرة (بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا ▪ قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا ▪ قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) أي قد عذرت في شأني (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض) فهدمه ثم قعد يبنيه ، فضجر موسى مما يراه يصنع من التكليف وما ليس عليه صبر فأقامه قال (لو شئت لاتخذت عليه أجرا) أي قد استطعمناهم فلم يطعمونا وضفناهم فلم يضيفونا ثم قعدت تعمل من غير صنيعة ولو شئت لأعطيت عليه أجراً في عمله ▪ قال (هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ▪ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) وفي قراءة أبيّ بن كعب (كل سفينة صالحة) وانما عبتها لأرده عنها فسلمت منه حين رأى العيب الذي صنعت بها ، وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما ، وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته

الروم مما يلي المشرق ، وقال محمد بن كعب طنجة ، وقال أبي بن كعب افريقية ﴿ او امضي حقبا ﴾ اي وان كان حقبا اي دهراً طويلا وزمانا وجمعه أحقاب والحقب جمع الحقب قال عبدالله بن عمر والحقب ثمانون سنة فحملا خبزاً وسمكة مالحة حتى انتهيا الى الصخرة التي عند مجمع البحرين ليلا وعندها عين تسمى ماء الحياة لا يصيب ذلك الماء شيئا الا حي فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكتل وعاشت ودخلت البحر فذلك قوله ﴿ فلما بلغا ﴾ يعني موسى وفتاه ﴿ مجمع بينهما ﴾ اي بين البحرين ﴿ نسيا ﴾ تركا ﴿ حوتهما ﴾ وانما كان الحوت مع يوشع وهو الذي نسيه وأضاف النسيان اليهما لانهما جميعا تزوداه لسفرهما كما يقال خرج القوم إلى موضع كذا وحملوا من الزاد كذا وانما حمله واحد منهم ﴿ فاتخذ ﴾ اي الحوت ﴿ سبيله في البحر سربا ﴾ أي مسلكا وروي عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فاذا بالخضر قال ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر الا يبس حتى صار صخرة ▪ وقال الكلبي توضأ يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المالح في المكتل من ذلك الماء فعاش ثم وثب في ذلك الماء فجعل يضرب بذنبه فلا يضرب بذنبه شيئاً من الماء وهو ذاهب إلا يبس ، وقد روينا أنهما لما انتهيا إلى الصخرة وضعا رءوسهما فناما واضطرب الحوت فخرج

كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري) أي مافعلته عن نفسي (ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا) فكان ابن عباس يقول ما كان الكنز إلا علما ء وقال العوفي عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه مصر فلما استقرت بهم الدار أنزل الله أن ذكرهم بأيام الله فخطب قومه فذكر ما آتاهم الله من الخير والنعمة وذكرهم إذ نجاهم الله من آل فرعون وذكرهم هلاك عدوهم وما استخلفهم الله في الارض وقال كلم الله نبيكم تكليما واصطفاني لنفسه وأنزل علي محبة منه وآتاكم الله من كل ماسألتموه فنبيكم أفضل أهل الارض وأنتم تقرءون التوراة فلم يترك نعمة أنعم الله عليهم إلا وعرفهم إياها . فقال له رجل من بني اسرائيل هم كذلك يانبي الله قد عرفنا الذي تقول فهل على الارض أحد أعلم منك يانبي الله ؟ قال لا . فبعث الله جبرائيل الى موسى عليه السلام فقال ان الله يقول وما يدريك أين أضع علمي بلى ان لي على شط البحر رجلا هو أعلم منك . قال ابن عباس هو الخضر ، فسأل موسى ربه أن يريه إياه ، فأوحى اليه أن ائت البحر فانك تجد على شط البحر حوتا فخذه فادفعه الى فتاك ثم الزم شاطيء البحر فاذا نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح الذي تطلب . فلما طال سفر موسى نبي الله ونصب فيه سأل فتاه عن الحوت ، فقال له فتاه وهو غلامه (أرأيت إذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) لك ء قال الفتى لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله في البحر سربا فأعجب ذلك ، فرجع موسى حتى أتى الصخرة فوجد الحوت فجعل الحوت يضرب في البحر ويتبعه

وسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي صاحبه أن يخبره فانطلقا حتى اذا كان من الغد

قوله تعالى ﴿ فلما جاوزا ﴾ يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين ﴿ قال موسى لفتاه آتنا غداءنا ﴾ أي طعامنا والغداء مايعد للأكل غدوة والعشاء مايعد للأكل عشية ﴿ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ﴾ أي تعبا وشدة وذلك أنه القي على موسى الجوع بعد مجاوزة الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع الى مطلبه فقال له فتاه وتذكر ﴿ أرأيت اذ أوينا الى الصخرة ﴾ وهي صخرة كانت بالموضع المعهود قال هقل بن زياد هي الصخرة التي دون نهر الزيت ﴿ فاني نسيت الحوت ﴾ أي تركته وفقدته وذلك أن يوشع حين رأى ذلك من الحوت قام ليدرك موسى فيخبره فنسي أن يخبره فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد قيل في الآية اضمار معناه نسيت أن اذكر لك امر الحوت ثم قال ﴿ وما انسانيه إلا الشيطان أن اذكره ﴾ أي وما انسانيه أن أذكر لك أمر الحوت إلا الشيطان وقرأ انسانيه وفي الفتح (عليه الله) بضم الهاء وقيل معناه انسانيه أن لا أذكره ﴿ واتخذ سبيله في البحر عجبا ﴾ قيل هذا من قول يوشع يقول طفر الحوت الى البحر فاتخذ فيه مسلكا فعجبت من ذلك عجبا وروينا في الخبر كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا وقيل هذا من قول موسى لما قال له يوشع واتخذ سبيله في البحر سربا قال له موسى

موسى وجعل موسى يقدم عصاه يفرج بها عنه الماء يتبع الحوت وجعل الحوت لايمس شيئاً من البحر إلا يبس عنه الماء حتى يكون صخرة فجعل نبي الله يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت الى جزيرة من جزائر البحر فلقى الخضر بها فسلم عليه فقال الخضر وعليك السلام وأنى يكون السلام بهذه الارض ومن أنت؟ قال أنا موسى . قال الخضر : صاحب بني اسرائيل؟ قال نعم فرحب به وقال ماجاء بك ؟ قال جئتك (على أن تعلمني مما علمت رشدا ■ قال انك لن تستطيع معي صبرا) يقول لاتطيق ذلك قال (ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمرا) قال فانطلق به وقال له : لاتسألني عن شيء أصنعه حتى أبين لك شأنه فذلك قوله (حتى أحدث لك منه ذكرا) وقال الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس انه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى فقال ابن عباس هو خضر فمر بهما أبي بن كعب فدعاه ابن عباس فقال اني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل الى لقيه فهل سمعت رسول الله ﷺ يذكر شأنه قال اني سمعت رسول الله ﷺ يقول « بينا موسى في ملأ من بني اسرائيل اذ جاءه رجل فقال تعلم مكان رجل أعلم منك قال لا فأوحى الله الى موسى بلى عبدنا خضر فسأل موسى السبيل الى لقيه فجعل الله له الحوت آية وقيل له اذا فقدت الحوت فارجع فانك ستلقاه فكان موسى يتبع أثر الحوت في البحر فقال فتى موسى لموسى أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت قال موسى (ذلك ماكنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا) فوجدا عبدنا خضراً فكان من شأنهما ماقص الله في كتابه

عجبا كأنه قال أعجب عجبا قال ابن زيد أي شيء أعجب من حوت يؤكل منه دهراً ثم صار حيا بعد ما أكل بعضه ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ ذلك ماكنا نبغ ﴾ أي نطلب ﴿ فارتدا على آثارهما قصصا ﴾ أي رجعا يقصان الأثر الذي جاءا منه أي يتبعانه فوجدا عبداً من عبادنا قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذي جاء في التواريخ وثبت عن النبي ﷺ انه الخضر واسمه بليابن ملكان قيل كان من نسل بني اسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك الذين تزهدوا في الدنيا والخضر لقب له سمي بذلك لما أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد ابن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه قال ثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إنه سمي خضراً لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء قال مجاهد سمي خضراً لانه اذا صلى اخضر ماحوله وروينا أن موسى رأى الخضر مسجى بثوب فسلم عليه فقال الخضر وانى بارضك السلام . قال أنا موسى أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً وفي رواية اخرى لقيه مسجى بثوب مستلقيا على قفاه بعض الثوب تحت رأسه وبعضه تحت رجليه وفي رواية لقيه وهو يصلي ويروى لقيه على طنفسة خضراء على كبد البحر فذلك قوله تعالى ﴿ فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة ﴾ أي نعمة ﴿ من عندنا وعلمناه من لدنا علما ﴾ أي علم الباطن الهاماً ولم يكن الخضر

قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا؟ (٦٦) قال انك لن تستطيع معي صبرا (٦٧) وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا (٦٨) قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا (٦٩) قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا (٧٠)

يخبر تعالى عن قيل موسى عليه السلام لذلك الرجل العالم وهو الخضر الذي خصه الله بعلم لم يطلع عليه موسى كما أنه أعطى موسى من العلم مالم يعطه الخضر (قال له موسى هل أتبعك) سؤال تلطف لا على وجه الالزام والاجبار وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم وقوله (أتبعك) أي أصحبك وأرافقك (على أن تعلمن مما علمت رشدا) أي مما علمك الله شيئا أسترشد به في أمري من علم نافع وعمل صالح فعندها (قال) الخضر لموسى (انك لن تستطيع معي صبرا) أي انك لا تقدر على مصاحبتي لما ترى مني من الافعال التي تخالف شريعتك لأني على علم من علم الله ما علمكه الله وأنت على علم من علم الله ماعلمنيه الله فكل منا مكلف بأمور من الله دون صاحبه وأنت لا تقدر على صحبتي (وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) فأنا أعرف أنك ستنكر علي ما أنت معذور فيه ولكن ما اطلعت على حكمته ومصلحته الباطنة التي اطلعت أنا عليها دونك (قال) أي موسى (ستجدني ان شاء الله صابراً) أي على ماأرى من أمورك (ولا أعصي لك أمرا) أي ولا أخالفك في شيء فعند ذلك شارط الخضر عليه السلام (قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء) أي ابتداء (حتى أحدث لك منه ذكرا) أي حتى أبدأك أنا به قبل أن تسألني

قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب عن هارون عن عبيدة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال أي رب أي عبادك أحب اليك ؟ قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك أقضى؟ قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال أي رب أي عبادك أعلم ؟ قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى

نبيا عند اكثر أهل العلم ﴿ قال له موسى هل أتبعك ﴾ يقول جئت لاتبعك وأصحبك ﴿ على أن تعلمن مما علمت رشداً ﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب رشداً بفتح الراء والشين وقرأ الآخرون بضم الراء وسكون الشين أي صوابا وقيل علما ترشدني به وفي بعض الاخبار أنه لما قال له موسى هذا قال له الخضر كفى بالتوراة علما وبني اسرائيل شغلا فقال له موسى إن الله أمرني بهذا فحينئذ ﴿ قال ﴾ له الخضر ﴿إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾ وإنما قال ذلك لأنه علم أنه يرى أموراً منكرة ولا يجوز للانبياء أن يصبروا على المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال له ﴿ وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا ﴾ أي علما ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ ستجدني إن شاء الله صابراً ﴾ إنما استثنى لأنه لم يثق من نفسه بالصبر ﴿ ولا

قال أي رب هل في أرضك أحد أعلم مني ؟ قال نعم قال فمن هو ؟ قال الخضر قال وأين أطلبه ؟ قال على الساحل عند الصخرة التي ينفلت عندها الحوت قال فخرج موسى يطلبه حتى كان ما ذكر الله وانتهى موسى اليه عند الصخرة فسلم كل واحد منهما على صاحبه فقال له موسى إني أحب أن أصحبك قال انك لن تطيق صحبتي قال بلى قال فان صحبتني (فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا) قال فسار به في البحر حتى انتهى الى مجمع البحرين وليس في الارض مكان أكثر ماء منه قال وبعث الله الخطاف فجعل يستقي منه بمنقاره فقال لموسى كم ترى هذا الخطاف رزأ من هذا الماء قال ما أقل ما رزأ قال ياموسى فان علمي وعلمك في علم الله كقدر ما استقى هذا الخطاف من هذا الماء. وكان موسى قد حدث نفسه أنه ليس أحد أعلم منه أو تكلم به فمن ثم أمر أن يأتي الخضر وذكر تمام الحديث في خرق السفينة وقتل الغلام واصلاح الجدار وتفسيره له ذلك

فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها ؟ لقد جئت شيئاً إمرا (٧١) قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا (٧٢) قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا (٧٣)

يقول تعالى مخبراً عن موسى وصاحبه وهو الخضر إنهما انطلقا لما توافقا واصطحبا واشترط عليه أن لا يسأله عن شيء أنكره حتى يكون هو الذي يبتدئه من تلقاء نفسه بشرحه وبيانه فركبا في السفينة وقد تقدم في الحديث كيف ركبا في السفينة وأنهم عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول يعني بغير أجرة تكرمة للخضر فلما استقلت بهم السفينة في البحر ولججت أي دخلت اللجة قام الخضر فخرقها واستخرج لوحا من ألواحها ثم رقعها فلم يملك موسى عليه السلام نفسه أن قال منكرا عليه (أخرقتها لتغرق أهلها)

أعصي لك أمرا ﴾ أي لا أخالفك فيما تأمرني ﴿ قال ﴾ الخضر ﴿ فان اتبعتني ﴾ فان صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار اليه إلا انه شرط عليه شرطا فقال ﴿ فلا تسألني ﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون والآخرون بسكون اللام وتخفيف النون ﴿ عن شيء ﴾ أعمله فيما تنكره ولا تعترض عليه ﴿ حتى أحدث لك منه ذكرا ﴾ حتى ابتدىء لك بذكره فابين لك شأنه ﴿ فانطلقا ﴾ يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركباها فقال أهل السفينة هؤلاء لصوص وأمروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ماهم بلصوص ولكني أرى وجوه الانبياء وروينا عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال « مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما لججوا البحر أخذ الخضر فأسا فخرق لوحا من السفينة فذلك قوله ﴿ حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال ﴾ له موسى ﴿ أخرقتها لتغرق أهلها ﴾ قرأ حمزة والكسائي ليغرق بالياء وفتحها

وهذه اللام لام العاقبة لا لام التعليل كما قال الشاعر : ■ لدوا للموت وابنوا للخراب ■
(لقد جئت شيئا إمرا) قال مجاهد منكراً وقال قتادة عجبا فعندها قال له الخضر مذكراً بما تقدم من الشرط (ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا) يعني وهذا الصنيع فعلته قصدا وهو من الامور التي اشترطت معك أن لا تنكر علي فيها لانك لم تحط بها خبرا ولها دخل هو مصلحة ولم تعلمه أنت (قال) أي موسى (لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا) أي لا تضيق علي ولا تشدد علي ولهذا تقدم في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال « كانت الاولى من موسى نسيانا »

فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا (٧٤)

قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا (٧٥) قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا (٧٦)

يقول تعالى (فانطلقا) أي بعد ذلك (حتى إذا لقيا غلاما فقتله) وقد تقدم أنه كان يلعب مع

وفتح الراء أهلها بالرفع على اللزوم وقرأ الآخرون بالتاء ورفعها وكسر الراء أهلها بالنصب على أن الفعل للخضر ﴿ لقد جئت شيئا امرا ﴾ أي منكراً والامر في كلام العرب الداهيـة وأصله كل شيء شديد كثير يقال أمر القوم إذا كثروا واشتد أمرهم وقال القتيبي إمراً أي عجبا وروي أن الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروي أن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فحشى به الخرق وروي أن الخضر أخذ قدحا من الزجاج ورقع به خرق السفينة ﴿قال﴾ العالم وهو الخضر ﴿ ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً ■ قال ﴾ موسى ﴿ لا تؤاخذني بما نسيت ﴾ قال ابن عباس إنه لم ينس ولكنه من معاريض الكلام فكأنه نسي شيئا آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك وقال أبي بن كعب عن النبي ﷺ « كانت الاولى من موسى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمداً »﴿ ولا ترهقني ﴾ ولا تغشني ﴿ من أمري عسرا ﴾ وقيل لا تكلفني مشقة يقال أرهقته عسراً أي كلفته ذلك يقول لا تضيق علي امري وعاملني باليسر ولا تعاملني بالعسر

قوله تعالى ﴿ فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله ﴾ في القصة أنهما خرجا من البحر يمشيان فمرا بغلمان يلعبون فأخذ الخضر غلاما ظريفا وضيء الوجه فاضجعه ثم ذبحه بالسكين قال السدي كان أحسنهم وجها وكان وجهه يتوقد حسنا وروينا أنه أخذ برأسه فاقتلعه بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر وأشار بأصابعه الثلاث الابهام والسبابة والوسطى وقلع برأسه وروي أنه رضخ رأسه بالحجارة وقيل ضرب رأسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث وهو قول الاكثرين قال ابن عباس لم يكن نبي الله يقول أقتلت نفسا زكية إلا وهو صبي لم يبلغ وقال الحسن كان رجلا وقال

الغلمان في قرية من القرى وأنه عمد اليه من بينهم وكان أحسنهم وأجملهم وأضوأهم فقتله ، وروي انه احتز رأسه وقيل رضخه بحجر ، وفي رواية اقتلعه بيده والله أعلم فلما شاهد موسى عليه السلام هذا أنكره أشد من الاول وبادر فقال (أقتلت نفساً زكية) أي صغيرة لم تعمل الحنث ولا عملت إثما بعد فقتلته (بغير نفس) أي بغير مستند لقتله (لقد جئت شيئاً نكرا) أي ظاهر النكارة (قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا) فأكد ايضا في التذكار بالشرط الاول فلهذا قال له موسى (ان سألتك عن شيء بعدها) اي ان اعترضت عليك بشيء بعد هذه المرة (فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) أي قد اعذرت الي مرة بعد مرة

قال ابن جرير حدثنا عبد الله بن زياد حدثنا حجاج بن محمد عن حمزة الزيات عن ابي اسحاق

شعيب الجبائي كان اسمه جيسور قال الكلبي كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ الى أبويه وقال الضحاك كان غلاما يعمل بالفساد وتأذى منه أبواه . أخبرنا اسماعيل بن عبدالقاهر أنا عبدالغافر ابن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي انبأنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج انبأنا عبدالله ابن مسلمة بن مغيث ثنا معمر بن سليمان عن أبيه عن رقية بن مصقلة عن أبي اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ولو عاش لارهق أبويه طغيانا وكفراً » ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ أقتلت نفسا زاكية ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو جعفر وأبو عمرو زاكية بالالف وقرأ الآخرون زكية قال الكسائي والفراء معناهما واحد مثل القاسية والقسية وقال أبو عمرو بن العلاء الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم تابت ﴿ بغير نفس ﴾ أي لم تقتل نفسا بشيء وجب به عليها القتل ﴿ لقد جئت شيئا نكرا ﴾ أي منكراً قال قتادة النكر أعظم من الامر لأنه حقيقة الهلاك وفي خرق السفينة كان خوف الهلاك وقيل الامر اعظم لأنه كان فيه تغريق جمع كثير قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر ههنا نكراً وفي سورة الطلاق بضم الكاف والآخرون بسكونها ﴿ قال ﴾ يعني الخضر ﴿ ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾ قيل زاد هنالك لأنه نقض العهد مرتين وفي القصة أن يوشع كان يقول لموسى يانبي الله اذكر العهد الذي انت عليه ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ إن سألتك عن شيء بعدها ﴾ بعد هذه المرة ﴿ فلا تصاحبني ﴾ وفارقني وقرأ يعقوب فلا تصحبني بغير الف من الصحبة ﴿ قد بلغت من لدني عذرا ﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وأبو بكر من لدني خفيفة النون وقرأ الآخرون بتشديدها قال ابن عباس أي قد اعذرت فيما بيني وبينك وقيل قد عذرتني اني لا أستطيع معك صبرا وقيل اتضح لك العذر في مفارقتي أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر انبأنا عبدالغافر بن محمد انبأنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن عبد الاعلى القيسي ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن رقية عن أبي اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « رحمة الله علينا

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب قال كان النبي ﷺ إذا ذكر احدا فدعا له بدأ بنفسه فقال ذات يوم « رحمة الله علينا وعلى موسى لو لبث معصاحبه لابصر العجب ولكنه قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا » مثقله

فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً

يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لتَّخذت عليه أجرا (٧٧) قال هذا فراق بيني وبينك

سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا (٧٨)

يقول تعالى مخبراً عنهما إنهما (انطلقا) بعد المرتين الاولين (حتى إذا أتيا اهل قرية) روى ابن جريج عن ابن سيرين أنها الابلة « وفي الحديث » حتى إذا أتيا أهل قرية لئاما « أي بخلاء (فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد ان ينقض) اسناد الارادة ههنا إلى الجدار على سبيل الاستعارة فان الاراد في المحدثات بمعنى الميل والانقضاض هو السقوط « وقوله (فاقامه) اي فرده الى حالة

وعلى موسى - وكان اذا ذكر أحداً من الانبياء بدأ بنفسه - لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فلو صبر لرأى العجب «

قوله تعالى ﴿ فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية ﴾ قال ابن عباس يعني انطاكية وقال ابن سيرين هي الابلة وهي أبعد الارض من السماء وقيل برقة وعن أبي هريرة بلدة بالاندلس ﴿ استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ﴾ قال أبي بن كعب عن النبي ﷺ حتى إذا أتيا أهل قرية لئاما فطافا في المجالس فاستطعما فأبوا أن يضيفوهما وروي أنهما طافا في القرية فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما وروي أنهما طافا في القوم فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما قال قتادة شر القرى التي لا تضيف الضيف وروي عن أبي هريرة قال اطعمتهما امرأة من أهل بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعوا لنسائهم ولعنا رجالهم

قوله تعالى ﴿ فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض ﴾ أي يسقط وهذا من مجاز كلام العرب لان الجدار لا ارادة له وإنما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول العرب داري تنظر الى دار فلان إذا كانت تقابلها ﴿ فأقامه ﴾ أي سواه وروي عن ابي بن كعب عن النبي ﷺ فقال الخضر بيده فأقامه وقال سعيد بن جبير مسح الجدار بيده فاستقام وروي عن ابن عباس هدمه ثم قعد يبنيه وقال السدي بلَّ طينا وجعل يبني الحائط ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجرا ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب لتخذت بتخفيف التاء وكسر الخاء وقرأ الآخرون لاتخذت بتشديد التاء وفتح الخاء وهما لغتان مثل اتبع وتبع (عليه) يعني على اصلاح الجدار (أجراً) يعني جعلا معناه إنك قد علمت انا جياع

الاستقامة ، وقد تقدم في الحديث انه رده بيديه ودعمه حتى ردميله وهذا خارق فعند ذلك قال موسى له (لو شئت لاتخذت عليه اجراً) اي لاجل انهم لم يضيفونا كان ينبغي ان لا تعمل لهم مجاناً (قال هذا فراق بيني وبينك) اي لانك شرطت عند قتل الغلام انك إن سألتني عن شيء بعدها فلا تصاحبني فهو فراق بيني وبينك (وسأنبئك بتأويل) اي بتفسير (ما لم تستطع عليه صبرا)

أما السفينة فكانت لمسـٰكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا(٧٩)

هذا تفسير ما اشكل امره على موسى عليه السلام وما كان انكر ظاهره وقد اظهر الله الخضر عليه السلام على حكمة باطنه فقال ان السفينة انما خرقتها لاعيبها لانهم كانوا يمرون بها على ملك من الظلمة (يأخذ كل سفينة) صالحة اي جيدة (غصبا) فاردت ان اعيبها لارده عنها لعيبها فينتفع بها اصحابها المساكين الذين لم يكن لهم شيء ينتفعون به غيرها وقد قيل انهم ايتام

وروى ابن جريج عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي ان اسم ذلك الملك هدد بن بدد وقد تقدم ايضا في رواية البخاري وهو مذكور في التوراة في ذرية العيص بن اسحاق وهو من الملوك المنصوص عليهم في التوراة والله أعلم

وأن أهل القرية لم يطعمونا فلو أخذت على عملك أجراً ﴿ قال ﴾ الخضر ﴿ هذا فراق بيني وبينك ﴾ يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل هذا الانكار على ترك الاجر هو المفرق بيننا وقال الزجاج معناه هذا فراق بيننا أي فراق اتصالنا وكرر بين تأكيدا ﴿ سأنبئك ﴾ أي سوف أخبرك ﴿ بتأويل مالم تستطع عليه صبرا ﴾ وفي بعض التفاسير أن موسى أخذ بثوبه فقال اخبرني بمعنى ماعملت قبل أن تفارقني فقال ﴿ أما السفينـة فـكانت لمساكين يعملون في البحر ﴾ قال كعب كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر وفيه دليل على أن المسكين وان كان يملك شيئا فلا يزول عنه اسم المسكنة اذا لم يقم ما يملك بكفايته (يعملون في البحر) أي يؤاجرون ويكتسبون بها ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ أجعلها ذات عيب ﴿ وكان وراءهم ﴾ أي أمامهم ﴿ ملك ﴾ كقوله (من ورائه جهنم) وقيل وراءهم خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليـه والاول أصح يدل عليه قراءة ابن عباس وكان أمامهم ملك ﴿ يأخذ كل سفينـة غصبا ﴾ أي كل سفينة صالحة غصبا وكان ابن عباس يقرأ كذلك فخرقها وعيبها الخضر حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمـه الجلندى وكان كافراً قال محمد بن اسحاق اسمه منوله بن جلندي الازدي وقال شعيب الجبائي اسمه هدد بن بدد وروي أن الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شأن الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت اذا هي مرت به أن يدعها لعيبها فاذا جاوزه أصلحوها فانتفعوا بها قيل سدوها بقارورة وقيل بالقار

وأما الغلـٰم فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيـٰنا وكفرا (٨٠) فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكـٰوة وأقرب رحما (٨١)

قد تقدم أن هذا الغلام كان اسمه جيسور . وفي الحديث عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال « الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً » رواه ابن جرير من حديث ابن إسحاق عن سعيد عن ابن عباس به « ولهذا قال (فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) أي يحملهما حبه على متابعته على الكفر

قال قتادة قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرض امرؤ بقضاء الله فان قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب وصح في الحديث « لا يقضي الله لمؤمن قضاء إلا كان خيراً له » وقال تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) وقوله (فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما) أي ولداً أزكى من هذا وهما أرحم به منه قاله ابن جريج وقال قتادة أبر بوالديه وقد تقدم انهما بدلا جارية ، وقيل لما قتله الخضر كانت أمه حاملا بغلام مسلم قاله ابن جريج

وأما الجدار فكان لغلـٰمين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صـٰلحا

قوله تعالى ﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا ﴾ أي فعلمنا وفي قراءة ابن عباس وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين فخشينا أي فعلمنا ﴿ أن يرهقهما ﴾ يغشيهما وقال الكلبي يكلفهما ﴿ طغيانا وكفرا ﴾ قال سعيد بن جبير فخشينا أن يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه ﴿ فأردنا أن يبدلهما ﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو بالتشديد ههنا وفي سورة التحريم والقلم وقرأ الآخرون بالتخفيف وهما لغتان وفرق بعضهم فقال التبديل تغيير الشيء أو تغيير حاله وعين الشيء قائم والابدال رفع الشيء ووضع شيء آخر مكانه ﴿ ربهما خيراً منه زكاة ﴾ أي صلاحا وتقوى ﴿ واقرب رحما ﴾ قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بضم الحاء والباقون بجزمها أي عطفا من الرحمة وقيل هو من الرحم والقرابة قال قتادة أي اوصل للرحم وأبر بوالديه قال الكلبي أبدلهما الله جارية فتزوجها نبي من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الامم وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال أبدلهما الله جارية ولدت سبعين نبيا وقال ابن جريج أبدلهما بغلام مسلم قال مطرف فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرض امرؤ بقضاء الله تعالى فان قضاء الله المؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب

قوله تعالى ﴿ وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة ﴾ وكان اسمهما اصرم وصريم ﴿ وكان

فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمةً من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبراً (٨٢)

في هذه الآية دليل على اطلاق القرية على المدينة لانه قال أولا (حتى إذا أتيا أهل قرية) وقال ههنا (فكان لغلامين يتيمين في المدينة) كما قال تعالى (فكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) يعني مكة والطائف ومعنى الآية ان هذا الجدار انما أصلحته لانه كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما قال عكرمة وقتادة وغير واحد كان تحته مال مدفون لهما وهو ظاهر السياق من الآية وهو اختيار ابن جرير رحمه الله ، وقال العوفي عن ابن عباس كان تحته كنز علم وكذا قال سعيد بن جبير ، وقال مجاهد صحف فيها علم ، وقد ورد في حديث مرفوع مايقوي ذلك . قال الحافظ ابو بكر احمد بن عمرو بن عبدالخالق البزار في مسنده المشهور حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا بشر بن المنذر حدثنا الحارث بن عبدالله اليحصبي عن عياش بن عباس القتباني عن أبي حجيرة عن أبي ذر رفعه قال : ان الكنز الذي ذكره الله في كتابه لوح من ذهب مصمت مكتوب فيه: عجبت لمن أيقن بالقدر لم نصب وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك وعجبت لمن ذكر الموت لم غفل لاإله الاالله محمد رسول الله . وبشر بن المنذر هذا يقال له قاضي المصيصه قال الحافظ ابوجعفر العقيلي في حديثه وهم وقد روي في هذا آثار عن السلف فقال ابن جرير في تفسيره حدثني يعقوب حدثنا الحسن بن حبيب بن ندبة حدثنا سلمة عن نعيم العنبري وكان من جلساء الحسن قال : سمعت الحسن يعني البصري يقول في قوله (وكان تحته كنز لهما) قال لوح من ذهب مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا إله الا الله محمد رسول الله. وحدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عبدالله بن عباس عن عمر مولى عفرة قال

تحته كنز لهما ﴾ اختلفوا في ذلك الكنز روي عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال « كان ذهبا وفضة » وقال عكرمة كان مالا وعن سعيد بن جبير كان الكنز صحفا فيها علم وعن ابن عباس أنه قال كان لوحا من ذهب مكتوب فيه : عجبا لمن ايقن بالموت كيف يفرح « عجبا لمن ايقن بالحساب كيف يغفل ، عجبا لمن ايقن بالرزق كيف يتعب « عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب ، عجبا لمن ايقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لاإله إلا الله محمد رسول الله. وفي الجانب الآخر مكتوب أنا الله لاإله إلا أنا وحدي لاشريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريته على يديه. وهذا قول اكثر المفسرين وروي ذلك مرفوعا قال الزجاج الكنز اذا اطلق ينصرف الى كنز المال ويجوز عند التقييد أن يقال عنده كنز علم وهذا اللوح كان جامعا لهما ﴿ وكان أبوهما صالحا ﴾

ان الكنز الذي قال الله في السورة التي يذكر فيها الكهف (وكان تحته كنزلهما) قال كان لوحا من ذهب مصمت مكتوب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن عرف النار ثم ضحك عجب لمن أيقن بالقدر ثم نصب عجب لمن أيقن بالموت ثم أمن أشهد ان لا إله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وحدثني احمد بن حازم الغفاري حدثنا هنادة بنت مالك الشيبانية قالت سمعت صاحبي حماد بن الوليد الثقفي يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول في قول الله تعالى (وكان تحته كنز لهما) قال سطران ونصف لم يتم الثالث : عجبت للمؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت المؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت للمؤمن بالموت كيف يفرح . وقد قال الله (وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) قالت وذكرانهما حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الاب الذي حفظا به سبعة آباء وكان نساجا وهذا الذي ذكره هؤلاء الائمة وورد به الحديث المتقدم وان صح لا ينافي قول عكرمة انه كان مالا لانهم ذكروا انه كان لوحا من ذهب وفيه مال جزيل أكثر مازادوا انه كان مودعا فيه علم وهو حكم ومواعظ والله أعلم . وقوله (وكان أبوهما صالحا) فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم كما جاء في القرآن ووردت به السنة قال سعيد بن جبير عن ابن عباس حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر لهما صلاحا وتقدم أنه كان الاب السابع فالله أعلم . وقوله (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما) ههنا أسند الارادة إلى الله تعالى لان بلوغهما الحلم لا يقدر عليه إلا الله . وقال في الغلام (فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة) وقال في السفينة (فأردت أن أعيبها) فالله أعلم . وقوله تعالى (رحمة من ربك وما فعلته عن أمري) أي هذا الذي فعلته في هذه الاحوال الثلاثة انما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة ووالدي الغلام وولدي الرجل الصالح وما فعلته عن أمري أي لكني أمرت به ووقفت عليه وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر عليه السلام مع ما تقدم من قوله (فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) وقال آخرون كان رسولا وقيل بل كان ملكا نقله الماوردي

قيل كان اسمه كاشح وكان من الاتقيا. قال ابن عباس حفظا بصلاح أبيهما وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة آباء قال محمد بن المنكدر ان الله يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعترته وعشيرته وأهل دويرات حوله فما يزالون في حفظ الله مادام فيهم وقال سعيد بن المسيب إني لاصلي فاذكر ولدي فأزيد في صلاتي

قوله عز وجل ﴿ فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ﴾ أي يبلغا ويعقلا وقيل أن يدركا شدتهما وقوتهما وقيل ثماني عشرة سنة ﴿ ويستخرجا ﴾ حينئذ ﴿ كنزهما رحمة ﴾ نعمة ﴿ من ربك وما فعلته عن أمري ﴾ أي باختياري ورأيي بل فعلته بأمر الله والهامه ﴿ ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا ﴾ أي لم تطق عليه صبرا واستطاع واسطاع بمعنى واحد وروي أن موسى لما أراد أن يفارقه قال له أوصني قال لا تطلب

في تفسيره وذهب كثيرون الى انه لم يكن نبيا بل كان وليا فالله أعلم . وذكر بن قتيبة في المعارف ان اسم الخضر بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام قالوا وكان يكنى أبا العباس ويلقب بالخضر وكان من أبناء الملوك ذكره النووي في تهذيب الاسماء وحكى هو وغيره في كونه باقيا الى الآن ثم الى يوم القيامة قولين ومال هو وابن الصلاح الى بقائه وذكروا في ذلك حكايات وآثاراً عن السلف وغيرهم وجاء ذكره في بعض الاحاديث ولا يصح شيء من ذلك وأشهرها حديث التعزية واسناده ضعيف، ورجح آخرون من المحدثين وغيرهم خلاف ذلك واحتجوا بقوله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) وبقول النبي ﷺ يوم بدر «اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد في الارض» وبأنه لم ينقل أنه جاء الى رسول الله ﷺ ولا حضر عنده ولا قاتل معه ولو كان حياً لكان من أتباع النبي ﷺ وأصحابه لانه عليه السلام كان مبعوثا الى جميع الثقلين الجن والانس وقد قال « لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي » وأخبر قبل موته بقليل انه لايبقى ممن هو على وجه الارض إلى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف إلى غير ذلك من الدلائل.

قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في الخضر قال «انما سمي خضراً لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز من تحته خضراء» ورواه أيضا عن عبد الرزاق وقد ثبت أيضا في صحيح البخاري عن همام عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « انما سمي الخضر لانه جلس على فروة فاذا هي تهتز تحته خضراء » والمراد بالفروة ههنا الحشيش اليابس وهو الهشيم من النبات، قاله عبد الرازق. وقيل المراد بذلك وجه الارض

وقوله (ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبراً) أي هذا تفسير ماضقت به ذرعا ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداء ، ولما ان فسره له وبينه ووضحه وأزال المشكل قال (تسطع) وقبل ذلك كان الاشكال قويا ثقيلا فقال (سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبراً) فقابل الاثقل بالاثقل والاخف بالاخف كما قال (فما اسطاعوا أن يظهروه) وهو الصعود الى أعلاه (وما استطاعوا له نقبا) وهو أشق من ذلك فقابل كلا بما يناسبه لفظا ومعنى والله أعلم . فان قيل : فما بال فتى موسى ذكر في أول القصة ثم لم يذكر بعد ذلك ؟ فالجواب ان المقصود بالسياق انما هو قصة موسى مع الخضر وذكر ما كان بينهما وفتى موسى معه تبع وقد صرح في الاحاديث المتقدمة في الصحاح وغيرها أنه يوشع بن نون وهو الذي كان نبي بني إسرائيل

العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به، واختلفوا في أن الخضر حي أم ميت قيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل ميت ، وكان سبب حياته فيما يحكى انه شرب من عين الحياة وذلك أن ذا القرنين دخل الظلمات لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فنزل واغتسل وشرب وصلى شكرا لله عز وجل وأخطأ ذو القرنين الطريق فعاد وذهب آخرون إلى انه ميت لقوله تعالى (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد) وقال النبي ﷺ بعد ما صلى العشاء ليلة « أرأيتكم

بعد موسى عليه السلام ، وهذا يدل على ضعف ما أورده ابن جرير في تفسيره حيث قال : حدثنا ابن حميد حدثنا مسلم حدثني ابن إسحاق عن الحسن بن عمارة عن أبيه عن عكرمة قال قيل لابن عباس : لم نسمع لفتى موسى بذكر في حديث وقد كان معه قال ابن عباس فيما يذكر من حديث الفتى قال شرب الفتى من الماء لخلد فأخذه العالم فطابق به سفينة ثم أرسله في البحر فانها لتموج به الى يوم القيامة وذلك انه لم يكن له أن يشرب منه فشرب ، اسناده ضعيف والحسن متروك وأبوه غير معروف

ويسئلونك عن ذي القرنين ، قل سأتلوا عليكم منه ذكرا (٨٣) إنا مكنا له في الارض وآتينه من كل شيء سببا (٨٤)

يقول تعالى لنبيه ﷺ (ويسئلونك) يا محمد (عن ذي القرنين) أي عن خبره . وقد قدمنا انه بعث كفار مكة إلى أهل الكتاب يسئلون منهم ما يمتحنون به النبي ﷺ فقالوا سلوه عن رجل طواف في الارض ، وعن فتية لا يدرى ما صنعوا ، وعن الروح ، فنزلت سورة الكهف . وقد أورد ابن جرير ههنا والاموي في مغازيه حديثا أسنده وهو ضعيف عن عقبة بن عامر أن نفراً من اليهود جاءوا يسئلون النبي ﷺ عن ذي القرنين فأخبرهم بما جاءوا له ابتداء فكان فيما أخبرهم به انه كان شابا من الروم وانه بنى الاسكندرية وانه علا به ملك إلى السماء وذهب به إلى السد ورأى أقواما وجوههم مثل وجوه الكلاب وفيه طول ونكارة ورفعه لا يصح وأكثر ما فيه انه من أخبار بني اسرائيل . والعجب ان أبا زرعة الرازي مع جلالة قدره ساقه بتمامه في كتابه دلائل النبوة وذلك غريب منه ، وفيه من النكارة انه من الروم وانما الذي كان من الروم الاسكندر الثاني وهو ابن فيلبس المقدوني الذي تؤرخ به الروم . فأما الاول فقد ذكر الازرقي وغيره انه طاف بالبيت مع ابراهيم الخليل عليه السلام أول ما بناه وآمن به واتبعه وكان وزيره الخضر عليه السلام . وأما الثاني فهو اسكندر بن فيلبس المقدوني اليوناني وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف المشهور والله أعلم ، وهو الذي تؤرخ من مملكته ملة الروم وقد كان قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة ، فأما الاول المذكور في القرآن فكان في زمن الخليل كما ذكره الازرقي وغيره وانه طاف مع الخليل عليه السلام بالبيت العتيق لما بناه ابراهيم عليه السلام وقرب الى الله قربانا ، وقد ذكرنا طرفا صالحا من أخباره في كتاب البداية والنهاية بما فيه كفاية ولله الحمد

ليلتكم هذه فان على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم حي على ظهر الارض أحد » ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده

قوله تعالى ﴿ ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ﴾ خبراً واختلفوا في نبوته فقال بعضهم كان نبيا ، وقال ابو الطفيل سئل علي رضي الله عنه عن ذي القرنين أكان نبيا أم ملكا قال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبداً أحب الله وأحبه الله وناصح الله فناصحه الله وروي أن

وقال وهب بن منبه : كان ملكا وانما سمي ذا القرنين لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس ، قال : وقال بعض أهل الكتاب لانه ملك الروم وفارس . وقال بعضهم كان في رأسه شبه القرنين ، وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال سئل علي رضي الله عنه عن ذي القرنين فقال كان عبداً ناصحا لله فناصحه دعا قومه الى الله فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله فدعا قومه الى الله فضربوه على قرنه فمات فسمي ذا القرنين . وكذا رواه شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل سمع عليا يقول ذلك ، ويقال انه انما سمي ذا القرنين لانه بلغ المشارق والمغارب من حيث يطلع قرن الشمس ويغرب

وقوله (إنا مكنا له في الارض) أي أعطيناه ملكا عظيما ممكنا فيه من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود وآلات الحرب والحصارات ولهذا ملك المشارق والمغارب من الارض ودانت له البلاد وخضعت له ملوك العباد وخدمته الامم من العرب والعجم ، ولهذا ذكر بعضهم أنه انما سمي ذا القرنين لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها

وقوله (وآتيناه من كل شيء سببا) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وقتادة والضحاك وغيرهم يعني علما ، وقال قتادة أيضا في قوله (وآتيناه من كل شيء سببا) قال منازل الارض وأعلامها ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (وآتيناه من كل شيء سببا) قال تعليم الالسنة قال كان لا يغزو قوما إلا كلمهم بلسانهم ، وقال ابن لهيعة حدثني سالم بن غيلان عن سعيد بن أبي هلال ان معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الاحبار أنت تقول ان ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا؟ فقال له كعب ان كنت قلت ذلك فان الله قال (وآتيناه من كل شيء سببا) وهذا الذي أنكره معاوية

عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقول لآخر ياذا القرنين فقال سميتم بأسماء النبيين فلم ترضوا حتى تسميتم بأسماء الملائكة . والاكثرون على انه كان ملكا عادلا صالحا واختلفوا في سبب تسميته بذي القرنين قال الزهري لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها . وقيل لانه كان ملك الروم وفارس ، وقيل لانه دخل النور والظلمة ، وقيل لانه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس ، وقيل لانه كانت له ذؤابتان حسنتان وقيل لانه كان له قرنان تواريهما العمامة وروى ابو الطفيل عن علي انه قال : سمي ذا القرنين لأنه أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الايمن فمات فبعثه الله ثم أمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الايسر فمات فأحياه الله . واختلفوا في اسمه قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلقوس بن ياملوس الرومي

قوله عز وجل ﴿ انا مكنا له في الارض ﴾ أوطأنا والتمكين تمهيد الاسباب ، وقال علي سخر له السحاب فحمله عليها ومد له في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء فهذا معنى تمكينه في الارض وهو انه سهل عليه السير فيها وذلل له طرقها ﴿ وآتيناه من كل شيء ﴾ أي من كل شيء يحتاج اليه الخلق وقيل من كل مايستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعداء ﴿ سببا ﴾ أي علما

رضي الله عنه على كعب الاحبار هو الصواب والحق مع معاوية في ذلك الانكار فان معاوية كان يقول عن كعب ان كنا لنبلو عليه الكذب يعني فيما ينقله لا أنه كان يتعمد نقل ما ليس في صحفه ولكن الشأن في صحفه أنها من الاسرائيليات التي غالبها مبدل مصحف محرف مختلق ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى ورسول الله ﷺ إلى شيء منها بالكلية فانه دخل منها على الناس شر كثير وفساد عريض . وتأويل كعب قول الله(وآتيناه من كل شيء سببا) واستشهاده في ذلك على ما يجده في صحفه من أنه كان يربط خيله بالثريا غير صحيح ولا مطابق فانه لا سبيل للبشر إلى شيء من ذلك ولا إلى الترقي في أسباب السموات وقد قال الله في حق بلقيس (وأوتيت من كل شيء) أي مما يؤتى مثلها من الملوك ، وهكذا ذو القرنين يسر الله له الاسباب أي الطرق والوسائل إلى فتح الاقاليم والرساتيق والبلاد والاراضي وكسر الاعداء وكبت ملوك الارض واذلال أهل الشرك قد أوتي من كل شيء مما يحتاج اليه مثله سببا والله أعلم . وفي المختارة للحافظ الضياء المقدسي من طريق قتيبة عن أبي عوانة عن سماك بن حرب عن حبيب بن حماد قال : كنت عند علي رضي الله عنه وسأله رجل عن ذي القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب ، فقال سبحان الله سخر له السحاب وقدر له الأسباب وبسط له اليد

فأتبع سبباً (٨٥) حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً قلنا يـٰذا القرنين إما ان تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا (٨٦) قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكراً (٨٧) وأما من آمن وعمل صـٰلحاً فله جزاءً الحسنى ، وسنقول له من أمرنا يسرا (٨٨)

قال ابن عباس (فأتبع سببا) يعني بالسبب المنزل ، وقال مجاهد (فأتبع سببا) منزلا وطريقا ما بين المشرق والمغرب ، وفي رواية عن مجاهد (سببا) قال طرفي الارض ، وقال قتادة أي اتبع منازل الارض ومعالمها ، وقال الضحاك (فاتبع سببا) أي المنازل ، وقال سعيد بن جبير في قوله (فاتبع سببا) قال علما وهكذا قال عكرمة وعبيد بن يعلى والسدي ، وقال مطر معالم وآثار كانت قبل ذلك

يتسبب به إلى كل ما يريد ويسير به في أقطار الارض والسبب ما يوصل به إلى الشيء ، وقال الحسن بلاغا الى حيث أراد وقيل قربنا اليه أقطار الارض ﴿ فأتبع سببا ﴾ أي سلك وسار طريقا قرأ أهل الحجاز والبصرة فاتبع ثم اتبع موصولا مشدداً وقرأ الآخرون بقطع الالف وجزم التاء وقيل معناهما واحد والصحيح الفرق بينهما فمن قطع الالف فمعناه أدرك ولحق ومن قرأ بالتشديد فمعناه سار يقال ما زلت أتبعه حتى اتبعته أي ما زلت أسير خلفه حتى لحقته وقوله (سببا) أي طريقا وقال ابن عباس

وقوله (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) أي فسلك طريقا حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الارض من ناحية المغرب وهو مغرب الارض وأما الوصول إلى مغرب الشمس من السماء فمتعذر وما يذكره اصحاب القصص والاخبار من أنه سار في الارض مدة والشمس تغرب من ورائه فشيء لاحقيقة له وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب واختلاف زنادقتهم وكذبهم وقوله (وجدها تغرب في عين حمئة) أي رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط وهذا شأن كل من انتهى الى ساحله يراها كانها تغرب فيه وهي لاتفارق الفلك الرابع الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه والحمئة مشتقة على إحدى القراءتين من الحمأة وهو الطين كما قال تعالى (اني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون) أي طين أملس وقد تقدم بيانه ، وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب انبأنا نافع بن أبي نعيم سمعت عبد الرحمن الاعرج يقول كان ابن عباس يقول في عين حمئة ثم فسرها ذات حمأة قال نافع وسئل عنها كعب الاحبار فقال أنتم أعلم بالقرآن مني ولكني أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء ، وكذا روى غير واحد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد وغير واحد وقال أبوداود الطيالسي حدثنا محمد بن دينار عن سعد بن أوس عن مصدع عن ابن عباس عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ أقرأه حمئة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وجدها تغرب في عين حامية يعني حارة وكذا قال الحسن البصري ، وقال ابن جرير والصواب انهما قراءتان مشهورتان وأيهما قرأ القارىء فهو مصيب قلت ولا منافاة بين معنييهما إذ قد تكون حارة لمجاورتها وهج الشمس عند غروبها وملاقاتها الشعاع بلا حائل وحمئة في ماء وطين أسود كما قال كعب الاحبار وغيره

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام حدثني مولى لعبدالله بن عمرو عن عبد الله قال نظر رسول الله ﷺ الى الشمس حين غابت فقال « في نار الله الحامية لولا مايزعها من أمر الله لاحرقت ما على الارض » قلت ورواه الامام أحمد عن يزيد بن هارون وفي صحة رفع هذا الحديث نظر ولعله من كلام عبدالله بن عمرو من زاملتيه اللتين وجدهما يوم اليرموك والله أعلم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا حجاج بن حمزة حدثنا محمد يعني ابن بشر حدثنا عمرو بن ميمون أنبأنا ابن حاضر أن ابن عباس ذكر له أن معاوية بن أبي سفيان قرأ الآية التي في سورة الكهف (تغرب في عين حامية) قال ابن عباس لمعاوية مانقرؤها الا حمئة فسأل معاوية عبدالله بن عمرو كيف تقرؤها فقال عبدالله كما قرأتها قال ابن عباس فقلت لمعاوية في بيتي نزل القرآن فارسل إلى كعب

منزلا ﴿ حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ﴾ قرأ أبو جعفر وأبو عاصم وحمزة والكسائي وأبو بكر حامية بالالف غير مهموزة أي حارة وقرأ الآخرون حمئة مهموزاً بغير ألف أي ذات حمأة وهي الطينة السوداء. وسأل معاوية كعباً كيف تجد في التوراة أن تغرب الشمس قال نجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطين قال القتيبي يجوز أن يكون معنى قوله (في عين حمئة) أي عندها

فقال له أين تجد الشمس تغرب في التوراة ؟ فقال له كعب سل أهل العربية فانهم أعلم بها ، وأما أنا فاني أجد الشمس تغرب في التوراة في ماء وطين وأشار بيده الى المغرب قال ابن حاضر لو أني عندك أفدتك بكلام تزداد فيه بصيرة في حمئة قال ابن عباس وإذا ماهو قلت فيا يؤثر من قول تبع فيما ذكر به ذا القرنين في تخلقه بالعلم واتباعه إياه

بلغ المشارق والمغارب يبتغي   أسباب أمر من حكيم مرشد

فرأى مغار الشمس عند غروبها   في عين ذي خلب وثاط حرمد

فقال ابن عباس ما الخلب قلت الطين بكلامهم قال فما الثاط قلت الحمأة قال فما الحرمد قلت الاسود قال فدعا ابن عباس رجلا أو غلاما فقال اكتب ما يقول هذا الرجل وقال سعيد بن جبير بينا ابن عباس يقرأ سورة الكهف فقرأ وجدها تغرب في عين حمئة فقال كعب والذي نفس كعب بيده ماسمعت أحداً يقرؤها كما أنزلت في التوراة غير ابن عباس فانا نجدها في التوراة تغرب في مدرة سوداء ، وقال أبو يعلى الموصلي حدثنا اسحاق بن أبي اسرائيل حدثنا هشام بن يوسف قال في تفسير ابن جريج (ووجد عندها قوما) قال مدينة لها اثنا عشر الف باب لولا أصوات أهلها لسمع الناس وجوب الشمس حين تجب ، وقوله (ووجد عندها قوما) أي أمة من الامم ذكروا أنها كانت أمة عظيمة من بني آدم وقوله (قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا) معنى هذا أن الله تعالى مكنه منهم وحكمه فيهم وأظفره بهم وخيره ان شاء قتل وسبى وإن شاء من أوفدي فعرف عدله وإيمانه فيما أبداه عدله وبيانه في قوله (أما من ظلم) أي استمر على كفره وشركه بربه فسوف نعذبه قال قتادة بالقتل وقال السدي كان يحمي لهم بقر النحاس ويضعهم فيها حتى يذوبوا وقال وهب بن منبه كان يسلط الظلمة فتدخل أجوافهم وبيوتهم وتغشاهم من جميع جهاتهم والله أعلم ، وقوله (ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) أي شديداً بليغا وجيعا وفي هذا إثبات المعاد والجزاء

عين حمئة أو في رأي العين ﴿ ووجد عندها قوما ﴾ أي عند العين أمة قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا ضجيج أهلها لسمعت وجبة الشمس حين تجب ﴿ قلنا ياذا القرنين ﴾ يستدل بهذا من زعم أنه كان نبيا فان الله تعالى خاطبه والاصح أنه لم يكن نبيا والمراد منه الالهام ﴿ إما أن تعذب ﴾ يعني إما أن تقتلهم ان لم يدخلوا في الاسلام ﴿ وإما أن تتخذ فيهم حسنا ﴾ يعني تعفو وتصفح وقيل تأسرهم فتعلمهم الهدى خيره الله بين الامرين ﴿ قال أما من ظلم ﴾ كفر ﴿ فسوف نعذبه ﴾ أي نقتله ﴿ ثم يرد الى ربه ﴾ في الآخرة ﴿ فيعذبه عذابا نكراً ﴾ أي منكراً يعني بالنار والنار أنكر من القتل ﴿ وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاءً الحسنى ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب جزاء منصوبا منونا أي فله الحسنى جزاء نصب على المصدر وقرأ الآخرون بالرفع على الاضافة والحسنى الجنة واضافة الحسن اليها كما قال (ولدار الآخرة خير) والدار هي الآخرة وقيل المراد بالحسنى على

وقوله (وأما من آمن) أي تابعنا على ما ندعوه اليه من عبادة الله وحده لا شريك له (فله جزاء الحسنى) أي في الدار الآخرة عند الله عز وجل (وسنقول له من أمرنا يسرا) قال مجاهد معروفا

ثم أتبع سببا (٨٩) حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً (٩٠) كذلك وقد أحطنا بما لديه خُبراً (٩١)

يقول تعالى ثم سلك طريقا فسار من مغرب الشمس إلى مطلعها وكان كلما مر بامة قهرهم وغلبهم ودعاهم الى الله عز وجل فان أطاعوه وإلا أذلهم وأرغم آنافهم واستباح أموالهم وأمتعتهم واستخدم من كل أمة ما تستعين به جيوشه على قتال الاقاليم المتاخم لهم، وذكر في اخبار بني اسرائيل أنه عاش الفا وستمائة سنة يجوب الارض طولها وعرضها حتى بلغ المشارق والمغارب ولما انتهى إلى مطلع الشمس من الارض كما قال الله تعالى (وجدها تطلع على قوم) أي أمة (لم نجعل لهم من دونها سترا) أي ليس لهم بناء يكنهم ولا أشجار تظلهم وتسترهم من حر الشمس. قال سعيد بن جبير كانوا حمراً قصارا مساكنهم الغيران أكثر معيشتهم من السمك

وقال ابو داود الطيالسي حدثنا سهيل بن أبي الصلت سمعت الحسن وسئل عن قول الله تعالى (لم نجعل لهم من دونها سترا) قال ان أرضهم لا تحمل البناء فاذا طلعت الشمس تغوروا في المياه فاذا غربت خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم قال الحسن هذا حديث سمرة، وقال قتادة ذكر لنا انهم بارض لا تنبت لهم شيئاً فهم إذا طلعت الشمس دخلوا في اسراب حتى اذا زالت الشمس خرجوا الى حروثهم ومعايشهم وعن سلمة بن كهيل انه قال: ليست لهم أكنان اذا طلعت الشمس طلعت عليهم فلأحدهم أذنان يفرش إحداهما ويلبس الاخرى. قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) قال هم الزنج، وقال ابن جرير في قوله (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) قال لم يبنوا فيها بناء قط ولم يبن عليهم فيها بناء قط كانوا إذا طلعت الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس او دخلوا البحر وذلك ان أرضهم ليس فيها جبل جاءهم جيش

هذه القراءة الاعمال الصالحة أي له جزاء الاعمال الصالحة ﴿وسنقول له من أمرنا يسرا﴾ أي نلين له القول ونعامله باليسر من امرنا وقال مجاهد يسراً أي معروفا ﴿ثم أتبع سببا﴾ أي سلك طرقا ومنازل ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس﴾ أي موضع طلوعها ﴿وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا﴾ قال قتادة والحسن لم يكن بينهم وبين الشمس ستر وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء فكانوا يكونون في أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقال الحسن كانوا اذا طلعت الشمس يدخلون الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم وقال الكلبي هم قوم عراة يفترش أحدهم احدى أذنيه ويلتحف بالاخرى

مرة فقال لهم أهلها لا تطلعن عليكم الشمس وأنتم بها قالوا لا نبرح حتى تطلع الشمس ماهذه العظام؟ قالوا هـذه جيف جيش طلعت عليهم الشمس ههنا فماتوا ، قال فذهبوا هاربين في الأرض وقوله (كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا) قال مجاهد والسدي : علماً أي نحن مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه لايخفى علينا منها شيء وان تفرقت أممهم وتقطعت بهم الارض فانه تعالى (لايخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء)

ثم أتبع سببا (٩٢) حتى اذا بلغ بين السَّدَّيْن وجد من دونهما قوما لايكادون يفقهون قولا (٩٣) قالوا يـٰذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سداً (٩٤) قال مامكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما (٩٥) آتوني زُبَر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني افرغ عليه قطرا (٩٦)

يقول تعالى مخبراً عن ذي القرنين ثم أتبع سببا أي ثم سلك طريقاً من مشارق الارض حتى اذا بلغ بين السدين وهما جبلان متناوحان بينهما ثغرة تخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك فيعيثون فيها فساداً ويهلكون الحرث والنسل ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيحين ان الله تعالى يقول : يا آدم فيقول لبيك وسعديك فيقول ابعث بعث النار فيقول ومابعث النار ، فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد إلى الجنة فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها فقال ان فيكم أمتين ما كانتا في شيء الا كثرتاه يأجوج ومأجوج ، وقد حكى النووي رحمه الله في شرح مسلم عن بعض الناس ان يأجوج ومأجوج خلقوا من مني خرج من

قوله عز وجل ﴿ كذلك ﴾ قيل معناه كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها والصحيح أن معناه كما حكم في القوم الذين هم عند مغرب الشمس كذلك حكم في الذين هم عند طلوع الشمس ﴿ وقد أحطنا بما لديه خبراً ﴾ يعني بما عنده ومعه من الجند والعدة والآلات خبراً أي علما ﴿ ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص السدين وسدا ههنا بفتح السين وافق حمزة والكسائي في سدا وقرأ الآخرون بضم السين وفي يس سدا بالفتح حمزة وحفص وقرأ الباقون بالضم منهم من قال هما لغتان معناهما واحد وقال عكرمة ماكان من صنعة بني آدم فهو السد بالفتح وما كان من صنع الله فهو سد بالضم وقاله أبو عمرو وقيل السد بالفتح مصدر وبالضم اسم وهما هنا

آدم فاختلط بالتراب فخلقوا من ذلك فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء وهذا قول غريب جداً ثم لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل ولا يجوز الاعتماد ههنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الاحاديث المفتعلة والله أعلم

وفي مسند الامام احمد عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال « ولد نوح ثلاثة » سام ابو العرب وحام ابو السودان » ويافث ابو الترك » قال بعض العلماء هؤلاء من نسل يافث أبي الترك » وقال انما سمي هؤلاء تركا لأنهم تركوا من وراء السد من هذه الجهة والا فهم أقرباء اولئك ولكن كان في اولئك بغي وفساد وجراءة، وقد ذكر ابن جرير ههنا عن وهب بن منبه أثراً طويلا عجيبا في سير ذي القرنين وبنائه السد وكيفية ما جرى له وفيه طول وغرابة ونكارة في أشكالهم وصفاتهم وطولهم وقصر بعضهم وآذانهم وروى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة لا تصح أسانيدها والله أعلم

وقوله (وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا) أي لاستعجام كلامهم وبعدهم عن الناس قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا قال ابن جريج عن

جبلان سد ذو القرنين ما بينهما حاجزاً بين يأجوج ومأجوج ومن ورائهم ﴿ وجد من دونهما قوما ﴾ يعني أمام السدين ﴿ لا يكادون يفقهون قولا ﴾ قرأ حمزة والكسائي يفقهون بضم الياء وكسر القاف على معنى لا يفهمون غيرهم قولا وقرأ الآخرون بفتح الياء والقاف أي لا يفهمون كلام غيرهم قال ابن عباس لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم ﴿ قالوا ياذا القرنين ﴾ فان قيل كيف قالوا ذلك وهم لا يفهمون قيل كلم عنهم مترجم دليله قراءة ابن مسعود (لا يكادون يفقهون قولا) قال الذين من دونهما ياذا القرنين ﴿ إن يأجوج ومأجوج ﴾ قرأهما عاصم مهموزين والآخرون بغير همز وهما لغتان أصلهما من أجيج النار وهو ضوؤها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم وقيل بالهمزة من أجيج النار وبترك الهمز اسمان اعجميان مثل هاروت وماروت وهم من اولاد يافث بن نوح قال الضحاك هم جيل من الترك قال السدي الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجه فجميع الترك منهم وعن قتادة أنهم اثنان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على احدى وعشرين قبيلة فبقيت قبيلة واحدة فهم الترك سموا الترك لأنهم تركوا خارجين قال أهل التاريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة والهند والسند فيها ابناقرط بن حام بن نوح ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس في رواية عطاء هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء روى عن حذيفة مرفوعا «إن يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه» كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم يسيرون الى خراب الدنيا وقيل هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الارز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع

عطاء عن ابن عباس (أجراً عظيما) يعني انهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالا يعطونه اياه حتى يجعل بينه وبينهم سداً فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير (ما مكني فيه ربي) خير أي ان الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه كما قال سليمان عليه السلام (أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم) الآية وهكذا قال ذو القرنين الذي أنا فيه خير من الذي تبذلونه

في السماء وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش أحدهم اذنه ويلتحف الاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير ولا كلب إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشارق وبحيرة طبرية وعن علي أنه قال منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد آدم وذلك أن آدم احتلم [1] ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم يتصلون بنا من جهة الاب دون الام وذكر وهب بن منبه أن ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبداً صالحا قال الله له إني باعثك الى امم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما طول الارض احداهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مطلعها يقال لها منسك وامتان بينهما عرض الارض احداهما في القطر الايمن يقال لها هاويل والاخرى في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل ، وامم في وسط الارض منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج فقال ذو القرنين يارب بأي قوة اكابرهم وبأي جمع اكاثرهم وبأي لسان اناطقهم قال الله عز وجل إني سأفويك وأبسط لك لسانك وأشد عضدك فلا يهولنك شيء ، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء ، واسخر لك النور والظلمة وأجعلهما من جنودك يهديك النور من امامك وتحوطك الظلمة من ورائك فانطلق حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا لا يحصيه إلا الله فكابرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم الى الله والى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت في أجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته فجند من أهل المغرب جنداً عظيما فانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل فعمل فيهم كعمله في ناسك ثم مضى حتى انتهى الى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وجند فيها جنوداً كعمله في الامتين ثم أخذ ناحية الارض اليسرى فأتى تاويل فعمل فيها كعمله فيما قبلها ثم عمد الى الامم التي في وسط الارض فلما دنا مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الانس ياذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقا أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش لهم أنياب واضراس كالسباع يأكلون الحيات والعقارب وكل ذي روح خلق في الارض وليس يزداد خلق كزيادتهم ولا شك انهم سيملؤن الارض ويظهرون عليها ويفسدون فيها (فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ، قال مامكني فيه ربي خير) قال أعدوا لي الصخر والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخاليب كالاظفار في ايدينا وانياب

(١) قوله احتلم هذا مردود فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الشيطان والاحتلام من الشيطان اهـ

ولكن ساعدوني بقوة أي بعملكم وآلات البناء (أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد) والزبر جمع زبرة وهي القطعة منه قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وهي كاللبنة يقال كل لبنة زنة قنطار بالدمشقي او تزيد عليه (حتى إذا ساوى بين الصدفين) أي وضع بعضه على بعض من الاساس حتى اذا حاذى به رءوس الجبلين طولا وعرضا واختلفوا في مساحة عرضه وطوله على أقوال (قال انفخوا) أي أجج عليه النار حتى صار كله ناراً (قال آتوني أفرغ عليه قطرا) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدي هو النحاس زاد بعضهم المذاب ويستشهد بقوله تعالى (وأسلنا له عين

واضراس كالسباع ولهم هدب من الشعر في أجسادهم يواريهم ويتقون به من الحر والبرد ولكل واحد منهم اذنان عظيمتان يفترش احداهما ويلتحف بالاخرى يصيف في احداهما ويشتوفى الاخرى يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا فلما عاين ذلك ذوالقرنين انصرف الى مابين الصدفين فقاس مابينهما فحفر له الاساس حتى بلغ الماء وجعل حشوه الصخر وطينه النحاس يذاب فيصب عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الارض

قوله تعالى ﴿مفسدون في الارض﴾ قال الكلبي فسادهم أنهم كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتملوه وأدخلوه أرضهم وقد لقوا منهم اذى شديدا وقتلا ، وقيل فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس ، وقيل معناه أنهم سيفسدون في الارض عند خروجهم (فهل نجعل لك خرجا) قرأ حمزة والكسائي خراجا بالالف ، وقرأ الآخرون خرجا بغير الف وهما لغتان بمعنى واحد أي جعلا وأجراً من أموالنا ، وقال ابو عمرو الخرج ما تبرعت به والخراج مالزمك اداؤه وقيل الخراج على الارض والخرج على الرقاب يقال أدخرج رأسك وخراج مدينتك ﴿على ان تجعل بيننا وبينهم سدا﴾ اي حاجزاً فلايصلون الينا ﴿قال﴾ لهم ذوالقرنين ﴿ما مكني فيه﴾ قرأ ابن كثير مكنني بنونين ظاهرتين، وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة على الادغام أي ماقواني عليه ﴿ربي خير﴾ من جعلكم ﴿ فأعينوني بقوة ﴾ معناه إني لا اريد المال بل اعينوني بابدانكم وقوتكم ﴿اجعل بينكم وبينهم ردما﴾ أي سدا قالوا وماتلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة؟ قال ﴿ آتوني﴾ اعطوني وقرأ ابو بكر ائتوني اي جيئوني ﴿زبر الحديد﴾ أي قطع الحديد واحدتها زبرة فأتوه بها وبالحطب وجعل بعضها على بعض فلم يزل يجعل الحديد على الحطب والحطب على الحديد ﴿ حتى إذا ساوى بين الصدفين ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب بضم الصاد والدال وجزم أبو بكر الدال وقرأ الآخرون بفتحها وهما الجبلان ساوى أي سوى بين طرفي الجبلين ﴿قال انفخوا﴾ وفي القصة انه جعل الفحم والحطب في خلال زبر الحديد ثم قال انفخوا يعني في النار ﴿حتى إذا جعله ناراً﴾ اي صار الحديد ناراً ﴿قال آتوني﴾ قرأ حمزة وابو بكر وصلا وقرأ الآخرون بقطع الالف ﴿ افرغ عليه قطراً ﴾ أي آتوني قطراً أفرغ عليه والافراغ

القطر) ولهذا يشبه بالبرد المحبر . قال ابن جرير حدثنا بشر بن يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أن رجلا قال يارسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال « انعته لي » قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء. قال « قد رأيته » هذا حديث مرسل. وقد بعث الخليفة الواثق في دولته بعض أمرائه وجهز معه جيشا سرية لينظروا الى السد ويعاينوه وينعتوه له إذا رجعوا فتوصلوا من بلاد الى بلاد ومن ملك إلى ملك حتى وصلوا اليه ورأوا بناءه من الحديد ومن النحاس وذكروا انهم رأوا فيه بابا عظيما وعليه أقفال عظيمة ورأوا بقية اللبن والعمل في برج هناك ، وان عنده حرسا من الملوك المتاخمة له وانه عال منيف شاهق لايستطاع ولا ماحوله من الجبال ثم رجعوا إلى بلادهم وكانت غيبتهم أكثر من سنتين وشاهدوا أهوالا وعجائب ثم قال الله تعالى

فما اسطٰعوا أن يظهروه وما استطٰعوا له نقبا (٩٧) قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا (٩٨) وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعنٰهم جمعا (٩٩)

يقول تعالى مخبراً عن يأجوج ومأجوج انهم ماقدروا على أن يصعدوا من فوق هذا السد ولا قدروا على نقبه من أسفله ولما كان الظهور عليه أسهل من نقبه قابل كلا بما يناسبه فقال (فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا) وهذا دليل على أنهم لم يقدروا على نقبه ولا على شيء منه فاما الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة حدثنا ابو رافع عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال « ان يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً فيعودون اليه كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله فيستثني فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهيئة الدم فيقولون قهرنا أهل الارض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا في رقابهم فيقتلهم بها قال رسول الله ﷺ « والذي نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر شكرا

الصب والقطر هو النحاس المذاب فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس قال قتادة هو كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء وفي القصة ان عرضه كان خمسين ذراعا وارتفاعه مائتي ذراع وطوله فرسخ ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه﴾ ان يعلوه من فوقه لطوله وملاسته ﴿ وما استطاعوا له نقبا ﴾ من أسفله لشدته وصلابته ، وقرأ حمزة (فما اسطاعوا) بتشديد

من لحومهم ودمائهم » ورواه احمد أيضاً عن حسن هو ابن موسى الاشهب عن سفيان عن قتادة به وكذا رواه ابن ماجه عن أزهر بن مروان عن عبد الاعلى عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال حدث ابو رافع وأخرجه الترمذي من حديث أبي عوانة عن قتادة ثم قال غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه وإسناده جيد قوي ولكن متنه في رفعه نكارة لان ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه لاحكام بنائه وصلابته وشدته ولكن هذا قد روي عن كعب الاحبار انهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل فيقولون غدا نفتحه فيأتون من الغد وقد عاد كما كان فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل فيقولون كذلك فيصبحون وهو كما كان فيلحسونه ويقولون غدا نفتحه ويلهمون أن يقولوا إن شاء الله فيصبحون وهو كما فارقوه فيفتحونه وهذا متجه ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب فانه كان كثيراً ما يجالسه ويحدثه فحدث به ابو هريرة فتوهم بعض الرواة عنه انه مرفوع فرفعه والله أعلم

ويؤيد ماقلناه من انهم لم يتمكنوا من نقبه ولا نقب شيء منه ومن نكارة هذا المرفوع قول الامام احمد حدثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان عن أمها أم حبيبة عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ - قال سفيان أربع نسوة - قالت استيقظ النبي ﷺ من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول « لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا » وحلق قلت يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال « نعم إذا كثر الخبث » هذا حديث صحيح اتفق البخاري ومسلم على اخراجه من حديث الزهري ولكن

الطاء أدغم تاء الافتعال في الطاء ﴿قال﴾ يعني ذا القرنين ﴿هذا﴾ أي السد ﴿رحمة﴾ نعمة ﴿ من ربي فاذا جاء وعد ربي﴾ قبل القيامة وقيل وقت خروجهم ﴿جعله دكاء﴾ قرأ أهل الكوفة دكاء بالمد والهمز أي ارضا ملساء ، وقرأ الآخرون بلا مد أي جعله مدكوكا مستويا مع وجه الارض ﴿ وكان وعد ربي حقا﴾ وروى قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة يرفعه «ان يأجوج ومأجوج يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله كما كان حتى إذا بلغت مدتهم حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله واستثنى فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه فيخرجون على الناس فيتبعون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فيرجع فيها كهيئة الدم فيقولون قهرنا أهل الارض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا في أقفائهم فيهلكون وان دواب الارض لتسمن وتشكر من لحومهم شكراً » أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن مهران الرازي ثنا الوليد بن مسلم ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن يحيى بن جابر الطائي عن عبد الرحمن

سقط في رواية البخاري ذكر أم حبيبة وأثبتها مسلم وفيه أشياء عزيزة نادرة قليلة الوقوع في صناعة الاسناد منها رواية الزهري عن عروة وهما تابعيان ومنها اجتماع أربع نسوة في سنده كلهن يروي بعضهن عن بعض ثم كل منهن صحابية ثم ثنتان ربيبتان وثنتان زوجتان رضي الله عنهن ، وقد روي نحو هذا عن أبي هريرة أيضاً فقال البزار حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا مؤمل بن اسماعيل حدثنا وهب عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ انه قال « فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وعقد التسعين » وأخرجه البخاري ومسلم من حديث وهب به . وقوله (قال هذا رحمة من ربي) أي لما بناه ذو القرنين (قال هذا رحمة من ربي) أي بالناس حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلا يمنعهم من العيث في الارض والفساد (فاذا جاء وعد ربي) أي اذا اقترب الوعد الحق (جعله دكاء) أي ساواه بالارض تقول العرب ناقة دكاء اذا كان ظهرها مستويا لا سنام لها وقال تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) أي مساويا للارض . وقال عكرمة في قوله (فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء) قال طريقا كما كان (وكان وعد ربي حقا) أي كائنا لا محالة . وقوله (وتركنا بعضهم) أي الناس يومئذ أي يوم يدك هذا السد ويخرج هؤلاء فيموجون في الناس ويفسدون على الناس أموالهم ويتلفون أشياءهم وهكذا قال السدي في قوله (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قال ذاك حين يخرجون على الناس وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد الدجال كما سيأتي بيانه عند قوله (حتى اذا فتحت

ابن جبير بن نفير عن أبيه جبير بن نفير عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال « ماشأنكم ؟ » قلنا يارسول الله ذكرت الدجال ذات غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال « غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فانا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل امريء حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه اليمنى طافية كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا » قلنا يارسول الله فما لبثه في الارض ؟ قال « أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم » قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال « لا اقدروا له قدره » قلنا يارسول الله وما اسراعه في الارض ؟ قال « كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله قال فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح

يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق) الآية وهكذا قال ههنا (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قال هذا أول يوم القيامة (ثم نفخ في الصور)على أثر ذلك (فجمعناهم جمعا) وقال آخرون بل المراد بقوله (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قال اذا ماج الجن والانس يوم القيامة يختلط الانس والجن ، وروى ابن جرير عن محمد بن حميد عن يعقوب القمي عن هارون بن عنترة عن شيخ من بني فزارة في قوله (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قال اذا ماج الانس والجن قال إبليس أنا أعلم لكم علم هذا الامر فيظعن الى المشرق فيجد الملائكة قد قطعوا الارض ثم يظعن الى المغرب فيجد الملائكة قد قطعوا الارض فيقول مامن محيص ثم يظعن يمينا وشمالا إلى أقصى الارض فيجد الملائكة قد قطعوا الارض فيقول ما من محيص فبينما هو كذلك اذ عرض له طريق كالشراك فأخذ عليه هو وذريته فبينما هم عليه اذ هجموا على النار فأخرج الله خازنا من خزان النار فقال ياابليس ألم تكن لك المنزلة عند ربك ألم تكن في الجنان ؟ فيقول ليس هذا يوم عتاب لو أن الله فرض علي فريضة لعبدته فيها عبادة لم يعبده مثلها أحد من خلقه فيقول فان الله قد فرض عليك فريضة فيقول ماهي فيقول يأمرك أن تدخل النار فيتلكأ عليه فيقول به وبذريته بجناحيه فيقذفهم في النار فتزفر النار زفرة لايبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى لركبتيه وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمي به ثم رواه من وجه آخر عن يعقوب عن هارون عن عنترة عن أبيه عن ابن عباس(وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قال الانس والجن يموج بعضهم في بعض

عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي باب دمشق بين مهزودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادا لي لايد لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله طيراً كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطراً لايكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي

وقال الطبراني حدثنا عبدالله بن محمد بن العباس الاصبهاني حدثنا ابو مسعود احمد بن الفرات حدثنا ابو داود الطيالسي حدثنا المغيرة بن مسلم عن أبي اسحاق عن وهب بن جابر عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « ان يأجوج ومأجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معايشهم وان يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفافصاعداً وان من ورائهم ثلاث أمم تاويل وتايس ومنسك » هذا حديث غريب بل منكر ضعيف . وروى النسائي من حديث شعبة عن النعمان بن سالم عن عمرو بن أوس عن أبيه عن جده أوس بن أبي أوس مرفوعا « ان يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ماشاءوا وشجر يلقحون ماشاءوا ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفا فصاعداً وقوله (ونفخ في الصور) والصور كما جاء في الحديث قرن ينفخ فيه والذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام كما قد تقدم في الحديث بطوله والاحاديث فيه كثيرة . وفي الحديث عن عطية عن ابن عباس وأبي سعيد مرفوعا « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته واستمع متى يؤمر » قالوا كيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا . وقوله (فجمعناهم جمعا) أي أحضرنا الجميع للحساب (قل ان الاولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم — وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً)

وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا (١٠٠) الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري

القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة » وبهذا الاسناد حدثنا مسلم بن الحجاج ثنا علي بن حجر السعدي ثنا عبد الله بن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر والوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بهذا الاسناد نحو ما ذكرنا وزاد بعد قوله لقد كان بهذه مرة ماء ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الارض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم الى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماء ، وقال وهب انهم كانوا يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الخشب والشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس « أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي انبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل أنبأنا أحمد أنبأنا أبي أنبأنا ابراهيم عن الحجاج بن حجاج عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال « ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج » وفي القصة أن ذا القرنين دخل الظلمة فلما رجع توفي بشهر زور وذكر بعضهم أن عمره كان نيفا وثلاثين سنة

وقوله تعالى (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا يأجوج ومأجوج يموج أي يدخل بعضهم على بعض كموج الماء ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض ويختلط انسيهم بجنيهم حيارى (ونفخ في الصور) لان خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة (فجمعناهم جمعا) في صعيد واحد (وعرضنا)

وكانوا لا يستطيعون سمعا (١٠١) أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء ؟ انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا (١٠٢)

يقول تعالى مخبراً عما يفعله بالكفار يوم القيامة انه يعرض عليهم جهنم أي يبرزها لهم ويظهرها ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهم والحزن لهم وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « يؤتى بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك » ثم قال مخبراً عنهم (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري) أي تغافلوا وتعاموا وتصاموا عن قبول الهدى واتباع الحق كما قال (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) وقال ههنا (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أي لا يعقلون عن الله أمره ونهيه ثم قال (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) أي اعتقدوا انهم يصح لهم ذلك وينتفعون به (كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً) ولهذا أخبر الله تعالى انه قد أعد لهم جهنم يوم القيامة منزلا

قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ؟ (١٠٣) الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (١٠٤) أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعملهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا (١٠٥) ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آيتي ورسلي هزوا (١٠٦)

أبرزنا ﴿جهنم يومئذ للكافرين عرضا﴾ حتى يشاهدوها عيانا ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء﴾ أي غشاء والغطاء ما يغطى به الشيء ويستره ﴿عن ذكري﴾ يعني عن الايمان والقرآن عن الهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعا﴾ أي سمع القبول والايمان لغلبة الشقاوة عليهم وقيل لا يعقلون وقيل كانوا لا يستطيعون أي لا يقدرون أن يسمعوا من رسول الله ﷺ ما يتلوه عليهم لشدة عداوتهم له كقول الرجل لا أستطيع أن أسمع من فلان شيئا لعداوته ﴿أفحسب﴾ أفظن ﴿الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾ أربابا يريد بالعباد عيسى والملائكة كلا بل هم لهم أعداء ويتبرءون منهم قال ابن عباس يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله وقال مقاتل الاصنام سماها عباداً كما قال (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) وجواب هذا الاستفهام محذوف قال ابن عباس يريد أني لا أغضب لنفسي يقول أفظن الذين كفروا أن يتخذوا غيري أولياء واني لا أغضب لنفسي ولا أعاقبهم وقيل أفظنوا أنهم ينفعهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء ﴿ انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ﴾ أي منزلا قال ابن عباس هي مثواهم وقيل النزل ما يهيأ للضيف يريد هي معدة لهم عندنا كالنزل للضيف ﴿ قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا ﴾ يعني الذين اتعبوا أنفسهم في عمل

قال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو عن مصعب قال: سألت أبي يعني سعد بن أبي وقاص عن قول الله (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) أهم الحرورية قال لا هم اليهود والنصارى . أما اليهود فكذبوا محمداً ﷺ وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا لاطعام فيها ولا شراب والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه فكان سعد رضي الله عنه يسميهم الفاسقين

وقال علي بن أبي طالب والضحاك وغير واحد : هم الحرورية ، ومعنى هذا عن علي رضي الله عنه ان هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء بل هي أعم من هذا فان هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى وقبل وجود الخوارج بالكلية وإنما هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب انه مصيب فيها وان عمله مقبول وهو مخطيء وعمله مردود كما قال تعالى (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية) وقال تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً) وقال تعالى (والذين كفروا بربهم أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا) وقال في هذه الآية الكريمة (قل هل ننبئكم) أي نخبركم (بالاخسرين أعمالا) ثم فسرهم فقال (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا) أي عملوا أعمالا باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) أي يعتقدون أنهم على شيء وأنهم مقبولون محبوبون

وقوله (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) أي جحدوا آيات الله في الدنيا وبراهينه التي أقام على وحدانيته وصدق رسله وكذبوا بالدار الآخرة (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) أي لا نقيم موازينهم لانها خالية عن الخير ، قال البخاري حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا المغيرة حدثني أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « يأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ـ وقال ـ اقرءوا ان شئتم (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) وعن يحيى بن بكير عن مغيرة بن عبدالرحمن عن أبي الزناد مثله هكذا ذكره عن يحيى بن بكير معلقا . وقد رواه مسلم عن أبي بكر محمد بن إسحاق عن يحيى بن بكير به

يرجون به فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبواراً كمن يشتري سلعة يرجو عليها ربحا فخسر وخاب سعيه واختلفوا فيهم . قال ابن عباس وسعد بن أبي وقاص هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان ﴿الذين﴾ حبسوا أنفسهم في الصوامع ، وقال علي بن أبي طالب هم أهل حروراء ﴿ضل سعيهم﴾ بطل عملهم واجتهادهم ﴿في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ أي عملا ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت﴾ بطلت ﴿أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ أي لا نجعل لهم خطراً وقدرا تقول العرب مالفلان عندي وزن أي قدر لخسته أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « يؤتى بالرجل الاكول الشروب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها » قال وقرأ (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي الصلت عن أبي الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعا فذكره بلفظ البخاري سواء

وقال أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا العباس بن محمد حدثنا عون بن عمارة حدثنا هاشم ابن حسان عن واصل عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فأقبل رجل من قريش يخطر في حلة له فلما قام على النبي ﷺ قال « يا بريدة هذا ممن لا يقيم الله له يوم القيامة وزنا » ثم قال تفرد به واصل مولى أبي عنبسة وعون بن عمارة وليس بالحافظ ولم يتابع عليه . وقد قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الاعمش عن سمرة عن أبي يحيى عن كعب قال يؤتى يوم القيامة برجل عظيم طويل فلا يزن عند الله جناح بعوضة ، اقرءوا (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) وقوله (ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا) أي انما جازيناهم بهذا الجزاء بسبب كفرهم واتخاذهم آيات الله ورسله هزوا استهزءوا بهم وكذبوهم أشد التكذيب

ان الذين آمنوا وعملوا الصّٰلحٰت كانت لهم جنّٰت الفردوس نزلا (١٠٧) خٰلدين فيها لا يبغون عنها حولا (١٠٨)

يخبر تعالى عن عباده السعداء وهم الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا المرسلين فيما جاءوا به ان لهم جنات الفردوس قال مجاهد الفردوس هو البستان بالرومية » وقال كعب والسدي والضحاك هو البستان الذي فيه شجر الاعناب ، وقال أبو أمامة الفردوس سرة الجنة ، وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة

النعيمي أنا أحمد عن محمد بن يوسف عن محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن عبد الله ثنا سعيد بن أبي مريم أنبأنا المغيرة عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ـ وقال ـ اقرءوا (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) قال أبو سعيد الخدري يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله تعالى (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) ﴿ذلك﴾ الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وخسة أقدارهم ثم ابتدأ فقال ﴿ جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ﴾ يعني القرآن ﴿ ورسلي هزوا ﴾ أي سخرية ومهزوءا بهم

قوله تعالى ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس ﴾ روينا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة » قال كعب ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس

وأوسطها وأفضلها وقد روي هذا مرفوعا من حديث سعيد بن جبير عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ « الفردوس ربوة الجنة أوسطها وأحسنها » وهكذا رواه اسماعيل بن مسلم عن الحسن عن سمرة مرفوعا وروي عن قتادة عن أنس بن مالك مرفوعا بنحوه، روى ذلك كله ابن جرير رحمه الله « وفي الصحيحين » إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فانه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة « وقوله تعالى (نزلا) أي ضيافة فان النزول الضيافة « وقوله (خالدين فيها) أي مقيمين ساكنين فيها لا يظعنون عنها أبداً (لا يبغون عنها حولا) أي لا يختارون عنها غيرها ولا يحبون سواها كما قال الشاعر

فحلت سويدا القلب لا أنا باغيا سواها ولا عن حبها أتحول

وفي قوله (لا يبغون عنها حولا) تنبيه على رغبتهم فيها وحبهم لها مع أنه قد يتوهم فيمن هو مقيم في المكان دائما انه قد يسأمه أو يمله فأخبر انهم مع هذا الدوام والخلود السرمدي لا يختارون عن مقامهم ذلك متحولا ولا انتقالا ولا ظعنا ولا رحلة ولا بدلا

قل لو كان البحر مداداً لكلمٰت ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمٰت ربي ولو جئنا بمثله مددا (١٠٩)

يقول تعالى قل يا محمد لو كان ماء البحر مداداً للقلم الذي يكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الدالة عليه لنفد البحر قبل أن يفرغ كتابة ذلك (ولو جئنا بمثله) أي بمثل البحر آخر ثم آخر وهلم جرا بحور تمده ويكتب بها لما نفدت كلمات الله كما قال تعالى (ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ، ان الله عزيز حكيم) وقال الربيع بن أنس ان مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها وقد أنزل الله ذلك (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي

فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأقصاها وأرفعها :قال كعب الفردوس هو البستان الذي فيه الاعناب. وقال مجاهد هو البستان بالرومية وقال عكرمة هي الجنة بلسان الحبش. قال الزجاج هو بالرومية منقول الى لفظ العربية وقال الضحاك هي الجنة الملتفة الاشجار وقيل هي الروضة المستحسنة وقيل هي التي تنبت ضروبا من النبات وجمعه فراديس ﴿ نزلا ﴾ قيل أي منزلا وقيل ما هيأ للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا ومعنى (كانت لهم) أي في علم الله قبل أن يخلقوا ﴿ خالدين فيها لا يبغون ﴾ لا يطلبون ﴿ عنها حولا ﴾ أي تحولا الى غيرها قال ابن عباس لا يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار اذا لم توافقه الى دار اخرى ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي ﴾ قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم أنا قد أوتينا الحكمة وفي كتابك (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) ثم تقول (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) فأنزل الله هذه الآية وقيل لما نزلت (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) قالت اليهود أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فانزل الله (قل لو كان البحر مداداً) سمي المداد مداداً لامداده الكاتب وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء. قال مجاهد لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب

لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي) يقول لو كانت تلك البحور مداداً لكلمات الله والشجر كله أقلام لانكسرت الاقلام وفني ماء البحر ، وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء، لان أحداً لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثني عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذي يثني على نفسه ان ربنا كما يقول وفوق مانقول ، ان مثل نعيم الدنيا أولها وآخرها في نعيم الآخرة كحبة من خردل في خلال الارض كلها

قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (١١٠)

روى الطبراني من طريق هشام بن عمار عن اسماعيل بن عياش عن عمرو بن قيس الكوفي انه سمع معاوية بن أبي سفيان انه قال هذه آخر آية أنزلت، يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه (قل) لهؤلاء المشركين المكذبين برسالتك اليهم (انما أنا بشر مثلكم) فمن زعم اني كاذب فليأت بمثل ما جئت به فاني لا أعلم الغيب فيما أخبرتكم به من الماضي عما سألتم من قصة أصحاب الكهف وخبر ذي القرنين مما هو مطابق في نفس الامر لولا ما أطلعني الله عليه وانما أخبركم انما إلهكم الذي أدعوكم إلى عبادته اله واحد لاشريك له (فمن كان يرجو لقاء ربه) أي ثوابه وجزاءه الصالح (فليعمل عملا صالحا) ماكان موافقا لشرع الله (ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وهو الذي يراد به وجه الله وحده لاشريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل لابد أن يكون خالصاً لله صوابا على شريعة رسول الله ﷺ وقد روى ابن أبي حاتم من حديث معمر عن عبد الكريم الجزري عن طاوس قال قال رجل يارسول الله اني أقف المواقف أريد وجه الله وأحب أن يرى موطني فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئا حتى نزلت هذه الآية (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وهكذا أرسل هذا مجاهد وغير واحد ، وقال الاعمش حدثنا حمزة أبو عمارة مولى بني هاشم عن شهر بن حوشب قال جاء رجل الى عبادة بن الصامت فقال أنبئني عما أسألك عنه : أرأيت رجلا يصلي يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد، ويصوم يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد، ويتصدق يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد، ويحج

﴿ لنفد البحر ﴾ أي ماؤه ﴿ قبل أن تنفد ﴾ قرأ حمزة والكسائي ينفد بالياء لتقدم الفعل والباقون بالتاء ﴿ كلمات ربي ﴾ أي علمه وحكمته ﴿ ولو جئنا بمثله مددا ﴾ معناه لو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لنفد البحر ولم تنفد كلمات الله(ولو جئنا بمثله مددا)بمثل ماء البحر في كثرته مدداً وزيادة نظيره قوله تعالى (ولو أن ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله) ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ﴾ قال ابن عباس علم الله رسوله التواضع لئلا يزهو على خلقه فأمره الله أن يقر فيقول أنا آدمي مثلكم إلا اني خصصت بالوحي واكرمني الله به (يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد) لاشريك له ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ أي يخاف المصير اليه وقيل

يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد ، فقال عبادة ليس له شيء ان الله تعالى يقول أنا خير شريك فمن كان له معي شرك فهو له كله لاحاجة لي فيه

وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ثنا كثير بن زيد عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده قال ، كنا نتناوب رسول الله ﷺ فنبيت عنده تكون له الحاجة أو يطرقه أمر من الليل فيبعثنا فكثر المحتسبون وأهل النوب فكنا نتحدث فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال « ماهذه النجوى ؟ » قال فقلنا تبنا إلى الله أي نبي الله انما كنا في ذكر المسيح وفرقنا منه فقال « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي ؟ » قال قلنا بلى قال « الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي لمكان الرجل »

وقال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد يعني ابن بهرام قال : قال شهر بن حوشب قال ابن غنم لما دخلنا مسجد الجابية أنا وأبو الدرداء لقينا عبادة بن الصامت فأخذ يميني بشماله وشمال أبي الدرداء بيمينه فخرج يمشي بيننا ونحن نتناجى والله أعلم بما نتناجى به فقال عبادة بن الصامت إن طال بكما عمر أحدكما أو كليكما لتوشكان أن تريا الرجل من ثبج المسلمين يعني من وسط قراء القرآن على لسان محمد ﷺ فأعاده وأبداه وأحل حلاله وحرم حرامه ونزله عند منازله لايجوز فيكم إلا كما يجوز رأس الحمار الميت. قال فبينما نحن كذلك اذ طلع شداد بن أوس رضي الله عنه وعوف ابن مالك فجلسا الينا فقال شداد ان أخوف ما أخاف عليكم أيها الناس لما سمعت رسول الله ﷺ يقول « من الشهوة الخفية والشرك » فقال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء اللهم غفراً ألم يكن رسول الله ﷺ قد حدثنا أن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب . أما الشهوة الخفية فقد عرفناها هي شهوات الدنيا من نسائها وشهواتها فما هذا الشرك الذي تخوفنا به ياشداد ؟ فقال شداد أرأيتكم لو رأيتم رجلا يصلي لرجل أو يصوم لرجل أو يتصدق أترون أنه قد اشرك ؟ قالوا نعم والله إن من صلى لرجل أو صام أو تصدق له لقد اشرك فقال شداد فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من صلى يرائي فقد اشرك ، ومن صام يرائي فقد اشرك ، ومن تصدق يرائي فقد اشرك » قال عوف بن مالك عند ذلك أفلا يعمد الله الى ماابتغي به وجهه من ذلك العمل كله فيقبل ماخلص له ويدع ما اشرك به فقال شداد عند ذلك فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله يقول أنا خير قسيم لمن اشرك بي من اشرك بي شيئا فان عمله قليله وكثيره لشريكه الذي اشرك به أنا عنه غني »

يأمل رؤية ربه فالرجاء يكون بمعنى الخوف والامل جميعا قال الشاعر

فلا كل ماترجو من الخير كائن ولا كل ماترجو من الشر واقع

فجمع بين المعنيين ﴿ فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ أي لايرائي بعمله أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنبأنا أبو نعيم أنا سفيان عن سلمة هو ابن كهيل قال سمعت جندبا يقول قال النبي ﷺ « من سمع سمع الله به ، ومن يرائي

﴿ طريق اخرى لبعضه ﴾ قال الامام احمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني عبد الواحد بن زياد اخبرنا عبادة بن نسي عن شداد بن أوس رضي الله عنه انه بكى فقيل مايبكيك ؟ قال شيء سمعته من رسول الله ﷺ فابكاني سمعت رسول الله يقول « أتخوف على امتي الشرك والشهوة الخفية » قلت يارسول الله أتشرك امتك من بعدك ؟ قال « نعم أما انهم لايعبدون شمسا ولا قمراً ولا حجراً ولا وثنا ولكن يراءون باعمالهم، والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائما فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه » ورواه ابن ماجه من حديث الحسن بن ذكوان عن عبادة بن نسي به وعبادة فيه ضعف وفي سماعه من شداد نظر

﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الحسن بن علي بن جعفر الاحمر حدثنا علي ابن ثابت حدثنا قيس بن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله يوم القيامة أنا خير شريك من اشرك بي أحداً فهو له كله »

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت العلاء يحدث عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ يرويه عن الله عز وجل انه قال « أنا خير الشركاء فمن عمل عملا اشرك فيه غيري فأنا بريء منه وهو للذي اشرك » تفرد به من هذا الوجه

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا يونس حدثنا الليث عن يزيد يعني ابن الهاد عن عمرو عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال « ان اخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر » قالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله ؟ قال « الرياء يقول الله يوم القيامة اذا جزى الناس باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا محمد بن بكير اخبرنا عبد الحميد يعني بن جعفر اخبرني أبي عن زياد بن ميناء عن أبي سعيد بن أبي فضالة الانصاري وكان من الصحابة انه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « اذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لاريب فيه نادى مناد: من كان اشرك في عمل عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله اغنى الشركاء عن الشرك » واخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث محمد وهو البرساني به

يرائي الله به » وروينا عن النبي ﷺ أنه قال « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر » قالوا يارسول الله وما الشرك الاصغر ؟ قال « الرياء » أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنبأنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ثنا أبي ثنا شعيب قال ثنا الليث عن أبي الهاد عن عمرو عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله تبارك وتعالى يقول : أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري فأنا منه بريء هو للذي عمله » أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنبأنا

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا أحمد بن عبدالملك حدثنا بكار حدثنا أبي - يعني عبدالعزيز ابن أبي بكرة - عن أبي بكرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به » وقال الامام أحمد حدثنا معاوية حدثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال « من يرائي يرائي الله به ومن يسمع يسمع الله به »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة حدثني عمرو بن مرة قال سمعت رجلا في بيت أبي عبيدة انه سمع عبدالله بن عمرو يحدث ابن عمر انه سمع رسول الله ﷺ يقول « من سمع الناس بعمله سمع الله به مسامع خلقه وصغره وحقره » فذرفت عينا عبد الله » وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن يحيى الابلي حدثنا الحارث بن غسان حدثنا أبو عمران الجوني عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « تعرض أعمال بني آدم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة في صحف مختمة فيقول الله ألقوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملائكة يا رب والله ما رأينا منه إلا خيراً فيقول ان عمله كان لغير وجهي ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهي » ثم قال: الحارث بن غسان روى عنه جماعة وهو ثقة بصري ليس به بأس » وقال وهب حدثني يزيد بن عياض عن عبد الرحمن الاعرج عن عبدالله بن قيس الخزاعي أن رسول الله ﷺ قال « من قام رياء وسمعة لم يزل في مقت الله حتى يجلس » وقال ابو يعلى حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا محمد بن دينار عن ابراهيم الهجري عن أبي الاحوص عن عوف بن مالك عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه عز وجل » وقال ابن جرير حدثنا أبو عامر اسماعيل بن عمرو السكوني حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن عياش حدثنا عمرو بن قيس الكندي انه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية (فمن كان يرجو لقاء ربه) الآية ، وقال انها آخر آية نزلت من القرآن وهذا أثر مشكل فان هذه الآية آخر سورة الكهف والكهف كلها مكية ولعل معاوية أراد انه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها بل هي مثبتة محكمة فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه والله أعلم . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق حدثنا النضر ابن شميل حدثنا أبو قرة عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ « من قرأ في ليلة (فمن كان يرجو لقاء ربه) الآية كان له من النور من عدن أبين إلى مكة حشو ذلك النور الملائكة » غريب جداً

﴿ آخر تفسير سورة الكهف ﴾

أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن احمد بن عبدالجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا حفص بن عمر ثنا همام عن قتادة عن سالم بن الجعد الغطفاني عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء يرويه عن النبي ﷺ قال « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » واخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو الاسود ثنا ابن لهيعة عن زياد عن سهل هو ابن معاذ عن أبيه عن النبي ﷺ قال « من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدميه الى رأسه » ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الارض الى السماء »

تفسير سورة مريم وهي مكية

وقد روى محمد بن اسحاق في السيرة من حديث أم سلمة ، وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود في قصة الهجرة الى أرض الحبشة من مكة أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

كهيعص (١) ذكر رحمت ربك عبدَه زكريا (٢) اذ نادى ربه نداء خفيا (٣) قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك ربّ شقياً (٤) واني خفت الموٰلي من وراءي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك وليا (٥) يرثني ويرث من آل يعقوب ، واجعله رب رضيا (٦)

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في اول سورة البقرة ، وقوله (ذكر رحمة ربك) أي هذا ذكر رحمة الله عبده زكريا ، وقرأ يحيى بن يعمر (ذكر رحمة ربك عبده زكرياء) وزكريا يمد ويقصر قراءتان مشهورتان . وكان نبيا عظيما من أنبياء بني إسرائيل ، وفي صحيح البخاري انه كان نجاراً يأكل من عمل يده في النجارة ، وقوله (إذ نادى ربه نداءً خفيا) قال بعض المفسرين انما أخفى دعاءه لئلا ينسب في طلب الولد إلى الرعونة لكبره ، حكاه الماوردي ، وقال الآخرون انما أخفاه

﴿ سورة مريم مكية وهي ثمان وتسعون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ كهيعص ﴾ قرأ أبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء وضده ابن عامر وحمزة وبكسرهما الكسائي وأبو بكر والباقون بفتحهما ويظهر الدال عند الذال من (صاد ذكر) ابن كثير ونافع وعاصم ويعقوب والباقون بالادغام قال ابن عباس رضي الله عنهما هو اسم من اسماء الله تعالى وقال قتادة هو اسم من اسماء القرآن وقيل اسم للسورة وقيل هو قسم اقسم الله به وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (كهيعص) قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق وقال الكلبي معناه كاف لخلقه ، هاد لعباده ، يده فوق ايديهم ، عالم ببريته ، صادق في وعده ﴿ ذكر ﴾ رفع بالمضمر أي هذا الذي نتلوه عليك ذكر ﴿ رحمة ربك ﴾ وفيه تقديم وتأخير معناه ذكر ربك ﴿ عبده زكريا ﴾ برحمته ﴿ اذ نادى ﴾ دعا ﴿ ربه ﴾ في محرابه

لانه أحب إلى الله كما قال قتادة في هذه الآية (إذ نادى ربه نداء خفيا) ان الله يعلم القلب التقي، ويسمع الصوت الخفي. وقال بعض السلف قام من الليل عليه السلام وقد نام اصحابه فجعل يهتف بربه يقول خفية يارب يارب يارب فقال الله له لبيك لبيك لبيك (قال رب اني وهن العظم مني) أي ضعفت وخارت القوى (واشتعل الرأس شيبا) أي اضطرم المشيب في السواد كما قال ابن دريد في مقصورته

أما ترى رأسي حاكى لونه   طرة صبح تحت أذيال الدجا

واشتعل المبيض في مسوده   مثل اشتعال النار في جمر الغضا

والمراد من هذا الاخبار عن الضعف والكبر ودلائله الظاهرة والباطنة. وقوله (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أي ولم أعهد منك الا الاجابة في الدعاء ولم تردني قط فيما سألتك، وقوله (واني خفت الموالي من ورائي) قرأ الاكثرون بنصب الياء من الموالي على أنه مفعول. وعن الكسائي انه سكن الياء كما قال الشاعر   كأن أيديهن في القاع القرق   أيدي جوار يتعاطين الورق

وقال الآخر   فتى لو يباري الشمس ألقت قناعها   أو القمر الساري لألقى المقالدا

ومنه قول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي

تغاير الشعر فيه إذ سهرت له   حتى ظننت قوافيه ستقتتل

وقال مجاهد وقتادة والسدي أراد بالموالي العصبة، وقال أبو صالح الكلالة، وروي عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان يقرؤها (واني خفت الموالي من ورائي) بتشديد الفاء بمعنى قلت عصباتي من بعدي وعلى القراءة الاولى وجه خوفه أنه خشي أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفا سيئا فسأل الله ولداً يكون نبيا من بعده ليسوسهم بنبوته ما يوحى اليه فاجيب في ذلك لا أنه خشي من وراثتهم له ماله فان النبي أعظم منزلة وأجل قدراً من أن يشفق على ماله إلى ماهذا حده وأن يأنف من وراثة عصباته له ويسأل أن يكون له ولد ليحوز ميراثه دونهم هذا وجه (الثاني) أنه لم يذكر أنه كان ذا مال بل كان نجاراً يأكل من كسب يديه ومثل هذا لا يجمع مالا ولاسيما الانبياء فانهم كانوا

﴿نداء خفيا﴾ دعاء سراً من قومه في جوف الليل ﴿قال رب إني وهن﴾ ضعف ورق ﴿العظم مني﴾ من الكبر قال قتادة اشتكى سقوط الاضراس ﴿واشتعل الرأس﴾ أي ابيض شعر الرأس ﴿شيبا﴾ شمطا ﴿ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾ يقول عودتني الاجابة فيما مضى ولم تخيبني وقيل معناه لما دعوتني الى الايمان آمنت ولم أشق بترك الايمان ﴿وإني خفت الموالي﴾ والموالي بنو العم وقال مجاهد العصبة وقال أبو صالح الكلالة وقال الكلبي الورثة ﴿من ورائي﴾ من بعد موتي قرأ ابن كثير من ورائي بفتح الياء والآخرون باسكانها ﴿وكانت امرأتي عاقرا﴾ لاتلد ﴿فهب لي من لدنك﴾ اعطي من عندك ﴿وليا﴾ ابنا ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي بجزم الثاء فيهما على جواب الدعاء. وقرأ الآخرون بالرفع على الحال والصفة يعني وليا وارثا واختلفوا في هذا الارث قال

أزهد شيء في الدنيا (الثالث) أنه قد ثبت في الصحيحين من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال «لا نورث ما تركنا صدقة» وفي رواية عند الترمذي باسناد صحيح «نحن معشر الانبياء لا نورث» وعلى هذا فتعين حمل قوله (فهب لي من لدنك وليا يرثني) على ميراث النبوة ولهذا قال (ويرث من آل يعقوب) كقوله (وورث سليمان داود) أي في النبوة إذ لو كان في المال لما خصه من بين اخوته بذلك ولما كان في الاخبار بذلك كبير فائدة إذ من المعلوم المستقر في جميع الشرائع والملل أن الولد يرث أباه فلولا أنها وراثة خاصة لما أخبر بها وكل هذا يقرره ويثبته ما صح في الحديث «نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة» قال مجاهد في قوله (يرثني ويرث من آل يعقوب) كان وراثته علما وكان زكريا من ذرية يعقوب «وقال هشيم أخبرنا اسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله (يرثني ويرث من آل يعقوب) قال يكون نبيا كما كانت آباؤه أنبياء» وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن يرث نبوته وعلمه «وقال السدي يرث نبوتي ونبوة آل يعقوب وعن مالك عن زيد بن أسلم (ويرث من آل يعقوب) قال نبوتهم وقال جابر بن نوح ويزيد بن هارون كلاهما عن اسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله (يرثني ويرث من آل يعقوب) قال يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة أن النبي ﷺ قال «يرحم الله زكريا وما كان عليه من وراثة ماله ويرحم الله لوطا ان كان ليأوي إلى ركن شديد»

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا جابر بن نوح عن مبارك هو ابن فضالة عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ «رحم الله أخي زكريا ما كان عليه من وراثة ماله حين قال (هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب) وهذه مرسلات لا تعارض الصحاح والله أعلم، وقوله (واجعله رب رضيا) أي مرضيا عندك وعند خلقك تحبه وتحببه الى خلقك في دينه وخلقه

يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا (٧)

هذا الكلام يتضمن محذوفا وهو أنه أجيب إلى ما سأل في دعائه فقيل له (يازكريا انا نبشرك

الحسن معناه يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة والحبورة وقيل أراد ميراث النبوة والعلم وقيل أراد ارث الحبورة لان زكريا كان رأس الاحبار، وقال الزجاج والاولى أن يحمل على ميراث غير المال لأنه يبعد أن يشفق زكريا وهو نبي من الانبياء أن يرثه بنو عمه ماله والمعنى أنه خاف تضييع بني عمه دين الله وتغيير أحكامه على ماكان شاهد من بني اسرائيل من تبديل الدين وقتل الانبياء فسأل ربه ولداً صالحا يأمنه على امته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع الدين وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ واجعله رب رضيا ﴾ أي براً تقيا مرضيا

قوله عز وجل ﴿ يازكريا إنا نبشرك ﴾ وفيه اختصار معناه فاستجاب الله دعاءه فقال يازكريا إنا

بغلام اسمه يحيى) كما قال تعالى (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء * فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبيا من الصالحين) وقوله (لم نجعل له من قبل سميا)

قال قتادة وابن جريج وابن زيد أي لم يسم أحد قبله بهذا الاسم واختاره ابن جرير رحمه الله وقال مجاهد (لم نجعل له من قبل سميا) أي شبيها أخذه من معنى قوله (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) أي شبيها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي لم تلد العواقر قبله مثله وهذا دليل على أن زكريا عليه السلام كان لا يولد له وكذلك امرأته كانت عاقرا من أول عمرها بخلاف ابراهيم وسارة عليهما السلام فانهما انما تعجبا من البشارة باسحاق لكبرهما لا لعقرهما ولهذا قال (أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون) مع أنه كان قد ولد له قبله اسماعيل بثلاث عشرة سنة وقالت امرأته (ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد)

قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا (٨) قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا (٩)

هذا تعجب من زكريا عليه السلام حين أجيب إلى ما سأل وبشر بالولد ففرح فرحا شديداً وسأل عن كيفية ما يولد له والوجه الذي يأتيه منه الولد مع أن امرأته كانت عاقرا لم تلد من أول عمرها مع كبرها ومع أنه قد كبر وعتا أي عسى عظمه ونحل ولم يبق فيه لقاح ولا جماع والعرب تقول للعود إذا يبس عتا يعتو عتيا وعتوا وعسى يعسو عسوا وعسيا ، وقال مجاهد عتيا يعني نحول العظم ، وقال ابن عباس وغيره عتيا يعني الكبر والظاهر أنه أخص من الكبر

وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس قال لقد علمت السنة كلها غير اني لا أدري أكان رسول الله ﷺ يقرأ في الظهر والعصر أم لا ولا أدري

نبشرك ﴿ بغلام ﴾ بولد ذكر ﴿ اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ﴾ قال قتادة والكلبي لم يسم أحد قبله يحيى وقال سعيد بن جبير وعطاء لم نجعل له شبيها ومثلا كما قال الله تعالى (هل تعلم له سميا) أي مثلا والمعنى انه لم يكن له مثل لانه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وقيل لم يكن له ميل في أمر النساء لانه كان سيداً وحصوراً وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أي لم تلد العواقر مثله ولداً وقيل لم يرد الله به اجتماع الفضائل كلها ليحيى إنما أراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما أفضل منه ﴿ قال رب أنى ﴾ من أين ﴿ يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيا ﴾ أي يبسا وقال قتادة يريد نحول العظم يقال عتا الشيخ يعتو عتيا وعسيا اذا انتهى

كيف كان يقرأ هذا الحرف (وقد بلغت من الكبر عتيا) أو عسيا ، ورواه الامام أحمد عن شريح بن النعمان وأبو داود عن زياد بن أيوب كلاهما عن هشيم به (قال) أي الملك مجيبا لزكريا عما استعجب منه (كذلك قال ربك هو علي هين) أي إيجاد الولد منك ومن زوجتك هذه لامن غيرها (هين) أي يسير سهل على الله ثم ذكر له ما هو أعجب مما سأل عنه فقال (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) كما قال تعالى (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)

قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا (١٠) فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا (١١)

يقول تعالى مخبرا عن زكريا عليه السلام إنه (قال رب اجعل لي آية) أي علامة ودليلا على وجود ما وعدتني لتستقر نفسي ويطمئن قلبي بما وعدتني كما قال ابراهيم عليه السلام (رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) (قال آيتك) أي علامتك (أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) أي أن تحبس لسانك عن الكلام ثلاث ليال وأنت صحيح سوي من غير مرض ولا علة قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة ووهب والسدي وقتادة وغير واحد اعتقل لسانه من غير مرض ولا علة قال ابن زيد بن أسلم كان يقرأ ويسبح ولا يستطيع أن يكلم قومه إلا إشارة

وقال العوفي عن ابن عباس (ثلاث ليال سويا) أي متتابعات والقول الاول عنه وعن الجمهور أصح كما قال تعالى في آل عمران (قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار) وقال مالك عن زيد بن أسلم (ثلاث ليال سويا) من غير خرس وهذا دليل على انه لم يكن يكلم الناس في هذه الليالي الثلاث وأيامها إلا رمزا أي اشارة ولهذا قال في هذه الآية الكريمة (فخرج على قومه من المحراب) أي الذي بشر فيه بالولد (فأوحى

سنه وكبر وشيخ عات وعاس اذا صار الى حالة اليبس والجفاف وقرأ حمزة والكسائي عتيا وبكيا وصليا وجثيا بكسر أوائلهن والباقون برفعها وهما لغتان ﴿ قال كذلك قال ربك هو علي هين ﴾ يسير ﴿ وقد خلقتك ﴾ قرأ حمزة والكسائي خلقناك بالنون والالف على التعظيم ﴿ من قبل ﴾ أي من قبل يحيى ﴿ ولم تك شيئا * قال رب اجعل لي آية ﴾ دلالة على حمل امرأتي ﴿ قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ﴾ أي صحيحا سليما من غير مابأس ولا خرس قال مجاهد أي لايمنعك من الكلام مرض وقيل (ثلاث ليال سويا) أي متتابعا والاول أصح وفي القصة انه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس فاذا أراد ذكر الله تعالى انطلق لسانه

قوله تعالى ﴿ فخرج على قومه من المحراب ﴾ وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون اذ خرج عليهم زكريا متغير اللون فانكروه فقالوا مالك يازكريا ﴿ فأوحى

اليهم) أي إشارة خفية سريعة (أن سبحوا بكرة وعشيا) أي موافقة له فيما أمر به في هذه الايام الثلاثة زيادة على أعماله شكراً لله على ما أولاه . قال مجاهد (فأوحى اليهم) أي أشار وبه قال وهب وقتادة ، وقال مجاهد في رواية عنه (فأوحى اليهم) أي كتب لهم في الارض وكذا قال السدي

يٰيحيى خذ الكتٰب بقوة وآتينٰه الحكم صبيا (١٢) وحنانا من لدنا وزكوٰة وكان تقيا (١٣) وبراً بوٰلديه ولم يكن جباراً عصيا (١٤) وسلٰم عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا (١٥)

وهذا أيضا تضمن محذوفا تقديره انه وجد هذا الغلام المبشر به وهو يحيى عليه السلام وان الله علمه الكتاب وهو التوراة التي كانوا يتدارسونها بينهم ويحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار ، وقد كان سنه إذ ذاك صغيراً فلهذا نوه بذكره وبما أنعم به عليه وعلى والديه فقال (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) أي تعلم الكتاب بقوة أي بجد وحرص واجتهاد (وآتيناه الحكم صبيا) أي الفهم والعلم والجد والعزم والاقبال على الخير والاكباب عليه والاجتهاد فيه وهو صغير حدث قال عبدالله بن المبارك قال معمر قال الصبيان ليحيى بن زكريا اذهب بنا نلعب فقال ما للعب خلقنا قال فلهذا أنزل الله (وآتيناه الحكم صبيا) وقوله (وحنانا من لدنا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وحنانا من لدنا) يقول ورحمة من عندنا وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك وزاد لايقدر عليها غيرنا وزاد قتادة رحم الله بها زكريا وقال مجاهد (وحنانا من لدنا) وتعطفا من ربه عليه وقال عكرمة (وحنانا من لدنا) قال محبة عليه ، وقال ابن زيد أما الحنان فالمحبة ، وقال عطاء بن أبي رباح وحنانا من لدنا قال تعظيما من لدنا

وقال ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار انه سمع عكرمة عن ابن عباس انه قال لا والله ما أدري

اليهم ﴾ قال مجاهد كتب لهم في الارض ﴿ أن سبحوا ﴾ أي صلوا لله ﴿ بكرة ﴾ غدوة ﴿ وعشيا ﴾ معناه انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيأمرهم بالصلاة فلما كان وقت حمل امرأته ومنع الكلام خرج اليهم فأمرهم بالصلاة اشارة

قوله عز وجل ﴿ يا يحيى ﴾ قيل فيه حذف معناه وهبنا له يحيى وقلنا له يايحيى ﴿ خذ الكتاب ﴾ يعني التوراة ﴿ بقوة ﴾ بجد ﴿ وآتيناه الحكم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما النبوة ﴿ صبيا ﴾ وهو ابن ثلاث سنين وقيل أراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتي الحكم صبيا ﴿ وحنانا من لدنا ﴾ رحمة من عندنا قال الحطيئة لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه شعر

ماحنانا وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور سألت سعيد بن جبير عن قوله (وحنانا من لدنا) فقال سألت عنها ابن عباس فلم يجد فيها شيئا والظاهر من السياق ان قوله وحنانا معطوف على قوله (وآتيناه الحكم صبيا) أي وآتيناه الحكم وحنانا وزكاة أي وجعلناه ذا حنان وزكاة فالحنان هو المحبة في شفقة وميل كما تقول العرب حنت الناقة على ولدها وحنت المرأة على زوجها ومنه سميت المرأة حنة من الحنية وحن الرجل إلى وطنه ومنه التعطف والرحمة كما قال الشاعر

تعطف علي هداك المليك فان لكل مقام مقالا

وفي المسند للامام احمد عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « يبقى رجل في النار ينادي الف سنة ياحنان يامنان » وقد يثنى ومنهم من يجعل ماورد من ذلك لغة بذاتها كما قال طرفة

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقوله وزكاة معطوف على وحنانا فالزكاة الطهارة من الدنس والآثام والذنوب « وقال قتادة الزكاة العمل الصالح ، وقال الضحاك وابن جريج العمل الصالح الزكي » وقال العوفي عن ابن عباس (وزكاة) قال بركة (وكان تقيا) طهر فلم يعمل بذنب

وقوله (وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا) لما ذكر تعالى طاعته لربه وانه خلقه ذا رحمة وزكاة وتقى عطف بذكر طاعته لوالديه وبره بهما ومجانبته عقوقهما قولا وفعلا أمرا ونهيا ولهذا قال (ولم يكن جبارا عصيا) ثم قال بعد هذه الاوصاف الجميلة جزاء له على ذلك (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) أي له الامان في هذه الثلاثة الاحوال ، وقال سفيان بن عيينة أوحش مايكون المرء في ثلاثة مواطن يوم يولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم قال فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا فخصه بالسلام عليه فقال (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) رواه ابن جرير عن احمد بن منصور المروزي عن صدقة بن الفضل عنه ، وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله (جبارا عصيا) قال كان ابن المسيب يذكر قال قال رسول الله ﷺ « مامن أحد يلقى الله يوم القيامة الا ذا ذنب إلا يحيى بن

تحنن علي هداك المليك فان لكل مقام مقالا

أي ترحم ﴿ وزكاة ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني بالزكاة الطاعة والاخلاص وقال قتادة رضي الله عنه هي العمل الصالح وهو قول الضحاك ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم الى طاعة ربهم ويعمل عملا صالحا في اخلاص وقال الكلبي يعني صدقة تصدق الله بها على أبويه ﴿ وكان تقيا ﴾ مسلما ومخلصا مطيعا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولا هم بها ﴿ وبرا بوالديه ﴾ أي بارا لطيفا بهما محسنا اليهما ﴿ ولم يكن جبارا عصيا ﴾ الجبار المتكبر وقيل الجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب والعصي العاصي ﴿ وسلام عليه ﴾ أي سلام له ﴿ يوم ولد ويوم يموت

زكريا » قال قتادة ما أذنب ولا هم بامرأة، مرسل وقال محمد بن اسحاق عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب حدثني ابن العاص أنه سمع النبي ﷺ قال « كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب الا ما كان من يحيى بن زكريا » ابن إسحاق مدلس وقد عنعن هذا الحديث فالله أعلم

وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « مامن أحد من ولد آدم الا وقد أخطأ او هم بخطيئة ليس يحيى ابن زكريا وما ينبغي لاحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » وهذا أيضا ضعيف لان علي بن زيد ابن جدعان له منكرات كثيرة والله أعلم

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أن الحسن قال ان يحيى وعيسى عليهما السلام التقيا فقال له عيسى استغفر لي أنت خير مني . فقال له الآخر أنت خير مني فقال له عيسى أنت خير مني سلمت على نفسي وسلم الله عليك فعرف والله فضلهما

واذكر في الكتٰب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا (١٦) فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا (١٧) قالت اني أعوذ بالرحمٰن منك ان كنت تقيا (١٨) قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلٰما زكيا (١٩) قالت انى يكون لي غلٰم ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا (٢٠) قال كذٰلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا (٢١)

لماذ كر تعالى قصة زكريا عليه السلام وانه أوجد منه في حال كبره وعقم زوجته ولدا زكيا طاهرا مباركا عطف بذكر قصة مريم في ايجاده ولدها عيسى عليه السلام منها من غير أب فان بين القصتين مناسبة ومشابهة ولهذا ذكرها في آل عمران وههنا وفي سورة الانبياء يقرن بين القصتين لتقارب مابينهما في المعنى ليدل عباده على قدرته وعظمة سلطانه وانه علي مايشاء قادر فقال ﴿ واذكر في

ويوم يبعث حيا ﴾ قال سفيان ابن عيينة أوحش مايكون الانسان في هذه الاحوال يوم يولد فيخرج مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ﴿ ويوم يبعث حيا ﴾ فيرى نفسه في محشر لم ير مثله فخص يحيى بالسلامة في هذه المواطن

قوله عز وجل ﴿ واذكر في الكتاب ﴾ في القرآن ﴿ مريم اذ انتبذت ﴾ تنحت واعتزلت ﴿ من أهلها ﴾ من قومها ﴿ مكانا شرقيا ﴾ أي مكانا في الدار مما يلي المشرق وكان يوما شاتيا شديد البرد فجلست في مشرقة تفلي رأسها وقيل كانت طهرت من الحيض فذهبت لتغتسل قال الحسن ومن ثم

الكتاب مريم) وهي مريم بنت عمران من سلالة داود عليه السلام وكانت من بيت طاهر طيب في بني إسرائيل ، وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة أمها لها في سورة آل عمران وانها نذرتها محررة أي تخدم مسجد بيت المقدس وكانوا يتقربون بذلك (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا) ونشأت في بني اسرائيل نشأة عظيمة فكانت إحدى العابدات الناسكات المشهورات بالعبادة العظيمة والتبتل والدءوب وكانت في كفالة زوج أختها زكريا نبي بني اسرائيل اذ ذاك وعظيمهم الذي يرجعون اليه في دينهم ورأى لها زكريا من الكرامات الهائلة ما بهره (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فذكر أنه كان يجد عندها ثمر الشتاء في الصيف وثمر الصيف في الشتاء كما تقدم بيانه في سورة آل عمران فلما أراد الله تعالى وله الحكمة والحجة البالغة أن يوجد منها عبده ورسوله عيسى عليه السلام أحد الرسل أولي العزم الخمسة العظام (انتبذت من أهلها مكانا شرقيا) أي اعتزلتهم وتنحت عنهم وذهبت إلى شرقي المسجد المقدس قال السدي لحيض أصابها ، وقيل لغير ذلك قال ابو كدينة عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال ان أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلى البيت والحج اليه وما صرفهم عنه الا قيل ربك (فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا) قال خرجت مريم مكانا شرقيا فصلوا قبل مطلع الشمس رواه ابن أبي حاتم وابن جرير

وقال ابن جرير أيضا حدثنا إسحاق بن شاهين حدثنا خالد بن عبدالله عن داود عن عامر عن ابن عباس قال: اني لأعلم خلق الله لاي شيء اتخذت النصارى المشرق قبلة لقول الله تعالى (فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا) واتخذوا ميلاد عيسى قبلة ، وقال قتادة (مكانا شرقيا) شاسعا متنحيا، وقال محمد بن إسحاق ذهبت بقلتها لتستقي الماء ، وقال نوف البكالي اتخذت لها منزلا تتعبد فيه فالله أعلم وقوله (فاتخذت من دونهم حجابا) أي استترت منهم وتوارت فأرسل الله تعالى اليها جبريل عليه السلام (فتمثل لها بشراً سويا) أي على صورة انسان تام كامل . قال مجاهد والضحاك وقتادة وابن جريج ووهب بن منبه والسدي في قوله (فأرسلنا اليها روحنا) يعني جبرائيل عليه السلام وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن فانه تعالى قد قال في الآية الأخرى (نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من

اتخذت النصارى المشرق قبلة ﴿ فاتخذت ﴾ فضربت ﴿ من دونهم حجابا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ستراً وقيل جلست وراء جدار وقال مقاتل وراء جبل وقال عكرمة ان مريم كانت تكون في في المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض قد تجردت اذ عرض لها جبريل في صورة شاب أمرد وضيء الوجه ، جعد الشعر ، سوي الخلق فذلك قوله ﴿ فأرسلنا اليها روحنا ﴾ يعني جبريل عليه السلام ﴿ فتمثل لها بشرا سويا ﴾ وقيل المراد بالروح عيسى عليه السلام جاء في صورة بشر فحملت به والاول أصح فلما رأت مريم جبريل

المنذرين) وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال ان روح عيسى عليه السلام من جملة الارواح التي أخذ عليها العهد في زمان آدم عليه السلام وهو الذي تمثل لها بشراً سويا أي روح عيسى فحملت الذي خاطبها وحل في فيها وهـذا في غاية الغرابة والنكارة وكأنه إسرائيلي (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) أي لما تبدى لها الملك في صورة بشر وهي في مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب خافته وظنت انه يريدها على نفسها فقالت (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) أي إن كنت تخاف الله تذكير له بالله وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالاسهل فالاسهل فخوفته أولا بالله عز وجل، قال ابن جرير حدثني أبو كريب حدثنا أبو بكر عن عاصم قال قال أبو وائل وذكر قصة مريم فقال قد علمت ان التقي ذو نهية حين قالت (اني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ■ قال انما أنا رسول ربك) أي فقال لها الملك مجيبا لها ومزيلا لما حصل عندها من الخوف على نفسها لست مما تظنين ولكني رسول ربك أي بعثني الله إليك، ويقال انها لما ذكرت الرحمن انتفض جبريل فرقا وعاد الى هيئته وقال (انما أنا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا) هكذا قرأ أبو عمرو بن العلاء أحد مشهوري القراء، وقرأ الآخرون (لأهب لك غلاما زكيا) وكلا القراءتين له وجه حسن ومعنى صحيح وكل تستلزم الأخرى (قالت أنى يكون لي غلام) أي فتعجبت مريم من هذا وقالت كيف يكون لي غلام أي على أي صفة يوجد هذا الغلام مني ولست بذات زوج ولا يتصور مني الفجور ولهذا قالت (ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا) والبغي هي الزانية ولهذا جاء في الحديث النهي عن مهر البغي (قال كذلك قال ربك هو علي هين) أي فقال لها الملك مجيبا لها عما سألت ان الله قد قال انه سيوجد منك غلاما وإن لم يكن لك بعل ولا يوجد منك فاحشة فانه على ما يشاء قادر ولهـذا قال (ولنجعله آية للناس) أي دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم الذي نوع في خلقهم فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى إلا عيسى فانه أوجـده من أنثى بلا ذكر فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال

يقصد نحوها نادته من بعيد و ﴿ قالت إني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ﴾ مؤمنا مطيعا فان قيل انما يستعاذ الفاجر فكيف قالت إني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قيل هذا كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمني أي ينبغي أن يكون ايمانك مانعا لك من الظلم وكذلك ههنا معناه ينبغي ان تكون تقواك مانعة لك من الفجور ﴿ قال ﴾ لها جبريل ﴿ إنما أنا رسول ربك لأهب لك ﴾ قرأ نافع وأهل البصرة ليهب لك أي ليهب لك ربك وقرأ الآخرون لأهب لك أسند الفعل الى الرسول وان كانت الهبة من الله تعالى لانه أرسل به ﴿ غلاما زكيا ﴾ ولدا صالحا طاهرا من الذنوب ﴿ قالت ﴾ مريم ﴿ أنى ﴾ من أين ﴿ يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ﴾ لم يقربني زوج ﴿ ولم أك بغيا ﴾ فاجرة تريد أن الولد انما يكون من نكاح أو سفاح ولم يكن هنا واحد منهما ﴿ قال ﴾ جبريل ﴿ كذلك ﴾ قيل

قدرته وعظيم سلطانه فلا إله غيره ولا رب سواه وقوله (ورحمة منا) أي ونجعل هذا الغلام رحمة من الله نبياً من الانبياء يدعو الى عبادة الله تعالى وتوحيده كما قال تعالى في الآية الاخرى (إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين) أي يدعو الى عبادة ربه في مهده وكهولته قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدالرحيم بن ابراهيم حدثنا مروان حدثنا العلاء بن الحارث الكوفي عن مجاهد قال قالت مريم عليها السلام كنت اذا خلوت حدثني عيسى وكلمني وهو في بطني وإذا كنت مع الناس سبح في بطني وكبر ، وقوله (وكان أمراً مقضيا) يحتمل ان هذا من كلام جبريل لمريم يخبرها أن هذا أمر مقدر في علم الله تعالى وقدره ومشيئته، ويحتمل أن يكون من خبر الله تعالى لرسوله محمد ﷺ وانه كنى بهذا عن النفخ في فرجها كما قال تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) وقال(والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا) قال محمد بن إسحاق (وكان أمراً مقضيا) أي ان الله قد عزم على هذا فليس منه بد ، واختار هذا أيضاً ابن جرير في تفسيره ولم يحك غيره والله أعلم

فحملته فانتبذت به مكانا قصيًّا (٢٢) فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسيا (٢٣)

يقول تعالى مخبراً عن مريم انها لما قال لها جبريل عن الله تعالى ماقال انها استسلمت لقضاء الله تعالى فذكر غير واحد من علماء السلف ان الملك وهو جبرائيل عليه السلام عند ذلك نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة حتى ولجت في الفرج فحملت بالولد باذن الله تعالى ، فلما حملت به ضاقت ذرعا ولم تدر ماذا تقول للناس فانها تعلم ان الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به غير أنها أفشت سرها وذكرت أمرها لاختها امرأة زكريا ، وذلك ان زكريا عليه السلام كان قد سأل الله الولد فأجيب الى ذلك .

معناه كما قلت يامريم ولكن ﴿ قال ربك ﴾ وقيل هكذا قال ربك ﴿ هو علي هين ﴾ أي خلق ولد بلا أب ﴿ ولنجعله آية ﴾ علامة ﴿ للناس ﴾ دلالة على قدرتنا ﴿ ورحمة منا ﴾ ونعمة لمن تبعه على دينه ﴿ وكان ﴾ ذلك ﴿ أمراً مقضيا ﴾ محكوما مفروغا عنه لا يرد ولا يبدل

قوله عز وجل ﴿ فحملته ﴾ قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ في جيبها فحملت حين لبست وقيل مد جيب درعها باصبعه ثم نفخ في الجيب وقيل نفخ في كم قميصها وقيل في فيها وقيل نفخ جبريل عليه السلام نفخا من بعيد فوصل الريح اليها فحملت بعيسى في الحال ﴿ فانتبذت به ﴾ أي فلما حملته انتبذت به أي تنحت بالحمل وانفردت ﴿ مكانا قصيا ﴾ أي بعيدا من أهلها قال ابن عباس رضي الله عنهما أقصى الوادي وهو وادي بيت لحم فرارا من قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج واختلفوا في

فحملت امرأته فدخلت عليها مريم فقامت اليها فاعتنقتها وقالت أشعرت يامريم اني حبلى ؟ فقالت لها مريم وهل علمت أيضاً أني حبلى وذكرت لها شأنها وما كان من خبرها وكانوا بيت ايمان وتصديق ثم كانت امرأة زكريا بعد ذلك اذا واجهت مريم تجد الذي في بطنها يسجد للذي في بطن مريم أي يعظمه ويخضع له فان السجود كان في ملتهم عند السلام مشروعا كما سجد ليوسف أبواه واخوته وكما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام ولكن حرم في ملتنا هذه تكميلا لتعظيم جلال الرب تعالى ▪ قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين قال قرىء على الحارث بن مسكين وأنا أسمع أخبرنا عبد الرحمن ابن القاسم قال قال مالك رحمه الله بلغني ان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام ابنا خالة وكان حملهما جميعاً معاً فبلغني ان أم يحيى قالت لمريم اني أرى ان مافي بطني يسجد لما في بطنك : قال مالك أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام لان الله جعله يحيي الموتى ويبرىء الاكمه والابرص ثم اختلف المفسرون في مدة حمل عيسى عليه السلام فالمشهور عن الجمهور انها حملت به تسعة أشهر وقال عكرمة ثمانية أشهر قال ولهذا لايعيش ولد لثمانية أشهر ، وقال ابن جريج أخبرني المغيرة بن عتبة بن عبد الله الثقفي سمع ابن عباس وسئل عن حمل مريم قال لم يكن إلا أن حملت فوضعت وهذا غريب وكأنه مأخوذ من ظاهر قوله تعالى (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا، فأجاءها المخاض الى جذع النخلة) فالفاء وإن كانت للتعقيب لكن تعقيب كل شيء بحسبه كقوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما) فهذه الفاء للتعقيب بحسبها ، وقد ثبت في الصحيحين ان بين كل صفتين أربعين يوما ▪ وقال تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة) فالمشهور الظاهر والله على كل شيء قدير انها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن ولهذا لما ظهرت مخايل الحمل بها وكان معها في المسجد رجل صالح من قراباتها يخدم معها البيت المقدس يقال له يوسف النجار فلما رأى ثقل بطنها وكبره أنكر ذلك من أمرها ثم صرفه مايعلم من براءتها ونزاهتها ودينها وعبادتها ثم تأمل ماهي فيه فجعل أمرها يجوس في فكره لايستطيع صرفه عن نفسه ▪ فحمل نفسه على أن عرض لها في القول فقال يامريم اني سائلك عن أمر فلا تعجلي علي . قالت وما هو ؟ قال هل يكون قط شجر من غير حب وهل يكون زرع من غير بذر وهل يكون ولد من غير أب . فقالت نعم وفهمت ماأشار اليه . أما قولك هل يكون شجر

مدة حملها ووقت وضعها فقال ابن عباس رضي الله عنهما كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل كان مدة حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء وقيل كان مدة حملها ثمانية أشهر وكان ذلك آية اخرى لانه لايعيش ولد يولد لثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولدت لستة أشهر وقال مقاتل ابن سليمان حملته مريم في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشر سنين وكانت قد حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى (فاجاءها) أي ألجأها وجاء

من غير حب وزرع من غير بذر فان الله قد خلق الشجر والزرع أول ماخلقهما من غير حب ولا بذر وهل يكون ولد من غير أب فان الله تعالى قد خلق آدم من غير أب ولا أم فصدقها وسلم لها حالها، ولما استشعرت مريم من قومها اتهامها بالريبة انتبذت منهم مكانا قصيا أي قاصيا منهم بعيداً عنهم لئلا تراهم ولا يروها ، قال محمد بن اسحق : فلما حملت به وملأت قلتها ورجعت استمسك عنها الدم وأصابها مايصيب الحامل على الولد من الوصب والتوحم وتغير اللون حتى فطر لسانها فما دخل على أهل بيت مادخل على آل زكريا وشاع الحديث في بني اسرائيل فقالوا انما صاحبها يوسف ولم يكن معها في الكنيسة غيره ، وتوارت من الناس واتخذت من دونهم حجابا فلا يراها أحد ولا تراه ، وقوله (فأجاءها المخاض الى جذع النخلة) أي فاضطرها وألجأها الطلق الى جذع نخلة في المكان الذي تنحت اليه وقد اختلفوا فيه فقال السدي كان شرقي محرابها الذي تصلي فيه من بيت المقدس ، وقال وهب ابن منبه ذهبت هاربة فلما كانت بين الشام وبلاد مصر ضربها الطلق، وفي رواية عن وهب كان ذلك على ثمانية أميال من بيت المقدس في قرية هناك يقال لها بيت لحم، قلت وقد تقدم في أحاديث الاسراء من رواية النسائي عن أنس رضي الله عنه والبيهقي عن شداد بن أوس رضي الله عنه ان ذلك ببيت لحم فالله أعلم ، وهذا هو المشهور الذي تلقاه الناس بعضهم عن بعض ولا يشك فيه النصارى انه بيت لحم وقد تلقاه الناس وقد ورد به الحديث إن صح ، وقوله تعالى إخباراً عنها (قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا) فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتنة فانها عرفت انها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذي لايحمل الناس أمرها فيه على السداد ولا يصدقونها في خبرها وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية فقالت (ياليتني مت قبل هذا) أي قبل هذا الحال (وكنت نسياً منسيا) أي لم أخلق ولم أك شيئا قاله ابن عباس ، وقال السدي قالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس ياليتني مت قبل هذا الكرب الذي أنا فيه والحزن بولادتي المولود من غير بعل (وكنت نسياً منسيا) نسي فترك طلبه كخرق الحيض اذا ألقيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر وكذلك كل شيء نسي وترك فهو نسي، وقال قتادة (وكنت نسياً منسيا) أي شيئا لا يعرف ولا يذكر ولا يدرى من أنا ، وقال الربيع بن أنس (وكنت نسياً منسيا) هو السقط ، وقال ابن زيد لم أكن شيئا قط ، وقد قدمنا الاحاديث الدالة على النهي عن تمني الموت إلا عند الفتنة عند قوله (توفني مسلما وألحقني بالصالحين)

بها ﴿ المخاض ﴾ وهو وجع الولادة ﴿ إلى جذع النخلة ﴾ وكانت نخلة يابسة في الصحراء في شدة الشتاء لم يكن لها سعف وقيل التجأت اليها لتستند اليها وتتمسك بها على وجع الولادة ﴿ قالت ياليتني مت قبل هذا ﴾ تمنت الموت استحياء من الناس وخوف الفضيحة ﴿ وكنت نسياً ﴾ قرأ حمزة وحفص بفتح النون والباقون بكسرها وهما لغتان مثل الوتر والوتر والجسر والجسر وهو

فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا (٢٤) وهزي اليك بجذع النخلة تسقط عليك رطبا جنيا (٢٥) فكلي واشربي و قري عينا، فاما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا (٢٦)

قرأ بعضهم من تحتها بمعنى الذي تحتها، وقرأ الآخرون من تحتها على انه حرف جر، واختلف المفسرون في المراد بذلك من هو؟ فقال العوفي وغيره عن ابن عباس (فناداها من تحتها) جبريل ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها، وكذا قال سعيد بن جبير والضحاك وعمرو بن ميمون والسدي وقتادة انه الملك جبرائيل عليه الصلاة والسلام أي ناداها من أسفل الوادي، وقال مجاهد (فناداها من تحتها) قال عيسى بن مريم وكذا قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال قال الحسن هو ابنها وهو إحدى الروايتين عن سعيد بن جبير أنه ابنها قال أولم تسمع الله يقول (فأشارت اليه) واختاره ابن زيد وابن جرير في تفسيره، وقوله (أن لا تحزني) أي ناداها قائلا لا تحزني (قد جعل ربك تحتك سريا) قال سفيان الثوري وشعبة عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب قد جعل ربك تحتك سريا) قال الجدول وكذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس السري النهر وبه قال عمرو بن ميمون نهر تشرب منه، وقال مجاهد هو النهر بالسريانية، وقال سعيد بن جبير: السري النهر الصغير بالنبطية. وقال الضحاك هو النهر الصغير بالسريانية. وقال ابراهيم النخعي هو النهر الصغير. وقال قتادة هو الجدول بلغة أهل الحجاز. وقال وهب بن منبه: السري هو ربيع الماء. وقال السدي هو النهر واختار هذا القول ابن جرير وقد ورد في ذلك حديث مرفوع فقال الطبراني حدثنا أبو شعيب الحراني حدثنا يحيى بن عبد الله البابلي

الشيء المنسي والنسي في اللغة كل ما القي ونسي ولم يذكر لحقارته (منسيا) أي متروكا قال قتادة شيء لا يعرف ولا يذكر قال عكرمة والضحاك ومجاهد جيفة ملقاة وقيل تعني لم أخلق (فناداها من تحتها) قرأ أبو جعفر ونافع وحمزة والكسائي وحفص (من تحتها) بكسر الميم والتاء يعني جبريل عليه السلام وكانت مريم على أكمة وجبريل وراء الاكمة تحتها (فناداها) وقرأ الآخرون بفتح الميم والتاء وأراد جبريل عليه السلام أيضا ناداها من سفح الجبل، وقيل هو عيسى لما خرج من بطن أمه ناداها (أن لا تحزني) وهو قول مجاهد والحسن والاول قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والسدي وقتادة والضحاك وجماعة أن المنادي كان جبريل لما سمع كلامها وعرف جزعها ناداها الا تحزني (قد جعل ربك تحتك سريا) والسري النهر الصغير وقيل (تحتك) أي جعله الله تحت أمرك ان أمرتيه أن يجري جرى وان أمرتيه بالامساك أمسك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ضرب جبريل عليه السلام ويقال ضرب عيسى عليه الصلاة والسلام برجله الارض فظهرت عين ماء عذب

حدثنا أيوب بن نهيك سمعت عكرمة مولى ابن عباس سمعت ابن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان السري الذي قال الله لمريم (قد جعل ربك تحتك سريا) نهر أخرجه الله لتشرب منه» وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه، وأيوب بن نهيك هذا هو الحبلي قال فيه أبوحاتم الرازي ضعيف، وقال أبوزرعة منكر الحديث وقال أبو الفتح الازدي متروك الحديث، وقال آخرون المراد بالسري عيسى عليه السلام وبه قال الحسن والربيع بن أنس ومحمد بن عباد بن جعفر وهو إحدى الروايتين عن قتادة وقول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم والقول الاول أظهر ولهذا قال بعده (وهزي اليك بجذع النخلة) أي وخذي اليك بجذع النخلة، قيل كانت يابسة قاله ابن عباس وقيل مثمرة قال مجاهد كانت عجوة، وقال الثوري عن أبي داود نفيع الاعمى كانت صرفانة والظاهر انها كانت شجرة ولكن لم تكن في إبان ثمرها قاله وهب بن منبه ولهذا امتن عليها بذلك بأن جعل عندها طعاما وشرابا فقال (تساقط عليك رطبا جنيا، فكلي واشربي وقري عينا) أي طيبي نفسا ولهذا قال عمرو بن ميمون «ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب ثم تلا هذه الآية الكريمة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا شيبان حدثنا مسرور بن سعيد التميمي حدثنا عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي عن عروة بن رويم عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله ﷺ «أكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام وليس من الشجر شيء يلقح غيرها» وقال رسول الله ﷺ «أطعموا نساءكم الولد الرطب فان لم يكن رطب فتمر وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران» هذا حديث منكر جداً ورواه أبو يعلى عن شيبان به، وقرأ بعضهم (تساقط) بتشديد السين وآخرون بتخفيفها، وقرأ أبو نهيك (تسقط عليك رطبا جنيا) وروى أبو إسحاق عن البراء انه قرأها (يساقط) أي الجذع والكل متقارب

وجرى وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله سبحانه وتعالى فيه الماء وحييت النخلة اليابسة فأورقت وأثمرت وأرطبت وقال الحسن (تحتك سريا) يعني عيسى وكان والله عبداً سريا يعني رفيعا (وهزي اليك) يعني قيل لمريم حركي (بجذع النخلة) تقول العرب هزه وهز به كما تقول حز رأسه وحز برأسه وامدد الحبل وامدد به (تساقط عليك) القراءة المعروفة بفتح التاء والقاف وتشديد السين يعني تتساقط فادغمت احدى التاءين في السين يعني تسقط عليك النخلة رطبا وخفف حمزة السين وحذف التاء التي أدغمها غيره وقرأ حفص بضم التاء وكسر القاف خفيف على وزن تفاعل وتساقط بمعنى أسقط والتأنيث لاجل النخلة وقرأ يعقوب يساقط بالياء مشددة رده الى الجذع (رطبا جنيا) مجنيا وقيل الجني هو الذي بلغ الغاية وجاء أوان اجتنائه قال الربيع بن خثيم ماللنفساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل

قوله سبحانه وتعالى (فكلي واشربي) يعني فكلي يامريم من الرطب واشربي من ماء النهر

وقوله (فاما ترين من البشر أحداً) أى مهما رأيت من أحد (فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا) المراد بهذا القول الاشارة اليه بذلك لان المراد به القول اللفظي لئلا ينافي (فلن أكلم اليوم إنسيا) قال أنس بن مالك في قوله (اني نذرت للرحمن صوما) قال صمتا وكذا قال ابن عباس والضحاك وفي رواية عن أنس صوما وصمتا وكذا قال قتادة وغيرهما ، والمراد أنهم كانوا إذا صاموا في شريعتهم يحرم عليهم الطعام والكلام ،نص على ذلك السدي وقتادة وعبد الرحمن بن زيد . قال ابن إسحاق عن حارثة قال : كنت عند ابن مسعود فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر فقال ماشأنك ؟ قال أصحابه حلف أن لا يكلم الناس اليوم فقال عبدالله بن مسعود كلم الناس وسلم عليهم فان تلك امرأة علمت ان احداً لا يصدقها انها حملت من غير زوج ، يعني بذلك مريم عليها السلام ليكون عذراً لها إذا سئلت ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير رحمهما الله

وقال عبد الرحمن بن زيد لما قال عيسى لمريم (لاتحزني) قالت وكيف لا أحزن وأنت معي ؟ لاذات زوج ولا مملوكة أى شيء عذري عند الناس؟ ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا قال لها عيسى انا اكفيك الكلام (فاما ترين من البشر احداً فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا)قال هذا كله من كلام عيسى لامه وكذا قال وهب

فأتت به قومها تحمله ،قالوا يٰمريم لقد جئت شيئاً فريا (٢٧) ياأخت هٰرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا (٢٨) فأشارت اليه،قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا؟ (٢٩) قال اني عبد الله آتني الكتٰب وجعلني نبيا (٣٠) وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصٰني بالصلوة

﴿ وقري عينا ﴾ يعني طيبي نفسا وقيل قري عينك بولدك عيسى يقال أقر الله عينك يعني صادف فؤادك مايرضيك فتقر عينك من النظر اليه وقيل أقر الله عينه يعني أنامها يقال قر يقر اذا سكن وقيل ان العين اذا بكت من السرور فالدمع بارد . واذا بكت من الحزن فالدمع يكون حاراً فمن هذا قيل أقر الله عينه واسخن الله عينه ﴿ فاما ترين من البشر أحدا ﴾ يعني ترين فدخل عليه نون التأكيد فكسرت الياء لالتقاء الساكنين معناه فاما ترين من البشر أحدا فيسألك عن ولدك ﴿ فقولي إني نذرت للرحمن صوما ﴾ يعني صمتا وكذلك كان يقرأ ابن مسعود رضي الله عنه والصوم في اللغة الامساك عن الطعام والشراب والكلام قال السدي كان في بني اسرائيل من اذا أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي، وقيل ان الله تعالى أمرها أن تقول هذا اشارة وقيل امرها أن تقول هذا القدر نطقا ثم تمسك عن الكلام بعده ﴿ فلن اكلم اليوم انسيا ﴾ يقال كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الانس ﴿ فأتت به قومها تحمله ﴾ وقيل إنها ولدته ثم حملته في الحال الى قومها

والزكوة مادمت حيا (٣١) وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا (٣٢) والسلم علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا (٣٣)

يقول تعالى مخبراً عن مريم حين امرت ان تصوم يومها ذلك وان لاتكلم احداً من البشر فانها ستكفى امرها ويقام بحجتها فسلمت لأمر الله عز وجل واستسلمت لقضائه فأخذت ولدها فأتت به قومها تحمله فلما رأوها كذلك اعظموا امرها واستنكروه جداً وقالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا اي امرا عظيما قاله مجاهد وقتادة والسدي وغير واحد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا شيبان حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا أبو عمران الجوني عن نوف البكالي قال وخرج قومها في طلبها قال وكانت من أهل بيت نبوة وشرف فلم يحسوا منها شيئا فلقوا راعي بقر فقالوا رأيت فتاة كذا وكذا نعتها قال لا ولكني رأيت الليلة من بقري ما لم أره منها قط قالوا وما رأيت قال رأيتها الليلة تسجد نحو هذا الوادي . قال عبد الله بن أبي زياد واحفظ عن شيبان أنه قال رأيت نوراً ساطعا فتوجهوا حيث قال لهم فاستقبلتهم مريم فلما رأتهم قعدت وحملت ابنها في حجرها فجاءوا حتى قاموا عليها (وقالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا) أمراً عظيما (ياأخت هارون) أي شبيهة هارون في العبادة (ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) أي أنت من بيت طيب طاهر معروف بالصلاح والعبادة والزهادة فكيف صدر هذا منك قال علي بن أبي طلحة والسدي قيل لها (يا أخت هارون) أي أخي موسى وكانت من نسله كما يقال للتميمي يا أخا تميم وللمضري يا أخا مضر وقيل نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه هارون فكانت تقاس به في الزهاد والعبادة وحكى ابن جرير عن بعضهم أنهم شبهوها برجل فاجر كان فيهم يقال له هارون ، ورواه ابن أبي حاتم

وقال الكلبي حمل يوسف النجار مريم عليها السلام وابنها عيسى صلوات الله على نبينا وعليه الى غار ومكث اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته مريم عليها السلام الى قومها فكلمها عيسى عليه السلام في الطريق فقال يا أماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على اهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين ﴿ قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا ﴾ عظيما منكرا قال أبو عبيدة كل أمر فائق من عجب أو عمل فهو فري قال النبي ﷺ في عمر « فلم أر عبقريا يفري فريه » يعني يعمل عمله ﴿ يا أخت هارون ﴾ يريد ياشبيهة هارون قال قتادة وغيره كان هارون رجلا صالحا عابدا في بني اسرائيل وروي أنه اتبع جنازته يوم مات اربعون الفا كلهم يسمى هارون من بني اسرائيل سوى سائر الناس شبهوها به على معنى أنا ظننا أنك مثله في الصلاح وليس المراد منه الاخوة في النسب كما قال الله تعالى [إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين] أي اشباههم اخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد

عن سعيد بن جبير واغرب من هذا كله مارواه ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين الهجستاني حدثنا ابن أبي مريم حدثنا المفضل يعني ابن أبي فضالة حدثنا أبو صخر عن القرظي في قول الله عز وجل (يا أخت هارون) قال هي أخت هارون لابيه وأمه وهي أخت موسى أخي هارون التي قصت أثر موسى فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ، وهذا القول خطأ محض فان الله تعالى قد ذكر في كتابه أنه قفى بعيسى بعد الرسل فدل على أنه آخر الانبياء بعثا وليس بعده الا محمد صلوات الله وسلامه عليهما ولهذا ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « أنا أولى الناس بابن مريم لانه ليس بيني وبينه نبي » ولو كان الامر كما زعم محمد بن كعب القرظي لم يكن متأخرا عن الرسل سوى محمد ولكان قبل سليمان بن داود فان الله قد ذكر أن داود بعد موسى عليهما السلام في قوله تعالى (ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله) وذكر القصة إلى أن قال (وقتل داود جالوت) الآية والذي جرأ القرظي على هذه المقالة ما في التوراة بعد خروج موسى وبني اسرائيل من البحر واغراق فرعون وقومه قال وقامت مريم بنت عمران أخت موسى وهارون النبيين تضرب بالدف هي والنساء معها يسبحن الله ويشكرنه على ما أنعم به على بني اسرائيل فاعتقد القرظي أن هذه هي أم عيسى وهذه هفوة وغلطة شديدة بل هي باسم هذه وقد كانوا يسمون باسماء أنبيائهم وصالحيهم كما قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن ادريس سمعت أبي يذكره عن سماك عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله ﷺ الى نجران فقالوا أرأيت ما تقرءون (يا أخت هارون) وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ قال فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال « ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم » انفرد باخراجه مسلم والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن ادريس عن أبيه عن سماك به ، وقال الترمذي حسن صحيح غريب لانعرفه الا من حديث ابن إدريس

وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن سعيد بن أبي صدقة عن محمد بن سيرين قال أنبئت أن كعبا قال ان قوله (ياأخت هارون) ليس بهارون أخي موسى قال فقالت له عائشة كذبت

ابن عبد الله بن نمير ثنا ابن ادريس عن أبيه عن سماك بن حرب عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت نجران سألوني فقالوا إنكم تقرءون يا أخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا كذا سنة فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال « إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم » وقال الكلبي كان هارون أخا مريم من أبيها وكان امثل رجل في بني اسرائيل وقال السدي انما عنوا به هارون أخا موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتميمي يا أخا تميم وقيل كان هارون رجلا فاسقا في بني اسرائيل عظيم الفسق فشبهوها به ﴿ ما كان أبوك ﴾ عمران ﴿ امرأ سوء ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما زانيا ﴿ وما كانت امك ﴾ حنة ﴿ بغيا ﴾ أي زانية فمن اين

قال يا أم المؤمنين ان كان النبي ﷺ قاله فهو أعلم وأخبر والا فاني أجد بينهما ستمائة سنة قال فسكتت وفي هذا التاريخ نظر .

وقال ابن جرير أيضاحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله (يا أخت هارون) الآية قال كانت من أهل بيت يعرفون بالصلاح ولا يعرفون بالفساد ومن الناس من يعرفون بالصلاح ويتوالدون به وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به وكان هارون مصلحا محببا في عشيرته وليس بهارون أخي موسى ولكنه هارون آخر قال وذكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفا كلهم يسمى هارون من بني اسرائيل ، وقوله (فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) أي أنهم لما استرابوا في أمرها واستنكروا قضيتها وقالوا لها ما قالوا معرضين بقذفها ورميها بالفرية وقد كانت يومها ذلك صائمة صامتة فأحالت الكلام عليه وأشارت لهم الى خطابه وكلامه فقالوا متهكمين بها ظانين أنها تزدري بهم وتلعب بهم (كيف نكلم من كان في المهد صبيا) قال ميمون بن مهران فأشارت اليه قالت كلموه فقالوا على ماجاءت به من الداهية تأمرنا أن نكلم من كان في المهد صبيا ، وقال السدي لما أشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا حين تأمرنا أن نكلم هذا الصبي أشد علينا من زناها (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) أي من هو موجود في مهده في حال صباه وصغره كيف يتكلم قال اني عبدالله اول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأه عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه وقوله (آتاني الكتاب وجعلني نبيا) تبرئة لامه مما نسبت اليه من الفاحشة قال نوف البكالي لما قالوا لامه ما قالوا كان يرتضع ثديه فنزع الثدي من فمه واتكأ على جنبه الايسر وقال (إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا — إلى قوله — مادمت حيا) وقال حماد بن سلمة عن ثابت البناني رفع أصبعه السبابة فوق منكبه وهو يقول (اني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) الآية ، وقال عكرمة (آتاني الكتاب) أي قضى أنه يؤتيني الكتاب فيما قضى

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن المصفى حدثنا يحيى بن سعيد هو العطار عن عبدالعزيز

لك هذا الولد ﴿ فأشارت ﴾ مريم ﴿ اليه ﴾ أي الى عيسى عليه السلام أن كلموه قال ابن عباس رضي الله عنهما لما لم تكن لها حجة أشارت اليه ليكون كلامه حجة لها ، وفي القصة لما أشارت اليه غضب القوم وقالوا مع مافعلت أتسخرين بنا ثم ﴿ قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ﴾ أي من هو في المهد وهو حجرها وقيل هو المهد بعينه وكان بمعنى هو ، وقال أبو عبيدة كان صلة أى كيف نكلم صبيا في المهد ، وقد يجيء كان حشوا في الكلام لامعنى له كقوله [هل كنت إلا بشرا رسولا] أي هل أنا قال السدي فلما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع واقبل عليهم وقيل لما أشارت اليه ترك الثدي واتكأ على يساره واقبل عليهم وجعل يشير بيمينه ﴿ قال إني عبدالله ﴾ وقال وهب أتاها زكريا عند مناظرتها اليهود

ابن زياد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان عيسى بن مريم قد درس التوراة وأحكمها وهو في بطن أمه فذلك قوله (إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) يحيى بن سعيد العطار الحمصي متروك وقوله (وجعلني مباركا أينما كنت) قال مجاهد وعمرو بن قيس والثوري وجعلني معلما للخير وفي رواية عن مجاهد نفاعا ، وقال ابن جرير حدثني سليمان بن عبدالجبار حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس المخزومي سمعت وهيب بن الورد مولى بني مخزوم قال لقي عالم عالما هو فوقه في العلم فقال « يرحمك الله ما الذي أعلن من عملي؟ قال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه دين الله الذي بعث به أنبياءه الى عباده » وقد أجمع الفقهاء على قول الله (وجعلني مباركا أينما كنت) وقيل ما بركته ؟ قال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان وقوله (وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا) كقوله تعالى لمحمد ﷺ (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)

وقال عبدالرحمن بن القاسم عن مالك بن أنس في قوله (وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا) قال أخبره بما هو كائن من أمره الى أن يموت. ما أثبتها لاهل القدر. وقوله (وبرا بوالدتي) أي وأمرني ببر والدتي ذكره بعد طاعة ربه لان الله تعالى كثيراً ما يقرن بين الامر بعبادته وطاعة الوالدين كما قال تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا) وقال (أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير) وقوله (ولم يجعلني جباراً شقيا) أي ولم يجعلني جباراً مستكبراً عن عبادته وطاعته وبر والدتي فأشقى بذلك . قال سفيان الثوري الجبار الشقي الذي يقتل على الغضب ، وقال بعض السلف لا تجد أحداً عاقا لوالديه إلا وجدته جباراً شقيا ثم قرأ (وبرا بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا) قال ولا تجد سيء الملكة إلا وجدته مختالا فخوراً ثم قرأ (وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا)

وقال قتادة ذكر لنا ان امرأة رأت ابن مريم يحيي الموتى ويبرىء الاكمه والابرص في آيات

فقال لعيسى انطق بحجتك إن كنت أمرت بها . فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوما ، وقال مقاتل بل هو يوم ولد (اني عبد الله) أقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل أول ما تكلم لئلا يتخذ إلها ﴿ آتاني الكتاب وجعلني نبيا ﴾ قيل معناه سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبيا ، وقيل هذا إخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ كما قيل للنبي ﷺ متى كنت نبيا ؟ قال « كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد » وقال الاكثرون أوتي الانجيل وهو صغير طفل وكان يعقل عقل الرجال ، وعن الحسن انه قال ألهم التوراة وهو في بطن أمه ﴿ وجعلني مباركا أينما كنت ﴾ أي نفاعا حيثما توجهت ، وقال مجاهد معلما للخير ، وقال عطاء أدعو الى الله والى توحيده وعبادته « وقيل مباركا على من تبعني ﴿ وأوصاني بالصلاة والزكاة ﴾ أي أمرني بهما فان قيل لم يكن لعيسى مال فكيف يؤمر بالزكاة « قيل معناه بالزكاة لو كان لي مال وقيل أوصاني بالزكاة أي أمرني أن أوصيكم بالزكاة ، وقيل بالاستكثار من الخير ﴿ مادمت حيا « وبرا بوالدتي ﴾ أي وجعلني براً بوالدتي ﴿ ولم يجعلني جباراً شقيا ﴾ أي عاصيا

سلطه الله عليهن وأذن فيهن فقالت طوبى للبطن الذي حملك وطوبى للثدي الذي أرضعت به فقال نبي الله عيسى عليه السلام يجيبها طوبى لمن تلا كتاب الله فاتبع مافيه ولم يكن جباراً شقياوقوله (والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) اثبات منه لعبوديته لله عز وجل وانه مخلوق من خلق الله يحيي ويميت ويبعث كسائر الخلائق ولكن له السلامة في هذه الاحوال التي هي أشق مايكون على العباد صلوات الله وسلامه عليه

ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون (٣٤) ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحـٰنه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون (٣٥) وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صرٰط مستقيم (٣٦) فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم (٣٧)

يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ذلك الذي قصصناه عليك من خبر عيسى عليه السلام (قول الحق الذي فيه يمترون) أي يختلف المبطلون والمحقون ممن آمن به وكفر به ولهذا قرأ الاكثرون قول الحق برفع قول وقرأ عاصم وعبدالله بن عامر قول الحق ، وعن ابن مسعود انه قرأ ذلك عيسى بن مريم قال الحق والرفع أظهر اعرابا ويشهد له قوله تعالى (الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) ولما ذكر تعالى انه خلقه عبداً نبيا نزه نفسه المقدسة فقال (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه) أي عما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون المعتدون علواً كبيراً (إذا قضى أمرا فانما يقول له

لربه « وقيل الشقي الذي يذنب ولا يتوب ﴿ والسلام علي يوم ولدت ﴾ أي السلامة عند الولادة من طعن الشيطان ﴿ ويوم أموت ﴾ أي عند الموت من الشرك ﴿ ويوم أبعث حيا ﴾ من الاهوال . فلما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم ، ثم سكت عيسى عليه السلام فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان ﴿ ذلك عيسى بن مريم ﴾ قال الزجاج أي ذلك الذي قال إني عبد الله عيسى ابن مريم ﴿ قول الحق ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب (قول الحق) بنصب اللام وهو نصب على المصدر أي قال قول الحق ﴿ الذي فيه يمترون ﴾ يختلفون فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول هو الله وقائل يقول هو ساحر كذاب وقرأ الآخرون برفع اللام يعني هو قول الحق أي هذا الكلام هو قول الحق أضاف القول الى الحق كما قال حق اليقين ووعد الصدق ، وقيل هو نعت لعيسى بن مريم يعني ذلك عيسى ابن مريم كلمة الله والحق هو الله الذي فيه يمترون ويشكون ويختلفون ويقولون غير الحق ثم نفى عن نفسه الولد ثم عظم نفسه فقال ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد ﴾ أي ما كان من صفته اتخاذ الولد ، وقيل اللام منقولة أي ما كان الله أن يتخذ من ولد ﴿ سبحانه اذا قضى أمراً ﴾ اذا أراد أن

كن فيكون) أي اذا أراد شيئاً فانما يأمر به فيصير كما يشاء كما قال [إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين] وقوله [وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم] أي ومما أمر به عيسى قومه وهو في مهده أن أخبرهم اذ ذاك ان الله ربه وربهم وأمرهم بعبادته فقال (فاعبدوه هذا صراط مستقيم) أي هذا الذي جئتكم به عن الله صراط مستقيم أي قويم من اتبعه رشد وهدى ومن خالفه ضل وغوى . وقوله (فاختلف الاحزاب من بينهم) أي اختلف قول أهل الكتاب في عيسى بعد بيان أمره ووضوح حاله وانه عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فصممت طائفة منهم وهم جمهور اليهود عليهم لعائن الله على انه ولد زنية ، وقالوا كلامه هذا سحر ، وقالت طائفة أخرى انما تكلم الله وقال آخرون بل هو ابن الله ، وقال آخرون ثالث ثلاثة وقال آخرون بل هو عبدالله ورسوله وهذا هو قول الحق الذي أرشد الله اليه المؤمنين ، وقد روي نحو هذا عن عمرو بن ميمون وابن جريج وقتادة وغير واحد من السلف والخلف . قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون) قال اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع فقال بعضهم هو الله هبط إلى الارض فأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقال الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل أنت فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنين قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله إله وهو إله وأمه اله وهم الاسرائيلية ملوك النصارى عليهم لعائن الله . قال الرابع كذبت بل هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته وهم المسلمون فكان لكل رجل منهم أتباع على ماقالوا فاقتتلوا وظهر على المسلمين ، وذلك قول الله تعالى (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) قال قتادة وهم الذين قال الله (فاختلف الاحزاب من بينهم) قال اختلفوا فيه فصاروا أحزابا ، وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس وعن عروة بن الزبير عن بعض أهل العلم قريبا من ذلك ، وقد ذكر غير واحد من علماء التاريخ من أهل الكتاب وغيرهم أن قسطنطين جمعهم في محفل كبير من مجامعهم الثلاثة المشهور عندهم فكان جماعة الاساقفة منهم ألفين ومائة وسبعين أسقفا فاختلفوا في عيسى بن مريم عليه السلام اختلافا متباينا جدا فقالت كل شرذمة فيه قولا فمائة تقول فيه شيئاً وسبعون تقول فيه قولا آخر وخمسون تقول شيئاً آخر ومائة وستون تقول شيئاً ولم يجتمع على مقالة واحدة أكثر من ثلثمائة وثمانية

يحدث أمرا ﴿ فانما يقول له كن فيكون ، وإن الله ربي وربكم ﴾ قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو (ان الله) بفتح الالف يرجع الى قوله (وأوصاني بالصلاة والزكاة) وبأن الله ربي وربكم ، وقرأ اهل الشام والكوفة ويعقوب بكسر الالف على الاستئناف ﴿ فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾

قوله ﴿ فاختلف الاحزاب من بينهم ﴾ يعني النصارى سموا أحزابا لانهم تحزبوا ثلاث فرق في

منهم اتفقوا على قول وصمموا عليه فمال اليهم الملك وكان فيلسوفا فقدمهم ونصرهم وطرد من عداهم فوضعوا له الامانة الكبيرة بل هي الخيانة العظيمة ووضعوا له كتب القوانين وشرعوا له أشياء وابتدعوا بدعا كثيرة وحرفوا دين المسيح وغيروه فابتنى لهم حينئذ الكنائس الكبار في مملكته كلها بلاد الشام والجزيرة والروم فكان مبلغ الكنائس في أيامه مايقارب اثنى عشر الف كنيسة وبنت أمه هيلانة قمامة على المكان الذي صلب فيه المصلوب الذي يزعم اليهود أنه المسيح وقد كذبوا بل رفعه الله الى السماء وقوله (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) تهديد ووعيد شديد ممن كذب على الله وافترى وزعم أن له ولدا ولكن أنظرهم تعالى الى يوم القيامة وأجلهم حلماً وثقة بقدرته عليهم فانه الذي لا يعجل على من عصاه كما جاء في الصحيحين « ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ رسول الله ﷺ (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد) وفي الصحيحين أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم » وقد قال الله تعالى [وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها والي المصير] وقال تعالى [ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار] ولهذا قال ههنا [فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم] أى يوم القيامة ، وقد جاء في الحديث الصحيح المتفق على صحته عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من شهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل »

أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين (٣٨) وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون (٣٩) انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون (٤٠)

يقول تعالى مخبرا عن الكفار يوم القيامة أنهم يكونون أسمع شيء وأبصره كما قال تعالى (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا) الآية أي يقولون ذلك حين لا ينفعهم ولا يجدي عنهم شيئا ولو كان هذا قبل معاينة العذاب لكان نافعا لهم ومنقذا من عذاب الله ولهذا قال (أسمع بهم وأبصر) أى ما اسمعهم وأبصرهم (يوم يأتوننا) يعني يوم القيامة (لكن

أمر عيسى : النسطورية ، والملكانية ، واليعقوبية ﴿ فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ أسمع بهم وأبصر ﴾ أي ما اسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر أخبر انهم يسمعون ويبصرون في الآخرة مالم يسمعوا ولم يبصروا في الدنيا . قال الكلبي لا أحد

الظالمون اليوم) أى في الدنيا (في ضلال مبين) أى لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون فحيث يطلب منهم الهدى لا يهتدون ويكونون مطيعين حيث لا ينفعهم ذلك ثم قال تعالى (وانذرهم يوم الحسرة) أى انذر الخلائق يوم الحسرة (إذ قضي الامر) أى فصل بين أهل الجنة وأهل النار وصار كل إلى ماصار اليه مخلدا فيه (وهم) أى اليوم (في غفلة) عما أنذروا به يوم الحسرة والندامة (وهم لا يؤمنون) أى لا يصدقون به.

قال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا الاعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت كانه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال ياأهل الجنة هل تعرفون هذا؟ قال فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال فيقال ياأهل النار هل تعرفون هذا؟ قال فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال فيؤمر به فيذبح قال ويقال يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولاموت» ثم قرأ رسول الله ﷺ (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الامر وهم غفلة وهم لايؤمنون) وأشار بيده ثم قال «أهل الدنيا في غفلة الدنيا» هكذا رواه الامام أحمد وقد خرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث الاعمش به ولفظهما قريب من ذلك، وقد روى هذا الحديث الحسن بن عرفة حدثني أسباط بن محمد عن الاعمش عن أبي صالح عن أبى هريرة مرفوعا مثله» وفي سنن ابن ماجه وغيره من حديث محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة نحوه وهو في الصحيحين عن ابن عمر ورواه ابن جريج قال: قال ابن عباس فذكر من قبله نحوه، ورواه أيضا عن أبيه أنه سمع عبيد بن عمير يقول في قصصه يؤتى بالموت كأنه دابة فيذبح والناس ينظرون» وقال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل حدثنا أبو الزعراء عن عبد الله هو ابن مسعود في قصة ذكرها قال فليس نفس الا وهي تنظر إلى بيت في الجنة

يوم القيامة أسمع منهم ولا أبصر حين يقول الله تعالى لعيسى (أأنت قلت للناس) الآية ﴿يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾ أي في خطأ بين ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر﴾ فرغ من الحساب وأدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وذبح الموت. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عمر بن حفص بن غياث أنا أبي أنا الاعمش أنا ابو صالح عن أبى سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد ياأهل الجنة فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم ينادي ياأهل النار فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا» فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح ثم يقول ياأهل الجنة خلود فلا موت وياأهل النار خلود فلا موت» ثم قرأ (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لايؤمنون) ورواه ابو عيسى عن احمد ابن منيع عن النضر بن اسماعيل عن الاعمش بهذ الاسناد وزاد فلولا ان الله تعالى قضى لأهل الجنة

ويبيت في النار وهو يوم الحسرة فيرى أهل النار البيت الذي في الجنة ويقال لهم لو عملتم فتأخذهم الحسرة قال ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار فيقال لهم لولا أن الله من عليكم » وقال السدي عن زياد عن زر بن حبيش عن ابن مسعود في قوله (وانذرهم يوم الحسرة إذ قضى الامر) قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتي بالموت في صورة كبش أملح حتى يوقف بين الجنة والنار ثم ينادي مناد يا أهل الجنة هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا فلا يبقى أحد في أهل عليين ولا في أسفل درجة في الجنة الا نظر اليه ثم ينادي مناد يا أهل النار هذا الموت الذى كان يميت الناس في الدنيا فلا يبقى أحد في ضحضاح من نار ولا في أسفل درك من جهنم الا نظر اليه ثم يذبح بين الجنة والنار ثم ينادى يا أهل الجنة هو الخلود أبد الآبدين ويا أهل النار هو الخلود أبد الآبدين فيفرح أهل الجنة فرحة لو كان أحد ميتا من فرح ماتوا ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتا من شهقة ماتوا فذلك قوله (وانذرهم يوم الحسرة إذ قضي الامر) يقول إذا ذبح الموت رواه ابن أبي حاتم في تفسيره وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (وانذرهم يوم الحسرة) من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده، وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله(وأنذرهم يوم الحسرة) قال يوم القيامة وقرأ أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت في جنب الله

وقوله (انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون) يخبر تعالى انه الخالق المالك المتصرف وان الخلق كلهم يهلكون ويبقى هو تعالى وتقدس ولا أحد يدعى ملكا ولا تصرفا بل هو الوارث

الحياة والبقاء لماتوا فرحا ، ولولا ان الله تعالى قضى لأهل النار الحياة والبقاء لماتوا ترحا . أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا معاذ بن أسد أنا عبد الله أنا عمر بن محمد بن زيد عن ابيه انه حدثه عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « اذا صار اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد ياأهل الجنة لاموت وياأهل النار لاموت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد اهل النار حزنا الى حزنهم » اخبرنا عبدالواحد المليحي أنا احمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل انا ابو اليمان انا شعيب انا ابو الزناد عن الأعرج عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لايدخل أحد الجنة إلا أري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكراً ولا يدخل النار احد إلا أري مقعده من الجنة لو احسن ليكون عليه حسرة» اخبرنا ابو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي أنا ابو الحسن احمد بن محمد بن موسى بن الصلت انا ابو إسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا الحسين بن الحسن انا ابن المبارك انا يحيي بن عبدالله قال سمعت أبي قال سمعت ابا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ « ما من احد يموت إلا ندم » قالوا فما ندمه يارسول الله ؟ قال « إن كان محسنا ندم أن لايكون ازداد ، وإن كان مسيئا ندم أن لايكون نزع » ﴿ وهم في غفلة ﴾ أى عما يفعل بهم في الآخرة ﴿ وهم لايؤمنون ﴾ لايصدقون

لجميع خلقه الباقي بعدهم الحاكم فيهم فلا تظلم نفس شيئا ولا جناح بعوضة ولا مثقال ذرة ، قال ابن أبي حاتم ذكر هدبة بن خالد القيسي حدثنا حزم بن ابي حزم القطعي قال كتب عمر بن عبد العزيز الى عبدالحميد بن عبد الرحمن صاحب الكوفة : أما بعد فان الله كتب على خلقه حين خلقهم الموت فجعل مصيرهم اليه وقال فيما انزل في كتابه الصادق الذي حفظه بعلمه وأشهد ملائكته على حفظه انه يرث الارض ومن عليها واليه يرجعون

واذكر في الكتٰب ابراهيم إنه كان صديقا نبيا (٤١) اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا؟ (٤٢) يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا (٤٣) يا أبت لا تعبد الشيطٰن إن الشيطٰن كان للرحمٰن عصيا (٤٤) يا أبت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمٰن فتكون للشيطٰن وليا (٤٥)

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ واذكر في الكتاب ابراهيم واتل على قومك هؤلاء الذين يعبدون الاصنام واذكر لهم ماكان من خبر ابراهيم خليل الرحمن الذين هم من ذريته ويدعون أنهم على ملته وقد كان صديقا نبيا مع أبيه كيف نهاه عن عبادة الاصنام فقال (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا) أي لا ينفعك ولا يدفع عنك ضرا (يا أبت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك) يقول وإن كنت من صلبك وتراني أصغر منك لاني ولدك فاعلم اني قد اطلعت من العلم من الله على مالم تعلمه أنت ولا اطلعت عليه ولا جاءك (فاتبعني أهدك صراطا سويا) أي طريقا مستقيما موصلا إلى نيل المطلوب ،والنجاة من المرهوب (يا أبت لا تعبد الشيطان) أي لا تطعه في عبادتك هذه الاصنام فانه هو الداعي إلى ذلك والراضي به كما قال تعالى (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين) وقال (إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريداً)

قوله عز وجل ﴿ إنا نحن نرث الارض ومن عليها ﴾ أي نميت سكان الارض ونهلكهم جميعا ويبقى الرب وحده فيرثهم ﴿ وإلينا يرجعون ﴾ فنجزيهم بأعمالهم ﴿ واذكر في الكتاب ابراهيم إنه كان صديقا نبيا ﴾ الصديق الكثير الصدق القائم عليه، وقيل من صدق الله في وحدانيته وصدق أنبياءه ورسله وصدق بالبعث وقام بالأوامر فعمل بها فهو الصديق والنبي العالي في الرتبة بارسال الله تعالى إياه

قوله تعالى ﴿ إذ قال ﴾ ابراهيم ﴿ لأبيه ﴾ آزر وهو يعبد الاصنام ﴿ يا أبت لم تعبد ما لا يسمع﴾ صوتا ﴿ولا يبصر﴾ شيئا ﴿ ولا يغني عنك ﴾ أي لا يكفيك ﴿ شيئا ■ يا أبت إني قد جاءني من العلم﴾ بالله والمعرفة ﴿ما لم يأتك فاتبعني﴾ على ديني ﴿ أهدك صراطا سويا﴾ مستقيما ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾

وقوله (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) أي مخالفا مستكبراً عن طاعة ربه فطرده وأبعده فلا تتبعه تصر مثله (يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن) أي على شركك وعصيانك لما آمرك به (فتكون للشيطان وليا) يعني فلا يكون لك مولى ولا ناصراً ولا مغيثا إلا إبليس وليس اليه ولا الى غيره من الامر شيء بل اتباعك له موجب لاحاطة العذاب بك كما قال تعالى (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم)

قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا (٤٦) قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا (٤٧) وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا (٤٨)

يقول تعالى مخبرا عن جواب أبي ابراهيم لولده ابراهيم فيما دعاه اليه انه قال (أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم؟) يعني أما تريد عبادتها ولا ترضاها فانته عن سبها وشتمها وعيبها فانك ان لم تنته عن ذلك اقتصصت منك وشتمتك وسببتك وهو قوله (لأرجمنك) قاله ابن عباس والسدي وابن جريج والضحاك وغيرهم ، وقوله (واهجرني مليا) قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن اسحاق يعني دهرا وقال الحسن البصري زمانا طويلا وقال السدي (واهجرني مليا) قال أبداً. وقال علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس (واهجرني مليا) قال سويا سالما قبل أن تصيبك مني عقوبة وكذا قال الضحاك وقتادة وعطية الجدلي وأبو مالك وغيرهم واختاره ابن جرير فعندها قال ابراهيم لابيه (سلام عليك) كما قال تعالى في صفة المؤمنين [واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما] وقال تعالى [واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغي الجاهلين] ومعنى قول ابراهيم لابيه [سلام عليك] يعني أما أنا فلا

لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك ﴿ إن الشيطان كان للرحمن عصيا ﴾ عاصيا وكان بمعنى الحال أي هو كذلك ﴿ يا أبت اني أخاف ﴾ أي أعلم ﴿ أن يمسك ﴾ يصيبك ﴿ عذاب من الرحمن ﴾ إن أقمت على الكفر ﴿ فتكون للشيطان وليا ﴾ قرينا في النار ﴿ قال ﴾ أبوه مجيبا له ﴿ أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته ﴾ لئن لم تسكت وترجع عن عيبك آلهتنا وشتمك إياها ﴿ لأرجمنك ﴾ قال الكلبي ومقاتل والضحاك لأشتمنك ولأبعدنك عني بالقول القبيح . قال ابن عباس لاضربنك وقال الحسن لاقتلنك بالحجارة ﴿ واهجرني مليا ﴾ قال الكلبي واجتنبني طويلا ، وقال مجاهد وعكرمة حينا ، وقال سعيد بن جبير دهراً أصله المكث ومنه يقال تمليت حينا والملوان الليل والنهار ، وقال قتادة وعطاء سالما ، وقال ابن عباس اعتزلني سالما لا تصيبك مني معرة ، يقال فلان ملي بأمر كذا اذا كان كافيا ﴿ قال ﴾ ابراهيم ﴿ سلام عليك ﴾ أي سلمت مني لا أصيبك بمكروه وذلك انه لم يؤمر بقتاله على كفره وقيل هذا سلام هجران ومفارقة ، وقيل سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه . قال الله تعالى

ينالك مني مكروه ولا أذى وذلك لحرمة الابوة [سأستغفر لك ربي] ولكن سأسأل الله فيك أن يهديك ويغفر ذنبك [انه كان بي حفيا] قال ابن عباس وغيره لطيفا أي في أن هداني لعبادته والاخلاص له . وقال قتادة ومجاهد وغيرهما انه كان بي حفيا قال عوده الاجابة .وقال السدي الحفي الذي يهتم بأمره ، وقد استغفر ابراهيم ﷺ لابيه مدة طويلة وبعد ان هاجر الى الشام وبنى المسجد الحرام وبعد أن ولد له اسماعيل واسحاق عليهما السلام في قوله [ربي اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب] وقد استغفر المسلمون لقراباتهم وأهليهم من المشركين في ابتداء الاسلام وذلك اقتداء بابراهيم الخليل في ذلك حتى انزل الله تعالى [قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ـ الى قوله ـ الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء] الآية ، يعني الا في هذا القول فلا تتأسوا به ، ثم بين تعالى ان ابراهيم أقلع عن ذلك ورجع عنه فقال تعالى [ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ـ الى قوله ـ وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم]

وقوله (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي) اي اجتنبكم وأتبرأ منكم ومن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله [وأدعو ربي] وحده لاشريك له [عسى انلا اكون بدعاء ربي شقيا] وعسى هذه موجبة لامحالة فانه عليه السلام سيد الانبياء بعد محمد ﷺ

فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا (٤٩)

ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا (٥٠)

يقول تعالى فلما اعتزل الخليل اباه وقومه في الله ابدله الله من هو خير منهم ووهب له اسحاق ويعقوب يعني ابنه وابن اسحاق كما قال في الآية الاخرى (ويعقوب نافلة)وقال (ومن وراء اسحاق يعقوب)ولا خلاف ان اسحاق والد يعقوب وهو نص القرآن في سورة البقرة (أم كنتم شهداء اذ حضر

[واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما] ﴿ سأستغفر لك ربى ﴾ قيل انه لما أعياه أمره وعده أن يراجع الله فيه فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له ، معناه سأسأل الله تعالى لك توبة تنال بها المغفرة ﴿ إنه كان بى حفيا ﴾ براً لطيفا ، قال الكلبي عالما يستجيب لي اذا دعوته ، قال مجاهد عودني الاجابة لدعائي ﴿ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ﴾ أي أعتزل ماتعبدون من دون الله ، قال مقاتل كان اعتزاله إياهم انه فارقهم من كوثى فهاجر الى الارض المقدسة ﴿ وأدعو ربي ﴾ أي اعبد ربي ﴿ عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا ﴾ أي عسى أن لا أشقى بدعائه وعبادته كما أنتم تشقون بعبادة الاصنام، وقيل عسى أن يجيبني اذا دعوته ولا يخيبني ﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ﴾ فذهب مهاجراً

يعقوب الموت اذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق) ولهذا انما ذكر ههنا اسحاق ويعقوب أي جعلنا له نسلا وعقبا أنبياء أقر الله بهم عينه في حياته ولهذا قال وكلا جعلنا نبيا فلو لم يكن يعقوب قد نبيء في حياة ابراهيم لما اقتصر عليه ولذكر ولده يوسف فانه نبي أيضا كما قال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته حين سئل عن خير الناس فقال « يوسف نبي الله ابن يعقوب نبي الله ابن اسحاق نبي الله ابن ابراهيم خليل الله » وفي اللفظ الآخر « ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم »

وقوله (ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني الثناء الحسن وكذا قال السدي ومالك بن أنس « وقال ابن جرير انما قال عليا لان جميع الملل والاديان يثنون عليهم ويمدحونهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

واذكر في الكتـٰب موسى انه كان مخلَصا وكان رسولا نبيا (٥١) ونـٰديـنه من جانب الطور الايمن وقربنـٰـه نجيا (٥٢) ووهبنا له اخاه هـٰرون نبيا (٥٣)

لما ذكر تعالى ابراهيم الخليل وأثنى عليه عطف بذكر الكليم فقال واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا قرأ بعضهم بكسر اللام من الاخلاص في العبادة « قال الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي لبابة قال قال الحواريون يا روح الله أخبرنا عن المخلص لله قال الذي يعمل لله لا يحب أن يحمده الناس « وقرأ الآخرون بفتحها بمعنى انه كان مصطفى كما قال تعالى (اني اصطفيتك على الناس) وكان رسولا نبيا جمع الله له بين الوصفين فانه كان من المرسلين الكبار أولي العزم الخمسة وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه على سائر الانبياء أجمعين

وقوله (وناديناه من جانب الطور) أي الجانب (الايمن) من موسى حين ذهب يبتغي من تلك النار جذوة فرآها تلوح فقصدها فوجدها في جانب الطور الايمن منه غربيه عند شاطيء الوادي فكلمه

﴿ وهبنا له ﴾ بعد الهجرة ﴿ إسحاق ويعقوب ﴾ آنسنا وحشته من فراقهم وأقررنا عينه بأولاد كرام على الله عز وجل ﴿ وكلا جعلنا نبيا ﴾ يعني إسحاق ويعقوب ﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا ﴾ أي نعمتنا قال الكلبي المال والولد وهو قول الاكثرين ، قالوا معناه مابسط لهم في الدنيا من سعة الرزق ، وقيل الكتاب والنبوة ﴿ وجعلنا لهم لسان صدق عليا ﴾ يعني ثناء حسنا رفيعا في كل أهل الاديان فكلهم يتولونهم ويثنون عليهم

قوله عز وجل ﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا ﴾ غير مراء أخلص الطاعة والعبادة لله عز وجل ، وقرأ أهل الكوفة (مخلصا) بفتح اللام أي مختارا اختاره الله عز وجل ، وقيل أخلصه الله من الدنس ﴿ وكان رسولا نبيا « وناديناه من جانب الطور الايمن ﴾ يعني يمين موسى والطور جبل بين مصر ومدين ويقال اسمه الزبير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فنودي [ياموسى إني

الله تعالى وناداه وقربه فناجاه ، روى ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى هو القطان حدثنا سفيان عن عطاء بن يسار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وقربناه نجيا) قال أدني حتى سمع صريف القلم وهكذا قال مجاهد وأبو العالية وغيرهم يعنون صريف القلم بكتابة التوراة وقال السدي (وقربناه نجيا) قال ادخل في السماء فكلم وعن مجاهد نحوه

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (وقربناه نجيا) قال نجا بصدقه ، وروى ابن أبي حاتم حدثنا عبد الجبار بن عاصم حدثنا محمد بن سلمة الحراني عن أبي واصل عن شهر بن حوشب عن عمرو ابن معد يكرب قال لما قرب الله موسى نجيا بطور سيناء قال ياموسي إذا خلقت لك قلبا شاكراً ولسانا ذاكراً وزوجة تعين على الخير فلم أخزن عنك من الخير شيئا ومن أخزن عنه هذا فلم أفتح له من الخير شيئا وقوله (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) أي وأجبنا سؤاله وشفاعته في أخيه فجعلناه نبيا كما قال في الآية الاخرى (وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فارسله معي ردأ يصدقني اني أخاف أن يكذبون * قال قد أوتيت سؤلك ياموسى - وقال - فارسل الى هارون ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون) ولهذا قال بعض السلف ماشفع أحد في أحد شفاعة في الدنيا أعظم من شفاعة موسى في هارون ان يكون نبيا قال الله تعالى [ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا]

قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال: قال ابن عباس قوله [ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا] قال كان هارون اكبر من موسى ولكن أراد وهب له نبوته. وقد ذكره ابن أبي حاتم معلقا عن يعقوب وهو ابن ابراهيم الدورقى به.

واذكر في الكتٰب اسمٰعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا (٥٤) وكان يأمر أهله بالصلٰوة والزكٰوة وكان عند ربه مرضيا (٥٥)

هذا ثناء من الله تعالى على اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام وهو والد عرب الحجاز كلهم بانه كان صادق الوعد. قال ابن جريج لم يعد ربه عدة الا أنجزها يعني ما التزم عبادة قط بنذر الاقام بها ووفاها حقها.

وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن سهل بن عقيل حدثه أن اسماعيل النبي عليه السلام وعد رجلا مكانا أن يأتيه فيه فجاء ونسي الرجل فظل به اسماعيل وبات

أنا الله رب العالمين] ﴿وقربناه نجيا﴾ أى مناجيا فالنجى المناجي كما يقال جليس ونديم. قال ابن عباس معناه قربه فكلمه ومعنى التقريب اسماعه كلامه، وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير القلم ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا﴾ وذلك حين دعا موسى فقال [واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي] فأجاب الله دعاءه وأرسل الى هرون ولذلك سماه هبة له ﴿واذكر في الكتاب اسماعيل﴾

حتى جاء الرجل من الغد فقال ما برحت من ههنا ؟ قال لا قال اني نسيت قال لم أكن لابرح حتى تأتيني فلذلك [كان صادق الوعد] وقال سفيان الثوري بلغني أقام في ذلك المكان ينتظره حولا حتى جاءه ، وقال ابن شوذب بلغني أنه اتخذ ذلك الموضع مسكنا ، وقد رواه أبو داود في سننه وأبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي في كتابه مكارم الاخلاق من طريق ابراهيم بن طهمان عن عبد الله بن ميسرة عن عبد الكريم يعني ابن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحسماء قال بايعت رسول الله ﷺ قبل أن يبعث فبقيت له علي بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك. قال فنسيت يومي والغد فأتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه ذلك فقال لي «يافتى لقد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك» لفظ الخرائطي وساق آثاراً حسنة في ذلك ، ورواه ابن منده أبو عبد الله في كتاب معرفة الصحابة باسناده عن ابراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الكريم به ، وقال بعضهم إنما قيل له [صادق الوعد] لانه قال لابيه (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) فصدق في ذلك فصدق الوعد من الصفات الحميدة كما أن خلفه من الصفات الذميمة قال الله تعالى [ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون] وقال رسول الله ﷺ « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان» ولما كانت هذه صفاة المنافقين كان التلبس بضدها من صفات المؤمنين ، ولهذا أثنى الله على عبده ورسوله اسماعيل بصدق الوعد وكذلك كان رسول الله ﷺ صادق الوعد أيضا لايعد أحداً شيئا إلا وفى له به ، وقد أثنى على أبي العاص بن الربيع زوج ابنته زينب فقال «حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي » ولما توفي النبي ﷺ قال الخليفة أبو بكر الصديق من كان له عند رسول الله ﷺ عدة أو دين فليأتني أنجز له فجاءه جابر بن عبد الله فقال ان رسول الله ﷺ قال لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا يعني ملء كفيه فلما جاء مال البحرين أمر الصديق جابراً فغرف بيده من المال ثم أمره بعده فاذا هو خمسمائة درهم فأعطاه مثليها معها ، وقوله [وكان رسولا نبيا] في هذا دلالة على شرف اسماعيل على أخيه اسحاق لانه انما وصف بالنبوة فقط واسماعيل وصف بالنبوة والرسالة ، وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال «إن الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل» وذكر تمام الحديث فدل على صحة ما قلناه وقوله [وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا] هذا أيضا من الثناء الجميل والصفة الحميدة والخلة السديدة حيث كان صابراً على طاعة ربه عز وجل آمراً بها لاهله كما قال تعالى لرسوله (وامر أهلك

وهو اسماعيل بن ابراهيم جد النبي ﷺ ﴿ انه كان صادق الوعد ﴾ قال مجاهد لم يعد شيئا إلا وفي به وقال مقاتل وعد رجلا أن يقيم مكانه حتى يرجع اليه فأقام اسماعيل مكانه ثلاثة ايام الميعاد حتى رجع اليه الرجل ، وقال الكلبي انتظره حتى حال عليه الحول ﴿ وكان رسولا ﴾ الى جرهم ﴿ نبيا ﴾ مخبراً عن الله عز وجل ﴿ وكان يأمر أهله ﴾ أي قومه وقيل أهله جميع أمته ﴿ بالصلاة والزكاة ﴾ قال ابن عباس

بالصلاة واصطبر عليها) الآية وقال [ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون] أي مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر ولا تدعوهم هملا فتأكلهم النار يوم القيامة . وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فان أبت نضح في وجهها الماء رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فان أبى نضحت في وجهه الماء » أخرجه ابو داود وابن ماجه . وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال «إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات» رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه واللفظ له

واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا (٥٦) ورفعناه مكانا عليا (٥٧)

ذكر إدريس عليه السلام بالثناء عليه بانه كان صديقا نبيا وان الله رفعه مكانا عليا ، وقد تقدم في الصحيح أن رسول الله ﷺ مر به في ليلة الاسراء وهو في السماء الرابعة

وقد روى ابن جرير ههنا أثراً غريباً عجيبا فقال : حدثني يونس بن عبد الاعلى أنبأنا ابن وهب أخبرني جرير بن حازم عن سليمان الاعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف قال سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر فقال له ماقول الله عز وجل لادريس (ورفعناه مكانا عليا) فقال كعب اما ادريس

يريد التي افترضها الله تعالى عليهم وهي الحنيفية التي افترضت علينا ﴿ وكان عند ربه مرضيا﴾ قائما لله بطاعته . قيل رضيه الله عز وجل لنبوته ورسالته.

قوله ﴿ واذكر في الكتاب إدريس ﴾ وهو جد أبي نوح واسمه اخنوخ سمي ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس الثياب المخيطة وكانوا من قبله يلبسون الجلود ، وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار . وأول من نظر في علم النجوم والحساب ﴿ انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا ﴾ قيل هي الجنة وقيل هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا وقيل انه رفع الى السماء الرابعة روى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ أنه رأى ادريس في السماء الرابعة ليلة المعراج، وكان سبب رفع ادريس على ماقاله كعب وغيره انه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال يارب إني مشيت فيها يوما واحدا فأصابني المشقة الشديدة من وهج الشمس وأضرني حرها ضررا بليغا فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها مالا يعرف فقال يارب ما الذي قضيت فيه حتى خففت عني ما أنا فيه قال ان عبدي ادريس سألني أن اخفف عنك حملها وحرها فأجبته فقال يارب اجعل بيني وبينه خلة فأذن له حتى أتى ادريس فكان يسأله ادريس فقال له إني اخبرت انك اكرم الملائكة

فان الله أوحى اليه اني أرفع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم فأحب أن تزداد عملا فأتاه خليل له من الملائكة فقال له إن الله أوحى الي كذا وكذا فكلم لي ملك الموت فليؤخرني حتى أزداد عملا فحمله بين جناحيه حتى صعد به الى السماء فلما كان في السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدراً فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه ادريس فقال ! وأين ادريس فقال هوذا على ظهري قال ملك الموت العجب بعثت وقيل لي اقبض روح ادريس في السماء الرابعة فجعلت أقول كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الارض فقبض روحه هناك فذلك قول الله (ورفعناه مكانا عليا) هذا من أخبار كعب الاحبار الاسرائيليات ، وفي بعضه نكارة والله أعلم

وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن ابن عباس أنه سأل كعبا فذكر نحو ماتقدم غير انه قال لذلك الملك هل لك أن تسأله يعني ملك الموت كم بقي من أجلي لكي أزداد من العمل وذكر باقيه وفيه انه لما سأله عما بقي من أجله قال لا أدري حتى أنظر فنظر ثم قال انك تسألني عن رجل مابقى من عمره إلا طرفة عين فنظر الملك تحت جناحه فاذا هو قد قبض عليه السلام وهو لايشعر به ثم رواه من وجه آخر عن ابن عباس ان ادريس كان خياطا فكان لايغرز ابرة إلا قال سبحان الله فكان يمسي حين يمسي وليس في الارض أحد أفضل عملا منه وذكر بقيته كالذي قبله او نحوه ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله (ورفعناه مكانا عليا) قال ادريس رفع ولم يمت كما رفع عيسى ! وقال سفيان

وامكنهم عند ملك الموت فاشفع لي اليه ليؤخر أجلي فأزداد شكرا وعبادة فقال الملك لايؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها وأنا مكلمه فرفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم أتى ملك الموت فقال لي حاجة اليك فقال وما هي فقال صديق لي من بني آدم تشفع بي اليك لتؤخر أجله قال ليس ذلك إلي ولكن ان احببت اعلمته أجله متى يموت فيقدم لنفسه قال نعم فنظر في ديوانه فقال انك كلمتني في انسان ما أراه يموت أبدا قال وكيف ذلك قال لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس قال فاني أتيتك وتركته هناك ، قال فانطلق فلا أراك تجده إلا وقد مات فوالله مابقي من أجل إدريس شيء فرجع الملك فوجده ميتا ، واختلفوا في انه حي في السماء أم ميت ؟ فقال قوم هو ميت وقال قوم هو حي وقالوا أربعة من الانبياء في الاحياء اثنان في الارض الخضر والياس واثنان في السماء إدريس وعيسى ، وقال وهب كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل مايرفع لجميع أهل الارض في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن ربه عز وجل في زيارته فأذن له فأتاه في صورة بني آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره ادريس فقال له في الليلة الثالثة اني أريد أن أعلم من أنت؟ فقال أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك . قال فلي اليك حاجة ! قال ماهي . قال تقبض روحي . فأوحى الله اليه أن اقبض روحه، فقبض روحه وردها الله اليه بعد ساعة. قال له ملك الموت ما الفائدة في سؤالك قبض الروح ؟

عن منصور عن مجاهد (ورفعناه مكانا عليا) قال السماء الرابعة ، وقال العوفي عن ابن عباس ورفعناه مكانا عليا قال رفع إلى السماء السادسة فمات بها وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقال الحسن وغيره في قوله (ورفعناه مكانا عليا) قال الجنة

أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيٰت الرحمٰن خروا سجداً وبكيا (٥٨)

يقول تعالى هؤلاء النبيون وليس المراد المذكورين في هذه السورة فقط بل جنس الانبياء عليهم السلام استطرد من ذكر الاشخاص الى الجنس (الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم) الآية قال السدي وابن جرير رحمه الله فالذي عنى به من ذرية آدم ادريس والذي عني به من ذرية من حملنا مع نوح ابراهيم والذي عنى به من ذرية ابراهيم اسحاق ويعقوب واسماعيل والذي عنى به من ذرية اسرائيل موسى وهارون وزكريا ويحيي وعيسى بن مريم ، قال ابن جرير وكذلك أنسابهم وان كان يجمع جميعهم آدم لان فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة وهو ادريس فانه جد نوح [قلت] هذا هو الاظهر ان ادريس في عمود نسب نوح عليهما السلام ، وقد قيل انه من أنبياء بني إسرائيل أخذا من حديث الاسراء حيث قال في سلامه على النبي ﷺ مرحباً بالنبي الصالح والاخ الصالح ولم يقل والولد الصالح كما قال آدم وابراهيم عليهما السلام

قال لأذوق كرب الموت وغمه لأكون أشد استعداداً له . ثم قال ادريس له : إن لي اليك حاجة أخرى ؟ قال وما هي ؟ قال ترفعني الى السماء لأنظر اليها وإلى الجنة والنار . فأذن الله في رفعه فلما قرب من النار قال لي حاجة أخرى . قال وما تريد ؟ قال تسأل مالكا حتى يفتح لي أبوابها فأردها ففعل ثم قال فكما أريتني النار فأرني الجنة ، فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت أخرج لتعود الى مقرك ، فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها . فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لاتخرج ؟ قال لان الله تعالى قال (كل نفس ذائقة الموت) وقد ذقته وقال (وإن منكم إلا واردها) وقد وردتها. وقال (وما هم منها بمخرجين) فلست أخرج . فأوحى الله الى ملك الموت باذني دخل الجنة وبأمري لايخرج فهوحي هناك فذلك قوله تعالى (ورفعناه مكانا عليا) ﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ﴾ أي ادريس ونوحا ﴿وممن حملنا مع نوح﴾ أي ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة يريد ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح ﴿ ومن ذرية ابراهيم ﴾ يريد اسماعيل وإسحاق ويعقوب . قوله ﴿ واسرائيل ﴾ اي ومن ذرية اسرائيل وهم

وروى ابن أبي حاتم حدثنا يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الله بن عمر أن ادريس أقدم من نوح فبعثه الله الى قومه فأمرهم أن يقولوا لا إله إلا الله ويعملوا ماشاءوا فأبوا فأهلكهم الله عز وجل ومما يؤيد أن المراد بهذه الآية جنس الانبياء أنها كقوله تعالى في سورة الانعام (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين * واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم — الى قوله — اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وقال سبحانه وتعالى [منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك] وفي صحيح البخاري عن مجاهد انه سأل ابن عباس أفي ص سجدة ؟ فقال نعم ثم تلا هذه الآية [اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده] فنبيكم ممن أمر أن يقتدي بهم قال وهو منهم يعني داود . وقال الله تعالى في هذه الآية الكريمة [إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا] أي اذا سمعوا كلام الله المتضمن حججه ودلائله وبراهينه سجدوا لربهم خضوعا واستكانة حمداً وشكرا على ماهم فيه من النعم العظيمة والبكي جمع باك فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود ههنا اقتداء بهم واتباعا لمنوالهم . قال سفيان الثوري عن الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر قال قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سورة مريم فسجد وقال هذا السجود فأين البكي يريد البكاء . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وسقط من روايته ذكر أبي معمر فيما رأيت فالله أعلم

فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا (٥٩)

الا من تاب وآمن وعمل صلحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا (٦٠)

لما ذكر تعالى حزب السعداء وهم الانبياء عليهم السلام ومن اتبعهم من القائمين بحدود الله وأوامره المؤدين فرائض الله التاركين لزواجره . ذكر انه [خلف من بعدهم خلف] أي قرون أخر [أضاعوا

موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿ وممن هدينا واجتبينا ﴾ هؤلاء كانوا ممن أرشدنا واصطفينا ﴿ اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا ﴾ سجداً جمع ساجد وبكيا جمع باك أخبر الله ان الانبياء كانوا اذا سمعوا بآيات الله سجدوا وبكوا

قوله تعالى ﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾ أي من بعد النبيين المذكورين خلف وهم قوم سوء ، والخلف بالفتح الصالح وبالجزم الطالح . قال السدي أراد بهم اليهود ومن لحق بهم ، وقال مجاهد وقتادة هم قوم في هذه الأمة ﴿ أضاعوا الصلاة ﴾ تركوا الصلاة المفروضة . وقال ابن مسعود وابراهيم أخروها

الصلاة] واذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع لانها عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها فهؤلاء سيلقون غيا أي خسارا يوم القيامة ، وقد اختلفوا في المراد باضاعة الصلاة ههنا فقال قائلون المراد باضاعتها تركها بالكلية قاله محمد بن كعب القرظي وابن زيد بن أسلم والسدي واختاره ابن جرير ولهذا ذهب من ذهب من السلف والخلف والائمة كما هو المشهور عن الامام احمد وقول عن الشافعي الى تكفير تارك الصلاة للحديث « بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة » والحديث الآخر « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » وليس هذا محل بسط هذه المسئلة

وقال الاوزاعي عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة في قوله (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة) قال انما أضاعوا المواقيت ولو كان تركا كان كفراً . وقال وكيع عن المسعودي عن القاسم بن عبدالرحمن والحسن بن سعيد عن ابن مسعود انه قيل له ان الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن (الذين هم عن صلاتهم ساهون * وعلى صلاتهم دائمون * وعلى صلاتهم يحافظون) فقال ابن مسعود على مواقيتها . قالوا ما كنا نرى ذلك إلا على الترك قال ذاك الكفر ، وقال مسروق لايحافظ أحد على الصلوات الخمس فيكتب من الغافلين « وفي افراطهن الهلكة وافراطهن اضاعتهن عن وقتهن ، وقال الاوزاعي عن ابراهيم بن يزيد أن عمر بن عبدالعزيز قرأ (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) ثم قال لم تكن اضاعتهم تركها ولكن أضاعوا الوقت ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) قل عند قيام الساعة وذهاب صالحي أمة محمد ﷺ ينزو بعضهم على بعض في الازقة وكذا روى ابن جريج عن مجاهد مثله « وروى جابر الجعفي عن مجاهد وعكرمة وعطاء بن أبي رباح انهم من هذه الامة يعنون في آخر الزمان ، وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثنا الحسن الاشيب حدثنا شريك عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) قال هم في هذه الامة يتراكبون تراكب الانعام والحمر في الطرق لايخافون الله في السماء ولا يستحيون من الناس في الارض « وقال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن سنان الواسطي حدثنا ابو عبدالرحمن المقري حدثنا حيوة حدثنا بشير بن

عن وقتها « وقال سعيد بن المسيب هو أن لايصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس ﴿ واتبعوا الشهوات ﴾ أي المعاصي وشرب الخمر أي آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله . وقال مجاهد هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزو بعضهم على بعض في الاسواق والأزقة ﴿ فسوف يلقون غيا ﴾ قال ابن وهب الغي نهر في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه ، وقال ابن عباس الغي واد في جهنم وان أودية جهنم لتستعيذ من حره أعد للزاني المصر عليه ولشارب الخمر المدمن عليها ولآكل الربا الذي لاينزع عنه ولأهل العقوق ولشاهد الزور ولامرأة أدخلت على زوجها ولداً ، وقال

أبي عمرو الخولاني أن الوليد بن قيس حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول «يكون خلف بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يعدو تراقيهم ويقرأ القرآن ثلاثة مؤمن ومنافق وفاجر» وقال بشير قلت للوليد ماهؤلاء الثلاثة؟ قال المؤمن مؤمن به والمنافق كافر به والفاجر يأكل به وهكذا رواه احمد عن أبي عبدالرحمن المقري، وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثني أبي حدثنا ابراهيم بن موسى أنبأنا عيسى بن يونس حدثنا عبيدالله بن عبدالرحمن بن وهب عن مالك عن أبي الرجال ان عائشة كانت ترسل بالشيء صدقة لاهل الصفة وتقول لاتعطوامنه بربريا ولا بربرية فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول «هم الخلف الذين قال الله تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة» هذا حديث غريب

وقال أيضا حدثني أبي حدثنا عبد الرحمن بن الضحاك حدثنا الوليد بن جرير عن شيخ من أهل المدينة أنه سمع محمد بن كعب القرظي يقول في قول الله [فخلف من بعدهم خلف] الآية قال هم أهل الغرب يملكون وهم شر من ملك، وقال كعب الاحبار والله إني لاجد صفة المنافقين في كتاب الله عز وجل شرابين للقهوات تراكين للصلوات لعابين بالكعبات رقادين عن العتمات مفرطين في الغدوات تراكين للجماعات قال ثم تلا هذه الآية [فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا] وقال الحسن البصري عطلوا المساجد ولزموا الضيعات، وقال أبو الاشهب العطاردي أوحى الله إلى داود عليه السلام ياداود حذر وانذر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وان أهون ما أصنع بالعبد من عبيدي إذا آثر شهوة من شهواته أن أحرمه طاعتي.

وقال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا أبو زيد التميمي عن أبي قبيل انه سمع عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ «إني أخاف على أمتي اثنتين القرآن [1] واللبن» أما اللبن فيتبعون الريف ويتبعون الشهوات ويتركون الصلاة، واما القرآن فيتعلمه المنافقون فيجادلون به المؤمنين، ورواه عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة حدثنا ابو قبيل عن عقبة به مرفوعا بنحوه تفرد به، وقوله [فسوف يلقون غيا] قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس [فسوف يلقون غيا] أي

(١) كذا في النسخة المكية وفي النسخة الاميرية الكتي بدل اللبن

عطاء: الغي واد في جهنم يسيل قيحا ودما، وقال كعب هو واد في جهنم أبعدها قعراً وأشدها حراً فيه بئر تسمى البهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتسعر بها جهنم. أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة أنا محمد بن احمد الحارثي انا محمد بن يعقوب الكسائي انا عبدالله بن محمود انا ابراهيم بن عبدالله الخلال انا عبدالله بن المبارك عن هشيم بن بشير انا زكريا بن ابي مريم الخزاعي قال سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: ان مابين شفير جهنم الى قعرها مسيرة سبعين خريفا من حجر يهوي أو قال صخرة تهوي عظامها كعشر عشروات سمان. فقال له مولى لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد هل تحت ذلك

خسرانا ، وقال قتادة شراً وقال سفيان الثوري وشعبة ومحمد بن اسحاق عن ابي اسحاق السبيعي عن ابي عبيدة عن عبد الله بن مسعود [فسوف يلقون غيا] قال واد في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم وقال الاعمش عن زياد عن ابي عياض في قوله [فسوف يلقون غيا] قال واد في جهنم من قيح ودم

وقال الامام ابو جعفر بن جرير حدثني عباس بن ابي طالب حدثنا محمد بن زياد حدثنا شرقي ابن قطامي عن لقمان بن عامر الخزاعي قال جئت أبا أمامة صدي بن عجلان الباهلي فقلت حدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ فدعا بطعام ثم قال قال رسول الله ﷺ «لو أن صخرة زنة عشر أواق قذف بها من شفير جهنم مابلغت قعرها خمسين خريفا ثم تنتهي الى غي وآثام» قال قلت ماغي وآثام قال « قال بئران في أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار » وهما اللذان ذكرهما الله في كتابه (أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) وقوله في الفرقان (ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما) هذا حديث غريب ورفعه منكر ، وقوله (إلا من تاب وآمن وعمل صالحا) أي إلا من رجع عن ترك الصلوات واتباع الشهوات فان الله يقبل توبته ويحسن عاقبته ويجعله من ورثة جنة النعيم ولهذا قال [فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا] وذلك لان التوبة تجب ماقبلها ، وفي الحديث الآخر « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ولهذا لاينتقص هؤلاء التائبون من أعمالهم شيئا ولا قوبلوا بما عملوه قبلها فينتقص لهم مما عملوه بعدها لان ذلك ذهب هدراً وترك نسيا وذهب مجانا من كرم الكريم وحلم الحليم ، وهذا الاستثناء ههنا كقوله في سورة الفرقان [والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق - الى قوله - وكان الله غفوراً رحيما]

جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا (٦١) لايسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشياً (٦٢) تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً (٦٣)

يقول تعالى الجنات التي يدخلها التائبون من ذنوبهم هي جنات عدن أي اقامة التي وعد الرحمن عباده بظهر الغيب أي هي من الغيب الذي يؤمنون به وما رأوه وذلك لشدة ايقانهم وقوة ايمانهم وقوله [انه كان وعده مأتيا] تأكيد لحصول ذلك وثبوته واستقراره فان الله لا يخلف الميعاد ولا

شيء يا أبا أمامة « قال نعم غي وآثام « وقال الضحاك غيا خسرانا وقيل هلاكا وقيل عذابا . وقوله (فسوف يلقون غيا) ليس مراده يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا*جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ ولم يروها ﴿ إنه كان وعده مأتيا ﴾ يعني آتيا مفعول بمعنى فاعل ، وقيل لم يقل آتيا لان كل من أتاك

يبدله كقوله [وكان وعده مفعولا] أي كائنا لا محالة ، وقوله ههنا [مأتيا] أي العباد صائرون اليه وسيأتونه ومنهم من قال [مأتيا] بمعنى آتيا لان كل ما أتاك فقد أتيته كما تقول العرب أتت علي خمسون سنة وأتيت على خمسين سنة كلاهما بمعنى واحد ، وقوله [لا يسمعون فيها لغواً] أي هذه الجنات ليس فيها كلام ساقط تافه لا معنى له كما قد يوجد في الدنيا، وقوله [إلا سلاما] استثناء منقطع كقوله [لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما] وقوله [ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا] أي في مثل وقت البكرات ووقت العشيات لا ان هناك ليلا ونهاراً ولكنهم في أوقات تتعاقب يعرفون مضيها باضواء وأنوار كما قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتغوطون آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا » أخرجاه في الصحيحين من حديث معمر به ، وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق حدثنا الحارث بن فضيل الانصاري عن محمود بن لبيد الانصاري عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا » تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقال الضحاك عن ابن عباس (لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال مقادير الليل والنهار ، وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم قال سألت زهير بن محمد عن قول الله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال: ليس في الجنة ليل هم في نور أبدا ولهم مقدار الليل والنهار يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب واغلاق الابواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وبفتح الابواب وبهذا الاسناد عن الوليد بن مسلم عن خليد عن الحسن البصري وذكر أبواب الجنة فقال أبواب يرى ظاهرها من باطنها فتكلم وتكلم فتفهم انفتحي انغلقي فتفعل ، وقال قتادة في قوله (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) فيها ساعتان بكرة وعشي ليس ثم ليل ولا نهار وانما هو ضوء ونور . وقال مجاهد ليس بكرة ولا عشي ولكن يؤتون به على ما كانوا

فقد أتيته ، والعرب لا تفرق بين قول القائل أتت علي خمسون سنة وبين قوله أتيت على خمسين سنة . وتقول وصل الي الخير ووصلت الى الخير ، قال ابن جرير (وعده) أي موعوده وهو الجنة (مأتيا) يأتيه أولياؤه وأهل طاعته ﴿ لا يسمعون فيها ﴾ في الجنة ﴿ لغوا ﴾ باطلا وفحشا وفضولا من الكلام ، وقال مقاتل هو اليمين الكاذبة ﴿ إلا سلاما ﴾ استثناء من غير جنسه يعني بل يسمعون فيها سلاما أي قولا يسلمون منه ، والسلام اسم جامع للخير لانه يتضمن السلامة ، معناه إن أهل الجنة لا يسمعون ما يؤذيهم انما يسمعون ما يسلمهم ، وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم ، وقيل هو تسليم الله عليهم ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴾ قال أهل التفسير ليس في الجنة ليل يعرف به البكرة

يشتهون في الدنيا ، وقال الحسن وقتادة وغيرهما كانت العرب الأنعم فيهم من يتغدى ويتعشى فنزل القرآن على ماني أنفسهم من النعيم فقال تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) وقال ابن مهدي عن حماد بن زيد عن هشام عن الحسن (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال البكور يرد على العشي والعشي يرد على البكور ليس فيها ليل ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا سليمان بن منصور بن عمار حدثني أبي حدثني محمد بن زياد قاضي أهل شماط عن عبد الله بن حدير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « مامن غداة من غدوات الجنة وكل الجنة غدوات إلا انه يزف الى ولي الله فيها زوجة من الحور العين أدناهن التي خلقت من الزعفران » قال أبو محمد هذا حديث غريب منكر « وقوله (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) أي هذه الجنة التي وصفنا بهذه الصفات العظيمة هي التي نورثها عبادنا المتقين وهم المطيعون لله عز وجل في السراء والضراء والكاظمون الغيظ والعافون عن الناس وكما قال تعالى في أول سورة المؤمنين (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) الى أن قال (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)

وما نتنزل إلا بأمر ربك له مابين أيدينا وما خلفنا ومابين ذلك وما كان ربك نسيا (٦٤)

رب السموٰت والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبٰدته هل تعلم له سميًّا (٦٥)

قال الامام أحمد حدثنا يعلى ووكيع قالا حدثنا عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لجبرائيل « مايمنعك أن تزورنا أكثر ممـا تزورنا؟ » قال فنزلت (وما نتنزل إلا بأمر ربك) الى آخر الآية . انفرد باخراجه البخاري فرواه عند تفسير هذه الآية عن أبي نعيم عن عمر بن ذر به ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عمر بن ذر به وعندهما

والعشي بل هم في نور أبدا ولكنهم يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار « وقيل انهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخاء الحجب، وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق وكان الحسن البصري يقول كانت العرب لاتعرف من العيش أفضل من الرزق بالبكرة والعشي فوصف الله عز وجل أهل جنته بذلك ﴿ تلك الجنة التي نورث من عبادنا ﴾ أي نعطي وننزل وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا ﴿ من كان تقيا ﴾ أي المتقين من عباده ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك ﴾ أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا خلاد بن يحيي أنا عمر بن ذر قال سمعت أبي يحدث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي ﷺ قال «ياجبريل مايمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا» فنزلت (وما نتنزل إلا بأمر ربك له مابين أيدينا وما خلفنا) الآية . قال كان هـذا الجواب لمحمد ﷺ وقال عكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل والكلبي احتبس جبريل عن النبي ﷺ حين سأله قومه عن

زيادة في آخر الحديث فكان ذلك الجواب لمحمد ﷺ وقال العوفي عن ابن عباس احتبس جبرائيل عن رسول الله ﷺ فوجد رسول الله ﷺ من ذلك وحزن فأتاه جبرائيل وقال يامحمد (وما نتنزل إلا بامر ربك) الآية. وقال مجاهد لبث جبرائيل عن محمد ﷺ اثنتي عشرة ليلة ويقولون أقل فلما جاءه قال « ياجبرائيل لقد رثت علي حتى ظن المشركون كل ظن فنزلت (وما نتنزل إلا بأمر ربك) الآية . قال وهذه الآية كالتي في الضحى وكذلك قال الضحاك بن مزاحم وقتادة والسدي وغير واحد انها نزلت في احتباس جبريل ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة قال أبطأ جبرائيل النزول على النبي ﷺ أربعين يوما ثم نزل فقال له النبي ﷺ «مانزلت حتى اشتقت اليك» فقال له جبريل بل أنا كنت اليك أشوق ولكني مأمور فأوحى الله الى جبرائيل أن قل له (وما نتنزل إلا بأمر ربك) الآية رواه ابن أبي حاتم رحمه الله وهو غريب ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن مجاهد قال أبطأت الرسل على النبي ﷺ ثم أتاه جبريل فقال له « ماحبسك ياجبريل ؟ » فقال له جبريل وكيف نأتيكم وأنتم لاتقصون أظفاركم ولا تنقون براجمكم ولا تأخذون شواربكم ولا تستاكون؟ثم قرأ (وما نتنزل إلا بامر ربك) الى آخر الآية . وقد قال الطبراني حدثنا أبو عامر النحوي حدثنا محمد بن ابراهيم الصوري حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا اسماعيل بن عياش أخبرني ثعلبة بن مسلم عن أبي كعب مولى ابن عباس عن ابن عباس عن النبي ﷺ ان جبرائيل أبطأ عليه فذكر له ذلك فقال وكيف وأنتم لاتستنون ولا تقلمون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون براجمكم؟ وهكذا رواه الامام أحمد عن أبي اليمان عن اسماعيل بن عياش عن ابن عباس بنحوه . وقال الامام أحمد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا المغيرة ابن حبيب عن مالك بن دينار حدثني شيخ من أهل المدينة عن أم سلمة قالت قال لي رسول الله ﷺ « أصلحي لنا المجلس فانه ينزل ملك الى الارض لم ينزل اليها قط » وقوله (له مابين أيدينا وما خلفنا) قيل المراد بما بين أيدينا أمر الدنيا وما خلفنا أمر الآخرة وما بين ذلك مابين النفختين هذا قول أبي العالية وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة في رواية عنهما والسدي والربيع بن أنس وقيل (مابين أيدينا) مايستقبل من أمر الآخرة (وما خلفنا) أي ما مضى من الدنيا (ومابين ذلك) أي

أصحاب الكهف وذي القرنين والروح فقال أخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله حتى شق ذلك على النبي ﷺ ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله ﷺ « أبطأت علي حتى ساء ظني واشتقت اليك» فقال له جبريل اني كنت أشوق ولكني عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست . فأنزل الله (وما نتنزل إلا بأمر ربك) وأنزل (والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وما قلى)

قوله تعالى ﴿ له مابين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك ﴾ أي له علم مابين ايدينا واختلفوا فيه فقال سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل [مابين ايدينا] من امر الآخرة والثواب والعقاب [وما خلفنا] مامضى

ما بين الدنيا والآخرة » يروى نحوه عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وابن جريج والثوري واختاره ابن جرير أيضا والله أعلم . وقوله (وما كان ربك نسيا) قال مجاهد والسدي : معناه مانسيك ربك وقد تقدم عنه ان هذه الآية كقوله (والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وما قلى) وقال ابن أبي حاتم حدثنا يزيد بن محمد بن عبدالصمد الدمشقي حدثنا محمد بن عثمان يعني أبا الجماهر حدثنا اسماعيل بن عياش حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة عن أبيه عن أبي الدرداء يرفعه قال « ماأحل الله في كتابه فهو حلال وما حرمه فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن لينسى شيئا » ثم تلا هذه الآية (وما كان ربك نسيا) وقوله (رب السموات والارض وما بينهما) أي خالق ذلك ومدبره والحاكم فيه والمتصرف الذي لا معقب لحكمه (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هل تعلم للرب مثلا أو شبيها وكذلك قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وابن جريج وغيرهم، وقال عكرمة عن ابن عباس ليس أحد يسمى الرحمن غيره تبارك وتعالى وتقدس اسمه

ويقول الانسٰن أءذا مامت لسوف أخرج حيا (٦٦) أو لا يذكر الانسٰن أنا خلقنه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فوربك لنحشرنهم والشيٰطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا (٧٠)

يخبر تعالى عن الانسان أنه يتعجب ويستبعد إعادته بعد موته كما قال تعالى (وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد) وقال (أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم

من الدنيا (وما بين ذلك) مايكون من هذا الوقت الى قيام الساعة وقيل (مابين ايدينا) من امر الآخرة [وما خلفنا] من امر الدنيا [وما بين ذلك] أي مابين النفختين وبينهما اربعون سنة وقيل مابين ايدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا مامضى منها وما بين ذلك مدة حياتنا وقيل مابين ايدينا بعد أن نموت وما خلفنا قبل أن نخلق وما بين ذلك مدة الحياة وقيل مابين ايدينا من الارض اذا أردنا النزول اليها وما خلفنا السماء اذا نزلنا منها وما بين ذلك الهواء يريد أن ذلك كله لله عز وجل فلا نقدر على شيء إلا بامره ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ أي ناسيا يقول مانسيك ربك أي ما تركك والناسي التارك ﴿ رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته ﴾ أي اصبر على امره ونهيه ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما مثلا وقال سعيد بن جبير عدلا وقال الكلبي هل تعلم أحداً يسمى الله غيره ﴿ ويقول الانسان ﴾ يعني أبي بن خلف الجمحي كان منكراً للبعث قال ﴿ أئذا مامت

مبين *وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وقال هنا (ويقول الانسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا *أو لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) يستدل تعالى بالبداءة على الاعادة ،يعني أنه تعالى قد خلق الانسان ولم يك شيئا أفلا يعيده وقد صار شيئا كما قال تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وفي الصحيح * يقول الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني ،وآذاني ابن آدم ولم يكن له أن يؤذيني ، أما تكذيبه إياي فقوله ان يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من آخره، وأما أذاه إياي فقوله ان لي ولداً وأنا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد * وقوله (فوربك لنحشرنهم والشياطين) أقسم الرب تبارك وتعالى بنفسه الكريمة انه لابد أن يحشرهم جميعا وشياطينهم الذين كانوا يعبدون من دون الله (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) قال العوفي عن ابن عباس يعني قعوداً كقوله (وترى كل أمة جاثية) وقال السدي في قوله جثيا يعني قياما، وروي عن مرة عن ابن مسعود مثله . وقوله(ثم لننزعن من كل شيعة) يعني من كل أمة قاله مجاهد (أيهم أشد على الرحمن عتيا) قال الثوري عن علي بن الاقمر عن أبي الاحوص عن ابن مسعود قال : يحبس الاول على الآخر حتى إذا تكاملت العدة أتاهم جميعا ثم بدأ بالاكابر فالاكابر جرما وهو قوله (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا) وقال قتادة (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا) قال ثم لننزعن من أهل كل دين قادتهم ورؤساءهم في الشر وكذا قال ابن جريج وغير واحد من السلف وهذا كقوله تعالى (حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار - إلى قوله - بما كنتم تكسبون)

لسوف اخرج حيا ﴾ من القبر قاله استهزاء وتكذيبا للبعث

قال الله عز وجل ﴿ أولا يذكر ﴾ أي يتذكر ويتفكر وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب يذكر خفيف ﴿ الانسان ﴾ يعني أبي بن خلف ﴿ أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ﴾ أي لايتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الاعادة ثم اقسم بنفسه فقال﴿ فوربك لنحشرنهم ﴾ أي لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث ﴿ والشياطين ﴾ مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة ﴿ ثم لنحضرنهم حول جهنم ﴾ قيل في جهنم ﴿ جثيا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه جماعات جمع جثوة وقال الحسن والضحاك جمع جاث أي جاثين على الركب قال السدي قائمين على الركب لضيق المكان ﴿ ثم لننزعن ﴾ لنخرجن ﴿ من كل شيعة ﴾ أي من كل امة وأهل دين من الكفار ﴿ أيهم أشد على الرحمن عتيا ﴾ عتواً قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني جرأة وقال مجاهد فجورا يريد الاعتى فالاعتى وقال الكلبي قائدهم ورأسهم في الشر يريد انه يقدم في ادخال النار من هو أكثر جرما وأشد كفرا وفي بعض الآثار انهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم

وقوله (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) ثم ههنا لعطف الخبر على الخبر والمراد انه تعالى أعلم بمن يستحق من العباد ان يصلى بنار جهنم ويخلد فيها وبمن يستحق تضعيف العذاب كما قال في الآية المتقدمة (قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون)

وإن منكم إلا واردها، كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظلمين فيها جثيا (٧٢)

قال الامام أحمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا خالد بن سليمان عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية قال اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال بعضنا يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له إنا اختلفنا في الورود فقال يردونها جميعا، وقال سليمان بن مرة يدخلونها جميعا وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن برداً وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا» غريب ولم يخرجوه، وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن بكار بن أبي مروان عن خالد بن معدان قال قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال قد مررتم عليها وهي خامدة

وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال كان عبد الله بن رواحة واضعاً رأسه في حجر امرأته فبكى فبكت امرأته قال ما يبكيك؟ قالت رأيتك تبكي فبكيت قال اني ذكرت قول الله عز وجل (وإن منكم إلا واردها) فلا أدري أنجو منها ام لا — وفي رواية — وكان

الا كفر فالا كفر ورفع أيهم على معنى الذي يقال لهم [أيهم أشد على الرحمن عتيا] وقيل على الاستئناف ثم لننزعن يعمل في موضع من كل شيعة ﴿ثم لنحن اعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ أي أحق بدخول النار يقال صلي يصلى صليا مثل لقي يلقى لقيا وصلى يصلي صليا مثل مضى يمضي مضيا اذا دخل النار وقاسى حرها ﴿وان منكم إلا واردها﴾ أي وما منكم إلا واردها وقيل القسم فيه مضمر أي والله ما منكم من أحد إلا واردها والورود هو موافاة المكان واختلفوا في معنى الورود ههنا وفيما تنصرف اليه الكناية في قوله [واردها] قال ابن عباس رضي الله عنه وهو قول الاكثرين معنى الورود ههنا هو الدخول والكناية راجعة الى النار وقالوا النار يدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله المتقين فيخرجهم منها والدليل على أن الورود هو الدخول قول الله عز وجل حكاية عن فرعون [يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار] وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الازرق مارى ابن عباس رضي الله عنهما في الورود فقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الدخول وقال نافع ليس الورود الدخول فتلا عبد الله بن عباس رضي الله عنه قوله تعالى [إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون] أدخلها هؤلاء أم لا ثم

مريضا . وقال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا ابن يمان عن مالك بن مغول عن أبي اسحاق كان ابو ميسرة اذا اوى إلى فراشه قال ياليت امي لم تلدني ثم يبكي فقيل له مايبكيك ياابا ميسرة؟ فقال اخبرنا انا واردوها ولم نخبر انا صادرون عنها ، وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري قال قال رجل لاخيه هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك صادر عنها ؟ قال لا قال ففيم الضحك ؟ قال فما رئي ضاحكا حتى لحق بالله . وقال عبد الرزاق ايضا اخبرنا ابن عيينة عن عمرو اخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الازرق فقال ابن عباس الورود الدخول فقال نافع لا، فقرأ ابن عباس (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون) وردوا ام لا وقال (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) أوردها أم لا اما انا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها ام لا وما ارى الله مخرجك منها بتكذيبك فضحك نافع

وروى ابن جريج عن عطاء قال قال ابو راشد الحروري وهو نافع بن الازرق (لا يسمعون حسيسها) فقال ابن عباس ويلك أمجنون أنت أين قوله (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار * ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا * وان منكم إلا واردها) والله ان كان دعاء من مضى : اللهم أخرجني من النار سالما ، وأدخلني الجنة غانما ، وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا اسباط عن عبد الملك عن عبيد الله عن مجاهد قال كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له أبو راشد وهو نافع بن الازرق فقال له ياابن عباس أرأيت قول الله (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا) قال أما أنا وأنت ياأبا راشد فسنردها فانظر هل نصدر عنها ام لا

قال يانافع أما والله انت وأنا سنردها وأنا أرجو أن يخرجني الله منها وما أرى الله عز وجل أن يخرجك منها بتكذيبك. وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا النار لا يدخلها مؤمن أبدا لقوله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها) وقالوا كل من دخلها لا يخرج منها والمراد من قوله (وان منكم إلا واردها) الحضور والرؤية لا الدخول كما قال تعالى (ولما ورد ماء مدين) أراد به الحضور وقال عكرمة الآية في الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال وان منكم إلا واردها يعني القيامة والكناية راجعة اليها والاول أصح وعليه أهل السنة انهم جميعاً يدخلون النار ثم يخرج الله عز وجل منها أهل الايمان بدليل قوله تعالى (ثم ننجي الذين اتقوا) أي اتقوا الشرك وهم المؤمنون والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه لا ماوردت وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف والآخرون بالتشديد والدليل على هذا ما أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر احمد بن الحسين الحيري أنا حاجب بن احمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب أنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال . قال رسول الله ﷺ « لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم » وأراد بالقسم قوله (وان منكم إلا واردها) اخبرنا

وقال أبو داود الطيالسي قال شعبة أخبرني عبد الله بن السائب عمن سمع ابن عباس يقرؤها (وان منهم إلا واردها) يعني الكفار وهكذا روى عمر بن الوليد البستي أنه سمع عكرمة يقرؤها كذلك (وإن منهم إلا واردها) قال وهم الظلمة كذلك كنا نقرؤها، رواه ابن أبي حاتم وابن جرير، وقال العوفي عن ابن عباس قوله (وان منكم إلا واردها) يعني البر والفاجر ألا تسمع إلى قول الله لفرعون (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) الآية (ونسوق المجرمين الى جهنم وردا) فسمي الورود على النار دخولا وليس بصادر.

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن اسرائيل عن السدي عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود (وإن منكم إلا واردها) قال رسول الله ﷺ «يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها باعمالهم» ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عبيد الله عن إسرائيل عن السدي به «ورواه من طريق شعبة عن السدي عن مرة عن ابن مسعود مرفوعا هكذا وقع هذا الحديث ههنا مرفوعا، وقد رواه اسباط عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال: يرد الناس جميعا الصراط وورودهم قيامهم حول النار ثم يصدرون عن الصراط باعمالهم فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل الريح ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل ومنهم من يمر كأجود الابل ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى إن آخرهم مرا رجل نوره على موضع ابهامي قدميه يمر فيتكفأ به الصراط والصراط دحض مزلة عليه حسك كحسك القتاد حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس. وذكر تمام الحديث رواه ابن أبي حاتم

وقال ابن جرير حدثنا خلاد بن أسلم حدثنا النضر حدثنا إسرائيل أخبرنا أبو اسحاق عن أبي

عبد الواحد المليحي أنا احمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا هشام أنا قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير» وقال أبان عن قتادة من ايمان مكان خير اخبرنا أبو المظفر محمد ابن اسماعيل بن علي الشجاعي أنا أبو نصر النعمان بن محمد بن محمود الجرجاني أنا أبو عثمان عمر بن عبد الله البصري أنا محمد بن عبد الوهاب أنا محمد بن الفضل أبو النعمان أنا سلام بن مسكين أنا أبو الظلال عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ «ان رجلا في النار ينادي ألف سنة ياحنان يامنان فيقول الله عز وجل لجبريل اذهب فائتني بعبدي هذا قال فذهب جبريل فوجد أهل النار منكبين يبكون قال فرجع فاخبر ربه عز وجل قال اذهب فانه في موضع كذا وكذا قال فجاء به قال ياعبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك قال يارب شر مكان وشر مقيل قال ردوا عبدي قال ما كنت ارجو أن تعيدني اليها اذا اخرجتني منها قال الله تعالى لملائكته دعوا عبدي» وأما قوله عز وجل (لا يسمعون حسيسها) قيل إن الله عز وجل اخبر عن وقت كونهم في الجنة انهم لا يسمعون حسيسها فيجوز أن يكون قد

الاحوص عن عبد الله قوله (وإن منكم إلا واردها) قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الاولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كاجود الخيل والرابعة كاجود البهائم ثم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم سلم ، ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما من رواية أنس وأبي سعيد وأبي هريرة وجابر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم

وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن الجريري عن أبي السليل عن غنيم بن قيس قال ذكروا ورود النار فقال كعب تمسك النار للناس كأنها بين هالة حتى يستوي عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم ثم يناديها مناد أن امسكي أصحابك ودعي أصحابي قال فتخسف بكل ولي لها هي أعلم بهم من الرجل بولده ويخرج المؤمنون ندية ثيابهم قال كعب مابين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة مع كل واحد منهم عمود ذو شعبتين يدفع به الدفع فيصرع به في النار سبعمائة الف

وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة قالت قال رسول الله ﷺ « اني لارجو أن لايدخل النار ان شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية » قالت فقلت أليس الله يقول (وان منكم إلا واردها) قالت : فسمعته يقول (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)

وقال أحمد أيضا حدثنا ابن ادريس حدثنا الاعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت كان رسول الله ﷺ في بيت حفصة فقال « لايدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية » قالت حفصة أليس الله يقول (وان منكم إلا واردها) فقال رسول الله ﷺ (ثم ننجي الذين اتقوا)

سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة لانه لم يقل لم يسمعوا حسيسها ويجوز أن لايسمعوا حسيسها عند دخولهم إياها لان الله عز وجل يجعلها عليهم بردا وسلاما وقال خالد بن معدان يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة وفي الحديث « تقول النار للمؤمن جز يامؤمن فقد اطفأ نورك لهبي » وروي عن مجاهد في قوله عز وجل [وان منكم إلا واردها] قال من حم من المسلمين فقد وردها وفي الخبر « الحمى كير من جهنم وهي حظ المؤمن من النار اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن المثنى أنا يحيى عن هشام اخبرني أبي عن عائشة عن النبي ﷺ قال « الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء » ﴿ كان على ربك حتما مقضيا ﴾ أي كان ورودكم جهنم حتما لازما مقضيا قضاه الله عليكم ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ أي اتقوا الشرك وقرأ الكسائي ننجي بالتخفيف والباقون بالتشديد ﴿ ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ جميعا وقيل جاثين على الركب وفيه دليل على أن الكل دخلوها ثم اخرج الله منها المتقين وترك فيها الظالمين وهم المشركون اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري قال اخبرني سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي أن ابا هريرة

الآية » وفي الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تحلة القسم » .

وقال عبد الرزاق قال معمر أخبرني الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال « من مات له ثلاثة لم تمسه النار الا تحلة القسم » يعني الورود، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا زمعة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم » قال الزهري كأنه يريد هذه الآية (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا)

وقال ابن جرير حدثني عمران بن بكار الكلاعي حدثنا أبو المغيرة حدثنا عبد الرحمن بن يزيد ابن تميم حدثنا اسماعيل بن عبيد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة قال خرج رسول الله ﷺ يعود رجلا من أصحابه وعك وأنا معه ثم قال « ان الله تعالى يقول هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار في الآخرة » غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه . وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو اليمان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد قال الحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ (وإن منكم إلا واردها)

وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله احد حتى يختمها عشر مرات بنى الله

اخبرهما أن الناس قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال « هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس من دونه سحاب؟» فقالوا لا يارسول الله قال « فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا لا قال « فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فمنهم من يتبع الشمس » ومنهم من يتبع القمر ، ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله عز وجل فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون انت ربنا ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان؟ - قالوا نعم - قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله » ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى اذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرجه ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله أمر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يارب اصرف وجهي عن النار قد قشبني ريحها واحرقني

له قصراً في الجنة» فقال عمر إذا نستكثر يارسول الله فقال رسول الله ﷺ «الله أكثر وأطيب» وقال رسول الله ﷺ «من قرأ الف آية في سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا إن شاء الله ومن حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا باجر سلطان لم ير النار بعينيه إلا تحلة القسم» قال الله تعالى (وان منكم إلا واردها) وان الذكر في سبيل الله يضاعف فوق النفقة بسبعمائة ضعف» وفي رواية بسبعمائة الف ضعف» وروى أبو داود عن أبي الطاهر عن ابن وهب وعن يحيى بن أيوب كلاهما عن زبان عن سهل عن أبيه عن رسول الله ﷺ «إن الصلاة والصيام والذكر يضاعف النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف»

وقال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة قوله (وان منكم إلا واردها) قال هو الممر عليها. وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (وإن منكم إلا واردها) قال ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها وورود المشركين أن يدخلوها» وقال النبي ﷺ «الزالون والزالات يومئذ كثير وقد أحاط بالجسر يومئذ سماطان من الملائكة دعاؤهم ياالله سلم سلم» وقال السدي عن مرة عن ابن مسعود في قوله (كان على ربك حتما مقضيا) قال قسما واجبا

ذكاؤها فيقول هل عسيت ان فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطي الله ماشاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا اقبل به على الجنة ورأى بهجتها سكت ماشاء الله أن يسكت ثم قال يارب قدمني عند باب الجنة فيقول الله تبارك وتعالى أليس قد اعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت؟ فيقول يارب لا أكون اشقى خلقك فيقول فما عسيت إن أعطيت ذلك أن تسأل غيره فيقول لا وعزتك لا أسألك غير ذلك فيعطي ربه ماشاء من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فسكت ماشاء الله أن يسكت فيقول يارب ادخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويلك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي اعطيت؟ فيقول يارب لا تجعلني اشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه فاذا ضحك أذن له في دخول الجنة فيقول تمن فيتمنى حتى اذا انقطعت امنيته قال الله تعالى تمن كذا وكذا اقبل يذكره ربه حتى اذا انتهت به الاماني قال الله تعالى لك ذلك ومثله معه» قال أبو سعيد لأبي هريرة إن رسول الله ﷺ قال «قال الله تعالى لك ذلك وعشرة امثاله» قال أبو هريرة لم احفظ من رسول الله ﷺ إلا قوله «لك ذلك ومثله معه» قال أبو سعيد إني سمعته يقول «ذلك لك وعشرة امثاله» ورواه محمد بن اسماعيل عن محمود بن غيلان أنا عبدالرزاق أنا معمر عن الزهري عن عطاء بن يزيد عن أبي هريرة بمعناه قال «فيأتيهم الله عز وجل في غير الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا أتانا ربنا عرفناه فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه» اخبرنا احمد بن عبدالله

وقال مجاهد حتما قال قضاء وكذا قال ابن جريج وقوله (ثم ننجي الذين اتقوا) أي اذا مر الخلائق كلهم على النار وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي بحسبهم نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون فيخرجون خلقا كثيراً قد أكلتهم النار الادارات وجوههم وهي مواضع السجود واخراجهم اياهم من النار بحسب مافي قلوبهم من الايمان فيخرجون أولا من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان ثم الذي يليه ثم الذي يليه ثم الذي يليه حتى يخرجون من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من ايمان ثم يخرج الله من النار من قال يوما من الدهر لاإله إلا الله ولم يعمل خيراً قط ولا يبقى في النار إلا من وجب عليه الخلود كما وردت بذلك الاحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ ولهذا قال تعالى (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)

واذا تتلى عليهم آيتنا بينت قال الذين كفروا للذين آمنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا؟ (٧٣) وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثثا ورءيا (٧٤)

الصالحي أنا أبو بكر احمد بن الحسين الحيري أنا حاجب بن احمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «يعذب اناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة - قال - فيخرجون فيطرحون على ابواب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما تنبت القثاء في حميل السيل ثم يدخلون الجنة» اخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم علي بن احمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب أنا أبو عيسى الترمذي أنا هناد السري أنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة السلماني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ «إني لاعرف آخر اهل النار خروجا من النار رجل يخرج منها زحفا فيقال له انطلق فادخل الجنة قال فيذهب ليدخل فيجد الناس قد أخذوا المنازل فيرجع فيقول يارب قد أخذ الناس المنازل فيقال له اتذكر الزمان الذي كنت فيه فيقول نعم فيقال له تمن قال فيتمنى فيقال له فان لك الذي تمنيته وعشرة اضعاف الدنيا فيقول أتسخر بي وانت الملك الجبار» قال فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. اخبرنا احمد بن عبد الله أنا أبو بكر احمد بن حسين الحيري أنا حاجب بن احمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنهما عن أم مبشر عن حفصة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله ﷺ «اني لارجو أن لايدخل النار ان شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية» قالت قلت يارسول الله أليس قد قال الله تعالى (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا) قال «فلم تسمعيه يقول (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)» ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا

يخبر تعالى عن الكفار حين تتلى عليهم آيات الله ظاهرة الدلالة بينة الحجة واضحة البرهان انهم يصدون ويعرضون عن ذلك ويقولون عن الذين آمنوا مفتخرين عليهم ومحتجين على صحة ماهم عليه من الدين الباطل بانهم (خير مقاما وأحسن نديا) أي أحسن منازل وأرفع دوراً وأحسن نديا وهو مجتمع الرجال للحديث أي ناديهم أعمر وأ كثر واردا وطارقا يعنون فكيف نكون ونحن بهذه المثابة على باطل واولئك الذين هم مختفون مستترون في دار الارقم بن أبي الارقم ونحوها من الدور على الحق كما قال تعالى مخبراً عنهم (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ماسبقونا اليه) وقال قوم نوح (أنؤمن لك واتبعك الارذلون) وقال تعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) ولهذا قال تعالى راداً عليهم شبهتهم (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) أي وكم من أمة وقرن من المكذبين قد أهلكناهم بكفرهم (هم أحسن أثاثا ورئيا) أي كانوا أحسن من هؤلاء أموالا وأمتعة ومناظر وأشكالا قال الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس (خير مقاما وأحسن نديا) قال المقام المنزل والندي المجلس والاثاث المتاع والرئي المنظر

وقال العوفي عن ابن عباس المقام المسكن والندى المجلس والنعمة والبهجة التي كانوا فيها وهو كما قال الله لقوم فرعون حين أهلكهم وقص شأنهم في القرآن (كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم) فالمقام المسكن والنعيم والندي المجلس والمجمع الذي كانوا يجتمعون فيه . وقال تعالى فيما قص على رسوله من أمر قوم لوط (وتأتون في ناديكم المنكر) والعرب تسمي المجلس النادي ، وقال قتادة لما رأوا أصحاب محمد ﷺ في عيشهم خشونة وفيهم قشافة فعرض أهل الشرك بما تسمعون (أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا) وكذا قال مجاهد والضحاك ومنهم من قال في الاثاث هو المال ومنهم من قال الثياب ومنهم من قال المتاع والرئي المنظر كما قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد ، وقال الحسن البصري يعني الصور ، كذا قال مالك (أثاثا ورئيا) أكثر أموالا وأحسن صوراً والكل متقارب صحيح

بينات ﴾ واضحات ﴿ قال الذين كفروا ﴾ يعني النضر بن الحارث وذويه من قريش ﴿ للذين آمنوا ﴾ يعني فقراء اصحاب النبي ﷺ وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ، ويدهنون رءوسهم ، ويلبسون ثيابهم فقالوا للمؤمنين ﴿ أي الفريقين خير مقاما ﴾ منزلا ومسكنا وهو موضع الاقامة وقرأ ابن كثير مقاما بضم الميم أي اقامة ﴿ وأحسن نديا ﴾ أي مجلسا ومثله النادي فأجابهم الله تعالى فقال ﴿ وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ﴾ أي متاعا واموالا وقال مقاتل لباسا وثيابا ﴿ ورئيا ﴾ قرأ اكثر القراء بالهمز أي منظرا من الرؤية وقرأ ابن عامر وأبو جعفر ونافع غير ورش ريا مشددا بغير همز وله تفسيران أحدهما هو الاول بطرح الهمز والثاني من الري الذي هو ضد العطش ومعناه الارتواء من النعمة فان المتنعم يظهر فيه ارتواء النعمة والفقير

قل من كان في الضللة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا (٧٥)

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم المدعين انهم على الحق وانكم على الباطل (من كان في الضلالة) أي منا ومنكم (فليمدد له الرحمن مداً) أي فأمهله الرحمن فيما هو فيه حتى يلقى ربه وينقضي أجله إما (العذاب) يصيبه (واما الساعة) بغتة تأتيه [فسيعلمون] حينئذ [من هو شر مكانا وأضعف جندا] في مقابلة ما احتجوا به من خيرية المقام وحسن الندي. قال مجاهد في قوله [فليمدد له الرحمن مدا] فليدعه الله في طغيانه هكذا قرر ذلك ابو جعفر ابن جرير رحمه الله وهذه مباهلة للمشركين الذين يزعمون انهم على هدى فيما هم فيه كما ذكر تعالى مباهلة اليهود في قوله [يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين] أي ادعوا بالموت على المبطل منا أو منكم ان كنتم تدعون أنكم على الحق فانه لا يضركم الدعاء فنكلوا عن ذلك وقد تقدم تقرير ذلك في سورة البقرة مبسوطا ولله الحمد وكما ذكر تعالى المباهلة مع النصارى في سورة آل عمران حين صمموا على الكفر واستمروا على الطغيان والغلو في دعواهم أن عيسى ولد الله وقد ذكر الله حججه وبراهينه على عبودية عيسى وانه مخلوق كآدم قال تعالى بعد ذلك [فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين] فنكلوا أيضاً عن ذلك

ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والبقيت الصلحت خير عند ربك ثوابا وخير مردا (٧٦)

لما ذكر تعالى امداد من هو في الضلالة فيما هو فيه وزيادته على ما هو عليه أخبر بزيادة المهتدين هدى كما قال تعالى [وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا] الآيتين

وقوله (والباقيات الصالحات) قد تقدم تفسيرها والكلام عليها وايراد الاحاديث المتعلقة بها في سورة الكهف (خير عند ربك ثوابا) أي جزاءً (وخير مردا) أي عاقبة ومردا على صاحبها، وقال

يظهر عليه ذبول الفقر ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا﴾ هذا امر بمعنى الخبر معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره ﴿حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب﴾ وهو الاسر والقتل في الدنيا ﴿واما الساعة﴾ يعني القيامة فيدخلون النار ﴿فسيعلمون﴾ عند ذلك ﴿من هو شر مكانا﴾ منزلا ﴿واضعف جندا﴾ أقل ناصراً أهم ام المؤمنون لأنهم في النار والمؤمنون في الجنة وهذا رد عليهم في قولهم (أي الفريقين خير مقاما واحسن نديا) ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ أي ايمانا وايقانا على يقينهم ﴿والباقيات الصالحات﴾ الاذكار والاعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها ﴿خير عند ربك ثوابا وخير مردا﴾ عاقبة ومرجعا

عبد الرزاق أخبرنا معمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال جلس رسول الله ﷺ ذات يوم فاخذ عودا يابسا فحط ورقه ثم قال « ان قول لا إله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله تحط الخطايا كما تحط ورق هذه الشجرة الريح خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن هن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة » قال أبو سلمة فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال لأهلان الله ولأكبرن الله ولأسبحن الله حتى إذا رآني الجاهل حسب اني مجنون وهذا ظاهره أنه مرسل ولكن قد يكون من رواية أبي سلمة عن أبي الدرداء والله أعلم ، وهكذا وقع في سنن ابن ماجه من حديث أبي معاوية عن عمر بن راشد عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي الدرداء فذكر نحوه .

أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً (٧٧) أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمٰن عهدا (٧٨) كلا سنكتب مايقول ونمد له من العذاب مدا (٧٩) ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً (٨٠)

قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب بن الارت قال كنت رجلا قينا وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه منه فقال لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثم تبعث قال فانى اذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فاعطيتك فانزل الله (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا الى قوله ـ ويأتينا فردا) أخرجه صاحبا الصحيح وغيرهما من غير وجه عن الاعمش به وفي لفظ البخاري كنت قينا بمكة فعملت للعاص بن وائل سيفا فجئت أتقاضاه فذكر الحديث ، وقال (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) قال موثقا

وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : قال خباب ابن الارت كنت قينا بمكة فكنت اعمل للعاص بن وائل فاجتمعت لي عليه دراهم فجئت لاتقاضاه فقال لي لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا اكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فاذا بعثت كان

قوله ﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا ﴾ أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا احمد ابن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عمر بن حفص أنا أبي أنا الاعمش عن مسلم عن مسروق حدثنا خباب قال كنت قينا فعملت للعاص بن وائل فاجتمع مالي عنده فأتيته أتقاضاه فقال لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت أما والله حتى تموت ثم تبعث قال واني لميت ثم مبعوث قلت نعم قال إنه سيكون لي ثم مال وولد فأقضيك فأنزل الله عز وجل (أفرأيت الذي كفر بآياتنا

لي مال وولد قال فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله [افرأيت الذي كفر بآياتنا] الا يات وقال العوفي عن ابن عباس إن رجالا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمي بدين فأتوه يتقاضونه فقال ألستم تزعمون ان في الجنة ذهبا وفضة وحريراً ومن كل الثمرات قالوا بلى قال فان موعدكم الآخرة فوالله لأوتين مالا وولدا ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به فضرب الله مثله في القرآن فقال (أفرأيت الذي كفر بآياتنا - إلى قوله - ويأتينا فردا) وهكذا قال مجاهد وقتادة وغيرهم إنها نزلت في العاص بن وائل ، وقوله (لأوتين مالا وولدا) قرأ بعضهم بفتح الواو من ولدا وقرأ آخرون بضمها وهو بمعناه قال رؤبة :

الحمد لله العزيز فردا ... لم يتخذ من ولد شيء ولدا

وقال الحارث بن حلزة

ولقد رأيت معاشراً ... قد ثمروا مالا وولدا

وقال الشاعر :

فليت فلانا كان في بطن أمه ... وليت فلانا كان ولد حمار

وقيل إن الولد بالضم جمع والولد بالفتح مفرد وهي لغة قيس والله أعلم، وقوله أطلع الغيب انكار على هذا القائل (لأوتين مالا وولدا) يعني يوم القيامة أي أعلم ماله في الآخرة حتى تألى وحلف على ذلك (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) أم له عند الله عهد سيؤتيه ذلك، وقد تقدم عند البخاري أنه الموثق وقال الضحاك عن ابن عباس (اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا) قال شهادة أن لا إله إلا الله ثم قرأ (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) وقوله (كلا) هي حرف ردع لما قبلها وتأكيد لما بعدها (سنكتب مايقول) أي من طلبه ذلك وحكمه لنفسه بما يتمناه وكفره بالله العظيم (ونمد له) من العذاب (مدا) أي في الدار الآخرة على قوله ذلك وكفره بالله في الدنيا (ونرثه ما يقول) أي من مال وولد نسلبه منه عكس ماقال أنه يؤتى في الدار الآخرة مالا وولدا زيادة على الذي في الدنيا بل في الآخرة يسلب من الذي كان له في الدنيا ، ولهذا قال تعالى (ويأتينا فردا) أي من المال والولد قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ونرثه مايقول) قال نرثه ، وقال مجاهد (ونرثه ما يقول) ماله وولده وذلك الذي قال العاص بن وائل .

وقال لأوتين مالا وولداً) ﴿ أطلع الغيب ﴾ قال ابن عباس أنظر في اللوح المحفوظ ، وقال مجاهد أعلم الغيب حتى يعلم في الجنة هو أم لا ﴿ أم اتخذ عند الرحمن عهدا ﴾ يعني قال لا اله الا الله ، وقال قتادة يعني عمل عملا صالحا قدمه ، وقال الكلبي أعهد اليه أن يدخل الجنة ﴿ كلا ﴾ رد عليه يعني لم يفعل ذلك ﴿ سنكتب ﴾ سنحفظ عليه ﴿ مايقول ﴾ فنجازيه به في الآخرة وقيل نأمر الملائكة حتى يكتبوا مايقول ﴿ ونمد له من العذاب مدا ﴾ أي نزيده عذابا فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه ﴿ ونرثه

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (ونرثه ما يقول) قال ما عنده وهو قوله (لاوتين مالا وولدا) وفي حرف ابن مسعود ونرثه ماعنده ، وقال قتادة (ويأتينا فردا) لامال له ولا ولد وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ونرثه مايقول) قال ماجمع من الدنيا وماعمل فيها قال (ويأتينا فردا) قال فردا من ذلك لا يتبعه قليل ولا كثير

واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا (٨١) كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا (٨٢) ألم تر أنا أرسلنا الشيٰطين على الكٰفرين تؤزهم أزا (٨٣) فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا (٨٤)

يخبر تعالى عن الكفار المشركين بربهم أنهم اتخذوا من دونه آلهة لتكون تلك الآلهة (عزا) يعتزون بها ويستنصرونها ثم أخبر أنه ليس الامر كما زعموا ولا يكون ماطمعوا قال (كلا سيكفرون بعبادتهم) أي يوم القيامة (ويكونون عليهم ضدا) أي بخلاف ما ظنوا فيهم كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون* وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقرأ ابو نهيك (كل سيكفرون بعبادتهم) وقال السدي (كلا سيكفرون بعبادتهم) أي بعبادة الاوثان وقوله [ويكونون عليهم ضدا] أي بخلاف مارجوا منهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [ويكونون عليهم ضدا] قال أعوانا قال مجاهد عونا عليهم تخاصمهم وتكذبهم ، وقال العوفي عن ابن عباس [ويكونون عليهم ضدا] قال قرناء وقال قتادة قرناء في النار يلعن بعضهم بعضا ويكفر بعضهم ببعض ، وقال السدي [ويكونون عليهم ضدا] قال الخصماء الاشداء في الخصومة وقال الضحاك [ويكونون عليهم ضدا] قال أعداء ، وقال ابن زيد الضد البلاء ، وقال عكرمة الضد الحسرة .

مايقول ﴾ أي ماعنده من المال والولد باهلاكنا اياه وابطاله ملكه وقوله مايقول لانه زعم أن له مالا وولداً في الآخرة أي لانعطيه ونعطي غيره فيكون الارث راجعاً الى ماتحت القول لا الى نفس القول وقيل معنى قوله [ونرثه مايقول] أي نحفظ مايقول حتى نجازيه به ﴿ ويأتينا فرداً ﴾ يوم القيامة بلا مال ولاولد ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ﴾ يعني مشركي قريش اتخذوا الاصنام آلهة يعبدونها ﴿ ليكونوا لهم عزاً ﴾ أي منعة يعني يكونون لهم شفعاء يمنعونهم من العذاب ﴿ كلا ﴾ أي ليس الامر كما زعموا ﴿ سيكفرون بعبادتهم ﴾ أي يجحد الاصنام والآلهة التي كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرءون منهم كما أخبر الله تعالى (تبرأنا اليك ماكانوا ايانا يعبدون) ﴿ ويكونون عليهم ضداً ﴾ أي اعداء لهم وكانوا

وقوله [ألم تر انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس تغويهم اغواء ، وقال العوفي عنه تحرضهم على محمد وأصحابه ، وقال مجاهد تشليهم إشلاء ، وقال قتادة تزعجهم إزعاجا إلى معاصي الله ، وقال سفيان الثوري تغريهم إغراء وتستعجلهم استعجالا ، وقال السدي تطغيهم طغيانا ، وقال عبد الرحمن بن زيد هذا كقوله تعالى [ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين]

وقوله [فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا] أي لا تعجل يا محمد على هؤلاء في وقوع العذاب بهم [إنما نعد لهم عدا] أي إنما نؤخرهم لاجل معدود مضبوط وهم صائرون لا محالة الى عذاب الله ونكاله وقال [ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون] الآية [فمهل الكافرين أمهلهم رويدا * إنما نملي لهم ليزدادوا إثما * نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ * قل تمتعوا فان مصيركم إلى النار] وقال السدي انما نعد لهم عدا السنين والشهور والايام والساعات ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [إنما نعد لهم عدا] قال نعد أنفسهم في الدنيا

يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا (٨٥) ونسوق المجرمين الى جهنم وردا (٨٦) لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا (٨٧)

يخبر تعالى عن أوليائه المتقين الذين خافوه في الدار الدنيا واتبعوا رسله وصدقوهم فيما أخبروهم واطاعوهم فيما أمروهم به وانتهوا عما عنه زجروهم أنه يحشرهم يوم القيامة وفدا اليه والوفد هم القادمون ركبانا ومنه الوفود وركوبهم على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة وهم قادمون على خير موفود اليه إلى دار كرامته ورضوانه واما المجرمون المكذبون للرسل المخالفون لهم فانهم يساقون عنفا الى النار (وردا) عطاشا قاله عطاء وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد وههنا يقال (أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن خالد عن عمرو بن قيس الملائي عن ابن مرزوق (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) قال يستقبل المؤمن عند خروجه من قبره أحسن صورة

أولياءهم في الدنيا وقيل أعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين ﴾ أي سلطناهم عليهم وذلك حين قال لابليس (واستفزز من استطعت منهم بصوتك) الآية ﴿ تؤزهم أزا ﴾ تزعجهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية والاز والهز التحريك أي تحركهم وتحثهم على المعاصي ﴿ فلا تعجل عليهم ﴾ أي لا تطلب عقوبتهم ﴿ إنما نعد لهم عداً ﴾ قال الكلبي يعني الليالي والايام والشهور والاعوام وقيل الانفاس التي يتنفسون بها في الدنيا إلى الاجل الذى أجل لعذابهم

﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾ أي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي يجتمع فيه من اتقى الله

رآها وأطيبها ريحا فيقول من أنت ؟ فيقول أما تعرفني ؟ فيقول لا إلا ان الله قد طيب ريحك وحسن وجهك . فيقول أنا عملك الصالح وهكذا كنت في الدنيا حسن العمل طيبه فطالما ركبتك في الدنيا فهلم اركبني فيركبه فذلك قوله (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) قال ركبانا ، وقال ابن جرير حدثني ابن المثنى حدثنا ابن مهدي عن سعيد عن اسماعيل عن رجل عن أبي هريرة (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) قال على الابل وقال ابن جريج على النجائب ، وقال الثوري على الابل النوق ، وقال قتادة (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) قال الى الجنة ، وقال عبد الله بن الامام أحمد في مسند أبيه حدثنا سويد بن سعيد أخبرنا علي بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق حدثنا النعمان بن سعيد قال كنا جلوسا عند علي رضي الله عنه فقرأ هذه الآية [يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا] قال لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولا يحشر الوفد على أرجلهم ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة. وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عبد الرحمن بن إسحاق المدني به وزاد عليها رحائل الذهب وأزمتها الزبرجد والباقي مثله . وروى ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا جدا مرفوعا عن علي فقال حدثنا أبي حدثنا أبو غسان مالك بن اسماعيل النهدي حدثنا مسلمة بن جعفر البجلي سمعت أبا معاذ البصري قال ان عليا كان ذات يوم عند رسول الله ﷺ فقرأ هذه الآية [يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا] فقال ما أظن الوفد إلا الركب يارسول الله ، فقال النبي ﷺ ، والذي نفسي بيده انهم اذا خرجوا من قبورهم يستقبلون أو يؤتون بنوق بيض لها أجنحة وعليها رحال الذهب شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينتهون الى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحداهما فتغسل ما في بطونهم من دنس ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا اشعارهم بعدها أبدا وتجري عليهم نضرة النعيم فينتهون أو فيأتون باب الجنة فاذا حلقه من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفحة فيسمع لها طنين ياعلي فيبلغ كل حوراء ان زوجها قد أقبل فتبعث قيمها فيفتح له فاذا رآه خر له - قال مسلمة أراه قال ساجدا - فيقول ارفع رأسك فانما أنا قيمك وكلت بأمرك فيتبعه ويقفو أثره فتستخف الحوراء العجلة فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتنقه ثم تقول أنت حبي وأنا حبك وأنا الخالدة التي لا أموت وأنا الناعمة التي لا أبأس وأنا الراضية التي لا أسخط وأنا المقيمة التي لا أظعن فيدخل بيتا من أسه الى سقفه مائة ألف ذراع بناؤه على جندل اللؤلؤ طرائق أحمر وأصفر وأخضر ليس منها طريقة تشاكل صاحبتها ، وفي

في الدنيا بطاعته إلى الرحمن أي إلى جنته وفدا أي جماعات جمع وافد مثل راكب وركب وصاحب وصحب وقال ابن عباس ركبانا وقال أبو هريرة على الابل وقال علي بن أبي طالب ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالها الذهب ونجائب سرجها يواقيت إن هموا بها سارت وإن هموا

البيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون حشية على كل حشية سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الحلل يقضي جماعها في مقدار ليلة من لياليكم ، هذه الأنهار من تحتهم تطرد أنهار من ماء غير آسن قال صاف لا كدر فيه وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ولم يخرج من ضروع الماشية وأنهار من خمر لذة للشاربين لم يعتصرها الرجال بأقدامهم وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل فيستجلى الثمار فان شاء أكل قائما وإن شاء قاعداً متكئا ثم تلا [ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا) فيشتهي الطعام فيأتيه طير أبيض وربما قال خضر فترفع أجنحتها فيأكل من جنوبها أي الالوان شاء ثم تطير فتذهب فيدخل الملك فيقول سلام عليكم (تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون) ولو أن شعرة من شعر الحوراء وقعت لاهل الارض لأضاءت الشمس معها سواد في نور » هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعا وقد رويناه في المقدمات من كلام علي رضي الله عنه بنحوه وهو أشبه بالصحة والله أعلم. وقوله (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) أي عطاشا (لا يملكون الشفاعة) أي ليس لهم من يشفع لهم كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض كما قال تعالى مخبراً عنهم (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) وقوله (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) هذا استثناء منقطع بمعنى لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً وهو شهادة أن لا إله الا الله والقيام بحقها ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (الا من اتخذ عند الرحمن عهداً) قال العهد شهادة أن لا إله الا الله ويبرأ الى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله عز وجل . وقال ابن أبي حاتم حدثنا عثمان بن خالد الواسطي حدثنا محمد بن الحسن الواسطي عن المسعودي عن عون بن عبدالله عن أبي فاختة عن الاسود بن يزيد قال قرأ عبدالله يعني ابن مسعود هذه الآية (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) ثم قال اتخذوا عند الله عهدا فان الله يقول يوم القيامة من كان له عند الله عهد فليقم قالوا يا أبا عبدالرحمن فعلمنا قال قولوا اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة فاني أعهد اليك في هذه الحياة الدنيـا أن لا تكلني إلى عمل يقربني من الشر ويباعدني من الخير واني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهداً تؤديه الي يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد. قال المسعودي فحدثني زكريا عن القاسم بن عبدالرحمن أخبرنا ابن مسعود وكان يلحق بهن : خائفاً مستجيراً مستغفراً راهبا راغباً اليك. ثم رواه من وجه آخر عن المسعودي

وقالوا اتخذ الرحمن ولداً (٨٨) لقد جئتم شيئا إدًّا (٨٩) تكاد السموات يتفطرن منه

بها طارت ﴿ ونسوق المجرمين ﴾ الكافرين الكاذبين ﴿ الى جهنم وردا ﴾ أى مشاة وقيل عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد أحد الماء الا بعد عطش ﴿ لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا ﴾ يعني لا اله الا الله وقيل معناه لا يشفع الشافعون الا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا يعني المؤمنين كقوله (لا يشفعون الا لمن ارتضى من رسول) وقيل لا يشفع الا من شهد أن لا اله الا الله أي لا يشفع الا المؤمن ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴾ يعني اليهود والنصارى ومن

وتنشق الارض وتخر الجبال هدًّا (٩٠) أن دعوا للرحمٰن ولدا (٩١) وما ينبغي للرحمٰن أن يتخذ ولدا (٩٢) ان كل من في السموٰت والارض الا آتي الرحمٰن عبدا (٩٣) لقد أحصٰهم وعدهم عدا (٩٤) وكلهم آتيه يوم القيٰمة فردا (٩٥)

لما قرر تعالى في هذه السورة الشريفة عبودية عيسى عليه السلام وذكر خلقه من مريم بلا أب شرع في مقام الانكار على من زعم أن له ولداً تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيرا فقال (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم) أي في قولكم هذا (شيئا اداً) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك أي عظيما ويقال أداً بكسر الهمزة وفتحها ومع مدها أيضاً ثلاث لغات أشهرها الاولى وقوله (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا) أي يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم اعظاما للرب واجلالا لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده وانه لا اله الا هو ، وانه لاشريك له ولا نظير له ولا ولد له ولا صاحبة له ولا كفء له بل هو الاحد الصمد

وفي كل شيء له آية تدل على انه الواحد

قال ابن جرير حدثني علي حدثنا عبدالله حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا) قال ان الشرك فزعت منه السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت أن تزول منه لعظمة الله وكما لا ينفع مع الشرك احسان المشرك كذلك نرجوا أن يغفر الله ذنوب الموحدين « وقال رسول الله ﷺ « لقنوا موتاكم شهادة أن لااله الا الله فمن قالها عند موته وجبت له الجنة » فقالوا يارسول الله فمن قالها في صحته ؟ قال تلك أوجب وأوجب ثم قال « والذي نفسي بيده لو جيء بالسموات والارضين

زعم أن الملائكة بنات الله وقرأ حمزة والكسائي ولداً بضم الواو وسكون اللام ههنا وفي الزخرف وسورة نوح ووافق ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في سورة نوح والباقون بفتح الواو واللام ههنا وهما لغتان مثل العرب والعرب والعجم والعجم ﴿ لقد جئتم شيئاً إدا ﴾ قال ابن عباس منكراً وقال قتادة ومجاهد عظيما وقال مقاتل لقد قلتم قولا عظيما والاد في كلام العرب أعظم الدواهي ﴿ تكاد السموات ﴾ قرأ نافع والكسائي يكاد بالياء ههنا ، وفي حمعسق لتقدم الفعل ، وقرأ الباقون بالتاء لتأنيث السموات ﴿ يتفطرن منه ﴾ ههنا وفي حمعسق بالنون من الانفطار ابو عمرو وابو بكر ويعقوب ووافق ابن عامر وحمزة ههنا لقوله تعالى (اذا السماء انفطرت ■ والسماء منفطر) وقرأ الباقون بالتاء من التفطر ومعناهما واحد يقال انفطر الشيء وتفطر أى تشقق ﴿ وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ﴾ أي

وما فيهن وما بينهن وما تحتهن فوضعن في كفة الميزان ووضعت شهادة أن لا اله الا الله في الكفة الاخرى لرجحت بهن » هكذا رواه ابن جرير ويشهد له حديث البطاقة والله أعلم

وقال الضحاك (تكاد السموات يتفطرن منه) أي يتشققن فرقا من عظمة الله، وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم وتنشق الارض أي غضبا له عزوجل وتخر الجبال هدا قال ابن عباس هدما ، وقال سعيد بن جبير هدا ينكسر بعضها على بعض متتابعات . وقال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن عبدالله ابن سويد المقبري حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا مسعر عن عون بن عبدالله قال إن الجبل لينادي الجبل باسمه يافلان هل مر بك اليوم ذكر الله عز وجل فيقول نعم ويستبشر ، قال عون لهي للخير أسمع أفيسمعن الزور والباطل إذا قيل ولا يسمعن غيره ثم قرأ (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا)

وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا هودة حدثنا عوف عن غالب بن عجرد حدثني رجل من أهل الشام في مسجد منى قال بلغني أن الله لما خلق الارض وخلق مافيها من الشجر لم يكن في الارض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها منفعة — أو قال — كان لهم فيها منفعة ولم تزل الارض والشجر بذلك حتى تكلم فجرة بني آدم بتلك الكلمة العظيمة قولهم اتخذ الرحمن ولدا فلما تكلموا بها اقشعرت الارض وشاك الشجر . وقال كعب الاحبار غضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا ما قالوا . وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن سعيد بن جبير عن أبي عبدالرحمن السلمي عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا احد أصبر على أذى سمعه من الله أن يشرك به ويجعل له ولد وهو يعافيهم ويدفع عنهم ويرزقهم » أخرجاه في الصحيحين وفي لفظ « انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم »

وقوله (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) أي لا يصلح له ولا يليق بجلاله وعظمته لانه لا كفء له من خلقه لان جميع الخلائق عبيد له ولهذا قال (ان كل من في السموات والارض إلا آتي الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدهم عدا) أي قد علم عددهم منذ خلقهم الى يوم القيامة ذكرهم وأنثاهم

تنكسر كسرا وقيل تنشق الارض أي تنخسف بهم والانفطار في السماء أن تسقط عليهم وتخر الجبال هدا أي تنطبق عليهم ﴿ أن دعوا ﴾ أي من أجل أن جعلوا ﴿ للرحمن ولدا ﴾ قال ابن عباس وكعب فزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين وكادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا لله ولد ثم نفى الله عن نفسه الولد فقال ﴿ وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ﴾ أي مايليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به ﴿ إن كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن ﴾ أي الا آتيه يوم القيامة ﴿ عبدا ﴾ ذليلا خاضعا يعني الخلق كلهم عبيده ﴿ لقد أحصاهم وعدهم عدا ﴾ أي عد أنفاسهم وأيامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شيء ﴿ وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ وحيدا ليس

وصغيرهم وكبيرهم (وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) اي لا ناصر له ولا مجير إلا الله وحده لا شريك له فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة ولا يظلم أحداً

ان الذين آمنوا وعملوا الصلحت سيجعل لهم الرحمن وُدا (٩٦) فانما يسرنه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لُدا (٩٧) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تُحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا (٩٨)

يخبر تعالى انه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات وهي الاعمال التي ترضي الله عز وجل لمتابعتها الشريعة المحمدية — يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة وهذا امر لابد منه ولا محيد عنه وقد وردت بذلك الاحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ من غير وجه قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا ابو عوانة حدثنا سهيل عن ابيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ان الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال يا جبريل اني احب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل قال ثم ينادي في أهل السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه قال فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وان الله إذا أبغض عبداً دعا جبريل فقال ياجبريل اني أبغض فلانا فابغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله يبغض فلانا فابغضوه قال فيبغضه أهل السماء ثم يوضع له البغضاء في الارض » ورواه مسلم من حديث سهيل ورواه أحمد والبخاري من حديث ابن جريج عن موسى بن عتبة عن نافع مولى ابن عمر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون أبو محمد المرائي حدثنا محمد بن عباد المخزومي عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « إن العبد ليلتمس مرضاة الله عز وجل فلا يزال كذلك فيقول الله عز وجل لجبريل ان فلانا عبدي يلتمس أن يرضيني ألا وان رحمتي عليه فيقول جبريل « رحمة الله على فلان ويقولها حملة العرش ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل السموات السبع ثم يهبط إلى الارض » غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه

وقال الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن محمد بن سعد الواسطي عن أبي ظبية عن أبي امامة قال: قال رسول الله ﷺ « ان المقة من الله - قال شريك هي المحبة - والصيت من السماء

معه من الدنيا شيء . ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ أي محبة قال مجاهد يحبهم الله ويحببهم الى عباده المؤمنين . أنا ابو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت أنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبدالصمد الهاشمي أنا ابو مصعب عن مالك عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « اذا أحب الله

فاذا أحب الله عبداً قال لجبريل عليه السلام أني أحب فلانا فينادي جبريل ان ربكم يمق ـ يعني يحب ـ فلانا فأحبوه ـ أري شريكا قد قال فتنزل له المحبة في الارض ـ وإذا أبغض عبداً قال لجبريل اني أبغض فلانا فابغضه قال فينادي جبريل ان ربكم يبغض فلانا فابغضوه ـ أرى شريكا قال ـ فيجري له البغض في الارض» غريب ولم يخرجوه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو داود الحفري حدثنا عبد العزيز ـ يعني ابن محمد ـ وهو الدراوردي عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال «اذا أحب الله عبداً نادى جبريل اني قد أحببت فلانا فأحبه فينادي في السماء ثم ينزل له المحبة في أهل الارض فذلك قول الله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا)» ورواه مسلم والترمذي كلاهما عن عبدالله عن قتيبة عن الدراوردي به وقال الترمذي حسن صحيح ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (سيجعل لهم الرحمن ودا) قال حباً وقال مجاهد عنه سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة في الناس في الدنيا وقال سعيد بن جبير عنه يحبهم ويحببهم يعني إلى خلقه المؤمنين كما قال مجاهد أيضا والضحاك وغيرهم . وقال العوفي عن ابن عباس أيضاً «الود من المسلمين في الدنيا والرزق الحسن واللسان الصادق ، وقال قتادة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) أي والله في قلوب أهل الايمان ، وذكر لنا ان هرم بن حيان كان يقول ماأقبل عبد بقلبه الى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم

وقال قتادة وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول مامن عبد يعمل خيراً أوشراً إلا كساه الله عز وجل رداء عمله » وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن الربيع بن صبيح عن الحسن البصري رحمه الله قال قال رجل والله لأعبدن الله عبادة أذكر بها فكان لا يرى في حين صلاة إلا قائما يصلي وكان أول داخل إلى المسجد وآخر خارج فكان لا يعظم فمكث بذلك سبعة أشهر وكان لايمر على قوم إلاقالوا انظروا الى هذا المرائي فأقبل على نفسه فقال لاأراني أذكر إلا بشر لأجعلن عملي كله لله عز وجل فلم يزد على أن قلب نيته ولم يزد على العمل الذي كان يعمله فكان يمر بعد بالقوم فيقولون رحم الله فلانا الآن وتلا الحسن (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) سيجعل لهم الرحمن ودا وقد روى ابن جرير أثراً ان هذه الآية نزلت في هجرة عبدالرحمن ابن عوف وهو خطأ فان هذه السورة بكمالها مكية لم ينزل منها شيء بعد الهجرة ولم يصح سند ذلك والله أعلم

العبد قال لجبرائيل قد أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادي في أهل السماء ان الله عز وجل قد أحب فلانا فأحبوه» فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض، واذ أبغض العبد قال مالك لاأحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك . قال هرم بن حيان ما أقبل عبد بقلبه الى الله عز وجل الا أقبل الله بقلوب أهل الايمان اليه حتى يرزقه مودتهم ﴿ فانما يسرناه بلسانك ﴾ أي سهلنا القرآن بلسانك يامحمد ﴿ لتبشر

وقوله(فانما يسرناه) يعني القرآن بلسانك أي يا محمد وهو اللسان العربي المبين الفصيح الكامل لتبشر به المتقين أي المستجيبين لله المصدقين لرسوله وتنذر به قوماً لدا أي عوجا عن الحق مائلين إلى الباطل ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوما لدا لا يستقيمون ، وقال الثوري عن اسماعيل وهو السدي عن أبي صالح وتنذر به قوما لداً عوجا عن الحق ، وقال الضحاك الألد الخصم وقال القرظي الألد الكذاب ، وقال الحسن البصري قوما لدا صما وقال غيره صم آذان القلوب ، وقال قتادة قوما لدا يعني قريشا ، وقال العوفي عن ابن عباس قوما لدا فجارا وكذا روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد ، وقال ابن زيد الالد الظلوم وقرأ قوله تعالى (وهو ألد الخصام)

وقوله(وكم أهلكنا قبلهم من قرن) اي من امة كفروا بآيات الله وكذبوا رسله (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا)أي هل ترى منهم احدا او تسمع لهم ركزا قال ابن عباس وأبو العالية وعكرمة والحسن البصري وسعيد بن جبير والضحاك وابن زيد يعني صوتا ، وقال الحسن وقتادة هل ترى عينا اوتسمع صوتا ، والركز في اصل اللغة هو الصوت الخفي ، قال الشاعر

فتوحشت ركز الانيس فراعها عن ظهر غيب والانيس سقامها

﴿ آخر تفسير سورة مريم ولله الحمد والمنة ﴾

﴿ ويتلوه ان شاء الله تفسير سورة طه ولله الحمد ﴾

به المتقين ﴾ يعني المؤمنين ﴿ وتنذر به قوما لدا ﴾ شدادا في الخصومة جمع الالد ، وقال الحسن صما عن الحق قال مجاهد الألد الظالم الذي لا يستقيم قال أبو عبيدة الالد الذي لا يقبل الحق ويدعي الباطل ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس ﴾ هل ترى وقيل هل تجد ﴿ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ﴾ أي صوتا والركز الصوت الخفي قال الحسن أي بادوا جميعاً

فلم يبق منهم عين ولا أثر



تفسير سورة طه وهي مكية

روى امام الائمة محمد بن اسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد عن زياد بن ايوب عن ابراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا ابراهيم بن مهاجر بن مسار عن عمر بن حفص بن ذكوان عن مولى الحرمة — يعني عبد الرحمن بن يعقوب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ان الله قرأ طه ويس قبل ان يخلق آدم بألف عام فلما سمعت الملائكة قالوا طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسن تتكلم بهذا » هذا حديث غريب وفيه نكارة، وابراهيم بن مهاجر وشيخه تكلم فيهما

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

طه (١) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (٢) إلا تذكرة لمن يخشى (٣) تنزيلا ممن خلق الأرض والسموٰت العلى (٤) الرحمٰن على العرش استوى (٥) له ما في السموٰت وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى (٦) وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى (٧) الله لا اله الا هو، له الاسماء الحسنى (٨)

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته، وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسين بن محمد بن شيبة الواسطي حدثنا ابو احمد — يعني الزبيري انبأنا اسرائيل عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال طه يارجل وهكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد بن كعب وأبي مالك وعطية العوفي والحسن وقتادة والضحاك والسدي

﴿ سورة طه مكية ﴾

وهي مائة وخمس وثلاثون أو اربعون أو ثنتان آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا ابن أبي أويس حدثني أبي عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « اعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الاول » واعطيت طه والطواسين من الواح موسى، واعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي ذكرت فيها البقرة من كنز تحت العرش، واعطيت المفصل نافلة ﴿ طه ﴾ قرأ أبو عمرو بفتح الطاء وكسر الهاء وبكسرهما حمزة والكسائي وأبو بكر والباقون

وابن أبزى أنهم قالوا ياطه بمعنى يارجل ، وفي رواية عن ابن عباس وسعيد بن جبير والثوري أنها كلمة بالنبطية معناها يارجل ، وقال أبو صالح هي معربة وأسند القاضي عياض في كتابه الشفاء من طريق عبد بن حميد في تفسيره حدثنا هاشم بن القاسم عن جعفر عن الربيع بن أنس قال كان النبي ﷺ إذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى (طه) يعني طأ الأرض يامحمد (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) ثم قال ولا يخفى ما في هذا من الاكرام وحسن المعاملة وقوله (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) قال جويبر عن الضحاك لما أنزل الله القرآن على رسوله ﷺ قام به هو وأصحابه فقال المشركون من قريش ما أنزل هذا القرآن على محمد إلا ليشقى، فانزل الله تعالى (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى) فليس الامر كما زعمه المبطلون بل من آتاه الله العلم فقد أراد به خيراً كثيراً كما ثبت في الصحيحين عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » وما أحسن الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في ذلك حيث قال حدثنا أحمد بن زهير حدثنا العلاء بن سالم حدثنا ابراهيم الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن سفيان عن سماك بن حرب عن ثعلبة بن الحكم قال : قال رسول ﷺ « يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لقضاء عباده اني لم أجعل علمي وحكمتي فيكم إلا وأنا أريد أن اغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي » اسناده جيد وثعلبة بن الحكم هذا هو الليثي ذكره أبو عمرو في استيعابه ، وقال نزل البصرة ثم تحول إلى الكوفة ، وروى عنه سماك بن حرب ، وقال مجاهد في قوله (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) هي كقوله فاقرءوا ماتيسر منه وكانوا يعلقون الحبال بصدورهم في الصلاة وقال قتادة (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) لا والله ما جعله شقاء ولكن جعله رحمة ، نورا ودليلا إلى الجنة (إلا تذكرة لمن يخشى) ان الله أنزل كتابه وبعث رسوله رحمة رحم بها عباده ليتذكر ذاكر وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه، وقوله (تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى) أي هذا القرآن الذي جاءك يامحمد هو تنزيل من ربك رب كل شيء ومليكه القادر على مايشاء الذي خلق الارض بانخفاضها وكثافتها وخلق السموات العلى في ارتفاعها ولطافتها ، وقد جاء في الحديث

بفتحهما قيل هو قسم وقيل اسم من اسماء الله تعالى وقال مجاهد والحسن وعطاء والضحاك معناه يارجل وقال قتادة يارجل بالسريانية وقال الكلبي هو بالنسان بلغة عكل وقال مقاتل معناه طأ الأرض بقدميك يريد في التهجد ، وقال محمد بن كعب القرظي هو قسم اقسم الله عز وجل بطوله وهدايته قال سعيد بن جبير الطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هاد قال الكلبي لما نزل على رسول الله ﷺ الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فانزل الله هذه الآية وأمره أن يخفف على نفسه فقال ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ وقيل لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن يامحمد إلا لشقائك فنزلت

الذي صححه الترمذي وغيره أن سمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام وبعد ما بينها والتي تليها مسيرة خمسمائة عام ، وقد أورد ابن أبي حاتم ههنا حديث الاوعال من رواية العباس عم رسول الله ﷺ ورضي الله عنه ، وقوله (الرحمن على العرش استوى) تقدم الكلام على ذلك في سورة الاعراف بما أغنى عن إعادته أيضا وأن المسلك الاسلم في ذلك طريقة السلف إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكييف ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ، وقوله (له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى) أي الجميع ملكه وفي قبضته وتحت تصرفه ومشيئته وارادته وحكمه ، وهو خالق ذلك ومالكه وإلهه لا إله سواه ولا رب غيره وقوله (وما تحت الثرى) قال محمد بن كعب أي ماتحت الارض السابعة ، وقال الاوزاعي إن يحيى بن أبي كثير حدثه أن كعبا سئل فقيل له ماتحت هذه الارض ، فقال الماء قيل وما تحت الماء ؟ قال الارض قيل وماتحت الارض قال الماء قيل وماتحت الماء؟ قال الارض قيل وما تحت الارض ، قال الماء قيل وما تحت الماء ؟ قال الارض قيل وماتحت الارض ؟ قال الماء قيل وما تحت الماء ؟ قال الارض قيل وما تحت الارض ، قال الصخرة قيل وماتحت الصخرة ؟ قال ملك قيل وماتحت الملك ، قال حوت معلق طرفاه بالعرش قيل وما تحت الحوت ، قال الهواء والظلمة وانقطع العلم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبيد الله بن أخي بن وهب حدثنا عمي حدثنا عبد الله بن عياش حدثنا عبد الله بن سليمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « إن الارضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام والعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء والحوت على صخرة والصخرة بيد الملك والثانية سجن الريح والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم والخامسة فيها حيات جهنم والسادسة فيها عقارب جهنم والسابعة فيها سقر وفيها إبليس مصفد بالحديد يد أمامه ويد خلفه فاذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء أطلقه ، وهذا حديث غريب جدا ورفعه فيه نظر ، وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا أبو موسى الهروي عن العباس بن الفضل قال قلت ابن الفضل الانصاري؟ قال نعم عن القاسم بن عبد الرحمن عن محمد بن

(ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) أي لتعنى وتتعب وأصل الشقاء في اللغة العناء ﴿ إلا تذكرة لمن يخشى ﴾ أي لكن انزلناه عظة لمن يخشى وقيل تقديره (ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) ما انزلناه (إلا تذكرة لمن يخشى) ﴿ تنزيلا ﴾ بدل من قوله تذكرة ﴿ ممن خلق الارض ﴾ أي من الله الذي خلق الارض ﴿ والسموات العلى ﴾ يعني العالية الرفيعة وهي جمع العليا كقولهم كبرى وكبر وصغرى وصغر ﴿ الرحمن على العرش استوى ، له ما في السموات وما في الارض وما بينهما ﴾ يعني الهواء ﴿ وما تحت الثرى ﴾ والثرى هو التراب الندي قال الضحاك يعني ماوارى الثرى من شيء وقال ابن عباس ، ان الارضين على ظهر النون والنون على متن بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش

علي عن جابر بن عبد الله قال كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فأقبلنا راجعين في حر شديد فنحن متفرقون بين واحد واثنين منتشرين قال وكنت في أول العسكر إذ عارضنا رجل فسلم ثم قال أيكم محمد ومضى أصحابي ووقفت معه فاذا رسول الله ﷺ قد أقبل في وسط العسكر على جمل أحمر مقنع بثوبه على رأسه من الشمس فقلت أيها السائل هذا رسول الله قد أتاك فقال أيهم هو فقلت صاحب البكر الاحمر فدنا منه فاخذ بخطام راحلته فكف عليه رسول الله ﷺ فقال أنت محمد؟ قال «نعم» قال اني أريد أن أسألك عن خصال لايعلمهن أحد من أهل الارض إلا رجل أو رجلان فقال رسول الله ﷺ «سل عما شئت» قال يامحمد أينام النبي؟ فقال رسول الله ﷺ «تنام عيناه ولا ينام قلبه» قال صدقت ثم قال يامحمد من أين يشبه الولد أباه وأمه فقال رسول الله ﷺ «ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فأي الماءين غلب على الآخر نزع الولد» فقال صدقت فقال ما للرجل من الولد وما للمرأة منه فقال «للرجل العظام والعروق والعصب وللمرأة اللحم والدم والشعر» قال صدقت ثم قال يامحمد ماتحت هذه يعني الارض فقال رسول الله ﷺ «خلق» فقال فما تحتهم؟ قال «أرض» قال فما تحت الارض؟ قال «الماء» قال فما تحت الماء؟ قال «ظلمة» قال فما تحت الظلمة قال «الهواء» قال فما تحت الهواء؟ قال «الثرى» قال فماتحت الثرى؟ ففاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء وقال «انقطع علم الخلق عند علم الخالق أيها السائل ماالمسؤول عنها باعلم من السائل» قال فقال صدقت أشهد انك رسول الله فقال رسول الله ﷺ «أيها الناس هل تدرون من هذا؟» قالوا الله ورسوله أعلم قال «هذا جبريل ﷺ» هذا حديث غريب جداً وسياق عجيب تفرد به القاسم بن عبد الرحمن هذا وقد قال فيه يحيى بن معين ليس يساوي شيئا وضعفه أبو حاتم الرازي، وقال ابن عدي لا يعرف قلت وقد خلط في هذا الحديث ودخل عليه شيء في شيء وحديث في حديث وقد يحتمل أنه تعمد ذلك أو ادخل عليه فيه والله أعلم

وقوله (وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) أي أنزل هذا القرآن الذي خلق الارض والسموات العلى الذي يعلم السر وأخفى كما قال تعالى (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض إنه كان

والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي الصخرة التي ذكر الله في قصة لقمان (فتكن في صخرة) والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه إلا الله وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله عز وجل البحار بحراً واحداً سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه يبست ﴿ وان تجهر بالقول ﴾ أي تعلن به ﴿ فانه يعلم السر واخفى ﴾ قال الحسن السر ما أسره الرجل الى غيره واخفى من ذلك ما أسره من نفسه وعن ابن عباس وسعيد بن جبير: السر ماتسر في نفسك واخفى من السر مايلقيه الله عز وجل في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك تعلم ماتسر به اليوم وما تعلم ماتسر به غداً والله يعلم ما اسررت اليوم وما تسر به غداً قال ابن أبي طلحة

غفورا رحيما) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (يعلم السر وأخفى) قال السر ما أسره ابن آدم في نفسه وأخفى ما أخفى على ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه فالله يعلم ذلك كله فعلمه فيما مضى من ذلك وما بقي علم واحد وجميع الخلائق في ذلك عنده كنفس واحدة وهو قوله (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) وقال الضحاك (يعلم السر وأخفى) قال السر ما تحدث به نفسك وأخفى ما لم تحدث به نفسك بعد وقال سعيد بن جبير أنت تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما تسر اليوم وما تسر غدا، وقال مجاهد (وأخفى) يعني الوسوسة وقال أيضاً هو وسعيد بن جبير [وأخفى] أي ماهو عامله مما لم يحدث به نفسه ، وقوله [الله لا إله إلا هو له الاسماء الحسنى] أي الذي أنزل عليك القرآن هو الله الذي لا إله إلا هو ذو الاسماء الحسنى والصفات العلى ، وقد تقدم بيان الاحاديث الواردة في الاسماء الحسنى في أواخر سورة الاعراف ولله الحمد والمنة

وهل أتاك حديث موسى (٩) إذ رأى ناراً فقال لاهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى (١٠)

من ههنا شرع تبارك وتعالى في ذكر قصة موسى وكيف كان ابتداء الوحي اليه وتكليمه إياه وذلك بعد ما قضى موسى الاجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم وسار بأهله قيل قاصداً بلاد مصر بعد ما طالت الغيبة عنها أكثر من عشر سنين ومعه زوجته فأضل الطريق وكانت ليلة شاتية ونزل منزلا بين شعاب وجبال في برد وشتاء وسحاب وظلام وضباب وجعل يقدح بزند معه ليوري ناراً كما جرت له العادة به فجعل لا يقدح شيئا ولا يخرج منه شرر ولا شيء، فبينما هو كذلك إذ آنس من جانب الطور ناراً أي ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هناك عن يمينه فقال لأهله يبشرهم

عن ابن عباس السر ما أسر ابن آدم في نفسه واخفى ماخفي عليه مما هو فاعله قبل أن يعمله وقال مجاهد السر العمل الذي تسرون من الناس واخفى الوسوسة وقيل السر هو العزيمة واخفى مايخطر على القلب ولم يعزم عليه وقال زيد بن اسلم (يعلم السر واخفى) أي يعلم اسرار العباد واخفى سره من عباده فلا يعلمه أحد ثم وحد نفسه فقال ﴿ الله لا إله إلا هو له الاسماء الحسنى وهل أتاك حديث موسى ﴾ أي وقد أتاك استفهام بمعنى التقرير ﴿ اذ رأى نارا ﴾ وذلك أن موسى استأذن شعيبا في الرجوع من مدين الى مصر لزيارة والدته واخته فأذن له فخرج بأهله وماله وكانت أيام الشتاء وأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام وامرأته في سقمها لاتدري أليلا تضع أم نهارا فسار في البرية غير عارف بطرقها فالجأه المسير الى جانب الطور الغربي الايمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق فقدح زنده فلم يور ، وقيل ان موسى كان رجلا غيوراً وكان يصحب الرفقة بالليل ويفارقهم بالنهار لئلا ترى امرأته فاخطأ مرة الطريق في ليلة مظلمة شاتية لما أراد الله عز وجل من كرامته فجعل يقدح

[إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس] أي شهاب من نار وفي الآية الاخرى أو جذوة من النار وهي الجمر الذي معه لهب لعلكم تصطلون دل على وجود البرد وقوله [بقبس] دل على وجود الظلام وقوله [أو اجد على النار هدى] أي من يهديني الطريق دل على أنه قد تاه عن الطريق كما قال الثوري عن ابي سعيد الاعور عن عكرمة عن ابن عباس في قوله [أو اجد على النار هدى] قال من يهديني إلى الطريق وكانوا شاتين وضلوا الطريق فلما رأى النار قال ان لم أجد أحداً يهديني إلى الطريق آتيتكم بنار توقدون بها

فلما أتىها نودي يموسى (١١) إني أنا ربك فاخلع نعليك ، إنك بالوادي المقدس طوى (١٢) وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى (١٣) انني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري (١٤) ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى (١٥) فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هونه فتردى (١٦)

يقول تعالى (فلما أتاها) أي النار واقترب منها (نودي ياموسى وفي الآية الاخرى (نودي من شاطيء الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى اني أنا الله)وقال ههنا (اني أنا ربك) أي الذي يكلمك ويخاطبك فاخلع نعليك قال علي بن أبي طالب وأبوذر وأبو أيوب وغير واحد من السلف كانتا من جلد حمار غير ذكي ، وقيل إنما أمره بخلع نعليه تعظيما للبقعة ، وقال سعيد بن جبير كما يؤمر الرجل أن يخلع نعليه إذا أراد أن يدخل الكعبة ، وقيل ليطأ الارض المقدسة بقدميه حافيا غير منتعل وقيل غير ذلك والله أعلم

الزند فلا يوري فابصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور ﴿ فقال لاهله امكثوا ﴾ أقيموا قرأ حمزة بضم الهاء ههنا وفي القصص ﴿ اني آنست ﴾ أي أبصرت ﴿ ناراً لعلي آتيكم منها بقبس ﴾ قطعة من نار والقبس قطعة من نار تأخذها في طرف عود من معظم النار ﴿ أو أجد على النار هدى ﴾ أي أجد عند النار من يدلني على الطريق ﴿ فلما آتاها ﴾ رأى شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها أطافت بها نار بيضاء تتقد كأضوأ مايكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار . قال ابن مسعود كانت الشجرة سمرة خضراء ، وقال قتادة ومقاتل والكلبي كانت من العوسج ، وقال وهب كانت من العليق وقيل كانت شجرة العناب وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال أهل التفسير لم يكن الذي رآه موسى ناراً بل كان نوراً ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه ناراً ، وقال أكثر المفسرين انه نور الرب عز وجل وهو قول ابن عباس وعكرمة وغيرهما وقال سعيد بن جبير هي النار بعينها وهي احدى حجب الله تعالى يدل عليه مارويناعن أبي موسى الاشعري

وقوله (طوى) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو اسم الوادي وكذا قال غير واحد ، فعلى هذا يكون عطف بيان وقيل عبارة عن الامر بالوطء بقدميه ، وقيل لانه قدس مرتين وطوي له البركة وكررت والاول أصح كقوله إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى. وقوله (وأنا اخترتك) كقوله (اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) أي على جميع الناس من الموجودين في زمانه ، وقد قيل إن الله تعالى قال يا موسى أتدري لم خصصتك بالتكليم من بين الناس ؟ قال لا قال لاني لم يتواضع إلي أحد تواضعك ، وقوله (فاستمع لما يوحى) أي استمع الآن ماأقول لك وأوحيه اليك انني أنا الله لا إله الا أنا هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا انه لا اله الا الله وحده لاشريك له

وقوله (فاعبدني) أي وحدني وقم بعبادتي من غير شريك (وأقم الصلاة لذكري) قيل معناه صل لتذكرني وقيل معناه وأقم الصلاة عند ذكرك لي ويشهد لهذا الثاني ماقال الامام أحمد حدثنا عبدالرحمن ابن مهدي حدثنا المثنى بن سعيد عن قتادة عن أنس عن رسول الله ﷺ قال « إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فان الله تعالى قال وأقم الصلاة لذكري » وفي الصحيحين عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « من نام عن صلاة أو نسيها فكفارتها أن يصليها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك » وقوله (ان الساعة آتية) أي قائمة لا محالة وكائنة لابد منها

وقوله (أكاد أخفيها) قال الضحاك عن ابن عباس انه كان يقرؤها أكاد أخفيها من نفسي يقول لانها لاتخفى من نفس الله أبدا ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس من نفسه وكذا قال مجاهد وأبو صالح

عن النبي ﷺ أنه قال « حجابه النار لو كشفها الله لاحرقت سبحات وجهه ماانتهى اليه بصره من خلقه » وفي القصة ان موسى أخذ شيئاً من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نأت منه النار واذا نأى دنت فوقف متحيرا وسمع تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة ﴿ فنودي ياموسى انى أنا ربك ﴾ قرأ ابو جعفر وابن كثير وابو عمرو أني بفتح الالف على معنى نودي باني وقرأ الآخرون بكسر الالف أي نودي فقيل اني أنا ربك قال وهب نودي من الشجرة فقيل ياموسى فاجاب سريعاً لايدري من دعاه فقال إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فاين أنت ؟ قال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك لاينبغي إلا لله فأيقن به

قوله عز وجل ﴿ فاخلع نعليك ﴾ وكان السبب فيه ماروي عن ابن مسعود مرفوعا في قوله (فاخلع نعليك) قال كانتا من جلد حمار ميت ويروى غير مدبوغ ، وقال عكرمة ومجاهد أمر بخلع النعلين ليباشر بقدمه تراب الارض المقدسة فتناله بركتها لانها قدست مرتين فخلعهما موسى وألقاهما من وراء الوادي ﴿ إنك بالواد المقدس ﴾ أي المطهر ﴿ طوى ﴾ وطوى اسم الوادي قرأ أهل الكوفة والشام طوى بالتنوين ههنا » وفي سورة النازعات وقرأ الآخرون بلا تنوين لانه معدول به عن طاو فلما كان معدولا عن وجهه كان مصروفا عن اعرابه مثل عمر وزفر ، وقال الضحاك طوى واد مستدير

ويحيى بن رافع ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أكاد أخفيها يقول لا أطلع عليها أحدا غيري وقال السدي ليس أحد من أهل السموات والارض الا قد أخفى الله تعالى عنه علم الساعة وهي في قراءة ابن مسعود اني أكاد اخفيها من نفسي يقول كتمتها من الخلائق حتى لو استطعت ان أكتمها من نفسي لفعلت ، وقال قتادة اكاد اخفيها وهي في بعض القراءات أخفيها من نفسي ولعمري لقد اخفاها الله من الملائكة المقربين ومن الانبياء والمرسلين ، قلت وهذا كقوله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) وقال (ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة) اي ثقل علمها على أهل السموات والارض ، وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا منجاب حدثنا أبو نميلة حدثني محمد بن سهل الاسدي عن ورقاء قال اقرأنيها سعيد بن جبير اكاد اخفيها يعني بنصب الالف وخفض الفاء يقول اظهرها ثم قال اما سمعت قول الشاعر

داب شهرين ثم شهرا دميكا   بارتكين يخفيان غميرا

قال السدى الغمير نبت رطب ينبت في خلال يبس والارتكين موضع والدميك الشهر التام وهذا الشعر لكعب بن زهير

وقوله سبحانه وتعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) اي اقيمها لا محالة لأجزي كل عامل بعمله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وانما تجزون ما كنتم تعملون ، وقوله (فلا

عميق مثل الطوي في استدارته ﴿ وأنا اخترتك ﴾ اصطفيتك برسالاتي قرأ حمزة وأنا مشددة النون اخترناك على التعظيم ﴿ فاستمع لما يوحى ﴾ اليك ﴿ انني أنا الله لا إله الا أنا فاعبدني ﴾ ولا تعبد غيري ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾ قال مجاهد أقم الصلاة لتذكرني بها ، وقال مقاتل اذا تركت صلاة ثم ذكرتها فأقمها أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا ابو عمر بكر بن محمد المزني أنا ابو بكر بن محمد بن عبدالله الحفيد أنا الحسين بن الفضل البجلي أنا عفان أنا همام أنا قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك » ثم قال سمعته يقول بعد ذلك أقم الصلاة لذكري ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها ﴾ قيل معناه ان الساعة آتية أخفيها وأكاد صلة وأكثر المفسرين قالوا معناه أكاد أخفيها من نفسي وكذلك هو في مصحف أبي بن كعب وفي مصحف عبدالله بن مسعود أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وفي بعض القراءة فكيف أظهرها لكم وذكر ذلك على عادة العرب اذا بالغوا في كتمان الشيء يقولون كتمت سرك من نفسي أي أخفيته غاية الاخفاء والله تعالى لا يخفى عليه شيء ، وقال الاخفش أكاد أي أريد ومعنى الآية (ان الساعة آتيه) أريد أخفيها والمعنى في اخفائها التهويل والتخويف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وقرأ الحسن أخفيها بفتح الالف أي أظهرها يقال خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته اذا سترته قوله تعالى ﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ أي بما تعمل من خير وشر ﴿ فلا يصدنك عنها ﴾

يصدنك عنها من لايؤمن بها) الآية المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين اى لاتتبعوا سبيل من كذب بالساعة وأقبل على ملاذه في دنياه وعصى مولاه واتبع هواه فمن وافقهم على ذلك فقد خاب وخسر (فتردى) اى تهلك وتعطب قال الله تعالى (وما يغني عنه ماله اذا تردى)

وما تلك بيمينك يموسى (١٧) قال هي عصاي أتوكؤ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى (١٨) قال ألقها يموسى (١٩) فألقها فاذا هي حية تسعى (٢٠) قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى (٢١)

هذا برهان من الله تعالى لموسى عليه السلام ومعجزة عظيمة وخرق للعادة باهر دال على انه لايقدر على مثل هذا الا الله عزوجل وانه لايأتي به الا نبي مرسل ، وقوله وما تلك بيمينك ياموسى قال بعض المفسرين انما قال له ذلك على سبيل الايناس له وقيل انما قال له ذلك على وجه التقرير اى اما هذه التي في يمينك عصاك التي تعرفها فسترى ماتصنع بها الآن (وما تلك بيمينك ياموسى) استفهام تقرير (قال هي عصاي أتوكؤ عليها) أي أعتمد عليها في حال المشي (وأهش بها على غنمي) أى أهز بها الشجرة ليتساقط ورقها لترعاه غنمي ، قال عبد الرحمن بن القاسم عن الامام مالك : الهش أن يضع الرجل المحجن في الغصن ثم يحركه حتي يسقط ورقه وثمره ولايكسر العود فهذا الهش ولا يخبط وكذا قال ميمون بن مهران أيضا ، وقوله (ولي فيها مآرب أخرى) أي مصالح ومنافع وحاجات أخر غير

فلا يصرفنك عن الايمان بالساعة ﴿ من لايؤمن بها واتبع هواه ﴾ مراده خالف أمر الله ﴿ فتردى ﴾ أي فتهلك

قوله عز وجل ﴿ وما تلك بيمينك ياموسى ﴾ سؤال تقرير والحكمة في هذا السؤال تنبيهه وتوقيفه على أنها عصا حتى اذا قلبها حية علم أنها معجزة عظيمة وهذا على عادة العرب يقول الرجل لغيره هل تعرف هذا وهو لايشك انه يعرفه ويريد أن ينضم اقراره بلسانه إلى معرفته بقلبه ﴿ قال هي عصاي ﴾ قيل وكانت لها شعبتان وفي أسفلها سنان ولها محجن قال مقاتل اسمها نبعة ﴿ أتوكأ عليها ﴾ أعتمد عليها اذا مشيت واذا عييت وعند الوثبة ﴿ وأهش بها على غنمي ﴾ أضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم وقرأ عكرمة وأهس بالسين غير المعجمة أي أزجر بها الغنم والهس زجر الغنم ﴿ ولي فيها مآرب أخرى ﴾ حاجات ومنافع أخرى جمع مأربة بفتح الراء وضمها ولم يقل أخر لرؤس الآي وأراد بالمآرب مايستعمل فيه العصا في السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل فيستقي الماء من البئر ، ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا قعد وغير ذلك ، وروي عن ابن عباس أن موسى كان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه وتحادثه وكان يضرب بها الارض فيخرج

ذلك ، وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أبهمت فقيل كانت تضيء له بالليل وتحرس له الغنم إذا نام ويغرسها فتصير شجرة تظله وغير ذلك من الامور الخارقة للعادة ، والظاهر أنها لم تكن كذلك ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه الصلاة والسلام صيرورتها ثعبانا فما كان يفر منها هاربا ولكن كل ذلك من الاخبار الاسرائيلية ، وكذا قول بعضهم انها كانت لآدم عليه الصلاة والسلام وقول الآخر انها هي الدابة التي تخرج قبل يوم القيامة ، وروي عن ابن عباس انه قال كان اسمها ماشا والله أعلم بالصواب

وقوله تعالى (قال ألقها يا موسى) أي هذه العصا التي في يدك ياموسى ألقها (فألقاها فاذا هي حية تسعى) أي صارت في الحال حية عظيمة ثعبانا طويلا يتحرك حركة سريعة فاذا هي تهتز كأنها جان وهو أسرع الحيات حركة ولكنه صغير فهذه في غاية الكبر وفي غاية سرعة الحركة (تسعى) أي تمشي وتضطرب قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبدة حدثنا حفص بن جميع حدثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس (فألقاها فاذا هي حية تسعى) ولم تكن قبل ذلك حية فمرت بشجرة فأكلتها ومرت بصخرة فابتلعتها فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها فولى مدبراً ونودي أن ياموسى خذها فلم يأخذها ثم نودي الثانية أن خذها ولا تخف فقيل له في الثالثة انك من الآمنين فأخذها . وقال وهب بن منبه في قوله فألقاها فاذا هي حية تسعى قال فألقاها على وجه الارض ثم حانت منه نظرة فاذا بأعظم ثعبان نظر اليه الناظرون يدب يلتمس كأنه يبتغي شيئاً يريد أخذه يمر بالصخرة

ماياً كل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء واذا اشتهى ثمرة ركزها فتغصنت غصنا كالشجرة وأورقت وأثمرت واذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كالدلو حتى يستقي وكانت تضيء بالليل بمنزلة السراج واذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿ألقها ياموسى﴾ انبذها قال وهب ظن موسى أنه يقول ارفضها ﴿فألقاها﴾ على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة ﴿فاذا هي حية﴾ صفراء من أعظم مايكون من الحيات ﴿تسعى﴾ تمشي بسرعة على بطنها ، وقال في موضع آخر كأنها جان وهي الحية الصغيرة الخفيفة الجسم ، وقال في موضع ثعبان وهو أكبر مايكون من الحيات فاما الحية فانها تجمع الصغير والكبير والذكر والانثى ، وقيل الجان عبارة عن ابتداء حالها فانها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعبانا والثعبان عبارة عن انتهاء حالها ، وقيل انها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن إسحاق نظر موسى فاذا العصا حية من أعظم مايكون من الحيات صارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا لها وعرفا تهتز كالنيازك وعيناها تتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلقمها وتقصف الشجرة العظيمة بأنيابها ويسمع لأسنانها صريف عظيم فلما عاين ذلك موسى ولى مدبراً وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي أن ياموسى أقبل وارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف ﴿قال خذها﴾ بيمينك ﴿ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى﴾ هيئتها الاولى أي نردها عصا

مثل الخلفة من الابل فيلتقمها ويطعن بالناب من أنيابه في أصل الشجرة العظيمة فيجتثها عيناه تتقدان نارا وقد عاد المحجن منها عرفا قيل شعر مثل النيازك وعاد الشعبتان منها مثل القليب الواسع فيه أضراس وأنياب لها صريف فلما عاين ذلك موسى ولى مدبراً ولم يعقب فذهب حتى أمعن ورأى انه قد أعجز الحية ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي ياموسى أن ارجع حيث كنت فرجع موسى وهو شديد الخوف فقال خذها بيمينك ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى وعلى موسى حينئذ مدرعة من صوف قد خلها بخلال من عيدان فلما أمره بأخذها لف طرف المدرعة على يده فقال له ملك أرأيت ياموسى لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغني عنك شيئا قال لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها على فم الحية حتى سمع حس الاضراس والانياب ثم قبض فاذا هي عصاه التي عهدها واذا يده في موضعها الذي كان يضعها اذا توكأ بين الشعبتين ولهذا قال تعالى (سنعيدها سيرتها الاولى) أي الى حالها التي تعرف قبل ذلك

واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى (٢٢) لنريك من آياتنا الكبرى (٢٣) اذهب الى فرعون انه طغى (٢٤) قال رب اشرح لي صدري (٢٥) ويسر لي أمري (٢٦) واحلل عقدة من لساني (٢٧) يفقهوا قولي (٢٨) واجعل لي وزيراً من أهلي (٢٩) هرون أخي (٣٠) اشدد به أزري (٣١) وأشركه في أمري (٣٢) كي نسبحك كثيراً (٣٣) ونذكرك كثيراً (٣٤) انك كنت بنا بصيراً (٣٥)

وهذا برهان ثان لموسى عليه السلام وهو أن الله أمره أن يدخل يده في جيبه كما صرح به في الآية الاخرى وههنا عبر عن ذلك بقوله (واضمم يدك الى جناحك) وقال في مكان آخر (واضمم اليك

كما كانت وكان على موسى مدرعة من صوف قد خلها بعيدان من الخلال فلما قال الله تعالى (خذها) لف طرف المدرعة على يده قال فأمره الله تعالى أن يكشف يده فكشفها وذكر بعضهم أنه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك أرأيت لو أذن الله بما تحاذره أكانت المدرعة تغني عنك شيئا قال لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذى كان يضعها اذا توكأ . قال المفسرون أراد الله عز وجل أن يرى موسى ما أعطاه من الآية التي لا يقدر عليها مخلوق لئلا يفزع منها اذا ألقاها عند فرعون وقوله سيرتها نصب بحذف الى يريد الى سيرتها

قوله تعالى ﴿ واضمم يدك الى جناحك ﴾ يعني ابطك قال مجاهد تحت عضدك وجناح الانسان

جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه) وقال مجاهد واضمم يدك الى جناحك كفك تحت عضدك وذلك ان موسى عليه السلام كان اذا ادخل يده في جيبه ثم أخرجها تخرج تتلألأ كأنها فلقة قمر وقوله (تخرج بيضاء من غير سوء) أي من غير برص ولا أذى ومن غير شين قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك والسدي وغيرهم، وقال الحسن البصري أخرجها والله كأنها مصباح فعلم موسى انه قد لقي ربه عز وجل ولهذا قال تعالى (لنريك من آياتنا الكبرى) وقال وهب قال له ربه ادنه فلم يزل يدنيه حتى سند ظهره بجذع الشجرة فاستقر وذهبت عنه الرعدة وجمع يده في العصى وخضع برأسه وعنقه وقوله (اذهب الى فرعون انه طغى) أي اذهب الى فرعون ملك مصر الذي خرجت فارا منه وهاربا فادعه الى عبادة الله وحده لاشريك له ومره فليحسن الى بني اسرائيل ولا يعذبهم فانه قد طغى وبغى وآثر الحياة الدنيا ونسي الرب الاعلى. قال وهب بن منبه قال الله لموسى انطلق برسالتي فانك بسمعي وعيني وان معك أيدي ونصري واني قد ألبستك جنة من سلطاني لتستكمل بها القوة في امري فأنت جند عظيم من جندي بعثتك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وأمن مكري وغرته الدنيا عني حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي وزعم انه لايعرفني فاني اقسم بعزتي لولا القدر الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والارض والجبال والبحار فان امرت السماء حصبته وان امرت الارض ابتلعته وان امرت الجبال دمرته وان امرت البحار غرقته ولكنه هان علي وسقط من عيني ووسعه حلمي واستغنيت بما عندي وحقي اني إنا الغني لاغني غيري فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وتوحيدي واخلاصي وذكره ايامي وحذره نقمتي وبأسي واخبره انه لايقوم شيء لغضبي وقل له فيما بين ذلك قولا لينا لعله يتذكر او يخشى واخبره اني الى العفو والمغفرة اسرع مني الى الغضب والعقوبة ولا يروعنك ما البسته من لباس الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني وقل له اجب ربك فانه واسع المغفرة وقد امهلك اربعمائة سنة في كلها انت مبارزه بالمحاربة تسبه وتتمثل به وتصد عباده عن سبيله

عضده الى أصل أبطه ﴿ تخرج بيضاء ﴾ نيرة مشرقة ﴿ من غير سوء ﴾ من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر ﴿ آية أخرى ﴾ يعني دلالة أخرى على صدقك سوى العصا ﴿ لنريك من آياتنا الكبرى ﴾ ولم يقل الكبر لرءوس الآي ، وقيل فيه اضمار معناه لنريك من آياتنا الآية الكبرى دليله قول ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته

قوله تعالى ﴿ اذهب الى فرعون إنه طغى ﴾ يعني جاوز الحد في العصيان والتمرد فادعه الى عبادتي ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ رب اشرح لي صدري ﴾ وسعه للحق قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك أن موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده وكان يضيق صدرا بما

وهو يمطر عليك السماء وينبت لك الارض لم تسقم ولم تهرم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شاء الله ان يعجل لك العقوبة لفعل ولكنه ذو اناة وحلم عظيم وجاهده بنفسك واخيك وانما تحتسبان بجهاده فانى لو شئت ان آتيه بجنود لا قبل له بها لفعلت ولكن ليعلم هذا العبد الضعيف الذي قد أعجبته نفسه وجموعه ان الفئة القليلة ولا قليل مني تغلب الفئة الكثيرة باذني ولا تعجبنكما زينته ولا ماتمتع به ولا تمدا الى ذلك أعينكما فانها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ولو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة ليعلم فرعون حين ينظر اليها أن مقدرته تعجز عن مثل ماأوتيتما فعلت ولكني أرغب بكما عن ذلك وأزويه عنكما وكذلك أفعل بأوليائي وقديما ماجرت عادتي في ذلك فاني لأذودهم عن نعيمها وزخارفها كما يذود الراعي الشفيق إبله عن مبارك الغرة وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم في دار كرامتي سالما موفراً لم تكلمه الدنيا ، واعلم انه لا يتزين لي العباد بزينة هي أبلغ فيما عندي من الزهد في الدنيا فانها زينة المتقين عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود أولئك أوليائي حقا حقا ، فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل قلبك ولسانك واعلم أنه من أهان لي وليا أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة وبادأني وعرض لي نفسه ودعاني اليها وأنا أسرع شيء الى نصرة أوليائي ، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي ، أم يظن الذي يعاديني أن يعجزني ، أم يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني ، وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة لا اكل نصرتهم الى غيري» رواه ابن أبي حاتم (قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري) هذا سؤال من موسى عليه السلام لربه عز وجل أن يشرح له صدره فيما بعثه به فانه قد أمره بأمر عظيم وخطب جسيم بعثه الى أعظم ملك على وجه الارض إذ ذاك وأجبرهم وأشدهم كفرا وأكثرهم جنوداً وأعمرهم ملكا وأطغاهم وأبلغهم تمرداً بلغ من أمره أن ادعى انه لايعرف الله ولا يعلم لرعاياه إلهاً غيره هذا وقد مكث موسى في داره مدة وليداً عندهم في حجر فرعون على فراشه ثم قتل منهم نفسا فخافهم أن يقتلوه فهرب منهم هذه المدة بكمالها ثم بعد هذا بعثه ربه عز وجل اليهم نذيراً يدعوهم الى الله عز وجل

كلف من مقاومة فرعون وجنده فسأل الله أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحدا لايقدر على مضرته إلا باذن الله واذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده ﴿ ويسر لي امري ﴾ يعني سهل علي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون ﴿ واحلل عقدة من لساني ﴾ وذلك أن موسى كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمة وأخذ بلحيته فقال فرعون لآسية امرأته ان هذا عدوي وأراد أن يقتله فقالت آسية انه صبي لايعقل ولايميز وفي رواية إن أم موسى لما فطمته ردته فنشأ موسى في حجر فرعون وامرأته آسية يربيانه واتخذاه ولدا فبينما هو يلعب يوما بين يدي فرعون وبيده قضيب يلعب به اذ رفع القضيب فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير بضربه حتي هم بقتله فقالت آسية أيها الملك انه صغير لايعقل فجربه ان شئت فجاءت بطشتين في أحدهما الجمر

أن يعبدوه وحده لا شريك له ولهذا قال (رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري) أي ان لم تكن أنت عوني ونصيري وعضدي وظهيري وإلا فلا طاقة لي بذلك (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) وذلك لما كان أصابه من اللثغ حين عرض عليه التمرة والجمرة فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه كما سيأتي بيانه وما سأل أن يزول بالكلية بل بحيث يزول العي ويحصل لهم فهم مايريد منه وهو قدر الحاجة ولو سأل الجميع لزال ولكن الانبياء لايسألون إلا بحسب الحاجة ولهذا بقيت بقية قال الله تعالى إخباراً عن فرعون انه قال (أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين) أى يفصح بالكلام، وقال الحسن البصرى (واحلل عقدة من لساني) قال حل عقدة واحدة ولو سأل أكثر من ذلك أعطي ،

وقال ابن عباس شكا موسى الى ربه مايتخوف من آل فرعون فى القتيل وعقدة لسانه فانه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له ردأ ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه فآتاه سؤله فحل عقدة من لسانه ، وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عمر بن عثمان حدثنا بقية عن ارطاة بن المنذر حدثني بعض أصحاب محمد بن كعب عنه قال أتاه ذو قرابة له فقال له مابك بأس لولا انك تلحن في كلامك ولست تعرب في قراءتك . فقال القرظي يا ابن أخي ألست أفهمك اذا حدثتك . قال نعم . قال فان موسي عليه السلام انما سأل ربه أن يحلل عقدة من لسانه كي يفقه بنو اسرائيل كلامه ولم يزد عليها هذا لفظه ، وقوله (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي) وهذا أيضا سؤال من موسى عليه السلام في أمر خارجي عنه وهو مساعدة أخيه هرون له . قال الثوري عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس انه قال نبيء هارون ساعتئذ حين نبيء موسى عليهما السلام وقال ابن أبي حاتم ذكر عن ابن نمير حدثنا ابو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة انها خرجت فيما كانت تعتمر فنزلت ببعض الاعراب فسمعت رجلا يقول أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه؟ قالوا لا ندري . قال أنا والله أدرى ؟ قالت فقلت في نفسي في حلفه لا يستثني انه ليعلم أى كان في الدنيا أنفع لاخيه . قال موسى حين سأل لاخيه النبوة ، فقلت صدق والله . قلت ومن هذا قال الله تعالى في الثناء على موسى عليه السلام (وكان عند الله وجيها) وقوله (اشدد به أزرى) قال مجاهد ظهري .

وفي الآخر الجواهر فوضعتهما بين يدي موسى فأراد أن يأخذ الجواهر فأخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار فأخذ جمرة فوضعها في فه فاحرقت لسانه وصارت عليه عقدة ﴿ يفقهوا قولي ﴾ يقول احلل العقدة كي يفقهوا كلامي ﴿ واجعل لي وزيرا ﴾ معينا وظهيرا ﴿من أهلي ﴾والوزير من يوازرك ويعينك ويتحمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال ﴿ هارون أخي ﴾ وكان هارون اكبر من موسى بأربع سنين وكان أفصح منه لسانا واجمل واوسم أبيض اللون وكان موسى آدم اقنى أجعد ﴿ اشدد به ازري ﴾ قو به ظهري ﴿ وأشركه في امري ﴾ يعني في النبوة و تبليغ الرسل وقرأ ابن عامر اشدد بفتح الألف وأشركه بضمها على الجواب حكاية عن موسى يعني افعل ذلك وقرأ الآخرون

(وأشركه في أمري) أى في مشاورتي (كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيرا) قال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائما وقاعداً ومضطجعا، وقوله (انك كنت بنا بصيرا) أي في اصطفائك لنا وإعطائك إيانا النبوة وبعثتك لنا الى عدوك فرعون فلك الحمد على ذلك

قال قد أوتيت سؤلك يموسى (٣٦) ولقد مننا عليك مرة أخرى (٣٧) اذ أوحينا الى أمك ما يوحى (٣٨) أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له، وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني (٣٩) اذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله، فرجعناك الي أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتونا (٤٠)

هذه إجابة من الله لرسوله موسى عليه السلام فيما سأل من ربه عز وجل وتذكير له بنعمه السالفة عليه فيما كان من أمر أمه حين كانت ترضعه وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه لانه كان قد ولد في السنة التى يقتلون فيها الغلمان فاتخذت له تابوتا فكانت ترضعه ثم تضعه فيه وترسله في البحر وهو النيل وتمسكه الى منزلها بحبل فذهبت مرة لتربط الحبل فانفلت منها وذهب به البحر فحصل لها من الغم والهم ما ذكره الله عنها في قوله (وأصبح فؤاد أم موسي فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها) فذهب به البحر الى دار فرعون (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا) أي قدراً مقدوراً من الله حيث كانوا هم يقتلون الغلمان من بني اسرائيل حذراً من وجود موسى فحكم الله وله السلطان العظيم والقدرة التامة أن لا يربى إلا على فراش فرعون ويغذى بطعامه وشرابه مع محبته وزوجته له ولهذا قال تعالى (يأخذه عدو لي وعدو له، وألقيت عليك محبة مني) أى عند عدوك جعلته يحبك قال سلمة بن كهيل [وألقيت عليك محبة مني] قال حببتك الى عبادي [ولتصنع على عيني] قال أبو عمران الجوني تربى بعين الله وقال قتادة تغذى على عيني و قال معمر بن المثنى [ولتصنع على عيني] بحيث أرى، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني أجعله في بيت الملك ينعم ويترف وغذاؤه عندهم غذاء الملك فتلك الصنعة.

وقوله [إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها]

على الدعاء والمسئلة عطفا على ماتقدم من قوله (رب اشرح لي صدري ويسر لي امري) ﴿كي نسبحك كثيرا﴾ قال الكلبي نصلي لك كثيرا ﴿ونذكرك كثيرا﴾ نحمدك ونثني عليك بما أوليتنا من نعمك ﴿إنك كنت بنا بصيرا﴾ خبيرا عليما ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿قد أوتيت﴾ اعطيت ﴿سؤلك﴾ جميع

وذلك أنه لما استقر عند آل فرعون عرضوا عليه المراضع فأباها قال الله تعالى [وحرمنا عليه المراضع من قبل] فجاءت أخته وقالت [هل أدلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون] تعني هل أدلكم على من يرضعه لكم بالاجرة فذهبت به وهم معها إلى أمه فعرضت عليه ثديها فقبله ففرحوا بذلك فرحا شديدا واستأجروها على إرضاعه فنالها بسببه سعادة ورفعة وراحة في الدنيا وفي الآخرة أعظم وأجزل ، ولهذا جاء في الحديث « مثل الصانع الذي يحتسب في صنعته الخير كمثل ام موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها» وقال تعالى ههنا [فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن] أى عليك [وقتلت نفسا] يعني القبطي [فنجيناك من الغم] وهو ماحصل له بسبب عزم آل فرعون على قتله ففر منهم هاربا حتى ورد ماء مدين وقال له ذلك الرجل الصالح [لاتخف نجوت من القوم الظالمين] .

وقوله [وفتناك فتونا]قال الامام ابو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي رحمه الله في كتاب التفسير من سننه قوله [وفتناك فتونا]

﴿ حديث الفتون ﴾ حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا أصبغ بن زيد حدثنا القاسم بن أبي أيوب أخبرني سعيد بن جبير قال سألت عبد الله بن عباس عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام [وفتناك فتونا] فسألته عن الفتون ماهو فقال استأنف النهار ياابن جبير فان لها حديثا طويلا فلما أصبحت غدوت الى ابن عباس لا نتجز منه ما وعدني من حديث الفتون فقال تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد ابراهيم عليه السلام ان يجعل في ذريته أنبياء وملوكا فقال بعضهم ان بني إسرائيل ينتظرون ذلك لا يشكون فيه وكانوا يظنون انه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا كان وعد ابراهيم عليه السلام فقال فرعون كيف ترون فائتمروا واجمعوا امرهم على أن يبعث رجالا معهم الشفار يطوفون في بني اسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه ففعلوا ذلك فلما رأوا ان الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم والصغار يذبحون قالوا ليوشكن ان تفنوا بني اسرائيل فتصيروا الى ان تباشروا من الاعمال والخدمة التي يكفونكم فاقتلوا عاما كل مولود ذكر واتركوا بناتهم ودعوا عاما فلا تقتلوا منهم أحداً فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار فانهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكاثرتهم اياكم ولم يفنوا بمن تقتلون وتحتاجون اليهم فأجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهرون في العام الذي لايذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة فلما كان من قابل حملت بموسى عليه السلام فوقع في قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون ياابن جبير مادخل عليه وهو في بطن أمه مما يراد به فأوحى الله اليها أن لاتخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فأمرها اذا ولدت أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم فلما ولدت فعلت ذلك فلما توارى عنها

ماسألته ﴿ ياموسى ■ ولقد مننا عليك ﴾ انعمنا عليك ﴿ مرة اخرى ﴾ يعني قبل هذه المرة وهي ﴿ اذ أوحينا الى امك ﴾ وحي الهام ﴿ مايوحى ﴾ مايلهم ثم فسر ذلك الالهام وعدد نعمه عليه فقال ﴿ أن

ابنها أتاها الشيطان فقالت في نفسها ما فعلت بابني لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب الي من أن ألقيه الى دواب البحر وحيتانه فانتهى الماء به حتى أوفى به عند فرضة مستقى جواري امرأة فرعون فلما رأينه أخذنه فاردن أن يفتحن التابوت فقال بعضهم ان في هذا مالا وانا ان فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه فحملنه كهيئته لم يخرجن منه شيئا حتى دفعنه اليها فلما فتحته رأت فيه غلاما فألقى الله عليه منها محبة لم يلق منها على أحد قط وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من ذكر كل شيء الا من ذكر موسى فلما سمع الذباحون بامره أقبلوا بشفارهم الى امرأة فرعون ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت لهم اقروه فان هذا الواحد لايزيد في بني اسرائيل حتى آتي فرعون فاستوهبه منه فان وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم وان أمر بذبحه لم ألمكم فأتت فرعون فقالت قرة عين لي ولك فقال فرعون يكون لك فأما لي فلا حاجة لي فيه فقال رسول الله ﷺ «والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له كما أقرت امرأته لهداه الله كما هداها ولكن حرمه ذلك» فأرسلت الى من حولها الى كل امرأة لها لان تختار له ظئراً فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل على ثديها حتى اشفقت امرأة فرعون ان يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فامرت به فاخرج الى السوق ومجمع الناس ترجو أن تجد له ظئرا تأخذه منها فلم يقبل واصبحت أم موسى والها فقالت لاخته قصي اثره واطلبيه هل تسمعين له ذكراً احي ابنى ام قد اكلته الدواب ونسيت ما كان الله وعدها فيه فبصرت به اخته عن جنب وهم لايشعرون والجنب ان يسمو بصر الانسان الى شيء بعيد وهو الى جنبه وهو لايشعر به فقالت من الفرح حين اعياهم الظؤرات انا ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فاخذوها فقالوا ما يدريك مانصحهم له هل تعرفينه حتى شكوا في ذلك وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في صهر الملك ورجاء منفعة الملك فتركوها فانطلقت الى امها فاخبرتها الخبر فجاءت امه فلما وضعته في حجرها نزا الى ثديها حتى امتلأ جنباه رياً وانطلق البشير الى امرأة فرعون يبشرونها ان قد وجدنا لابنك ظئرا فأرسلت اليها فأتت بها وبه فلما رأت مايصنع بها قالت امكثي ترضعي ابنى هذا فاني لم أحب شيئا حبه قط ، قالت أم موسى لاأستطيع ان ادع بيتي وولدي فيضيع فان طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلوه خيرا فعلت فاني غير تاركة بيتي وولدي وذكرت ام موسى ما كان الله وعدها فيه فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت ان الله منجز وعده فرجعت به الى بيتها من يومها وأنبته الله نباتا حسنا وحفظه لما قد قضى فيه فلم يزل بنو اسرائيل وهم في ناحية القرية ممتنعين من السخرة والظلم ما كان فيهم فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لام موسى اريد تريني ابني فوعدتها يوما تزيرها اياه فيه، وقالت امرأة فرعون لخزانها وظؤرها وقهارمتها لايبقين احد منكم الا استقبل

اقذفيه في التابوت ﴾ يعني ألهمناها أن اجعليه في التابوت ﴿ فاقذفيه في اليم ﴾ يعنى نهر النيل ﴿ فليلقه اليم بالساحل ﴾ يعني شاطيء النهر لفظه أمر ومعناه خبر ومجازه حتى يلقيه اليم بالساحل ﴿ يأخذه عدو

ابني اليوم بهدية وكرامة لأرى ذلك وأنا باعثة أمينا يحصي ما يصنع كل انسان منكم فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت امه الى ان دخل على امرأة فرعون فلما دخل عليها بجلته وأكرمته وفرحت به ونحلت أمه لحسن اثرها عليه ثم قالت لآتين به فرعون فلينحلنه وليكرمنه فلما دخلت به عليه جعله في حجره فتناول موسى لحية فرعون فمدها الى الارض فقال الغواة من أعداء الله لفرعون ألا ترى ماوعد الله ابراهيم نبيه انه زعم أن يرثك ويعلوك ويصرعك فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتلي به وأريد به فتونا فجاءت امرأة فرعون فقالت مابدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي ؟ فقال ألا ترينه يزعم انه يصرعني ويعلوني فقالت اجعل بيني وبينك أمراً يعرف الحق به ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقدمهن اليه فان بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت انه يعقل وان تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحداً لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل فقرب اليه الجمرتين واللؤلؤتين فتناول الجمرتين فانتزعهما منه مخافة أن يحرقا يده فقالت المرأة ألا ترى فصرفه الله عنه بعد ما كان قد هم به وكان الله بالغاً فيه أمره ، فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع فبينما موسى عليه السلام يمشي في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان أحدهما فرعوني والآخر إسرائيلي فاستغاثه الاسرائيلي على الفرعوني فغضب موسى غضباً شديداً لانه تناوله وهو يعلم منزلته من بني إسرائيل وحفظه لهم لايعلم الناس إلا انما ذلك من الرضاع الا أم موسى الا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على مالم يطلع عليه غيره فوكز موسى الفرعوني فقتله وليس يراهما أحد إلا الله عز وجل والاسرائيلي فقال موسى حين قتل الرجل هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال (رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم) فأصبح في المدينة خائفا يترقب الاخبار فأتى فرعون فقيل له ان بني إسرائيل قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فقال ابغوني قاتله ومن يشهد عليه فان الملك وان كان صفوة مع قومه لا يستقيم له ان يقيد بغير بينة ولا ثبت فاطلبوا لي علم ذلك آخذ لكم بحقكم فبينما هم يطوفون لايجدون ثبتا اذا بموسى من الغد قد رأى ذلك الاسرائيلي يقاتل رجلا من آل فرعون آخر فاستغاثه الاسرائيلي على الفرعوني فصادف موسى قد ندم على ما كان منه وكره الذي رأى فغضب الاسرائيلي وهو يريد أن يبطش بالفرعوني فقال للاسرائيلي لما فعل بالامس واليوم إنك لغوي مبين فنظر الاسرائيلي الى موسى بعد ما قال له ماقال فاذا هو غضبان كغضبه بالامس الذي قتل فيه الفرعوني فخاف أن يكون بعدما قال له انك لغوي مبين أن يكون إياه أراد ولم يكن أراده انما أراد الفرعوني فخاف الاسرائيلي وقال ياموسى أتريد أن تقتلني

لي وعدو له ﴾ يعني فرعون فاتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى وقيرت رأسه وخصاصه يعني شقوقه ثم ألقته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فبينما فرعون جالس

كما قتلت نفسا بالامس وانما قاله مخافة أن يكون اياه أراد موسى ليقتله فتتاركا وانطلق الفرعوني فأخبرهم بما سمع من الاسرائيلي من الخبر حين يقول ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالامس فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى فأخذ رسل فرعون في الطريق الاعظم يمشون على هينتهم يطلبون موسى وهم لا يخافون أن يفوتهم فجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة فاختصر طريقا حتى سبقهم إلى موسى فأخبره وذلك من الفتون يا ابن جبير ، فخرج موسى متوجها نحو مدين لم يلق بلاء قبل ذلك وليس له بالطريق علم الا حسن ظنه بربه عز وجل فانه قال (عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان يعني بذلك حابستين غنمهما فقال لهما ما خطبكما معتزلتين لا تسقيان مع الناس؟ قالتا ليس لنا قوة نزاحم القوم وانما نسقي من فضول حياضهم فسقى لهما فجعل يغترف في الدلو ماء كثيراً حتى كان أول الرعاء فانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما وانصرف موسى عليه السلام فاستظل بشجرة وقال (رب اني لما أنزلت إلي من خير فقير) واستنكر أبوهما سرعة صدورهما بغنمهما حفلا بطانا فقال ان لكما اليوم لشأنا فأخبرتاه بما صنع موسى فامر احداهما أن تدعوه فأتت موسى فدعته فلما كلمه قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولسنا في مملكته فقالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين فاحتملته الغيرة على أن قال لها ما يدريك ما قوته وما امانته فقالت اما قوته فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا لم أر رجلا قط أقوى في ذلك السقي منه وأما الامانة فانه نظر الي حين أقبلت اليه وشخصت له فلما علم اني امرأة صوّب رأسه فلم يرفعه حتى بلغته رسالتك ثم قال لي امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلم يفعل هذا الا وهو أمين فسري عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت فقال له هل لك أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين ففعل فكانت على نبي الله موسى ثمان سنين واجبة وكانت سنتان عدة منه فقضى الله عنه عدته فأتمها عشرا . قال سعيد وهو ابن جبير: فلقيني رجل من أهل النصرانية من علمائهم قال هل تدري أي الأجلين قضى موسى ؟ قلت لا وأنا يومئذ لا أدري ، فلقيت ابن عباس فذكرت له ذلك . فقال أما علمت ان ثمانيا كانت على نبي الله واجبة لم يكن نبي الله لينقص منها شيئا ويعلم ان الله كان قاضياً عن موسى عدته التي كان وعده فانه قضى عشر سنين ، فلقيت النصراني فأخبرته ذلك فقال الذي سألته فأخبرك أعلم منك بذلك ، قلت أجل وأولي . فلما سار موسى بأهله كان من أمر النار والعصى ويده ماقص الله عليك في القرآن فشكا الي الله تعالى مايحذر من آل فرعون

على رأس البركة مع امرأته آسية اذا تابوت يجيء به الماء فأمر الغلمان والجواري باخراجه فاخرجوه وفتحوا رأسه فاذا صبي من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتمالك فذلك قوله تعالى ﴿ وألقيت عليك محبة مني ﴾ قال ابن عباس أحبه وحببه الى خلقه قال عكرمة ما رآه أحد إلا أحبه قال قتادة ملاحة كانت

في القتيل وعقدة لسانه فانه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له ردأ ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه ، فآتاه الله سؤله وحل عقدة من لسانه وأوحى الله الى هارون وأمره أن يلقاه ، فاندفع موسى بعصاه حتى لقي هارون عليه السلام ، فانطلقا جميعاً الى فرعون فأقاما على بابه حينا لا يؤذن لهما ثم أذن لهما بعد حجاب شديد فقالا (إنا رسولا ربك) قال فمن ربكما ؟ فأخبراه بالذي قص الله عليك في القرآن. قال فما تريدان وذكره القتيل فاعتذر بما قد سمعت قال أريد أن تؤمن بالله وترسل معنا بني اسرائيل . فأبى عليه وقال ائت بآية إن كنت من الصادقين . فألقى عصاه فاذا هي حية تسعى عظيمة فاغرة فاها مسرعة الى فرعون، فلما رآها فرعون قاصدة اليه خافها فاقتحم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل ثم أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء يعني من غير برص ثم ردها فعادت الى لونها الاول ، فاستشار الملأ حوله فيما رأى . فقالوا له (هذان ساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) يعني ملكهم الذي هم فيه والعيش وأبوا على موسى أن يعطوه شيئا مما طلب وقالوا له اجمع لهما السحرة فانهم بأرضك كثير حتى تغلب بسحرك سحرهما . فأرسل الى المدائن فحشر له كل ساحر متعالم . فلما أتوا فرعون قالوا بم يعمل هذا الساحر ؟ قالوا يعمل بالحيات . قالوا فلا والله ما أحد في الارض يعمل بالسحر بالحيات والحبال والعصي الذي نعمل فما أجرنا إن نحن غلبنا ؟ قال لهم أنتم أقاربي وخاصتي وأنا صانع اليكم كل شيء أحببتم . فتواعدوا يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى. قال سعيد ابن جبير فحدثني ابن عباس ان يوم الزينة اليوم الذي اظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة هو يوم عاشوراء ، فلما اجتمعوا في صعيد واحد قال الناس بعضهم لبعض انطلقوا فلنحضر هذا الأمر (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) يعنون موسى وهارون استهزاء بهما . فقالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين * قال بل ألقوا فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة فأوحى الله اليه أن ألق عصاك فلما ألقاها صارت ثعبانا عظيمة فاغرة فاها فجعلت العصي تلتبس بالحبال حتى صارت جرزا الى الثعبان تدخل فيه حتى ما أبقت عصا ولا حبلا إلا ابتلعته ، فلما عرف السحرة ذلك قالوا لو كان هذا سحراً لم يبلغ من سحرنا كل هذا ولكن هذا أمر من الله عز وجل آمنا بالله وبما جاء به موسى من عند الله ونتوب الى الله مما كنا عليه ، فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه وظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون (فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) وامرأة فرعون بارزة متبذلة

في عيني موسى ما رآه أحد إلا عشقه ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ يعني لتربى برأى ومنظر مني قرأ أبو جعفر ولتصنع بالجزم ﴿ اذ تمشي اختك ﴾ واسمها مريم متعرفة خبره ﴿ فتقول هل أدلكم على من يكفله ﴾ يعني على امرأة ترضعه وتضمه اليها وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فلما قالت ذلك لهم اخته قالوا

تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون وأشياعه فمن رآها من آل فرعون ظن انها انما ابتذلت للشفقة على فرعون وأشياعه وانما كان حزنها وهمها لموسى ، فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة كلما جاء بآية وعده عندها أن يرسل معه بني اسرائيل فاذا مضت أخلف موعده وقال هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا ؟ فأرسل الله على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب اليه أن يكفها عنه ويواثقه على أن يرسل معه بني اسرائيل فاذا كف ذلك أخلف موعده ونكث عهده حتى أمر الله موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلاً فلما أصبح فرعون ورأى انهم قد مضوا أرسل في المدائن حاشرين فتبعه بجنود عظيمة كثيرة وأوحى الله الى البحر اذا ضربك عبدي موسى بعصاه فانفلق اثنتى عشرة فرقة حتى يجوز موسى ومن معه ثم التق على من بقي بعد من فرعون وأشياعه ، فنسي موسى أن يضرب البحر بالعصا وانتهى الى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصياً لله . فلما تراءى الجمعان وتقاربا قال أصحاب موسى إنا لمدركون افعل ما أمرك به ربك فانه لم يكذب ولم تكذب . قال وعدني ربي اذا أتيت البحر انفرق اثنتى عشرة فرقة حتى أجاوزه ثم ذكر بعد ذلك العصى فضرب البحر بعصاه حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى فانفرق البحر كما أمره ربه وكما وعد موسى ، فلما أن جاز موسى وأصحابه كلهم البحر ودخل فرعون وأصحابه التقى عليهم البحر كما أمر ، فلما جاوز موسى البحر قال أصحابه إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ولا نؤمن بهلاكه ، فدعا ربه فأخرجه له ببدنه حتى استيقنوا بهلاكه ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون * إن هؤلاء متبر ما هم فيه) الآية . قد رأيتم من العبر وسمعتم ما يكفيكم ومضى فأنزلهم موسى منزلا وقال أطيعوا هارون فاني قد استخلفته عليكم فاني ذاهب الى ربي وأجلهم ثلاثين يوما أن يرجع اليهم فيها ، فلما أتى ربه وأراد أن يكلمه ثلاثين يوما وقد صامهن ليلهن ونهارهن وكره أن يكلم ربه وريح فيه ريح فم الصائم فتناول موسى من نبات الارض شيئاً فمضغه فقال له ربه حين أتاه لم أفطرت وهو أعلم بالذي كان ، قال يارب اني كرهت أن أكلمك إلا وفمي طيب الريح . قال أو ما علمت ياموسى ان ريح فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك ارجع فصم عشراً ثم ائتني ففعل موسى عليه السلام ما أمر به ، فلما رأى قومه انه لم يرجع اليهم في الأجل ساءهم ذلك وكان هارون قد خطبهم وقال انكم قد خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم عواري وودائع ولكم فيهم مثل ذلك فاني أرى انكم تحتسبون مالكم عندهم ولا أحل لكم وديعة استودعتموها ولا عارية ولسنا برادين

نعم فجاءت بالام فقبل ثديها فذلك قوله تعالى ﴿ فرجعناك الى امك كي تقر عينها ﴾ بلقائك ﴿ ولا تحزن ﴾ أي ليذهب عنها الحزن ﴿ وقتلت نفسا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما كان قتل قبطيا كافرا قال كعب الاحبار كان اذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة ﴿ فنجيناك من الغم ﴾ أي من غم القتل

اليهم شيئا من ذلك ولا ممسكيه لانفسنا لحفر حفيراً وأمر كل قوم عندهم من ذلك من متاع أو حلية أن يقذفوه في ذلك الحفير ثم أوقد عليه النار فأحرقته فقال لا يكون لنا ولا لهم وكان السامري من قوم يعبدون البقر جيران لبني اسرائيل ولم يكن من بني اسرائيل فاحتمل مع موسى وبني اسرائيل حين احتملوا فقضى له ان رأى أثراً فقبض منه قبضة فمر بهارون فقال له هارون عليه السلام ياسامري ألا تلقي مافي يدك وهو قابض عليه لا يراه أحد طول ذلك فقال هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ولا ألقيها لشيء إلا أن تدعو الله اذا ألقيتها أن يجعلها ماأريد ▪ فألقاها ودعا له هارون ، فقال أريد أن يكون عجلا فاجتمع ماكان في الحفيرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلا أجوف ليس فيه روح وله خوار، قال ابن عباس لا والله ما كان له صوت قط انما كانت الريح تدخل في دبره وتخرج من فيه وكان ذلك الصوت من ذلك فتفرق بنو اسرائيل فرقا فقالت فرقة ياسامري ماهذا وأنت أعلم به؟ قال هذا ربكم ولكن موسى أضل الطريق ، فقالت فرقة لا نكذب بهذا حتى يرجع الينا موسى فان كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأينا وإن لم يكن ربنا فانا نتبع قول موسى ▪ وقالت فرقة هذا من عمل الشيطان وليس بربنا ولا نؤمن به ولا نصدق ، وأشرب فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل وأعلنوا التكذيب به ، فقال لهم هارون (ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا امري) قالوا فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوما ثم أخلفنا ، هذه اربعون يوما قد مضت، وقال سفهاؤهم أخطأ ربه فهو يطلبه يتبعه ▪ فلما كلم الله موسى وقال له ماقال أخبره بما لقي قومه من بعده (فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا) فقال لهم ماسمعتم في القرآن وأخذ برأس أخيه يجره اليه وألقى الالواح من الغضب ثم انه عذر أخاه بعذره واستغفر له وانصرف الى السامري فقال له ماحملك على ماصنعت؟ قال (قبضت قبضة من اثر الرسول) وفطنت لها وعميت عليكم (فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لامساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً ، ولو كان إلها لم يخلص إلى ذلك منه فاستيقن بنو اسرائيل بالفتنة واغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون فقالوا لجماعتهم ياموسى سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها فيكفر عنا ماعملنا فاختار موسى قومه سبعين رجلا لذلك لا يألوا الخير خيار بني اسرائيل ومن لم يشرك في العجل فانطلق بهم يسأل لهم التوبة فرجفت بهم الارض فاستحيا نبي الله من قومه ومن وفده حين فعل بهم مافعل فقال (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) وفيهم من كان الله اطلع منه على ما أشرب قلبه من حب العجل

وكربه ﴿ وفتناك فتونا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه اختبرناك اختبارا وقال الضحاك ومقاتل ابتليناك ابتلاء، وقال مجاهد اخلصناك اخلاصا وعن ابن عباس في رواية سعيد بن جبير إن الفتون وقوعه في محنة بعد محنة خلصه الله منها أولها أن امه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه

وإيمانه به فلذلك رجفت بهم الارض فقال (رحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) فقال يارب سألتك التوبة لقومي فقلت ان رحمتي كتبتها لقوم غير قومي هلا أخرتني حتى تخرجني في أمة ذلك الرجل المرحومة فقال له ان توبتهم أن يقتل كل رجل منهم من لقي من والد وولد فيقتله بالسيف ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن وتاب أولئك الذين كان خفي على موسى وهارون واطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا وغفر الله للقاتل والمقتول ثم سار بهم موسى عليه السلام متوجها نحو الارض المقدسة وأخذ الالواح بعد ماسكت عنه الغضب فأمرهم بالذي أمرهم به ان يبلغهم من الوظائف فثقل ذلك عليهم وأبوا أن يقروا بها فنتق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ودنا منهم حتى خافوا ان يقع عليهم فأخذوا الكتاب بايمانهم وهم مصغون ينظرون إلى الجبل والكتاب بايديهم وهم من وراء الجبل مخافة أن يقع عليهم ثم مضوا حتى أتوا الارض المقدسة فوجدوا مدينة فيها قوما جبارين خلقهم خلق منكر وذكروا من ثمارهم أمرا عجيبا من عظمها فقالوا ياموسى إن فيها قوما جبارين لاطاقة لنا بهم ولا ندخلها ماداموا فيها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين يخافون قيل ليزيد هكذا قرأه قال نعم من الجبارين آمنا بموسى وخرجنا اليه قالوا نحن أعلم بقومنا ان كنتم انما تخافون ما رأيتم من أجسامهم وعددهم فانهم لاقلوب لهم ولامنعة عندهم فادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون ويقول أناس انهم من قوم موسى فقال الذين يخافون بنو إسرائيل (قالوا ياموسى لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) فاغضبوا موسى فدعا عليهم وسماهم فاسقين ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المعصية واساءتهم حتى كان يومئذ فاستجاب الله له وسماهم كما سماهم موسى فاسقين وحرمها عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار وظلل عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثيابا لا تبلى ولاتتسخ وجعل بين ظهرانيهم حجراً مربعاً وأمر موسى فضربه بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل ناحية ثلاثة اعين وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها فلا يرتحلون من مكان الاوجدوا ذلك الحجر بينهم بالمكان الذي كان فيه بالامس. رفع ابن عباس هذا الحديث الى النبي ﷺ وصدق ذلك عندي أن معاوية سمع ابن عباس يحدث هذا الحديث فانكر عليه أن يكون الفرعوني الذي أفشى على موسى امر القتيل الذي قتل فقال كيف يفشي عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الاسرائيلي الذي حضر ذلك فغضب ابن عباس فأخذ بيد معاوية وانطلق به الى سعد بن مالك الزهري فقال له ياأبا اسحاق هل تذكر يوم حدثنا رسول الله ﷺ عن قتيل موسى الذي قتل من

في البحر في التابوت ثم منعه الرضاع إلا من ثدي امه ثم اخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الدرة ثم قتله القبطي وخروجه الى مدين خائفا فكان ابن عباس يقص القصة على سعيد

آل فرعون الاسرائيلي الذي أفشى عليه أم الفرعوني قال انما أفشى عليه الفرعوني بما سمع من الاسرائيلي الذي شهد على ذلك وحضره هكذا رواه النسائي في السنن الكبرى وأخرجه أبوجعفر بن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما كلهم من حديث يزيد بن هارون به وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع إلا قليل منه وكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما مما أبيح نقله من الاسرائيليات عن كعب الاحبار أوغيره والله أعلم وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضا وقوله عزوجل

فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يٰموسى (٤٠) واصطنعتك لنفسي (٤١) اذهب أنت وأخوك بآيٰتي ولا تنيا في ذكري (٤٢) اذهبا الى فرعون انه طغى (٤٣) فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى (٤٤)

يقول تعالى مخاطبا لموسى عليه السلام إنه لبث مقيما في أهل مدين فاراً من فرعون وملئه يرعى على صهره حتى انتهت المدة وانقضى الاجل ثم جاء موافقا لقدر الله وإرادته من غير ميعاد والامر كله لله تبارك وتعالى وهو المسير عباده وخلقه فيما يشاء ولهذا قال (ثم جئت على قدر ياموسى) قال مجاهد أي على موعد، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله (ثم جئت على قدر ياموسى) قال على قدر الرسالة والنبوة.

وقوله (واصطنعتك لنفسي) أي اصطفيتك واجتبيتك رسولا لنفسي أي كما أريد وأشاء، وقال البخاري عند تفسيرها حدثنا الصلت بن محمد حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا محمد بن سيرين عن أبي

ابن جبير فعلى هذا معنى فتناك خلصناك من تلك المحن كما يفتن الذهب من النار فيخلص من كل خبث فيه والفتون مصدر ﴿فلبثت﴾ فمكثت أي فخرجت من ارض مصر الى مدين فلبثت ﴿سنين في أهل مدين﴾ يعني ترعى الاغنام عشر سنين ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر هرب اليها موسى. وقال وهب لبث عند شعيب عليه السلام ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها مهر زوجته صفوراء بنت شعيب وثماني عشر سنة أقام عنده حتى ولد له ﴿ثم جئت على قدر ياموسى﴾ قال مقاتل على موعد ولم يكن هذا الموعد مع موسى وانما كان موعدا في تقدير الله قال محمد بن كعب جئت على القدر الذى قدرت لك انك تجيء الي فيه وقال عبد الرحمن بن كيسان على رأس اربعين سنة وهو القدر الذى يوحى فيه الى الانبياء وهذا معنى قول اكثر المفسرين أى على الموعد الذى وعده الله وقدره انه يوحى اليه بالرسالة وهو اربعون سنة

قوله عز وجل ﴿واصطنعتك لنفسي﴾ أى اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي يعني لتتصرف على ارادتي ومحبتي وذلك ان قيامه بأداء الرسالة تصرف على ارادة الله ومحبته قال الزجاج اخترتك

هريرة عن رسول الله ﷺ قال «التقى آدم وموسى فقال موسى أنت الذى أشقيت الناس واخرجتهم من الجنة فقال آدم وانت الذي اصطفاك الله برسالته واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة قال نعم قال فوجدته مكتوبا علي قبل أن يخلقني قال نعم فحج آدم موسى» أخرجاه وقوله (اذهب أنت واخوك بآياتي) اى بحججي وبراهيني ومعجزاتي (ولا تنيا في ذكري) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لاتبطئا، وقال مجاهد عن ابن عباس لاتضعفا والمراد انهما لايفتران في ذكر الله بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون ليكون ذكر الله عونا لهما عليه وقوة لهما وسلطانا كاسرا له كما جاء في الحديث« ان عبدى كل عبدى الذى يذكرني وهو مناجز قرنه»

وقوله (اذهبا إلى فرعون انه طغى) أى تمرد وعتا وتجبر على الله وعصاه (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) هذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو ان فرعون في غاية العتو والاستكبار وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين كما قال يزيد الرقاشي عند قوله [فقولا له قولا لينا]

يامن يتحبب إلى من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه

وقال وهب بن منبه قولا له اني الى العفو والمغفرة أقرب مني إلى الغضب والعقوبة وعن عكرمة في قوله [فقولا له قولا لينا] قال لا إله إلا الله ، وقال عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى [فقولا له قولا لينا] اعذرا اليه قولا له ان لك ربا ولك معادا وان بين يديك جنة ونارا وقال بقية عن علي بن هارون عن رجل عن الضحاك بن مزاحم عن النزال بن سبرة عن علي في قوله [فقولا له قولا لينا] قال كنه وكذا روى عن سفيان الثورى كنه بابي مرة والحاصل من أقوالهم ان دعوتهما له تكون

لامري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كأني الذى اقمت بك عليهم الحجة وخاطبتهم ﴿ اذهب انت وأخوك بآياتي ﴾ بدلا لأنى وقال ابن عباس يعني الآيات التسع التي بعث بها موسى ﴿ ولا تنيا ﴾ ولا تضعفا وقال السدى لاتفترا وقال محمد بن كعب لاتقصرا ﴿ في ذكري * اذهبا الى فرعون انه طغى﴾ قرأ أبو عمرو واهل الحجاز (لنفسي اذهب) و(ذكري اذهبا) و(ان قومي اتخذوا) (من بعدي اسمه) بفتح الياء فيهن ووافقهم أبو بكر (من بعدي اسمه) وقرأ الباقون باسكانها ﴿ فقولا له قولا لينا ﴾ يقول دارياه وارفقا معه قال ابن عباس رضي الله عنه لاتعنفا في قولكما وقال السدي وعكرمة كنياه فقولا يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد وقال مقاتل يعني بالقول اللين (هل لك الى أن تزكى واهديك الى ربك فتخشى)وقيل امرهما باللطافة في القول لما له من حق التربية وقال السدي القول اللين أن موسى أتاه ووعده على قبول الايمان شبابا لايهرم معه ، وملكا لاينزع منه إلا بالموت ويبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فأعجبه ذلك وكان لايقطع أمرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم اخبره بالذي دعاه اليه موسى وقال أردت أن اقبل منه فقال له

بكلام رقيق لين سهل رفيع ليكون اوقع في النفوس وابلغ وانجع كما قال تعالى [ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن] وقوله [لعله يتذكر أو يخشى] اى لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة او يخشى اى يوجد طاعة من خشية ربه كما قال تعالى لمن (اراد ان يذكر او يخشى) فالتذكر الرجوع عن المحذور والخشية تحصيل الطاعة ، وقال الحسن البصرى [لعله يتذكر أو يخشى] يقول : لاتقل أنت ياموسى واخوك هارون اهلكه قبل ان اعذر اليه وههنا نذكر شعر زيد بن عمرو بن نفيل ويروى لامية بن ابي الصلت فيما ذكره ابن اسحاق

وانت الذي من فضل من ورحمة   بعثت الى موسى رسولا مناديا
فقلت له فاذهب وهارون فادعوا   الى الله فرعون الذي كان باغيا
فقولا له هل أنت سويت هذه   بلا وتد حتى استقلت كما هيا
وقولا له أأنت رفعت هذه   بلا عمد ارفق اذن بك بانيا
وقولا له أأنت سويت وسطها   منيراً إذا ما جنه الليل هاديا
وقولا له من يخرج الشمس بكرة   فيصبح مامست من الارض ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب في الثرى   فيصبح منه البقل يهتز رابيا
ويخرج منه حبه في رءوسه   ففي ذلك آيات لمن كان واعيا

قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا او أن يطغى (٤٥) قال لاتخافا انني معكما أسمع وأرى (٤٦) فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسراءيل ولا تعذبهم قد جئتك

هامان كنت أرى أن لك عقلا ورأيا انت رب تريد أن تكون مربوبا وانت تعبد تريد أن تعبد فغلبه على رأيه وكان هارون يومئذ بمصر فأمر الله موسى أن يأتي هارون واوحى الى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى فتلقاه الى مرحلة واخبره بما اوحي اليه ﴿ لعله يتذكر او يخشى ﴾ أي يتعظ ويخاف ويسلم فان قيل كيف قال لعله يتذكر وقد سبق في علمه انه لايتذكر ولا يسلم ؟ قيل معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء امركما، وقال الحسين بن الفضل هو ينصرف الى غير فرعون مجازه لعله يتذكر متذكر ويخشى خاش اذارأى بري والطافي بمن خلقته وانعمت عليه ثم ادعى الربوبية ، وقال أبو بكر محمد بن عمر الوراق لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه الذكرى والخشية وذلك حين ألجمه الغرق قال آمنت أنه لاإله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ هذه الآية (فقولا له قولا لينا) فبكى يحيى وقال إلهي هذا برك بمن يقول أنا الاله فكيف برك بمن يقول أنا العبد انت الاله ﴿ قالا ﴾ يعني موسى وهارون ﴿ ربنا إننا نخاف أن

بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى (٤٧) إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى (٤٨)

يقول تعالى اخباراً عن موسى وهرون عليهما السلام انهما قالا مستجيرين بالله تعالى شاكيين اليه (إننا نخاف أن يفرط علينا أو ان يطغى) يعنيان ان يبدر اليهما بعقوبة أو يعتدي عليهما فيعاقبهما وهما لا يستحقان منه ذلك قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن يفرط يعجل وقال مجاهد يبسط علينا وقال الضحاك عن ابن عباس أو أن يعتدي (قال لاتخافا انني معكما أسمع وأرى) أي لاتخافا منه فانني معكما أسمع كلامكما وكلامه وأرى مكانكما ومكانه لايخفى علي من أمركم شيء واعلما ان ناصيته بيدي فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا باذني وبعد أمري وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمرو ابن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما بعث الله عز وجل موسى الى فرعون فقال رب أي شيء أقول قال قل هيا شراهيا قال الاعمش فسر ذلك أنا الحي قبل كل شيء والحي بعد كل شيء اسناده جيد وشيء غريب (فأتياه فقولا إنا رسولا ربك)قد تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس أنه قال مكثا على بابه حيناً لا يؤذن لهما ثم أذن لهما بعد حجاب شديد ، وذكر محمد بن اسحاق بن يسار ان موسى وأخاه هرون خرجا فوقفا بباب فرعون يلتمسان الاذن عليه وهما يقولان انا رسول رب العالمين فآذنوا بنا هذا الرجل فمكثا فيما بلغني سنتين يغدوان ويروحان لايعلم بهما ولا يجترىء أحد على أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه فقال له أيها الملك ان على بابك رجلا يقول قولا عجيباً يزعم أن له إلها غيرك أرسله اليك قال ببابي؟ قال نعم قال أدخلوه فدخل ومعه أخوه هرون وفي يده عصاه فلما وقف على فرعون قال اني رسول رب العالمين ، فعرفه فرعون وذكر السدي أنه لما قدم بلاد مصر ضاف أمه وأخاه وهما لايعرفانه وكان طعامهما ليلتئذ الطفيل وهو اللفت ثم عرفاه وسلما عليه فقال له موسى ياهرون ان ربي قد أمرني ان آتي هذا الرجل فرعون فأدعوه الى الله وأمرك أن تعاونني قال افعل ما أمرك ربك فذهبا وكان ذلك ليلا فضرب موسى باب القصر بعصاه فسمع فرعون فغضب وقال من يجترىء على هذا الصنيع الشديد فاخبره السدنة والبوابون بان ههنا رجلا مجنونا يقول

يفرط علينا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يعجل علينا بالقتل والعقوبة يقال فرط عليه فلان اذا عجل بمكروه وفرط منه امر أي بدر وسبق ﴿ أو أن يطغى ﴾ أي يجاوز الحد في الاساءة الينا ﴿ قال لاتخافا إنني معكما اسمع وأرى ﴾ قال ابن عباس اسمع دعاءكما فأجيبه وأرى مايراد بكما فامنعه لست بغافل عنكما فلا تهتما ﴿ فأتياه فقولا إنا رسولا ربك ﴾ ارسلنا اليك ﴿ فارسل معنا بني اسرائيل ﴾ أي خل عنهم واطلقهم من اعمالك ﴿ ولا تعذبهم ﴾ لاتتعبهم في العمل وكان فرعون يستعملهم في الاعمال

انه رسول الله فقال علي به فلما وقفا بين يديه قالا وقال لهما ما ذكر الله في كتابه وقوله (قد جئناك بآية من ربك) أي بدلالة ومعجزة من ربك (والسلام على من اتبع الهدى) أي والسلام عليك ان اتبعت الهدى ولهذا لما كتب رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم كتابا كان أوله « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام فاسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين » وكذلك لما كتب مسيلمة الى رسول الله ﷺ كتابا صورته من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله سلام عليك أما بعد فاني قد شركتك في الامر فلك المدر ولي الوبر ولكن قريش قوم يعتدون . فكتب اليه رسول الله ﷺ « من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » ولهذا قال موسى وهرون عليهما السلام لفرعون (والسلام على من اتبع الهدى إنا قد أوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى) أي قد أخبرنا الله فيما أوحاه الينا من الوحي المعصوم ان العذاب متمحض لمن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته كما قال تعالى (فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا * فان الجحيم هي المأوى) وقال تعالى (فانذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها الا الاشقى * الذي كذب وتولى) وقال تعالى (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) أي كذب بقلبه وتولى بفعله

قال فمن ربكما يموسى؟ (٤٩) قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (٥٠) قال فما بال القرون الاولى؟ (٥١) قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى (٥٢)

يقول تعالى مخبراً عن فرعون انه قال لموسى منكراً وجود الصانع الخالق إله كل شيء وربه ومليكه قال (فمن ربكما ياموسى) أي من بعثك وأرسلك من هو فاني لا أعرفه وما علمت لكم من إله غيري (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول (خلق لكل شيء زوجه) وقال الضحاك عن ابن عباس جعل الانسان انساناً والحمار حماراً والشاة شاة وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد أعطى كل شيء صورته وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد سوى خلق كل دابة وقال سعيد بن جبير في قوله (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) قال أعطى كل ذي خلق

الشاقة ﴿ قد جئناك بآية من ربك ﴾ قال فرعون وما هي فاخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس ﴿ والسلام على من اتبع الهدى ﴾ ليس المراد منه التحية انما معناه يسلم من عذاب الله من اسلم ﴿ إنا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى ﴾ أي انما يعذب الله من كذب بما جئنا به واعرض عنه ﴿ قال فمن ربكما ياموسى ﴾ من إلهكما الذي ارسلكما ﴿ قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ قال الحسن وقتادة أعطى كل شيء صلاحه وهداه لما يصلحه « وقال مجاهد اعطى كل شيء صورته لم يجعل خلق الانسان كخلق البهائم ولا خلق البهائم كخلق الانسان ثم هداه الى منافعه من

ما يصلحه من خلقه ولم يجعل للانسان من خلق الدابة ولا للدابة من خلق الكلب ولا للكلب من خلق الشاة وأعطى كل شيء ما ينبغي له من النكاح وهيأ كل شيء على ذلك ليس شيء منها يشبه شيئا من أفعاله في الخلق والرزق والنكاح ، وقال بعض المفسرين أعطى كل شيء خلقه ثم هدى كقوله تعالى (الذي قدر فهدى) أي قدر قدرا وهدى الخلائق اليه أي كتب الاعمال والآجال والارزاق ثم الخلائق ماشون على ذلك لا يحيدون عنه ولا يقدر أحد على الخروج منه يقول ربنا الذي خلق الخلق وقدر القدر وجبل الخليقة على ما أراد (قال فما بال القرون الاولى) أصح الاقوال في معنى ذلك ان فرعون لما أخبره موسى بان ربه الذي ارسله هو الذي خلق ورزق وقدر فهدى شرع يحتج بالقرون الاولى أي الذين لم يعبدوا الله أي فما بالهم اذ كان الامر كذلك لم يعبدوا ربك بل عبدوا غيره فقال له موسى في جواب ذلك هم وان لم يعبدوه فان عملهم عند الله مضبوط عليهم وسيجزيهم بعملهم في كتاب الله وهو اللوح المحفوظ وكتاب الاعمال (لا يضل ربي ولا ينسى) أي لا يشذ عنه شيء ولا يفوته صغير ولا كبير ولا ينسى شيئا يصف علمه تعالى (بأنه بكل شيء محيط) وأنه لا ينسى شيئا تبارك وتعالى وتقدس وتنزه فان علم المخلوق يعتريه نقصانان أحدهما عدم الاحاطة بالشيء والآخر نسيانه بعد علمه فنزه نفسه عن ذلك

الذي جعل لكم الارض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى (٥٣) كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيت لأولى النهى (٥٤) منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى (٥٥) ولقد أريناه آيتنا كلها فكذب وأبى (٥٦)

هذا من تمام كلام موسى فيما وصف به ربه عز وجل حين سأله فرعون عنه فقال (الذي أعطى كل

المطعم والمشرب والمنكح وقال الضحاك اعطى كل شيء خلقه يعني اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق ، والعين للنظر ، والاذن للسمع وقال سعيد بن جبير اعطى كل شيء خلقه يعني زوج الانسان المرأة والبعير الناقة والحمار الأتان والفرس الرمكة (ثم هدى) أي الهمه كيف يأتي الذكر الانثى ﴿ قال ﴾ فرعون ﴿ فما بال القرون الاولى ﴾ ومعنى البال الحال أي ماحال القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فيما تدعونني اليه فانها كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ علمها عند ربي ﴾ أي اعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها وقيل انما رد موسى علم ذلك الى الله لأنه لم يعلم ذلك فان التوراة انزلت اليه بعد هلاك فرعون وقومه ﴿ في كتاب ﴾ يعني في اللوح المحفوظ ﴿ لا يضل ربي ﴾ أي لا يخطيء وقيل لا يغيب عنه شيء ولا يغيب عن شيء ﴿ ولا ينسى ﴾ ما كان من امرهم حتى يجازيهم باعمالهم وقيل (لا ينسى) أي لا يترك الانتقام فينتقم من الكفار ويجازي المؤمن ﴿ الذي جعل لكم الارض مهداً ﴾ قرأ أهل الكوفة مهدا ههنا وفي الزخرف فيكون مصدراً أي فرشا

شيء خلقه ثم هدى) ثم اعترض الكلام بين ذلك ثم قال (الذي جعل لكم الارض مهادا) وفي قراءة بعضهم مهدا أي قرارا تستقرون عليها وتقومون وتنامون عليها وتسافرون على ظهرها (وسلك لكم فيها سبلا) أي جعل لكم طرقا تمشون في مناكبها كما قال تعالى (وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون) (وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى) أي من أنواع النباتات من زروع وثمار ومن حامض وحلو ومر وسائر الانواع (كلوا وارعوا أنعامكم) أي شيء لطعامكم وفاكهتكم وشيء لانعامكم لاقواتها خضرا ويبسا (ان في ذلك لآيات) أي لدلالات وحجج وبراهين (لأولي النهى) أي لذوي العقول السليمة المستقيمة على انه لا إله إلا الله ولا رب سواه (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) أي من الارض مبدؤكم فان أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الارض وفيها نعيدكم أي واليها تصيرون اذا متم وبليتم ومنها نخرجكم تارة أخرى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا) وهذه الآية كقوله تعالى (قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) وفي الحديث الذي في السنن أن رسول الله ﷺ حضر جنازة فلما دفن الميت أخذ قبضة من التراب فالقاها في القبر وقال منها خلقناكم ثم أخذ أخرى وقال وفيها نعيدكم ثم اخرى وقال ومنها نخرجكم تارة أخرى وقوله (ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى) يعني فرعون أنه قامت عليه الحجج والآيات والدلالات وعاين ذلك وأبصره فكذب بها وأباها كفرا وعنادا وبغيا كما قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) الآية

وقرأ الآخرون مهادا كقوله تعالى (ألم نجعل الارض مهادا) أي فراشا وهو اسم مايفرش كالبساط اسم لما يبسط ﴿ وسلك لكم فيها سبلا ﴾ السلك ادخال الشيء في الشيء والمعنى ادخل في الارض لاجلكم طرقا تسلكونها قال ابن عباس سهل لكم فيها طرقا تسلكونها ﴿ وأنزل من السماء ماء ﴾ يعني المطر تم الاخبار عن موسى ثم اخبر الله عن نفسه بقوله ﴿ فاخرجنا به ﴾ بذلك الماء ﴿ أزواجا ﴾ أصنافا ﴿ من نبات شتى ﴾ مختلف الالوان والطعوم والمنافع من ابيض واحمر واخضر واصفر فكل صنف منها زوج فمنها للناس ومنها للدواب ﴿ كلوا وارعوا ﴾ أي وارتعوا ﴿ انعامكم ﴾ تقول العرب رعيت الغنم فرعت أي أسيموا انعامكم ترعى ﴿ إن في ذلك ﴾ الذي ذكرت ﴿ لآيات لاولي النهي ﴾ لذوي العقول واحدتها نهية سميت نهية لأنها تنهى صاحبها عن القبائح والمعاصي قال الضحاك لاولي النهى الذين ينتهون عما حرم الله عليهم قال قتادة لذوي الورع ﴿ منها ﴾ أي من الارض ﴿ خلقناكم ﴾ يعني أباكم آدم وقال عطاء الخراساني ان الملك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة فذلك قوله تعالى (منها خلقناكم) ﴿ وفيها نعيدكم ﴾ أي عند الموت والدفن ﴿ ومنها نخرجكم تارة اخرى ﴾ يوم البعث

قوله تعالى ﴿ ولقد أريناه ﴾ يعني فرعون ﴿ آياتنا كلها ﴾ يعني الآيات التسع التي اعطاها الله

قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يموسى؟ (٥٧) فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى (٥٨) قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى (٥٩)

يقول تعالى مخبرا عن فرعون انه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى وهي القاء عصاه فصارت ثعبانا عظيما ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء فقال هذا سحر جئت به لتسحرنا وتستولي به على الناس فيتبعونك وتكاثرنا بهم ولا يتم هذا معك فان عندنا سحرا مثل سحرك فلا يغرنك ما أنت فيه فاجعل بيننا وبينك موعدا أي يوما نجتمع نحن وأنت فيه فنعارض ماجئت به بما عندنا من السحر في مكان معين ووقت معين فعند ذلك قال لهم موسى موعدكم يوم الزينة وهو يوم عيدهم ونيروزهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماع جميعهم ليشاهد الناس قدرة الله على مايشاء ومعجزات الانبياء وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية ولهذا قال (وان يحشر الناس) أي جميعهم ضحى أي ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح وهكذا شأن الانبياء كل أمرهم بين واضح ليس فيه خفاء ولا ترويج ولهذا لم يقل ليلا ولكن نهارا ضحى قال ابن عباس وكان يوم الزينة يوم عاشوراء وقال السدي وقتادة وابن زيد كان يوم عيدهم وقال سعيد بن جبير كان يوم سوقهم ولا منافاة قلت وفي مثله أهلك الله فرعون وجنوده كما ثبت في الصحيح وقال وهب بن منبه قال فرعون ياموسى اجعل بيننا وبينك أجلا ننظر فيه قال موسى لم أومر بهذا انما أمرت بمناجزتك إن أنت لم تخرج دخلت اليك فأوحى الله إلى موسى ان اجعل بينك وبينه أجلا وقل له أن يجعل هو قال فرعون اجعله الى أربعين يوما ففعل وقال مجاهد وقتادة مكانا سوى منصفا وقال السدي عدلا

موسى ﴿فكذب﴾ بها وزعم انها سحر ﴿وأبى﴾ أن يسلم ﴿قال﴾ يعني فرعون ﴿أجئتنا لتخرجنا من ارضنا﴾ يعني أرض مصر ﴿بسحرك ياموسى﴾ أي تريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها ﴿فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا﴾ أي فاضرب بيننا وبينك أجلا وميقاتا ﴿لا نخلفه﴾ قرأ أبو جعفر لا نخلفه جزما لا نجاوزه ﴿نحن ولا انت مكاناسوى﴾ قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب سوى بضم السين وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان مثل عدى وعدى وطوى وطوى قال مقاتل وقتادة مكانا عدلا بيننا وبينك وعن ابن عباس نصفا ومعناه تستوي مسافة الفريقين اليه قال أبو عبيدة والقتيبي وسطا بين الفريقين قال مجاهد منصفا وقال الكلبي يعني سوى هذا المكان ﴿قال موعدكم يوم الزينة﴾ قال مجاهد وقتادة ومقاتل والسدي كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة وقيل هو يوم النيروز وقال ابن عباس وسعيد بن جبير يوم عاشوراء

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مكانا سوى مستو بين الناس وما فيه لا يكون صوت ولا شيء يتغيب بعض ذلك مستو حين يرى

فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى (٦٠) قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيُسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى (٦١) فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى (٦٢) قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى (٦٣) فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى (٦٤)

يقول تعالى مخبرا عن فرعون انه لما تواعد هو وموسى عليه السلام الى وقت ومكان معلومين تولى أي شرع في جمع السحرة من مدائن مملكته كل من ينسب الى السحر في ذلك الزمان وقد كان السحر فيهم كثيرا نافقا جدا كما قال تعالى (وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم) ثم أتى أي اجتمع الناس لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة وجلس فرعون على سرير مملكته واصطف له أكابر دولته ووقفت الرعايا يمنة ويسرة واقبل موسى عليه الصلاة والسلام متوكئا على عصاه ومعه اخوه هرون ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوفا وهو يحرضهم ويحثهم ويرغبهم في إجادة عملهم في ذلك

﴿ وأن يحشر الناس ضحى ﴾ أي وقت الضحوة نهارا جهارا ليكون ابعد من الريبة ﴿ فتولى فرعون فجمع كيده ﴾ مكره وحيلته وسحرته ﴿ ثم أتى ﴾ أي الميعاد ﴿ قال لهم موسى ﴾ يعني للسحرة الذين جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد حبل وعصا وقيل كانوا أربعمائة وقال كعب كانوا اثني عشر الفا وقيل اكثر من ذلك ﴿ ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص فيسحتكم بضم الياء وكسر الحاء وقرأ الباقون بفتح الياء والحاء وهما لغتان قال مقاتل والكلبي فيهلككم وقال قتادة فيستأصلكم ﴿ وقد خاب من افترى * فتنازعوا أمرهم بينهم ﴾ أي تناظروا وتشاوروا يعني السحرة في أمر موسى سرا من فرعون قال الكلبي قالوا سرا ان غلبنا موسى اتبعناه وقال محمد بن اسحاق لما قال لهم موسى لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ماهذا بقول ساحر ﴿ وأسروا النجوى ﴾ أي المناجاة يكون مصدرا واسما ثم ﴿ قالوا ﴾ وأسر بعضهم الى بعض يتناجون ﴿ إن هذان لساحران ﴾ يعني موسى وهارون قرأ ابن كثير وحفص ان بتخفيف النون (هذان) أي ماهذان إلا ساحران كقوله (إن نظنك لمن الكاذبين) وشدد ابن كثير النون من هذان وقرأ أبو عمرو إن بتشديد النون هذين بالياء على الاصل وقرأ الآخرون ان بتشديد النون هذان بالالف واختلفوا فيه فروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنه خطأ من الكاتب وقال قوم هو لغة بلحارث بن كعب وخثعم وكنانة فانهم يجعلون الاثنين في موضع الرفع

اليوم ويتمنون عليه وهو يعدهم ويمنيهم يقولون (أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين) (قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذبا) اي لاتخيلوا للناس باعمالكم ايجاد اشياء لاحقائق لها وانها مخلوقة وليست مخلوقة فتكونون قد كذبتم على الله (فيسحتكم بعذاب) أي يهلككم بعقوبة هلاكا لابقية له (وقد خاب من افترى * فتنازعوا أمرهم بينهم) قيل معناه انهم تشاجروا فيما بينهم فقائل يقول ليس هذا بكلام ساحر انما هذا كلام نبي ، وقائل يقول بل هو ساحر وقيل غير ذلك والله أعلم

وقوله (وأسروا النجوى) أي تناجوا فيما بينهم (قالوا ان هذان لساحران) وهذه لغة لبعض العرب جاءت هذه القراءة على اعرابها ، ومنهم من قرأ (ان هذين لساحران) وهذه اللغة المشهورة وقد توسع النحاة في الجواب عن القراءة الاولى بما ليس هذا موضعه . والغرض أن السحرة قالوا فيما بينهم : تعلمون ان هذا الرجل وأخاه — يعنون موسى وهرون — ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر يريدان في هذا اليوم ان يغلباكم وقومكم ويستوليا على الناس وتتبعهما العامة ويقاتلا فرعون وجنوده فينصرا عليه ويخرجاكم من ارضكم

وقوله (ويذهبا بطريقتكم المثلى) اي ويستبدا بهذه الطريقة وهي السحر فانهم كانوا معظمين بسببها لهم اموال وأرزاق عليها يقولون اذا غلب هذان اهلكاكم واخرجاكم من الارض وتفردا بذلك وتمحضت لهما الرياسة بها دونكم ، وقد تقدم في حديث الفتون ان ابن عباس قال في قوله

والنصب والخفض بالالف يقولون أتاني الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان فلا يتركون ألف التثنية في شيء منها وكذلك يجعلون كل ياء ساكنة انفتح ماقبلها ألفا كما في التثنية يقولون كسرت يداه وركبت علاه يعني يديه وعليه وقال شاعرهم

تزود مني بين اذناه ضربة ... دعته الى هابي التراب عقيم

يريد بين اذنيه وقال آخر

إن أباها وأبا أباها ... قد بلغا في المجد غايتاها

وقيل تقدير الآية انه هذان لحذف الهاء وذهب جماعة الى أن حرف ان ههنا بمعنى نعم أي نعم هذان روى أن أعرابيا سأل ابن الزبير شيئا فحرمه فقال لعن الله ناقة حملتني اليك فقال ابن الزبير إن وصاحبها أي نعم وقال الشاعر

بكرت علي عواذلي ... يلحينني وألومهنه

ويقلن شيب قد علاك ... وقد كبرت فقلت انه

أي نعم ﴿ يريدان أن يخرجاكم من أرضكم ﴾ مصر ﴿ بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ﴾ قال ابن عباس يعني بسراة قومكم واشرافكم يقال هؤلاء طريقة قومهم أي اشرافهم والمثلى تأنيث الامثل وهو الافضل حدث الشعبي عن علي قال يصرفان وجوه الناس اليهما قال قتادة طريقتهم المثلى كان بنو اسرائيل

(ويذهبا بطريقتكم المثلى) يعني ملكهم الذي هم فيه والعيش . وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا نعيم ابن حماد حدثنا هشيم عن عبد الرحمن بن اسحاق سمع الشعبي يحدث عن علي في قوله (ويذهبا بطريقتكم المثلى) قال يصرفان وجوه الناس اليهما، وقال مجاهد (ويذهبا بطريقتكم المثلى) قال اولو الشرف والعقل والاسنان . وقال ابو صالح بطريقتكم المثلى اشرافكم وسرواتكم ، وقال عكرمة بخيركم . وقال قتادة وطريقتهم المثلى يومئذ بنو اسرائيل وكانوا اكثر القوم عددا واموالا فقال عدو الله يريدان ان يذهبا بها لانفسهما وقال عبد الرحمن بن زيد بطريقتكم المثلى بالذي انتم عليه

وقوله (فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا) اي اجتمعوا كلكم صفًا واحدا والقوا ما في ايديكم مرة واحدة لتبهروا الابصار وتغلبوا هذا واخاه (وقد افلح اليوم من استعلى) اي منا ومنه ، اما نحن فقد وعدنا هذا الملك العطاء الجزيل واما هو فينال الرياسة العظيمة

قالوا يٰموسى إما ان تلقي وإما ان نكون اول من القى (٦٥) قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى (٦٦) فأوجس في نفسه خيفة موسى (٦٧) قلنا لا تخف انك انت الاعلى (٦٨) والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا ، انما صنعوا كيد سٰحر ولا يفلح السٰحر حيث اتى (٦٩) فألقي السحرة سجداً قالوا آمنا برب هٰرون وموسى (٧٠)

يقول تعالى مخبرا عن السحرة حين توافقوا هم وموسى عليه السلام انهم قالوا لموسى (اما أن تلقي) أي أنت أولا (وإما أن نكون أول من ألقى « قال بل ألقوا) أي أنتم أولا لنرى ماذا تصنعون من السحر وليظهر للناس جلية أمرهم (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى) وفي

يومئذ أكثر القوم عدداً وأموالا فقال عدو الله يريدان أن يذهبا بهم لانفسهم وقيل (بطريقتكم المثلى) أي بسنتكم ودينكم الذي أنتم عليه والمثلى نعت الطريق تقول العرب فلان على الطريقة المثلى يعني على الصراط المستقيم ﴿ فاجمعوا كيدكم ﴾ قرأ ابو عمرو فاجمعوا بوصل الالف وفتح الميم من الجمع أي لاتدعوا شيئا من كيدكم الا جئتم به بدليل قوله فجمع كيده وقرأ الآخرون بقطع الالف وكسر الميم فقد قيل معناه الجمع أيضا تقول العرب أجمعت الشيء وجمعته بمعنى واحد . والصحيح ان معناه العزم والاحكام أي اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له لاتختلفوا فيختل أمركم ﴿ ثم ائتوا صفا ﴾ أي جميعا قاله مقاتل والكلبي ، وقال قوم أي مصطفين مجتمعين ليكون أشد لهيبتكم وقال ابو عبيدة الصف المجتمع ويسمى المصلى صفا. معناه ثم ائتوا المكان الموعود صفا ﴿ وقد أفلح اليوم من استعلى ﴾ أي فاز من غلب ﴿ قالوا ﴾ يعني السحرة ﴿ ياموسى اما أن تلقي ﴾ عصاك ﴿ واما أن نكون أول من ألقى ﴾ عصينا ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ بل ألقوا ﴾ أنتم أولا ﴿ فاذا حبالهم ﴾ وفيه اضمار أي فألقوا فاذا حبالهم

الآية الاخرى انهم لما ألقوا (قالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) وقال تعالى(وسحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) وقال ههنا « فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) وذلك انهم أودعوها من الزئبق ماكانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد بحيث يخيل للناظر أنها تسعى باختيارها وانما كانت حيلة وكانوا جما غفيراً وجمعاً كثيرا فألقى كل منهم عصا وحبلا حتى صار الوادي ملآن حيات يركب بعضها بعضاً

وقوله (فأوجس في نفسه خيفة موسى) أي خاف على الناس أن يفتنوا بسحرهم ويغتروا بهم قبل أن يلقي مافي يمينه ، فأوحى الله تعالى اليه في الساعة الراهنة أن ألق مافي يمينك يعني عصاك فاذا هي تلقف ماصنعوا وذلك انها صارت تنينا عظيما هائلا ذا قوائم وعنق ورأس وأضراس فجعلت تتبع تلك الحبال والعصي حتى لم تبق منها شيئا إلا تلقفته وابتلعته والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عيانا جهرة نهارا ضحوة ، فقامت المعجزة واتضح البرهان ووقع الحق وبطل السحر ولهذا قال تعالى (انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن موسى الشيباني حدثنا حماد بن خالد حدثنا ابن معاذ - أحسبه الصائغ - عن الحسن عن جندب بن عبدالله البجلي قال قال رسول الله ﷺ « إذا أخذتم - يعني الساحر - فاقتلوه - ثم قرأ (ولا يفلح الساحر حيث أتى) قال لا يؤمن حيث وجد » وقد روى أصله الترمذي موقوفا ومرفوعا . فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه علموا علم اليقين ان هذا الذي فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل وانه حق لامرية فيه ولا يقدر على هذا الا الذي يقول للشيء كن فيكون فعند ذلك وقعوا سجدا لله وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ولهذا قال ابن عباس وعبيد بن عمير « كانوا أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء بررة ، قال محمد بن كعب كانوا ثمانين ألفا ، وقال القاسم بن أبي بزة كانوا سبعين ألفا وقال السدي بضعة وثلاثين ألفاً » وقال الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي ثمامة كان سحرة

﴿ وعصيهم ﴾ جمع العصا ﴿ يخيل اليه ﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب تخيل بالتاء رداً الى الحبال والعصي وقرأ الآخرون بالياء ردوه الى الكيد والسحر ﴿ من سحرهم أنها تسعى ﴾ حتى ظن أنها تسعى أي تمشي وذلك أنهم كانوا لطخوا حبالهم وعصيهم بالزئبق فلما أصابه حر الشمس ارتهست واهتزت فظن موسى أنها تقصده ، وفي القصة انهم لما ألقوا الحبال والعصي أخذوا أعين الناس فرأى موسى والقوم كأن الارض امتلأت حيات وكانت قد أخذت ميلا من كل جانب ورأوا أنها تسعى ﴿ فأوجس في نفسه خيفة موسى ﴾ أي وجد وقيل أضمر في نفسه خوفا واختلفوا في خوفه فقيل خوف طبع البشرية وذلك أنه ظن أنها تقصده وقال مقاتل خاف على القوم أن يلتبس عليهم الامر فيشكوا في أمره فلا يتبعونه ﴿ قلنا ﴾ لموسى ﴿ لاتخف انك أنت الاعلى ﴾ أي الغالب يعني لك الغلبة والظفر ﴿ وألق مافي

فرعون تسعة عشر الفا ، وقال محمد بن اسحاق كانوا خمسة عشر الفا ، وقال كعب الاحبار كانوا اثنى عشر الفا ■ وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن موسى حدثنا علي بن الحسين ابن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس كانت السحرة سبعين رجلا أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء ■ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا المسيب بن واضح بمكة حدثنا ابن المبارك قال قال الاوزاعي لما خر السحرة سجدا رفعت لهم الجنة حتى نظروا اليها ، قال وذكر عن سعيد بن سلام حدثنا اسماعيل بن عبدالله بن سليمان عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قوله (وألقي السحرة سجدا) قال رأوا منازلهم تبين لهم وهم في سجودهم وكذا قال عكرمة والقاسم بن أبي بزة

قال آمنتم له قبل أن آذن لكم ، انه لكبيركم الذي علمكم السحر ، فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلٰف ، ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا اشد عذابا وأبقى (٧١) قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينٰت والذي فطرنا ، فاقض ما أنت قاض ■ انما تقضي هذه الحيوٰة الدنيا (٧٢) إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطٰينا وما اكرهتنا عليه من السحر ، والله خير وأبقى (٧٣)

يقول تعالى مخبرا عن كفر فرعون وعناده وبغيه ومكابرته الحق بالباطل حين رأى ما رأى من المعجزة الباهرة والآية العظيمة ورأى الذين قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم وغلب كل الغلب شرع في المكابرة والبهت وعدل إلى استعمال جاهه وسلطانه في السحرة فتهددهم وتوعدهم وقال (آمنتم له) أي صدقتموه (قبل أن آذن لكم) أي وما أمرتكم بذلك وافتتتم علي في ذلك ■ وقال قولا يعلم هو والسحرة والخلق كلهم انه بهت وكذب (انه لكبيركم الذى علمكم السحر)

يمينك ﴾ يعني العصا ﴿ تلقف ﴾ تلتقم وتبتلع ﴿ ماصنعوا ﴾ قرأ ابن عامر تلقف برفع الفاء ههنا وقرأ الآخرون بالجزم على جواب الامر ﴿ إنما صنعوا ﴾ أي الذي صنعوا ﴿ كيد ساحر ﴾ أي حيلة سحر هكذا قرأ حمزة والكسائي بكسر السين بلا ألف وقرأ الآخرون ساحر لان اضافة الكيد إلى الفاعل أولى من اضافته الى الفعل وان كان ذلك لايمتنع في العربية ﴿ ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ من الارض قال ابن عباس لايسعد حيث كان وقيل معناه حيث احتال ﴿ فألقي السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم ﴾ لرئيسكم ومعلمكم ﴿ الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ﴾ يعني على جذوع النخل ﴿ ولتعلمن أينا أشد عذابا ﴾ يعني أنا على ايمانكم به أو رب موسى على ترك الايمان به ﴿ وأبقى ﴾ يعني أدوم ﴿ قالوا ﴾ يعني السحرة ﴿ لن نؤثرك ﴾ لن نختارك ﴿ على ما جاءنا من البينات ﴾ يعني الدلالات قال مقاتل يعني اليد البيضاء والعصا ■ وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحراً فأين حبالنا وعصينا ■ وقيل

أي أنتم إنما أخذتم السحر عن موسى واتفقتم أنتم وإياه علي وعلى رعيتي لتظهروه كما قال تعالى في الآية الأخرى (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون) ثم أخذ يتهددهم فقال (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل) أي لاجعلنكم مثلة ولاقتلنكم ولاشهرنكم « قال ابن عباس فكان أول من فعل ذلك، رواه ابن أبي حاتم

وقوله (ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى) اي انتم تقولون اني وقومي على ضلالة وأنتم مع موسى وقومه على الهدى فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه، فلما صال عليهم بذلك وتوعدهم هانت عليهم انفسهم في الله عز وجل وقالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات اي ان نختارك على ماحصل لنا من الهدى واليقين (والذي فطرنا) يحتمل ان يكون قسما ويحتمل ان يكون معطوفا على البينات « يعنون لانختارك على فاطرنا وخالقنا الذي انشأنا من العدم المبتدي خلقنا من الطين فهو المستحق للعبادة والخضوع لا أنت (فاقض ماانت قاض) اي فافعل ماشئت وما وصلت اليه يدك (انما تقضي هذه الحياة الدنيا) اي انما لك تسلط في هذه الدار وهي دار الزوال ونحن قد رغبنا في دار القرار إنا آمنا بربنا ايغفر لنا خطايانا اي ما كان منا من الآثام خصوصاً ما اكرهتنا عليه من السحر لتعارض به آية الله تعالى ومعجزة نبيه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (وما أكرهتنا عليه من السحر) قال أخذ فرعون أربعين غلاما من بني اسرائيل فأمر أن يعلموا السحر بالفرماء، وقال علموهم تعليما لايعلمه أحد في الارض، قال ابن عباس فهم من الذين آمنوا بموسى وهم من الذين قالوا (آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر) وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وقوله (والله خير وأبقى) أي خير لنا

(من البينات) يعني من اليقين والعلم حكي عن القاسم بن أبي بزة أنه قال انهم لما ألقوا سجدا مارفعوا رءوسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها ورأوا منازلهم في الجنة فعند ذلك (قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات) ﴿والذي فطرنا﴾ يعني لن نؤثرك على الله الذي فطرنا وقيل هو قسم ﴿فاقض ماأنت قاض﴾ يعني فاصنع ما أنت صانع ﴿انما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ يعني أمرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب ﴿انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ فان قيل كيف قالوا هذا وقد جاءوا مختارين يحلفون بعزة فرعون أن لهم الغلبة ؟ قيل روي عن الحسن أنه قال كان فرعون يكره قوما علي تعلم السحر لكيلا يذهب أصله « وقد كان أكرههم في الابتداء، وقال مقاتل كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بني اسرائيل كان عدو الله فرعون أكره الذين هم من بني إسرائيل على تعلم السحر فذلك قوله (وما أكرهتنا عليه من السحر) وقال عبدالعزيز بن أبان قالت السحرة لفرعون أرنا موسى إذا نام فأراهم موسى نائما وعصاه تحرسه

منك (وأبقى) أي أدوم ثوابا مما كنت وعدتنا ومنيتنا وهو رواية عن ابن إسحاق رحمه الله ، وقال محمد بن كعب القرظي (والله خير) أي لنا منك ان أطيع (وأبقى) أي منك عذابا ان عصي وروي نحوه عن ابن اسحاق أيضا ، والظاهر ان فرعون لعنه الله صمم على ذلك وفعله بهم رحمة لهم من الله ولهذا قال ابن عباس وغيره من السلف أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء

إنه من يأت ربه مجرماً فان له جهنم لايموت فيها ولا يحيي (٧٤) ومن يأته مؤمناً قد عمل الصلحت فأولئك لهم الدرجت العلى (٧٥) جنت عدن تجرى من تحتها الانهر خلدين فيها وذلك جزاء من تزكى (٧٦)

الظاهر من السياق ان هذا من تمام ماوعظ به السحرة لفرعون يحذرونه من نقمة الله وعذابه الدائم السرمدي، ويرغبونه في ثوابه الأبدي المخلد فقالوا (انه من يأت ربه مجرما) أي يلقى الله يوم القيامة وهو مجرم (فان له جهنم لايموت فيها ولا يحيي) كقوله (لايقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور) وقال (ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لايموت فيها ولا يحيي) وقال تعالى (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون) وقال الامام أحمد ابن حنبل حدثنا اسماعيل اخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ « أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لايموتون فيها ولا يحيون و لكن أناس تصيبهم النار بذنوبهم فتميتهم إماتة حتى اذا صاروا فحما أذن في الشفاعة جيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة فيقال ياأهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل » فقال رجل من القوم كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية وهكذا أخرجه مسلم في كتابه الصحيح من رواية شعبة وبشر بن المفضل كلاهما عن أبي سلمة سعيد بن يزيد به وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عبد الوارث بن عبد الصمد ابن عبد الوارث قال حدثنا أبي حدثنا حبان سمعت سليمان التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد ان

فقالوا لفرعون إن هذا ليس بساحر ان الساحر إذا نام بطل سحره فأبى عليهم الا أن يتعلموا فذلك قوله تعالى (وما أكرهتنا عليه من السحر) ﴿ والله خير وأبقى ﴾ قال محمد بن اسحاق خير منك ثوابا وأبقى عذابا وقال محمد بن كعب خير منك ثوابا ان أطيع وأبقى منك عذابا ان عصي وهذا جواب لقوله (ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى) ﴿ انه من يأت ربه مجرما ﴾ قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى ، وقيل من تمام قول السحرة مجرما أي مشركا يعني من مات على الشرك ﴿ فان له جهنم لايموت فيها ﴾ فيستريح ﴿ ولا يحيي ﴾ حياة ينتفع بها ﴿ ومن يأته ﴾ قرأ ابو عمرو ساكنة الهاء ويختلسها ابو جعفر وقالون ويعقوب وقرأ الآخرون بالاشباع ﴿ مؤمنا ﴾ أي من مات على الايمان ﴿ قد عمل

رسول الله ﷺ خطب فأتى على هذه الآية (انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لايموت فيها ولا يحيى) قال النبي ﷺ « أما أهلها الذين هم اهلها فلايموتون فيها ولا يحيون » وأما الذين ليسوا من اهلها فان النار تمسهم ثم يقوم الشفعاء فيشفعون فتجعل الضبائر فيؤتى بهم نهراً يقال له الحياة او الحيوان فينبتون كما ينبت العشب في حميل السيل »

وقوله تعالى (ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات) أي ومن لقى ربه يوم المعاد مؤمن القلب قد صدق ضميره بقوله وعمله (فأولئك لهم الدرجات العلى) أي الجنة ذات الدرجات العاليات والغرف الآمنات والمساكن الطيبات .

قال الامام أحمد حدثنا عفان أنبأنا همام حدثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال «الجنة مائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها درجة ومنها تخرج الانهار الاربعة والعرش فوقها فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس» ورواه الترمذي من حديث يزيد بن هارون عن همام به، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي أخبرنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه قال كان يقال الجنة مائة درجة في كل درجة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض فيهن الياقوت والحلي في كل درجة أمير يرون له الفضل والسودد ، وفي الصحيحين « إن أهل عليين ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء لتفاضل مابينهم- قالوا يارسول الله تلك منازل الانبياء قال- بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» وفي السنن وإن أبابكر وعمر لمنهم وأنعما وقوله (جنات عدن) أي اقامة وهي بدل من الدرجات العلى (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) أي ماكثين أبدا (وذلك جزاء من تزكى) أي طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك وعبدالله وحده لاشريك له واتبع المرسلين فيما جاءوا به من خير وطلب

ولقد أوحينا إلى موسى أن اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف

الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى ﴾ أي الرفيعة والعلى جمع العليا والعليا تأنيث الاعلى ﴿ جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ﴾ يعني تطهر من الذنوب » وقال الكلبي أعطى زكاة نفسه وقال لا إله الا الله، أخبرنا احمد بن عبدالله الصالحي أنا ابو القاسم عبدالرحمن ابن عبيدالله السمسار أنا ابو حمزة احمد بن محمد بن عباس الدهقان أنا احمد بن عبد الجبار العطاردى أنا أبو معاوية عن الاعمش عن عطية عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « ان أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدرى في أفق من آفاق السماء وانما ابو بكر وعمر منهم وأنعما »

قوله عز وجل ﴿ ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى ﴾ يعني أسر بهم ليلا من أرض مصر

دركا ولا تخشى (٧٧) فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم (٧٨) واضل فرعون قومه وما هدى (٧٩)

يقول تعالى مخبرا أنه أمر موسى عليه السلام حين أبى فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل أن يسري بهم في الليل ويذهب بهم من قبضة فرعون وقد بسط الله هذا المقام في غير هذه السورة الكريمة وذلك أن موسى لما خرج ببني إسرائيل أصبحوا وليس منهم بمصر لا داع ولا مجيب فغضب فرعون غضبا شديدا وأرسل في المدائن حاشرين أي من يجمعون له الجند من بلدانه ورساتيقه يقول إن هؤلاء لشرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون ثم لما جمع جنده واستوثق له جيشه ساق في طلبهم فأتبعوهم مشرقين أي عند طلوع الشمس (فلما تراءى الجمعان) أي نظر كل من الفريقين الى الآخر (قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين) ووقف موسى ببني اسرائيل البحر أمامهم وفرعون وراءهم فعند ذلك أوحى الله اليه (ان اضرب لهم طريقا في البحر يبسا) فضرب البحر بعصاه وقال انفلق علي باذن الله فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم أي الجبل العظيم فارسل الله الريح على أرض البحر فلفحته حتى صار يابسا كوجه الارض فلهذا قال (فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا) أي من فرعون (ولا تخشى) يعني من البحر أن يغرق قومك ثم قال تعالى (فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم) أي البحر (ما غشيهم) أى الذي هو معروف ومشهور وهذا يقال عند الامر المعروف المشهور كما قال تعالى (والمؤتفكة أهوى فغشاها ماغشى) وقال الشاعر:

* أنا ابو النجم وشعري شعري *

أي الذي يعرف وهو مشهور كما تقدمهم فرعون فسلك بهم في اليم فاضلهم وماهداهم إلى سبيل الرشاد وكذلك يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار وبئس الورد المورود

﴿ فاضرب لهم طريقا في البحر ﴾ يعني اجعل لهم طريقا في البحر بالضرب بالعصا ﴿ يبسا ﴾ ليس فيه ماء ولا طين وذلك أن الله أيبس لهم الطريق في البحر ﴿ لا تخاف دركا ﴾ قرأ حمزة لاتخف بالجزم على النهي والباقون بالألف والرفع على النفي لقوله تعالى ﴿ ولا تخشى ﴾ قيل لاتخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يغرقك البحر أمامك ﴿ فأتبعهم ﴾ فلحقهم ﴿ فرعون بجنوده ﴾ وقيل معناه أمر فرعون جنوده أن يتبعوا موسى وقومه والباء فيه زائدة وكان هو فيهم ﴿ فغشيهم ﴾ أصابهم من ﴿ اليم ماغشيهم ﴾ وهو الغرق وقيل غشيهم علام وسترهم من (اليم ماغشيهم) يريد غشيهم بعض ماء اليم لا كله وقيل غشيهم من اليم ماغشى قوم موسى فغرقهم ونجا موسى وقومه ﴿ وأضل فرعون قومه وما هدى ﴾ يعني ما أرشدهم وهذا تكذيب لفرعون في قوله (وما أهديكم الا سبيل الرشاد)

يبني اسرائيل قد انجينكم من عدوكم ووعدنكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى (٨٠) كلوا من طيبت مارزقنكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى (٨١) واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صلحاً ثم اهتدى (٨٢)

يذكر تعالى نعمه على بني إسرائيل العظام ومننه الجسام حيث أنجاهم من عدوهم فرعون وأقر أعينهم منه وهم ينظرون اليه والى جنده قد غرقوا في صبيحة واحدة لم ينج منهم أحد كما قال (وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) وقال البخاري حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا روح بن عبادة حدثنا شعبة حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وجد اليهود تصوم عاشوراء فسألهم فقالوا هذا اليوم الذى أظفر الله فيه موسى على فرعون فقال «نحن أولى بموسى فصوموه» رواه مسلم أيضا في صحيحه ثم إنه تعالى واعد موسى وبني إسرائيل بعد هلاك فرعون إلى جانب الطور الايمن وهو الذى كلمه الله تعالى عليه وسأل فيه الرؤية وأعطاه التوراة هنالك وفي غضون ذلك عبد بنو إسرائيل العجل كما يقصه الله تعالى قريبا، وأما المن والسلوى فقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة وغيرها فالمن حلوى كانت تنزل عليهم من السماء والسلوى طائر يسقط عليهم فيأخذون من كل قدر الحاجة إلى الغد لطفا من الله ورحمة بهم واحسانا اليهم ولهذا قال تعالى (كلوا من طيبات مارزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي) أى كلوا من هذا الرزق الذي رزقتكم ولا تطغوا في رزقي فتأخذوه من غير حاجة وتخالفوا ما أمرتكم به [فيحل عليكم غضبي] أى أغضب عليكم [ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أى فقد شقي وقال شفى بن مانع إن في جهنم قصراً يرمي الكافر من اعلاه فيهوى في جهنم أربعين خريفا قبل أن يبلغ الصلصال وذلك قوله [ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى] رواه ابن أبي حاتم وقوله [واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا] أي كل من تاب إلي تبت عليه من أي ذنب كان حتى إنه تاب تعالى على

قوله ﴿ يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم ﴾ فرعون ﴿ وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم ﴾ قرأ حمزة والكسائي أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم بالتاء على التوحيد، وقرأ الآخرون بالنون والالف على التعظيم ولم يختلفوا في ونزلنا لانه مكتوب بالالف ﴿ ولا تطغوا فيه ﴾ قال ابن عباس لا تظلموا قال الكلبي لا تكفروا النعمة فتكونوا ظالمين طاغين وقيل لاتنفقوا في معصيتي وقيل لا تتقووا بنعمتي على معاصي ، وقيل لاتدخروا فادخروا فدود ﴿ فيحل ﴾ قرأ الأعمش والكسائي فيحل بضم الحاء (ومن يحلل) بضم اللام يعني ينزل وقرأ الآخرون بكسرها يعني يجب ﴿ عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾ هلك وتردى في

من عبد العجل من بني اسرائيل ، وقوله تعالى [تاب] أي رجع عما كان فيه من كفر أو شرك أو معصية او نفاق ، وقوله [وآمن] اي بقلبه [وعمل صالحا] أي بجوارحه ، وقوله [ثم اهتدى] قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس أي ثم لم يشكك ، وقال سعيد بن جبير [ثم اهتدى] اي استقام على السنة والجماعة، وروى نحوه عن مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف وقال قتادة [ثم اهتدى] أي لزم الاسلام حتى يموت ، وقال سفيان [ثم اهتدى] أي علم ان لهذا ثوابا وثم ههنا لترتيب الخبر على الخبر كقوله [ثم كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات]

وما اعجلك عن قومك يموسى ؟ (٨٣) قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى (٨٤) قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري (٨٥) فرجع موسى الى قومه غضبن أسفا قال يقوم الم يعدكم ربكم وعداً حسنا أفطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي ؟ (٨٦) قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزاراً من زينة القوم فقذفنها فكذلك القى السامري (٨٧) فأخرج لهم عجلا جسداً له خوار فقال هذا الهكم واله موسى فنسي (٨٨) افلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضراً ولا نفعا (٨٩)

لما سار موسى عليه السلام ببني اسرائيل بعد هلاك فرعون وأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون وواعده ربه ثلاثين ليلة ثم أتبعها عشرا فتمت أربعين ليلة أي يصومها ليلا ونهاراً

النار ﴿ واني لغفار لمن تاب ﴾ قال ابن عباس تاب من الشرك ﴿ وآمن ﴾ ووحد الله وصدقه ﴿وعمل صالحا ﴾ أدى الفرائض ﴿ ثم اهتدى ﴾ قال عطاء عن ابن عباس علم أن ذلك توفيق من الله له وقال قتادة وسفيان الثوري يعني لزم الاسلام حتى مات عليه قال الشعبي ومقاتل والكلبي علم أن لذلك ثوابا ، وقال زيد بن أسلم تعلم العلم ليهتدي به كيف يعمل قال الضحاك استقام ، وقال سعيد بن جبير أقام على السنة والجماعة ﴿ وما أعجلك ﴾ يعني وما حملك على العجلة ﴿ عن قومك ﴾ وذلك أن موسى اختار من قومه سبعين رجلا حتى يذهبوا معه الى الجبل ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا الى ربه عز وجل وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه الى الجبل فقال الله تعالى له (وما أعجلك عن قومك) ﴿ ياموسى قال ﴾ مجيبا لربه تعالى ﴿ هم أولاء على أثري ﴾ يعني هم بالقرب مني يأتون

وقد تقدم في حديث الفتون بيان ذلك فسارع موسى عليه السلام مبادراً إلى الطور واستخلف على بني إسرائيل أخاه هارون ولهذا قال تعالى (وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على اثري) أي قادمون ينزلون قريبا من الطور (وعجلت اليك رب لترضى) أي لتزداد عني رضا قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري أخبر تعالى نبيه موسى بما كان بعده من الحدث في بنى اسرائيل وعبادتهم العجل الذي عمله لهم ذلك السامري. وفي الكتب الاسرائيلية انه كان اسمه هرون أيضا وكتب الله تعالى له في هذه المدة الالواح المتضمنة للتوراة كما قال تعالى (وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء. فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا باحسنها سأريكم دار الفاسقين) أي عاقبة الخارجين عن طاعتي المخالفين لامري، وقوله (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا) أي بعد ماأخبره تعالى بذلك في غاية الغضب والحنق عليهم هو فيما هو فيه من الاعتناء بأمرهم وتسلم التوراة التي فيها شريعتهم وفيها شرف لهم وهم قوم قد عبدوا غير الله ما يعلم كل عاقل له لب وحزم بطلان ماهم فيه وسخافة عقولهم وأذهانهم ولهذا قال رجع اليهم غضبان أسفا والاسف شدة الغضب وقال مجاهد غضبان أسفا أي جزعا وقال قتادة والسدي أسفا حزينا على ماصنع قومه من بعده (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) أي أما وعدكم على لساني كل خير في الدنيا والآخرة وحسن العاقبة كما شاهدتم من نصرته اياكم على عدوكم واظهاركم عليه وغير ذلك من أيادي الله أفطال عليكم العهد أي في انتظار ما وعدكم الله ونسيان ماسلف من نعمه وما بالعهد من قدم (أم أردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم) أم ههنا بمعنى بل وهي للاضراب عن الكلام الاول وعدول الى الثاني كانه يقول بل أردتم بصنيعكم هذا ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي قالوا أي بنو اسرائيل في جواب ما أنبهم موسى وقرعهم ما أخلفنا موعدك بملكنا أي عن قدرتنا واختيارنا ثم شرعوا يعتذرون بالعذر البارد يخبرونه عن تورعهم عما كان بايديهم من حلي القبط الذى كانوا قد استعاروه منهم حين خرجوا من

من بعدي ﴿وعجلت اليك رب لترضى﴾ لتزداد رضا ﴿قال فانا قد فتنا قومك من بعدك﴾ أي ابتلينا الذين خلفتهم مع هارون وكانوا ستمائة الف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر الفا من بعدك أي من بعد انطلاقك الى الجبل ﴿وأضلهم السامري﴾ أي دعاهم وصرفهم الى عبادة العجل وأضافه الى السامري لأنهم ضلوا بسببه ﴿فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا﴾ حزيناً ﴿قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسنا﴾ صدقا أنه يعطيكم التوراة ﴿أفطال عليكم العهد﴾ مدة مفارقتي إياكم ﴿أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم﴾ أي أردتم أن تفعلوا فعلا يجب عليكم به الغضب من ربكم ﴿فأخلفتم موعدي * قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا﴾ قرأ نافع وأبو جعفر وعاصم بملكنا بفتح الميم وقرأ حمزة والكسائي بضمها وقرأ الآخرون بكسرها أي ونحن نملك امرنا وقيل باختيارنا ومن قرأ بالضم فمعناه بقدرتنا وسلطاننا وذلك أن المرء اذا وقع في البلية والفتنة لم يملك نفسه ﴿ولكنا حملنا﴾ قرأ أبو عمرو

مصر فقذفناها أي القيناها عنا. وقد تقدم في حديث الفتون ان هرون عليه السلام هو الذى كان أمرهم بالقاء الحلي في حفرة فيها نار وهي في رواية السدي عن أبي مالك عن ابن عباس انما أراد هرون ان يجتمع الحلي كله في تلك الحفيرة ويجعل حجرا واحدا حتى اذا رجع موسى عليه السلام رأى فيه مايشاء ثم جاء ذلك السامري فالقى عليها تلك القبضة التي أخذها من أثر الرسول وسأل من هرون ان يدعو الله ان يستجيب له في دعوة فدعا له هرون وهو لا يعلم مايريد فاجيب له فقال السامري عند ذلك أسأل الله ان يكون عجلا فكان عجلا له خوار اي صوت استدراجا وامهالا ومحنة واختبارا ولهذا قال (فكذلك القى السامري فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار) وقال ابن ابي حاتم حدثنا محمد ابن عبادة بن البختري حدثنا يزيد بن هرون اخبرنا حماد عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هرون مر بالسامري وهو ينحت العجل فقال له ما تصنع فقال اصنع ما يضر ولا ينفع فقال هرون اللهم اعطه ما سأل على مافي نفسه ومضى هرون وقال السامري اللهم اني اسألك ان يخور فخار فكان اذا خار سجدوا له واذا خار رفعوا رءوسهم. ثم رواه من وجه آخر عن حماد وقال اعمل ماينفع ولا يضر وقال السدي كان يخور ويمشي فقالوا اي الضلال منهم الذين افتتنوا بالعجل وعبدوه هذا إلهكم واله موسى فنسي اي نسيه ههنا وذهب يتطلبه كذا تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس وبه قال مجاهد وقال سماك عن عكرمة عن ابن عباس فنسي اى نسي ان يذكركم ان هذا إلهكم وقال محمد ابن اسحاق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فقالوا (هذا إلهكم وإله موسى) قال فعكفوا عليه واحبوه حبا لم يحبوا شيئا قط يعني مثله يقول الله فنسي اي ترك ما كان عليه من الاسلام يعني السامري قال الله تعالى ردا عليهم وتقريعا لهم وبيانا لفضيحتهم وسخافة عقولهم فيما ذهبوا اليه (أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) أي العجل أفلا يرون أنه لايجيبهم اذا سألوه ولا اذا خاطبوه ولا يملك لهم ضراً ولا نفعا أي في دنياهم ولا أخراهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لا والله ما كان خواره الا أن يدخل الريح في دبره فيخرج من فمه فيسمع له صوت وقد تقدم

وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب حملنا بفتح الحاء وتخفيف الميم وقرأ الآخرون بضم الحاء وتشديد الميم أي جعلونا نحملها وكلفنا حملها ﴿ اوزاراً من زينة القوم ﴾ من حلي قوم فرعون سماها اوزاراً لأنهم أخذوها على وجه العارية فلم يردوها وذلك أن بني اسرائيل كانوا قد استعاروا حليا من القبط وكان ذلك معهم حين خرجوا من مصر وقيل ان الله تعالى لما اغرق فرعون نبذ البحر حليهم فأخذوها وكانت غنيمة ولم تكن الغنيمة حلالا لهم في ذلك الزمان فسماها اوزاراً لذلك ﴿ فقذفناها ﴾ قيل إن السامري قال لهم احفروا حفيرة فالقوها فيها حتى يرجع موسى قال السدي قال لهم هارون ان تلك غنيمة لاتحل فاحفروا حفيرة فألقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها ففعلوا قوله (فقذفناها) أي طرحناها في الحفرة ﴿ فكذلك القى السامري ﴾ مامعه من الحلي فيها وقال سعيد بن جبير عن

في حديث الفتون عن الحسن البصري ان هذا العجل اسمه بهموت وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم تورعوا عن زينة القبط فالقوها عنهم وعبدوا العجل فتورعوا عن الحقير وفعلوا الامر الكبير كما جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر انه سأله رجل من أهل العراق عن دم البعوض اذا أصاب الثوب يعني هل يصلى فيه أم لا فقال ابن عمر رضي الله عنهما انظروا الى أهل العراق قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ يعني الحسين وهم يسألون عن دم البعوضة

ولقد قال لهم هٰرون من قبل يٰقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمٰن فاتبعوني واطيعوا أمري (٩٠) قالوا لن نبرح عليه عٰكفين حتى يرجع إلينا موسى (٩١)

يخبر تعالى عما كان من نهي هارون عليه السلام لهم عن عبادتهم العجل واخباره اياهم انما هذا فتنة لكم وإن ربكم الرحمن الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا، ذو العرش المجيد فعال لما يريد (فاتبعوني وأطيعوا أمري) أي فيما آمركم به واتركوا ما أنهاكم عنه (قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى) أي لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه وخالفوا هارون في ذلك وحاربوه وكادوا أن يقتلوه

قال يٰهرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا (٩٢) ألا تتبعنِ أفعصيت أمري؟ (٩٣) قال يبنؤم

ابن عباس رضي الله عنهما اوقد هارون ناراً وقال اقذفوا فيها ما معكم فألقوه فيها ثم القى السامري ماكان معه من تربة حافر فرس جبريل قال قتادة كان قد صر قبضة من ذلك التراب في عمامته ﴿ فاخرج لهم عجلا جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي ﴾ أي تركه موسى ههنا وذهب يطلبه وقيل اخطأ الطريق وضل

قال الله تعالى ﴿ أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ﴾ أي لا يرون أن العجل لا يكلمهم ولا يجيبهم اذا دعوه ﴿ ولا يملك لهم ضراً ولا نفعا ﴾ وقيل ان هارون مر على السامري وهو يصوغ العجل فقال له ماهذا ؟ قال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال هارون اللهم أعطه ما سألك على ما في نفسه فالقى التراب في فم العجل وقال كن عجلا يخور فكان ذلك بدعوة هارون، والحقيقة أن ذلك كان فتنة ابتلى الله بها بني اسرائيل ﴿ ولقد قال لهم هارون من قبل ﴾ أى من قبل رجوع موسى ﴿ ياقوم انما فتنتم به ﴾ ابتليتم بالعجل ﴿ وإن ربكم الرحمن فاتبعوني ﴾ على ديني في عبادة الله ﴿ وأطيعوا أمرى ﴾ في ترك عبادة العجل ﴿ قالوا لن نبرح ﴾ أى لن نزال ﴿ عليه ﴾ على عبادته ﴿ عاكفين ﴾ مقيمين ﴿ حتى يرجع الينا موسى ﴾ فاعتزلهم هارون في اثنى عشر ألفا وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هارون أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله و﴿ قال ﴾ له ﴿ ياهارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ﴾

لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي (٩٤)

يخبر تعالى عن موسى عليه السلام حين رجع الى قومه فرأى ما قد حدث فيهم من الأمر العظيم فامتلأ عند ذلك غضبا وألقى ما كان في يده من الالواح الالهية وأخذ برأس أخيه يجره اليه وقد قدمنا في سورة الاعراف بسط ذلك وذكرنا هناك حديث « ليس الخبر كالمعاينة » وشرع يلوم أخاه هارون فقال (ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن) أي فتخبرني بهذا الامر أول ما وقع (أفعصيت أمري) أي فيما كنت قدمت اليك وهو قوله (اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) قال (يا ابن أم) ترقق له بذكر الأم مع انه شقيقه لأبويه لان ذكر الام ههنا أرق وأبلغ في الحنو والعطف ولهذا قال (يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) الآية . هذا اعتذار من هارون عند موسى في سبب تأخره عنه حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم (قال اني خشيت) أن أتبعك فأخبرك بهذا فتقول لي لم تركتهم وحدهم وفرقت بينهم (ولم ترقب قولي) أي وما راعيت ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم ، قال ابن عباس وكان هارون هائبا مطيعاً له

قال فما خطبك يا سامري (٩٥) قال بصرت بما لم يبصروا به، فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي (٩٦) قال فاذهب فان لك في الحيوة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه وانظر الى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا (٩٧) إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما (٩٨)

يقول موسى عليه السلام للسامري ما حملك على ما صنعت وما الذي عرض لك حتى فعلت ما فعلت قال محمد بن إسحاق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جرير عن ابن عباس قال : كان السامري رجلا

أشركوا ﴿ ألا تتبعن ﴾ أي أن تتبعني ولا صلة أي تتبع امري ووصيتي يعني هلا قاتلتهم وقد علمت اني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل أن لا تتبعني أي ما منعك من اللحوق بي واخباري بضلالتهم فتكون مفارقتك إياهم تقريعا وزجراً لهم عما أتوه ﴿ أفعصيت أمرى ﴾ أى خالفت امرى ﴿قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ أي بشعر رأسي وكان قد أخذ ذؤابته ﴿إني خشيت﴾ لو انكرت عليهم لصاروا احزابا يقتل بعضهم بعضا ﴿ أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ﴾ أي خشيت ان فارقتهم واتبعتك لصاروا احزابا يتقاتلون فتقول انت فرقت بين بني اسرائيل ﴿ ولم ترقب قولي﴾ ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي وأصلح أي ارفق بهم ثم اقبل موسى على السامري ﴿ قال فما خطبك ﴾ أي ما أمرك وشأنك وما الذي حملك على ما صنعت ﴿ يا سامري * قال بصرت بما لم يبصروا به ﴾

من أهل باجرما وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر في نفسه وكان قد أظهر الاسلام مع بني اسرائيل وكان اسمه موسى بن ظفر وفي رواية عن ابن عباس انه كان من كرمان * وقال قتادة كان من قرية سامرا (قال بصرت بما لم يبصروا به) أي رأيت جبريل حين جاء لهلاك فرعون (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أي من أثر فرسه هذا هو المشهور عند كثير من المفسرين أو أكثرهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث أخبرنا عبيد الله بن موسى أخبرنا اسرائيل عن السدي عن أبي بن عمارة عن علي رضي الله عنه قال ان جبريل عليه السلام لما نزل فصعد بموسى عليه السلام الى السماء بصر به السامري من بين الناس فقبض قبضة من أثر الفرس قال وحمل جبريل موسى عليهما السلام خلفه حتى اذا دنا من باب السماء صعد وكتب الله الالواح وهو يسمع صرير الاقلام ، فلما أخبره ان قومه قد فتنوا من بعده قال نزل موسى فأخذ العجل فأحرقه غريب ، وقال مجاهد (فقبضت قبضة من أثر الرسول) قال من تحت حافر فرس جبريل ، قال والقبضة ملء الكف والقبضة بأطراف الاصابع ، قال مجاهد نبذ السامري أي ألقى ما كان في يده على حلية بني اسرائيل فانسبك عجلا جسداً له خوار حفيف الريح فيه فهو خواره * وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن يحيى أخبرنا علي بن المديني حدثنا يزيد بن زريع حدثنا عمارة حدثنا عكرمة ان السامري رأى الرسول فألقى في روعه انك إن أخذت من أثر هذا الفرس قبضة فألقيتها في شيء فقلت له كن فكان فقبض قبضة من أثر الرسول فيبست أصابعه على القبضة * فلما ذهب موسى للميقات وكان بنو اسرائيل قد استعاروا حلي آل فرعون فقال لهم السامري انما أصابكم من أجل هذا الحلي فاجمعوه فجمعوه فأوقدوا عليه فذاب فرآه السامري فألقى في روعه انك لو قذفت هذه القبضة في هذه فقلت كن فكان فقذف القبضة وقال كن فكان عجلا جسداً له خوار فقال (هذا إلهكم وإله موسى) ولهذا قال (فنبذتها) أي ألقيتها مع من ألقى (وكذلك سولت لي نفسي) أي حسنته وأعجبها إذ ذاك (قال فاذهب فان لك

رأيت مالم يروا وعرفت مالم يعرفوا قرأ حمزة والكسائي مالم تبصروا بالتاء على الخطاب وقرأ الآخرون بالياء على الخبر ﴿ فقبضت قبضة من أثر الرسول ﴾ أي من تراب أثر فرس جبريل ﴿ فنبذتها ﴾ أي القيتها في فم العجل وقال بعضهم انما خار لهذا لان التراب كان مأخوذاً من تحت حافر فرس جبريل فان قيل كيف عرفه ورأى جبريل من بين سائر الناس قيل لأن امه لما ولدته في السنة التي يقتل فيها البنون وضعته في الكهف حذراً عليه فبعث الله جبريل ليربيه لما قضى على يديه من الفتنة ﴿ وكذلك سولت ﴾ أي زينت ﴿ لي نفسي * قال فاذهب فان لك في الحياة ﴾ أي مادمت حيا ﴿ أن تقول لامساس ﴾ أي لاتخالط أحداً ولا يخالطك أحد وأمر موسى بني اسرائيل أن لايخالطوه ولايقربوه قال ابن عباس لامساس لك ولولدك والمساس من المماسة معناه لايمس بعضنا بعضا فصار السامري يهيم في البرية مع الوحوش والسباع لايمس أحداً ولا يمسه أحد فعاقبه الله بذلك وكان اذا لقي أحدا يقول

في الحياة أن تقول لا مساس) أى كما أخذت ومسست مالم يكن لك أخذه ومسه من أثر الرسول فعقوبتك في الدنيا أن تقول لا مساس أى لاتماس الناس ولا يمسونك (وإن لك موعداً) أي يوم القيامة [لن تخلفه] أي لا محيد لك عنه ، وقال قتادة [أن تقول لامساس] قال عقوبة لهم وبقاياهم اليوم يقولون لا مساس . وقوله [وإن لك موعداً لن تخلفه] قال الحسن وقتادة وأبو نهيك لن تغيب عنه

وقوله [وانظر الى إلهك] أي معبودك [الذي ظلت عليه عاكفا] أي أقمت على عبادته يعني العجل [لنحرقنه] قال الضحاك عن ابن عباس والسدى نتحله بالمبارد وإلقائه على النار ، وقال قتادة استحال العجل من الذهب لحما ودما فحرقه بالنار ثم ألقى رماده في البحر ولهذا قال (ثم لننسفنه في اليم نسفا) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء أنبأنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن عمارة بن عبدالله وأبي عبدالرحمن عن علي رضي الله عنه قال: ان موسى لما تعجل الى ربه عمد السامري فجمع ماقدر عليه من حلى نساء بني اسرائيل ثم صوره عجلا قال فعمد موسى الى العجل فوضع عليه المبرد فبرده بها وهو على شط نهر فلم يشرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعبد العجل إلا اصفر وجهه مثل الذهب فقالوا لموسى ماتوبتنا ? قال يقتل بعضكم بعضا وهكذا قال السدي وقد تقدم في تفسير سورة البقرة ثم في حديث الفتون بسط ذلك

وقوله تعالى (انما إلهكم الله الذي لا إله الا هو وسع كل شيء علما) يقول لهم موسى عليه السلام ليس هذا إلهكم انما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو أي لا يستحق ذلك على العباد الا هو ولا تنبغي العبادة إلا له فان كل شيء فقير اليه عبد له وقوله وسع(كل شيء علما) نصب على التمييز أي هو عالم بكل شيء أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا فلا يعزب عنه مثقال ذرة وماتسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين والآيات في هذا كثيرة جداً

لامساس أي لاتقربني ولا تمسني وقيل كان اذا مس أحدا أو مسه أحد حما جميعا حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك واذا مس أحد من غيرهم أحدا منهم حما جميعا في الوقت ﴿ وإن لك ﴾ ياسامري ﴿ موعدا ﴾ لعذابك ﴿ لن تخلفه ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب لن تخلفه بكسر اللام أي لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة وقرأ الآخرون بفتح اللام أى لن تكذبه ولن يخلفك الله ومعناه أن الله تعالى يكافئك على فعلك ولا تفوته ﴿ وانظر الى إلهك ﴾ بزعمك ﴿ الذى ظلت عليه عاكفا ﴾ أى ظلت ودمت عليه مقيما تعبده والعرب تقول ظلت افعل كذا بمعنى ظللت ومست بمعنى مسست ﴿ لنحرقنه ﴾ بالنار وقرأ أبو جعفر بالتخفيف من الاحراق ﴿ ثم لننسفنه ﴾ لنذرينه ﴿ في اليم ﴾ في البحر ﴿ نسفا ﴾ روى أن موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم لانه كان قد صار لحما ودما ثم حرقه بالنار ثم ذراه في اليم قرأ ابن محيصن لنحرقنه بفتح النون وضم الياء لنبردنه

كذلك نقص عليك من انباء ماقد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً (٩٩) من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيٰمه وزراً (١٠٠) خٰلدين فيه وساء لهم يوم القيٰمة حملا (١٠١)

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ كما قصصنا عليك خبر موسى وما جرى له مع فرعون وجنوده على الجلية والامر الواقع كذلك نقص عليك الاخبار الماضية كما وقعت من غير زيادة ولا نقص هذا وقد آتيناك من لدنا أي من عندنا ذكراً وهو القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذى لم يعط نبي من الانبياء منذ بعثوا الى ان ختموا بمحمد ﷺ كتابا مثله ولا أكمل منه ولا أجمع لخبر ما سبق وخبر ما هو كائن وحكم الفصل بين الناس منه ، وقوله تعالى (من أعرض عنه) أى كذب به وأعرض عن اتباعه أمرا وطلبا وابتغى الهدى من غيره فان الله يضله ويهديه الى سواء الجحيم ولهذا قال (من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً) أي اثما كما قال تعالى [ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده] وهذا عام في كل من بلغه القرآن من العرب والعجم أهل الكتاب وغيرهم كما قال (لانذركم به ومن بلغ) فكل من بلغه القرآن فهو نذير له وداع فمن اتبعه هدي ومن خالفه واعرض عنه ضل وشقي في الدنيا والنار موعده يوم القيامة ولهذا قال [من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه] أي لا محيد لهم عنه ولا انفكاك وساء لهم يوم القيامة حملا أي بئس الحمل حملهم

يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زُرقا (١٠٢) يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشراً (١٠٣) نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما (١٠٤)

ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ سئل عن الصور فقال قرن ينفخ فيه وقد جاء في حديث الصور من رواية أبي هريرة أنه قرن عظيم الدائرة منه بقدر السموات والارض ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام وجاء في الحديث « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحني جبهته وانتظر ان يؤذن له » فقالوا يارسول الله كيف نقول؟ قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا »

بالمبرد ومنه قيل المبرد المحرق وقال السدى أخذ موسى العجل فذبحه ثم حرقه بالمبرد ثم ذراه في اليم ﴿ إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شيء علما ﴾ وسع علمه كل شيء ﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق ﴾ من الامور ﴿ وقد آتيناك من لدنا ذكرا ﴾ يعني القرآن ﴿ من أعرض عنه ﴾ أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ﴿ فانه يحمل يوم القيامة وزرا ﴾ حملا ثقيلا من الاثم ﴿ خالدين فيه ﴾ مقيمين في عذاب الوزر ﴿ وساء لهم يوم القيامة حملا ﴾ أي بئس ما حملوا على أنفسهم من الاثم كفروا بالقرآن ﴿ يوم ينفخ في الصور ﴾ قرأ أبو عمرو ننفخ بالنون وفتحها وضم الفاء لقوله

وقوله (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) قيل معناه زرق العيون من شدة ما هم فيه من الاهوال [يتخافتون بينهم] قال ابن عباس يتشارون بينهم أي يقول بعضهم لبعض ان لبثتم الا عشرا أي في الدار الدنيا لقد كان لبثكم فيها قليلا عشرة أيام أو نحوها قال الله تعالى [نحن أعلم بما يقولون] أي في حال تناجيهم بينهم [إذ يقول أمثلهم طريقة] أي العاقل الكامل فيهم [ان لبثتم إلا يوما] أي لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد لان الدنيا كلها وان تكررت أوقاتها وتعاقبت لياليها وأيامها وساعاتها كأنها يوم واحد ولهذا يستقصر الكافرون مدة الحياة الدنيا يوم القيامة وكان غرضهم في ذلك دره قيام الحجة عليهم لقصر المدة ولهذا قال تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة - الى قوله - ولكنكم كنتم لا تعلمون) وقال تعالى (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) الآية وقال تعالى (كم لبثتم في الارض عدد سنين * قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين * قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) أي إنما كان لبثكم فيها قليلا لو كنتم تعلمون لآثرتم الباقي على الفاني ولكن تصرفتم فأسأتم التصرف قدمتم الحاضر الفاني على الدائم الباقي

ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً (١٠٥) فيذرها قاعاصفصفاً (١٠٦) لاترى فيها عوجا ولا أمتا (١٠٧) يومئذ يتبعون الداعي لاعوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا (١٠٨)

يقول تعالى ويسألونك عن الجبال أي هل تبقى يوم القيامة أو تزول فقل ينسفها ربي نسفا أي يذهبها عن أماكنها ويمحقها ويسيرها تسييرا فيذرها أي الارض قاعا صفصفا أي بساطا واحدا والقاع هو المستوى من الارض والصفصف تأكيد لمعنى ذلك وقيل الذى لا نبات فيه والاول أولى وان كان

(ونحشر) وقرأ الآخرون بالياء وضمها وفتح الشين على غير تسمية الفاعل ﴿ ونحشر المجرمين ﴾ المشركين ﴿ يومئذ زرقا ﴾ والزرقة هي الخضرة في سواد العين فيحشرون زرق العيون سود الوجوه وقيل زرقا أي عميا وقيل عطاشا ﴿ يتخافتون بينهم ﴾ أي يتشاورون بينهم ويتكلمون خفية ﴿ ان لبثتم ﴾ أى ما مكثتم في الدنيا ﴿ إلا عشرا ﴾ أى عشر ليال وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو اربعون سنة لان العذاب يرفع عنهم بين النفختين استقصروا مدة لبثهم لهول ماعاينوا

قال الله تعالى ﴿ نحن اعلم بما يقولون ﴾ أى يتشاورون بينهم ﴿ اذ يقول امثلهم طريقة ﴾ اوفاهم عقلا ، واعدلهم قولا ﴿ ان لبثتم إلا يوما ﴾ قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من اهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ماد هم

قوله ﴿ ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ﴾ قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول

الآخر مراداً أيضاً باللازم ولهذا قال[لاترى فيها عوجا ولا أمتا]أي لاترى في الارض يومئذ واديا ولا رابية ولا مكانا منخفضا ولا مرتفعا كذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصري والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف [يومئذ يتبعون الداعي لاعوج له]أي يوم يرون هذه الاحوال والاهوال يستجيبون مسارعين الى الداعي حيثما أمروا بادروا اليه ولو كان هذا في الدنيا لكان أنفع لهم ولكن حيث لاينفعهم كما قال تعالى [أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا. وقال. مهطعين الى الداع] وقال محمد بن كعب القرظي يحشر الله الناس يوم القيامة في ظلمة ويطوى السماء وتتناثر النجوم وتذهب الشمس والقمر وينادي مناد فيتبع الناس الصوت يؤمونه فذلك قوله (يومئذ يتبعون الداعي لاعوج له) وقال قتادة لا عوج له لايميلون عنه وقال أبو صالح لاعوج له لاعوج عنه وقوله(وخشعت الاصوات للرحمن) قال ابن عباس سكنت وكذا قال السدي فلا تسمع إلا همسا قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني وطء الاقدام وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس وقتادة وابن زيد وغيرهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فلا تسمع الا همسا الصوت الخفي وهو رواية عن عكرمة والضحاك وقال سعيد بن جبير فلا تسمع إلا همسا الحديث وسره ووطء الاقدام فقد جمع سعيد كلا القولين وهو محتمل أما وطء الاقدام فالمراد سعي الناس الى المحشر وهو مشيهم في سكون وخضوع ، وأما الكلام الخفي فقد يكون في حال دون حال فقد قال تعالى (يوم يأت لاتكلم نفس إلا باذنه فمنهم شقي وسعيد)

يومئذ لاتنفع الشفعة إلا من اذن له الرحمن ورضي له قولا(١٠٩) يعلم مابين أيديهم

الله ﷺ فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة ؟ فأنزل الله هذه الآية والنسف هو القلع يعني يقلعها من أصلها ويجعلها هباء منثوراً ﴿ فيذرها ﴾ يعني فيدع أماكن الجبال من الارض ﴿ قاعا صفصفاً ﴾ يعني أرضاً ملساء مستوية لانبات فيها والقاع ماانبسط من الارض والصفصف الاملس ﴿ لاترى فيها عوجا ولا أمتا ﴾ قال مجاهد انخفاضا وارتفاعا . وقال الحسن العوج ما انخفض من الارض والامت مانشز من الروابي يعني لاترى واديا ولا رابية قال قتادة لاترى صدعا ولا أكمة ﴿ يومئذ يتبعون الداعي ﴾ أي صوت الداعي الذي يدعوهم الى موقف القيامة وهو إسرافيل وذلك انه يضع الصور في فيه ويقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن ﴿ لاعوج له ﴾ يعني لدعائه وهو من المقلوب يعني لاعوج لهم عن دعاء الداعي لايزيغون عنه يمينا ولا شمالا ولا يقدرون عليه بل يتبعونه سراعا ﴿ وخشعت الاصوات للرحمن ﴾ يعني سكتت وذلت وخضعت ووصف الاصوات بالخشوع والمراد أهلها ﴿ فلا تسمع الا همسا ﴾ يعني صوت وطء الاقدام إلى المحشر والهمس الصوت الخفي كصوت أخفاف الابل في المشي ؟ وقال مجاهد هو تخافت الكلام وخفض الصوت ، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تحريك الشفاه من غير منطق ﴿ يومئذ

وما خلفهم ولا يحيطون به علما (١١٠) وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما (١١١)

ومن يعمل من الصلحت وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما (١١٢)

يقول تعالى (يومئذ) أي يوم القيامة (لاتنفع الشفاعة) أي عنده (إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) كقوله (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) وقوله (وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) وقال (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) وقال (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا) وفي الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلائق على الله عز وجل انه قال « آتي تحت العرش وأخر لله ساجدا ويفتح علي بمحامد لاأحصيها الآن فيدعني ماشاء أن يدعني ثم يقول يامحمد ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع -قال- فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أعود » فذكر أربع مرات صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء . وفي الحديث أيضا « يقول تعالى اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من ايمان فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول اخرجوا من النار من كان في قلبه نصف مثقال من ايمان ، اخرجوا من النار من كان في قلبه مايزن ذرة من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من ايمان » الحديث

وقوله (يعلم مابين أيديهم وما خلفهم) أي يحيط علما بالخلائق كلهم (ولا يحيطون به علما) كقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) وقوله (وعنت الوجوه للحي القيوم) قال ابن عباس وغير واحد خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحي الذي لايموت « القيوم الذي لاينام وهو قيم على كل شيء يدبره ويحفظه فهو الكامل في نفسه الذي كل شيء فقير اليه لا قوام له الا به . وقوله (وقد خاب من حمل ظلما) أي يوم القيامة فان الله سيؤدي كل حق الى صاحبه حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء « وفي الحديث « يقول الله عز وجل وعزتي وجلالي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم » وفي

لاتنفع الشفاعة ﴾ يعني (لاتنفع الشفاعة) أحداً من الناس ﴿ الا من أذن له الرحمن ﴾ يعني إلا من أذن الله له أن يشفع ﴿ ورضي له قولا ﴾ يعني ورضي قوله قال ابن عباس يعني قال لا إله الا الله وهذا يدل على أنه لايشفع غير المؤمن ﴿ يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ﴾ الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعي أي يعلم الله (مابين أيديهم) ماقدموا (وما خلفهم) ماخلفوا من أمر الدنيا وقيل مابين أيديهم من الآخرة وما خلفهم من الاعمال ﴿ ولا يحيطون به علما ﴾ قيل الكناية ترجع الى ما أي هو يعلم مابين أيديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه وقيل الكناية راجعة الى الله لان عباده لايحيطون به علما ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم ﴾ أي ذلت وخضعت ومنه قيل للاسير عان وقال طلق بن حبيب هو السجود على الجبهة للحي القيوم ﴿ وقد خاب من حمل ظلما ﴾ قال ابن عباس خسر من أشرك بالله

الصحيح « اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة والخيبة كل الخيبة من لقي الله وهو به مشرك فان الله تعالى يقول ان الشرك لظلم عظيم » وقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) لما ذكر الظالمين ووعيدهم ثنى بالمتقين وحكمهم وهو أنهم لايظلمون ولا يهضمون أى لايزاد في سيآتهم ولا ينقص من حسناتهم قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة وغير واحد فالظلم الزيادة بأن يحمل عليه ذنب غيره والهضم النقص

وكذلك أنزلناه قرآنا عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا (١١٣) فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما (١١٤)

يقول تعالى ولما كان يوم المعاد والجزاء بالخير والشر واقعا لا محالة أنزلنا القرآن بشيرا ونذيرا بلسان عربي مبين فصيح لا لبس فيه ولا عي (وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون) أى يتركون المآثم والمحارم والفواحش (أو يحدث لهم ذكرا) وهو ايجاد الطاعة وفعل القربات (فتعالى الله الملك الحق) أى تنزه وتقدس الملك الحق الذي هو حق ووعده حق ووعيده حق ورسله حق والجنة حق والنار حق وكل شيء منه حق وعدله تعالى أن لايعذب أحداً قبل الانذار وبعثة الرسل والاعذار الى خلقه لئلا يبقى لأحد حجة ولا شبهة . وقوله (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه)

والظلم هو الشرك ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ﴾ قرأ ابن كثير فلا يخف مجزوما على النهي جوابا لقوله تعالى (ومن يعمل) وقرأ الآخرون فلا يخاف مرفوعاً على الخبر ﴿ ظلما ولا هضما ﴾ قال ابن عباس لايخاف أن يزاد على سيئاته ولا أن ينقص من حسناته ، وقال الحسن لا ينقص من ثواب حسناته ولا يحمل عليه ذنب مسيء ، وقال الضحاك لا يؤخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل حسنة عملها وأصل الهضم النقص والكسر ومنه هضم الطعام ﴿ وكذلك ﴾ أي كما بينا في هذه السورة ﴿ أنزلناه ﴾ يعني أنزلنا هذا الكتاب ﴿ قرآنا عربيا ﴾ يعني بلسان العرب ﴿ وصرفنا ﴾ يعني بينا ﴿ فيه من الوعيد ﴾ أي صرفنا القول فيه بذكر الوعيد ﴿ لعلهم يتقون ﴾ أي يجتنبون الشرك ﴿ أو يحدث لهم ذكرا ﴾ أي يجدد لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبروا ويتعظوا بذكر عقاب الله للامم الخالية ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ جل الله عن الحاد الملحدين وعما يقول المشركون ﴿ ولا تعجل بالقرآن ﴾ أراد ان النبي ﷺ كان اذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادر فيقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله عن ذلك وقال (ولا تعجل بالقرآن) أي لاتعجل بقراءته ﴿ من قبل أن يقضى اليك وحيه ﴾ أي من قبل أن يفرغ جبريل من الابلاغ نظيره قوله تعالى (لاتحرك به لسانك لتعجل

كقوله تعالى في سورة (لاأقسم بيوم القيامة * لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه * فاذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم ان علينا بيانه) وثبت في الصحيح عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ كان يعالج من الوحي شدة فكان مما يحرك به لسانه فأنزل الله هذه الآية يعني انه عليه السلام كان اذا جاءه جبريل بالوحي كلما قال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على حفظ القرآن فأرشده الله تعالى الى ماهو الاسهل والاخف في حقه لئلا يشق عليه فقال (لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه) أي نجمعه في صدرك ثم تقرؤه على الناس من غير أن تنسى منه شيئا (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه) وقال في هذه الآية (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه) أي بل أنصت فاذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقرأه بعده (وقل رب زدني علما) أي زدني منك علما ، قال ابن عيينة رحمه الله ولم يزل ﷺ في زيادة حتى توفاه الله عز وجل ولهذا جاء في الحديث « ان الله تابع الوحي على رسوله حتى كان الوحي أكثر ما كان يوم توفي رسول الله ﷺ » وقال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبدالله بن نمير عن موسي بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول « اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ماينفعني وزدني علما والحمد لله على كل حال » وأخرجه الترمذي عن أبي كريب عن عبد الله بن نمير به وقال غريب من هذا الوجه ، ورواه البزار عن عمرو بن علي الفلاس عن أبي عاصم عن موسى بن عبيدة به وزاد في آخره « وأعوذ بالله من حال أهل النار »

ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما (١١٥) واذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى (١١٦) فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى (١١٧) ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى (١١٨) وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى (١١٩) فوسوس اليه الشيطان قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى (١٢٠) فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى (١٢١) ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (١٢٢)

به) وقرأ يعقوب نقضي بالنون وفتحها و كسر الضاد وفتح الياء وحيه بالنصب وقال مجاهد وقتادة معناه لا تقرئه أصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه ﴿ وقل رب زدني علما ﴾ يعني بالقرآن ومعانيه وقيل علمًا الى ماعلمت وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدني إيمانا ويقينا
قوله تعالى ﴿ ولقد عهدنا الى آدم من قبل ﴾ يعني أمرناه وأوحينا اليه أن لا يأكل من الشجرة من

قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إنما سمي الانسان لانه عهد اليه فنسي وكذا رواه علي بن أبي طلحة عنه ، وقال مجاهد والحسن ترك ، وقوله (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) يذكر تعالى تشريف آدم وتكريمه وما فضله به على كثير ممن خلق تفضيلا ، وقد تقدم الكلام على هذه القصة في سورة البقرة وفي الاعراف وفي الحجر والكهف وسيأتي في آخر سورة ص يذكر تعالى فيها خلق آدم وأمره الملائكة بالسجود له تشريفا وتكريما ويبين عداوة ابليس لبني آدم ولأبيهم قديما ولهذا قال تعالى (فسجدوا إلا إبليس أبى) أي امتنع واستكبر (فقلنا يا آدم ان هذا عدولك ولزوجك) يعني حواء عليهما السلام (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) أي إياك أن تسعى في إخراجك منها فتتعب وتعنى وتشقى في طلب رزقك فانك ههنا في عيش رغيد هنيء بلا كلفة ولا مشقة (إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى) إنما قرن بين الجوع والعرى لان الجوع ذل البطن والعرى ذل الظاهر (وأنك لا تظمؤ فيها ولا تضحى) وهذان أيضا متقابلان فالظمأ حر البطن وهو العطش والضحى حر الظاهر

قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الايمان بي وهم الذين ذكرهم الله في قوله تعالى (لعلهم يتقون) ﴿ فنسي ﴾ فترك الامر والمعنى انهم نقضوا العهد فان آدم أيضاً عهدنا اليه فنسي ﴿ ولم نجد له عزما ﴾ قال الحسن لم نجد له صبراً عما نهي عنه ، وقال عطية العوفي حفظا لما أمر به وقال ابن قتيبة رأيا معزوما حيث أطاع عدوه ابليس الذي حسده وأبى أن يسجد له والعزم في اللغة هو توطين النفس على الفعل قال ابو أمامة الباهلي لو وزن حلم آدم بحلم جميع ولده لرجح حلمه وقد قال الله (ولم نجد له عزما) فان قيل أتقولون ان آدم كان ناسيا لامر الله حين أكل من الشجرة؟ قيل يجوز أن يكون نسي أمره ولم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعا عن الانسان بل كان مؤاخذاً به وانما رفع عنا وقيل نسي عقوبة الله وظن أنه نهاه تنزيها

قوله تعالى ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى ﴾ أن يسجد ﴿ فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك ﴾ حواء ﴿ فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ يعني تتعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك قال السدي يعني الحرث والزرع والحصيد والطحن والخبز وعن سعيد بن جبير قال أهبط الى آدم ثور أحمر وكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فذلك شقاؤه ولم يقل فتشقيا رجوعا به الى آدم لان تعبه أكثر فان الرجل هو الساعي على زوجته وقيل لأجل رءوس الآي ﴿ ان لك أن لا تجوع فيها ﴾ أي في الجنة ﴿ ولا تعرى وأنك ﴾ قرأ نافع وأبو بكر بكسر الالف على الاستئناف وقرأ الآخرون بالفتح نسقا على قوله ألا تجوع فيها ﴿ لا تظمأ ﴾ لا تعطش ﴿ فيها ولا تضحى ﴾ يعني لا تبرز للشمس فيؤذيك حرها ، وقال عكرمة لا تصيبك الشمس وأذاها

وقوله (فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) قد تقدم أنه دلاهما بغرور (إني لكما لمن الناصحين) وقد تقدم أن الله تعالى عهد إلى آدم وزوجه أن يأكلا من كل الثمار ولا يقربا هذه الشجرة المعينة في الجنة فلم يزل بهما إبليس حتى أكلا منها وكانت شجرة الخلد يعني التي من أكل منها خلد ودام مكثه ، وقد جاء في الحديث ذكر شجرة الخلد فقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي الضحى سمعت أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ قال «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام مايقطعها وهي شجرة الخلد» ورواه الامام أحمد . وقوله (فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما) قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن إشكاب حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله خلق آدم رجلا طوالا كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر إلى عورته جعل يشتد في الجنة فأخذت شعره شجرة فنازعها فناداه الرحمن يا آدم مني تفر فلما سمع كلام الرحمن قال يارب لا ولكن استحياء أرأيت ان تبت ورجعت أعائدي إلى الجنة قال نعم» فذلك قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وهذا منقطع بين الحسن وأبي بن كعب فلم يسمعه منه وفي رفعه نظر أيضا

وقوله (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) قال مجاهد يرقعان كهيئة الثوب و كذا قال قتادة والسدي . وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن عون حدثنا سفيان عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) قال ينزعان ورق التين فيجعلانه على سوآتهما وقوله (وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا أيوب بن النجار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «حاج موسى آدم فقال له أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم ؟ قال آدم ياموسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه أتلومني على أمر كتبه الله علي قبل أن يخلقني أوقدره الله

لانه ليس في الجنة شمس وأهلها في ظل ممدود ﴿ فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ﴾ يعني على شجرة ان أكلت منها بقيت مخلداً ﴿ وملك لا يبلى ﴾ لا يبيد ولا يفنى ﴿ فأكلا ﴾ يعني آدم وحواء عليهما السلام ﴿ منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه ﴾ بأكل الشجرة ﴿ فغوى ﴾ يعني فعل مالم يكن له فعله وقيل أخطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد بأكل مانهي عن أكله فخاب ولم ينل مراده ، وقال ابن الاعرابي أي فسد عليه عيشه وصار من العز إلى الذل ومن الراحة إلى التعب

قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصى آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص لانه انما يقال عاص لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك ويعتاده حدثنا

علي قبل أن يخلقني- قال رسول الله ﷺ -فحج آدم موسى » وهذا الحديث له طرق في الصحيحين وغيرهما من المسانيد .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني أنس بن عياض عن الحارث بن أبي ذئاب عن يزيد بن هرمز قال سمعت أبا هريرة يقول : قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته واسكنك في جنته ثم اهبطت الناس إلى الأرض بخطيئتك » قال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وكلامه وأعطاك الالواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى باربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى ؟ قال نعم قال أفتلومني على أن عملت عملا كتب الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني باربعين سنة - قال رسول الله ﷺ - فحج آدم موسى » قال الحارث وحدثني عبد الرحمن بن هرمز بذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ

قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى (١٢٣) ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى (١٢٤) قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً (١٢٥) قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (١٢٦)

يقول تعالى لآدم وحواء وإبليس اهبطوا منها جميعا أي من الجنة كلكم وقد بسطنا ذلك في سورة البقرة (بعضكم لبعض عدو) قال آدم وذريته وابليس وذريته ، وقوله (فاما يأتينكم مني هدى)

ابو الفضل زياد بن محمد الحنفي أنا أبو معاذ الشاه عبدالرحمن المزني أنا ابو بكر عبدالله بن محمد بن زياد النيسابوري ببغداد أنا يونس بن عبد الاعلى الصدفي أنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ « احتج آدم وموسى عند ربهما فقال موسى يا آدم أنت أبونا وأخرجتنا من الجنة فقال آدم ياموسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أفتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة فحج آدم موسى » ورواه عبد الرحمن الاعرج عن أبي هريرة وزاد « قال آدم ياموسى بكم وجدت كتب الله التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى؟ قال نعم قال أفتلومني على ان عملت عملا كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة- قال رسول الله ﷺ - فحج آدم موسى » ﴿ ثم اجتباه ربه ﴾ اختاره واصطفاه ﴿ فتاب عليه ﴾ بالعفو ﴿ وهدى ﴾ هداه الى التوبة حتى قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ﴿ قال اهبطا

قال أبو العالية الانبياء والرسل والبيان (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) قال ابن عباس لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة (ومن أعرض عن ذكري) أي خالف أمري وما أنزلته على رسولي أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه (فان له معيشة ضنكا) أي ضنكا في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلاله وان تنعم ظاهره ولبس ماشاء وأكل ماشاء وسكن حيث شاء فان قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في ريبة يتردد فهذا من ضنك المعيشة قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (فان له معيشة ضنكا) قال الشقاء وقال العوفي عن ابن عباس (فان له معيشة ضنكا) قال كلما أعطيته عبداً من عبادي قل أو كثر لا يتقيني فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة، وقال أيضا إن قوما ضلالا أعرضوا عن الحق وكانوا في سعة من الدنيا متكبرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم كانوا يرون ان الله ليس مخلفا لهم معايشهم من سوء ظنهم بالله والتكذيب فاذا كان العبد يكذب بالله ويسيء الظن به والثقة به اشتدت عليه معيشته فذلك الضنك، وقال الضحاك هو العمل السيء والرزق الخبيث وكذا قال عكرمة ومالك بن دينار وقال سفيان بن عيينة عن أبي حازم عن أبي سلمة عن أبي سعيد في قوله [معيشة ضنكا] قال يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فيه قال أبو حاتم الرازي النعمان بن أبي عياش يكنى أباسلمة، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان أنبأنا الوليد أنبأنا عبد الله بن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ في قول الله عز وجل [فان له معيشة ضنكا] قال «ضمة القبر له» والموقوف أصح.

وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج أبوالسمح عن ابن حجيرة واسمه عبد الرحمن عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال «المؤمن في قبره في روضة خضراء ويفسح له في قبره سبعون ذراعا وينار له في قبره كالقمر ليلة البدر أتدرون فيم أنزلت هذه الآية [فان له معيشة ضنكا] أتدرون ما المعيشة الضنك؟» قالوا الله ورسوله اعلم قال

منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي ﴾ يعني الكتاب والرسول ﴿ فلا يضل ولا يشقى ﴾ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: من قرأ القرآن واتبع مافيه هداه الله في الدنيا من الضلالة ووقاه الله يوم القيامة سوء الحساب وذلك لأن الله يقول (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) وقال الشعبي عن ابن عباس أجار الله تعالى تابع القرآن من أن يضل في الدنيا ويشقى في الآخرة وقرأ هذه الآية ﴿ ومن أعرض عن ذكري ﴾ يعني القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه ﴿ فان له معيشة ضنكا ﴾ ضيقاً روي عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري انهم قالوا هو عذاب القبر قال ابو سعيد يضغط حتى تختلف أضلاعه، وفي بعض المسانيد مرفوعا يلتئم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث، وقال الحسن هو الزقوم والضريع والغسلين في النار، وقال

«عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده أنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا أتدرون ماالتنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رءوس ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم يبعثون » رفعه منكر جداً وقال البزار حدثنا محمد بن يحيي الازدي حدثنا محمد بن عمر حدثنا هشام بن سعد عن سعيد ابن ابي هلال عن ابن حجيرة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل (فان له معيشة ضنكا) قال «المعيشة الضنك الذي قال الله انه يسلط عليه تسعة وتسعون حية ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة»

وقال أيضا حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (فان له معيشة ضنكا) قال «عذاب القبر» اسناد جيد

وقوله (ونحشره يوم القيامة أعمى) قال مجاهد وأبو صالح والسدي لاحجة له وقال عكرمة عمى عليه كل شيء الا جهنم ، ويحتمل أن يكون المراد أنه يبعث أو يحشر الى النار أعمى البصر والبصيرة أيضا كما قال تعالى (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم) الآية ولهذا يقول [رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً] اي في الدنيا [قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى] أي لما أعرضت عن آيات الله وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها اليك تناسيتها وأعرضت عنها واغفلتها كذلك اليوم نعاملك معاملة من نسيك (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) فان الجزاء من جنس العمل . فأما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمقتضاه فليس داخلا في هذا الوعيد الخاص وان كان متوعداً عليه من جهة أخرى فانه قد وردت السنة بالنهي الاكيد والوعيد الشديد في ذلك، قال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فائد عن رجل عن سعد بن عبادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ما من رجل قرأ القرآن فنسيه الا لقي الله يوم يلقاه وهو أجزم » ثم رواه الامام أحمد من حديث يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فائد عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ فذكر مثله سواء

وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى(١٢٧)

عكرمة هو الحرام وقال الضحاك هو الكسب الخبيث وعن ابن عباس قال الشقاء وروي عنه أنه قال كل مال أعطى العبد قل أم كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة وان أقواما أعرضوا عن الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا مكثرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم يرون أن الله ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله قال سعيد بن جبير بسلبه القناعة حتى لا يشبع ﴿ ونحشره يوم القيامة اعمى ﴾ قال ابن عباس اعمى البصر وقال مجاهد اعمى عن الحجة ﴿ قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا ﴾ بالعين أو بصيرا بالحجة ﴿ قال كذلك ﴾ أي كما ﴿ أتتك آياتنا فنسيتها ﴾ فتركتها واعرضت عنها ﴿ وكذلك اليوم تنسى ﴾ تترك في النار قال قتادة نسوا من الخير ولم ينسوا من العذاب ﴿ وكذلك ﴾ أي وكما جزينا من اعرض عن القرآن كذلك ﴿ نجزي من اسرف ﴾

يقول تعالى وهكذا نجازي المسرفين المكذبين بآيات الله في الدنيا والآخرة (لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق) ولهذا قال (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) أي أشد ألماً من عذاب الدنيا وأدوم عليهم فهم مخلدون فيه ولهذا قال رسول الله ﷺ للمتلاعنين « ان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة »

أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مسكنهم ان في ذالك لآيٰت لأولى النهى (١٢٨) ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى (١٢٩) فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء اليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى (١٣٠)

يقول تعالى أفلم يهد لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به يا محمد كم أهلكنا من الامم المكذبين بالرسل قبلهم فبادوا فليس لهم باقية ولا عين ولا أثر كما يشاهدون ذلك من ديارهم الخالية التي خلفوهم فيها يمشون فيها (ان في ذلك لآيات لاولى النهى) أي العقول الصحيحة والالباب المستقيمة كما قال تعالى (أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وقال في سورة ألم السجدة (أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم) الاية ثم قال تعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) أي لولا الكلمة السابقة من الله وهو انه لا يعذب أحدا الا بعد قيام الحجة عليه والاجل

اشرك ﴿ ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد ﴾ مما نعذبهم به في الدنيا والقبر ﴿ وابقى ﴾ وادوم ﴿ أفلم يهد لهم ﴾ يبين لهم القرآن يعني كفار مكة ﴿ كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ﴾ ديارهم ومنازلهم اذا سافروا. والخطاب لقريش كانوا يسافرون الى الشام فيرون ديار المهلكين من اصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط ﴿ إن في ذلك لآيات لاولي النهى ﴾ لذوي العقول ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى ﴾ فيه تقديم وتأخير تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما والكلمة الحكم بتأخير العذاب عنهم أي ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة ﴿ فاصبر على ما يقولون ﴾ نسختها آية القتال ﴿ وسبح بحمد ربك ﴾ أي صل بامر ربك وقيل صل لله بالحمد له والثناء عليه ﴿ قبل طلوع الشمس ﴾ يعني صلاة الصبح ﴿ وقبل غروبها ﴾ صلاة العصر ﴿ ومن آناء الليل ﴾ ساعاته واحدها إني ﴿ فسبح ﴾ يعني صلاة المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد أول الليل ﴿ وأطراف النهار ﴾ يعني صلاة الظهر وسمي وقت الظهر اطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو طرف النصف الاول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء وقيل المراد من آناء الليل صلاة العشاء ومن

المسمى الذي ضربه الله تعالى لهؤلاء المكذبين الى مدة معينة لجاءهم العذاب بغتة ولهذا قال لنبيه مسليا « (فاصبر على مايقولون) أي من تكذيبهم لك (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس) يعني صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعني صلاة العصر كما جاء في الصحيحين عن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال « انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون في رؤيته فان استطعتم ان لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ هذه الاية، وقال الامام أحمد حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن عمارة بن رؤيبة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » رواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير به وفي المسند والسنن عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ينظر الى أقصاه كما ينظر الى أدناه وان أعلاهم منزلة لمن ينظر الى الله تعالى في اليوم مرتين » وقوله (ومن آناء الليل فسبح) أي من ساعاته فتهجد به وحمله بعضهم على المغرب والعشاء (وأطراف النهار) في مقابلة آناء الليل (لعلك ترضى) كما قال تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وفي الصحيح « يقول الله تعالى ياأهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون ربنا وما لنا لانرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول اني أعطيتكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا » وفي الحديث الاخر « ياأهل الجنة ان لكم عند الله موعداً يريد ان ينجزكموه فيقولون وما هو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم خيرا من النظر اليه وهي الزيادة

اطراف النهار صلاة الظهر والمغرب لان الظهر في آخر الطرف الاول من النهار وفي أول الطرف الآخر من النهار فهو في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس وعند ذلك يصلى المغرب ﴿لعلك ترضى﴾ أي ترضى ثوابه في المعاد وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم ترضى بضم التاء أي تعطى ثوابه وقيل ترضى أي يرضاك الله تعالى كما قال (وكان عند ربه مرضيا) وقيل معنى الآية لعلك ترضى بالشفاعة كما قال (ولسوف يعطيك ربك فترضى) اخبرنا أبو سعيد احمد بن محمد بن العباس الخطيب الحمدي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني املاء أنا ابراهيم بن عبدالله السعدي أنا يزيد بن هارون أنا اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبدالله قال كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فنظر الى القمر ليلة البدر فقال « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون في رؤيته فان استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » ثم قرأ (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها)

ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوٰة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى

(١٣١) وأمر اهلك بالصلوٰة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢)

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ لاتنظر الى ما هؤلاء المترفون وأشباههم ونظراؤهم فيه من النعيم فانما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة لنختبرهم بذلك وقليل من عبادي الشكور، وقال مجاهد أزواجا منهم يعني الاغنياء فقد آتاك خيرا مما آتاهم كما قال في الاية الآخرى (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لاتمدن عينيك) الآية وكذلك ما ادخره الله تعالى لرسوله ﷺ في الآخرة أمر عظيم لايحد ولا يوصف كما قال تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ولهذا قال (ورزق ربك خير وأبقى) وفي الصحيح ان عمر بن الخطاب لما دخل على رسول الله ﷺ في تلك المشربة التي كان قد اعتزل فيها نساءه حين آلى منهن فرآه متوسداً مضطجعا على رمال حصير وليس في البيت إلا صبرة من قرظ واهبة معلقة فابتدرت عينا عمر بالبكاء فقال له رسول الله ﷺ «مايبكيك ياعمر؟» فقال يارسول الله ان كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه فقال «أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا» فكان ﷺ أزهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها اذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا في عباد الله ولم يدخر لنفسه شيأ لغد. قال ابن أبي حاتم أنبأنا يونس أخبرني ابن وهب أخبرني مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال «ان أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا» قالوا وما زهرة الدنيا يارسول الله قال «بركات الارض» وقال قتادة والسدي زهرة الحياة الدنيا يعني زينة الحياة الدنيا وقال قتادة لنفتنهم فيه لنبتليهم وقوله (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) أي استنقذهم من عذاب الله باقام الصلاة واصبر أنت على فعلها كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن صالح حدثنا بن وهب أخبرني هشام بن سعد عن ابن زيد بن أسلم عن أبيه ان عمر ابن الخطاب كان يبيت عنده انا ويرفأ وكان له ساعة من الليل يصلي فيها فربما لم يقم فنقول لا يقوم

قوله تعالى ﴿ولا تمدن عينيك﴾ قال أبو رافع نزل برسول الله ﷺ ضيف فبعثني الى يهودي فقال لي قل له إن رسول الله يقول لك بعني كذا وكذا من الدقيق واسلفني الى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا أبيعه ولا أسلفه إلا برهن فأتيت رسول الله ﷺ فاخبرته فقال «والله لئن باعني واسلفني لقضيته وإني لأمين في السماء وأمين في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه» فنزلت هذه الآية (ولا تمدن عينيك) لاتنظر ﴿إلى مامتعنا به﴾ اعطينا ﴿أزواجا﴾ اصنافا ﴿منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ أي زينتها وبهجتها وقرأ يعقوب زهرة بفتح الهاء وقرأ العامة بجزمها ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي لنجعل ذلك فتنة لهم بأن أزيد لهم النعمة فيزيدوا كفراً وطغيانا ﴿ورزق ربك﴾ في المعاد يعني

الليلة كما كان يقوم وكان اذا استيقظ أقام بعني أهله وقال وائمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها وقوله (لا نسألك رزقا نحن نرزقك) يعني اذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب كما قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) الى قوله [ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين] ولهذا قال لا نسألك رزقا نحن نرزقك وقال الثوري لا نسألك رزقا أى لا نكلفك الطلب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا حفص ابن غياث عن هشام عن أبيه انه كان اذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا فاذا رجع إلى اهله فدخل الدار قرأ [ولا تمدن عينيك ـ الي قوله ـ نحن نرزقك] ثم يقول الصلاة الصلاة رحمكم الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطراني حدثنا سيار حدثنا جعفر عن ثابت قال كان النبي ﷺ اذا أصابه خصاصة نادى أهله يا أهلاه صلوا صلوا قال ثابت وكانت الانبياء اذا نزل بهم امر فزعوا إلى الصلاة وقد روى الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة عن ابيه عن ابي خالد الوالبي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «يقول الله تعالى يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غني واسد فقرك وان لم تفعل ملأت صدرك شغلا ولم اسد فقرك» وروى ابن ماجه من حديث الضحاك عن الاسود عن ابن مسعود سمعت نبيكم ﷺ يقول «من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم في احوال الدنيا لم يبال الله في اى اوديته هلك» وروى ايضا من حديث شعبة عن عمر بن سليمان عن عبد الرحمن بن ابان عن ابيه عن زيد بن ثابت سمعت رسول الله ﷺ يقول «من كانت الدنيا همه فرق الله عليه امره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت الاخرة نيته جمع له امره وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة» وقوله [والعاقبة للتقوى] اى وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة وهي الجنة لمن اتقى الله وفي الصحيح ان رسول الله ﷺ قال «رأيت الليلة كأنا في دار عقبة بن رافع وانا أتينا برطب من رطب ابن طاب فأولت ذلك ان العاقبة لنا في الدنيا والرفعة وان ديننا قد طاب»

الجنة ﴿ خير وأبقى ﴾ قال أبي بن كعب : من لم يستعز بعز الله تقطعت نفسه حسرات ومن يتبع بصره فيما في ايدي الناس بطل حزنه ، ومن ظن أن نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه ﴿ وائمر أهلك بالصلاة ﴾ أي قومك وقيل من كان على دينك كقوله تعالى (وكان يأمر أهله بالصلاة) ﴿ واصطبر عليها ﴾ أى اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴿ لا نسألك رزقا ﴾ لا نكلفك أن ترزق أحداً من خلقنا ، ولا أن ترزق نفسك وإنما نكلفك عملا ﴿ نحن نرزقك والعاقبة ﴾ الخاتمة الجميلة المحمودة ﴿ للتقوى ﴾ أي لاهل التقوى قال ابن عباس يعني الذين صدقوك واتبعوك واتقوني وفي بعض المسانيد أن النبي ﷺ كان اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية

وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (١٣٣) ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى (١٣٤) قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى (١٣٥)

يقول تعالى مخبراً عن الكفار في قولهم (لولا) أي هلا يأتينا محمد بآية من ربه أي بعلامة دالة على صدقه في انه رسول الله قال الله تعالى (أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى) يعني القرآن الذي أنزله عليه وهو أمي لايحسن الكتابة ولم يدارس أهل الكتاب وقد جاء فيه أخبار الأولين بما كان منهم في سالف الدهور بما يوافقه عليه الكتب المتقدمة الصحيحة منها فان القرآن مهيمن عليها يصدق الصحيح ويبين خطأ المكذوب فيها وعليها وهذه الآية كقوله تعالى في سورة العنكبوت (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين * أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قال « مامن نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وانما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » وانما ذكر ههنا أعظم الآيات التي أعطيها عليه السلام وهو القرآن وإلا فله من المعجزات مالا يحد ولا يحصر كما هو مودع في كتبه ومقرر في مواضعه ثم قال تعالى (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) أي لو أنا أهلكنا هؤلاء المكذبين قبل أن نرسل اليهم هذا الرسول الكريم وننزل عليهم هذا الكتاب العظيم لكانوا قالوا (ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) قبل أن تهلكنا حتى نؤمن به ونتبعه كما قال [فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى] يبين تعالى ان هؤلاء المكذبين متعنتون معاندون لا يؤمنون

قوله تعالى ﴿ وقالوا ﴾ يعني المشركين ﴿ لولا يأتينا بآية من ربه ﴾ أي الآية المقترحة فانه كان قد أتاهم بآيات كثيرة ﴿ أولم تأتهم بينة ﴾ قرأ أهل المدينة والبصرة وحفص عن عاصم تأتهم لتأنيث البينة وقرأ الآخرون بالياء لتقدم الفعل ولان البينة هي البيان فرد الى المعنى بينة ﴿ ما في الصحف الاولى ﴾ يعني بيان مافيها وهو القرآن اقوى دلالة واوضح آية وقيل أولم يأتهم بيان ما في الصحف الاولى التوراة والانجيل وغيرهما من أنباء الامم انهم اقترحوا الآيات فلما أتتهم ولم يؤمنوا بها كيف عجلنا لهم العذاب والهلاك فما يؤمنهم ان أتتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك ﴿ ولو أنا اهلكناهم بعذاب من قبله ﴾ يعني من قبل ارسال الرسول وانزال القرآن ﴿ لقالوا ربنا لولا ﴾ هلا ﴿ أرسلت الينا رسولا ﴾ يدعونا أي لقالوا يوم القيامة ﴿ فنتبع اياتك من قبل أن نذل ونخزى ﴾ بالعذاب والذل

[ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم] كما قال تعالى [وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون - الى قوله - بما كانوا يصدفون] وقال [وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الامم] الآية. وقال [وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها] الآيتين. ثم قال تعالى [قل] أي يا محمد لمن كذبك وخالفك واستمر على كفره وعناده [كل متربص] أى منا ومنكم [فتربصوا] أى فانتظروا [فستعلمون من أصحاب الصراط السوي] أي الطريق المستقيم [ومن اهتدى] الى الحق وسبيل الرشاد، وهذا كقوله تعالى [وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا] وقال [سيعلمون غداً من الكذاب الاشر]

آخر تفسير سورة طه ولله الحمد والمنة

﴿ ويتلوه ان شاء الله تفسير سورة الانبياء ولله الحمد ﴾

والهوان والخزي والافتضاح ﴿ قل كل متربص ﴾ منتظر دوائر الزمان وذلك أن المشركين قالوا نتربص بمحمد حوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى ﴿ فتربصوا ﴾ فانتظروا ﴿ فستعلمون ﴾ اذا جاء امر الله وقامت القيامة ﴿ من أصحاب الصراط السوي ﴾ المستقيم ﴿ ومن اهتدى ﴾ من الضلالة نحن أم انتم



تفسير سورة الانبياء عليهم السلام وهي مكية

قال البخاري حدثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت عبدالرحمن بن زيد عن عبد الله قال : بنو اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبياء هن من العتاق الاول وهن من تلادي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون (١) ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون (٢) لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا ، هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون (٣) قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم (٤) بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون (٥) ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون (٦)

هذا تنبيه من الله عز وجل على اقتراب الساعة ودنوها وان الناس في غفلة عنها أي لا يعملون لها ولا يستعدون من أجلها ، وقال النسائي حدثنا أحمد بن نصر حدثنا هشام بن عبدالملك أبو الوليد الطيالسي حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد عن النبي ﷺ [في غفلة معرضون] قال «في الدنيا» وقال تعالى [أتى أمر الله فلا تستعجلوه] وقال [اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا] الآية . وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن هانيء أبي نواس الشاعر انه قال : أشعر الناس الشيخ الطاهر أبو العتاهية حيث يقول

﴿ سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴾

﴿ مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقترب للناس ﴾ قيل اللام بمعنى من يعني اقترب من الناس ﴿ حسابهم ﴾ يعني وقت محاسبة الله إياهم على اعمالهم يعني يوم القيامة نزلت في منكري البعث ﴿ وهم في غفلة معرضون ﴾ عن التأهب له ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ يعني ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به قال مقاتل يحدث الله الامر بعد الامر وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي ﷺ وبينه من السنن

الناس في غفلاتهم * ورحا المنية تطحن

فقيل له من أين أخذ هذا ؟ قال من قول الله تعالى [اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون] وروي[1] في ترجمة عامر بن ربيعة من طريق موسى بن عبيد الآمدي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عامر بن ربيعة أنه نزل به رجل من العرب فأكرم عامر مثواه وكلم فيه رسول الله ﷺ فجاءه الرجل فقال اني استقطعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم واديا في العرب وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك . فقال عامر لا حاجة لي في قطيعتك نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا [اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون] ثم أخبر تعالى انهم لا يصغون الى الوحي الذي أنزل الله على رسوله والخطاب مع قريش ومن شابهم من الكفار فقال [ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث] أي جديد انزاله [إلا استمعوه وهم يلعبون] كما قال ابن عباس : مالكم تسألون اهل الكتاب عما بأيديهم وقد حرفوه وبدلوه وزادوا فيه ونقصوا منه وكتابكم أحدث الكتب بالله تقرؤونه محضا لم يشب. رواه البخاري بنحوه . وقوله [وأسروا النجوى الذين ظلموا] أي قائلين فيما بينهم خفية [هل هذا إلا بشر مثلكم] يعنون رسول الله ﷺ يستبعدون كونه نبيا لانه بشر مثلهم فكيف اختص بالوحي دونهم ولهذا قال (أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) أي أفتتبعونه فتكونون كمن يأتي السحر وهو يعلم انه سحر فقال تعالى مجيبا لهم عما افتروه واختلقوه من الكذب (قال ربي يعلم القول في السماء والارض) أي الذي يعلم ذلك لا يخفى عليه خافية وهو الذي أنزل هذا القرآن المشتمل على خبر الاولين والآخرين الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله إلا الذي يعلم السر في السموات والارض وقوله (وهو السميع العليم) أي السميع لاقوالكم العليم بأحوالكم وفي هذا تهديد لهم ووعيد، وقوله (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه) هذا إخبار عن تعنت الكفار وإلحادهم واختلافهم فيما يصفون به القرآن وحيرتهم فيه وضلالهم عنه فتارة يجعلونه سحراً وتارة يجعلونه شعراً وتارة يجعلونه أضغاث

[1] هذا الخبر غير موجود في النسخة المكية

والمواعظ سوى القرآن وأضافه الى الرب عز وجل لانه بأمر الرب ﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ يعني استمعوه لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون ﴿لاهية﴾ ساهية غافلة ﴿قلوبهم﴾ معرضة عن ذكر الله وقوله (لاهية) نعت تقدم الاسم ومن حق النعت أن يتبع الاسم في الاعراب واذا تقدم النعت الاسم فله حالتان فصل ووصل فحالته في الفصل النصب كقوله تعالى (خشعا ابصارهم ـ ودانية عليهم ظلالها ـ ولاهية قلوبهم)، وفي الوصل حالة ماقبله من الاعراب كقوله (ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ يعني اشركوا قوله (وأسروا) فعل تقدم الجمع وكان حقه وأسر قال الكسائي فيه تقديم وتأخير أراد الذين ظلموا أسروا النجوى وقيل محل الذين رفع على الابتداء معناه وأسروا النجوى ثم قال وهم الذين ظلموا وقيل رفع على البدل من الضمير في أسروا قال المبرد هذا كقولك ان الذين في الدار انطلقوا بنو عبد الله على البدل مما في انطلقوا ثم بين سرهم الذي

أحلام وتارة يجعلونه مفترى كما قال [انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا] وقوله [فليأتنا بآية كما ارسل الاولون] يعنون كناقة صالح وآيات موسى وعيسى وقد قال الله [وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الاولون] الآية. ولهذا قال تعالى [ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون] أي ما آتينا قرية من القرى الذين بعث فيهم الرسل آية على يدي نبيها فآمنوا بها بل كذبوا فأهلكناهم بذلك أفهؤلاء يؤمنون بالآيات لو رأوها دون أولئك كلا بل (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) هذا كله وقد شاهدوا من الآيات الباهرات والحجج القاطعات والدلائل البينات على يدى رسول الله ﷺ ماهو أظهر وأجلى وأبهر وأقطع وأقهر مما شوهد مع غيره من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

قال ابن أبي حاتم رحمه الله ذكر عن زيد بن الحباب حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحارث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي حدثني من شهد عبادة بن الصامت يقول : كنا في المسجد ومعنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقرأ بعض القرآن فجاء عبد الله بن أبي بن سلول ومعه نمرقة وزربية فوضع واتكأ وكان صبيحا فصيحا جدلا فقال يا أبا بكر قل لمحمد يأتينا بآية كما جاء الاولون ؟ جاء موسى بالالواح وجاء داود بالزبور وجاء صالح بالناقة وجاء عيسى بالانجيل وبالمائدة. فبكى أبو بكر رضي الله عنه فخرج رسول الله ﷺ فقال أبو بكر قوموا بنا الى رسول الله ﷺ نستغيث به من هـذا المنافق . فقال رسول الله ﷺ « انه لايقام لي انما يقام لله عز وجل » فقلنا يارسول الله إنا لقينا من هذا المنافق « فقال « ان جبريل قال لي اخرج فأخبر بنعم الله التي أنعم بها عليك وفضيلته التي فضلت بها فبشرني اني بعثت الى الاحمر والاسود وأمرني أن أنذر الجن وآتاني كتابه وأنا أمي وغفر ذنبي ماتقدم وما تأخر وذكر اسمي في الاذان وأمدني بالملائكة وآتاني النصر وجعـل الرعب امامي وآتاني الكوثر وجعل حوضي من أكثر الحياض يوم القيامة ووعدني المقام المحمود والناس مهطعون مقنعو رءوسهم وجعلني في أول زمرة تخرج من الناس وأدخل في شفاعتي سبعين ألفا من أمتي الجنة بغير حساب

تناجوا به فقال ﴿ هل هذا إلا بشر مثلكم ﴾ انكروا ارسال البشر وطلبوا ارسال الملائكة ﴿ أفتأتون السحر ﴾ يعني تحضرون السحر وتقبلونه ﴿ وانتم تبصرون ﴾ تعلمون أنه سحر ﴿ قل ﴾ لهم يامحمد ﴿ ربي يعلم القول في السماء والارض ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص قال ربي على الخبر عن محمد ﷺ (يعلم القول في السماء والارض) أي لايخفى عليه شيء ﴿ وهو السميع ﴾ لاقوالهم ﴿ العليم ﴾ بافعالهم ﴿ بل قالوا اضغاث احلام ﴾ أباطيلها وأقاويلها وأهاويلها رآها في النوم ﴿ بل افتراه ﴾ اختلقه ﴿ بل هو شاعر ﴾ يعني ان المشركين اقتسموا القول فيـه وفيما يقوله بعضهم اضغاث احلام وقال بعضهم بل هو فرية وقال بعضهم بل محمد شاعر وما جاءكم به شعر ﴿ فليأتنا ﴾ محمـد ﴿ بآية ﴾ ان كان صادقا ﴿ كما ارسل الاولون ﴾ من الرسل بالآيات قال الله تعالى مجيبا لهم ﴿ ما آمنت قبلهم ﴾ أي قبل مشركي

وأتاني السلطان والملك وجعلني في أعلى غرفة في الجنة في جنات النعيم فليس فوقي أحد إلا الملائكة الذين يحملون العرش وأحل لي ولأمتي الغنائم ولم تحل لاحد كان قبلنا » وهذا الحديث غريب جدا

وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون (٧) وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خلدين (٨) ثم صدقنهم الوعد فأنجينهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين (٩)

يقول تعالى راداً على من أنكر بعثة الرسل من البشر [وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي اليهم] أي جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالا من البشر لم يكن فيهم أحد من الملائكة كما قال في الآية الأخرى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى) وقال تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل) وقال تعالى حكاية عمن تقدم من الأمم لأنهم أنكروا ذلك فقالوا (أبشر يهدوننا) ولهذا قال تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) أي اسألوا أهل العلم من الامم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف هل كان الرسل الذين أتوهم بشراً أو ملائكة وإنما كانوا بشراً وذلك من تمام نعمة الله على خلقه إذ بعث فيهم رسلا منهم يتمكنون من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم . وقوله (وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام) أي بل قد كانوا أجساداً يأكلون الطعام كما قال تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) أي قد كانوا بشراً من البشر يأكلون ويشربون مثل الناس ويدخلون الاسواق للتكسب والتجارة وليس ذلك بضار لهم ولا ناقص منهم شيئا كما توهمه المشركون في قولهم (مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا * أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) الآية . وقوله (وما كانوا خالدين)

مكة ﴿ من قرية ﴾ أي من أهل قرية أتتهم الآيات ﴿ اهلكناها ﴾ اهلكناهم بالتكذيب ﴿ أفهم يؤمنون ﴾ ان جاءتهم آية معناه أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤمن هؤلاء ﴿ وما ارسلنا قبلك إلا رجالا نوحي اليهم ﴾ هذا جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم يعني إنا لم نرسل الملائكة الى الاولين انما ارسلنا رجالا نوحي اليهم ﴿ فاسألوا أهل الذكر ﴾ يعني أهل التوراة والانجيل يريد علماء أهل الكتاب فانهم لاينكرون أن الرسل كانوا بشراً وان انكروا نبوة محمد ﷺ وأمر المشركين بمسألتهم لأنهم الى تصديق من لم يؤمن بالنبي ﷺ اقرب منهم الى تصديق من آمن به، وقال ابن زيد أراد بالذكر القرآن أراد فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن ﴿ ان كنتم لاتعلمون * وما جعلناهم ﴾ أي الرسل ﴿ جسدا ﴾ ولم يقل اجسادا لأنه اسم الجنس ﴿ لا يأكلون الطعام ﴾ هذا رد لقولهم (مالهذا الرسول يأكل الطعام) يقول لم نجعل الرسل ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام ﴿ وما كانوا خالدين ﴾

أي في الدنيا بل كانوا يعيشون ثم يموتون (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) وخاصتهم انهم يوحى اليهم من الله عز وجل تنزل عليهم الملائكة عن الله بما يحكمه في خلقه مما يأمر به وينهى عنه. وقوله (ثم صدقناهم الوعد) أي الذي وعدهم ربهم ليهلكن الظالمين صدقهم الله وعده وفعل ذلك ولهذا قال (فأنجيناهم ومن نشاء) أي أتباعهم من المؤمنين (وأهلكنا المسرفين) أي المكذبين بما جاءت به الرسل

لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون (١٠) وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين (١١) فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون (١٢) لاتركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون (١٣) قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين (١٤) فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين (١٥)

يقول تعالى منبهاً على شرف القرآن ومحرضاً لهم على معرفة قدره [لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم] قال ابن عباس شرفكم وقال مجاهد حديثكم وقال الحسن دينكم [أفلا تعقلون] أي هذه النعمة وتتلقونها بالقبول كما قال تعالى [وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون] وقوله [وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة هذه صيغة تكثير كما قال [وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح] وقال تعالى [وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها] الاية. وقوله [وأنشأنا بعدها قوما آخرين] أي أمة أخرى [فلما أحسوا بأسنا] أي تيقنوا ان العذاب واقع بهم لا محالة كما وعدهم نبيهم [إذا هم منها يركضون] أي يفرون هاربين [لاتركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم] هذا تهكم بهم

في الدنيا ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ الذي وعدناهم باهلاك اعدائهم ﴿فانجيناهم ومن نشاء﴾ يعني أنجينا المؤمنين الذين صدقوهم ﴿واهلكنا المسرفين﴾ يعني المشركين المكذبين وكل مشرك مسرف على نفسه ﴿لقد انزلنا اليكم كتابا﴾ يامعشر قريش ﴿فيه ذكركم﴾ يعني شرفكم كما قال (وانه لذكر لك ولقومك) وهو شرف لمن آمن به وقال مجاهد فيه حديثكم وقال الحسن فيه ذكركم أي ذكر ما تحتاجون اليه من امر دينكم ﴿أفلا تعقلون * وكم قصمنا﴾ اهلكنا والقصم الكسر ﴿من قرية كانت ظالمة﴾ أي كافرة يعني اهلها ﴿وانشأنا بعدها﴾ يعني احدثنا بعد هلاك اهلها ﴿قوما آخرين * فلما أحسوا بأسنا﴾ يعني رأوا عذابنا بحاسة البصر ﴿اذا هم منها يركضون﴾ يعني يسرعون هاربين ﴿لا تركضوا﴾ يعني قيل لهم لا تركضوا لا تهربوا لاتذهبوا ﴿وارجعوا الى ما أترفتم فيه﴾ يعني انعمتم به ﴿ومساكنكم لعلكم تسئلون﴾ قال ابن عباس عن قتل نبيكم وقيل من دنيا كم شيئا نزلت هذه الآية في أهل حضر موت وهي قرية باليمن وكان أهلها من العرب فبعث الله اليهم نبيا يدعوهم الى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر حتى قتلهم وسباهم فلما استمر فيهم القتل ندموا وهربوا وانهزموا فقالت الملائكة لهم استهزاء (لاتركضوا)

قدرا أى قيل لهم قدرا لا تركضوا هاربين من نزول العذاب وارجعوا الى ما كنتم فيه من النعمة والسرور والمعيشة والمساكن الطيبة ، قال قتادة استهزاء بهم [لعلكم تسئلون] أي عما كنتم فيه من اداء شكر النعم [قالوا ياويلنا إنا كنا ظالمين] اعترفوا بذنوبهم حين لا ينفعهم ذلك [فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين] أي مازالت تلك المقالة وهي الاعتراف بالظلم هجيراهم حتى حصدناهم حصدا وخمدت حركاتهم وأصواتهم خمودا

وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لٰعبين (١٦) لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فٰعلين (١٧) بل نقذف بالحق على البٰطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (١٨) وله من في السموٰت والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (١٩) يسبحون الليل والنهار لا يفترون (٢٠)

يخبر تعالى انه خلق السموات والارض بالحق أي بالعدل والقسط ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وانه لم يخلق ذلك عبثا ولا لعبا كما قال [وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار] وقوله تعالى [لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين] قال ابن أبي نجيح عن مجاهد [لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا] يعني من عندنا ، يقول وما خلقنا جنة ولا ناراً ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا ، وقال الحسن وقتادة وغيرهما [لو أردنا أن نتخذ لهواً] اللهو المرأة بلسان أهل اليمن ، وقال ابراهيم النخعي [لاتخذناه] من الحور العين ، وقال عكرمة والسدي المراد باللهو ههنا الولد وهذا والذي قبله متلازمان وهو كقوله

وارجعوا إلى ماأترفتم فيه ومساكنكم وأموالكم لعلكم تسئلون قال قتادة لعلكم تسئلون شيئا من دنيا كم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم فانكم أهل ثروة ونعمة ويقولون ذلك استهزاء بهم فاتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف ونادى مناد في جو السماء يا ثارات الانبياء فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم ﴿ فقالوا ياويلنا انا كنا ظالمين فمازالت تلك دعواهم ﴾ أي تلك الكلمة وهي قولهم ياويلنا دعاؤهم يدعون بها ويرددونها ﴿ حتى جعلناهم حصيدا ﴾ بالسيوف كما يحصد الزرع ﴿ خامدين ﴾ ميتين ﴿ وما خلقنا السماء والارض ومابينهما لاعبين ﴾ أي عبثا وباطلا ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهواً ﴾ اختلفوا في اللهو قال ابن عباس في رواية عطاء اللهو ههنا المرأة وهو قول الحسن وقتادة وقال في رواية الكلبي اللهو الولد وهو قول السدي وهو في المرأة أظهر لان الوطء يسمى لهواً في اللغة والمرأة محل الوطء ﴿ لاتخذناه من لدنا ﴾ يعني من عندنا من الحور العين لا من عندكم من أهل الارض وقيل معناه لو كان ذلك جائزاً في صفته لم يتخذه بحيث يظهر لهم بل يستر ذلك حتى لا يطلعوا عليه وتأويل الآية ان

تعالى [لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق مايشاء سبحانه هو الله الواحد القهار] فنزه نفسه عن اتخاذ الولد مطلقا ولا سيما عما يقولون من الافك والباطل من اتخاذ عيسى أو العزير أو الملائكة [سبحان الله عما يقولون علواً كبيرا]

وقوله [إن كنا فاعلين] قال قتادة والسدي وابراهيم النخعي ومغيرة بن مقسم أي ما كنا فاعلين وقال مجاهد كل شيء في القرآن إن فهو إنكار ، وقوله [بل نقذف بالحق على الباطل] أي نبين الحق فيدحض الباطل ولهـذا قال [فيدمغه فاذا هو زاهق] أي ذاهب مضمحل [ولكم الويل] أي أيها القائلون لله ولد [مما تصفون] أي تقولون وتفترون ، ثم أخبر تعالى عن عبودية الملائكة له ودأبهم في طاعته ليلا ونهاراً فقال [وله من في السموات والارض ومن عنده] يعني الملائكة [لا يستكبرون عن عبادته] أي لا يستنكفون عنها كما قال [لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا] وقوله (ولا يستحسرون) أي لا يتعبون ولا يملون [يسبحون الليل والنهار لا يفترون] فهم دائبون في العمل ليلا ونهاراً مطيعون قصداً وعملا قادرون عليه كما قال تعالى [لا يعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون] وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن أبي دلامة البغدادي أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا سعيد عن قتادة عن صفوان ابن محرز عن حكيم بن حزام قال: بينا رسول الله ﷺ بين أصحابه إذ قال لهم «هل تسمعون ماأسمع» قالوا مانسمع من شيء . فقال رسول الله ﷺ « اني لأسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم » غريب ولم يخرجوه ثم رواه أعني ابن أبي حاتم من طريق يزيد بن أبي زريع عن سعيد عن قتادة مرسلا ، وقال محمد بن إسحاق عن حسان بن مخارق عن عبدالله ابن الحارث بن نوفل قال جلست الى كعب الاحبار وأنا غلام فقلت له أرأيت قول الله تعالى للملائكة

النصارى لما قالوا في المسيح وأمه ماقالوا رد الله عليهم بهذا وقال لاتخذناه من لدنا لانكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لاعند غيره ﴿ ان كنا فاعلين ﴾ قال قتادة ومقاتل وابن جريج ان للنفي معناه ما كنا فاعلين ، وقيل ان كنا فاعلين للشرط أي ان كنا ممن يفعل ذلك لاتخذناه من لدنا ولكنا لم نفعله لانه لايليق بالربوبية ﴿ بل ﴾ يعني دع ذلك الذي قالوا فانه كذب وباطل ﴿ نقذف ﴾ نرمي ونسلط ﴿ بالحق ﴾ بالايمان ﴿ على الباطل ﴾ على الكفر ، وقيـل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا ﴿ فيدمغه ﴾ يعني يهلكه وأصل الدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ ﴿ فاذا هو زاهق ﴾ ذاهب والمعنى انا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يضمحل ويذهب ثم أوعدهم على كذبهم فقال ﴿ ولكم الويل ﴾ يامعشر الكفار ﴿ مما تصفون ﴾ الله بما لايليق به من الصاحب والولد ، وقال مجاهد مما تكذبون ﴿ وله من في السموات والارض ﴾ عبيداً وملكا ﴿ ومن عنـده ﴾ يعني الملائكة ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ﴾ ولا يأنفون عن عبادته ولا يتعظمون عنها ﴿ ولا يستحسرون ﴾

(يسبحون الليل والنهار لايفترون) أما يشغلهم عن التسبيح الكلام والرسالة والعمل . فقال من هذا الغلام ؟ فقالوا من بني عبدالمطلب ، قال فقبل رأسي ثم قال : يابني انه جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس أليس تتكلم وأنت تتنفس وتمشي وأنت تتنفس

أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون (٢١) لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحٰن الله رب العرش عما يصفون (٢٢) لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (٢٣)

ينكر تعالى على من اتخذ من دونه آلهة فقال (أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون) أي أهم يحيون الموتى وينشرونهم من الارض أي لا يقدرون على شيء من ذلك فكيف جعلوها لله ندا وعبدوها معه ؟ ثم أخبر تعالى انه لو كان في الوجود آلهة غيره لفسدت السموات والارض فقال (لو كان فيهما آلهة) أي في السموات والارض (لفسدتا) كقوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) وقال ههنا (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) أي عما يقولون ان له ولداً أو شريكا سبحانه وتعالى وتقدس وتنزه عن الذي يفترون ويأفكون علواً كبيرا . وقوله (لايسئل عما يفعل وهم يسئلون) أي هو الحاكم الذي لامعقب لحكمه ولا يعترض عليه أحد لعظمته وجلاله وكبريائه وعلمه وحكمته وعدله ولطفه (وهم يسئلون) أي وهو سائل خلقه عما يعملون كقوله (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) وهذا كقوله تعالى (وهو يجير ولا يجار عليه)

أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهٰنكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل

لايعيون يقال حسر واستحسر اذا تعب وأعيا ، وقال السدي لاينقطعون عن العبادة ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ لايضعفون . قال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس لبني آدم ﴿ أم اتخذوا آلهة ﴾ استفهام بمعنى الجحد أي لم يتخذوا ﴿ من الارض ﴾ يعني الاصنام من الخشب والحجارة وهما من الارض ﴿ هم ينشرون ﴾ يحيون الاموات ولا يستحق الالهية الا من يقدر على الاحياء والايجاد من العدم والانعام بأبلغ وجوه النعم ﴿ لو كان فيهما ﴾ يعني في السماء والارض ﴿ آلهة إلا الله ﴾ يعني غير الله ﴿ لفسدتا ﴾ لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع بين الآلهة لان كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام ثم نزه نفسه فقال ﴿ فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾ يعني عما يصفه به المشركون من الشريك والولد ﴿ لا يسئل عما يفعل ﴾ ويحكم على خلقه لانه الرب ﴿ وهم يسئلون ﴾ يعني الخلق يسئلون عن أفعالهم وأعمالهم لانهم عبيد ﴿ أم اتخذوا من دونه آلهة ﴾ استفهام انكار وتوبيخ ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ يعني حجتكم على ذلك ثم قال مستأنفا ﴿ هذا ﴾ يعني القرآن ﴿ ذكر

أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون (٢٤) وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون (٢٥)

يقول تعالى (أم اتخذوا من دون الله آلهة قل) يا محمد (هاتوا برهانكم) أي دليلكم على ما تقولون (هذا ذكر من معي) يعني القرآن (وذكر من قبلي) يعني الكتب المتقدمة على خلاف ما تقولونه وتزعمون فكل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ناطق بانه لا إله إلا الله ولكن أنتم أيها المشركون لا تعلمون الحق فانتم معرضون عنه ولهذا قال (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) كما قال (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) فكل نبي بعثه الله يدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له والفطرة شاهدة بذلك أيضا والمشركون لا برهان لهم وحجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد

وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون (٢٦) لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون (٢٧) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون (٢٨) ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين (٢٩)

يقول تعالى رادا على من زعم أن له تعالى وتقدس ولداً من الملائكة كمن قال ذلك من العرب إن الملائكة بنات الله فقال (سبحانه بل عباد مكرمون) أي الملائكة عباد الله مكرمون عنده في منازل عالية ومقامات سامية وهم في غاية الطاعة قولا وفعلا (لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون)

من معي ﴾ فيه خبر من معي على ديني ومن تبعني الى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ﴿ وذكر ﴾ خبر ﴿ من قبلي ﴾ من الامم السالفة ما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة وعن ابن عباس في رواية عطاء ذكر من معي القرآن وذكر من قبلي التوراة والانجيل ومعناه راجعوا القرآن والتوراة والانجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولداً ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم نوحي اليه بالنون وكسر الحاء على التعظيم لقوله (وما أرسلناك) وقرأ الاخرون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهول ﴿ أنه لا إله الا أنا فاعبدون ﴾ وحدون ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ﴾ نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾ نزه نفسه عما قالوا ﴿ بل عباد ﴾ أي هم عباد يعني الملائكة ﴿ مكرمون لا يسبقونه بالقول ﴾ لا يتقدمونه بالقول ولا يتكلمون

أي لا يتقدمون بين يديه بأمر ولا يخالفونه فيما أمرهم به بل يبادرون الى فعله وهو تعالى علمه محيط بهم فلا يخفى عليه منهم خافية (يعلم مابين أيديهم وماخلفهم) وقوله (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) كقوله (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) وقوله (ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) في آيات كثيرة في معنى ذلك (وهم من خشيته) أي من خوفه ورهبته (مشفقون ▪ ومن يقل منهم إني إله من دونه) أي من ادعى منهم أنه إله من دون الله أي مع الله (فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) أي كل من قال ذلك وهـذا شرط والشرط لا يلزم وقوعه كقوله (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) وقوله (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)

أو لم ير الذين كفروا أن السموٰت والارض كانتا رتقا ففتقنٰهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون (٣٠) وجعلنا في الأرض روٰسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون (٣١) وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آيٰتها معرضون (٣٢) وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون (٣٣)

يقول تعالى منبها على قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه الاشياء وقهره لجميع المخلوقات فقال (أو لم ير الذين كفروا) أي الجاحدون لالهيته العابدون معه غيره ألم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق المستبد بالتدبير فكيف يليق أن يعبد معه غيره أو يشرك به ماسواه ألم يروا ان السموات والارض كانتا رتقا أي كان الجميع متصلا بعضه ببعض متلاصق متراكم بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر ففتق هذه من هذه فجعل السموات سبعا والارض سبعا وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء فامطرت السماء وأنبتت الارض ولهذا قال (وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) أي وهم

إلا بما يأمرهم به ﴿ وهم بأمره يعملون ﴾ معناه انهم لايخالفونه قولا ولا عملا ﴿ يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ﴾ أي ما عملوا وماهم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ قال ابن عباس أي إلا لمن قال لا إله إلا الله . وقال مجاهد أي لمن رضي عنه ﴿ وهم من خشيته مشفقون ﴾ خائفون لا يأمنون مكره ﴿ ومن يقل منهم أني إله من دونه ﴾ قال مقاتل عني به ابليس حين دعا الى عبادة نفسه وأمر بطاعة نفسه فان أحداً من الملائكة لم يقل أني اله من دون الله ﴿ فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ﴾ الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها ﴿ أو لم ير الذين كفروا ﴾ قرأ العامة بالواو وقرأ ابن كثير الم ير بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم معناه ألم يعلم الذين كفروا ﴿ أن السموات والارض كانتا رتقا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وعطاء وقتادة كانتا شيئاواحداً ملتزقتين ﴿ ففتقناهما ﴾ فصلنابينهما بالهواء والرتق في اللغة السد والفتق

يشاهدون المخلوقات تحدث شيئا فشيئا عيانا وذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء

فني كل شيء له آية تدل على أنه واحد

قال سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة قال سئل ابن عباس الليل كان قبل أو النهار؟ فقال أرأيتم السموات والارض حين كانتا رتقا هل كان بينهما الا ظلمة ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابراهيم بن أبي حمزة حدثنا حاتم عن حمزة بن أبي محمد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رجلا أتاه يسأله عن (السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما) قال اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله ثم تعال فاخبرني بما قال لك قال فذهب إلى ابن عباس فسأله فقال ابن عباس نعم كانت السموات رتقا لاتمطر وكانت الارض رتقا لاتنبت فلما خلق للارض أهلا فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات فرجع الرجل إلى ابن عمر فاخبره فقال ابن عمر الآن قد علمت ان ابن عباس قد أوتي في القرآن علما صدق هكذا كانت قال ابن عمر قد كنت أقول ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن علمت أنه قد أوتي في القرآن علما وقال عطية العوفي كانت هذه رتقا لاتمطر فامطرت وكانت هذه رتقا لاتنبت فانبتت • وقال اسماعيل بن أبي خالد سألت أبا صالح الحنفي عن قوله (أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما) قال كانت السماء واحدة ففتق منها سبع سموات وكانت الارض واحدة ففتق منها سبع أرضين ، وهكذا قال مجاهد وزاد ولم تكن السماء والارض متماستين ، وقال سعيد بن جبير بل كانت السماء والارض ملتزقتين فلما رفع السماء وأبرز منها الارض كان ذلك فتقهما الذي ذكر الله في كتابه • وقال الحسن وقتادة كانتا جميعا ففصل بينهما بهذا الهواء وقوله (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي أصل كل الاحياء

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الجماهر حدثنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن أبي ميمون عن أبي هريرة أنه قال يانبي الله إذا رأيتك قرت عيني وطابت نفسي فاخبرنا عن كل شيء قال «كل شيء خلق من ماء»

الشق قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا فوسطها ففتحها بها قال مجاهد والسدي كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع أرضين قال عكرمة وعطية كانت السماء رتقا لاتمطر والارض رتقا لاتنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات وانما قال رتقا على التوحيد وهو من نعت السموات والارض لانه مصدر وضع موضع الاسم مثل الزور والصوم ونحوهما ﴿ وجعلنا ﴾ وخلقنا ﴿ من الماء كل شيء حي ﴾ أي أحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء حي أي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر يعني أنه سبب لحياة كل شيء والمفسرون يقولون يعني ان كل شيء حي فهو مخلوق من الماء لقوله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء) قال أبو العالية يعني النطفة فان قيل قد خلق الله

وقال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا همام عن قتادة عن ابي ميمونة عن أبي هريرة قال قلت يارسول الله إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني فانبئني عن كل شيء قال «كل شيء خلق من ماء» قال قلت أنبئني عن أمر إذا عملت به دخلت الجنة قال «أفش السلام واطعم الطعام وصل الارحام وقم بالليل والناس نيام ثم ادخل الجنة بسلام» ورواه أيضا عبد الصمد وعفان وبهز عن همام تفرد به أحمد وهذا إسناد على شرط الصحيحين الا أن أبا ميمونة من رجال السنن واسمه سليم والترمذي يصحح له وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلا والله أعلم

وقوله (وجعلنا في الارض رواسي) أي جبالا أرسى الارض بها وقررها وثقلها لئلا تميد بالناس أي تضطرب وتتحرك فلايحصل لهم قرار عليها لانها غامرة في الماء الا مقدار الربع فانه باد للهواء والشمس ليشاهد أهلها السماء وما فيها من الآيات الباهرة والحكم والدلالات، ولهذا قال (أن تميد بهم) أي لئلا تميد بهم، وقوله [وجعلنا فيها فجاجا سبلا] أي ثغرا في الجبال يسلكون فيها طرقا من قطر إلى قطر واقليم إلى اقليم كما هو المشاهد في الارض يكون الجبل حائلا بين هذه البلاد وهذه البلاد فيجعل الله فيه فجوة ثغرة ليسلك الناس فيها من ههنا الى ههنا ولهذا قال (لعلهم يهتدون) وقوله [وجعلنا السماء سقفا محفوظا] أي على الارض وهي كالقبة عليها كما قال [والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون] وقال [والسماء وما بناها# أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج] والبناء هو نصب القبة كما قال رسول الله ﷺ «بني الاسلام على خمس» أي خمسة دعائم وهذا لايكون الا في الخيام كما تعهده العرب [محفوظا] أي عاليا محروسا أن ينال وقال مجاهد مرفوعا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدستكي حدثني أبي عن أبيه عن اشعث يعنى ابن اسحاق القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال رجل يارسول الله ماهذه السماء قال «موج مكفوف عنكم» اسناده غريب وقوله [وهم عن آياتها

بعض ماهو حي من غير الماء قيل هذا على وجه التكثير يعني ان أكثر الاحياء في الارض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء. ﴿ أفلا يؤمنون وجعلنا في الارض رواسي ﴾ أي جبالا ثوابت ﴿ أن تميدبهم ﴾ لئلا تميد بهم ﴿ وجعلنا فيها ﴾ في الرواسي ﴿ فجاجا ﴾ طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين أي جعلنا بين الجبال طرقا كي يهتدوا إلى مقاصدهم ﴿ سبلا ﴾ تفسير للفجاج ﴿ لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا ﴾ من أن تسقط ،دليله قوله تعالى (ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا باذنه) وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب ،دليله قوله تعالى (وحفظناها من كل شيطان رجيم) ﴿ وهم ﴾ يعني الكفار ﴿ عن آياتها ﴾ أي عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وغيرها ﴿ معرضون ﴾ لايتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ﴿ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ﴾ يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء. وانما قال يسبحون ولم يقل تسبح على مايقال لما لا يعقل

معرضون] كقوله [وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون] أى لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم والارتفاع الباهر وما زينت به من الكواكب الثوابت والسيارات في ليلها ونهارها من هذه الشمس التي تقطع الفلك بكماله في يوم وليلة فتسير غاية لا يعلم قدرها إلا الله الذي قدرها وسخرها وسيرها ، وقد ذكر ابن أبي الدنيا رحمه الله في كتابه التفكر والاعتبار ان بعض عباد بني اسرائيل تعبد ثلاثين سنة وكان الرجل منهم إذا تعبد ثلاثين سنة أظلته غمامة فلم ير ذلك الرجل شيئا مما كان يحصل لغيره فشكى ذلك الى امه فقالت له يابني فلعلك أذنبت في مدة عبادتك هذه فقال لا والله ما أعلمه قالت فلعلك هممت قال لا ولا هممت قالت فلعلك رفعت بصرك إلى السماء ثم رددته بغير فكر فقال نعم كثيراً قالت فمن ههنا أتيت ثم قال منبها على بعض آياته [وهو الذى خلق الليل والنهار] أى هذا في ظلامه وسكونه وهذا بضيائه وأنسه يطول هذا تارة ثم يقصر أخرى وعكسه الآخر [والشمس والقمر] هذه لها نور يخصها وفلك بذاته وزمان على حدة وحركة وسير خاص وهذا بنور آخر وفلك آخر وسير آخر وتقدير آخر [وكل في فلك يسبحون] أى يدورون قال ابن عباس يدورون كما يدور المغزل في الفلكة قال مجاهد فلا يدور المغزل الا بالفلكة ولا الفلكة الا بالمغزل كذلك النجوم والشمس والقمر لا يدورون الا به ولا يدور الابهن كما قال تعالى [فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم]

وما جعلنا لبشر مّن قبلك الخلد أفائن مت فهم الخالدون (٣٤) كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون (٣٥)

يقول تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك) أي يا محمد الخلد أي في الدنيا بل كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقد استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء الى أن الخضر عليه السلام مات وليس بحي الى الآن لانه بشر سواء كان وليا أو نبيا أو رسولا وقد قال تعالى

لانه ذكر عنها فعل العقلاء من الجري والسبح فذكر على مايعقل، والفلك مدار النجوم الذي يضمها والفلك في كلام العرب كل شيء مستدير وجمعه أفلاك ومنه فلكة المغزل ، وقال الحسن الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل يريد أن الذي يجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الطاحونة قال الضحاك فلكها مجراها وسرعة سيرها قال مجاهد كهيئة حديد الرحى وقال بعضهم الفلك السماء الذى فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجرى في السماء الذى قدر فيه وهو معنى قول قتادة ، وقال الكلبي الفلك استدارة السماء ، وقال آخرون الفلك موج مكفوف دون السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم

قوله عز وجل ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ دوام البقاء في الدنيا ﴿ أفان مت فهم الخالدون ﴾ أي أفهم الخالدون ان مت قيل نزلت هذه الآية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون ﴿ كل نفس

(وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) وقوله (أفائن مت) أي يا محمد فهم الخالدون أي يؤملون أن يعيشوا بعدك لا يكون هذا بل كل الى الفناء ولهذا قال تعالى (كل نفس ذائقة الموت) وقد روي عن الشافعي رحمه الله أنه أنشد واستشهد بهذين البيتين

تمنى رجال ان أموت وان أمت فتلك سبيل لست فيها باوحد
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى تهيأ لاخرى مثلها فكأن قد

وقوله (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) أى نختبركم بالمصائب تارة وبالنعم أخرى فننظر من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ونبلوكم يقول نبتليكم بالشر والخير فتنة بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلال وقوله (والينا ترجعون) أى فنجازيكم باعمالكم

وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كفرون (٣٦) خلق الانسان من عجل سأريكم آيتى فلا تستعجلون (٣٧)

يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه واذا رآك الذين كفروا يعني كفار قريش كأبي جهل وأشباهه ان يتخذونك إلا هزوا أى يستهزئون بك وينتقصونك يقولون أهذا الذى يذكر آلهتكم يعنون أهذا الذى يسب آلهتكم ويسفه أحلامكم قال تعالى (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) أى وهم كافرون بالله ومع هذا يستهزئون برسول الله كما قال في الآية الاخرى (واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى بعث الله رسولا ان كان ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين

ذائقة الموت ونبلوكم ﴾ نختبركم ﴿ بالشر والخير ﴾ بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر، وقيل بما تحبون وما تكرهون ﴿ فتنة ﴾ ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون ﴿ والينا ترجعون ﴾ ﴿ واذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك ﴾ مايتخذونك ﴿ الا هزوا ﴾ سخريا قال السدي نزلت في أبي جهل مر به النبي ﷺ فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف ﴿ أهذا الذى ﴾ أي يقول بعضهم لبعض أهذا الذي ﴿ يذكر آلهتكم ﴾ أي يعيبها يقال فلان يذكر فلانا أي يعيبه وفلان يذكر الله أي يعظمه ويبجله ﴿ وهم بذكر الرحمن هم كافرون ﴾ وذلك انهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا مسيلمة وهم الثانية صلة ﴿ خلق الانسان من عجل ﴾ اختلفوا فيه فقال قوم معناه أن بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع كما قال الله تعالى (وكان الانسان عجولا) قال سعيد بن جبير والسدي لما دخلت الروح في رأس آدم وعينيه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخلت في جوفه اشتهى الطعام فوثب قائما قبل أن تبلغ الروح الى رجليه عجلا الي ثمار الجنة فوقع فقيل (خلق الانسان من عجل) والمراد بالانسان آدم أورث أولاده العجلة والعرب تقول للذي يكثر منه الشيء خلقت منه كما تقول خلقت

يرون العذاب من أضل سبيلا) وقوله (خلق الانسان من عجل) كما قال في الاية الاخرى (وكان الانسان عجولا) أى في الامور قال مجاهد خلق الله ادم بعد كل شيء من اخر النهار من يوم خلق الخلائق فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله قال يارب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا محمد بن علقمة بن وقاص الليثي عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه أدخل الجنة وفيه اهبط منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلي - وقبض أصابعه يقللها - فسأل الله خيراً إلا أعطاه اياه » قال أبو سلمة فقال عبد الله بن سلام قد عرفت تلك الساعة هي اخر ساعات النهار من يوم الجمعة وهي التي خلق الله فيها ادم قال الله تعالى (خلق الانسان من عجل سأريكم اياتي فلا تستعجلون) والحكمة في ذكر عجلة الانسان ههنا انه لما ذكر المستهزئين بالرسول صلوات الله وسلامه عليه وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت ذلك فقال الله تعالى خلق الانسان من عجل لانه تعالى يملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته يؤجل ثم يعجل وينظر ثم لا يؤخر ولهذا قال [سأريكم آياتي] اى نقمي وحكمي واقتداري على من عصاني فلا تستعجلون

ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (٣٨) لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم لا ينصرون (٣٩) بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون (٤٠)

يخبر تعالى عن المشركين أنهم يستعجلون أيضا بوقوع العذاب بهم تكذيبا وجحودا وكفرا وعنادا واستبعادا فقال [ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين] قال الله تعالى لو يعلم الذين كفروا

من تعب وخلقت من غضب تريد المبالغة في وصفه بذلك يدل على هذا قوله تعالى (وكان الانسان عجولا) وقال قوم معناه خلق الانسان يعني آدم من تعجيل في خلق الله إياه لان خلقه كان بعد خلق كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة فأسرع في خلقه قبل مغيب الشمس ، وقال مجاهد فلما أحيا الروح رأسه قال يارب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس وقيل بسرعة وتعجيل على غير ترتيب خلق سائر الآدميين من النطفة ثم العلقة ثم المضغة وغيرها وقال قوم من عجل أي من طين وقال الشاعر

والنبع في صخرة الصماء منبته ... والنخل ينبت بين الماء والعجل

قوله تعالى ﴿ سأريكم آياتي فلا تستعجلون ﴾ هذا خطاب للمشركين نزل هذا في المشركين كانوا يستعجلون بالعذاب ويقولون أمطر علينا حجارة من السماء وقيل نزلت في النضر بن الحارث فقال تعالى (سأريكم آياتي) أي مواعيدي (فلا تستعجلون) أي فلا تطلبوا العذاب من قبل وقته فأراهم يوم بدر ، وقيل كانوا يستعجلون القيامة ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴾

حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم] أي لو تيقنوا انها واقعة بهم لامحالة لما استعجلوا و لو يعلمون حين يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم) غواش وقال في هذه الاية (حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) وقال [سرابيلهم من قطران وتغشي وجوههم النار] فالعذاب محيط بهم من جميع جهاتهم [ولاهم ينصرون] أي لاناصر لهم كما قال [ومالهم من الله من واق] وقوله [بل تأتيهم بغتة] أى [تأتيهم النار بغتة] أي فجأة فتبهتهم أي تذعرهم فيستسلمون لها حائرين لايدرون مايصنعون فلا يستطيعون ردها اي ليس لهم حيلة في ذلك ولاهم ينظرون أي ولا يؤخر عنهم ذلك ساعة واحدة

ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون (٤١)

قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون (٤٢) أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لايستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون (٤٣)

يقول تعالى مسليا لرسوله عما اذاه به المشركون من الاستهزاء والتكذيب [ولقد استهزيء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون] يعني من العذاب الذي كانوا يستبعدون وقوعه كما قال تعالى [ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله * ولقد جاءك من نبأ المرسلين) ثم ذكر تعالى نعمته على عبيده في حفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لاتنام فقال (قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن) أي بدل الرحمن يعني غيره كما قال الشاعر

جارية لم تلبس المرققا * ولم تذق من البقول الفستقا

فقال تعالى ﴿ لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون ﴾ لايدفعون ﴿ عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ﴾ قيل ولا عن ظهورهم السياط ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ يمنعون من العذاب وجواب لوفى قوله لو يعلم الذين محذوف معناه لو علموا لما أقاموا على كفرهم ولما استعجلوا ولا قالوا متى هذا الوعد ﴿ بل تأتيهم ﴾ يعني الساعة ﴿ بغتة ﴾ فجأة ﴿ فتبهتهم ﴾ أي تحيرهم يقال فلان مبهوت أي متحير ﴿ فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ﴾ يمهلون ﴿ ولقد استهزيء برسل من قبلك فحاق ﴾ نزل ﴿ بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ أي جزاء استهزائهم ﴿ قل من يكلؤكم ﴾ يحفظكم ﴿ بالليل والنهار من الرحمن ﴾ ان أنزل بكم عذابه وقال ابن عباس من يمنعكم من عذاب الرحمن ﴿ بل هم عن ذكر ربهم ﴾ عن القرآن ومواعظ الله ﴿ معرضون أم لهم ﴾ أم صلة فيه وفي أمثاله ﴿ آلهة تمنعهم من دوننا ﴾ فيه تقديم وتأخير تقديره أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم ثم وصف الالهة بالضعف

أي لم تذق بدل البقول الفستق وقوله تعالى [بل هم عن ذكر ربهم معرضون] أي لا يعترفون بنعمة الله عليهم واحسانه اليهم بل يعرضون عن اياته والائه ثم قال (أم لهم الهة تمنعهم من دوننا) استفهام انكار وتقريع وتوبيخ أي ألهم آلهة تمنعهم وتكلؤهم غيرنا ليس الامر كما توهموا لا ولا كما زعموا ولهذا قال (لا يستطيعون نصر أنفسهم) أي هذه الالهة التى استندوا اليها غير الله لا يستطيعون نصر أنفسهم وقوله [ولا هم منا يصحبون] قال العوفي عن ابن عباس ولا هم منا يصحبون أي يجارون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير وقال غيره ولا هم منا يصحبون يمنعون

بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتي طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغلبون (٤٤) قل إنما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون (٤٥) ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولون ياويلنا ان كنا ظلمين (٤٦) ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حسبين (٤٧)

يقول تعالى مخبرا عن المشركين انما غرهم وحملهم على ما هم فيه من الضلال انهم متعوا في الحياة الدنيا ونعموا وطال عليهم العمر فيما هم فيه فاعتقدوا أنهم على شيء، ثم قال واعظا لهم [أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها] اختلف المفسرون في معناه وقد أسلفناه في سورة الرعد وأحسن ما فسر بقوله تعالى (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الايات لعلهم يرجعون) وقال الحسن البصري يعني بذلك ظهور الاسلام على الكفر والمعني أفلا يعتبرون بنصر الله لأوليائه على أعدائه واهلاكه الامم المكذبة والقرى الظالمة وانجائه لعباده المؤمنين ولهذا قال أفهم الغالبون يعني بل هم المغلوبون الاسفلون الاخسرون الارذلون وقوله (قل إنما انذركم بالوحي) أي إنما أنا مبلغ عن الله

قال تعالى ﴿ لا يستطيعون نصر أنفسهم ﴾ منع أنفسهم فكيف ينصرون عابديهم ﴿ ولا هم منا يصحبون ﴾ قال ابن عباس يمنعون ، وقال عطية عنه يجارون تقول العرب أنا لك جار وصاحب من فلان أي مجير منه وقال مجاهد ينصرون ويحفظون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير ﴿ بل متعنا هؤلاء ﴾ الكفار ﴿ وآباءهم ﴾ في الدنيا أي أمهلناهم وقيل أعطيناهم النعمة ﴿ حتى طال عليهم العمر ﴾ أي امتد بهم الزمان فاغتروا ﴿ أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها ﴾ أي ما ننقص من من أطراف المشركين ونزيد في أطراف المؤمنين يريد ظهور النبي ﷺ وفتحه ديار الشرك أرضاً فأرضا ﴿ أفهم الغالبون ﴾ أم نحن ﴿ قل انما أنذركم بالوحي ﴾ أي أخوفكم بالقرآن ﴿ ولا يسمع الصم

ما أنذرتكم به من العذاب والنكال ليس ذلك إلا عما أوحاه الله إلي ولكن لايجدي هذا عمن أعمى الله بصيرته وختم على سمعه وقلبه ولهذا قال (ولا يسمع الصم الدعاء اذا ماينذرون) وقوله (ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين) أي ولئن مس هؤلاء المكذبين أدنى شيء من عذاب الله ليعترفون بذنوبهم وانهم كانوا ظالمين أنفسهم في الدنيا وقوله (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) أي ونضع الموازين العدل ليوم القيامة الا كثر على أنه انما هو ميزان واحد وانما جمع باعتبار تعدد الاعمال الموزونة فيه وقوله (فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) كما قال تعالى (ولا يظلم ربك أحدا) وقال(ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما)وقال لقمان(يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير)وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » وقال الامام احمد حدثنا ابراهيم بن اسحاق الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن ليث بن سعد عن عامر بن يحيي عن أبي عبدالرحمن الحبلي قال سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص يقول قال رسول الله ﷺ «ان الله عز وجل يستخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا أظلمتك كتبتي الحافظون قال لا يارب قال أفلك عذر أوحسنة قال فبهت الرجل فيقول لا يارب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة واحدة لاظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فيقول أحضروه فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات » فيقول إنك لاتظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة قال ولا يثقل شيء مع بسم الله الرحمن الرحيم » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث الليث بن سعد وقال الترمذي حسن غريب

وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن يحيي عن أبي عبدالرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ « توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل

الدعاء ﴾ قرأ ابن عباس رضي الله عنهما بالتاء وضمها وكسر الميم الصم نصبا جعل الخطاب للنبي ﷺ وقرأ الاخرون بالياء وفتحها وفتح الميم الصم رفع ﴿ اذا ماينذرون ﴾ يخوفون ﴿ ولئن مستهم أصابتهم ﴿ نفحة ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما طرف وقيل قليل وقال ابن جريج نصيب من قولهم نفح فلان لفلان من ماله أي أعطاه حظا ونصيبا منه وقيل ضربة من قولهم نفحت الدابة برجلها اذا ضربت بها ﴿ من عذاب ربك ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين ﴾ أي ياهلا كنا انا كنا مشركين دعوا على أنفسهم بالويل بعد ماأقروا بالشرك ﴿ ونضع الموازين القسط ﴾ أي ذوات القسط والقسط العدل ﴿ ليوم القيامة

فيوضع في كفة ويوضع ما أحصي عليه فيمايل به الميزان قال فيبعث به الى النار قال فاذا أدبر به إذا صائح من عند الرحمن عز وجل يقول لا تعجلوا فانه قد بقي له فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان، وقال الامام أحمد أيضا حدثنا أبو نوح مرارا أنبأنا ليث بن سعد عن مالك بن أنس عن الزهري عن عروة عن عائشة أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه فقال يارسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأضربهم وأشتمهم فكيف أنا منهم؟ فقال له رسول الله ﷺ «يحسب ماخانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم فان كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لالك ولاعليك ، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك ، وان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذي بقي قبلك » فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله ﷺ ويهتف فقال رسول الله ﷺ «ماله لايقرأ كتاب الله (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) » فقال الرجل يارسول الله ماأجد شيئا خيرا من فراق هؤلاء - يعني عبيده - اني أشهدك انهم أحرار كلهم

ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين (٤٨) الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون (٤٩) وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون (٥٠)

قد تقدم التنبيه على أن الله تعالى كثيرا مايقرن بين ذكر موسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما وبين كتابيهما ولهذا قال (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان) قال مجاهد يعني الكتاب وقال أبو صالح التوراة وقال قتادة التوراة حلالها وحرامها ومافرق الله بين الحق والباطل ، وقال ابن زيد يعني النصر وجامع القول في ذلك ان الكتب السماوية مشتملة على التفرقة بين الحق والباطل والهدى والضلال

فلا تظلم نفس شيئا ﴾ أي لاتنقص من ثواب حسناتها ولا يزاد على سيئاتها وفي الاخبار ان الميزان له لسان وكفتان روي أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه كل كفة مابين المشرق والمغرب فغشي عليه ثم أفاق فقال: باإلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال ياداود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة ﴿ وان كان ﴾ الشيء ﴿ مثقال حبة ﴾ أي زنة مثقال حبة ﴿ من خردل ﴾ قرأ أهل المدينة مثقال برفع اللام ههنا ، وفي سورة لقمان يعني وان وقع مثقال حبة من خردل ونصبها الاخرون على معنى وان كان ذلك الشيء مثقال حبة يعني زنة مثقال حبة من خردل ﴿ أتينا بها ﴾ أحضرناها ليجازى بها ﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾ قال السدي محصين والحسب معناه العد

وقال ابن عباس رضي الله عنهما عالمين حافظين لان من حسب شيئا علمه وحفظه ﴿ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ﴾ يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة ، وقال ابن زيد الفرقان النصر على الاعداء كما قال الله تعالى (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان) يعني يوم بدر لانه قال

والغي والرشاد والحلال والحرام وعلى ما يحصل نوراً في القلوب وهداية وخوفا وانابة وخشية ولهذا قال (الفرقان وضياء وذكرى للمتقين) أي تذكيراً لهم وعظة ، ثم وصفهم فقال (الذين يخشون ربهم بالغيب) كقوله (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) وقوله (ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) (وهم من الساعة مشفقون) أي خائفون وجلون ، ثم قال تعالى (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) يعني القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (أفأنتم له منكرون) أي أفتنكرونه وهو في غاية الجلاء والظهور

ولقد آتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به علمين (٥١) اذ قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل التي أنتم لها عكفون؟ (٥٢) قالوا وجدنا آباءنا لها عبدين (٥٣) قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلل مبين (٥٤) قالوا أجئتنا بالحق أم انت من اللعبين؟ (٥٥) قال بل ربكم رب السموت والارض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشهدين (٥٦)

يخبر تعالى عن خليله ابراهيم عليه السلام انه آتاه رشده من قبل أي من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه كما قال تعالى (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) وما يذكر من الاخبار عنه في إدخال أبيه له في السرب وهو رضيع وانه خرج بعد أيام فنظر إلى الكوكب والمخلوقات فتبصر فيها وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم فعامتها أحاديث بني اسرائيل فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح وما خالف شيئاً من ذلك رددناه وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه بل نجعله وقفاً وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين ، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة ، والذي نسلكه في هذا التفسير الاعراض

﴿وضياء﴾ أدخل الواو فيه أي آتينا موسى النصر والضياء وهو التوراة ومن قال المراد بالفرقان التوراة قال الواو في قوله وضياء زائدة مقحمة معناه آتيناه التوراة ضياء وقيل هو صفة أخرى للتوراة ﴿وذكراً﴾ تذكيراً ﴿المتقين الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أي يخافونه ولم يروه ﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ خائفون ﴿وهذا ذكر مبارك﴾ يعني القرآن وهو ذكر لمن تذكر به مبارك لمن يتبرك به ويطلب منه الخير ﴿أنزلناه أفأنتم﴾ يا أهل مكة ﴿له منكرون﴾ جاحدون وهذا استفهام توبيخ وتعيير

قوله عز وجل ﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده﴾ قال القرظي أي صلاحه ﴿من قبل﴾ يعني من قبل موسى وهارون ، وقال المفسرون رشده من قبل أي هداه من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير يريد هديناه صغيراً كما قال تعالى ليحيي عليه السلام (وآتيناه الحكم صبيا) (وكنا

عن كثير من الاحاديث الاسرائيلية لما فيها من تضييع الزمان ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم فانهم لاتفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الامة

والمقصود ههنا أن الله تعالى أخبر انه قد آتى ابراهيم رشده من قبل أي من قبل ذلك (وقوله (وكنا به عالمين) أي وكان أهلا لذلك ، ثم قال (اذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) هذا هو الرشد الذي أوتيه من صغره الانكار على قومه في عبادة الاصنام من دون الله عز وجل فقال (ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) أي معتكفون على عبادتها ، قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد الصباح حدثنا أبو معاوية الضرير حدثنا سعيد بن طريف عن الاصبغ بن نباتة قال : مر علي رضي الله عنه على قوم يلعبون بالشطرنج فقال ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون لأن يمس أحدكم جمراً حتى يطفأ خير له من أن يمسها (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) لم يكن لهم حجة سوى صنيع آبائهم الضلال ولهذا قال (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) أي الكلام مع آبائكم الذين احتججتم بصنيعهم كالكلام معكم فأنتم وهم في ضلال على غير الطريق المستقيم ، فلما سفه أحلامهم وضلل آباءهم واحتقر آلهتهم (قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) يقولون هذا الكلام الصادر عنك تقوله لاعباً أو محقا فيه فانا لم نسمع به قبلك (قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن) أي ربكم الذي لا إله غيره وهو الذي خلق السموات والارض وماحوت من المخلوقات الذى ابتدأ خلقهن وهو الخالق لجميع الاشياء (وأنا على ذلكم من الشاهدين) أى وأنا أشهد انه لا اله غيره ولارب سواه

وتالله لأكيدن اصنمكم بعد ان تولوا مدبرين (٥٧) فجعلهم جذذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون (٥٨) قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظلمين (٥٩) قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم (٦٠) قالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون (٦١) قالوا ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم (٦٢) قال بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم ان كانوا ينطقون (٦٣)

ثم أقسم الخليل قسما اسمعه بعض قومه ليكيدن أصنامهم أى ليحرصن على أذاهم وتكسيرهم

به عالمين ﴾ انه أهل للهداية والنبوة ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل ﴾ أي الصور يعني الاصنام ﴿ التي أنتم لها عاكفون ﴾ يعني على عبادتها مقيمون ﴿ قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين ﴾ فاقتدينا بهم ﴿ قال ﴾ ابراهيم ﴿ لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴾ خطأ بين بعبادتكم إياها ﴿ قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ﴾ يعنون أجاد أنت فيما تقول أم لاعب ﴿ قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن ﴾ خلقهن ﴿ وأنا على ذلكم من الشاهدين ﴾ يعني على انه الاله الذى لا يستحق العبادة غيره وقيل من الشاهدين على انه خالق السموات والارض ﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم ﴾

بعد أن يولوا مدبرين أى إلى عيدهم وكان لهم عيد يخرجون اليه ، قال السدى :لما اقترب وقت ذلك العيد قال أبوه يابني لو خرجت معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه إلى الارض وقال اني سقيم فجعلوا يمرون عليه وهو صريع فيقولون مه فيقول اني سقيم فلما جاز عامتهم وبقي ضعفاؤهم قال (تالله لاكيدن أصنامكم) فسمعه أولئك

وقال ابن اسحاق عن أبي الاحوص عن عبدالله قال :لما خرج قوم ابراهيم الى عيدهم مروا عليه فقالوا يا ابراهيم ألا تخرج معنا ؟ قال اني سقيم وقد كان بالامس قال (لاكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) فسمعه ناس منهم ، وقوله (فجعلهم جذاذاً) أى حطاما كسرها كلها الا كبيرا لهم يعني الا الصنم الكبير عندهم كما قال (فراغ عليهم ضربا باليمين) وقوله (لعلهم اليه يرجعون) ذكروا انه وضع القدوم في يد كبيرهم لعلهم يعتقدون انه هو الذي غار لنفسه وأنف أن تعبد معه هذه الاصنام الصغار فكسرها (قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) أي حين رجعوا وشاهدوا مافعله الخليل بأصنامهم من الاهانة والاذلال الدال على عدم الهيتها وعلى سخافة عقول عابديها (قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين أى في صنيعه هذا (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) أى قال من سمعه يحلف انه ليكيدنهم سمعنا فتى أي شابا يذكرهم يقال له ابراهيم ،قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن منصور حدثنا جرير بن عبدالحميد عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال :مابعث الله نبيا إلا شابا ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب وتلا هذه الآية (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم)

لأمكرن بها ﴿ بعد أن تولوا مدبرين ﴾ يعني بعد أن تدبروا منطلقين إلى عيدكم قال مجاهد وقتادة أنما قال ابراهيم، هذا سراً من قومه ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد فأفشاه عليه ، وقال انا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قال السدي كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا إلى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو ابراهيم له يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال إني سقيم. يقول أشتكي رجلي فلما مضوا نادى ابراهيم في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس تالله لا كيدن أصنامكم فسمعوا منه ثم رجع ابراهيم إلى بيت الا لهة وهن في بهو عظيم مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه صنم أصغر منه والاصنام بعضها إلى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه إلى باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين يدي الا لهة وقالوا اذا رجعنا وقد بركت الا لهة في طعامنا أكلنا فلما نظر اليهم ابراهيم وإلى مابين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم تجبه قال مالكم لاتنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهم بفاس في يده حتى اذا لم يبق إلا الصنم الا كبر علق الفأس في عنقه ثم خرج

فذلك قوله عز وجل ﴿ فجعلهم جذاذاً ﴾ قرأ الكسائي جذاذا بكسر الجيم أي كسرا وقطعا جمع جذيذ

وقوله (قالوا فائتوا به على أعين الناس) أي على رءوس الاشهاد في الملأ الاكبر بحضرة الناس كلهم وكان هذا هو المقصود الاكبر لابراهيم عليه السلام أن يبين في هذا المحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقلهم في عبادة هذه الاصنام التي لاتدفع عن نفسها ضرا ولا تملك لها نصرا فكيف يطلب منها شيء من ذلك ؟ (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم ؟قال بل فعله كبيرهم هذا) يعني الذي تركه لم يكسره فاسألوهم ان كانوا ينطقون وانما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم فيعترفوا انهم لاينطقون وأن هذا لايصدر عن هذا الصنم لانه جماد

وفي الصحيحين من حديث هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « ان ابراهيم عليه السلام لم يكذب غير ثلاث ثنتين في ذات الله قوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقوله (اني سقيم) قال وبينا هو يسير في أرض جبار من الجبابرة ومعه سارة إذ نزل منزلا فأتى الجبار رجل فقال انه قد نزل ههنا رجل بأرضك معه امرأة أحسن الناس ، فأرسل اليه فجاء فقال ماهذه المراة منك؟ قال أختي. قال فاذهب فأرسل بها إليّ » فانطلق الى سارة فقال ان هذا الجبار قد سألني عنك فأخبرته انك أختي فلا تكذبيني عنده فانك أختي في كتاب الله وانه ليس في الارض مسلم

وهو المشيم مثل خفيف وخفاف وقرأ الآخرون بضمها مثل الحطام والرفات ﴿ إلا كبيراً لهم ﴾ فانه لم يكسره ووضع الفأس في عنقه وقيل ربطه بيده وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وشبه وخشب وحجر وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان

قوله تعالى ﴿ لعلهم اليه يرجعون ﴾ قيل معناه لعلهم يرجعون الى دينه والى مايدعوهم اليه اذاعلموا ضعف الآلهة وعجزها وقيل لعلهم اليه يرجعون فيسالونه فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم ورأوا اصنامهم جذاذا ﴿ قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ﴾ يعني من المجرمين ﴿ قالوا ﴾ يعني الذين سمعوا قول ابراهيم (وتالله لأكيدن اصنامكم) ﴿ سمعنا فتى يذكرهم ﴾ يعيبهم ويسبهم ﴿ يقال له ابراهيم ﴾ هو الذي نظن أنه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه ﴿ قالوا فائتوا به على اعين الناس ﴾ قاله نمرود يقول جيئوا به ظاهرا بمرأى من الناس ﴿ لعلهم يشهدون ﴾ عليه انه الذي فعله كرهوا أن يأخذوه بغير بينة قاله الحسن وقتادة والسدي، وقال محمد بن اسحاق [لعلهم يشهدون] أي يحضرون عقابه وما يصنع به فلما أتوا به ﴿ قالوا ﴾ له ﴿ أأنت فعلت هذا بالهتنا ياابراهيم * قال ﴾ ابراهيم ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ غضب من ان يعبد معه الصغار وهو اكبر منها فكسرهن وأراد بذلك ابراهيم اقامة الحجة عليهم فذلك قوله ﴿ فاسألوهم ان كانوا ينطقون ﴾ حتى يخبروا من فعل ذلك بهم قال القتيبي معناه بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون على سبيل الشرط فجعل النطق شرطا للفعل أى قدروا على النطق قدروا على الفعل فأراهم عجزهم عن النطق وفي ضميره أنا فعلت وروى عن الكسائي

غيري وغيرك » فانطلق بها ابراهيم ثم قام يصلي. فلما أن دخلت عليه فرآها أهوى اليها فتناولها فأخذ أخذاً شديدا فقال ادعي الله لي ولا أضرك » فدعت له فأرسل فأهوى اليها فتناولها فاخذ بمثلها أو أشد ففعل ذلك الثالثة فاخذ فذكر مثل المرتين الاوليين فقال ادعي الله فلا اضرك فدعت له فارسل ثم دعا أدنى حجابه فقال انك لم تأتني بانسان ولكنك أتيتني بشيطان أخرجها وأعطها هاجر، فأخرجت وأعطيت هاجر فأقبلت، فلما أحس ابراهيم بمجيئها انفتل من صلاته وقال مهيم ؟ قالت كفى الله كيد الكافر الفاجر وأخدمني هاجر » قال محمد بن سيرين فكان أبو هريرة اذا احدث بهذا الحديث قال: تلك أمكم يابني ماء السماء

فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون (٦٤) ثم نُكسوا على رءوسهم لقد علمت ماهؤلاء ينطقون (٦٥) قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم (٦٦) أُفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون (٦٧)

يقول تعالى مخبراً عن قوم ابراهيم حين قال لهم ماقال (فرجعوا الى أنفسهم) أي بالملامة في عدم احترازهم وحراستهم لآلهتهم فقالوا (انكم انتم الظالمون) أي في تركها لها مهملة لا حافظ عندها (ثم نكسوا على رءوسهم) أي ثم أطرقوا في الارض فقالوا (لقد علمت ماهؤلاء ينطقون) قال قتادة أدركت القوم حيرة سوء فقالوا (لقد علمت ماهؤلاء ينطقون) وقال السدي [ثم نكسوا على رءوسهم] أي في الفتنة » وقال ابن زيد أي في الرأي وقول قتادة أظهر في المعنى لأنهم انما فعلوا ذلك حيرة وعجزا ولهذا قالوا له [لقد علمت ماهؤلاء ينطقون] فكيف تقول لنا سلوهم إن كانوا ينطقون وأنت تعلم انها

انه كان يقف عند قوله بل فعله ويقول معناه فعله من فعله . والاول أصح لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لم يكذب ابراهيم إلا ثلاث كذبات : ثنتان منهن في ذات الله قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هذه اختي » وقيل في قوله [إني سقيم] أى ساسقم وقيل سقيم القلب أى مغتم بضلالتكم وقوله لسارة هذه اختي أى في الدين وهذه التأويلات لنفي الكذب عن ابراهيم والاول هو الاولى للحديث فيه ويجوز ان يكون الله عز وجل أذن في ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما أذن ليوسف حين امر مناديه فقال لاخوته [أيتها العير إنكم لسارقون] ولم يكونوا سرقوا ﴿ فرجعوا الى انفسهم ﴾ أى تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم ﴿ فقالوا ﴾ مانراه إلا كما قال ﴿ إنكم انتم الظالمون ﴾ يعني بعبادتكم من لا يتكلم وقيل انتم الظالمون هذا الرجل في سؤالكم إياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها ﴿ ثم نكسوا على رءوسهم ﴾ قال أهل التفسير اجرى الله الحق على لسانهم في القول الاول ثم ادركتهم الشقاوة فهو معنى قوله [ثم نكسوا على رءوسهم] أي ردوا الى الكفر بعد أن أقروا على انفسهم بالظلم. يقال نكس المريض اذا رجع الى حالته الاولى وقالوا ﴿ لقد علمت ماهؤلاء ينطقون ﴾ فكيف نسألهم فلما اتجهت الحجة لابراهيم عليه السلام ﴿ قال ﴾ لهم ﴿ أفتعبدون

لاتنطق فعندها قال لهم ابراهيم لما اعترفوا بذلك [أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم] أي اذا كانت لاتنطق وهي لاتنفع ولا تضر فلم تعبدونها من دون الله [أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون] أي أفلا تتدبرون ماأنتم فيه من الضلال والكفر الغليظ الذي لايروج إلا على جاهل ظالم فاجر فأقام عليهم الحجة وألزمهم بها ولهذا قال تعالى [وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه] الآية

قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فعلين (٦٨) قلنا ينار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم (٦٩) وأرادوا به كيدا فجعلنهم الأخسرين (٧٠)

لما دحضت حجتهم وبان عجزهم وظهر الحق واندفع الباطل عدلوا الى استعمال جاه ملكهم فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين فجمعوا حطبا كثيراً جداً . قال السدي حتى ان كانت المرأة تمرض فتنذر ان عوفيت أن تحمل حطبا لحريق ابراهيم ثم جعلوه في جوبة من الارض وأضرموها نارا فكان لها شرر عظيم ولهب مرتفع لم توقد نار قط مثلها وجعلوا ابراهيم عليه السلام في كفة المنجنيق باشارة رجل من أعراب فارس من الاكراد قال شعيب الجبائي اسمه هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة فلما ألقوه قال حسبي الله ونعم الوكيل كما رواه البخاري عن ابن عباس أنه قال حسبي الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين ألقي في النار وقالها محمد عليهما السلام حين

من دون الله ما ينفعكم شيئا ﴾ ان عبدتموه ﴿ ولا يضركم ﴾ ان تركتم عبادته ﴿ أف لكم ﴾ يعني تبا وقذرا لكم ﴿ ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ يعني أليس لكم عقل تعرفون به هذا فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب ﴿ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ﴾ يعني ان كنتم ناصرين لها وقال ابن عمر رضي الله عنهما إن الذي قال هذا رجل من الاكراد وقيل ان اسمه هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقيل قاله نمرود ، فلما اجتمع نمرود وقومه على احراق ابراهيم عليه السلام حبسوه في بيت وبنوا له بنيانا كالحظيرة وقيل بنوا أتونا بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب من أصناف الخشب مدة حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عافاني الله لأجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ماتطلب لئن أصابته لتحتطبن في نار ابراهيم وكان الرجل يوصي بشراء الحطب والقائه فيها وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها فتلقيه فيه احتسابا ، قال ابن اسحاق كانوا يجمعون الحطب شهرا فلما جمعوا ما أرادوا اشعلوا في كل ناحية من الحطب النار فاشتعلت النار واشتدت حتى ان كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها فاوقدوا عليها سبعة أيام ، روى انهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها فجاء ابليس فعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا الى ابراهيم فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا ، فصاحت السماء والارض ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة أي ربنا ابراهيم خليلك يلقى في النار وليس

قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، وروى الحافظ أبو يعلى حدثنا ابو هشام حدثنا أبو اسحاق بن سليمان عن أبي جعفر عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لما القي ابراهيم عليه السلام في النار قال اللهم انك في السماء واحد وانا في الارض واحد أعبدك » ويروى أنه لما جعلوا يوثقونه قال : لا إله الا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لاشريك لك . وقال شعيب الجبائي كان عمره إذ ذاك ست عشرة سنة فالله أعلم وذكر بعض السلف أنه عرض له جبريل وهو في الهواء فقال ألك حاجة فقال أما اليك فلا وأما من الله فبلى « وقال سعيد بن جبير » ويروى عن ابن عباس أيضا قال لما ألقي ابراهيم جعل خازن المطر يقول متى أومر بالمطر فارسله قال فكان أمر الله أسرع من امره قال الله (يانار كوني برداً وسلاما على ابراهيم) قال لم يبق نار في الارض إلا طفئت وقال كعب الاحبار لم ينتفع أحد يومئذ بنار ولم تحرق النار من ابراهيم سوى وثاقه وقال الثوري عن الاعمش عن شيخ عن علي بن أبي طالب (قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم) قال لا تضربه « وقال ابن عباس وأبو العالية لولا أن الله عز وجل قال وسلاما لآذى ابراهيم بردها ، وقال جويبر عن الضحاك كوني برداً وسلاما على ابراهيم قالوا صنعوا له حظيرة من حطب جزل وأشعلوا فيه النار من كل جانب فأصبح ولم يصبه منها شيء حتى أخمدها الله قال ويذكرون أن جبريل كان معه يمسح وجهه من العرق فلم يصبه منها شيء غير ذلك وقال السدي كان معه فيها ملك الظل

في ارضك أحد يعبدك غيره فائذن لنا في نصرته فقال الله عز وجل إنه خليلي ليس لي غيره خليل وأنا إلهه وليس له إله غيري فان استغاث بشيء منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك « وان لم يدع غيري فأنا اعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن المياه فقال ان أردت اخمدت النار وأتاه خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم لاحاجة لي اليكم حسبي الله ونعم الوكيل . وروي عن أبي بن كعب ان ابراهيم حين اوثقوه ليلقوه في النار قال لاإله إلا انت سبحانك رب العالمين « لك الحمد ولك الملك لاشريك لك ثم رموا به في المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ألك حاجة ؟ فقال أما اليك فلا فقال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي . قال كعب الاحبار جعل كل شيء يطفيء عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ في النار اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عبدالله بن موسى أو ابن سلام عنه أنا ابن جريج عن عبدالحميد بن جبير عن سعيد بن المسيب عن أم شريك أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ وقال « كان ينفخ النار على ابراهيم »

قال الله تعالى ﴿ قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم ﴾ قال ابن عباس لولم يقل سلاما لمات ابراهيم من بردها . ومن المعروف في الآثار أنه لم يبق يومئذ نار في الارض إلا طفئت فلم ينتفع في

وقال علي بن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا يوسف بن موسى حدثنا مهران حدثنا اسماعيل بن أبي خالد عن المنهال بن عمر قال أخبرت ان ابراهيم القى في النار قال فكان فيها اما خمسين واما اربعين قال ما كنت أياما وليالي قط أطيب عيشا إذ كنت فيها وددت أن عيشي وحياتي كلها مثل عيشي إذ كنت فيها ، وقال أبو زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة قال إن أحسن شيء قال أبو ابراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار وجده يوشح جبينه قال عند ذلك نعم الرب ربك يا ابراهيم وقال قتاده لم يأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار إلا الوزغ ، وقال الزهري أمر النبي ﷺ بقتله وسماه فويسقا .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عبيد الله بن أخي ابن وهب حدثني عمي حدثنا جرير بن حازم أن نافعا حدثه قال حدثتني مولاة الفاكه بن المغيرة المخزومي قالت دخلت على عائشة فرأيت في بيتها رمحا فقلت يا أم المؤمنين ما تصنعين بهذا الرمح ؟ فقالت نقتل به هذه الاوزاغ إن رسول الله ﷺ قال « إن ابراهيم حين القى في النار لم يكن في الارض دابة الا أطفىء النار غير الوزغ فانه كان ينفخ على ابراهيم فامرنا رسول الله ﷺ بقتله

هذا اليوم بنار في العالم ولو لم يقل على ابراهيم بقيت ذات برد أبدا. قال السدي فأخذت الملائكة بضبعي ابراهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس قال كعب ما احرقت النار من ابراهيم إلا وثاقه. قالوا وكان ابراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام قال المنهال بن عمرو قال ابراهيم ما كنت قط أياما انعم مني من الايام التي كنت فيها في النار. قال ابن يسار وبعث الله ملك الظل في صورة ابراهيم فقعد فيها الى جنب ابراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله جبريل اليه بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه القميص واقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم إن ربك يقول لك أما علمت أن النار لا تضر أحبائي. ثم نظر نمرود واشرف على ابراهيم من صرح له فرآه جالسا في روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم كبير إلهك الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين ما أرى يا ابراهيم هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال نعم قال هل تخشى ان أقمت فيها أن تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذي رأيته معك في مثل صورتك قاعدا الى جنبك؟ قال ذاك ملك الظل ارسله إلي ربي ليؤنسني فيها. فقال نمرود يا ابراهيم إني مقرب الى إلهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حيث أبيت إلا عبادته وتوحيده إني ذابح له أربعة آلاف بقرة فقال له ابراهيم إذا لا يقبلها منك ما كنت على دينك حتى تفارقه الى ديني فقال لا أستطيع ترك ملتي وملكي ولكن سوف اذبحها فذبحها له نمرود ثم كف عن ابراهيم ومنعه الله منه قال شعيب الجبائي ألقي ابراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة

وقوله (وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين) أي المغلوبين الاسفلين لانهم ارادوا بنبي الله كيدا فكادهم الله ونجاه من النار فغلبوا هنالك ٭ وقال عطية العوفي لما القى ابراهيم في النار جاء ملكهم لينظر اليه فطارت شرارة فوقعت على ابهامه فأحرقته مثل الصوفة

ونجينـٰـه ولوطا الى الارض التى باركنافيها للعٰلمين (٧١) ووهبنا له إسحٰق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صٰلحين (٧٢) وجعلنـٰـهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوٰة وايتاء الزكوٰة وكانوا لنا عٰبدين (٧٣) ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجينـٰـه من القرية التى كانت تعمل الخبـٰـئث انهم كانوا قوم سوء فٰسقين (٧٤) وأدخلنـٰـه في رحمتنا انه من الصٰلحين (٧٥)

يقول تعالى مخبراً عن ابراهيم أنه سلمه الله من نار قومه وأخرجه من بين أظهرهم مهاجراً إلى بلاد الشام إلى الارض المقدسة منها قال الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) قال الشام وما من ماء عذب إلا يخرج من تحت الصخرة وكذا قال أبو العالية

قوله تعالى ﴿ وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ﴾ قيل معناه أنهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل معناه أن الله عز وجل ارسل على نمرود وأهله البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت واحدة في دماغه فاهلكته

قوله تعالى ﴿ ونجيناه ولوطا ﴾ من نمرود وقومه من أرض العراق ﴿ الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ﴾ يعني الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار ومنها بعث أكثر الانبياء ٭ وقال أبي بن كعب سماها مباركة لانه ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي هي في بيت المقدس أخبرنا احمد بن عبدالله الصالحي أنا ابو الحسين بن بشران أنا اسماعيل بن محمد الصفار أنا احمد بن منصور الرمادي أنا عبدالرزاق أنا معمر عن قتادة أن عمر بن الخطاب قال لكعب ألا تتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله ﷺ وقبره فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل ياأمير المؤمنين ان الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه من عباده أخبرنا ابو سعيد عبدالله بن احمد الطاهري أنا جدي عبدالصمد بن عبدالرحمن البزار أنا محمد بن زكريا العذافري انا إسحاق الديري أنا عبدالرزاق أنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « انها ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس الى مهاجر ابراهيم » وقال محمد ابن إسحاق استجاب لابراهيم رجال من قومه حين رأوا ماصنع الله به من جعل النار عليه برداً وسلاما

أيضاً وقال قتادة كان بأرض العراق فانجاه الله إلى الشام وكان يقال للشام أعقار دار الهجرة، ومانقص من الارض زيد في الشام ومانقص من الشام زيد في فلسطين، وكان يقال هي أرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك المسيح الدجال ، وقال كعب الاحبار في قوله (إلى الارض التي باركنا فيها للعالمين) الى حران وقال السدي انطلق ابراهيم ولوط قبل الشام فلقي ابراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وقد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها على أن يغر بها ، رواه ابن جرير وهو غريب، والمشهور أنها ابنة عمه وانه خرج بها مهاجراً من بلاده ، وقال العوفي عن ابن عباس الى مكة ألا تسمع الى قوله (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا) ، وقوله (ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة) قال عطاء ومجاهد عطية ، وقال ابن عباس وقتادة والحكم بن عيينة النافلة ولد الولد يعني أن يعقوب ولد اسحاق كما قال (فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب) وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم سأل واحدا فقال (رب هب لي من الصالحين) فاعطاه الله اسحاق وزاده يعقوب نافلة (وكلا جعلنا صالحين) أي الجميع أهل خير وصلاح (وجعلناهم أئمة) أي يقتدى بهم (يهدون بأمرنا) أي يدعون إلى الله باذنه ولهذا قال (وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة) من باب عطف الخاص على العام (وكانوا لنا عابدين) أي فاعلين لما يأمرون الناس به، ثم عطف بذكر لوط وهو لوط بن هاران بن آذر كان قد آمن بابراهيم عليه السلام وهاجر معه كما قال تعالى (فآمن له لوط وقال انى مهاجر إلى ربي) فآتاه الله حكما وعلماً وأوحى اليه وجعله نبياً

على خوف من نمرود وملائه وآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ وهاران هو أخو ابراهيم وكان لهما أخ ثالث يقال له ناخور بن تارخ وآمنت به أيضاً سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الا كبر عم ابراهيم فخرج من كوثى من أرض العراق مهاجراً إلى ربه ومعه لوط وسارة كما قال الله تعالى (فآمن له لوط وقال اني مهاجر إلى ربي) فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ماشاء الله ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر ثم خرج من مصر الى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين وهي برية الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة وأقرب فبعثه الله نبيا فذلك قوله تعالى (ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة ﴾ قال مجاهد وعطاء معنى النافلة العطية وهما جميعا من عطاء الله نافلة يعني عطاء قال الحسن والضحاك فضلا وعن ابن عباس وأبي بن كعب وابن زيد وقتادة رضي الله عنهم النافلة هو يعقوب لأن الله عز وجل أعطاه إسحاق بدعائه حيث قال هب لى من الصالحين وزاده يعقوب وهو ولد الولد والنافلة الزيادة ﴿ وكلا جعلنا صالحين ﴾ يعني ابراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ﴾ يقتدى بهم في الخيرات يهدون بأمرنا يدعون الناس الى ديننا ﴿ وأوحينا اليهم فعل الخيرات ﴾ يعني العمل بالشرائع ﴿ واقام الصلاة ﴾ يعني المحافظة عليها

وبعثه إلى سدوم وأعمالها فخالفوه وكذبوه فأهلكهم الله ودمر عليهم كما قص خبرهم في غير موضع من كتابه العزيز ،ولهذا قال (ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين)

ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجينه واهله من الكرب العظيم (٧٦) ونصرنه من القوم الذين كذبوا بآيتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقنهم اجمعين (٧٧)

يخبر تعالى عن استجابته لعبده ورسوله نوح عليه السلام حين دعا على قومه لما كذبوه (فدعا ربه اني مغلوب فانتصر) وقال نوح (رب لاتذر على الارض من الكافرين دياراً انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً) ولهذا قال ههنا (إذ نادى من قبل فاستجبنا له ونجيناه وأهله) أي الذين آمنوا به كما قال (وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل) وقوله (من الكرب العظيم) أي من الشدة والتكذيب والاذى فانه لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله عز وجل فلايؤمن به منهم إلا القليل وكانوا يقصدون لاذاه ويتواصون قرناً بعد قرن وجيلا بعد جيل على خلافه وقوله (ونصرناه من القوم) أي ونجيناه وخلصناه منتصراً من القوم (الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعين) أي أهلكهم الله بعامة ولم يبق على وجه الارض منهم أحد كما دعا عليهم نبيهم

وداود وسليمن اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شهدين (٧٨) ففهمناها سليمن وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فعلين (٧٩)

﴿ وإيتاء الزكاة ﴾ إعطاءها﴿ وكانوا لنا عابدين ﴾ موحدين ﴿ ولوطا آتيناه ﴾ يعني وآتينا لوطا وقيل واذكر لوطا آتيناه ﴿ حكما ﴾ يعني الفصل بين الخصوم بالحق ﴿ وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث ﴾ يعني سدوما وكان أهلها يأتون الذكران في أدبارهم ويتضارطون في أنديتهم مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكرات ﴿ أنهم كانوا قوم سوء فاسقين* وأدخلناه في رحمتنا انه من الصالحين ونوحا اذ نادى ﴾ دعا ﴿ من قبل ﴾ يعني من قبل ابراهيم ولوط ﴿ فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ﴾ قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه ، وقيل لانه كان أطول الانبياء عمراً وأشدهم بلاء والكرب أشد الغم ﴿ ونصرناه ﴾ منعناه ﴿ من القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ أن يصلوا اليه بسوء وقال أبو عبيدة يعني على القوم ﴿ أنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين ﴾

قوله تعالى ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث ﴾ اختلفوا في الحرث قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده ، وقال قتادة كان زرعا

وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون (٨٠) ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين (٨١) ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين (٨٢)

قال ابن اسحاق عن مرة عن ابن مسعود كان ذلك الحرث كرما قد تدلت عناقيده، وكذا قال شريح وقال ابن عباس النفش الرعي، وقال شريح والزهري وقتادة النفش لا يكون الا بالليل زاد قتادة والهمل بالنهار

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب وهارون بن ادريس الاصم قالا حدثنا المحاربي عن أشعث عن أبي اسحاق عن مرة عن ابن مسعود في قوله (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم) قال كرم قد انبتت عناقيده فأفسدته قال فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يانبي الله قال وما ذاك قال تدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها حتى اذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه ودفعت الغنم الى صاحبها فذلك قوله (ففهمناها سليمان) وكذا روى العوفي عن ابن عباس . وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد

﴿ اذ نفشت فيه غنم القوم ﴾ يعني رعته ليلا فأفسدته والنفش الرعي بالليل والهمل بالنهار وهما الرعي بلا راع ﴿ وكنا لحكمهم شاهدين ﴾ يعني كان ذلك بعلمنا وبمرأى منا لايخفى علينا علمه قال الفراء جمع اثنين فقال لحكمهم وهو يريد داود وسليمان لان الاثنين جمع وهو مثل قوله (فان كان له اخوة فلامه السدس) وهو يريد أخوين قال ابن عباس وقتادة والزهري وذلك أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب زرع والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان هذا انفلتت غنمه ليلا ووقعت في حرثي فأفسدته فلم يبق منه شيء فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان لو وليت أمرهما لقضيت بغير هذا وروى أنه قال غير هذا ارفق بالفريقين فأخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضي ويروى أنه قال بحق النبوة والابوة إلا أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين. قال ادفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع إلى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه. فقال داود القضاء ماقضيت وحكم بذلك، وقيل ان سليمان يوم حكم بذلك كان ابن احدى عشرة سنة، وأما حكم الاسلام في هذه المسئلة ان ماأفسدت الماشية المرسلة بالنهار من مال الغير فلا ضمان على ربها وما أفسدته بالليل ضمنه بها لان في عرف الناس ان أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح. أخبرنا ابو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد أنا

حدثنا خليفة عن ابن عباس قال قضى داود بالغنم لأصحاب الحرث فخرج الرعاء معهم الكلاب فقال لهم سليمان كيف قضي بينكم فأخبروه فقال لو وليت أمركم لقضيت بغير هذا فأخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضي بينهم ؟ قال ادفع الغنم إلى صاحب الحرث فيكون له أولادها والبانها وسلاؤها ومنافعها ويبذر أصحاب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا بلغ الحرث الذي كان عليه أخذه أصحاب الحرث وردوا الغنم الى أصحابها

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا خديج عن أبي اسحاق عن مرة عن مسروق قال الحرث الذي نفشت فيه الغنم انما كان كرما فلم تدع فيه ورقة ولا عنقودا من عنب الا أكلته فأتوا داود فأعطاهم رقابها فقال سليمان لا بل تؤخذ الغنم فيعطاها أهل الكرم فيكون لهم لبنها ونفعها ويعطى أهل الغنم الكرم فيعمروه ويصلحوه حتى يعود كالذي كان ليلة نفشت فيه الغنم ثم يعطى أهل الغنم غنمهم وأهل الكرم كرمهم. وهكذا قال شريح ومرة ومجاهد وقتادة وابن زيد وغير واحد وقال ابن جرير حدثنا ابن أبي زياد حدثنا يزيد بن هارون انبأنا اسمعيل عن عامر قال جاء رجلان الى شريح فقال أحدهما ان شياه هذا قطعت غزلا لي فقال شريح نهاراً أم ليلا فان كان نهاراً برىء صاحب الشياه وان كان ليلا فقد ضمن ثم قرأ (وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث) الآية وهذا الذي قاله شريح شبيه بما رواه الامام أحمد وابو داود وابن ماجه من حديث الليث عن الزهري

ابو إسحاق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن حرام بن سعد بن محيصة ان ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطا فأفسدته فقضى رسول الله ﷺ ان على أهل الحوائط حفظها بالنهار وان ما أفسدت المواشي بالليل ضمان على أهلها وذهب أصحاب الرأي الى أن المالك اذا لم يكن معها فلا ضمان عليه فيما أتلفت ماشيته ليلا كان أو نهاراً

قوله تعالى ﴿ ففهمناها سليمان ﴾ أي علمنا القضية وألهمناها سليمان ﴿ وكلا ﴾ يعني داود وسليمان ﴿ آتينا حكما وعلما ﴾ قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده . واختلف العلماء في أن حكم داود كان بالاجتهاد أو بالنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم فعلا بالاجتهاد وقالوا يجوز الاجتهاد للانبياء ليدركوا ثواب المجتهدين الا أن داود أخطأ وأصاب سليمان . وقالوا يجوز الخطأ على الانبياء الا أنهم لايقرون عليه فاما العلماء فلهم الاجتهاد في الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص كتاب ولا سنة فاذا أخطأوا فلا اثم عليهم فانه موضوع عنهم لما أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الخلال أنا ابو العباس الاصم أنا الربيع بن سليمان أنا الشافعي أنا عبدالعزيز بن محمد عن يزيد بن عبدالله بن الهاد عن محمد بن ابراهيم التيمي عن بسر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر » وقال

عن حرام بن سعد بن محيصة ان ناقة البراء بن عازب دخلت حائطا فأفسدت فيه فقضى رسول الله ﷺ على أهل الحوائط حفظها بالنهار وما أفسدت المواشي بالليل ضامن على أهلها، وقد علل هذا الحديث وقد بسطنا الكلام عليه في كتاب الاحكام وبالله التوفيق، وقوله (ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكما وعلما) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد عن حميد ان إياس بن معاوية لما استقضي أتاه الحسن فبكى فقال مايبكيك؟ قال يا أبا سعيد بلغني ان القضاة رجل اجتهد فاخطأ فهو في النار ورجل مال به الهوى فهو في النار ورجل اجتهد فاصاب فهو في الجنة فقال الحسن البصري ان فيما قص الله من نبأ داود وسليمان عليهما السلام والانبياء حكما يرد قول هؤلاء الناس عن قولهم قال الله تعالى (وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين) فأثنى الله على سليمان ولم يذم داود ثم قال يعني الحسن إن الله اتخذ على الحكام ثلاثا لا يشتروا به ثمنا قليلا ولا يتبعوا فيه الهوى ولا يخشوا فيه أحداً ثم تلا (ياداود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) وقال (فلا تخشوا الناس واخشوني) وقال (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) قلت أما الانبياء عليهم السلام فكلهم معصومون مؤيدون من الله عز وجل وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف وأما من سواهم فقد ثبت في صحيح البخاري عن عمرو ابن العاص انه قال قال رسول الله ﷺ اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران واذا اجتهد فاخطأ فله

قوم ان داود وسليمان حكما بالوحي وكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود وهذا القائل يقول لايجوز للانبياء الحكم بالاجتهاد لأنهم مستغنون عن الاجتهاد بالوحي وقالوا لايجوز الخطأ على الانبياء « واحتج من ذهب الى أن كل مجتهد مصيب بظاهر الآية « بالخبر حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطأ وهو قول أصحاب الرأي، وذهب جماعة إلى أنه ليس كل مجتهد مصيبا بل اذا اختلف اجتهاد مجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى « وقوله عليه السلام « واذا اجتهد فأخطأ فله أجر » لم يرد به انه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده في طلب الحق لان اجتهاده عبادة والاثم في الخطأ موضوع عنه اذا لم يأل جهده أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد ابن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا ابو اليمان أنا شعيب عن الزهري أنا ابو الزناد عن عبدالرحمن الاعرج أنه سمع أباهريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن احداهما فقالت صاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان فأخبرتاه فقال ائتوني بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى »

قوله تعالى ﴿ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير ﴾ أي وسخرنا الجبال والطير يسبحن مع داود اذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر . وقال وهب كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح

أجر فهذا الحديث يرد نصا ما توهمه إياس من أن القاضي اذا اجتهد فاخطأ فهو في النار والله أعلم وفي السنن « القضاة ثلاثة قاض في الجنة وقاضيان في النار رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ورجل حكم بين الناس على جهل فهو في النار ، ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار . وقريب من هذه القصة المذكورة في القرآن ما رواه الامام أحمد في مسنده حيث قال حدثنا علي بن حفص أخبرنا ورقاء عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « بينما امرأتان معهما ابنان لهما إذجاء الذئب فاخذ أحد الابنين فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا فدعاهما سليمان فقال هاتوا السكين أشقه بينكما فقالت الصغرى يرحمك الله هو ابنها لاتشقه فقضى به للصغرى » وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما وبوّب عليه النسائي في كتاب القضاء (باب الحاكم يوهم خلاف الحكم ليستعلم الحق) وهكذا القصة التي أوردها الحافظ أبو القاسم بن عساكر في ترجمة سليمان عليه السلام من تاريخه عن طريق الحسن بن سفيان عنه أنا صالح عن الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشير عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس فذكر قصة مطولة ملخصها ان امرأة حسناء في زمان بني اسرائيل راودها عن نفسها أربعة من رؤسائهم فامتنعت على كل منهم فاتفقوا فيما بينهم عليها فشهدوا عليها عند داود عليه السلام انها مكنت من نفسها كلبا لها قد عودته ذلك منها فامر برجمها فلما كان عشية ذلك اليوم جلس سليمان واجتمع معه ولدان مثله فانتصب حاكما وتزيا أربعة منهم بزي أولئك وآخر بزي المرأة

وكذلك الطير « وقال قتادة يسبحن أي يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق اليه ﴿ وكنا فاعلين ﴾ ماذكر من التفهيم وايتاء الحكم والتسخير ﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم ﴾ المراد باللبوس هنا الدروع لانها تلبس وهو في اللغة اسم لكل مايلبس ويستعمل في الاسلحة كلها وهو بمعنى الملبوس كالجلوس والركوب قال قتادة أول من صنع الدروع وسردها وحلقها داود وكانت من قبل صفائح والدرع يجمع الخفة والحصانة ﴿ لتحصنكم ﴾ لتحرزكم وتمنعكم ﴿ من بأسكم ﴾ أي من حرب عدوكم قال السدي من وقع السلاح فيكم قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب لتحصنكم بالتاء يعني الصنعة وقرأ أبو بكر عن عاصم بالنون لقوله وعلمناه وقرأ الآخرون بالياء وجعلوا الفعل للبوس وقيل ليحصنكم الله ﴿ فهل أنتم شاكرون ﴾ يقول لداود وأهل بيته وقيل يقول لاهل مكة (فهل أنتم شاكرون) نعمي بطاعة الرسول ﴿ ولسليمان الريح عاصفة ﴾ أي وسخرنا لسليمان الريح وهي هواء متحرك وهو جسم لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه ويظهر للحس بحركته والريح يذكر ويؤنث عاصفة شديدة الهبوب ، فان قيل قد قال في موضع آخر تجري بأمره رخاء والرخاء اللين ؟ قيل كانت الريح تحت امره ان أراد أن تشتد اشتدت ، وان أراد أن تلين لانت ﴿ تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها ﴾ يعني الشام وذلك أنها كانت تجري لسليمان وأصحابه حيث شاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام ﴿ وكنا بكل شيء ﴾ علمناه ﴿ عالمين ﴾ بصحة التدبير فيه أي علمنا أن

وشهدوا عليها بانها مكنت من نفسها كلبا فقال سليمان فرقوا بينهم فسأل أولهم ما كان لون الكلب فقال أسود فعزله واستدعى الاخر فسأله عن لونه فقال أحمر وقال الاخر أغبش وقال الاخر أبيض فأمر عند ذلك بقتلهم فحكي ذلك لداود عليه السلام فاستدعى من فوره باولئك الاربعة فسألهم متفرقين عن لون ذلك الكلب فاختلفوا عليه فامر بقتلهم وقوله (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) الاية وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور وكان اذا ترنم به تقف الطير في الهواء فتجاوبه وترد عليه الجبال تأويبا ولهذا لما مر النبي ﷺ على أبي موسى الاشعري وهو يتلو القرآن من الليل وكان له صوت طيب جداً فوقف واستمع لقراءته وقال « لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود » قال يارسول الله لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحبيرا . وقال أبو عثمان النهدي ماسمعت صوت صنج ولا بربط ولا مزمار مثل صوت أبي موسى رضي الله عنه . ومع هذا قال عليه الصلاة والسلام « لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود » وقوله (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم) يعني صنعة الدروع قال قتادة انما كانت الدروع قبله صفائح وهو أول من سردها حلقا كما قال تعالى (وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد) أي لا توسع الحلقة فتقلق المسمار ولا تغلظ المسمار فتقد الحلقة ولهذا قال

مايعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لربه عز وجل. قال وهب بن منبه كان سليمان اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والانس حتى يجلس على سريره وكان امرأ غزاء قل مايقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض بملك إلا أتاه حتى يذله فكان فيما يزعمون انه اذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا حمل معه مايريده أمر العاصفة من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به أمر الرخاء فمرت به شهراً في روحة وشهراً في غدوة الى حيث أراد وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء وبالمزرعة فما تحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذي طائراً قال وهب ذكر لي أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان اما من الجن واما من الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه وغدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه ان شاء الله فبائتون بالشام قال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة ويقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لاتقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح الى الصباح، وعن سعيد بن جبير قال كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسي فيجلس الانس فيما يليه ثم يليهم الجن ثم تظلهم الطير ثم تحملهم الريح وقال الحسن لما شغلت الخيل نبي الله سليمان عليه السلام حتى فاتته صلاة العصر غضب لله عز وجل فعقر الخيل فأبدله الله مكانها خيرا منها واسرع الريح تجري بامره

(لتحصنكم من بأسكم) يعني في القتال (فهل أنتم شاكرون) أي نعم الله عليكم لما ألهم به عبده داود فعلمه ذلك من أجلكم وقوله (ولسليمان الريح عاصفة) أي وسخرنا لسليمان الريح العاصفة (تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها) يعني أرض الشام (وكنا بكل شيء عالمين) وذلك انه كان له بساط من خشب يوضع عليه كل مايحتاج اليه من أمور المملكة والخيل والجمال والخيام والجند ثم يأمر الريح ان تحمله فتدخل تحته ثم تحمله فترفعه وتسير به وتظله الطير تقيه الحر الى حيث يشاء من الارض فينزل وتوضع آلاته وحشمه قال الله تعالى (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) وقال تعالى (غدوها شهر ورواحها شهر) قال ابن أبي حاتم ذكر عن سفيان بن عيينة عن أبي سنان عن سعيد بن جبير قال كان يوضع لسليمان ستمائة الف كرسي فيجلس مما يليه مؤمنو الانس ثم يجلس من ورائهم مؤمنو الجن ثم يأمر الطير فتظلهم ثم يأمر الريح فتحملهم ﷺ وقال عبد الله بن عبيد بن عمير كان سليمان يأمر الريح فتجتمع كالطود العظيم كالجبل ثم يأمر بفراشه فيوضع على أعلى مكان منها ثم يدعو بفرس من ذوات الاجنحة فيرتفع حتى يصعد على فراشه ثم يأمر الريح فترتفع به كل شرف دون السماء وهو مطأطيء رأسه مايلتفت يمينا ولا شمالا تعظيما لله عز وجل وشكراً لما يعلم من صغر ما هو فيه في ملك الله عز وجل حتى تضعه الريح حيث شاء ان تضعه وقوله (ومن الشياطين من يغوصون له) أي في الماء يستخرجون اللآلىء والجواهر وغير ذلك (ويعملون

كيف شاء فكان يغدو من ايلياء فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها بكابل وقال ابن زيد كان له مركب من خشب وكان فيه ألف ركن في كل ركن ألف بيت يركب معه فيه الجن والانس تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب فاذا ارتفع أتت الريح الرخاء فسارت به وبهم يقيل عند قوم بينه وبينهم شهر ويمسي عند قوم بينه وبينهم شهر ولا يدري القوم إلا وقد أظلهم معه الجيوش وروي أن سليمان سار من أرض العراق غازيا فقال بمدينة مرو وصلى العصر بمدينة بلخ بحمله وجنوده الريح وتظلهم الطير ثم سار من مدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاءهم الى ارض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى على ارض القندهار وخرج منها الى ارض مكران وكرمان ثم جاوزها حوالي ارض فارس فنزلها أياما وغدا منها الى الشام فقال بكسكر ثم راح وكان مستقره بمدينة تدمر وكان أمر الشياطين قبل شخوصه من الشام الى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الابيض والاصفر وفي ذلك يقول النابغة

إلا سليمان اذ قال المليك له ... قم في البرية فاحددها عن الفند

وجيش الجن إني قد أذنت لهم ... يبنون تدمر بالصفاح والعمد

قوله تعالى ﴿ ومن الشياطين ﴾ يعني وسخرنا له من الشياطين ﴿ من يغوصون له ﴾ يعني يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر ﴿ ويعملون عملا دون ذلك ﴾ يعني دون الغوص وهو

عملا دون ذلك أي غير ذلك كما قال تعالى (والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد) وقوله (وكنالهم حافظين) أي يحرسه الله ان يناله أحد من الشياطين بسوء بل كل في قبضته وتحت قهره لايتجاسر أحد منهم على الدنو اليه والقرب منه بل هو يحكم فيهم ان شاء أطلق وان شاء حبس منهم من يشاء ولهذا قال (وآخرين مقرنين في الاصفاد)

وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين (٨٣) فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين (٨٤)

يذكر تعالى عن أيوب عليه السلام ما كان أصابه من البلاء في ماله وولده وجسده وذلك أنه كان

ماذكر الله عز وجل (يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل) الآية ﴿ وكنا لهم حافظين ﴾ حتى لايخرجوا من أمره وقال الزجاج معناه حفظناهم من أن يفسدوا ماعملوا وفي القصة أن سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل آخر لئلا يفسد ماعمل وكان من عادة الشياطين انهم اذا فرغوا من العمل ولم يشتغلوا بعمل آخر خربوا ماعملوا وافسدوا

قوله تعالى ﴿ وأيوب اذ نادى ربه ﴾ يعني دعا ربه قال وهب بن منبه كان أيوب رجلا من الروم وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن إسحاق بن ابراهيم وكانت امه من اولاد لوط ابن هاران وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا وكانت له الثنية من أرض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من اصناف المال كله من البقر والابل والغنم والخيل والحمر مالا يكون لرجل أفضل منه من العدة والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة كل فدان أتان لكل أتان من الولد اثنان وثلاثة واربعة وخمسة وفوق ذلك وكان الله اعطاه أهلا وولداً من رجال ونساء وكان براً تقيا رحيما بالمساكين يطعم المساكين ويكفل الارامل والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكراً لانعم الله ، مؤديا لحق الله قد امتنع من عدو الله ابليس أن يصيب منه مايصيب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل عن امر الله بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من أهل اليمن يقال له اليفن ورجلان من أهل بلده يقال لاحدهما بلدد والآخر ظافر وكانوا كهولا وكان ابليس لايحجب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حيثما أراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن اربع سموات فلما بعث محمد ﷺ حجب من الثلاث الباقية فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله واثنى عليه فادركه البغي والحسد فصعد سريعا حتى وقف من السماء موقفا كان يقفه فقال إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبداً انعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ماأعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج من طاعتك قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على ماله

له من الدواب والانعام والحرث شيء كثير وأولاد كثيرة ومنازل مرضية فابتلي في ذلك كله وذهب عن آخره ثم ابتلي في جسده يقال بالجذام في سائر بدنه ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله عز وجل حتى عافه الجليس وأفرد في ناحية من البلد ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه سوى زوجته كانت تقوم بامره ويقال انها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله وقد قال النبي ﷺ «أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل» وفي الحديث الآخر «يبتلى الرجل على قدر دينه فان كان في دينه صلابة زيد في بلائه» وقد كان نبي الله أيوب عليه السلام غاية في الصبر وبه يضرب المثل في ذلك وقال يزيد بن ميسرة لما ابتلى الله أيوب عليه السلام بذهاب الاهل والمال والولد ولم يبق شيء أحسن الذكر ثم قال : أحمدك رب الارباب الذي أحسنت الي أعطيتني المال والولد فلم يبق من قلبي

فانقض عدو الله ابليس حتى وقع الى الارض ثم جمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني قد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصاراً من نار واحرقت كل شيء آتى عليه فقال له ابليس فائت الابل ورعاتها فأتى الابل حين وضعت رءوسها وثبتت في مراعيها فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار لا يدنو منها أحد إلا احترق فاحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله ابليس في صورة قبيحة على قعود الى أيوب فوجده قائما يصلي فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت ابلك فاحرقتها ومن فيها غيري فقال أيوب الحمد لله الذي هو أعطاها وهو أخذها وقديما ماوطنت نفسي ومالي على الفناء فقال ابليس فان ربك أرسل عليها ناراً من السماء فاحترقت فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منها منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئا وما كان إلا في غرور ومنهم من يقول لو كان إله أيوب يقدر على أن يصنع شيئا لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ذلك ليشمت به عدوه ويفجع به صديقه فقال أيوب: الحمد لله حين اعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود في التراب وعريانا احشر الى الله ليس لك أن تفرح حين أعارك ، ولا أن تجزع حين قبض عاريته منك الله أولى بك وبما اعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيراً لنقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شراً فأخرك فرجع ابليس الى اصحابه خائبا خاسرا ذليلا فقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلبه قال عفريت عندي من القوة ما إذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه فقال ابليس فائت الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فتجثمت امواتا عن آخرها ومات رعاؤها ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى أيوب وهو يصلي فقال له مثل القول الاول فرد عليه مثل الرد الاول، ثم رجع ابليس الى اصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فاني لم اكلم قلب أيوب فقال عفريت عندي من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شيء تأتي عليه قال فائت الفدادين والحرث

شعبة الا قد دخله ذلك فأخذت ذلك كله مني وفرغتْ قلبي فلبس يحول بيني وبينك شيء لو يعلم عدوي ابليس بالذي صنعت حسدني .قال فلقي إبليس من ذلك منكرا قال وقال أيوب عليه السلام يارب انك أعطيتني المال والولد فلم يقم على بابي أحد يشكوني لظلم ظلمته وأنت تعلم ذلك وانه كان يوطأ لي الفراش فأتركها وأقول لنفسي يانفس انك لم تخلقي لوطء الفراش ما تركت ذلك إلا إبتغاء وجهك . رواه ابن أبي حاتم وقد روي عن وهب بن منبه في خبره قصة طويلة ساقها ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند عنه وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين وفيها غرابة تركناها لحال الطول • وقد روى أنه مكث في البلاء مدة طويلة ثم اختلفوا في السبب المهيج له على هذا الدعاء فقال الحسن وقتادة ابتلي أيوب عليه السلام سبع سنين وأشهرا ملقى على كناسة بني إسرائيل تختلف الدواب في

فانطلق ولم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ، ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمان الحرث الى أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب مثل رده الاول كلما انتهى اليه هلاك مال من امواله حمد الله واحسن الثناء عليه رضي منه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء ،حتى لم يبق له مال فلما رأى ابليس أنه قد افنى ماله صعد الى السماء فقال إلهي إن أيوب يرى منك أنك مامتعته بولده فانت تعطيه المال فهل انت مسلطي على ولده فانها المصيبة التي لاتقوم لها قلوب الرجال قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله ابليس حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده ثم جعل يناطح جدره بعضها ببعض ويرميهم بالخشب والجندل حتى اذا مثل بهم كل مثلة رفع القصر فقلبه فصاروا منكسين ثم انطلق الى أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وقال لو رأيت بنيك كيف عذبوا وقلبوا وكانوا منكسين على رءوسهم تسيل دماؤهم ودماغهم ولو رأيت كيف شقت بطونهم وتناثرت أمعاؤهم لقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق أيوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال ياليت أمي لم تلدني فاغتنم ابليس ذلك فصعد سريعا بالذي كان من جذع أيوب مسرورا به ثم لم يلبث أيوب أن فاء وابصر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته الى الله وهو أعلم فوقف ابليس ذليلا فقال يا الهي إنما هون على أيوب المال والولد أنه يرى منك مامتعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه وكان الله عز وجل اعلم به لم يسلطه عليه إلا رحمة له ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء للثواب فانقض عدو الله ابليس سريعا فوجد أيوب ساجدا فعجل قبل أن يرفع رأسه فأتاه من قبل وجهه فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جميع جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيها حكة فحكها باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار

جسده ففرج الله عنه وأعظم له الاجر وأحسن عليه الثناء، وقال وهب بن منبه مكث في البلاء ثلاث سنين لا يزيد ولا ينقص وقال السدي تساقط لحم أيوب حتى لم يبق إلا العصب والعظام فكانت امرأته تقوم عليه وتأتيه بالزاد يكون فيه فقالت له امرأته لما طال وجعه يا أيوب لودعوت ربك يفرج عنك فقال قد عشت سبعين سنة صحيحا فهو قليل لله ان أصبر له سبعين سنة فجزعت من ذلك فخرجت فكانت تعمل للناس بالاجر وتأتيه بما تصيب فتطعمه وان ابليس انطلق الى رجلين من أهل فلسطين كانا صديقين له وأخوين فأتاهما فقال أخوكما أيوب أصابه من البلاء كذا وكذا فائتياه وزوراه واحملا معكما من خمر أرضكما فانه ان شرب منه برىء. فاتياه فلما نظرا اليه بكيا فقال من أنتما فقالا نحن فلان وفلان فرحب بهما وقال مرحبا بمن لا يجفوني عند البلاء. فقالا يا أيوب لعلك كنت تسر شيئا وتظهر

والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نغل لحمه وتقطع وتغير وأنتن واخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته رحمة وهي بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب كانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه فلما رأى الثلاثة من اصحابه وهم يفن ويلدد وظافر ما ابتلاه الله به أتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا اليه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله من الذنب الذي عوقبت به وكان ممن حضره معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم : إنكم تكلمتم أيها الكهول وكنتم احق بالكلام مني لاسنانكم ولكن قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم، ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم، ومن الامر أجمل من الذي أتيتم ،وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم، ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم، ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وخيرته من خلقه وصفوته من أهل الارض في يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله من أمره على أنه قد سخط عليه شيئا من أمره منذ آتاه الله ما آتاه الى يومكم هذا ولا على انه نزع منه شيئا من الكرامة التي اكرمه بها ولا أن أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم أن الله يبتلي المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لأولئك بدليل على سخطه عليهم ولا لهوانه لهم ولكنه كرامة وخيرة لهم، ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة إلا أنه أخ احببتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم أن يعذل أخاه عند البلاء ولا أن يعيره بالمصيبة ولا أن يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ،ولكنه يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مراشد امره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا . فالله الله أيها الكهول وقد كانت في عظمة الله عز جلاله وذكر الموت مايقطع السنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا أن لله عبادا اسكتتهم خشيته من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الالباء العالمون بالله ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت السنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت

غيره فلذلك ابتلاك فرفع رأسه الى السماء فقال : هو يعلم ما أسررت شيئا أظهرت غيره ولكن ربي ابتلاني لينظر أأصبر أم أجزع فقالا له يا أيوب اشرب من خمرنا فانك ان شربت منه برأت قال فغضب وقال جاءكما الخبيث فامركما بهذا كلامكما وطعامكما وشرابكما علي حرام فقاما من عنده وخرجت امرأته تعمل للناس فخبزت لاهل بيت لهم صبي فجعلت لهم قرصا وكان ابنهم نائما فكرهوا ان يوقظوه فوهبوه لها فأتت به الى أيوب فأنكره وقال ما كنت تأتيني بهذا فما بالك اليوم فاخبرته الخبر قال فلعل الصبي قد استيقظ فطلب القرص فلم يجده فهو يبكي على أهله فانطلقي به اليه فأقبلت حتى بلغت درجة القوم فنطحتها شاة لهم فقالت تعس أيوب الخطا فلما صعدت وجدت الصبي قد استيقظ وهو يطلب القرص ويبكي على أهله لايقبل منهم شيئا غيره فقالت رحمه الله يعني أيوب فدفعت اليه

عقولهم اعظاما واجلالا لله عز وجل فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا الى الله عز وجل بالاعمال الزكية يعدون أنفسهم مع الظالمين الخاطئين وانهم لابرار نزهاء برءاء ومن المقصرين والمفرطين وانهم لاكياس اقوياء . فقال أيوب ان الله عز وجل يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير. فمتى نبتت في القلب يظهرها على اللسان، وليست تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولاطول التجربة، واذا جعل الله العبد حكيما في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء ، وهم يرون من الله عليه نور الكرامة ، ثم اعرض عنهم أيوب واقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه فقال : رب لأي شيء خلقتني ليتني اذ كرهتني لم تخلقني ياليتني قد عرفت الذنب الذي اذنبت والعمل الذي عملت فصرفت به وجهك الكريم عني لو كنت أمتني فالحقتني بآبائي الكرام فالموت كان اجمل بي ، ألم أكن للغريب دارا ، وللمسكين قرارا ولليتيم وليا ، وللارملة قيما ، إلهي أنا عبدك ان احسنت فالمن لك ، وان أسأت فبيدك عقوبتي وجعلتني للبلاء غرضا ، وللفتنة نصبا وقد وقع علي بلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي وان قضاءك هو الذي أذلني وان سلطانك هو الذي اسقمني وانحل جسمي ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري واطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي بما كان ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا اسمعه فلا نظر إلي فيرحمني ولا دنا مني ولا ادناني فأدلي بعذري ، وأتكلم ببراءتي ، واخاصم عن نفسي، فلما قال ذلك أيوب واصحابه عنده أظله غمام حتى ظن اصحابه أنه عذاب أليم ثم نودي يا أيوب ان الله عز وجل يقول ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريبا قم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد ازارك وقم مقام جبار يخاصم جبارا ان استطعت فانه لاينبغي أن يخاصمني الا جبار مثلي ولا شبه لي لقد منتك نفسك يا أيوب أمرا ماتبلغه بمثل قوتك أين أنت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على أساسها هل كنت معي تمد بأطرافها ، وهل علمت بأي مقدار قدرتها أم على أي شيء وضعت أكنافها أبطاعتك حمل الماء الارض أم بحكمتك كانت الارض للماء غطاء أين كنت مني يوم رفعت السماء

القرص ورجعت ثم ان ابليس أتاها في صورة طبيب فقال لها ان زوجك قدطال سقمه فان أرادان يبرأ فليأخذ ذبابا فليذبحه باسم صنم بني فلان فانه يبرأ ويتوب بعد ذلك فقالت ذلك لأيوب فقال قد أتاك الخبيث لله علي ان برأت ان أجلدك مائة جلدة فخرجت تسعى عليه فحظر عنها الرزق فجعلت لاتأتي أهل بيت فيريدونها فلما اشتد عليها ذلك وخافت على أيوب الجوع حلقت من شعرها قرنا فباعته من صبية من بنات الاشراف فاعطوها طعاما طيبا كثيرا فأتت به أيوب فلما رآه أنكره وقال من أين لك هذا قالت عملت لاناس فاطعموني فاكل منه فلما كان الغد خرجت فطلبت ان تعمل فلم تجد فحلقت أيضا قرنا فباعته من تلك الجارية فاعطوها أيضا من ذلك الطعام فاتت به أيوب فقال والله لاأطعمه حتى أعلم من أين هو فوضعت خمارها فلما رأى رأسها محلوقا جزع جزعا شديدا فعند ذلك

سقفا في الهواء لاتعلق بسبب من فوقها ، ولا تقلها دعم من تحتها ، هل تبلغ من حكمتك أن تجري نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها ؛ أين أنت مني يوم نبعت الأنهار وسكرت البحار أبسلطانك حبست أمواج البحار على حدودها ؛ أم بقدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها ، أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال ، هل تدري على أي شيء أرسيتها أو بأي مثقال وزنتها أم هل لك من ذراع تطيق حملها ، وهل تدري من أين الماء الذي أنزلت من السماء أم هل تدري من أي شيء أنشيء السحاب أم هل تدري أين خزائن الثلج أم أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل وأين خزائن الريح وبأي لغة تتكلم الاشجار ، ومن جعل العقول في أجواف الرجال ؛ ومن شق الاسماع والابصار ؛ ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق بحكمته. في كلام كثير من آثار قدرته ذكرها لايوب ؛ فقال أيوب صغر شأني وكل لساني وعقلي ورأيي وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي تعرض علي ياإلهي قد علمت أن كل الذي ذكرت صنيع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لوشئت عملت لايعجزك شيء ولا يخفى عليك خافية اذلتني البلايا ياإلهي فتكلمت ولم أملك لساني وكان البلاء هو الذي أنطقني ، فليت الارض انشقت لي فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء يسخط ربي وليتني مت بغمي في أشد بلائي قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت مني فلن أعود وقدوضعت يدي على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي أعوذ بك اليوم منك وأستجيرك من جهد البلاء فأجرني وأستغيث بك من عقابك فاغثني وأستعين بك على أمري فأعني وأتوكل عليك فاكفني وأعتصم بك فاعصمني وأستغفرك فاغفر لي فلن أعود لشيء تكرهه مني. قال الله تعالى ؛ ياأيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقدغفرت لك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وقرب عن أصحابك قربانا فاستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك فركض برجله

دعا الله عز وجل فقال رب (أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين)قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد حدثنا أبو عمران الجوني عن نوف البكالي ان الشيطان الذي عرج في أيوب كان يقال له مبسوط قال وكانت امرأة أيوب تقول ادع الله فيشفيك فجعل لا يدعو حتى مر به نفر من بني إسرائيل فقال بعضهم لبعض ما أصابه ما أصابه إلا بذنب عظيم أصابه فعند ذلك قال (رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) وحدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا جرير بن حازم عن عبدالله بن عبيد ابن عمير قال كان لايوب عليه السلام أخوان فجاآ يوما فلم يستطيعا ان يدنوا منه من ريحه فقاما من بعيد فقال احدهما للاخر لو كان الله علم من أيوب خيرا ما ابتلاه بهذا فجزع أيوب من قولهما جزعا لم

فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فأذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء ثم خرج فجلس فأقبلت امرأته تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت كالوالهة مترددة ثم قالت ياعبدالله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان ههنا ؟ فقال لها هل تعرفينه اذا رأيتيه ؛ قالت نعم ومالي لا أعرفه ثم تبسم وقال أنا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته . قال ابن عباس فوالذي نفس عبدالله بيده ما فارقته من عناقه حتى مر بهما كل مال لهما وولد فذلك قوله تعالى (وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر) واختلفوا في وقت ندائه والسبب الذي قال لاجله إني مسني الضر. وفي مدة بلائه فروى ابن شهاب عن أنس يرفعه أن أيوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة ، وقال وهب لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما ، وقال كعب كان أيوب في البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام ؛ وقال الحسن مكث أيوب مطروحا على كناسة في مزبلة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهراً تختلف فيه الدواب لا يقربه أحد غير امرأته رحمة صبرت معه بصدق وكانت تأتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمد وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله والصبر على ما ابتلاه به فصرخ إبليس صرخة جمع بها جنوده من أقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا له ما حزنك ؛ قال أعياني هذا العبد أيوب الذي لم أدع له مالا ولا ولداً فلم يزدد إلا صبراً ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا يقربه الا امرأته فاستعنت بكم لتعينوني عليه فقالوا له أين مكرك الذي أهلكت به من مضى ؟ قال بطل ذلك كله في أيوب فاشيروا علي قالوا نشير عليك من أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة ؟ قال من قبل امرأته قالوا فشأنك في أيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد يقربه غيرها. قال أصبتم فانطلق حتى أتى امرأته وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل فقال لها أين بعلك ياأمة الله قالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده فلما سمع مقالتها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وماهو فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه أبداً. قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم ان قد جزعت فأتاها بسخلة وقال ليذبح هذه لي أيوب ويبرأ فجاءت تصرخ ياأيوب حتى متى يعذبك ربك أين المال اين الولد أين الصديق اين لونك الحسن اين جسمك الصحيح اذبح هذه

بجزع من شيء قط فقال: اللهم ان كنت تعلم اني لم أبت ليلة قط شبعان وأنا أعلم مكان جائع فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم انى لم يكن لي قميصان قط وأنا أعلم مكان عار فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال: اللهم بعزتك ثم خر ساجدا فقال اللهم بعزتك لا أرفع رأسي أبدا حتى تكشف عني فما رفع رأسه حتى كشف عنه » وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر مرفوعا بنحو هذا فقال أخبرنا يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن عقيل عن الزهري عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال « إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من اخوانه كانا من أخص اخوانه له كانا يغدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله

السخلة واسترح قال أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك ويلك أرأيت ماتبكين عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه ؟ قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويلك ماأنصفت ألا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة أمرتيني أن أذبح لغير الله طعامك وشرابك الذي أتيتني به علي حرام وحرام على أن أذوق شيئا مما تأتيني به بعد اذ قلت لي هذا فاعزبي عني فلا أراك فطردها فذهبت فلما نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجداً لله وقال رب ﴿ أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر الاسقط ، وعاد اليه شبابه وجماله أحسن ما كان ، ثم ركض برجله ركضة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الاخرج فقام صحيحاً وكسي حلة قال فجعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من أهل ومال الا وقد ضاعفه الله حتى ذكر لنا أن الماء الذي اغتسل منه تطاير منه على صدره جراداً من ذهب فجعل يضمه بيده فأوحى الله اليه يا أيوب ألم أغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتي جلس على مكان مشرف ثم إن امرأته قالت أرأيتك ان كان أيوب طردني الى من أكله أدعه يموت جوعا ويضيع فتأكله السباع لارجعن اليه فرجعت فلا كناسة ترى ولا تلك الحالة التي كانت واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعين أيوب وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأله عنه فدعاها أيوب فقال ماتريدين يا أمة الله فبكت وقالت أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على الكناسة ولا أدري أضاع أم مافعل فقال أيوب ما كان منك فبكت وقالت بعلي قال فهل تعرفينه اذا رأيتيه فقالت وهل يخفى على أحد رآه ثم جعلت تنظر اليه وهي تهابه ، ثم قالت أما إنه أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحا قال فاني أنا أيوب الذى أمرتني أن أذبح لابليس واني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد علي ماترين وقال وهب لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب أيوب إبليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امرأته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس

لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وما ذاك ؟ قال منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به. فلما راحا اليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب عليه السلام ما أدري ماتقول غير ان الله عز وجل يعلم اني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكرا الله إلا في حق ، قال وكان يخرج في حاجته فاذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأت عليه فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ، رفع هذا الحديث غريب جداً

له عظم وبهاء وكمل فقال لها أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى؟ قالت نعم قال فهل تعرفيني قالت لا قال أنا إله الارض وأنا الذي صنعت بصاحبك ماصنعت لانه عبد الله إله السماء وتركني فاغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان لكما من مال وولد فانه عندي ثم أراها إياهم ببطن الوادي الذي لقيها فيه . قال وهب وقد سمعت أنه إنما قال لها لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسم الله عليه لعوفي مما به من البلاء والله أعلم ، وفي بعض الكتب أن إبليس قال لها اسجدي لي سجدة حتى أرد عليك المال والاولاد وأعافي زوجك فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها قال لقد أتاك عدو الله إبليس ليفتنك عن دينك ثم أقسم لو أن الله عافاه ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذلك مسني الضر من طمع إبليس في سجود امرأتي له ودعائه إياها وإياي إلى الكفر، ثم ان الله عز وجل رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها وأراد ان يبر يمين أيوب فأمره أن يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة كما قال الله تعالى (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث) وروى أن إبليس اتخذ تابوتا وجعل فيه أدوية وقعد على طريق امرأته يداوي الناس فمرت به امرأة ايوب فقالت ياشيخ إن لي مريضا أفتداويه ؟ قال نعم والله لا أريد شيئا الا أن يقول إذا شفيته أنت شفيتني. فذكرت ذلك لايوب فقال هو ابليس قد خدعك ثم حلف ان شفاه الله أن يضربها مائة جلدة ، وقال وهب وغيره كانت امرأة أيوب تعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليه البلاء وسئمها الناس ولم يستعملها أحد التمست له يوما من الايام ماتطعمه فما وجدت شيئا فجزت قرنا من رأسها فباعته برغيف فأتته به فقال لها أين قرنك ؟ فأخبرته فحينئذ قال مسني الضر وقال قوم انما قال ذلك حين قصدت الدودة الى قلبه ولسانه فخشي أن يفتر عن الذكر والفكر وقال حبيب بن أبي ثابت لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء (أحدها) قدم عليه صديقان حين بلغهما خبره فجاآ اليه ولم يبق له الا عيناه فرأيا أمراً عظيما فقالا لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هـذا (والثاني) ان امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذؤابتها وحملت اليه طعاما (والثالث) قول ابليس اني أداويه على ان يقول انت شفيتني. وقيل ان ابليس وسوس اليه ان امرأتك زنت فقطعت ذؤابتها فحينئذ عيل صبره فدعا وحلف ليضربنها مائة جلدة . وقيل معناه مسني الضر

وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد أخبرنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال وألبسه الله حلة من الجنة فتنحى أيوب فجلس في ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت ياعبدالله أين ذهب هذا المبتلى الذي كان ههنا لعل الكلاب ذهبت به او الذئاب فجعلت تكلمه ساعة . فقال ويحك أنا أيوب قالت أتسخر مني ياعبد الله؟ فقال ويحك أنا أيوب قدرد الله علي جسدي « وبه قال ابن عباس ورد عليه ماله وولده عيانا ومثلهم معهم ، وقال وهب بن منبه أوحى الله إلى أيوب قد رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم فاغتسل بهذا الماء فان فيه شفاءك وقرب عن صحابتك قربانا واستغفر لهم فانهم قدعصوني فيك .رواه ابن أبي حاتم

وقال أيضاً حدثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا همام عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « لما عافى الله أيوب أمطر عليه جراداً من ذهب فجعل يأخذ منه بيده ويجعله في ثوبه قال فقيل له يا أيوب أما تشبع ؟ قال يارب ومن يشبع من رحمتك » أصله في الصحيحين وسيأتي في موضع آخر

من شماتة الاعداء حتى روي انه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عليك في بلائك قال شماتة الاعداء وقيل قال ذلك حين وقعت دودة من فخذه فردها الى موضعها وقال كلي فقد جعلني الله طعامك فعضته عضة زاد ألمها على جميع ما قاساه من عض الديدان . فان قيل إن الله سماه صابراً وقد أظهر الشكوى والجزع بقوله اني مسني الضر واني مسني الشيطان بنصب « قيل ليس هذا شكاية انما هو دعاء بدليل قوله تعالى (فاستجبنا له) على ان الجزع انما هو في الشكوى الى الخلق فأما الشكوى الى الله عز وجل فلا يكون جزعا ولا ترك صبر كما قال يعقوب (انما أشكو بثي وحزني الى الله) قال سفيان بن عيينة وكذلك من أظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله لايكون ذلك جزعاً كما روي أن جبريل دخل على النبي ﷺ في مرضه فقال كيف تجدك ؟ قال « أجدني مغموما وأجدني مكروبا » وقال لعائشة حين قالت وارأساه قال « بل أنا وارأساه »

قوله (فاستجبنا له فكشفنا مابه من ضر) وذلك أنه قال له اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء بارد فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فأمره ان يركض برجله الارض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فأمره فشرب منها ففعل فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح مايكون من الرجال وأجلهم (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) واختلفوا في ذلك فقال ابن مسعود وقتادة وابن عباس والحسن وأكثر المفسرين رد الله عز وجل اليه أهله وأولاده باعيانهم أحياهم الله له وأعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن . قال الحسن آتاه الله المثل من نسل ماله الذي رد الله اليه وأهله يدل عليه ما روي عن الضحاك عن ابن عباس أن الله عز وجل رد الى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكراً قال وهب كان له سبع بنات وثلاثة بنين « وقال ابن

وقوله (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قد تقدم عن ابن عباس انه قال ردوا عليه بأعيانهم وكذا رواه العوفي عن ابن عباس أيضا وروي مثله عن ابن مسعود ومجاهد وبه قال الحسن وقتادة ، وقد زعم بعضهم أن اسم زوجته رحمة فان كان أخذ ذلك من سياق الآية فقد أبعد النجعة وإن كان أخذه من نقل أهل الكتاب وصح ذلك عنهم فهو مما لا يصدق ولا يكذب ، وقد سماها ابن عساكر في تاريخه رحمة الله تعالى قال ويقال اسمها ليا بنت ميشا بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم ، قال ويقال ليا بنت يعقوب عليه السلام زوجة أيوب كانت معه بأرض الثنية ، وقال مجاهد قيل له ياأيوب ان أهلك لك في الجنة فان شئت أتيناك بهم وإن شئت تركناهم لك في الجنة وعوضناك مثلهم قال لا بل اتركهم في الجنة فتركوا له في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا ، وقال حماد بن زيد عن أبي عمران الجوني عن نوف البكالي قال أوتي أجرهم في الآخرة وأعطي مثلهم في الدنيا ، قال فحدثت به مطرفا فقال ماعرفت وجهها قبل اليوم وهكذا روي عن قتادة والسدي وغير واحد من السلف والله أعلم

وقوله (رحمة من عندنا) أي فعلنا به ذلك رحمة من الله به (وذكرى للعابدين) أي وجعلناه في ذلك قدوة لئلا يظن أهل البلاء انما فعلنا بهم ذلك لهوانهم علينا ، وليتأسوا به في الصبر على مقدورات الله وابتلائه لعباده بما يشاء ، وله الحكمة البالغة في ذلك

يسار كان له سبع بنين وسبع بنات. وروي عن أنس يرفعه أنه كان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله عز وجل سحابتين فأفرغت احداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الاخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض، وروي أن الله تعالى بعث اليه ملكا وقال له ان ربك يقرئك السلام بصبرك فاخرج على اندرك فخرج اليه فأرسل الله عليه جراداً من ذهب فطارت واحدة فاتبعها وردها الى اندره فقال له الملك اما يكفيك مافي اندرك ، فقال هذه بركة من بركات ربي ولا أشبع من بركته . أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه قال أنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ بينا ايوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحثي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال بلى وعزتك ولكن لاغنى لي عن بركتك ، وقال قوم آتى الله ايوب في الدنيا مثل اهله الذين هلكوا اما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه في الدنيا . قال عكرمة قيل لأيوب ان أهلك لك في الآخرة فان شئت عجلناهم لك في الدنيا وان شئت كانوا لك في الآخرة وآتيناك مثلهم في الدنيا فقال يكونون لي في الآخرة وأوتى مثلهم في الدنيا فعلى هذا يكون معنى الآية وآتيناه أهله في الآخرة ومثلهم في الدنيا وأراد بالاهل الاولاد ﴿ رحمة من عندنا ﴾ اي نعمة من

وإسمٰعيل وإدريس وذا الكفل ، كل من الصٰبرين (٨٥) وأدخلنٰهم في رحمتنا انهم من الصٰلحين (٨٦)

أما اسماعيل فالمراد به ابن ابراهيم الخليل عليهما السلام وقد تقدم ذكره في سورة مريم وكذا ادريس عليه السلام . وأما ذو الكفل فالظاهر من السياق انه ماقرن مع الانبياء إلا وهو نبي ، وقال آخرون انما كان رجلا صالحاً وكان ملكا عادلا وحكما مقسطا ، وتوقف ابن جرير في ذلك فالله أعلم قال ابن جريج عن مجاهد في قوله (وذا الكفل) قال رجل صالح غير نبي تكفل لنبي قومه أن يكفيه أمر قومه ويقيمهم له ويقضي بينهم بالعدل ففعل ذلك فسمي ذا الكفل وكذا روى ابن أبي نجيح عن مجاهد أيضا ، وروى ابن جرير حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عفان حدثنا وهيبٌ حدثنا داود عن مجاهد قال لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يفعل ، فجمع الناس فقال من يتقبل مني بثلاث : أستخلفه فيصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب قال فقام رجل تزدريه الاعين فقال أنا ، فقال أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب ؟ قال نعم ، قال فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه قال فجعل إبليس يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم ذلك فقال دعوني واياه فأتاه في صورة شيخ كبير فقير فأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة — وكان لا ينام الليل والنهار الا تلك النومة — فدق الباب فقال من هذا ؟ قال شيخ كبير مظلوم ، قال فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا ، وجعل يطول عليه حتى حضر الرواح وذهبت القائلة فقال اذا رحت فائتني آخذ لك بحقك ، فانطلق وراح فكان في مجلسه فجعل

عندنا ﴿وذكرى للعابدين﴾ اي عظة وعبرة لهم قوله ﴿واسماعيل﴾ يعنى ابن ابراهيم ﴿وادريس﴾ وهو اخنوخ ﴿ وذا الكفل كل من الصابرين ﴾ على امر الله واختلفوا في ذا الكفل فقال عطاء ان نبياً من انبياء بني اسرائيل اوحى الله اليه اني اريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني اسرائيل فمن تكفل لك انه يصلي بالليل ولا يفتر ويصوم بالنهار ولا يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال انا اتكفل لك بهذا فتكفل ووفى به فشكر الله له ونبأه فسمي ذا الكفل قال مجاهد لما كبر اليسع قال لواني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى انظر كيف يعمل قال فجمع الناس فقال من يتقبل منى بثلاث استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضي بين الناس ولا يغضب ؟ فقام رجل تزدريه العين فقال انا فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال انا فاستخلفه فأتاه ابليس في صورة شيخ ضعيف حين اخذ مضجعه للقائلة وكان لاينام بالليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا ؟ فقال شيخ

ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتبعه فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه فلما رجع الى القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا؟ قال الشيخ الكبير المظلوم ففتح له فقال ألم أقل لك اذا قعدت فائتني قال انهم أخبث قوم اذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا رحت فائتني قال ففاتته القائلة فراح فجعل ينتظره ولا يراه وشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لاتدع أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام فاني قد شق علي النوم فلما كان تلك الساعة جاء فقال له الرجل وراءك وراءك قال اني قد أتيته أمس وذكرت له أمري فقال لا والله لقد أمرنا أن لاندع أحداً يقربه فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت واذا هو يدق الباب من داخل قال واستيقظ الرجل فقال يافلان ألم آمرك قال أما من قبلي والله فلم تؤت فانظر من أين أتيت قال فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الرجل معه في البيت فعرفه فقال أعدو الله؟ قال نعم أعييتني في كل شيء ففعلت ماترى لأغضبك فسماه الله ذا الكفل لانه تكفل بأمر فوفى به. وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث زهير بن اسحاق عن داود عن مجاهد بمثله، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن يونس حدثنا ابو بكر بن عياش عن الاعمش عن مسلم قال: قال ابن عباس كان قاض في بني اسرائيل فحضره الموت فقال من يقوم مقامي على أن لا يغضب قال فقال رجل أنا فسمي ذا الكفل قال فكان ليله جميعا يصلي ثم يصبح صائما فيقضي بين الناس قال وله ساعة يقيلها قال فكان كذلك فأتاه الشيطان عند نومته فقال له أصحابه مالك؟ قال انسان مسكين له على رجل حق وقد غلبني عليه قالوا كما أنت حتى يستيقظ قال وهو فوق نائم قال فجعل يصيح عمداً حتى يوقظه قال فسمع فقال مالك قال انسان مسكين له على رجل حق قال فاذهب فقل له يعطيك قال قد أبى قال اذهب أنت اليه قال فذهب ثم جاء من الغد فقال مالك قال ذهبت اليه فلم يرفع بكلامك

كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول حتى حضر الرواح وذهبت القائلة فقال له اذا رحت فائتني حتى آخذ حقك فانطلق وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يبتغيه فلما كان من الغد جلس يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه فلما رجع الى القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا؟ فقال الشيخ المظلوم ففتح له فقال ألم أقل لك اذا قعدت فائتني فقال انهم أخبث قوم إذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا رحت فائتني ففاتته القائلة وراح فجعل ينظر فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لاتدعن أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام فانه قد شق علي النوم فلما كان تلك الساعة جاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت يدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يافلان ألم آمرك فقال أما من قبلي فلم تؤت فانظر من أين أتيت فقام إلى الباب فاذا هو مغلق كما هو أغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال أتنام والخصوم ببابك فعرفه

رأسا قال اذهب اليه فقل له يعطيك حقك فذهب ثم جاء من الغد حين قال . قال فقال له أصحابه اخرج فعل الله بك تجيء كل يوم حين ينام لاتدعه ينام قال فجعل يصيح من أجل اني مسكين لو كنت غنيا ، قال فسمع أيضا فقال مالك قال ذهبت اليه فضربني ، قال امش حتى أجيء معك قال فهو ممسك بيده فلما رآه ذهب معه نثر يده منه ففر . وهكذا روي عن عبدالله بن الحارث ومحمد بن قيس وأبي حجيرة الا كبر وغيرهم من السلف نحو هذه القصة والله أعلم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الجماهر أخبرنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن كنانة بن الاخنس قال سمعت الاشعري وهو يقول على هذا المنبر : ماكان ذو الكفل بنبي ، لكن كان — يعني في بني إسرائيل — رجل صالح يصلي كل يوم مائة صلاة فتكفل له ذو الكفل من بعده فكان يصلي كل يوم مائة صلاة فسمي ذا الكفل ، وقد رواه ابن جرير من حديث عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال : قال أبو موسى الاشعري فذكره منقطعا والله أعلم ، وقد روى الامام أحمد حديثا غريبا فقال حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الاعمش عن عبدالله بن عبدالله عن سعيد مولى طلحة عن ابن عمر قال : سمعت من رسول الله ﷺ حديثا لو لم أسمعه الا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرات ولكن سمعته أكثر من ذلك قال ، كان الكفل من بني اسرائيل لايتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال ما يبكيك أكرهتك ؟ قالت لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط وانما حملني عليه الحاجة ، قال فتفعلين هذا ولم تفعليه قط ثم نزل فقال اذهبي بالدنانير لك ثم قال والله لايعصي الله الكفل أبداً فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه قد غفر الله للكفل ، هكذا وقع في هذه الرواية الكفل من غير إضافة والله أعلم ، وهذا الحديث لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة واسناده غريب ، وعلى كل تقدير فلفظ الحديث ان كان الكفل ولم يقل ذو الكفل فلعله رجل آخر والله أعلم

وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمت أن لا اله الا أنت

فقال أعدو الله قال نعم أعييتني ففعلت ماترى لاغضبك فعصمك الله مني فسمي ذا الكفل لانه تكفل أمراً فوفى به ، وقيل ان ابليس جاءه وقال ان لي غريما يطلني فأحب أن تقوم معي وتستوفي حقي منه فانطلق معه حتى إذا كان في السوق خلاه وذهب ، وروي انه اعتذر اليه وقال ان صاحبي هرب وقيل ان ذا الكفل رجل كفل أن يصلي كل ليلة مائة ركعة الى أن يقبضه الله فوفى به ، واختلفوا في انه هل كان نبيا فقال بعضهم كان نبيا وقيل هو الياس وقيل زكريا وقال ابو موسى لم يكن نبيا ولكن كان عبداً صالحا ﴿ وأدخلناهم في رحمتنا ﴾ يعني ما أنعم به عليهم في الدنيا من النبوة وصيرهم اليه في الجنة من الثواب ﴿ انهم من الصالحين * وذا النون ﴾ أي اذكر صاحب الحوت وهو يونس بن متى

سبحانك اني كنت من الظالمين (٨٧) فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين (٨٨)

هذه القصة مذكورة ههنا وفي سورة الصافات وفي سورة ن . وذلك ان يونس بن متى عليه السلام بعثه الله الى أهل قرية نينوي وهي قرية من أرض الموصل فدعاهم الى الله تعالى فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث فلما تحققوا منه ذلك وعلموا أن النبي لايكذب خرجوا الى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم وفرقوا بين الامهات واولادها ثم تضرعوا الى الله عز وجل وجأروا اليه ورغت الابل وفصلانها ، وخارت البقر وأولادها . وثغت الغنم وسخالها ، فرفع الله عنهم العذاب قال الله تعالى (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين)

وأما يونس عليه السلام فانه ذهب فركب مع قوم في سفينة فلججت بهم وخافوا أن يغرقوا فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه فوقعت القرعة على يونس فأبوا أن يلقوه ثم أعادوها فوقعت عليه أيضا فأبوا ثم أعادوها فوقعت عليه أيضا قال الله تعالى (فساهم فكان من المدحضين) أي وقعت عليه القرعة فقام يونس عليه السلام وتجرد من ثيابه ثم ألقى نفسه في البحر وقد أرسل الله سبحانه من البحر الاخضر — فيما قاله ابن مسعود — حوتا يشق البحار حتى جاء فالتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة فاوحى الله الى ذلك الحوت أن لا تأكل له لحما ولا تهشم له عظما فان يونس ليس لك رزقا وانما بطنك تكون له سجنا . وقوله (وذا النون) يعني الحوت صحت الاضافة اليه بهذه النسبة وقوله (اذ ذهب مغاضبا) قال الضحاك لقومه (فظن أن لن نقدر عليه) أي نضيق عليه في

﴿ اذ ذهب مغاضبا ﴾ اختلفوا في معناه فقال الضحاك مغاضبا لقومه وهو رواية العوفي وغيره عن ابن عباس قال كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبي منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف فأوحى الله الى شعياء النبي أن سر الى حزقيل الملك وقل له حتى يوجه نبيا قويا فاني ألقي معه هيبة في قلوب اولئك حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس انه قوي أمين فدعا الملك بيونس فأمره أن يخرج فقال له يونس هل أمرك الله باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فههنا غيري أنبياء أقوياء فألحوا عليه فخرج من بينهم مغاضبا للنبي والملك ولقومه فأتى بحر الروم فركبه . وقال عروة بن الزبير وسعيد بن جبير وجماعة ذهب عن قومه مغاضبا لربه إذ كشف عن قومه العذاب بعد ما أوعدهم وكره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما أوعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي به رفع العذاب وكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وانه يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله تعالى وفي بعض الاخبار انه كان من عادة قومه أن يقتلوا من جربوا عليه الكذب فخشي أن يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد فغضب والمغاضبة ههنا من المفاعلة التي تكون من واحد كالمسافرة والمعاقبة فمعنى قوله مغاضبا أي غضبان ،

بطن الحوت يروى نحو هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم واختاره ابن جرير واستشهد عليه بقوله تعالى (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسراً) وقال عطية العوفي أي فظن أن لن نقدر عليه أي نقضي عليه كانه جعل ذلك بمعنى التقدير فان العرب تقول قدر وقدّر بمعنى واحد ،وقال الشاعر

فلا عائد ذاك الزمان الذي مضى تباركت ما تقدر يكن ذلك الامر

ومنه قوله تعالى (فالتقى الماء على أمر قد قدر) أي قدر وقوله (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) قال ابن مسعود ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وكذا روي عن ابن عباس وعمرو بن ميمون وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والضحاك والحسن وقتادة . وقال سالم بن أبي جعد ظلمة حوت في بطن حوت آخر في ظلمة البحر قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما وذلك أنه ذهب به الحوت في البحار يشقها حتى انتهى به الى قرار البحر فسمع يونس تسبيح الحصى في قراره فعند ذلك وهنالك قال (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) وقال عوف الاعرابي لما صار يونس في بطن الحوت ظن أنه قد مات ثم حرك رجليه فلما تحركت سجد مكانه ثم نادى يارب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يبلغه أحد من الناس . وقال سعيد بن أبي الحسن البصري مكث في بطن الحوت أربعين يوما رواهما ابن جرير وقال محمد بن اسحاق بن يسار عمن حدثه عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر

وقال الحسن انما غاضب ربه عز وجل من أجل انه أمره بالمسير إلى قوم لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخوص اليهم فقيل له ان الامر أسرع من ذلك حتى سأل أن ينظر الى أن يأخذ نعلا يلبسها فلم ينظر وكان في خلقه ضيق فذهب مغاضبا . وعن ابن عباس قال أتى جبريل يونس فقال انطلق الى أهل نينوى فأنذرهم فقال التمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب فانطلق الى السفينة ، وقال وهب بن منبه ان يونس بن متى كان عبداً صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل عليه أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها بين يديه وخرج هاربا منها فلذلك أخرجه الله من أولي العزم من الرسل . وقال لنبيه محمد ﷺ (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل . ولا تكن كصاحب الحوت)

قوله ﴿ فظن أن لن نقدر عليه ﴾ أي لن نقضي عليه بالعقوبة قال مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي وهو رواية العوفي عن ابن عباس يقال قدر الله الشيء تقديراً وقدره يقدر قدراً بمعنى واحد ومنه قوله (نحن قدرنا بينكم الموت) في قراءة من خففها دليل هذا التأويل قراءة عمر بن عبد العزيز والزهري فظن أن لن نقدر عليه بالتشديد . وقال عطاء وكثير من العلماء معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس

له عظما فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا ؟ فأوحى الله اليه وهو في بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر قال وسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه في الساحل كما قال الله تعالى (وهو سقيم) رواه ابن جرير ورواه البزاز في مسنده من طريق محمد بن اسحاق عن عبدالله بن رافع عن ابي هريرة فذكره بنحوه ثم قال لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ «الا من هذا الوجه» بهذا الاسناد. وروى ابن أبي حاتم حدثنا ابوعبدالله احمد بن عبدالرحمن بن اخي ابن وهب ثنا عمي حدثني ابو صخر أن يزيد الرقاشي قال سمعت أنس بن مالك ولا أعلم الا أن أنسا يرفع الحديث الى رسول الله ﷺ أن يونس النبي عليه السلام حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت قال :اللهم لا إله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين . فاقبلت هذه الدعوة تحت العرش فقالت الملائكة يارب صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال أما تعرفون ذاك؟ قالوا لا يارب ومن هو؟ قال عبدي يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مجابة قالوا يارب أولا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فأمر الحوت فطرحه في العراء ، وقوله (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) أي اخرجناه من بطن الحوت وتلك الظلمات وكذلك ننجي المؤمنين أي إذا كانوا في الشدائد ودعونا منيبين الينا ولا سيما اذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء فقد جاء الترغيب في الدعاء به عن سيد الانبياء

قال الامام أحمد حدثنا اسماعيل بن عمير حدثنا يونس بن أبي اسحاق الهمداني حدثنا ابراهيم

كقوله تعالى (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يضيق وقال ابن زيد هو استفهام معناه فظن انه يعجز ربه فلا يقدر عليه وقرأ يعقوب يقدر بضم الياء على المجهول خفيف ، وعن الحسن قال بلغني أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه ؟ وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان فقذفه في بطن الحوت فمكث فيه أربعين من بين يوم وليلة ، وقال عطاء سبعة أيام وقيل ثلاثة أيام وقيل ان الحوت ذهب به مسيرة ستة آلاف وقيل بلغ به تخوم الارض السابعة فتاب الى ربه تعالى في بطن الحوت وراجع نفسه فقال : لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين حين عصيتك وماصنعت من شيء فلن أعبد غيرك فأخرجه الله من بطن الحوت برحمته والتأويلات المتقدمة أولى بحال الانبياء انه ذهب مغاضبا لقومه او للملك ﴿فنادى في الظلمات أن لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ يعني ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وروي عن ابي هريرة مرفوعا أوحى الله الى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فأخذه ثم هوى به الى مسكنه في البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال

ابن محمد بن سعد حدثني والدي محمد عن أبيه سعد هو ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال مررت بعثمان ابن عفان رضي الله عنه في المسجد فسلمت عليه فملأ عينيه مني ثم لم يرد علي السلام فأتيت عمر بن الخطاب فقلت يا أمير المؤمنين هل حدث في الاسلام شيء مرتين قال لا وما ذاك قلت لا الا اني مررت بعثمان آنفا في المسجد فسلمت عليه فملأ عينيه مني فلم يرد علي السلام قال فارسل عمر الى عثمان فدعاه فقال ما منعك أن لا تكون رددت علي أخيك السلام قال ما فعلت قال سعد قلت بلى حتى حلف وحلفت قال ثم ان عثمان ذكر فقال بلى واستغفر الله واتوب اليه انك مررت بي آنفا وأنا أحدث نفسي بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ لا والله ما ذكرتها قط إلا تغشى بصري وقلبي غشاوة قال سعد فأنا أنبئك بها ان رسول الله ﷺ ذكر لنا أول دعوة ثم جاء اعرابي فشغله حتى قام رسول الله ﷺ فاتبعته فلما أشفقت أن يسبقني الى منزله ضربت بقدمي الارض فالتفت الي رسول الله ﷺ «من هذا أبو اسحاق» قال قلت نعم يارسول الله قال «فمه» قلت لا والله الا انك ذكرت لنا أول دعوة ثم جاء هذا الاعرابي فشغلك قال «نعم دعوة ذي النون اذ هو في بطن الحوت (لااله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) فانه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط الا استجاب له» ورواه الترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه سعد به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد الاحمر عن كثير بن زيد عن المطلب ابن حنطب قال أبو خالد أحسبه عن مصعب يعني ابن سعد عن سعد قال : قال رسول الله ﷺ «من دعا بدعاء يونس استجيب له» قال أبو سعيد يريد به (وكذلك ننجي المؤمنين) وقال ابن جرير حدثني عمران

في نفسه ماهذا ? فاوحى الله اليه ان هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة وفي رواية صوتا معروفا من مكان مجهول فقال ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه الى الساحل كما قال الله تعالى (فنبذناه بالعراء وهو سقيم)

فذلك قوله عز وجل ﴿ فاستجبنا له ﴾ أي أجبناه ﴿ ونجيناه من الغم ﴾ من تلك الظلمات ﴿ وكذلك ننجي المؤمنين ﴾ من كل كرب اذا دعونا واستغاثوا بنا قرأ ابن عامر وعاصم برواية أبي بكر نجي بنون واحدة وتشديد الجيم وتسكين الياء لأنها مكتوبة في المصحف بنون واحدة واختلف النحاة في هذه القراءة فذهب أكثرهم الى أنها لحن لانه لو كان على مالم يسم فاعله لم تسكن الياء ورفع المؤمنين ومنهم من صوبها وذكر الفراء ان لها وجها آخر وهو اضمار المصدر أي نجى النجاة المؤمنين كقولك ضرب الضرب زيداً ثم تقول ضرب زيداً بالنصب على اضمار المصدر وسكن الياء في نجي كما يسكنون في بقي ونحوها ، وقال القتيبي من قرأ بنون واحدة والتشديد فانما أراد ننجي من التنجية الا انه أدغم

ابن بكار الكلاعي حدثنا يحيى بن صالح حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن حدثني بشر بن منصور عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «اسم الله الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى» قال قلت يارسول الله هي ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين قال «هي ليونس بن متي خاصة ولجماعة المؤمنين عامة اذا دعوا بها ألم تسمع قول الله عز وجل (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) فهو شرط من الله لمن دعاه به» وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا داود بن المحبر بن محذم المقدمي عن كثير بن معبد قال سألت الحسن فقلت يا أبا سعيد اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى؟ قال ابن أخي أما تقرأ القرآن قول الله تعالى (وذا النون إذ ذهب مغاضبا ـ الى قوله ـ وكذلك ننجي المؤمنين) ابن أخي هذا اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى

وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين (٨٩) فاستجبنا له ووهبنا له يحيي وأصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين (٩٠)

يخبر تعالى عن عبده زكريا حين طلب أن يهبه الله ولداً يكون من بعده نبيا وقد تقدمت القصة مبسوطة في أول سورة مريم وفي سورة آل عمران أيضاً وههنا أخصر منهما (إذ نادى ربه) أي خفية عن قومه (رب لاتذرني فرداً) أي لا ولد لي ولا وارث يقوم بعدي في الناس (وأنت خير الوارثين) دعاء وثناء مناسب للمسئلة قال الله تعالى (فاستجبنا له ووهبنا له يحيي وأصلحنا له زوجه) أي امرأته قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كانت عاقراً لاتلد فولدت وقال عبد الرحمن بن مهدي عن

وحذف نونا طلبا للخفة ولم يرضه النحويون لبعد مخرج النون من الجيم والادغام يكون عند قرب المخرج وقرأ العامة ننجي بنونين من الانجاء وانما كتبت بنون واحدة لان النون الثانية كانت ساكنة والساكن غير ظاهر على اللسان فحذفت كما فعلوا في ألا حذفوا النون من ان لخفائها واختلفوا في ان رسالة يونس بن متى متي كانت فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انها كانت بعد أن أخرجه الله من بطن الحوت بدليل ان الله عز وجل ذكره في سورة والصافات (فنبذناه بالعراء) ثم ذكر بعده (وأرسلناه الى مائة الف او يزيدون) وقال الآخرون انها كانت من قبل بدليل قوله تعالى (وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون)

قوله عز وجل ﴿ وزكريا اذ نادى ربه ﴾ أي دعا ربه ﴿ رب لاتذرني فرداً ﴾ وحيدا لاولد لي وارزقني وارثا ﴿ وأنت خير الوارثين ﴾ اثني على الله بأنه الباقي بعد فناء الخلق وأنه افضل من بقي

طلحة بن عمرو عن عطاء كان في لسانها طول فاصلحها الله وفي رواية كان في خلقها شيء فأصلحها الله وهكذا قال محمد بن كعب والسدي، والاظهر من السياق الاول، وقوله (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات) أي في عمل القربات والطاعات (ويدعوننا رغبا ورهبا) قال الثوري رغبا فيما عندنا ورهبا مما عندنا (وكانوا لنا خاشعين) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي مصدقين بما أنزل الله وقال مجاهد مؤمنين حقا وقال أبو العالية خائفين وقال أبو سنان الخشوع هو الخوف اللازم للقلب لا يفارقه أبداً وعن مجاهد أيضا خاشعين أي متواضعين وقال الحسن وقتادة والضحاك خاشعين أي متذللين لله عز وجل وكل هذه الاقوال متقاربة، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عبد الرحمن بن اسحاق عن عبد الله القرشي عن عبد الله بن حكيم قال خطبنا أبو بكر رضي الله عنه ثم قال أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله وتثنوا عليه بما هو له أهل وتخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الالحاف بالمسئلة فان الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال (انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين)

والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين (٩١)

هكذا يذكر تعالى قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام مقرونة بقصة زكريا وابنه يحيي عليه السلام فيذكر أولا قصة زكريا ثم يتبعها بقصة مريم لان تلك مربوطة بهذه فانها إيجاد ولد من شيخ كبير قد طعن في السن ومن امرأة عجوز عاقر لم تكن تلد في حال شبابها ثم يذكر قصة مريم وهي أعجب فانها إيجاد ولد من أنثى بلا ذكر هكذا وقع في سورة آل عمران وفي سورة مريم وههنا ذكر قصة زكريا ثم أتبعها بقصة مريم بقوله (والتي أحصنت فرجها) يعني مريم عليها السلام كما قال في سورة التحريم (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) وقوله (وجعلناها وابنها آية للعالمين) أي دلالة على أن الله على كل شيء قدير وانه يخلق ما يشاء وإنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وهذا كقوله (ولنجعله آية للناس) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمر بن علي حدثنا أبو عاصم

حيا ﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى ﴾ ولداً ﴿ واصلحنا له زوجه ﴾ أي جعلناها ولودا بعدما كانت عقيما قاله اكثر المفسرين وقال بعضهم كانت سيئة الخلق فاصلحها الله له بأن رزقها حسن الخلق ﴿ إنهم ﴾ يعني الانبياء الذين سماهم في هذه السورة ﴿ كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ﴾ طمعا ﴿ ورهبا ﴾ خوفا رغبا في رحمة الله ورهبا من عذاب الله ﴿ وكانوا لنا خاشعين ﴾ أي متواضعين قال قتادة ذللا لا مر الله قال مجاهد الخشوع هو الخوف اللازم في القلب ﴿ والتي احصنت فرجها ﴾ حفظت من الحرام وأراد مريم بنت عمران ﴿ فنفخنا فيها من روحنا ﴾ أي أمرنا جبرائيل حتى نفخ في جيب درعها واحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها وأضاف الروح اليه تشريفا لعيسى عليه السلام ﴿ وجعلناها وابنها آية للعالمين ﴾ أي دلالة على كال قدرتنا على خلق ولد من غير أب ولم يقل آيتين وهما آيتان لان

الضحاك بن مجاز عن شعيب يعني ابن بشير عن عكرمة عن ابن عباس في قوله للعالمين قال العالمين الجن والانس

ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون (٩٢) وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون (٩٣) فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون (٩٤)

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله ان هذه أمتكم أمة واحدة يقول دينكم دين واحد وقال الحسن البصري في هذه الآية يبين لهم ما يتقون وما يأتون ثم قال ان هذه أمتكم أمة واحدة أي سنتكم سنة واحدة فقوله ان هذه ان واسمها وأمتكم خبر ان أي هذه شريعتكم التي بينت لكم ووضحت لكم وقوله أمة واحدة نصب على الحال ولهذا قال (وأنا ربكم فاعبدون) كما قال (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ـ الى قوله ـ وأنا ربكم فاتقون) وقال رسول الله ﷺ «نحن معاشر الانبياء أولاد علات ديننا واحد» يعني ان المقصود هو عبادة الله وحده لاشريك له بشرائع متنوعة لرسله كما قال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقوله (وتقطعوا أمرهم بينهم) أي اختلفت الامم على رسلها فمن بين مصدق لهم ومكذب ولهذا قال كل الينا راجعون أي يوم القيامة فيجازى كل بحسب عمله ان خيراً فخير وان شرا فشر ولهذا قال (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) كقوله (انا لا نضيع أجر من أحسن عملا) أي لا يكفر سعيه وهو عمله بل يشكر فلا يظلم مثقال ذرة ولهذا قال وانا له كاتبون أي يكتب جميع عمله فلا يضيع عليه منه شيء

وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون (٩٥) حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج

معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية ولان الآية كانت فيهما واحدة وهي أنها أتت به من غير فحل

قوله تعالى ﴿إن هذه امتكم﴾ أي ملتكم ودينكم ﴿أمة واحدة﴾ أي دينا واحدا وهو الاسلام فابطل ماسوى الاسلام من الاديان وأصل الامة الجماعة التي هي على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة واحدة لاجتماع أهلها على مقصد واحد ونصب أمة على القطع ﴿وأنا ربكم فاعبدون * وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ أي اختلفوا في الدين فصاروا فرقا واحزابا قال الكلبي فرقوا دينهم بينهم يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض والتقطع ههنا بمعنى التقطيع ﴿كل الينا راجعون﴾ فنجزيهم بأعمالهم ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه﴾ لا يجحد ولا يبطل عمله سعيه بل يشكر ويثاب عليه ﴿وإنا له كاتبون﴾ لعمله حافظون وقيل معنى الشكر من الله المجازاة ومعنى الكفران ترك المجازاة ﴿وحرام على قرية﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وحرم بكسر الحاء بلا ألف وقرأ الباقون بالالف

وهم من كل حدب ينسلون (٩٦) واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يٰويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظٰلمين (٩٧)

يقول تعالى (وحرام على قرية) قال ابن عباس وجب يعني قد قدر ان أهل كل قرية أهلكوا انهم لا يرجعون الي الدنيا قبل يوم القيامة ، هكذا صرح ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقتادة وغير واحد . وفي رواية عن ابن عباس انهم لا يرجعون أي لا يتوبون والقول الاول أظهر والله أعلم ، وقوله (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) قد قدمنا انهم من سلالة آدم عليه السلام بل هم من نسل نوح أيضا من أولاد يافث أي أبي الترك والترك شرذمة منهم تركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين وقال (هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا . وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) الآية وقال في هذه الآية الكريمة (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) أي يسرعون في المشي الى الفساد . والحدب هو المرتفع من الارض قاله ابن عباس وعكرمة وأبو صالح والثوري وغيرهم ، وهذه صفتهم في حال خروجهم كأن السامع مشاهد لذلك (ولا ينبئك مثل خبير) هذا اخبار عالم ماكان وما يكون الذي يعلم غيب السموات والارض لا اله الا هو

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن مثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبدالله بن ابي يزيد قال : رأى ابن عباس صبيانا ينزو بعضهم على بعض يلعبون فقال ابن عباس : هكذا يخرج يأجوج ومأجوج وقد ورد ذكر خروجهم في أحاديث متعددة من السنة النبوية

﴿ فالحديث الاول ﴾ قال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن اسحاق عن عاصم بن عمرو عن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « تفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله عز وجل (وهم من كل حدب ينسلون) فيغشون الناس وينحاز المسلمون عنهم الى مدائنهم وحصونهم ويضمون اليهم مواشيهم ويشربون مياه الارض حتى ان بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يابساً حتي ان من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول قد كان هنا ماء مرة حتى

حرام وهما لغتان مثل حل وحلال قال ابن عباس معنى الآية (وحرام على قرية) أي أهل قرية ﴿ اهلكناها ﴾ أن يرجعوا بعد الهلاك فعلى هذا تكون لا صلة وقال آخرون الحرام بمعنى الواجب فعلى هذا تكون لا ثابتة معناه واجب على أهل قرية أهلكناهم ﴿ أنهم لا يرجعون ﴾ الى الدنيا وقال الزجاج معناه وحرام على أهل قرية اهلكناهم أي حكمنا بهلاكهم أن يتقبل اعمالهم لأنهم لا يرجعون أي لا يتوبون والدليل على هذا المعنى أنه قال في الآية التي قبلها (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) أي يتقبل عمله ثم ذكر هذه الآية عقيبه وبين أن الكافر لا يتقبل عمله

قوله تعالى ﴿ حتى اذا فتحت ﴾ قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب فتّحت بالتشديد على التكثير

إذا لم يبق من الناس أحد إلا أحد في حصن أو مدينة قال قائلهم هؤلاء أهل الارض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء ، قال ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء فترجع اليه مخضبة دما للبلاء والفتنة فبيناهم على ذلك بعث الله عز وجل دوداً في أعناقهم كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقه فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون ألا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو ، قال فينحدر رجل منهم محتسبا نفسه قد أوطنها على انه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادي يامعشر المسلمين ألا أبشروا ان الله عز وجل قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لهم رعي إلا لحومهم فتشكر عنهم كأحسن ماشكرت عن شيء من النبات أصابته قط » ورواه ابن ماجه من حديث يونس بن بكير عن ابن إسحاق به

(الحديث الثانى) قال الامام أحمد أيضاً حدثنا الوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقي حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني يحيى بن جابر الطائي قاضي حمص حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي عن أبيه انه سمع النواس بن سمعان الكلابى قال ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في ناحية النخل فقال « غير الدجال أخوفني عليكم فان يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امريء حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم وانه شاب جعد قطط عينه طافية وإنه يخرج خيله بين الشام والعراق فعاث يمينا وشمالا يا عباد الله اثبتوا ـ قلنا يارسول الله مالبثه في الارض ؟ ـ قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم » قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذي هو كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم وليلة قال « لا اقدروا له قدره » قلنا يارسول الله فما إسراعه في الارض قال « كالغيث اشتدبه الريح قال فيمر بالحي فيدعوهم فيستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت وتروح عليهم سارحتهم وهي أطول ماكانت ذرى وأمده خواصر وأسبغه ضروعا ويمر بالحي فيدعوهم فيردون عليه قوله فتتبعه أموالهم فيصبحون ممحلين ليس لهم من أموالهم شيء ، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ـ قال ـ ويأمر برجل فيقتل فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل اليه فبيناهم على ذلك اذ

وقرأ الآخرون بالتخفيف ﴿ يأجوج ومأجوج ﴾ بريد فتح السد عن يأجوج ومأجوج ﴿ وهم من كل حدب ﴾ أي نشز وتل والحدب المكان المرتفع ﴿ ينسلون ﴾ يسرعون النزول من الآكام والتلاع كنسلان الذئب وهو سرعة مشيه واختلفوا في هذه الكناية فقال قوم عني بها يأجوج ومأجوج بدليل مارويناعن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ أنه قال « يبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون » وقال قوم أراد جميع الخلق يعني أنهم يخرجو من قبورهم ويدل عليه قراءة مجاهد وهم من كل جدث بالجيم والثاء كما قال (فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون) اخبرنا اسماعيل بن عبدالقاهر الجرجاني أنا عبدالغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن

بعث الله عز وجل المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا يديه على أجنحة ملكين فيتبعه فيدركه فيقتله عند باب لد الشرقي. قال. فبيناهم كذلك اذ أوحى الله عز وجل الى عيسى بن مريم عليه السلام انى قد أخرجت عباداً من عبادي لايدان لك بقتالهم فحرز عبادي الى الطور فيبعث الله عز وجل يأجوج ومأجوج كما قال تعالى (وهم من كل حدب ينسلون) فيرغب عيسى وأصحابه الى الله عز وجل فيرسل عليهم نغفا في رقابهم فيصبحون موتى كموت نفس واحدة فيهبط عيسى وأصحابه فلا يجدون في الارض بيتا الا قد ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب عيسى واصحابه الى الله عز وجل فيرسل الله عليهم طيراً كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله » قال ابن جابر فحدثني عطاء بن يزيد السكسكي عن كعب أو غيره قال فتطرحهم بالمهيل. قال ابن جابر فقلت يا أبا يزيد وأين المهيل قال مطلع الشمس قال« ويرسل الله مطراً لايكن منه بيت مدر ولاوبر أربعين يوما فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ويقال للارض انبتي ثمرك ودري بركتك قال فيومئذ يأكل النفر من الرمانة فيستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر تكفي الفخذ « والشاة من الغنم تكفي أهل البيت ، قال فبيناهم على ذلك إذ بعث الله عز وجل ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم - أو قال مؤمن - ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر وعليهم تقوم الساعة » انفرد باخراجه مسلم دون البخاري ورواه مع بقية أهل السنن من طرق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به وقال الترمذي حسن صحيح

﴿ الحديث الثالث ﴾ قال الامام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو عن ابن حرملة عن خالته قالت : خطب رسول الله ﷺ وهو عاصب أصبعه من لدغة عقرب فقال « انكم تقولون لاعدو لكم وإنكم لاتزالون تقاتلون عدواً حتى يأتي يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعاف من كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة « وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث محمد بن عمرو عن خالد بن عبدالله بن حرملة المدلجي عن خالة له عن النبي ﷺ فذكره مثله سواء.

﴿ الحديث الرابع ﴾ قد تقدم في آخر تفسير سورة الاعراف من رواية الامام أحمد عن هشيم عن العوام عن جبلة بن سحيم عن مرثد بن عمارة عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال

سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو خيثمة زهير بن حرب أنا سفيان بن عيينة عن فرات القزاز عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة فقال « ماتذكرون ؟ » قالوا نذكر الساعة قال « إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى المحشر

قوله تعالى ﴿ واقترب الوعد الحق ﴾ يعني القيامة قال الفراء وجماعة الواو في قوله واقترب مقحمة

« لقيت ليلة أسري بي ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ـ قال ـ فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم الى ابراهيم فقال لا علم لي بها ، فردوا أمرهم الى موسى فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى عيسى فقال أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله وفيما عهد إلي ربي أن الدجال خارج ومعي قضيبان فاذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله اذا رآني حتى ان الحجر والشجر يقول يا مسلم ان تحتي كافراً فتعال فاقتله قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس الى بلادهم وأوطانهم » قال فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطؤن بلادهم ولا يأتون على شيء الا أهلكوه ولا يمرون على ماء إلا شربوه قال ثم يرجع الناس الى أوطانهم يشكونهم فأدعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الارض من نتن ريحهم وينزل الله المطر فيجترف اجسادهم حتى يقذفهم في البحر ، ففيما عهد إلي ربي ان ذلك اذا كان كذلك أن الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلا أو نهاراً » ورواه ابن ماجه عن محمد بن بشار عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب به نحوه وزاد قال العوام ووجد تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) ورواه ابن جرير ههنا من حديث جبلة به والاحاديث في هذا كثيرة جداً والآثار عن السلف كذلك ، وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث معمر عن غير واحد عن حميد بن هلال عن أبي الصيف قال : قال كعب إذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج حفروا حتى يسمع الذين يلونهم قرع فؤسهم فاذا كان الليل القى الله على لسان رجل منهم يقول نجيء غدا فنخرج فيعيده الله كما كان فيجيئون من الغد فيجدونه قد أعاده الله كما كان فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم قرع فؤسهم فاذا كان الليل القى الله على لسان رجل منهم يقول نجيء غدا فنخرج ان شاء الله فيجيئون من الغد فيجدونه كما تركوه فيحفرون حتى يخرجوا فتمر الزمرة الاولى بالبحيرة فيشربون ماءها ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها ثم تمر الزمرة الثالثة فيقولون قد كان ههنا مرة ماء فيفر الناس منهم فلا يقوم لهم شيء ثم يرمون بسهامهم الى السماء فترجع اليهم مخضبة بالدماء فيقولون غلبنا أهل الارض وأهل السماء فيدعو عليهم عيسى بن مريم عليه السلام فيقول اللهم لا طاقة ولا يدين لنا بهم فاكفناهم بما شئت فيسلط الله عليهم دوداً يقال له النغف فيفرس رقابهم ويبعث الله عليهم طيراً تأخذهم بمناقيرها فتلقيهم في البحر ويبعث الله عينا يقال لها الحياة يطهر الله الارض وينبتها حتى إن الرمانة ليشبع منها السكن قيل وما

فمعناه حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق كما قال الله تعالى (فلما اسلما وتله للجبين وناديناه) أي ناديناه والدليل عليه ماروي عن حذيفة قال لو أن رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة . وقال قوم لا يجوز طرح الواو وجعلوا جواب حتى اذا فتحت في قوله ياويلنا فيكون مجاز الآية حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق قالوا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا . قوله (فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) وفي قوله هي ثلاثة اوجه أحدها انها كناية

السكن يا كعب؟ قال أهل البيت قال فبينما الناس كذلك إذ أتاهم الصريخ أن ذا السويقتين يريده قال فيبعث عيسى بن مريم طليعة سبعمائة أو بين السبعمائة والثمانمائة حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله ريحا يمانية طيبة فيقبض فيها روح كل مؤمن ثم يبقى عجاج الناس فيتسافدون كما تتسافد البهائم فمثل الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه متى تضع قال كعب فمن قال بعد قولي هذا شيئا أو بعد علي هذا شيئا فهو المتكلف وهذا من احسن سياقات كعب الاحبار لما شهد له من صحيح الاخبار ، وقد ثبت في الحديث أن عيسى بن مريم يحج البيت العتيق

وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمران عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « ليحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج» انفرد باخراجه البخاري. وقوله (واقترب الوعد الحق) يعني يوم القيامة إذا حصلت هذه الاهوال والزلازل والبلابل أزفت الساعة واقتربت فاذا كانت ووقعت قال الكافرون هذا يوم عسر ، ولهذا قال تعالى (فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) أي من شدة ما يشاهدونه من الامور العظام (ياويلنا) أي يقولون (ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا) أي في الدنيا (بل كنا ظالمين) يعترفون بظلمهم لانفسهم حيث لا ينفعهم ذلك

إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون (٩٨) لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون (٩٩) لهم فيها زفير وهم فيها لايسمعون (١٠٠) ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولـئك عنها مبعدون (١٠١) لايسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون (١٠٢) لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون (١٠٣)

يقول تعالى مخاطبا لاهل مكة من مشركي قريش ومن دان بدينهم من عبدة الاصنام والاوثان

عن الابصار ثم أظهر الابصار بيانا معناه فاذا الابصار شاخصة أبصار الذين كفروا والثاني ان هي تكون عماداً كقوله (فانها لاتعمى الابصار) والثالث أن يكون تمام الكلام عند قوله هي على معنى فاذا هي بارزة يعني من قربها كانها حاضرة ثم ابتدأ شاخصة أبصار الذين كفروا على تقديم الخبر على الابتداء مجازها أبصار الذين كفروا شاخصة قال الكلبي شخصت أبصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهوله يقولون ﴿ ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا ﴾ اليوم ﴿ بل كنا ظالمين ﴾ بوضعنا العبادة في غير موضعها ﴿ انكم ﴾ أيها المشركون ﴿ وما تعبدون من دون الله ﴾ يعني الاصنام ﴿ حصب

(إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم) قال ابن عباس أي وقودها يعني كقوله (وقودها الناس والحجارة) وقال ابن عباس أيضاً (حصب جهنم) يعني شجر جهنم * وفي رواية قال (حصب جهنم) يعني حطب جهنم بالزنجية وقال مجاهد وعكرمة وقتادة حطبها وهي كذلك في قراءة علي وعائشة رضي الله عنهما وقال الضحاك (حصب جهنم) أي ما يرمى به فيها وكذا قال غيره والجميع قريب وقوله [أنتم لها واردون] أي داخلون [لوكان هؤلاء آلهة ماوردوها] يعني لو كانت هذه الاصنام والانداد التي اتخذتموها من دون الله آلهة صحيحة لما وردوا النار ومادخلوها [وكل فيهاخالدون] أي العابدون ومعبوداتهم كلهم فيها خالدون لهم فيها زفير كما قال تعالى [لهم فيها زفير] وشهيق والزفير خروج أنفاسهم والشهيق ولوج أنفاسهم [وهم فيها لا يسمعون]

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا ابن فضيل حدثنا عبد الرحمن يعني المسعودي عن أبيه قال: قال ابن مسعود إذا بقي من يخلد في النار جعلوا في توابيت من نار فيها مسامير من نار فلا يرى أحد منهم أنه يعذب في النار غيره ثم تلا عبد الله [لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون] ورواه ابن جرير من حديث حجاج بن محمد عن المسعودي عن يونس بن حبان عن ابن مسعود فذكره * وقوله [ان الذين سبقت لهم منا الحسنى] قال عكرمة الرحمة وقال غيره السعادة [أولئك عنها مبعدون] لما ذكر تعالى أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله عطف بذكر السعداء من المؤمنين بالله ورسوله وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة واسلفوا الاعمال الصالحة في الدنيا كما قال تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) فكما أحسنوا العمل في الدنيا أحسن الله مآبهم وثوابهم ونجاهم من العذاب وحصل لهم جزيل الثواب فقال [أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها] أي حريقها في الاجساد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عمار حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن أبيه عن أبي عثمان الحريري عن أبي عثمان [لا يسمعون حسيسها] قال حيات على الصراط تلسعهم فاذا لسعتهم قال حس حس وقوله [وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون] فسلمهم من المحذور والمرهوب وحصل لهم المطلوب والمحبوب

جهنم ﴾ يعني وقودها، وقال مجاهد وقتادة حطبها والحصب في لغة أهل اليمن الحطب وقال عكرمة هذا الحطب بلغة الحبشة قال الضحاك يعني يرمون بهم في النار كما يرمى بالحصب وأصل الحصب الرمي قال الله عز وجل (أرسلنا عليهم حاصبا) أي ريحا ترميهم بحجارة وقرأ علي بن أبي طالب حطب جهنم ﴿ أنتم لها واردون ﴾ أي فيها داخلون ﴿ لو كان هؤلاء ﴾ يعني الاصنام ﴿ آلهة ﴾ على الحقيقة ﴿ ماوردوها ﴾ أي مادخل عابدوها النار ﴿ وكل فيها خالدون ﴾ يعني العابدين والمعبودين ﴿ لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ﴾ قال ابن مسعود في هذه الآية اذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن ليث بن أبي سليم عن ابن عم النعمان بن بشير عن النعمان بن بشير قال وسمر مع علي ذات ليلة فقرأ [إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون] قال أنا منهم وعمر منهم وعثمان منهم والزبير منهم وطلحة منهم وعبد الرحمن منهم أو قال سعد منهم قال وأقيمت الصلاة فقام وأظنه يجر ثوبه وهو يقول [لا يسمعون حسيسها] وقال شعبة عن أبي بشر عن يوسف المكي عن محمد بن حاطب قال سمعت عليا يقول في قوله [ان الذين سبقت لهم منا الحسنى] قال عثمان وأصحابه ، ورواه ابن أبي حاتم أيضاً ورواه ابن جرير من حديث يوسف بن سعد وليس بابن ماهك عن محمد بن حاطب عن علي فذكره ولفظه عثمان منهم ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله [ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون] فأولئك أولياء الله يمرون على الصراط مراً هو أسرع من البرق ويبقى الكفار فيها جثيا فهذا مطابق لما ذكرناه ، وقال آخرون بل نزلت استثناء من المعبودين وخرج منهم عزير والمسيح كما قال حجاج بن محمد الاعور عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس [إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون] ثم استثنى فقال [إن الذين سبقت لهم منا الحسنى] فيقال هم الملائكة وعيسى ونحو ذلك مما يعبد من دون الله عز وجل وكذا قال عكرمة والحسن وابن جريج وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله [ان الذين سبقت لهم منا الحسنى] قال نزلت في عيسى ابن مريم وعزير عليهما السلام

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسين بن عيسى بن ميسرة حدثنا أبو زهير حدثنا سعد ابن طريف عن الاصبغ عن علي في قوله (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) قال كل شيء يعبد من دون الله في النار إلا الشمس والقمر وعيسى بن مريم اسناده ضعيف وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (أولئك عنها مبعدون) قال عيسى وعزير والملائكة وقال الضحاك عيسى ومريم والملائكة والشمس والقمر وكذا روي عن سعيد بن جبير وأبي صالح وغير واحد ، وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثا غريبا جداً فقال حدثنا الفضل بن يعقوب المرجاني حدثنا سعيد بن مسلمة بن عبد الملك حدثنا الليث بن أبي سليم عن مغيث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى

ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى ثم تلك التوابيت في توابيت أخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى أحد منهم ان في النار أحداً يعذب غيره ثم استثني فقال ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴾ قال بعض أهل العلم إن ههنا بمعنى إلا معناه إلا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة ﴿ أولئك عنها مبعدون ﴾ قيل الآية عامة في كل من سبقت لهم من الله السعادة وقال أكثر المفسرين عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره وذلك أن رسول الله ﷺ دخل المسجد وصناديد قريش في الخطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون

أولئك عنها مبعدون) قال عيسى وعزير والملائكة وذكر بعضهم قصة بن الزبعرى ومناظرة المشركين قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن علي بن سهل حدثنا محمد بن حسن الانماطي حدثنا ابراهيم ابن محمد بن عرعرة حدثنا يزيد بن أبي حكيم حدثنا الحكم يعني ابن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال جاء عبد الله بن الزبعرى الى النبي ﷺ فقال تزعم ان الله أنزل عليك هذه الآية (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) فقال ابن الزبعرى قد عبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسى بن مريم كل هؤلاء في النار مع آلهتنا؟ فنزلت (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون) ثم نزلت (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) رواه الحافظ ابو عبدالله في كتابه الاحاديث المختارة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان يعني الثوري عن الاعمش عن أصحابه عن ابن عباس قال لما نزلت (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) قال المشركون فالملائكة وعزير وعيسى يعبدون من دون الله فنزلت (لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها) الآلهة التي يعبدون (وكل فيها خالدون) وروي عن ابن كدينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل ذلك وقال فنزلت (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) وقال محمد بن اسحاق بن يسار رحمه الله في كتاب السيرة وجلس رسول الله ﷺ فيما بلغني يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المسجد غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه وتلا عليه وعليهم (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون — الى قوله — وهم فيها لايسمعون) ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبدالله بن الزبعرى السهمي حتى جلس معهم فقال الوليد ابن المغيرة لعبدالله بن الزبعرى والله ماقام النضر بن الحارث لابن عبدالمطلب آنفا ولا قعد وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم. فقال عبدالله بن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمداً كل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن

صنما فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله ﷺ حتى افحمه ثم تلا عليه (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها) الآيات الثلاث ثم قام فاقبل عبدالله بن الزبعرى السهمي فاخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله ﷺ فقال عبدالله أما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله ﷺ فقال له ابن الزبعرى أأنت قلت إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم؟ قال «نعم» قال أليست اليهود تعبد عزيراً والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح تعبد الملائكة فقال النبي ﷺ «بل هم يعبدون الشياطين» فانزل الله عز وجل (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) يعني عزيراً

الزبعرى ورأوا انه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده انهم انما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته » وأنزل الله (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون) أي عيسى وعزير ومن عبدوا من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وانهم بنات الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون — الى قوله — ومن يقل منهم اني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) ونزل فيما ذكر من أمر عيسى وانه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون * وقالوا أآلهتنا خير أم هو ماضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون * ان هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل * ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون * وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها) أي ما وضعت على يديه من الآيات من احياء الموتى وابراء الاسقام فكفى به دليلا على علم الساعة يقول (فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم) وهذا الذي قاله ابن الزبعرى خطأ كبير لان الآية انما نزلت خطابا لاهل مكة في عبادتهم الاصنام التي هي جماد لا تعقل ليكون ذلك تقريعاً وتوبيخا لعابديها ولهذا قال (انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم) فكيف يورد على هذا المسيح والعزير ونحوهما ممن له عمل صالح ولم يرض بعبادة من عبده ، وعول ابن جرير في تفسيره في الجواب على ان مالما لا يعقل عند العرب وقد أسلم عبدالله بن الزبعري بعد ذلك وكان من الشعراء المشهورين * وقد كان يهاجي المسلمين أولا ثم قال معتذراً

يارسول المليك ان لساني   راتق مافتقت اذ أنا بور
اذ أجاري الشيطان في سنن الغي   ومن مال ميله مثبور

وقوله (لايحزنهم الفزع الاكبر) قيل المراد بذلك الموت رواه عبدالرزاق عن يحي بن ربيعة عن عطاء وقيل المراد بالفزع الاكبر النفخة في الصور قاله العوفي عن ابن عباس وابو سنان سعيد بن

والمسيح والملائكة (أولئك عنها مبعدون) وانزل في ابن الزبعرى (ماضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) وزعم جماعة أن المراد من الآية الاصنام لأن الله تعالى قال (وما تعبدون من دون الله) ولو أراد الملائكة والناس لقال ومن تعبدون من دون الله (لا يسمعون حسيسها) يعني صوتها وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم في الجنة والحس والحسيس الصوت الخفي (وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون) مقيمون كما قال (وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين) (لا يحزنهم الفزع الاكبر) قال ابن عباس الفزع الاكبر النفخة الاخيرة بدليل قوله عز وجل (ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض) قال الحسن حين يؤمر بالعبد الى النار قال ابن جريج حين يذبح الموت وينادى يا أهل الجنة خلود

سنان الشيباني واختاره ابن جرير في تفسيره وقيل حين يؤمر بالعبد إلى النار قاله الحسن البصري وقيل حين تطبق النار على أهلها قاله سعيد بن جبير وابن جريج وقيل حين يذبح الموت بين الجنة والنار قاله ابو بكر الهذلي فيما رواه ابن أبي حاتم عنه . وقوله (وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) يعني تقول لهم الملائكة تبشرهم يوم معادهم اذا خرجوا من قبورهم (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي فأملوا مايسركم

يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فعلين (١٠٤)

يقول تعالى هذا كائن يوم القيامة (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب) كما قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) وقد قال البخاري حدثنا مقدم بن محمد حدثني عمي القاسم بن يحيى عن عبيدالله عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال « ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السماء بيمينه » انفرد به من هذا الوجه البخاري رحمه الله

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن احمد بن الحجاج الرقي حدثنا محمد بن سلمة عن أبي الواصل عن أبي المليح الازدي عن أبي الجوزاء الازدي عن ابن عباس قال: يطوي الله السموات السبع بما فيها من الخليقة والارضين السبع بما فيها من الخليقة يطوي ذلك كله بيمينه يكون ذلك كله في يده بمنزلة خردلة. وقوله (كطي السجل للكتب) قيل المراد بالسجل الكتاب « وقيل المراد بالسجل ههنا ملك من الملائكة . قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء حدثنا يحيى ابن يمان حدثنا ابو الوفاء الاشجعي عن أبيه عن ابن عمر في قوله تعالى (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب) . قال السجل ملك فاذا صعد بالاستغفار قال ا كتبها نوراً وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن يمان به . قال ابن أبي حاتم وروي عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ان السجل ملك « وقال السدي في هذه الآية السجل ملك موكل بالصحف فاذا مات الانسان

فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت وقال سعيد بن جبير والضحاك هو أن تطبق عليهم جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجه ﴿ وتتلقاهم الملائكة ﴾ أي تستقبلهم الملائكة على ابواب الجنة يهنؤنهم ويقولون ﴿ هذا يومكم الذي كنتم توعدون* يوم نطوي السماء ﴾ قرأ أبو جعفر تطوى السماء بالتاء وضمها وفتح الواو والسماء رفع على المجهول وقرأ العامة بالنون وفتحها وكسر الواو والسماء نصب ﴿ كطي السجل للكتب ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم للكتب على الجمع وقرأ الآخرون للكتاب على الواحد واختلفوا في السجل فقال السدي السجل ملك يكتب اعمال العباد وقال آخرون

دفع كتابه إلى السجل فطواه ورفعه إلى يوم القيامة ، وقيل المراد به اسم رجل صحابي كان يكتب للنبي ﷺ الوحي . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا نوح بن قيس عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب) قال السجل هو الرجل . قال نوح وأخبرني يزيد بن كعب هو العودي عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : السجل كاتب للنبي ﷺ ، وهكذا رواه أبو داود والنسائي كلاهما عن قتيبة بن سعيد عن نوح بن قيس عن يزيد بن كعب عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : السجل كاتب للنبي ﷺ ورواه ابن جرير عن نصر بن علي الجهضمي كما تقدم ورواه ابن عدي من رواية يحيى ابن عمرو بن مالك البكري عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال كان لرسول الله ﷺ كاتب يسمى السجل وهو قوله (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب) قال كما يطوي السجل الكتاب كذلك تطوى السماء ثم قال وهو غير محفوظ

وقال الخطيب البغدادي في تاريخه أنبأنا أبو بكر البرقاني أنبأنا محمد بن محمد بن يعقوب الحجاجي أنبأنا أحمد بن الحسين الكرخي أن حمدان بن سعيد حدثهم عن عبدالله بن نمير عن عبيدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال السجل كاتب للنبي ﷺ وهذا منكر جداً من حديث نافع عن ابن عمر لا يصح أصلا وكذلك ما تقدم عن ابن عباس من رواية أبي داود وغيره لا يصح أيضاً . وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه وإن كان في سنن أبي داود منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزي فسح الله في عمره ، ونسأ في أجله ، وختم له بصالح عمله . وقد أفردت لهذا الحديث جزءاً على حدته ولله الحمد

وقد تصدى الامام أبو جعفر ابن جرير للانكار على هذا الحديث ورده أتم رد وقال: لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل وكتّاب النبي ﷺ معروفون وليس فيهم أحد اسمه السجل ، وصدق رحمه الله في ذلك وهو من أقوى الادلة على نكارة هذا الحديث ، وأما من ذكره في أسماء الصحابة فانما اعتمد على هذا الحديث لا على غيره والله أعلم

والصحيح عن ابن عباس ان السجل هي الصحيفة قاله علي بن أبي طلحة والعوفي عنه ونص على ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير لأنه المعروف في اللغة فعلى هذا يكون معنى الكلام

هو الصحيفة التي يكتب فيها وقال ابن جريج نختار هذا القول لأن ذلك هو المعروف ولا نعرف للنبي صلى الله عليه وسلم كاتبا اسمه السجل ولا في الملائكة ملك كذلك اسمه السجل واللام زائدة أي كطي السجل للكتب كقوله ردف لكم اللام فيه زائدة وقال ابن عباس ومجاهد والاكثرون السجل الصحيفة للكتب أي لاجل ما كتب معناه كطي الصحيفة على مكتوبها والسجل اسم مشتق من المساجلة وهي المكاتبة والطي الدرج الذي هو ضد النشر ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ أي كما بدأناهم في بطون امهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة نظيره قوله تعالى (ولقد جئتمونا

(يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب) أي على الكتاب بمعنى المكتوب كقوله (فلما أسلما وتله للجبين) أي على الجبين ، وله نظائر في اللغة والله أعلم

وقوله (كما بدأنا اول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين) يعني هذا كائن لا محالة يوم يعيد الله الخلائق خلقا جديداً كما بدأهم هو القادر على إعادتهم وذلك واجب الوقوع لانه من جملة وعد الله الذي لا يخلف ولا يبدل وهو القادر على ذلك ولهذا قال (انا كنا فاعلين) وقال الامام أحمد حدثنا وكيع وابو جعفر وعبيدة العمي قالوا حدثنا شعبة عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال « انكم محشورون إلى الله عزوجل حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين » وذكر تمام الحديث أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة ذكره البخاري عند هذه الآية في كتابه ، وقد روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن عائشة عن رسول الله ﷺ نحو ذلك ، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (كما بدأنا أول خلق نعيده) قال : يهلك كل شيء كما كان أول مرة

ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون (١٠٥) ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين (١٠٦) وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (١٠٧)

يقول تعالى مخبراً عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين من السعادة في الدنيا والآخرة ووراثة الارض في الدنيا والآخرة كقوله تعالى (إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) وقال (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) وقال (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وأخبر تعالى ان هذا مسطور في الكتب الشرعية والقدرية وهو كائن لا محالة ولهذا قال تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) قال الاعمش : سألت سعيد بن جبير عن قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) فقال الزبور التوراة والانجيل والقرآن ، وقال مجاهد الزبور الكتاب ، وقال ابن عباس والشعبي والحسن وقتادة وغير واحد : الزبور الذي أنزل على داود والذكر التوراة ، وعن ابن عباس الذكر القرآن ، وقال سعيد بن جبير الذكر الذي في السماء ، وقال مجاهد الزبور الكتب بعد الذكر والذكر أم الكتاب عند الله واختار ذلك ابن جرير رحمه الله وكذا قال زيد ابن أسلم هو الكتاب الاول « وقال الثوري هو اللوح المحفوظ « وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الزبور

فرادى كما خلقناكم أول مرة) وروى عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « إنكم محشورون حفاة عراة غرلا » ثم قرأ (كما بدأنا أول خلق نعيده) ﴿ وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ يعني الاعادة والبعث

قوله تعالى ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ﴾ قال سعيد بن جبير ومجاهد الزبور جميع الكتب المنزلة والذكر أم الكتاب الذي عنده والمعنى من بعد ما كتب ذكره في اللوح المحفوظ وقال

الكتب التي أنزلت على الانبياء والذكر أم الكتاب الذي يكتب فيه الاشياء قبل ذلك ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أخبر الله سبحانه وتعالى في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والارض أن يورث أمة محمد ﷺ الارض ويدخلهم الجنة وهم الصالحون

وقال مجاهد عن ابن عباس (أن الارض يرثها عبادي الصالحون) قال أرض الجنة وكذا قال أبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير والشعبي وقتادة والسدي وأبو صالح والربيع بن انس والثوري « وقال أبو الدرداء نحن الصالحون وقال السدي هم المؤمنون . وقوله (ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين) أي ان في هذا القرآن الذي انزلناه على عبدنا محمد ﷺ لبلاغا لمنفعة وكفاية لقوم عابدين وهم الذين عبدوا الله بما شرعه وأحبه ورضيه وآثروا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات أنفسهم

وقوله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) يخبر تعالى ان الله جعل محمداً ﷺ رحمة للعالمين أي أرسله رحمة لهم كلهم فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ومن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة كما قال تعالى (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها فبئس القرار) وقال تعالى في صفة القرآن (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد)

وقال مسلم في صحيحه حدثنا ابن أبي عمر حدثنا مروان الفزاري عن يزيد بن كيسان عن ابن ابي حازم عن أبي هريرة قال قيل يارسول الله ادع على المشركين قال « اني لم أبعث لعانا وانما بعثت رحمة » انفرد باخراجه مسلم وفي الحديث الآخر « انما أنا رحمة مهداة » رواه عبدالله بن أبي عوانة وغيره عن وكيع عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا. قال ابراهيم الحربي وقد رواه غيره عن وكيع فلم يذكر أبا هريرة. وكذا قال البخاري وقد سئل عن هذا الحديث فقال كان عند حفص بن غياث مرسلا . قال الحافظ بن عساكر وقد رواه مالك بن سعير بن الخمس عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا ثم ساقه من طريق أبي بكر بن المقري وأبي احمد الحاكم كلاهما عن بكر ابن محمد بن ابراهيم الصوفي حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري عن أبي أسامة عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « انما أنا رحمة مهداة » ثم أورده من طريق الصلت بن مسعود عن سفيان بن عيينة عن مسعر عن سعيد بن خالد عن رجل عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله بعثني رحمة مهداة بعثت برفع قوم وخفض آخرين »

ابن عباس والضحاك الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقال الشعبي الزبور كتاب داود والذكر التوراة وقيل الزبور زبور داود والذكر القرآن وبعد بمعنى قبل كقوله تعالى (وكان وراءهم ملك) أي أمامهم (والارض بعد ذلك دحاها) قبله ﴿ أن الارض ﴾ يعني ارض الجنة ﴿ يرثها عبادي الصالحون ﴾ قال مجاهد يعني أمة محمد ﷺ دليله قوله تعالى (الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا

قال ابو القاسم الطبراني حدثنا احمد بن محمد بن نافع الطحان حدثنا احمد بن صالح قال وجدت كتابا بالمدينة عن عبدالعزيز الدراوردي وابراهيم بن محمد بن عمر بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عمرو بن عوف عن محمد بن صالح التمار عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال، قال ابو جهل حين قدم مكة منصرفه عن حمزة يامعشر قريش ان محمدا نزل يثرب وأرسل طلائعه وانما يريد أن يصيب منكم شيئا فاحذروا أن تمروا طريقه او تقاربوه فانه كالاسد الضاري انه حنق عليكم لانكم نفيتموه نفي القردان عن المناسم والله ان له لسحرة مارأيته قط ولا أحدا من أصحابه الا رأيت معهم الشياطين وانكم قد عرفتم عداوة ابني قيلة يعني الاوس والخزرج فهو عدو استعان بعدو فقال له مطعم بن عدي يا أبا الحكم والله ما رأيت أحدا أصدق لسانا ولا أصدق موعدا من أخيكم الذي طردتم واذ فعلتم الذي فعلتم فكونوا أكف الناس عنه قال ابو سفيان بن الحارث كونوا أشد ما كنتم عليه إن ابني قيلة ان ظفروا بكم لم يرقبوا فيكم الاولاذمة وان أطعتموني الجأتموهم حير كنانة أو تخرجوا محمداً من بين ظهرانيهم فيكون وحيداً مطرودا ، وأما ابنا قيلة فوالله ماهما وأهل دهلك في المذلة الاسواء، وسأكفيكم حدهم وقال

سأمنح جانبا مني غليظا ... على ما كان من قرب وبعد
رجال الخزرجية أهل ذل ... اذا ما كان هزل بعد جد

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال « والذي نفسي بيده لاقتلنهم ولاصلبنهم ولاهدينهم وهم كارهون اني رحمة بعثني الله ولا يتوفاني حتى يظهر الله دينه لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب » وقال احمد بن صالح أرجو أن يكون الحديث صحيحاً

وقال الامام احمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثني عمرو بن قيس عن عمرو بن أبي قرة الكندي قال كان حذيفة بالمدائن فكان يذكر أشياء قالها رسول الله ﷺ فجاء حذيفة إلى سلمان فقال سلمان ياحذيفة ان رسول الله ﷺ خطب فقال « أيما رجل سببته في غضبي او لعنته لعنة فانما أنا رجل من ولد آدم أغضب كما تغضبون وانما بعثني الله رحمة للعالمين فاجعلها صلاة عليه يوم القيامة » ورواه ابو داود عن احمد بن يونس عن زائدة فان قيل فاي رحمة حصلت لمن كفر به؟ فالجواب ماروأه ابو جعفر بن جرير حدثنا إسحاق بن شاهين حدثنا إسحاق الازرق عن المسعودي عن رجل يقال له سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قال من آمن بالله

الارض) وقال ابن عباس أراد أن أراضي الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل أراد بالارض الارض المقدسة ﴿ ان في هذا ﴾ أي في هذا القرآن ﴿ لبلاغا ﴾ وصولا الى البغية أي من اتبع القرآن وعمل به وصل الى مايرجوه من الثواب وقيل بلاغا أي كفاية يقال في هذا الشيء بلاغ وبلغة أي كفاية والقرآن زاد الجنة كبلاغ المسافر ﴿ لقوم عابدين ﴾ أي

واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الامم من الخسف والقذف وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث المسعودي عن أبي سعد وهو سعيد بن المرزبان البقال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره بنحوه والله أعلم ، وقد رواه ابو القاسم الطبراني عن عبدان بن احمد عن عيسى بن يونس الرملي عن ايوب بن سويد عن المسعودي عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) قال من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يتبعه عوفي مما كان يبتلي به سائر الامم من الخسف والمسخ والقذف

قل انما يوحى الي أنما إلهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون (١٠٨) فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان أدري أقريب أم بعيد ماتوعدون (١٠٩) انه يعلم الجهر من القول ويعلم ماتكتمون (١١٠) وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين (١١١) قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون (١١٢)

يقول تعالى آمرا رسوله صلوات الله وسلامه عليه أن يقول للمشركين (انما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون) أي متبعون على ذلك مستسلمون منقادون له (فان تولوا) أي تركوا مادعوتهم اليه (فقل آذنتكم على سواء) أي أعلمتكم اني حرب لكم كما انكم حرب لي بريء منكم كما أنتم براء مني كقوله (فان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) وقال (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء) أي ليكن علمك وعلمهم بنبذ العهود على السواء وهكذا ههنا (فان تولوا فقل آذنتكم على سواء) أي أعلمتكم ببراءتي منكم وبراءتكم مني لعلمي بذلك . وقوله (وان أدري أقريب أم بعيد ماتوعدون) أي هو واقع لا محالة ولكن

المؤمنين الذين يعبدون الله وقال ابن عباس عالمين وقال كعب الاحبار هم أمة محمد ﷺ أهل الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان ﴿ وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ قال ابن زيد يعني رحمة للمؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنهم ورفع المسخ والخسف والاستئصال عنهم وقد قال النبي ﷺ « إنما أنا رحمة مهداة » ﴿ قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل انتم مسلمون ﴾ أي اسلموا ﴿ فان تولوا فقل آذنتكم ﴾ أي اعلمتكم بالحرب وأن لاصلح بيننا ﴿ على سواء ﴾ يعني انذرا بينا نستوي في علمه لا أستبد أنا به دونكم لتتأهبوا لما يراد بكم يعني آذنتكم على وجه نستوي نحن وانتم في العلم به وقيل لتستووا في الايمان به ﴿ وان أدري ﴾ يعني وما أعلم ﴿ أقريب أم

لاعلم لي بقربه ولا ببعده (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ماتكتمون) أي ان الله يعلم الغيب جميعه ويعلم مايظهره العباد وما يسرون يعلم الظواهر والضمائر ويعلم السر وأخفى ويعلم ما العباد عاملون في اجهارهم وأسرارهم وسيجزيهم على ذلك القليل والجليل

وقوله (وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين) أي وما أدري لعل هذا فتنة لكم ومتاع الى حين قال ابن جرير لعل تأخير ذلك عنكم فتنة لكم ومتاع إلى أجل مسمى وحكاه عون عن ابن عباس فالله أعلم (قال رب احكم بالحق) اي افصل بيننا وبين قومنا المكذبين بالحق . قال قتادة كانت الانبياء عليهم السلام يقولون (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) وأمر رسول الله ﷺ أن يقول ذلك ، وعن مالك عن زيد بن أسلم كان رسول الله ﷺ اذا شهد غزاة قال « رب احكم بالحق» وقوله (وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون) أي على مايقولون ويفترون من الكذب ويتنوعون في مقامات التكذيب والافك والله المستعان عليكم في ذلك .

آخر تفسير سورة الانبياء عليهم السلام

ولله الحمد والمنة

بعيد ماتوعدون ﴾ يعني القيامة ﴿ إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ماتكتمون « وان ادري لعله ﴾ يعني لعل تأخير العذاب عنكم كناية عن غير مذكور ﴿ فتنة ﴾ اختبار ﴿ لكم ﴾ ليرى كيف صنيعكم وهو أعلم ﴿ ومتاع الى حين يعني تتمتعون الى انقضاء آجالكم ﴿ قال رب احكم بالحق قرأ حفص عن عاصم قال رب احكم وقرأ الآخرون قل رب احكم يعني افصل بيني وبين من كذبني بالحق، فان قيل كيف قال احكم بالحق والله لا يحكم إلا بالحق؟ قيل الحق ههنا بمعنى العذاب لأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر نظيره قوله تعالى (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) قال أهل المعاني معناه رب احكم بحكمك الحق فحذف الحكم واقيم الحق مقامه والله تعالى يحكم بالحق طلب منه أولم يطالب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب في حكمه الحق ﴿ وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ﴾ من الكذب والباطل

تفسير سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم (١) يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كلُّ ذات حمل حملها وترى الناس سُكارى وماهم بسكارى ولٰكن عذاب الله شديد (٢)

يقول تعالى آمراً عباده بتقواه ومخبراً لهم بما يستقبلون من أهوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها، وقد اختلف المفسرون في زلزلة الساعة هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم الى عرصات القيامة او ذلك عبارة عن زلزلة الارض قبل قيام الناس من أجداثهم كما قال تعالى (اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض اثقالها) وقال تعالى (وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة) الآية وقال تعالى (إذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا) الآية فقال قائلون هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا وأول أحوال الساعة ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا ابن يحيي حدثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة في قوله (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) قال قبل الساعة . ورواه ابن أبي حاتم من حديث الثوري عن منصور والاعمش عن ابراهيم عن علقمة فذكره ، قال وروي عن الشعبي وابراهيم وعبيد بن عمير نحو ذلك وقال ابو كدينة عن عطاء عن عامر الشعبي (ياأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم) قال هـذا في الدنيا قبل يوم القيامة » وقد روى الامام أبو جعفر بن جرير مستند من قال ذلك في حديث الصور من رواية اسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة عن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الانصار عن محمد بن كعب القرظي عن رجل عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله لما فرغ من

(تفسير سورة الحج)

مكية إلا (ومن الناس من يعبد الله) الآيتين أو إلا (هذان خصمان) الست آيات فمدنيات وهي أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم ﴾ أي احذروا عقابه بطاعته ﴿ ان زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ والزلزلة والزلزال شدة الحركة على الحالة الهائلة واختلفوا في هذه الزلزلة فقال علقمة والشعبي هي من اشراط الساعة وقيل قيام الساعة وقال الحسن والسدي هذه الزلزلة تكون يوم القيامة وقال ابن عباس زلزلة

خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال أبو هريرة يارسول الله وما الصور؟ قال قرن قال فكيف هو؟ قال « قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله إسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الارض الا من شاء الله ويأمره فيمدها ويطولها ولا يفتر وهي التي يقول الله تعالى وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق فتسير الجبال فتكون ترابا وترج الارض بأهلها رجا وهي التي يقول الله تعالى (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة) فتكون الارض كالسفينة الموبقة في البحر تضربها الامواج تكفؤها بأهلها وكالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الارواح فيمتد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الاقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولى الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهي التي يقول الله تعالى (يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد) فبينماهم على ذلك إذ انصدعت الارض من قطر إلى قطر ورأوا أمراً عظيما فأخذهم لذلك من الكرب ماالله أعلم به ثم نظروا إلى السماء فاذا هي كالمهل، ثم خسف شمسها وقمرها وانتثرت نجومها ثم كشطت عنهم قال رسول الله ﷺ « والاموات لايعلمون بشيء من ذلك » قال أبو هريرة فمن استثنى الله حين يقول (ففزع من في السموات والارض إلا من شاء الله)قال « أولئك الشهداء وإنما يصل الفزع الى الاحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ووقاهم الله شر ذلك اليوم وآمنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه وهو الذي يقول الله (يأأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) وهذا الحديث قد رواه الطبراني وابن جرير وابن أبي حاتم وغير واحد مطولا جداً والغرض منه أنه دل على أن هذه الزلزلة كائنة قبل يوم الساعة أضيفت إلى الساعة لقربها منها كما يقال اشراط الساعة ونحو

الساعة قيامها فتكون معها ﴿ يوم ترونها ﴾ يعني الساعة وقيل الزلزلة ﴿ تذهل ﴾ قال ابن عباس تشغل وقيل تنسى يقال ذهلت عن كذا اذا تركته واشتغلت بغيره عنه ﴿ كل مرضعة عما ارضعت ﴾ أي كل امرأة معها ولد ترضعه يقال امرأة مرضع بلا ها اذا اريد به الصفة مثل حائض وحامل فاذا أرادوا الفعل ادخلوا الهاء ﴿ وتضع كل ذات حمل حملها ﴾ أي تسقط ولدها من هول ذلك اليوم قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل مافي بطنها بغير تمام وهذا يدل على أن هذه الزلزلة تكون في الدنيا لان بعد البعث لايكون حمل ومن قال تكون في القيامة قال هذا على وجه تعظيم الامر لاعلى حقيقته كقولهم أصابنا امر يشيب منه الوليد يريد به شدته ﴿ وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ﴾ قرأ حمزة والكسائي سكرى وماهم بسكرى بلا ألف وهما لغتان في جمع السكران مثل

ذلك والله أعلم « وقال آخرون بل ذلك هول وفزع وزلزال وبلبال كائن يوم القيامة في العرصات بعد القيام من القبور واختار ذلك ابن جرير واحتجوا بأحاديث

﴿الاول﴾ قال الامام أحمد حدثنا يحيي عن هشام حدثنا قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال وهو في بعض اسفاره وقد تقارب من أصحاب السير رفع بهاتين الآيتين صوته (يأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فلما سمع أصحابه بذلك حثوا المطي وعرفوا أنه عند قول يقوله فلما دنوا حوله قال « أتدرون أي يوم ذاك يوم ينادي آدم عليه السلام فيناديه ربه عز وجل فيقول يا آدم ابعث بعثك الى النار فيقول يارب وما بعث النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة » قال فابلس أصحابه حتي ما أوضحوا أيضا حكة فلما رأى ذلك قال « ابشروا واعملوا فوالذي نفس محمد بيده انكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء قط الا كثرتاه يأجوج ومأجوج ومن هلك من بني آدم وبني ابليس » قال فسري عنهم ثم قال « اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ماأنتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير أوالرقمة في ذراع الدابة » وهكذا رواه الترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننيهما عن محمد بن بشار عن يحيي وهو القطان عن هشام وهو الدستوائي عن قتادة به بنحوه وقال الترمذي حسن صحيح

﴿طريق آخر﴾ لهذا الحديث قال الترمذي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا ابن جدعان عن الحسن عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال لما نزلت (يأيها الناس اتقوا ربكم الى قوله - ولكن عذاب الله شديد) قال نزلت عليه هذه الآية وهو في سفر فقال « أتدرون أي يوم ذلك » - قالوا الله ورسوله أعلم قال - ذلك يوم يقول الله لآدم ابعث بعث النار قال يارب وما بعث النار قال قال تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة » فانشأ المسلمون يبكون فقال رسول الله ﷺ « قاربوا وسددوا فانها لم تكن نبوة قط الا كان بين يديها جاهلية قال فيؤخذ العدد من الجاهلية

كسلى وكسالى قال الحسن معناه وترى الناس سكارى من الخوف وماهم بسكارى من الشراب وقيل معناه وترى الناس كأنهم سكارى ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ اخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبوطاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر أنا ابراهيم ابن عبدالله بن عمر بن بكير الكوفي أنا وكيع عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم قم فابعث بعث النار من ولدك قال فيقول لبيك وسعديك ، والخير كله في يديك يارب وما بعث النار قال فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فحينئذ يشيب المولود وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » قال فيقولون وأينا ذلك الواحد » فقال رسول الله ﷺ « تسعمائة وتسعة

فان تمت والا كملت من المنافقين « وما مثلكم ومثل الامم الا كمثل الرقمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير - ثم قال - اني لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة - فكبروا ثم قال - إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة - فكبروا ثم قال - اني لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة « فكبروا ثم قال ولا أدري أقال الثلثين أم لا وكذا رواه الامام أحمد عن سفيان بن عيينة به ثم قال الترمذي أيضا هذا حديث صحيح وقد روي عن عروة عن الحسن عن عمران بن الحصين وقد رواه ابن أبي حاتم من حديث سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن والعلاء بن زياد العدوي عن عمران بن الحصين فذكره وهكذا روى ابن جرير عن بندار عن غندر عن عوف عن الحسن قال بلغني أن رسول الله ﷺ لما قفل من غزوة العسرة ومعه أصحابه بعد ما شارف المدينة قرأ (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم) وذكر الحديث فذكر نحو سياق ابن جدعان والله أعلم

﴿الحديث الثاني﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن الطباع حدثنا أبو سفيان يعني المعمري عن معمر عن قتادة عن أنس قال نزلت (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) وذكر يعني نحو سياق الحسن عن عمران غير أنه قال ومن هلك من كفرة الجن والانس ، ورواه ابن جرير بطوله من حديث معمر

﴿الحديث الثالث﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد يعني ابن العوام حدثنا هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال تلا رسول الله ﷺ هذه الآية فذكر نحوه ، وقال فيه « اني لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة - ثم قال - اني لارجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة - ثم قال - اني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة « ففرحوا وزاد أيضا « وانما أنتم جزء من ألف جزء »

﴿الحديث الرابع﴾ قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الاعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد قال : قال النبي ﷺ « يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم « فيقول لبيك ربنا وسعديك فينادي بصوت ان الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يارب وما بعث النار قال من كل ألف - أراه قال - تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب

وتسعون من يأجوج ومأجوج ومنكم واحد « فقال الناس الله اكبر فقال رسول الله ﷺ « والله إني لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ، والله إني لارجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة ، والله إني لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة « قال فكبر الناس فقال رسول الله ﷺ « ما أنتم يومئذ في الناس إلا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود أو كالشعرة السوداء في الثور الابيض » وروي عن عمران ابن حصين وأبي سعيد الخدري وغيرهما أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادى منادي رسول الله ﷺ فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله ﷺ فقرأها عليهم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة . فلما اصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا قدورا والناس مابين باك أو جالس حزين متفكر فقال رسول الله ﷺ « أتدرون أي يوم ذلك ؟ » قالوا الله ورسوله

الوليد (وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قال النبي ﷺ « من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود اني لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة - فكبرنا ثم قال - ثلث أهل الجنة - فكبرنا ثم قال - شطر أهل الجنة » فكبرنا وقد رواه البخاري أيضا في غير هذا الموضع ومسلم والنسائي في تفسيره من طرق عن الاعمش به

﴿ الحديث الخامس ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عمارة بن محمد بن أخت سفيان الثوري وعبيدة العمى كلاهما عن ابراهيم بن مسلم عن أبي الاحوص عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله يبعث يوم القيامة مناديا يا آدم ان الله يأمرك أن تبعث بعثا من ذريتك الى النار فيقول آدم يارب من هم فيقال له من كل مائة تسعة وتسعون » فقال رجل من القوم من هذا الناجي منا بعد هذا يا رسول الله؟ قال « هل تدرون ما أنتم في الناس إلا كالشامة في صدر البعير » انفرد بهذا السند وهذا السياق الامام أحمد .

﴿ الحديث السادس ﴾ قال الامام أحمد حدثنا يحيى عن حاتم بن أبي صغيرة حدثنا ابن أبي مليكة أن القاسم بن محمد أخبره عن عائشة عن النبي ﷺ قال « انكم تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا » قالت عائشة يارسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم الى بعض قال ياعائشة ان الأمر أشد من أن يهمهم ذاك » أخرجاه في الصحيحين

﴿ الحديث السابع ﴾ قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت : قلت يارسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال « ياعائشة أما عند ثلاث فلا أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا ، وأما عند تطاير الكتب إما يعطى بيمينه وإما يعطى بشماله فلا ، وحين يخرج عنق من النار فيطوى عليهم ويتغيظ عليهم ويقول ذلك العنق : وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة ، وكلت بمن ادعى مع الله إلهاً آخر ، ووكلت بمن لا يؤمن

أعلم قال « ذاك يوم يقول الله لآدم قم فابعث بعث النار من ولدك قال فيقول آدم من كل كم فيقول الله عز وجل من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحداً الى الجنة » قال فكبر ذلك على المسلمين وبكوا وقالوا فمن ينجو اذاً يارسول الله فقال رسول الله ﷺ « ابشروا وسددوا وقاربوا فان معكم خليقتين ما كانتا في قوم إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج - ثم قال - إني لارجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة » فكبروا وحمدوا الله ثم قال « إني لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » فكبروا وحمدوا الله ثم قال « إني لارجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة وان أهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون منها امتي وما المسلمون في الكفار إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة بل كالشعرة السوداء في الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الاسود - ثم قال - ويدخل من امتي سبعون الفا الجنة

يوم الحساب « ووكلت بكل جبار عنيد — قال — فينطوي عليهم ويرميهم في غمرات جهنم ولجهنم جسر أرق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك يأخذان من شاء الله ، والناس عليه كالبرق وكالطرف وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب والملائكة يقولون « يا رب سلم سلم ، فناج مسلم ومخدوش مسلم ، ومكور في النار على وجهه » والاحاديث في أهوال يوم القيامة والآثار كثيرة جداً لها موضع آخر ولهذا قال تعالى (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) أي أمر عظيم ، وخطب جليل « وطارق مفظع ، وحادث هائل ، وكائن عجيب ، والزلزال هو مايحصل للنفوس من الرعب والفزع كما قال تعالى (هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً)

ثم قال تعالى (يوم ترونها) هذا من باب ضمير الشأن ولهذا قال مفسراً له (تذهل كل مرضعة عما أرضعت) أي فتشتغل لهول ماترى عن أحب الناس إليها والتي هي أشفق الناس عليه تدهش عنه في حال إرضاعها له ولهذا قال (كل مرضعة) ولم يقل مرضع وقال (عما أرضعت) أي عن رضيعها قبل فطامه « وقوله (وتضع كل ذات حمل حملها) أي قبل تمامه لشدة الهول (وترى الناس سكارى) وقرىء (سكرى) أي من شدة الامر الذى قد صاروا فيه قد دهشت عقولهم « وغابت أذهانهم فمن رآهم حسب انهم سكارى (وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد (٣) كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه الى عذاب السعير (٤)

يقول تعالى ذاماً لمن كذب بالبعث وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى معرضاً عما أنزل الله على أنبيائه متبعاً في قوله وإنكاره وكفره كل شيطان مريد من الانس والجن وهذا حال أهل البدع والضلال المعرضين عن الحق المتبعين للباطل يتركون ماأنزله الله على رسوله من الحق المبين ، ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة الدعاة إلى البدع بالاهواء والآراء ولهذا قال في شأنهم وأشباههم (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) أى علم صحيح (ويتبع كل شيطان مريد « كتب عليه) قال مجاهد يعني الشيطان يعني كتب عليه كتابة قدرية (انه من تولاه) أى اتبعه وقلده (فانه يضله ويهديه إلى عذاب

بغير حساب « فقال عمر سبعون الفا « قال « نعم ومع كل واحد سبعون ألفا « فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله لي أن يجعلني منهم فقال رسول الله ﷺ « انت منهم - أو قال - اللهم اجعله منهم » فقام رجل منهم فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله ﷺ « سبقك بها عكاشة »

قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ﴾ نزلت في النضر بن الحارث وكان كثير الجدل وكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين وكان ينكر البعث واحياء من صار ترابا

قوله تعالى ﴿ ويتبع ﴾ أي يتبع في جداله في الله بغير علم ﴿ كل شيطان مريد ﴾ والمريد المتمرد

السعير) أى يضله في الدنيا ويقوده في الآخرة إلى عذاب السعير وهو الحار المؤلم المقلق المزعج، وقد قال السدى عن أبي مالك نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث وكذا قال ابن جريج

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن مسلم البصري حدثنا عمرو بن البختري أبو قتادة حدثنا المعتمر حدثنا أبو كعب المكي قال: قال خبيث من خبثاء قريش أخبرنا عن ربكم من ذهب هو أو من فضة هو أو من نحاس هو؟ فتقعقعت السماء قعقعة — والقعقعة في كلام العرب الرعد — فاذا قحف رأسه ساقط بين يديه، وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد: جاء يهودي فقال يامحمد أخبرني عن ربك من أى شيء هو من در أم من ياقوت؟ قال فجاءت صاعقة فأخذته

يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم، ونقر في الارحام مانشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا، وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج (٥) ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير (٦) وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور (٧)

لما ذكر تعالى المخالف للبعث المنكر للمعاد ذكر تعالى الدليل على قدرته تعالى على المعاد بما يشاهد من بدئه للخلق فقال (يا أيها الناس ان كنتم في ريب) أى في شك (من البعث) وهو المعاد « وقيام الارواح والاجساد » يوم القيامة (فانا خلقناكم من تراب) أى أصل برئه لكم من تراب وهو الذى خلق منه آدم عليه السلام (ثم من نطفة) أى ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (ثم من علقة ثم من مضغة) وذلك انه إذا استقرت النطفة في رحم المرأة مكثت أربعين يوما كذلك يضاف اليه ما يجتمع اليها ثم تنقلب علقة حمراء باذن الله فتمكث كذلك أربعين يوما ثم تستحيل فتصير مضغة قطعة من لحم لاشكل فيها ولا تخطيط ثم تشرع في التخطيط فيصور منها رأس ويدان وصدر وبطن وفخذان ورجلان

الغالي العاتي المستمر في الشر ﴿ كتب عليه ﴾ قضى على الشيطان ﴿ أنه من تولاه ﴾ اتبعه ﴿ فانه ﴾ يعني الشيطان ﴿ يضله ﴾ أي يضل من تولاه ﴿ ويهديه الى عذاب السعير ﴾ ثم الزم الحجة منكري البعث فقال ﴿ يا أيها الناس ان كنتم في ريب ﴾ يعني في شك ﴿ من البعث فانا خلقناكم ﴾ يعني أباكم آدم الذي هو أصل النسل ﴿ من تراب ثم من نطفة ﴾ يعني ذريته والنطفة هي المني وأصلها الماء القليل وجمعها نطاف ﴿ ثم من علقة ﴾ وهي الدم الغليظ المتجمد الطرى وجمعها علق وذلك أن النطفة تصير

وسائر الاعضاء ، فتارة تسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط وتارة تلقيها وقد صارت ذات شكل وتخطيط ولهذا قال تعالى (ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة) أي كما تشاهدونها (لنبين لكم ونقر في الارحام مانشاء إلى أجل مسمى) اى وتارة تستقر في الرحم لاتلقيها المرأة ولا تسقطها كما قال مجاهد في قوله تعالى (مخلقة وغير مخلقة) قال هو السقط مخلوق وغير مخلوق فاذا مضى عليها اربعون يوما وهي مضغة أرسل الله تعالى اليها ملكا فنفخ فيها الروح وسواها كما يشاء الله عز وجل من حسن وقبح وذكر وأنثى وكتب رزقها وأجلها وشقي أو سعيد كما ثبت في الصحيحين من حديث الاعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق « ان خلق أحدكم يجمع في بطن امه اربعين ليلة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح »

وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن عبدالله قال : النطفة إذا استقرت في الرحم جاءها ملك بكفه فقال يارب مخلقة اوغير مخلقة فان قيل غير مخلقة لم تكن نسمة وقذفتها الارحام دما وان قيل مخلقة قال أي رب ذكر او أنثى شقي او سعيد ما الاجل وما الاثر وبأي أرض يموت . قال فيقال للنطفة من ربك ؟ فتقول الله فيقال من رازقك ؟ فتقول الله فيقال له اذهب إلى الكتاب فانك ستجد فيه قصة هذه النطفة قال فتخلق فتعيش في أجلها وتأكل رزقها وتطأ أثرها حتى اذا جاء أجلها ماتت فدفنت في ذلك ثم تلا عامر الشعبي (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة) فاذا بلغت مضغة نكست في الخلق الرابع فكانت نسمة وإن كانت غير مخلقة قذفتها الارحام دما وان كانت مخلقة نكست نسمة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبدالله بن يزيد المقري حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد يبلغ به النبي ﷺ قال « يدخل الملك على النطفة بعد ماتستقر في الرحم بأربعين يوما او خمس وأربعين فيقول أي رب أشقي أم سعيد فيقول الله ويكتبان فيقول أذكر أم أنثى فيقول الله ويكتبان ويكتب عمله وأثره ورزقه وأجله ثم تطوى الصحف فلا يزاد على مافيها ولا ينتقص . ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة ومن طريق آخر عن أبي الطفيل بنحو معناه » وقوله

دما غليظا ثم تصير لحما ﴿ ثم من مضغة ﴾ وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ ﴿ مخلقة وغير مخلقة ﴾ قال ابن عباس وقتادة (مخلقة) أى تامة (وغير مخلقة) غير تامة أى ناقصة الخلق وقال مجاهد مصورة وغير مصورة يعني السقط وقيل المخلقة الولد الذى تأتي به المرأة لوقته وغير المخلقة السقط روي عن علقمة عن عبدالله ابن مسعود قال ان النطفة اذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه وقال أي رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك أى رب أذكر أم انثى أشقي

(ثم نخرجكم طفلا) أي ضعيفا في بدنه وسمعه وبصره وحواسه وبطشه وعقله ثم يعطيه الله القوة شيئا فشيئا ويلطف به ويحنن عليه والديه في آناء الليل وأطراف النهار ولهذا قال (ثم لتبلغوا أشدكم) أي يتكامل القوى ويتزايد ويصل الى عنفوان الشباب وحسن المنظر (ومنكم من يتوفى) أي في حال شبابه وقواه (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) وهو الشيخوخة والهرم وضعف القوة والعقل والفهم وتناقص الاحوال من الحزن وضعف الفكر ولهذا قال (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) كما قال تعالى (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق مايشاء وهو العليم القدير) وقد قال الحافظ ابو يعلى احمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده حدثنا منصور بن أبي عاصم حدثنا خالد الزيات حدثني داود ابو سليمان عن عبدالله بن عبدالرحمن بن معمر بن حزم الانصاري عن أنس بن مالك رفع الحديث قال « المولود حتى يبلغ الحنث ماعمل من حسنة كتبت لوالده أو لوالديه وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه فاذا بلغ الحنث أجرى الله عليه القلم أمر الملكان اللذان كانا معه أن يحفظا وأن يشددا فاذا بلغ أربعين سنة في الاسلام أمنه الله من البلايا الثلاث . الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ الخمسين خفف الله حسابه فاذا بلغ ستين رزقه الله الانابة اليه بما يحب فاذا بلغ السبعين أحبه أهل السماء فاذا بلغ الثمانين كتب الله حسناته وتجاوز عن سيئاته فاذا بلغ التسعين غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه في أهل بيته وكان أسير الله في أرضه فاذا بلغ أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا كتب الله له مثل ما كان يعمل في صحته من الخير فاذا عمل سيئة لم تكتب عليه » هذا حديث غريب جداً وفيه نكارة شديدة ومع هذا قد رواه الامام احمد بن حنبل في مسنده موقوفا ومرفوعا فقال : حدثنا ابو النضر حدثنا الفرج حدثنا محمد بن عامر عن محمد بن عبدالله العاملي عن عمرو بن جعفر عن أنس قال « اذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنة أمنه الله من أنواع البلايا من الجنون والبرص والجذام ، فاذا بلغ الخمسين لين الله حسابه ، واذا بلغ الستين رزقه الله انابة يحبه عليها ، وإذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء ، واذا بلغ الثمانين تقبل الله حسناته ومحا عنه سيئاته واذا بلغ التسعين غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وسمي أسير الله في أرضه وشفع في أهله » ثم قال حدثنا هشام حدثنا الفرج حدثني محمد بن عبدالله العامري عن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان عن عبدالله بن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ مثله » ورواه الامام احمد

أم سعيد ما الأجل ما العمل ما الرزق وبأي ارض يموت؟ فيقال له اذهب الى أم الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في أم الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفته ﴿ لنبين لكم ﴾ كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف أطوار خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الاعادة وقيل لنبين لكم ماتأتون وما تذرون وما تحتاجون اليه في العبادة ﴿ ونقر في الارحام مانشاء ﴾ فلا تمجه ولا تسقطه ﴿ الى أجل مسمى ﴾ الى وقت خروجها من الرحم تامة الخلق والمدة ﴿ ثم نخرجكم ﴾

أيضا حدثنا أنس بن عياض حدثني يوسف بن أبي بردة الانصاري عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال « مامن معمر يعمر في الاسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء . الجنون والبرص والجذام » وذكر تمام الحديث كما تقدم سواء ورواه الحافظ ابو بكر البزار عن عبد الله بن شبيب عن أبي شيبة عبد الله بن عبدالملك عن أبي قتادة العدوي عن ابن أخي الزهري عن عمه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « مامن عبد يعمر في الاسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه أنواعا من البلاء « الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة لين الله له الحساب فاذا بلغ ستين سنة رزقه الله الانابة اليه بما يحب فاذا بلغ سبعين سنة غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وسمي أسير الله وأحبه أهل السماء فاذا بلغ الثمانين تقبل الله منه حسناته وتجاوز عن سيئاته فاذا بلغ التسعين غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وسمي أسير الله في أرضه وشفع في أهل بيته »

وقوله (وترى الارض هامدة) هذا دليل آخر على قدرته تعالى على إحياء الموتى كما يحيي الارض الميتة الهامدة وهي المقحلة التي لاينبت فيها شيء . وقال قتادة غبراء متهشمة . وقال السدي ميتة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) أي فاذا أنزل الله عليها المطر اهتزت أي تحركت بالنبات وحييت بعدموتها وربت أي ارتفعت لماسكن فيها الثرى ثم أنبتت مافيها من الالوان والفنون من ثمار وزروع واشتات النباتات في اختلاف ألوانها وطعومها وروائحها واشكالها ومنافعها ولهذا قال تعالى (وأنبتت من كل زوج بهيج) أي حسن المنظر طيب الريح

وقوله (ذلك بأن الله هو الحق) أي الخالق المدبر الفعال لما يشاء (وانه يحيي الموتى) أي كما أحيي الارض الميتة وأنبت منها هذه الانواع (ان الذي أحياها لمحيي الموتى وانه على كل شيء قدير * فانما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * وان الساعة آتية لاريب فيها) أي كائنة لا شك فيها ولا مرية (وان الله يبعث من في القبور) أي يعيدهم بعد ماصاروا في قبورهم رمما ويوجدهم بعد العدم كما قال تعالى (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم؟ قل يحييها الذي أنشأها أول

من بطون امهاتكم ﴿ طفلا ﴾ أى صغارا ولم يقل اطفالا لأن العرب تذكر الجمع باسم الواحد وقيل تشبيها بالمصدر مثل عدل وزور ﴿ ثم لتبلغوا أشدكم ﴾ يعني الكمال والقوة ﴿ ومنكم من يتوفى ﴾ من قبل بلوغ الكبر ﴿ ومنكم من يرد الى أرذل العمر ﴾ أو الهرم والخرف ﴿ لكيلا يعلم من بعدعلم شيئا ﴾ أى يبلغ من السن مايتغير عقله فلا يعقل شيئا ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال ﴿ وترى الارض هامدة ﴾ أى يابسة لانبات فيها ﴿ فاذا انزلنا عليها الماء ﴾ المطر ﴿ اهتزت ﴾ تحركت بالنبات وذلك أن الارض ترتفع بالنبات فذلك تحركها ﴿ وربت ﴾ أى ارتفعت وزادت وقرأ أبو جعفر وربأت بالهمزة وكذلك في حم السجدة أي ارتفعت وعلت قال المبرد أراد اهتز وربانباتها فحذف المضاف

مرة وهو بكل شيء عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون) والآيات في هذا كثيرة . وقال الامام أحمد حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة قال أنبأنا يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدي عن عمه أبي رزين العقيلي واسمه لقيط بن عامر انه قال يارسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة وما آية ذلك في خلقه؟ فقال رسول الله ﷺ « أليس كلكم ينظر إلى القمر مخليا به ؟» قلنا بلى ،قال « فالله أعظم » قال قلت يارسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه ؟ قال « أما مررت بوادي أهلك ممحلا ؟» قال بلى قال« ثم مررت به يهتز خضراً » قال بلى قال« فكذلك يحيي الله الموتى وذلك آيته في خلقه »ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به ثم رواه الامام أحمد أيضاً حدثنا علي بن إسحاق أنبأنا ابن المبارك أنبأنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن سليمان بن موسى عن أبي رزين العقيلي قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله كيف يحيي الله الموتى ؟ قال « امررت بأرض من أرض قومك مجدبة ثم مررت بها مخصبة ؟» قال نعم قال « كذلك النشور » والله أعلم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عيسى بن مرحوم حدثنا بكير بن السميط عن قتادة عن أبي الحجاج عن معاذ بن جبل قال : من علم أن الله هو الحق المبين « وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور دخل الجنة

ومن الناس من يجٰدل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتٰب منير (٨) ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله ، له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيٰمة عذاب الحريق (٩) ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلّٰم للعبيد (١٠)

لما ذكر تعالى حال الضلال الجهال المقلدين في قوله (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد) ذكر في هذه حال الدعاة إلى الضلال من رءوس الكفر والبدع فقال (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) أي بلا عقل صحيح » ولا نقل صريح » بل بمجرد

والاهتزاز في النبات اظهر يقال اهتز النبات أى طال وانما أنث لذكر الارض وقيل فيه تقديم وتأخير معناه ربت واهتزت ﴿ وانبتت من كل زوج بهيج ﴾ أى صنف حسن يبهج » من رآه أى يسر فهذا دليل آخر على البعث ﴿ ذلك بأن الله هو الحق ﴾ أى لتعلموا أن الله هو الحق ﴿ وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير * وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور » ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ﴾ يعني النضر بن الحارث ﴿ ولا هدى ﴾ بيان ﴿ ولا كتاب منير » ثاني عطفه﴾ متبختراً لتكبره وقال مجاهد وقتادة لاوى عنقه قال عطية وابن زيد معرضا عما يدعى اليه تكبراً قال ابن جريج يعرض عن الحق تكبراً والعطف الجانب وعطفا الرجل جانباه عن يمين وشمال وهو الموضع

الرأي والهوى * وقوله (ثاني عطفه) قال ابن عباس وغيره مستكبر عن الحق إذا دعي إليه ، وقال مجاهد وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم (ثاني عطفه) أي لاوي عطانه وهي رقبته يعني يعرض عما يدعى اليه من الحق ويثني رقبته استكباراً كقوله تعالى (وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه) الآية وقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) وقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) وقال لقمان لابنه (ولا تصعر خدك للناس) أي تميله عنهم استكباراً عليهم ، وقال تعالى (وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً) الاية

وقوله (ليضل عن سبيل الله) قال بعضهم هذه لام العاقبة لانه قد لا يقصد ذلك ، ويحتمل أن تكون لام التعليل . ثم إما أن يكون المراد بها المعاندون أو يكون المراد بها ان هذا الفاعل لهذا إنما جبلناه على هذا الخلق الدني‌ء لنجعله ممن يضل عن سبيل الله . ثم قال تعالى (له في الدنيا خزي) وهو الاهانة والذل كما انه استكبر عن آيات الله لقاه الله المذلة في الدنيا وعاقبه فيها قبل الآخرة لانها أكبر همه ومبلغ علمه (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق * ذلك بما قدمت يداك) أي يقال له هذا تقريعا وتوبيخا (وان الله ليس بظلام للعبيد) كقوله تعالى (خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم * ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق انك أنت العزيز الكريم * إن هذا ما كنتم به تمترون)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن الصباح حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا هشام عن الحسن قال بلغني أن أحدهم يحرق في اليوم سبعين الف مرة

ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين (١١) يدعو من دون الله

الذى يعطفه الانسان أى يلويه ويميله عند الاعراض عن الشيء نظيره قوله تعالى (واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً) وقال تعالى (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم) ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ عن دين الله ﴿له في الدنيا خزى﴾ عذاب وهوان وهو القتل ببدر فقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط يوم بدر صبراً ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ ويقال له ﴿ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ فيعذبهم بغير ذنب وهو جل ذكره على أي وجه شاء تصرف في عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم

قوله تعالى ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ الآية نزلت في قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم اذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت فرسه مهراً حسنا وولدت امرأته ذكراً وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيراً واطمأن اليه وان

مالا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلل البعيد (١٢) يدعو لمن ضره أقرب من نفعه، لبئس المولى ولبئس العشير (١٣)

قال مجاهد وقتادة وغيرهما (على حرف) على شك وقال غيرهم على طرف ومنه حرف الجبل أي طرفه أي دخل في الدين على طرف فان وجد مايحبه استقر وإلا انشمر . وقال البخاري حدثنا ابراهيم بن الحارث حدثنا يحيي بن أبي بكير حدثنا اسرائيل عن أبي الحصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ومن الناس من يعبد الله على حرف) قال كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين صالح . وان لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبدالرحمن حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحاق القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان ناس من الاعراب يأتون النبي ﷺ فيسلمون فاذا رجعوا إلى بلادهم فان وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن قالوا ان ديننا هذا لصالح فتمسكوا به وان وجدوا عام جدوبة وعام ولاد سوء وعام قحط قالوا مافي ديننا هذا خير فأنزل الله على نبيه (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به) الآية . وقال العوفي عن ابن عباس : كان أحدهم إذا قدم المدينة وهم أرض دونه فان صح بها جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته غلاما رضي به واطمأن اليه وقال ما أصبت منذ كنت

أصابه مرض وولدت امرأته جارية واجهضت رماكه وقل ماله قال ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا شراً فينقلب عن دينه وذلك الفتنة فانزل الله عز وجل (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أكثر المفسرين قالوا على شك واصله من حرف الشيء وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذي القائم عليه غير مستقر فقيل للشاك في الدين إنه يعبد الله على حرف لأنه على طرف وجانب من الدين لم يدخل فيه على الثبات والتمكن كالقائم على حرف الجبل مضطرب غير مستقر يعرض أن يقع في أحد جانبي الطرف لضعف قيامه ولو عبدوا الله في الشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف قال الحسن هو المنافق يعبده بلسانه دون قلبه ﴿فان أصابه خير﴾ صحة في جسمه وسعة في معيشته ﴿اطمأن به﴾ أي رضي به وسكن اليه ﴿وان أصابته فتنة﴾ بلاء في جسده وضيق في معيشته ﴿انقلب على وجهه﴾ ارتد ورجع على عقبيه الى الوجه الذي كان عليه من الكفر ﴿خسر الدنيا﴾ يعني هذا الشاك خسر الدنيا بفوات ماكان يؤمله ﴿والآخرة﴾ بذهاب الدين والخلود في النار قرأ يعقوب خاسر بالألف والآخرة جر ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ الظاهر ﴿يدعو من دون الله مالا يضره﴾ ان عصاه ولم يعبده ﴿ومالا ينفعه﴾ ان أطاعه وعبده ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ عن الحق والرشد ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ هذه الآية من مشكلات القرآن وفيها أسئلة أولها قالوا قد قال الله في

على ديني هذا الاخير ا (وإن اصابته فتنة) والفتنة البلاء أي وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان فقال والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شراً وذلك الفتنة، وهكذا ذكر قتادة والضحاك وابن جريج وغير واحد من السلف في تفسير هذه الآية وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو المنافق ان صلحت له دنياه أقام على العبادة وان فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب فلا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه فان أصابته فتنة أو شدة أو اختبار أو ضيق ترك دينه ورجع إلى الكفر ، وقال مجاهد في قوله (انقلب على وجهه) أي ارتد كافراً وقوله (خسر الدنيا والآخرة) أي فلا هو حصل من الدنيا على شيء. وأما الآخرة فقد كفر بالله العظيم فهو فيها في غاية الشقاء والاهانة . ولهذا قال تعالى (ذلك هو الخسران المبين) أي هذه هي الخسارة العظيمة والصفقة الخاسرة وقوله (يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه أي من الاصنام والانداد يستغيث بها ويستنصرها ويسترزقها وهي لاتنفعه ولاتضره (ذلك هو الضلال البعيد)

وقوله (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) أى ضرره في الدنيا قبل الآخرة أقرب من نفعه فيها وأما في الآخرة فضرره محقق متيقن وقوله (لبئس المولى ولبئس العشير) قال مجاهد يعني الوثن يعني بئس هذا الذي دعاه من دون الله مولى يعني وليا وناصراً (وبئس العشير) وهو المخالط والمعاشر واختار ابن جرير أن المراد لبئس ابن العم والصاحب من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به (وان أصابته فتنة انقلب على وجهه) وقول مجاهد ان المراد به الوثن أولى وأقرب الى سياق الكلام والله أعلم

الآية السابقة (يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه) وقال ههنا لمن ضره اقرب من نفعه فكيف التوفيق بينهما؟ قيل قوله في الآية الاولى (يدعو من دون الله مالا يضره) أي لايضره ترك عبادته وقوله (لمن ضره أقرب من نفعه) أي ضر عبادته فان قيل قد قال (لمن ضره أقرب من نفعه ولا نفع في عبادة الصنم أصلا قيل هذا على عادة العرب فانهم يقولون لما لايكون أصلا بعيد كقوله (ذلك رجع بعيد) أي لارجع اصلا فلما كان نفع الصنم بعيدا على معنى أنه لانفع فيه أصلا قيل ضره أقرب من نفعه لأنه كائن السؤال الثالث قوله (لمن ضره اقرب من نفعه) ماوجه هذه اللام اختلفوا فيه فقال بعضهم هي صلة مجازها يدعو من ضره اقرب وكذلك قرأها ابن مسعود وقيل يدعو بمعنى يقول والخبر محذوف أي يقول لمن ضره اقرب من نفعه هو إله وقيل معناه يدعو لمن ضره اقرب من نفعه يدعو فحذف يدعو الأخيرة اجتزاء بالاولى ولو قلت بصرت لمن خيره اكثر من شره بصرت ثم تحذف الاخير جاز وقيل على التوكيد معناه يدعو والله لمن ضره أقرب من نفعه وقيل يدعو من صلة قوله (ذلك هو الضلال البعيد) يقول ذلك هو الضلال البعيد يدعو ثم استأنف فقال (لمن ضره أقرب من نفعه) فيكون من في محل الرفع بالابتداء وخبره ﴿ لبئس المولى ﴾ اي الناصر وقيل المعبود ﴿ ولبئس العشير ﴾ أي الصاحب والمخالط يعني الوثن والعرب تسمى الزوج العشير لاجل المخالطة

ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصلحت جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد (١٤)

لما ذكر أهل الضلالة الاشقياء عطف بذكر الابرار السعداء من الذين آمنوا بقلوبهم وصدقوا إيمانهم بافعالهم فعملوا الصالحات من جميع أنواع القربات وتركوا المنكرات فاورثهم ذلك سكنى الدرجات العاليات في روضات الجنات ، ولما ذكر تعالى أنه أضل أولئك وهدى هؤلاء قال (ان الله يفعل ما يريد)

من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ (١٥) وكذلك أنزلناه آيات بينات وان الله يهدى من يريد (١٦)

قال ابن عباس من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً ﷺ في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب أي بحبل (الى السماء) أي سماء بيته (ثم ليقطع) يقول ثم ليختنق به وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء وأبو الجوزاء وقتادة وغيرهم، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (فليمدد بسبب الى السماء) أي ليتوصل

﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار إن الله يفعل ما يريد * من كان يظن أن لن ينصره الله ﴾ يعني نبيه محمداً ﷺ ﴿ في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب ﴾ أي بحبل ﴿ الى السماء ﴾ أراد بالسماء سقف البيت على قول الاكثرين أي ليشدد حبلا في سقف بيته فليختنق به حتى يموت ﴿ ثم ليقطع ﴾ الحبل بعد الاختناق وقيل ثم ليقطع أي ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا ﴿ فلينظر هل يذهبن كيده ﴾ صنعه وحيلته ﴿ مايغيظ ﴾ ما بمعنى المصدر أي هل يذهبن كيده وحيلته غيظه معناه فليختنق غيظا حتى يموت وليس هذا على سبيل الحتم أن يفعله لأنه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق والموت ولكنه كما يقال للحاسد ان لم ترض هذا فاختنق ومت غيظا ، وقال ابن زيد المراد من السماء السماء المعروفة، ومعنى الآية من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكيد في أمره ليقطعه عنه فليقطعه من اصله فان أصله من السماء فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع عن النبي ﷺ الوحي الذي يأتيه من السماء فلينظر هل يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل . وروى أن هذه الآية نزلت في قوم من اسد وغطفان دعاهم النبي ﷺ الى الاسلام وكان بينهم وبين اليهود حلف وقالوا لا يمكننا أن نسلم لانا نخاف أن لاينصر محمد ولا يظهر أمره فينقطع الحلف بيننا وبين اليهود فلا يميروننا ولا يؤووننا فنزلت هذه الآية، وقال مجاهد النصر بمعنى الرزق والهاء راجعة الى من

إلى بلوغ السماء فان النصر انما يأتي محمداً من السماء (ثم ليقطع) ذلك عنه ان قدر على ذلك وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى وأبلغ في التهكم فان المعنى من كان يظن أن الله ليس بناصر محمداً وكتابه ودينه فليذهب فليقتل نفسه ان كان ذلك غائظه فان الله ناصره لا محالة قال الله تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) الآية ولهذا قال (فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ) قال السدي يعني من شأن محمد ﷺ وقال عطاء الخراساني فلينظر هل يشفي ذلك ما يجد في صدره من الغيظ وقوله (وكذلك أنزلناه) أي القرآن (آيات بينات) أي واضحات في لفظها ومعناها حجة من الله على الناس (وان الله يهدي من يريد) أي يضل من يشاء ويهدي من يشاء وله الحكمة التامة والحجة القاطعة في ذلك لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون أما هو فلحكمته ورحمته وعدله وعلمه وقهره وعظمته لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب

ان الذين آمنوا والذين هادوا والصٰبئين والنصٰرى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيٰمة ان الله على كل شيء شهيد (١٧)

يخبر تعالى عن أهل هذه الاديان المختلفة من المؤمنين ومن سواهم من اليهود والصابئين وقد قدمنا في سورة البقرة التعريف بهم واختلاف الناس فيهم (والنصارى والمجوس والذين أشركوا) فعبدوا مع الله غيره فانه تعالى (يفصل بينهم يوم القيامة) ويحكم بينهم بالعدل فيدخل من آمن به الجنة ومن كفر به النار فانه تعالى شهيد على أفعالهم حفيظ لاقوالهم عليم بسرائرهم وما تكن ضمائرهم

ألم تر أن الله يسجد له من في السمٰوٰت ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم

ومعناه من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة نزلت فيمن أساء الظن بالله وخاف أن لا يرزقه (فليمدد بسبب الى السماء) أي الى سماء البيت فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغيظ وهو خيفة أن لا يرزق وقد يأتي النصر بمعنى الرزق تقول العرب من ينصرني نصره الله أي من يعطني أعطاه الله قال أبو عبيدة تقول العرب أرض منصورة أي ممطورة قرأ أبو عمرو ونافع وابن عامر ويعقوب ثم ليقطع ثم ليقضوا بكسر اللام والباقون بجزمها لان الكل لام الامر زاد ابن عامر وليوفوا وليطوفوا بكسر اللام فيهما ومن كسر في ثم ليقطع وفي ثم ليقضوا فرق بأن ثم مفصول من الكلام والواو كأنها من نفس الكلمة كالفاء في قوله فلينظر ﴿وكذلك﴾ أي مثل ذلك يعني ماتقدم من آيات القرآن ﴿انزلناه﴾ يعني القرآن ﴿آيات بينات وأن الله يهدي من يريد ■ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا﴾ يعني عبدة الاوثان ﴿ان الله يفصل بينهم﴾ يحكم بينهم ﴿يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد ■ ألم تر﴾ ألم تعلم وقيل ألم تر بقلبك ﴿أن الله يسجد له من في السموات

والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس، وكثير حق عليه العذاب، ومن يهن الله فماله من مكرم ان الله يفعل ما يشاء (١٨)

يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له فانه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها وسجود كل شيء مما يختص به كما قال تعالى (أو لم يروا إلى ماخلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون) وقال ههنا (ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض) أي من الملائكة في أقطار السموات والحيوانات في جميع الجهات من الانس والجن والدواب والطير وان من شيء الا يسبح بحمده وقوله (والشمس والقمر والنجوم) انما ذكر هذه على التنصيص لانها قد عبدت من دون الله فبين أنها تسجد لخالقها وانها مربوبة مسخرة (لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن) الآية وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال لي رسول الله ﷺ «أتدري أين تذهب هذه الشمس؟» قلت الله ورسوله أعلم قال «فانها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت» وفي المسند وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجه في حديث الكسوف «إن الشمس والقمر خلقان من خلق الله وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكن الله عز وجل إذا تجلى لشيء من خلقه خشع له» وقال أبو العالية ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع لله ساجداً حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع الى مطلعه. وأما الجبال والشجر فسجودهما بفيء ظلالهما عن اليمين والشمائل وعن ابن عباس قال جاء رجل فقال يارسول الله اني رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها وهي تقول: اللهم اكتب لي بها عندك أجراً وضع عني بها وزراً واجعلها لي عندك ذخراً وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود قال ابن عباس فقرأ رسول الله ﷺ سجدة ثم سجد فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة. رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه، وقوله (والدواب) أي الحيوانات كلها وقد جاء في الحديث عن الامام أحمد أن

ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾ قال مجاهد سجودها تحول ظلالها «وقال أبو العالية ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجداً حين يغيب ثم لاينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه. وقيل سجودها بمعنى الطاعة فانه مامن جماد إلا وهو مطيع لله خاشع لله مسبح له كما أخبر الله تعالى عن السموات والارض (قالتا أتينا طائعين) وقال في وصف الحجارة (وان منها لما يهبط من خشية الله) وقال تعالى (وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم) وهذا مذهب حسن موافق لاهل السنة

قوله ﴿وكثير من الناس﴾ أي ان هذه الاشياء كلها تسبح لله عز وجل (وكثير من الناس)

رسول الله ﷺ نهى عن اتخاذ ظهور الدواب منابر فرب مركوبة خير أو أكثر ذكراً لله تعالى من راكبها وقوله (وكثير من الناس) أي يسجد لله طوعا مختاراً متعبداً بذلك (وكثير حق عليه العذاب) أي ممن امتنع وأبى واستكبر (ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن شيبان الرملي حدثنا القداح عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي قال قيل لعلي إن ههنا رجلا يتكلم في المشيئة فقال له علي يا عبد الله خلقك الله كما يشاء أو كما شئت قال بل كما شاء قال فيمرضك اذا شاء أو اذا شئت قال بل اذا شاء قال فيشفيك اذا شاء أو إذا شئت قال بل اذا شاء قال فيدخلك حيث شئت أو حيث شاء قال بل حيث يشاء قال والله لو قلت غير ذلك لضربت الذي فيه عيناك بالسيف وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «اذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي يقول ياويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار» رواه مسلم

وقال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم وأبو عبد الرحمن المقري قالا حدثنا ابن لهيعة قال حدثنا مشرح بن هاعان أبو مصعب المعافري قال سمعت عقبة بن عامر قال قلت يارسول الله أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين قال «نعم فمن لم يسجد بهما فلا يقرأهما» ورواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن لهيعة به وقال الترمذي ليس بقوي وفي هذا نظر فان ابن لهيعة قد صرح فيه بالسماع وأكثر ما نقموا عليه تدليسه وقد قال أبو داود في المراسيل حدثنا أحمد بن عمرو ابن السرح أنبأنا ابن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن عامر بن جشيب عن خالد بن معدان رحمه الله ان رسول الله ﷺ «قال فضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين» ثم قال أبو داود وقد أسند هذا يعني من غير هذا الوجه ولا يصح. وقال الحافظ أبو بكر الاسماعيلي حدثني ابن أبي داود حدثنا يزيد بن عبد الله حدثنا الوليد حدثنا أبو عمرو حدثنا حفص بن غياث حدثني نافع قال: حدثني أبو الجهم أن عمر سجد سجدتين في الحج وهو بالجابية وقال إن هذه فضلت بسجدتين

وروى أبو داود وابن ماجه من حديث الحارث بن سعيد العتقي عن عبد الله بن منين عن عمرو ابن العاص ان رسول الله ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدتان » فهذه شواهد يشد بعضها بعضا

يعني المسلمين ﴿ وكثير حق عليه العذاب ﴾ وهم الكفار لكفرهم وتركهم السجود وهم مع كفرهم تسجد ظلالهم لله عز وجل والواو في قوله وكثير حق عليه العذاب واو الاستئناف ﴿ ومن يهن الله ﴾ أي يهنه الله ﴿ فما له من مكرم ﴾ اي من يذله الله فلا يكرمه أحد ﴿ ان الله يفعل مايشاء ﴾ أي يكرم ويهين فالسعادة والشقاوة بإرادته ومشيئته

هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم (١٩) يصهر به ما في بطونهم والجلود (٢٠) ولهم مقامع من حديد (٢١) كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق (٢٢)

ثبت في الصحيح من حديث أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي ذر انه كان يقسم قسما أن هذه الآية (هذان خصمان اختصموا في ربهم) نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في بدر لفظ البخاري عند تفسيرها ثم قال البخاري حدثنا حجاج بن المنهال حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبو مجلز عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب انه قال : أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة . قال قيس : وفيهم نزلت (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة . انفرد به البخاري

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال اختصم المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم . وقال المسلمون كتابنا يقضي على الكتب كلها ونبينا خاتم الانبياء فنحن أولى بالله منكم فأفلج الله الاسلام

قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم) أي جادلوا في دينه وأمره والخصم اسم شبيه بالمصدر فلذلك قال اختصموا بلفظ الجمع كقوله (وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب) واختلفوا في هذين الخصمين أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد ابن اسماعيل أنا يعقوب بن ابراهيم أنا هشيم أنا أبو هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عبادة قال سمعت أبا ذر يقسم قسما ان هذه الآية (هذان خصمان اختصموا في ربهم) نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة . أخبرنا عبدالواحد أنا احمد أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا حجاج بن منهال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أبي قال أنا ابو مجلز عن قيس بن عبادة عن علي بن أبي طالب قال : أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة قال قيس وفيهم نزلت (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة قال محمد بن إسحاق خرج يعني يوم بدر عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعا إلى المبارزة فخرج اليه فتية من الانصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفراء وعبدالله بن رواحة فقالوا من أنتم ؟ فقالوا رهط من الانصار فقالوا حين انتسبوا أكفاء كرام ثم نادى مناديهم يا محمد أخرج الينا أكفاءنا من قومنا . فقال رسول الله ﷺ قم ياعبيدة بن الحارث ويا حمزة بن عبدالمطلب ويا علي بن أبي

على من ناوأه وأنزل (هذان خصمان اختصموا في ربهم) وكذا روى العوفي عن ابن عباس . وقال شعبة عن قتادة في قوله (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال مصدق ومكذب ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في هذه الآية مثل الكافر والمؤمن اختصما في البعث ، وقال في رواية هو وعطاء في هذه الآية هم المؤمنون والكافرون ، وقال عكرمة (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال هي الجنة والنار قالت النار جعلني للعقوبة وقالت الجنة جعلني للرحمة ، وقول مجاهد وعطاء ان المراد بهذه الكافرون والمؤمنون يشمل الاقوال كلها وينتظم فيه قصة يوم بدر وغيرها فان المؤمنين يريدون نصرة دين الله عز وجل والكافرون يريدون إطفاء نور الايمان وخذلان الحق وظهور الباطل وهذا اختيار ابن جرير وهو حسن ولهذا قال (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) أي فصلت لهم مقطعات من النار ، قال سعيد بن جبير من نحاس وهو أشد الاشياء حرارة إذا حمي (يصب من فوق رءوسهم الحميم * يصهر به مافي بطونهم والجلود) أي إذا صب على رءوسهم الحميم وهو الماء الحار في غاية الحرارة ، وقال سعيد ابن جبير هو النحاس المذاب أذاب مافي بطونهم من الشحم والامعاء قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم وكذلك تذوب جلودهم وقال ابن عباس وسعيد تساقط

وقال ابن جرير حدثني محمد بن المثنى حدثني ابراهيم أبو اسحاق الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبي السمح عن ابن حجيرة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن الحميم ليصب

طالب » فلما دنوا قالوا من أنتم فذكروا فقالوا نعم أكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة ، وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد بن عتبة فأما حمزة فلم يمهل أن قتل شيبة وعلي الوليد بن عتبة واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما أثبت صاحبه فكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا عبيدة الى أصحابه وقد قطعت رجله ومخها يسيل فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله ﷺ قال ألست شهيداً يارسول الله ؟ قال « بلى » فقال عبيدة لو كان ابو طالب حيا لعلم أني أحق بما قال منه حيث يقول :

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال ابن عباس وقتادة نزلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب نحن أولى بالله منكم وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم ، وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بنبينا محمد ﷺ ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم به حسداً فهذه خصومتهم في ربهم وقال مجاهد وعطاء بن ابي رباح والكلبي هم المؤمنون والكافرون كلهم من أي ملة كانوا، وقال بعضهم جعل الاديان ستة في قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا) الآية فجعل خمسة للنار وواحداً للجنة فقوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم) ينصرف اليهم فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم ، وقال عكرمة هما الجنة والنار اختصمتا كما أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا ابو طاهر الزيادي

على رءوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان » ورواه الترمذي من حديث ابن المبارك وقال حسن صحيح وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي نعيم عن ابن المبارك به. ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال سمعت عبدالله بن السري قال : يأتيه الملك يحمل الاناء بكلبتين من حرارته فاذا أدناه من وجهه تكرهه قال فيرفع مقمعة معه فيضرب بها رأسه فيفرغ دماغه ثم يفرغ الاناء من دماغه فيصل إلى جوفه من دماغه فذلك قوله (يصهر به ما في بطونهم والجلود)

وقوله (ولهم مقامع من حديد) قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال « لو أن مقمعاً من حديد وضع في الارض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الارض » وقال الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ « لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان » ولو أن دلواً من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا » وقال ابن عباس في قوله [ولهم مقامع من حديد] قال يضربون بها فيقع كل عضو على حياله فيدعون بالثبور » وقوله [كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها] قال الاعمش عن أبي ظبيان عن

أنا أبو بكر القطان انا احمد بن يوسف السلمي أنا عبدالرزاق أنا معمر عن همام بن منبه قال حدثنا ابو هريرة قال « قال رسول الله ﷺ « تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم قال الله عز وجل للجنة انما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار انما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الله فيها رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلىء ويزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحداً » وأما الجنة فان الله عز وجل ينشىء لها خلقا» ثم بين الله عز وجل ما للخصمين فقال ﴿ فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ﴾ قال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس من الآنية شيء اذا حمي أشد حراً منه وسمي باسم الثياب لانها تحيط بهم كاحاطة الثياب » وقال بعضهم يلبس أهل النار مقطعات من النار ﴿ يصب من فوق رءوسهم الحميم ﴾ الحميم هو الماء الحار الذي انتهت حرارته ﴿ يصهر به ﴾ أي يذاب بالحميم ﴿ ما في بطونهم ﴾ يقال صهرت الالية والشحم بالنار اذا أذبتهما أصهرهما صهراً معناه يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رءوسهم حتى يسقط ما في بطونهم من الشحوم والاحشاء ﴿ والجلود ﴾ أي يشوي حرها جلودهم فتتساقط. أخبرنا ابو بكر بن محمد بن عبدالله الخلال انا عبدالله بن المبارك عن سعيد بن زيد عن أبي السمح عن أبي حجيرة واسمه عبدالرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ان الحميم ليصب على رءوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان »

سلمان قال « النار سودا مظلمة لايضيء لهبها ولا جمرها ثم قرأ [كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها] وقال زيد بن أسلم في هذه الاية [كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها] قال بلغني ان أهل النار في النار لايتنفسون » وقال الفضيل بن عياض : والله ماطمعوا في الخروج ان الارجل لمقيدة وان الايدي لموثقة ولكن يرفعهم لهبها وتردهم مقامعها ، وقوله [وذوقوا عذاب الحريق] كقوله [وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون] ومعنى الكلام أنهم يهانون بالعذاب قولا وفعلا

ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصلحت جنت تجري من تحتها الأنهر يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير (٢٣) وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد (٢٤)

لما أخبر تعالى عن حال أهل النار عياذاً بالله من حالهم وماهم فيه من العذاب والنكال والحريق والاغلال وما أعد لهم من الثياب من النار ذكر حال أهل الجنة نسأل الله من فضله وكرمه فقال [ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار] أي تتخرق في أكنافها وأرجائها وجوانبها وتحت أشجارها وقصورها يصرفونها حيث شاؤا وأين أرادوا (يحلون فيها) من الحلية (من أساور من ذهب ولؤلؤا) اي في أيديهم كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » وقال كعب الاحبار : ان في الجنة ملكا لو شئت أن أسميه

قوله تعالى ﴿ ولهم مقامع من حديد ﴾ سياط من حديد واحدتها مقمعة قال الليث المقمعة شبه الجوز من الحديد من قولهم قمعت رأسه اذا ضربته ضربا عنيفا « وفي الخبر لو وضع مقمع من حديد في الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الارض ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم ﴾ يعني كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفاسهم ﴿ أعيدوا فيها ﴾ يعني ردوا اليها بالمقامع وفي التفسير ان جهنم لتجيش بهم فتلقيهم إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفا ﴿ وذوقوا عذاب الحريق ﴾ أي تقول لهم الملائكة (ذوقوا عذاب الحريق) أي المحرق مثل الاليم والوجيع قال الزجاج هؤلاء أحد الخصمين « وقال في الآخر وهم المؤمنون ﴿ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ﴾ جمع سوار ﴿ ولؤلؤاً ﴾ قرأ اهل المدينة وعاصم ولؤلؤاً ههنا وفي سورة الملائكة بالنصب وافق يعقوب ههنا على معنى ويحلون لؤلؤاً ولانها مكتوبة في المصاحف بالالف وقرأ الآخرون بالخفض عطفا على قوله (من ذهب) وترك الهمزة الاولى في كل القرآن ابو جعفر وابو بكر، واختلفوا في وجه اثبات الالف فيه فقال ابو عمرو أثبتوها فيها كما أثبتوا في قالوا وكانوا ،

لسميته بصوغ لاهل الجنة الحلي منذ خلقه الله إلى يوم القيامة لو أبرز قلب منها - أى سوار منها - لرد شعاع الشمس كما ترد الشمس نور القمر .

وقوله (ولباسهم فيها حرير) في مقابلة ثياب أهل النار التي فصلت لهم لباس هؤلاء من الحرير استبرقه وسندسه كما قال (عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهوراً « إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) وفي الصحيح « لا تلبسوا الحرير ولا الديباج في الدنيا فانه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» قال عبدالله بن الزبير من لم يلبس الحرير في الآخرة لم يدخل الجنة قال الله تعالى (ولباسهم فيها حرير) وقوله (وهدوا إلى الطيب من القول) كقوله تعالى وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام) وقوله (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) وقوله (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما) فهدوا إلى المكان الذي يسمعون فيه الكلام الطيب وقوله (ويلقون فيها تحية وسلاما) لا كما يهان أهل النار بالكلام الذي يوبخون به ويقرعون به يقال لهم (ذوقوا عذاب الحريق) وقوله (وهدوا الى صراط الحميد) أي الى المكان الذي يحمدون فيه ربهم على ما أحسن اليهم وأنعم به وأسداه اليهم كما جاء في الحديث الصحيح «إنهم يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس »وقد قال بعض المفسرين في قوله (وهدوا الى الطيب من القول) أي القرآن وقيل لا إله إلا الله وقيل الاذكار المشروعة (وهدوا إلى صراط الحميد) أي الطريق المستقيم في الدنيا وكل هذا لا ينافي ما ذكرناه والله أعلم

ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم (٢٥)

وقال الكسائي أثبتوها للهمزة لان الهمزة حرف من الحروف ﴿ ولباسهم فيها حرير ﴾ أي أنهم يلبسون في الجنة ثياب الابريسم وهو الذي حرم لبسه في الدنيا على الرجال . أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا عبدالرحمن بن أبي شريح أنا ابو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا شعبة عن قتادة عن داود السراج عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه الله اياه في الآخرة فان دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو »

قوله تعالى ﴿ وهدوا إلى الطيب من القول ﴾ قال ابن عباس هو شهادة أن لا إله إلا الله « وقال ابن زيد لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله « وقال السدي أي القرآن وقيل هو قول أهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴿ وهدوا إلى صراط الحميد ﴾ الى دين الله وهو الاسلام والحميد هو الله المحمود في أفعاله

قوله تعالى ﴿ ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ﴾ عطف المستقبل على الماضي لان المراد

يقول تعالى منكراً على الكفار في صدهم المؤمنين عن اتيان المسجد الحرام وقضاء مناسكهم فيه ودعواهم انهم أولياؤه (وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون) الآية وفي هذه الآية دليل على أنها مدنية كما قال في سورة البقرة (ويسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله) وقال ههنا (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام) أي ومن صفتهم أنهم مع كفرهم يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام أي ويصدون عن المسجد الحرام من أراده من المؤمنين الذين هم أحق الناس به في نفس الامر وهذا التركيب في هذه الآية كقوله تعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) أي ومن صفتهم انهم تطمئن قلوبهم بذكر الله وقوله (الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) أي يمنعون الناس عن الوصول الى المسجد الحرام وقد جعله الله شرعا سواء لافرق فيه بين المقيم فيه والنائي عنه البعيد الدار منه (سواء العاكف فيه والباد) ومن ذلك استواء الناس في رباع مكة وسكناها كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (سواء العاكف فيه والباد) قال ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام وقال مجاهد (سواء العاكف فيه والباد) أهل مكة وغيرهم فيه سواء في المنازل وكذا قال أبو صالح وعبد الرحمن بن سابط وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة سواء فيه أهله . وغير أهله وهذه المسئلة هي التي اختلف فيها الشافعي واسحاق بن راهويه بمسجد الخيف واحمد بن حنبل حاضر أيضا فذهب الشافعي رحمه الله الى أن رباع مكة تملك وتورث وتؤجر واحتج بحديث الزهري عن علي بن الحسن عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد قال قلت يارسول الله اتنزل غداً في دارك بمكة فقال «وهل ترك لنا عقيل من رباع » ثم قال «لايرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر» وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وبما ثبت ان عمر ابن الخطاب اشترى من صفوان بن أمية داراً بمكة فجعلها سجنا بأربعة آلاف درهم وبه قال طاوس وعمرو بن دينار وذهب اسحاق بن راهويه الى أنها لاتورث ولا تؤجر وهو مذهب طائفة من السلف ونص عليه مجاهد وعطاء واحتج اسحاق بن راهويه بما رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن

من لفظ المستقبل الماضي كما قال تعالى في موضع آخر (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) وقيل معناه ان الذين كفروا فيما تقدم ويصدون عن سبيل الله في الحال أى وهم يصدون ﴿والمسجد الحرام﴾ أى ويصدون عن المسجد الحرام ﴿ الذى جعلناه للناس ﴾ قبلة لصلاتهم ومنسكا ومتعبدا كما قال وضع للناس ﴿ سواء ﴾ قرأ حفص عن عاصم ويعقوب سواء نصبا بايقاع الجعل عليه يتعدى إلى مفعولين وقيل معناه مستويا فيه ﴿ العاكف فيه والباد ﴾ وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وما بعده خبره وتم الكلام عند قوله للناس وأراد بالعاكف المقيم فيه وبالبادي الطارىء المنتاب اليه من غيره واختلفوا في معنى الآية فقال قوم سواء العاكف فيه والباد يعني في تعظيم حرمته وقضاء النسك فيه واليه ذهب

عيسى بن يونس عن عمر بن سعيد بن أبي حيوة عن عثمان بن أبي سليمان عن علقمة بن نضلة قال: توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وما تدعى رباع مكة الا السوائب من احتاج سكن ومن استغنى أسكن، وقال عبد الرزاق عن ابن مجاهد عن أبيه عن عبد الله بن عمرو أنه قال لا يحل بيع دور مكة ولا كراؤها، وقال أيضا عن ابن جريج كان عطاء ينهى عن الكراء في الحرم وأخبرني أن عمر بن الخطاب كان ينهى عن تبويب دور مكة لان ينزل الحاج في عرصاتها فكان أول من بوب داره سهيل بن عمرو فارسل اليه عمر بن الخطاب في ذلك فقال أنظرني يا أمير المؤمنين اني كنت امرأ تاجرا فأردت أن أتخذ بابين يحبسان لي ظهري قال فلك ذلك إذاً.

وقال عبد الرزاق عن معمر عن منصور عن مجاهد أن عمر بن الخطاب قال يا أهل مكة لا تتخذوا لدوركم أبوابا لينزل البادي حيث يشاء، قال وأخبرنا معمر عمن سمع عطاء يقول (سواء العاكف فيه والباد) قال ينزلون حيث شاءوا * وروى الدارقطني من حديث ابن أبي نجيح عن عبد الله بن عمرو مرفوعا « من أكل كراء بيوت مكة أكل نارا » وتوسط الامام أحمد فقال تملك وتورث ولا تؤجر جمعا بين الادلة والله أعلم * وقوله (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) قال بعض المفسرين من أهل العربية الباء ههنا زائدة، كقوله (تنبت بالدهن) أي تنبت الدهن وكذا قوله [ومن يرد فيه بالحاد] تقديره الحاداً وكما قال الاعشي:

ضمنت برزق عيالنا ارماحنا بين المراجل والصريح الاجرد

وقال الآخر:

بواديمان ينبت العشب صدره وأسفله بالمرخ والشبهان

والاجود أنه ضمن الفعل ههنا معنى يهم ولهذا عداه بالباء فقال [ومن يرد فيه بالحاد] أي يهم فيه بامر فظيع من المعاصي الكبار وقوله [بظلم] أي عامداً قاصداً أنه ظلم ليس بمتأول كما قال ابن جريج عن ابن عباس هو التعمد

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بظلم بشرك، وقال مجاهد ان يعبد فيه غير الله * وكذا

مجاهد والحسن وجماعة وقالوا المراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية هو التسوية في تعظيم الكعبة وفي فضل الصلاة في المسجد الحرام والطواف بالبيت، وقال الآخرون المراد منه جميع الحرم ومعنى التسوية أن المقيم والبادي سواء في النزول به ليس أحدهما أحق بالمنزل يكون فيه من الآخر غير انه لا يزعج فيه أحد إذا كان قد سبق إلى منزل وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء في البيوت والمنازل، وقال عبد الرحمن بن سابط كان الحجاج إذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة أحق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس أن يغلقوا أبوابهم في الموسم وعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها وعلى القول الاول وهو الاقرب إلى الصواب

قال قتادة وغير واحد ، وقال العوفي عن ابن عباس بظلم هو أن تستحل من الحرم ماحرم الله عليك من اساءة أو قتل فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فاذا فعل ذلك فقد وجب له العذاب الأليم وقال مجاهد بظلم يعمل فيه عملا سيئاً وهذا من خصوصية الحرم أنه يعاقب البادي بالشر اذا كان عازماً عليه وان لم يوقعه كما قال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا شعبة عن السدى انه سمع مرة يحدث عن عبد الله يعني ابن مسعود في قوله [ومن يرد فيه بالحاد بظلم] قال لو أن رجلا أراد فيه بالحاد بظلم وهو بعدن أبين لاذاقه الله من العذاب الاليم قال شعبة هو رفعه لنا وأنا لاأرفعه لكم ، قال يزيد هو قد رفعه ، ورواه احمد عن يزيد بن هارون به ، قلت هذا الاسناد صحيح على شرط البخارى ووقفه أشبه من رفعه ، ولهذا صمم شعبة على وقفه من كلام ابن مسعود ، وكذلك رواه أسباط وسفيان الثوري عن السدي عن مرة عن ابن مسعود موقوفا والله أعلم ، وقال الثورى عن السدى عن مرة عن عبد الله قال مامن رجل يهم بسيئة فتكتب عليه ولو أن رجلا بعدن أبين هم أن يقتل رجلا بهذا البيت لأذاقه الله من العذاب الاليم ، وكذا قال الضحاك ابن مزاحم ، وقال سفيان الثورى عن منصور عن مجاهد الحاد فيه لاوالله وبلى والله » وروى عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو مثله » وقال سعيد بن جبير شتم الخادم ظلم فما فوقه ، وقال سفيان الثورى عن عبد الله بن عطاء عن ميمون بن مهران عن ابن عباس في قوله [ومن يرد فيه بالحاد بظلم] قال تجارة الأمير فيه وعن ابن عمر بيع الطعام بمكة الحاد ،وقال حبيب بن أبي ثابت [ومن يرد فيه بالحاد بظلم] قال المحتكر بمكة وكذا قال غير واحد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن اسحاق الجوهرى أنبأنا أبو عاصم عن جعفر ابن يحيى عن عمه عمارة بن ثوبان حدثني موسى بن باذان عن يعلى بن أمية أن رسول الله ﷺ قال « احتكار الطعام بمكة الحاد »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبوزرعة حدثنا يحيى بن عبدالله بن بكير حدثنا ابن لهيعة حدثنا عطاء بن دينار

يجوز لان الله تعالى قال (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) وقال النبي ﷺ يوم فتح مكة « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » فنسب الدار اليه نسب ملك واشترى عمر داراً للسجن بمكة بأربعة آلاف درهم فدل على جواز بيعها وهذا قول طاوس وعمرو بن دينار وبه قال الشافعي

قوله عز وجل ﴿ ومن يرد فيه بالحاد بظلم ﴾ أي في المسجد الحرام وهو الميل إلى الظلم والباء في قوله بالحاد زائدة كقوله تنبت بالدهن ومعناه من يرد فيه إلحادا بظلم قال الاعشى *ضمنت برزق عيالنا أرماحنا * أي رزق عيالنا وأنكر المبرد أن تكون الباء زائدة وقال معنى الآية من تكن ارادته فيه بأن يلحد بظلم. واختلفوا في هذا الالحاد فقال مجاهد وقتادة هو الشرك وعبادة غير الله وقال قوم هو كل شيء كان منهيا عنه من قول او فعل حتى شتم الخادم وقال عطاء هو دخول الحرم غير محرم او ارتكاب

حدثني سعيد بن جبير قال قال ابن عباس في قول الله [ومن يرد فيه بالحاد بظلم] قال نزلت في عبدالله بن أنيس ان رسول الله ﷺ بعثه مع رجلين أحدهما مهاجر والآخر من الانصار فافتخروا في الانساب فغضب عبدالله بن أنيس فقتل الانصاري ثم ارتد عن الاسلام ثم هرب الى مكة فنزلت فيه (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) يعني من لجأ الى الحرم بالحاد يعني بميل عن الاسلام وهذه الآثار وان دلت على أن هذه الاشياء من الالحاد ولكن هو أعم من ذلك بل فيها تنبيه على ما هو أغلظ منها ولهذا لما هم أصحاب الفيل بتخريب البيت أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول أي دمرهم وجعلهم عبرة ونكالا لكل من أراده بسوء ولذلك ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال « يغزو هذا البيت جيش حتى اذا كانوا ببيداء من الارض خسف بأولهم وآخرهم » الحديث

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن كناسة حدثنا اسحاق بن سعيد عن أبيه قال أتى عبدالله بن عمر عبد الله بن الزبير فقال يا ابن الزبير إياك والالحاد في حرم الله فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنه سيلحد فيه رجل من قريش لو توزن ذنوبه بذنوب الثقلين لرجحت » فانظر لا تكن هو

وقال أيضا في مسند عبد الله بن عمرو بن العاص حدثنا هاشم حدثنا اسحاق بن سعيد حدثنا سعيد بن عمرو قال أتى عبدالله بن عمر عبدالله بن الزبير وهو جالس في الحجر فقال يا ابن الزبير إياك والالحاد في الحرم فاني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول « يحلها ويحل به رجل من قريش لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها » قال فانظر لا تكن هو لم يخرجه أحد من اصحاب الكتب من هذين الوجهين

وإذ بوأنا لإبرٰهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين

شيء من محظورات الحرم من قتل صيد اوقطع شجر وقال ابن عباس هو أن تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم من لا يظلمك وهذا معنى قول الضحاك وعن مجاهد انه قال: تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات، وقال حبيب بن أبي ثابت هو احتكار الطعام بمكة وقال عبدالله بن مسعود في قوله تعالى (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) ﴿نذقه من عذاب أليم﴾ قال لو أن رجلا هم بخطيئة لم تكتب عليه مالم يعملها ولو أن رجلا هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين او ببلد آخر أذاقه الله من عذاب أليم. قال السدى إلا أن يتوب وروى عن عبدالله بن عمر انه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الآخر فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله وبلى والله

قوله تعالى ﴿وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت﴾ أى وطأنا قال ابن عباس جعلنا وقيل بينا قال الزجاج جعلنا مكان البيت مبوأ لابراهيم، وقال مقاتل بن حيان هيأنا وانما ذكر مكان البيت لان الكعبة رفعت إلى السماء زمان الطوفان ثم لما أمر الله تعالى ابراهيم ببناء البيت لم يدر أين يبنى فبعث

والركع السجود (٢٦) وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢٧)

هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبد غير الله واشرك به من قريش في البقعة التي أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لاشريك له فذكر تعالى انه بوأ ابراهيم مكان البيت أى ارشده اليه وسلمه له وأذن له في بنائه واستدل به كثير ممن قال إن ابراهيم عليه السلام هو أول من بني البيت العتيق وانه لم يبن قبله كما ثبت في الصحيحين عن أبي ذر قلت يارسول الله أى مسجد وضع أول؟ قال «المسجد الحرام» قلت ثم أي؟ قال «بيت المقدس» قلت كم بينهما؟ قال «اربعون سنة» وقد قال الله تعالى (إن أول بيت وضع للناس الذى ببكة مباركا) الآيتين وقال تعالى (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) وقد قدمنا ذكر ماورد في بناء البيت من الصحاح والآثار بما اغنى عن اعادته ههنا وقال تعالى ههنا (أن لاتشرك بي شيئا) أى ابنه على اسمي وحدى (وطهر بيتي) قال قتادة ومجاهد من الشرك (للطائفين والقائمين والركع السجود) أى اجعله خالصا لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده لاشريك له فالطائف به معروف وهو أخص العبادات عند البيت فانه لايفعل ببقعة من الارض سواها (والقائمين) أى في الصلاة ولهذا قال (والركع السجود) فقرن الطواف بالصلاة لأنهما لايشرعان إلا مختصين بالبيت فالطواف عنده والصلاة اليه في غالب الاحوال إلا ما استثنى من الصلاة عند اشتباه القبلة وفي الحرب وفي النافلة في السفر والله أعلم

وقوله (وأذن في الناس بالحج) أى ناد في الناس داعيا لهم الى الحج الى هذا البيت الذى أمرناك ببنائه فذكر أنه قال يارب كيف ابلغ الناس وصوتي لاينفذهم فقال ناد وعلينا البلاغ فقام على مقامه وقيل على الحجر وقيل على الصفا وقيل على أبي قبيس وقال يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه فيقال ان الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الارض وأسمع من في الارحام والاصلاب وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله أنه يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك هذا

الله ريحا خجوجا فكنست له ماحول البيت على الاساس وقال الكلبي بعث الله سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم ياابراهيم ابن على قدرى فبنى عليه

قوله تعالى ﴿أن لا تشرك بي شيئا﴾ أي عهدنا الى ابراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئا ﴿وطهر بيتي للطائفين﴾ أي الذين يطوفون بالبيت ﴿والقائمين﴾ أي [illegible]بمين ﴿والركع السجود﴾ أي المصلين ﴿وأذن في الناس﴾ أي اعلم وناد في الناس ﴿بالحج﴾ فقال ابراهيم وما يبلغ صوتي فقال عليك الأذان وعلينا البلاغ فقام ابراهيم على المقام فارتفع المقام حتى صار كاطول الجبال فادخل اصبعيه في اذنيه واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا أيها الناس ألا إن ربكم قد بنى لكم بيتا وكتب عليكم

مضمون ماورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف والله أعلم وأوردها ابن جرير وابن أبي حاتم مطولة

وقوله (يأتوك رجالا وعلى كل ضامر) الآية قد يستدل بهذه الآية من ذهب من العلماء الى أن الحج ماشيا لمن قدر عليه أفضل من الحج راكبا لانه قدمهم في الذكر فدل على الاهتمام بهم وقوة هممهم وشدة عزمهم وقال وكيع عن أبي العميس عن أبي حلحلة عن محمد بن كعب عن ابن عباس قال ما أساء علي شيء إلا أني وددت اني كنت حججت ماشيا لان الله يقول (يأتوك رجالا) والذي عليه الاكثرون أن الحج راكبا افضل اقتداء برسول الله ﷺ فانه حج راكبا مع كمال قوته عليه السلام وقوله (يأتين من كل فج) يعني طريق كما قال (وجعلنا فيها فجاجا سبلا) وقوله (عميق) أى بعيد قاله مجاهد وعطاء والسدى وقتادة ومقاتل بن حيان والثورى وغير واحد وهذه الآية كقوله تعالى اخباراً عن ابراهيم حيث قال في دعائه (فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم) فليس أحد من أهل الاسلام إلا وهو يحن الى رؤية الكعبة والطواف والناس يقصدونها من سائر الجهات والاقطار

ليشهدوا منٰفع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومٰت على ما رزقهم من بهيمة الانعم فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢٨) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (٢٩)

قال ابن عباس (ليشهدوا منافع لهم) قال منافع الدنيا والآخرة : أما منافع الاخرة فرضوان الله تعالى « وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن والذبائح والتجارات » وكذا قال مجاهد وغير واحد انها منافع الدنيا والاخرة كقوله [ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم]وقوله [ويذكروا

الحج الى البيت فأجيبوا ربكم. فأجابه كل من كان يحج من اصلاب الآباء وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك قال ابن عباس فأول من أجابه أهل اليمن فهم اكثر الناس حجا وروي ان ابراهيم صعد أباقبيس ونادى وقال ابن عباس عنى بالناس في هذه الآية أهل القبلة وزعم الحسن أن قوله (وأذن في الناس بالحج) كلام مستأنف وان المأمور بهذا التأذين محمد ﷺ أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع وروى أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا »

قوله تعالى ﴿ يأتوك رجالا ﴾ أي مشاة على ارجلهم جمع راجل مثل قائم وقيام وصائم وصيام ﴿ وعلى كل ضامر ﴾ أي ركبانا على كل ضامر والضامر البعير المهزول ﴿ يأتين من كل فج عميق ﴾ أي من كل طريق بعيد وانما جمع يأتين لمكان كل وأراد النوق ﴿ ليشهدوا ﴾ ليحضروا ﴿ منافع لهم ﴾ قال سعيد ابن المسيب ومحمد بن علي الباقر العفو والمغفرة وقال سعيد بن جبير التجارة وهي رواية ابن زيد عن ابن عباس قال الاسواق. وقال مجاهد التجارة وما يرضى الله به من أمر الدنيا والآخرة ﴿ ويذكروا

اسم الله في أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام] قال شعبة وهشيم عن أبي بشر عن سعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما : الايام المعلومات أيام العشر وعلقه البخارى عنه بصيغة الجزم به وروي مثله عن أبي موسى الاشعرى ومجاهد وقتادة وعطاء وسعيد بن جبير والحسن والضحاك وعطاء الخراساني وابراهيم النخعي وهو مذهب الشافعي والمشهور عن أحمد بن حنبل

وقال البخاري حدثنا محمد بن عرعرة حدثنا شعبة عن سليمان عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « ما العمل في أيام أفضل منها في هذه » قالوا ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال « ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل يخرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء » ورواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه بنحوه وقال الترمذي حديث حسن غريب صحيح « وفي الباب عن ابن عمر وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو وجابر » قلت وقد تقصيت هذه الطرق وأفردت لها جزأ على حدة فمن ذلك ما قال الامام أحمد حدثنا عفان أنبأنا أبو عوانة عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب اليه العمل فيهن من هذه الايام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد » وروى من وجه آخر عن مجاهد عن ابن عمر بنحوه » وقال البخاري وكان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان الى السوق في أيام العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما وقد روى أحمد عن جابر مرفوعا ان هـذا هو العشر الذي أقسم الله به في قوله (والفجر وليال عشر) وقال بعض السلف إنه المراد بقوله (وأتممناها بعشر) وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ كان يصوم هـذا العشر » وهذا العشر مشتمل على يوم عرفة الذي ثبت في صحيح مسلم عن أبي قتادة قال سئل رسول الله ﷺ عن صيام يوم عرفة فقال احتسب على الله

اسم الله في أيام معلومات ﴾ يعني عشر ذي الحجة في قول اكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها ويروى عن علي رضي الله عنه انها يوم النحر وثلاثة أيام بعده، وفي رواية عطاء عن ابن عباس انها يوم عرفة والنحر وأيام التشريق وقال مقاتل المعلومات أيام التشريق ﴿ على مارزقهم من بهيمـة الانعام ﴾ يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم وهي الابل والبقر والغنم واختار الزجاج أن الايام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق لان الذكر على بهيمة الانعام يدل على التسمية على نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الأيام ﴿ فـكلوا منها ﴾ أمر إباحة وليس بواجب وانما قال ذلك لان أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئا ، واتفق العلماء على أن الهدي اذا كان تطوعا يجوز للمهدي أن يأكل منه ، وكذلك اضحية التطوع لما اخبرنا أبو عبدالله محمد ابن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبدالله بن عمر الجوهري أنا احمد بن على الكشميهني أنا علي بن حجر أنا اسماعيل بن جعفر بن محمد عن أبيـه عن جابر بن عبدالله قال في قصة حجة الوداع : وقدم علي ببدن من اليمن وساق رسول الله ﷺ مائة بدنة فنحر منها رسول الله ﷺ

أن يكفر السنة الماضية والآتية ويشتمل على يوم النحر الذي هو يوم الحج الاكبر ، وقد ورد في حديث أنه أفضل الايام عند الله وبالجملة فهذا العشر قد قيل إنه أفضل أيام السنة كما نطق به الحديث وفضله كثير على عشر رمضان الاخير لان هذا يشرع فيه مايشرع في ذلك من صلاة وصيام وصدقة وغيره ، ويمتاز هذا باختصاصه باداء فرض الحج فيه وقيل ذلك أفضل لاشتماله على ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر وتوسط آخرون فقالوا أيام هذا أفضل وليالي ذاك أفضل وبهذا يجتمع شمل الادلة والله أعلم

(قول ثان) في الايام المعلومات قال الحكم عن مقسم عن ابن عباس الأيام المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده ، ويروى هذا عن ابن عمر وابراهيم النخعي واليه ذهب أحمد بن حنبل في رواية عنه

(قول ثالث) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن المديني حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا ابن عجلان حدثني نافع ان ابن عمر كان يقول : الأيام المعلومات المعدودات هن جميعهن اربعة أيام فالايام المعلومات يوم النحر ويومان بعده والايام المعدودات ثلاثة أيام بعد يوم النحر هذا اسناد صحيح اليه ، وقاله السدي وهو مذهب الامام مالك بن أنس ويعضد هذا القول والذي قبله قوله تعالى (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) يعنى به ذكر الله عند ذبحها .

(قول رابع) إنها يوم عرفة ويوم النحر ويوم آخر بعده وهو مذهب أبي حنيفة، وقال ابن وهب حدثني ابن زيد بن أسلم عن أبيه أنه قال المعلومات يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق وقوله (على مارزقهم من بهيمة الانعام) يعني الابل والبقر والغنم ، فصلها تعالى في سورة الانعام (ثمانية أزواج) الآية وقوله (فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) أستدل بهذه الآية من ذهب الى وجوب الاكل من الاضاحي وهو قول غريب والذي عليه الاكثرون أنه من باب الرخصة أو الاستحباب ، ثبت أن رسول الله ﷺ لما نحر هديه أمر من كل بدنة ببضعة فتطبخ فأكل من لحمها وحسا من مرقها قال

ثلاثا وستين بدنة بيده ونحر علي مابقى ثم أمر رسول الله ﷺ أن تؤخذ بضعة من كل بدنة فتجعل في قدر فأكلا من لحمها وحسيا من مرقها ،واختلفوا في الهدي الواجب بالشرع هل يجوز للمهدي أن يأكل منه شيئا مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وفواته وجزاء الصيد ، فذهب قوم الى أنه لايجوز أن يأكل منه شيئا وبه قال الشافعي، وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر لايأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه قال احمد واسحاق وقال مالك يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه الامن فدية الأذى وجزاء الصيد والمنذور وعند اصحاب الرأي يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما

قوله عز وجل ﴿ واطعموا البائس الفقير ﴾ يعني الزمن الفقير الذي لاشيء له والبائس الذي اشتد بؤسه والبؤس شدة الفقر ﴿ ثم ليقضوا تفثهم ﴾ التفث الوسخ والقذارة من طول الشعر والاظفار والشعث تقول العرب لمن تستقذره ما أتفثك أي ما أوسخك والحاج أشعث أغبر أي لم يحلق شعره

عبد الله بن وهب قال لي مالك أحب أن يأكل من أضحيته لان الله يقول (فكلوا منها) قال ابن وهب وسألت الليث فقال لى مثل ذلك وقال سفيان الثوري عن منصور عن ابراهيم (فكلوا منها) قال كان المشركون لا يأكلون من ذبائحهم فرخص المسلمين فمن شاء أكل ومن لم يشأ لم يأكل، وروي عن مجاهد وعطاء نحو ذلك. قال هشيم عن حصين عن مجاهد في قوله (فكلوا منها) قال هي كقوله (فاذا حللتم فاصطادوا * فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض) وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره، واستدل من نصر القول بان الاضاحي يتصدق منها بالنصف بقوله في هذه الآية (فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) فجزأها نصفين نصف للمضحي ونصف للفقراء * والقول الآخر أنها تجزأ ثلاثة أجزاء ثلث له وثلث يهديه وثلث يتصدق به لقوله تعالى في الآية (فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر) وسيأتي الكلام عليها عندها ان شاء الله وبه الثقة وقوله (البائس الفقير) قال عكرمة هو المضطر الذي عليه البؤس الفقير المتعفف * وقال مجاهد هو الذي لا يبسط يده، وقال قتادة هو الزمن، وقال مقاتل بن حيان هو الضرير وقوله (ثم ليقضوا تفثهم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو وضع الاحرام من حلق الرأس ولبس الثياب وقص الاظافر ونحو ذلك وهكذا روي عطاء ومجاهد عنه وكذا قال عكرمة ومحمد بن كعب القرظي وقال عكرمة عن ابن عباس (ثم ليقضوا تفثهم) قال التفث المناسك وقوله (وليوفوا نذرهم) قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس يعني مانحر ما نذر من أمر البدن، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (وليوفوا نذورهم) نذر الحج والهدي وما نذر الانسان من شيء يكون في الحج، وقال ابراهيم بن ميسرة عن مجاهد (وليوفوا نذورهم) قال الذبائح. وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد (وليوفوا نذورهم) كل نذر الى اجل. وقال عكرمة (وليوفوا نذورهم) قال حجهم * وكذا روى الامام أحمد ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان في قوله (وليوفوا نذورهم) قال نذور الحج فكل من دخل الحج فعليه من العمل فيه الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة وعرفة ومزدلفة ورمي الجمار على ما أمروا به، وروي عن مالك نحو هذا وقوله (وليطوفوا بالبيت العتيق) قال مجاهد يعني الطواف الواجب يوم النحر

ولم يقلم ظفره فقضاء التفث ازالة هذه الاشياء (ليقضوا تفثهم) أي ليزيلوا أدرانهم، والمراد منه الخروج عن الاحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الابط والاستحداد وقلم الاظفار ولبس الثياب قال ابن عمر وابن عباس قضاء التفث مناسك الحج كلها وقال مجاهد هو مناسك الحج وأخذ الشارب ونتف الابط وحلق العانة وقلم الاظفار، وقيل التفث ههنا رمي الجمار، قال الزجاج لا نعرف التفث ومعناه إلا من القرآن

قوله تعالى ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ قال مجاهد أراد نذر الحج والهدي وما ينذر الانسان من شيء يكون في الحج أي ليتموها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر على ظاهره، وقيل أراد به الخروج عما وجب عليه نذر أو لم ينذر والعرب تقول لكل من خرج عن الواجب عليه وفى بنذره وقرأ عاصم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد عن أبي حمزة قال: قال لي ابن عباس أتقرأ سورة الحج يقول الله تعالى (وليطوفوا بالبيت العتيق) فان آخر المناسك الطواف بالبيت العتيق. قلت وهكذا صنع رسول الله ﷺ فانه لما رجع الى منى يوم النحر بدأ برمي الجمرة فرماها بسبع حصيات ثم نحر هديه وحلق رأسه ثم أفاض فطاف بالبيت، وفي الصحيحين عن ابن عباس أنه قال أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت الطواف الا أنه خفف عن المرأة الحائض، وقوله (بالبيت العتيق) فيه مستدل لمن ذهب الى أنه يجب الطواف من وراء الحجر لانه من أصل البيت الذي بناه ابراهيم وان كانت قريش قد أخرجوه من البيت حين قصرت بهم النفقة ، ولهذا طاف رسول الله ﷺ من وراء الحجر وأخبر أن الحجر من البيت ولم يستلم الركنين الشاميين لانهما لم يتمما على قواعد ابراهيم العتيقة، ولهذا قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر العدني حدثنا سفيان عن هشام بن حجر عن رجل عن بن عباس قال لما نزلت هذه الآية (وليطوفوا بالبيت العتيق) طاف رسول الله ﷺ من ورائه. وقال قتادة عن الحسن البصري في قوله (وليطوفوا بالبيت العتيق) قال لانه أول بيت وضع للناس وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وعن عكرمة أنه قال انما سمي البيت العتيق لانه أعتق يوم الغرق زمان نوح ، وقال خصيف انما سمي البيت العتيق لانه

برواية أبي بكر وليوفوا بنصب الواو وتشديد الفاء ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ أراد به الطواف الواجب عليه وهو طواف الافاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق. والطواف ثلاثة (طواف القدوم) وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى أن ينتهي اليه ويمشي اربعا وهذا الطواف سنة لاشيء على من تركه. اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا احمد هو أبو عيسى أنا ابن وهب أنا عمرو بن الحارث عن محمد بن عبدالرحمن ابن نوفل القرشي انه سأل عروة بن الزبير فقال قد حج النبي ﷺ فاخبرتني عائشة أن أول شيء بدأ به حين قدم انه توضأ ثم طاف بالبيت ثم لم يكن عمرة ثم حج أبو بكر فكان أول شيء بدأ به الطواف بالبيت ثم لم يكن عمرة ثم عمر مثل ذلك ثم حج عثمان فرأيت أول شيء بدأ به الطواف بالبيت. اخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن احمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا أنس بن عياض عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ انه كان اذا طاف في الحج أو العمرة أول مايقدم يسعى ثلاثة اشواط ويمشي اربعا ثم يصلي سجدتين ثم يطوف بين الصفا والمروة سبعا (والطواف الثاني) هو طواف الافاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق وهو واجب لايحصل التحلل من الاحرام مالم يأت به اخبرنا عبدالواحد المليحي أنا احمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عمر بن حفص ثنا أبي أنا الاعمش أنا ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت حاضت صفية ليلة النفر فقالت ما أراني إلا حابستكم قال النبي ﷺ «عقرى حلقى أطافت يوم النحر»

لم يظهر عليه جبار قط » وقال ابن أبي نجيح وليث عن مجاهد أعتق من الجبابرة أن يسلطوا عليه وكذا قال قتادة وقال حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد لانه لم يرده أحد بسوء إلا هلك » وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن الزبير قال انما سمي البيت العتيق لان الله أعتقه من الجبابرة ، وقال الترمذي حدثنا محمد بن اسماعيل وغير واحد حدثنا عبدالله بن صالح أخبرني الليث عن عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن محمد بن عمر عن عبد الله بن الزبير قال ، قال رسول الله ﷺ « انما سمي البيت العتيق لانه لم يظهر عليه جبار » وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن سهل المحاربي عن عبد الله بن صالح به وقال ان كان صحيحا ، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب ثم رواه من وجه آخر عن الزهري مرسلا

ذلك ومن يعظم حرمت الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعم الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أوتهوي به الريح في مكان سحيق (٣١)

يقول تعالى هذا الذي أمرنا به من الطاعات في أداء المناسك وما لفاعليها من الثواب الجزيل (ومن يعظم حرمات الله) أي ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيما في نفسه (فهو خير له عند ربه) أي فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل فكما على فعل الطاعات ثواب كثير وأجر جزيل كذلك على ترك المحرمات واجتناب المحظورات

قيل نعم قال « فانفري » فثبت بهذا أن من لم يطف يوم النحر طواف الافاضة لايجوز له أن ينفر (والطواف الثالث) هو طواف الوداع لا رخصة فيه لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر أن يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعا فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائض يجوز لها ترك طواف الوداع. اخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن احمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن سليمان الاحول عن طاوس عن ابن عباس قال : أمر الناس أن يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت إلا انه رخص للمرأة الحائض. والرمل مختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضة والوداع قوله (بالبيت العتيق) اختلفوا في معنى العتيق فقال ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وقتادة سمي عتيقا لان الله اعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا الى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقال سفيان بن عيينة سمي عتيقا لأنه لم يملك قط وقال الحسن وابن زيد سمي به لأنه قديم وهو أول بيت وضع للناس يقال دينار عتيق أي قديم. وقيل سمي عتيقا لان الله اعتقه من الغرق فانه رفع أيام الطوفان ﴿ ذلك ﴾ أي الامر ذلك يعني ما ذكر من اعمال الحج ﴿ ومن يعظم حرمات الله ﴾ أي معاصي الله وما نهى

قال ابن جريج قال مجاهد في قوله (ذلك ومن يعظم حرمات الله) قال الحرمة مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها وكذا قال ابن زيد

وقوله (وأحلت لكم الانعام إلا ما يتلى عليكم) أي أحللنا لكم جميع الانعام وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، وقوله (إلا ما يتلى عليكم) أي من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة الآية قال ذلك ابن جرير وحكاه عن قتادة ، وقوله [فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور] من ههنا لبيان الجنس أي اجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان وقرن الشرك بالله بقول الزور كقوله [قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لاتعلمون] ومنه شهادة الزور وفي الصحيحين عن أبي بكرة ان رسول الله ﷺ قال « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ » قلنا بلى يارسول الله قال « الاشراك بالله وعقوق الوالدين - وكان متكئا فجلس فقال - ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت

وقال الامام أحمد حدثنا مروان بن معاوية الفزاري أنبأنا سفيان بن زياد عن فاتك بن فضالة عن أيمن بن خريم قال: قام رسول الله ﷺ خطيبا فقال « يا أيها الناس عدلت شهادة الزور إشراكا بالله » ثلاثا ثم قرأ [فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور] وهكذا رواه الترمذي عن أحمد ابن منيع عن مروان بن معاوية به ثم قال غريب إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد وقد اختلف عنه في رواية هذا الحديث ولانعرف لأيمن بن خريم سماعا من النبي ﷺ

وقال الامام أحمد أيضا حدثنا محمد حدثنا سفيان بن عبيد العصفري عن أبيه عن حبيب بن النعمان الاسدي عن خريم بن فاتك الاسدي قال : صلى رسول الله ﷺ الصبح فلما انصرف قام قائما فقال « عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عز وجل » ثم تلا هذه الآية [فاجتنبوا الرجس من الاوثان

عنه وتعظيمها ترك ملابستها، قال الليث حرمات الله مالا يحل انتهاكها وقال الزجاج الحرمة ماوجب القيام به وحرم التفريط فيه، وذهب قوم الى أن معنى الحرمات ههنا المناسك بدليل مايتصل بها من الآيات، وقال ابن زيد الحرمات ههنا البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام والاحرام ﴿ فهو خير له عند ربه ﴾ أي تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة ﴿ واحلت لكم الانعام ﴾ أن تأكلوها اذا ذبحتموها وهي الابل والبقر والغنم ﴿ إلا مايتلى عليكم ﴾ تحريمه وهو قوله في سورة المائدة (حرمت عليكم الميتة والدم) الآية ﴿ فاجتنبوا الرجس من الاوثان ﴾ أي عبادتها يقول كونوا على جانب منها فانها رجس أي سبب الرجس وهو العذاب والرجس بمعنى الرجز وقال الزجاج من ههنا للتجنيس أي اجتنبوا الاوثان التي هي رجس ﴿ واجتنبوا قول الزور ﴾ يعني الكذب والبهتان وقال ابن مسعود شهادة الزور وروي أن النبي ﷺ قام خطيبا فقال « يا أيها الناس عدلت

واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به] وقال سفيان الثوري عن عاصم بن أبي النجود عن وائل بن ربيعة عن ابن مسعود أنه قال : تعدل شهادة الزور الاشراك بالله ثم قرأ هذه الآية

وقوله [حنفاء لله] أي مخلصين له الدين منحرفين عن الباطل قصداً إلى الحق ولهذا قال [غير مشركين به] ثم ضرب للمشرك مثلا في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى فقال [ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء] أي سقط منها [فتخطفه الطير] أي تقطعه الطيور في الهواء [أو تهوي به الريح في مكان سحيق] أي بعيد مهلك لمن هوى فيه ولهذا جاء في حديث البراء أن الكافر إذا توفته ملائكة الموت وصعدوا بروحه إلى السماء فلا تفتح له أبواب السماء بل تطرح روحه طرحا من هناك ثم قرأ هذه الاية وقد تقدم الحديث في سورة ابراهيم بحروفه وألفاظه وطرقه. وقد ضرب تعالى للمشركين مثلا آخر في سورة الانعام وهو قوله [قل أندعوا من دون ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى] الاية

ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣)

يقول تعالى هذا ومن يعظم شعائر الله أي أوامره [فانها من تقوى القلوب] ومن ذلك تعظيم الهدايا والبدن كما قال الحكم عن مقسم عن ابن عباس تعظيمها استسمانها واستحسانها . وقال

شهادة الزور الاشراك بالله » ثم قرأ هذه الآية وقيل هو قول المشركين في تلبيتهم لبيك لاشريك لك لبيك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك ﴿ حنفاء لله ﴾ مخلصين له ﴿ غير مشركين به ﴾ قال قتادة كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوات وكانوا يسمون حنفاء فنزلت (حنفاء لله غير مشركين به) أي حجاجا لله مسلمين موحدين يعني من اشرك لا يكون حنيفا ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر ﴾ أي سقط ﴿ من السماء ﴾ الى الارض ﴿ فتخطفه الطير ﴾ أي تستلبه الطير وتذهب به والخطف والاختطاف تناول الشيء بسرعة وقرأ أهل المدينة فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء أي تتخطفه ﴿ أو تهوي به الريح ﴾ أي تميل وتذهب به ﴿ في مكان سحيق ﴾ أى بعيد معناه أن بعد من اشرك بالحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل اليها بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في انه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع بحيث تسقطه الريح فهو هالك لامحالة اما باستلاب الطير لحمه واما بسقوطه إلى المكان السحيق ، وقال الحسن شبه أعمال الكفار بهذه الحال في انها تذهب وتبطل فلا يقدرون على شيء منها ﴿ ذلك ﴾ يعني الذي ذكرت من اجتناب الرجس وقول الزور ﴿ ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ﴾ قال ابن

ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا حفص بن غياث عن ابن أبي ليلى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (ذلك ومن يعظم شعائر الله) قال: الاستسمان والاستحسان والاستعظام، وقال أبو امامة عن سهل: كنا نسمن الاضحية بالمدينة وكان المسلمون يسمنون. رواه البخاري. وعن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال «دم عفراء أحب إلى الله من دم سوداوين» رواه أحمد وابن ماجه قالوا والعفراء هي البيضاء بياضاً ليس بناصع فالبيضاء أفضل من غيرها وغيرها يجزىء أيضاً لما ثبت في صحيح البخاري عن أنس أن رسول الله ﷺ ضحى بكبشين أملحين أقرنين

وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ ضحى بكبش أقرن كحيل يأكل في سواد وينظر في سواد ويمشي في سواد، رواه أهل السنن وصححه الترمذي - أي فيه نكتة سوداء في هذه الاماكن، وفي سنن ابن ماجه عن أبي رافع أن رسول الله ﷺ ضحى بكبشين عظيمين سمينين أقرنين أملحين موجوءين، وكذا روى أبو داود وابن ماجه عن جابر ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أقرنين أملحين موجوءين قيل هما الخصيان وقيل اللذان رض خصياهما ولم يقطعهما والله أعلم

وعن علي رضي الله عنه قال أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والاذن وأن لا نضحي بمقابلة ولا مدابرة ولا شرقاء ولا خرقاء. رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي، ولهم عنه قال نهى رسول الله ﷺ أن نضحي بأعضب القرن والاذن. قال سعيد بن المسيب: العضب النصف فأكثر. وقال بعض أهل اللغة: إن كسر قرنها الاعلى فهي قصماء فأما العضب فهو كسر الاسفل وعضب الاذن قطع بعضها. وعند الشافعي ان الاضحية بذلك مجزئة لكن تكره، وقال أحمد لا تجزىء الاضحية بأعضب القرن والاذن لهذا الحديث؛ وقال مالك: ان كان الدم يسيل من القرن لم يجزىء، وإلا أجزأ والله أعلم. وأما المقابلة فهي التي قطع مقدم أذنها والمدابرة من مؤخر أذنها، والشرقاء

عباس شعائر الله البدن والهدي وأصلها من الاشعار وهو اعلامها ليعلم أنها هدي وتعظيمها استعظامها واستحسانها، وقيل شعائر الله اعلام دينه (فانها من تقوى القلوب) أي فان تعظيمها من تقوى القلوب (لكم فيها) أي في البدن قبل تسميتها للهدي (منافع) في درها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها (إلى أجل مسمى) وهو أن يسميها ويوجبها هديا فاذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها هذا قول مجاهد وقول قتادة والضحاك ورواه مقسم عن ابن عباس، وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا بأن تركبوها وتشربوا ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمى يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء بن أبي رباح، واختلف أهل العلم في ركوب الهدى فقال قوم يجوز له ركوبها والحمل عليها غير مضر بها وهو قول مالك والشافعي وأحمد وإسحاق لما أخبرنا ابو الحسن السرخسي أنا ابو علي زاهر بن احمد انا ابو إسحاق الهاشمي أنا ابو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ رأى رجلا يسوق بدنة فقال «اركبها» فقال انها بدنة قال «اركبها»

هي التي قطعت أذنها طولا . قاله الشافعي والاصمعي وأما الخرقاء فهي التي خرقت السمة أذنها خرقا مدوراً والله أعلم . وعن البراء قال قال رسول الله ﷺ « أربع لاتجوز في الاضاحي العوراء البين عورها والمريضة البين مرضها ، والعرجاء البين ضلعها والكسيرة التي لاتنقى » رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي وهذه العيوب تنقص اللحم لضعفها وعجزها عن استكمال الرعي لان الشاء يسبقونها إلى المرعى فلهذا لاتجزيء التضحية بها عند الشافعي وغيره من الأئمة كما هو ظاهر الحديث « واختلف قول الشافعي في المريضة مرضا يسيراً على قولين وروى ابو داود عن عتبة بن عبد السلمي أن رسول الله ﷺ نهى عن المصفرة والمستأصلة والبخقاء والمشيعة والكسيرة فالمصفرة قيل الهزيلة وقيل المستأصلة الاذن والمستأصلة مكسورة القرن والبخقاء هي العوراء والمشيعة هي التي لاتزال تشيع خلف الغنم ولا تتبع لضعفها والكسيرة العرجاء فهذه العيوب كلها مانعة من الاجزاء « فاما ان طرأ العيب بعد تعيين الاضحية فانه لايضر عند الشافعي خلافا لابي حنيفة « وقد روى الامام أحمد عن أبي سعيد قال « اشتريت كبشا أضحي به فعدا الذئب فأخذ الالية فسألت النبي ﷺ فقال « ضح به » ولهذا جاء في الحديث أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والاذن أي ان تكون الهدية والاضحية سمينة حسنة كما رواه الامام احمد وأبو داود عن عبد الله بن عمر قال أهدى عمر نجيبا فأعطى بها ثلثمائة دينار فأتى النبي ﷺ فقال يارسول الله اني أهديت نجيبا فأعطيت بها ثلثمائة دينار أفأبيعها وأشتري بثمنها بدنا قال لا « انحرها اياها » وقال الضحاك عن ابن عباس البدن من شعائر الله وقال محمد بن أبي موسى الوقوف ومزدلفة والجمار والرمي والحلق والبدن من شعائر الله ، وقال ابن عمر أعظم الشعائر البيت . وقوله (لكم فيها منافع) أي لكم في البدن منافع من لبنها وصوفها وأوبارها وأشعارها وركوبها الى أجل مسمى . قال مقسم عن ابن عباس في قوله (لكم فيها منافع الى أجل مسمى) قال مالم تسم بدنا « وقال مجاهد في قوله (لكم فيها منافع الى أجل مسمى) قال الركوب واللبن والولد فاذا سميت بدنة او هديا ذهب ذلك كله وكذا قال عطاء والضحاك وقتادة وعطاء الخراساني وغيرهم « وقال آخرون بل له أن ينتفع بها وان كانت هديا اذا احتاج الى ذلك كما ثبت في الصحيحين عن أنس أن

فقال انها بدنة قال « اركبها ويلك » في الثانية او الثالثة وكذلك قال له « اشرب لبنها بعد ما فضل عن ري ولدها « وقال أصحاب الرأي لا يركبها ، وقال قوم لا يركبها إلا أن يضطر اليه وقال بعضهم أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة (لكم فيها منافع) بالتجارة والاسواق إلى أجل مسمى وهو الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع بالاجر والثواب في قضاء المناسك (إلى أجل مسمى) أي إلى انقضاء أيام الحج ﴿ ثم محلها ﴾ أي منحرها ﴿ إلى البيت العتيق ﴾ أي منحرها عند البيت العتيق يريد أرض الحرم كلها كما قال (فلا تقربوا المسجد الحرام) أي الحرم كله وروي عن جابر في قصة حجة الوداع أن رسول الله ﷺ قال « نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم « ومن قال الشعائر المناسك

رسول الله ﷺ رأى رجلا يسوق بدنة قال « اركبها » قال انها بدنة قال « اركبها ويحك » في الثانية او الثالثة وفي رواية لمسلم عن جابر عن رسول الله ﷺ انه قال « اركبها بالمعروف اذا ألجئت اليها » وقال شعبة عن زهير عن أبي ثابت الاعمى عن المغيرة بن أبي الحر عن علي أنه رأى رجلا يسوق بدنة ومعها ولدها فقال لا تشرب من لبنها الا ما فضل عن ولدها فاذا كان يوم النحر فاذبحها وولدها

وقوله (ثم محلها إلى البيت العتيق) أي محل الهدي وانتهاؤه إلى البيت العتيق وهو الكعبة كما قال تعالى (هديا بالغ الكعبة) وقال (والهدي معكوفا أن يبلغ محله) وقد تقدم الكلام على معنى البيت العتيق قريباً ولله الحمد . وقال ابن جريج عن عطاء قال : كان ابن عباس يقول كل من طاف بالبيت فقد حل قال الله تعالى (ثم محلها إلى البيت العتيق)

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعٰم فالهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصٰبرين على ما أصابهم والمقيمي الصلوٰة ومما رزقنٰهم ينفقون (٣٥)

يخبر تعالى انه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعا في جميع الملل . وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس (ولكل أمة جعلنا منسكا) قال عيداً وقال عكرمة ذبحا . وقال زيد بن أسلم في قوله (لكل أمة جعلنا منسكا) انها مكة لم يجعل الله لامة قط منسكا غيرها ، وقوله [ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام] كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال أتى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين فسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما

وقال الامام أحمد بن حنبل حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا سلام بن مسكين عن عائذ الله المجاشعي عن أبي داود — وهو نفيع بن الحارث — عن زيد بن ارقم قال قلت أو قالوا يا رسول الله ما هذه الاضاحي ؟ قال « سنة أبيكم ابراهيم » قالوا ما لنا منها ؟ قال « بكل شعرة حسنة » قال فالصوف «

قال معنى قوله (ثم محلها الى البيت العتيق) أي محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق أي أن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر

قال الله تعالى ﴿ ولكل أمة ﴾ يعني جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿ جعلنا منسكا ﴾ قرأ حمزة والكسائي بكسر السين ههنا وفي آخر السورة على معنى الاسم مثل المسجد والمطلع يعني مذبحا وهو موضع القربان وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر مثل المدخل والمخرج يعني اراقة الدماء وذبح القرابين ﴿ ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام ﴾ عند نحرها وذبحها وسماها بهيمة لانها لا تتكلم ، وقال بهيمة الانعام وقيدها بالنعم لان من البهائم ماليس من الانعام كالخيل والبغال والحمير

قال « بكل شعرة من الصوف حسنة » وأخرجه الامام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في سننه من حديث سلام بن مسكين به

وقوله (فالهكم إله واحد فله أسلموا) أي معبودكم واحد وان تنوعت شرائع الانبياء ونسخ بعضها بعضاً فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لاشريك له (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون) ولهذا قال (فله أسلموا) اي أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته [وبشر المخبتين] قال مجاهد المطمئنين وقال الضحاك وقتادة المتواضعين .وقال السدي الوجلين وقال عمرو بن ادريس :المخبتين الذين لايظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا . وقال الثوري (وبشر المخبتين) قال المطمئنين الراضين بقضاء الله المستسلمين له ، وأحسن مايفسر بما بعده وهو قوله (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أي خافت منه قلوبهم (والصابرين على ما أصابهم) أي من المصائب ، قال الحسن البصري والله لتصبرن أو لتهلكن (والمقيمي الصلاة) قرأ الجمهور بالاضافة السبعة وبقية العشرة أيضاً ،وقرأ ابن السميفع (والمقيمين الصلاة) بالنصب وعن الحسن البصري والمقيمي الصلاة وانما حذفت النون ههنا تخفيفا ولو حذفت للاضافة لوجب خفض الصلاة ولكن على سبيل التخفيف فنصبت أي المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم من أداء فرائضه (ومما رزقناهم ينفقون) أي وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم وأقاربهم وفقرائهم ومحاويجهم ويحسنون الى الخلق مع محافظتهم على حدود الله ، وهذه بخلاف صفات المنافقين فانهم بالعكس من هذا كله كما تقدم تفسيره في سورة براءة

والبدن جعلنها لكم من شعئر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر ، كذلك سخرنها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)

يقول تعالى ممتنا على عبيده فيما خلق لهم من البدن وجعلها من شعائره وهو انه جعلها تهدى الى

لايجوز ذبحها في القرابين ﴿ فالهكم إله واحد ﴾ أي سموا على الذبائح اسم الله وحده فان الهكم إله واحد ﴿ فله أسلموا ﴾ انقادوا وأطيعوا ﴿ وبشر المخبتين ﴾ قال ابن عباس وقتادة المتواضعين « وقال مجاهد المطمئنين الى الله عز وجل والخبت المكان المطمئن من الارض » وقال الاخفش الخاشعين وقال النخعي المخلصين ، وقال الكلبي هم الرقيقة قلوبهم « وقال عمرو بن أوس هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا ﴿ الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم ﴾ من البلاء والمصائب ﴿ والمقيمي الصلاة ﴾ أي المقيمين للصلاة في أوقاتها ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ أي يتصدقون ﴿ والبدن ﴾ جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها يريد الابل العظام الصحاح الاجسام يقال بدن

بيته الحرام بل هي أفضل ما يهدى اليه كما قال تعالى (لاتحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام) الآية ، قال ابن جريج قال عطاء في قوله (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله) قال البقرة والبعير وكذا روي عن ابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن البصري ، وقال مجاهد انما البدن من الابل (قلت) أما اطلاق البدنة على البعير فمتفق عليه واختلفوا في صحة اطلاق البدنة على البقرة على قولين أصحهما أنه يطلق عليها ذلك شرعا كما صح الحديث، ثم جمهور العلماء على انه تجزيء البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة كما ثبت به الحديث عند مسلم من رواية جابر بن عبد الله قال أمرنا رسول الله ﷺ أن نشترك في الاضاحي البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة ، وقال اسحاق بن راهويه وغيره بل تجزيء البقرة والبعير عن عشرة وقد ورد به حديث في مسند الامام أحمد وسنن النسائي وغيرهما فالله أعلم

وقوله (لكم فيها خير) أي ثواب في الدار الآخرة ، وعن سليمان بن يزيد الكعبي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب الى الله من اهراق دم وانها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الارض فطيبوا بها نفسا » رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه . وقال سفيان الثوري كان أبو حازم يستدين ويسوق البدن فقيل له تستدين وتسوق البدن ؟ فقال اني سمعت الله يقول (لكم فيها خير) وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « ما أنفقت الورق في شيء أفضل من نحيرة في يوم عيد » رواه الدارقطني في سننه ، وقال مجاهد (لكم فيها خير) قال أجر ومنافع ، وقال ابراهيم النخعي يركبها ويحلبها اذا احتاج اليها

وقوله (فاذكروا اسم الله عليها صواف) وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن جابر بن عبد الله قال صليت مع رسول الله ﷺ عيد الاضحى فلما انصرف أتي بكبش فذبحه فقال « بسم الله والله أكبر اللهم هذا عني وعمن لم يضح من أمتي » رواه أحمد وأبو داود والترمذي

الرجل بدنا وبدانة اذا ضخم فأما اذا أسن واسترخى يقال بدن تبدينا ، قال عطاء والسدي البدن الابل والبقر أما الغنم فلا تسمى بدنة ﴿ جعلناها لكم من شعائر الله ﴾ من أعلام دينه سميت شعائر لانها تشعر وهو أن تطعن بحديدة في سنامها فيعلم انها هدى ﴿ لكم فيها خير ﴾ النفع في الدنيا والاجر في العقبى ﴿ فاذكروا اسم الله عليها ﴾ أي عند نحرها ﴿ صواف ﴾ أي قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها واحدى يديها ويدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك أخبرنا عبدالواحد المليحي انا أحمد النعيمي انا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل انا عبدالله بن مسلمة أنا يزيد بن زريع عن يونس عن زياد بن جبير قال رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها قال ابعثها قياما مقيدة سنة محمد ﷺ وقال مجاهد الصواف اذا عقلت رجلها اليسرى وقامت على ثلاث قوائم ، وقرأ ابن مسعود

وقال محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن عباس عن جابر قال ضحى رسول الله ﷺ بكبشين في يوم عيد فقال حين وجههما «وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين* ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وأمته» ثم سمى الله وكبر وذبح وعن علي بن الحسين عن أبي رافع أن رسول الله كان إذا ضحى اشترى كبشين سمينين أقرنين أملحين فاذا صلى وخطب الناس أتى بأحدهما وهو قائم في مصلاه فذبحه بنفسه بالمدية ثم يقول «اللهم هذا عن أمتي جميعها من شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ» ثم يؤتى بالآخر فيذبحه بنفسه ثم يقول «هذا عن محمد وآل محمد» فيطعمهما جميعاً للمساكين ويأكل هو وأهله منهما رواه أحمد وابن ماجه . وقال الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس في قوله (فاذكروا اسم الله عليها صواف) قال قياماً على ثلاث قوائم معقولة يدها اليسرى يقول بسم الله والله أكبر لا إله إلا الله اللهم منك ولك . وكذلك روي عن مجاهد وعلي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس نحو هذا، وقال ليث عن مجاهد إذا عقلت رجلها اليسرى قامت على ثلاث ، وروى ابن أبي نجيح عنه نحوه ، وقال الضحاك يعقل رجلا فتكون على ثلاث، وفي الصحيحين عن ابن عمر أنه أتى على رجل قد أناخ بدنة وهو ينحرها فقال ابعثها قياما مقيدة سنة أبي القاسم ﷺ وعن جابر أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا ينحرون البدن معقولة اليسرى قائمة على ما بقي من قوائمها رواه أبو داود وقال ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار أن سالم بن عبد الله قال لسليمان ابن عبد الملك قف من شقها الايمن وانحر من شقها الايسر ، وفي صحيح مسلم عن جابر في صفة حجة الوداع قال فيه فنحر رسول الله ﷺ بيده ثلاثا وستين بدنة جعل يطعنها بحربة في يده

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال في حرف ابن مسعود (صوافن) أي معقلة قياما. وقال سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد من قرأها صوافن قال معقولة ومن قرأها صواف قال تصف بين يديها وقال طاوس والحسن وغيرهما (فاذكروا اسم الله عليها صوافي) يعني خالصة لله عز وجل وكذا رواه مالك عن الزهري ، وقال عبد الرحمن بن زيد صوافي ليس فيها شرك كشرك الجاهلية لاصنامهم وقوله (فاذا وجبت جنوبها) قال ابن أبي نجيح عن مجاهد يعني سقطت الى الارض وهو رواية عن ابن عباس وكذا قال مقاتل بن حيان ، وقال العوفي عن ابن عباس فاذا وجبت جنوبها يعني نحرت ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فاذا وجبت جنوبها يعني ماتت وهذا القول هو

صوافن وهي أن تعقل منها يد وتنحر على ثلاث وهو مثل صواف ، وقرأ أبي والحسن ومجاهد صوافي بالياء أي صافية خالصة لله لا شريك له فيها ﴿ فاذا وجبت جنوبها ﴾ يعني سقطت بعد النحر فوقعت جنوبها على الارض وأصل الوجوب الوقوع يقال وجبت الشمس اذا سقطت للمغيب ﴿ فكلوا منها ﴾ أمر اباحة ﴿ وأطعموا القانع والمعتر ﴾ اختلفوا في معناهما فقال عكرمة وابراهيم وقتادة القانع الجالس

مراد ابن عباس ومجاهد فانه لايجوز الاكل من البدنة اذا نحرت حتى تموت وتبرد حركتها ، وقد جاء في حديث مرفوع «لاتعجلوا النفوس أن تزهق» وقد رواه الثوري في جامعه عن أيوب عن يحيى ابن أبي كثير عن قرافصة الحنفي عن عمر بن الخطاب أنه قال ذلك ويؤيده حديث شداد بن أوس في صحيح مسلم «ان الله كتب الاحسان على كل شيء إذا قتلتم فاحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » وعن أبي واقد الليثي قال : قال رسول الله ﷺ «ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه ، وقوله (فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر) قال بعض السلف قوله (فكلوا منها) أمر اباحة ، وقال مالك يستحب ذلك وقال غيره يجب وهو وجه لبعض الشافعية ، واختلفوا في المراد بالقانع والمعتر فقال العوفي عن ابن عباس القانع المستغني بما أعطيته وهو في بيته والمعتر الذي يتعرض لك ويلم بك أن تعطيه من اللحم ولا يسأل وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس القانع المتعفف والمعتر السائل وهذا قول قتادة وابراهيم النخعي ومجاهد في رواية عنه ، وقال ابن عباس وعكرمة وزيد بن أسلم والكلبي والحسن البصري ومقاتل بن حيان ومالك بن أنس القانع هو الذي يقنع اليك ويسألك والمعتر الذي يعتريك يتضرع ولا يسألك وهذا لفظ الحسن وقال سعيد بن جبير القانع هو السائل قال أما سمعت قول الشماخ

لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره أعف من القنوع

قال يغني من السؤال وبه قال ابن زيد وقال زيد بن أسلم القانع المسكين الذي يطوف والمعتر الصديق والضعيف الذي يزور وهو رواية عن ابنه عبد الرحمن بن زيد أيضا ، وعن مجاهد أيضا القانع جارك الغني الذي يبصر مايدخل بيتك والمعتر الذي يعتزل من الناس ، وعنه أن القانع هو الطامع والمعتر هو الذي يعتر بالبدن من غني أو فقير وعن عكرمة نحوه وعنه القانع أهل مكة ، واختار ابن جرير أن القانع هو السائل لانه من أقنع بيده إذا رفعها للسؤال والمعتر من الاعتراء وهو الذي يتعرض لاكل اللحم ، وقد احتج بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء الى أن الاضحية تجزأ ثلاثة أجزاء فثلث لصاحبها يأكله وثلث يهديه لاصحابه وثلث يتصدق به على الفقراء لانه تعالى قال (فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر) وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال للناس « إني كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الاضاحي فوق ثلاث فكلوا وادخروا ما بدا لكم» وفي رواية «فكلوا وادخروا وتصدقوا» وفي رواية «فكلوا واطعموا وتصدقوا»

في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل والمعتر الذى يسأل ، وروى العوفي عن ابن عباس القانع الذى لا يتعرض ولا يسأل والمعتر الذى يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل فعلى هذين التأويلين يكون القانع من القناعة يقال قنع قناعة اذا رضي بما قسم له

والقول الثاني : أن المضحي يأكل النصف ويتصدق بالنصف لقوله في الآية المتقدمة (فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) ولقوله في الحديث « فكلوا وادخروا وتصدقوا » فان أكل الكل فقيل لايضمن شيئا وبه قال ابن سريج من الشافعية وقال بعضهم يضمنها كلها بمثلها أو قيمتها وقيل يضمن نصفها وقيل ثلثها وقيل أدنى جزء منها وهو المشهور من مذهب الشافعي ، وأما الجلود ففي مسند أحمد عن قتادة بن النعمان في حديث الاضاحي «فكلوا وتصدقوا واستمتعوا بجلودها ولا تبيعوها» ومن العلماء من رخص في بيعها ومنهم من قال يقاسم الفقراء فيها والله أعلم

﴿مسئلة﴾ عن البراء بن عازب قال قال رسول الله ﷺ « ان أول ما نبدأ به في يومنا هـذا أن نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل الصلاة فانما هو لحم قدمه لاهله ليس من النسك في شيء » أخرجاه فلهذا قال الشافعي وجماعة من العلماء إن أول وقت ذبح الاضاحي اذا طلعت الشمس يوم النحر ومضى قدر صلاة العيد والخطبتين زاد أحمد وأن يذبح الامام بعد ذلك لما جاء في صحيح مسلم وان لا تذبحوا حتى يذبح الامام ، وقال أبو حنيفة أما اهل السواد من القرى ونحوها فلهم أن يذبحوا بعد طلوع الفجر إذ لاصلاة عيد تشرع عنده لهم ، وأما أهل الامصار فلا يذبحوا حتى يصلي الامام والله أعلم ، ثم قيل لايشرع الذبح الا يوم النحر وحده وقيل يوم النحر لاهل الامصار لتيسر الاضاحي عندهم وأما أهل القرى فيوم النحر وأيام التشريق بعده وبه قال سعيد بن جبير وقيل يوم النحر ويوم بعده للجميع وقيل ويومان بعده وبه قال الامام أحمد ، وقيل يوم النحر وثلاثة أيام التشريق بعده وبه قال الشافعي لحديث جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال « أيام التشريق كلها ذبح» رواه أحمد وابن حبان وقيل إن وقت الذبح يمتد إلى آخر ذي الحجة ، وبه قال ابراهيم النخعي وأبو سلمة بن عبد الرحمن « وهو قول غريب وقوله (كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون) يقول تعالى من أجل هذا (سخرناها لكم) أي ذللناها لكم وجعلناها منقادة لكم خاضعة ان شئتم ركبتم وان شئتم حلبتم وان شئتم ذبحتم كما قال تعالى (أو لم يروا انا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون ـ الى قوله ـ أفلا يشكرون) وقال في هذه الآية الكريمة (كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون)

وقال سعيد بن جبير والحسن والكلبي القانع الذى يسأل والمعتر الذى يتعرض ولا يسأل فيكون القانع من قنع يقنع قنوعا اذا سأل « وقرأ الحسن والمعترى وهو مثل المعتر يقال عره واعتره وعراه واعتراه اذا أتى يطلب معروفه اما سؤالا واما تعرضا ، وقال ابن زيد القانع المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين ولا يكون له ذبيحة يجيء الى القوم فيتعرض لهم لاجل لحمهم ﴿ كذلك ﴾ يعني مثل ما وصفنا من نحرها قياما ﴿ سخرناها لكم ﴾ نعمـة منا لتتمكنوا من نحرها ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ لكي

لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا

الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)

يقول تعالى انما شرع لكم نحر هذه الهدايا والضحايا لتذكروه عند ذبحها فانه الخالق الرازق لا يناله شيء من لحومها ولا دمائها فانه تعالى هو الغني عما سواه وقد كانوا في جاهليتهم اذا ذبحوها لآلهتهم وضعوا عليها من لحوم قرابينهم ونضحوا عليها من دمائها فقال تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن أبي حماد حدثنا ابراهيم بن المختار عن ابن جريج قال كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الابل ودمائها فقال أصحاب رسول الله ﷺ فنحن أحق أن ننضح فأنزل الله (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أي يتقبل ذلك ويجزي عليه « جاء في الصحيح ان الله لاينظر إلى صوركم ولا الى ألوانكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم وجاء في الحديث « ان الصدقة تقع في يد الرحمن قبل أن تقع في يد السائل وان الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع الى الارض » كما تقدم في الحديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه عن عائشة مرفوعا فمعناه أنه سيق لتحقيق القبول من الله لمن أخلص في عمله وليس له معنى يتبادر عند العلماء المحققين سوى هذا والله أعلم ، وقال وكيع عن يحيي بن مسلم بن الضحاك سألت عامرا الشعبي عن جلود الاضاحى فقال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) ان شئت فبع وان شئت فامسك وان شئت فتصدق وقوله (كذلك سخرها لكم) أي من أجل ذلك سخر لكم البدن (لتكبروا الله على ماهداكم) أي لتعظموه كما هداكم لدينه وشرعه ومايحبه ويرضاه ونهاكم عن فعل مايكرهه ويأباه وقوله (وبشر المحسنين) أي وبشر يامحمد المحسنين اي في عملهم القائمين بحدود الله المتبعين ماشرع لهم المصدقين الرسول فيما أبلغهم وجاءهم به من عند ربه عز وجل

(مسئلة) وقد ذهب أبو حنيفة ومالك والثوري إلى القول بوجوب الاضحية على من ملك نصابا وزاد أبو حنيفة اشتراط الاقامة أيضا واحتج لهم بما رواه أحمد وابن ماجه باسناد رجاله كلهم ثقات عن أبي هريرة مرفوعا « من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا » على أن فيه غرابة واستنكره أحمد ابن حنبل » وقال ابن عمر . أقام رسول الله ﷺ عشر سنين يضحي . رواه الترمذي وقال الشافعي وأحمد لاتجب الاضحية بل هي مستحبة لما جاء في الحديث « ليس في المال حق سوى الزكاة » وقد

تشكروا انعامي عليكم ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ﴾ وذلك أن أهل الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فأنزل الله هذه الآية (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) قرأ يعقوب تنال وتناله بالتاء فيهما وقرأ العامة بالياء قال مقاتل لن يرفع الى الله لحومها ولا دماؤها ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ ولكن يرفع اليه منكم الاعمال الصالحة والتقوى والاخلاص ما اريد به وجه الله

تقدم أنه عليه الصلاة والسلام ضحى عن أمته فأسقط ذلك وجوبها عنهم ، وقال أبو سريحة كنت جاراً لأبي بكر وعمر فكانا لا يضحيان خشية أن يقتدي الناس بهما ، وقال بعض الناس الاضحية سنة كفاية اذا قام بها واحد من أهل دار أو محلة أو بيت سقطت عن الباقين لان المقصود اظهار الشعار .

وقد روى الامام أحمد وأهل السنن وحسنه الترمذي عن مخنف بن سليم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول بعرفات « على كل أهل بيت في كل عام اضحاة وعتيرة هل تدرون ما العتيرة ؟ هي التي تدعونها الرجبية » وقد تكلم في إسناده ، وقال أبو أيوب كان الرجل في عهد رسول الله ﷺ يضحي بالشاة الواحدة عنه وعن أهل بيته فيأكلون ويطعمون حتى تباهى الناس فصار كما ترى . رواه الترمذي وصححه وابن ماجه ، وكان عبدالله بن هشام يضحي بالشاة الواحدة عن جميع أهله رواه البخاري . وأما مقدار سن الاضحية فقد روى مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال « لا تذبحوا إلا مسنة إلا ان تعسر عليكم فتذبحوا جذعة من الضأن » ومن ههنا ذهب الزهري إلا أن الجذع لا يجزي ، وقابله الاوزاعي فذهب إلى أن الجذع يجزيء من كل جنس وهما غريبان ، والذي عليه الجمهور انما يجزيء الثني من الابل والبقر والمعز أو الجذع من الضأن ، فأما الثني من الابل فهو الذي له خمس سنين ودخل في السادسة . ومن البقر ماله سنتان ودخل في الثالثة . وقيل ماله ثلاث ودخل في الرابعة ومن المعز ماله سنتان . وأما الجذع من الضأن فقيل ماله سنة وقيل عشرة اشهر ، وقيل ثمانية ، وقيل ستة أشهر وهو أقل ماقيل في سنه وما دونه فهو حمل والفرق بينهما أن الحمل شعر ظهره قائم ، والجذع شعر ظهره نائم قد انفرق صدعين والله أعلم

ان الله يدافع عن الذين آمنوا ، ان الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨)

يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا اليه شر الاشرار وكيد الفجار ويحفظهم ويكلؤهم وينصرهم كما قال تعالى (أليس الله بكاف عبده) وقال (ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدراً) وقوله (إن الله لا يحب كل خوان كفور) أي لا يحب من عباده من اتصف بهذا وهو الخيانة في العهود والمواثيق لا يفي بما قال ، والكفر الجحد للنعم فلا يعترف بها

﴿ كذلك سخرها لكم ﴾ يعني البدن ﴿ لتكبروا الله على ماهداكم ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وهو أن يقول الله اكبر على ماهدانا ، والحمد لله على ما أبلانا واولانا ﴿ وبشر المحسنين ﴾ قال ابن عباس الموحدين

قوله تعالى ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة يدفع وقرأ الآخرون يدافع بالالف يريد يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم عن المؤمنين ﴿ إن الله لا يحب كل خوان كفور ﴾ يعني خوان في أمانة الله كفور لنعمته قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا

أذن للذين يقتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير (٣٩) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومسجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوي عزيز (٤٠)

قال العوفي عن ابن عباس نزلت في محمد وأصحابه حين أخرجوا من مكة، وقال مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف كابن عباس ومجاهد وعروة بن الزبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة وغيرهم هذه أول آية نزلت في الجهاد واستدل بهذه الآية بعضهم على أن السورة مدنية ،وقال ابن جرير حدثني يحيى بن داود الواسطي حدثنا اسحاق بن يوسف عن سفيان عن الاعمش عن مسلم هو البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا اليه راجعون ليهلكن ، قال ابن عباس فأنزل الله عز وجل (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه فعرفت أنه سيكون قتال . ورواه الامام أحمد عن اسحاق بن يوسف الازرق به ، وزاد قال ابن عباس وهي أول آية نزلت في القتال، ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما وابن أبي حاتم من حديث اسحاق بن يوسف زاد الترمذي ووكيع كلاهما عن سفيان الثوري به وقال الترمذي حديث حسن وقد رواه غير واحد عن الثوري وليس فيه ابن عباس

وقوله (وإن الله على نصرهم لقدير) أي هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال ولكن هو يريد من عباده أن يبذلوا جهدهم في طاعته كما قال (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض ، والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم

نعمه قال الزجاج من تقرب الى الاصنام بذبيحته وذكر عليها اسم غير الله فهو خوان كفور ﴿ أذن ﴾ قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم أذن بضم الالف والباقون بفتحها أي أذن الله ﴿ للذين يقاتلون ﴾ قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص يقاتلون بفتح التاء يعني المؤمنين الذين يقاتلهم المشركون وقرأ الآخرون بكسر التاء يعني الذين اذن لهم بالجهاد يقاتلون المشركين قال المفسرون كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فلا يزالون محزونين من بين مضروب ومشجوج ويشكون ذلك الى رسول الله ﷺ فيقول لهم اصبروا فاني لم أومر بالقتال حتى هاجر رسول الله ﷺ فانزل الله عز وجل هذه الآية وهي أول آية أذن الله فيها بالقتال فنزلت هذه الآية بالمدينة وقال مقاتل نزلت

ويدخلهم الجنة عرفها لهم) وقال تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) وقال (أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون) وقال (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) وقال (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) والآيات في هذا كثيرة ، ولهذا قال ابن عباس في قوله (وإن الله على نصرهم لقدير) وقد فعل . وانما شرع تعالى الجهاد في الوقت الاليق به لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عدداً فلو أمر المسلمون وهم أقل من العشر بقتال الباقين لشق عليهم ، ولهذا لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله ﷺ وكانوا نيفا وثمانين قالوا يارسول الله ألا نميل على أهل الوادى يعنون أهل منى ليالي منى فنقتلهم ؟ فقال رسول الله ﷺ « إني لم أومر بهذا » فلما بغى المشركون وأخرجوا النبي ﷺ من بين أظهرهم وهموا بقتله وشردوا أصحابه شذر مذر فذهب منهم طائفة إلى الحبشة وآخرون إلى المدينة . فلما استقروا بالمدينة ووافاهم رسول الله ﷺ واجتمعوا عليه وقاموا بنصره وصارت لهم دار اسلام ومعقلا يلجؤن اليه شرع الله جهاد الاعداء فكانت هذه الآية أول مانزل في ذلك فقال تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) قال العوفي عن ابن عباس أخرجوا من مكة إلى المدينة بغير حق يعني محمداً وأصحابه (إلا أن يقولوا ربنا الله) أى ما كان لهم إلى قومهم إساءة ولا كان لهم ذنب إلا أنهم وحدوا الله وعبدوه لاشريك له وهـذا استثناء منقطع بالنسبة إلى مافي نفس الامر . وأما عند المشركين فانه أكبر الذنوب كما قال تعالى (يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) وقال تعالى في قصة أصحاب الاخـدود (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) ولهذا لما كان المسلمون يرتجزون في بناء الخندق ويقولون

لاهم لولا أنت مااهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينـة علينـا وثبت الاقدام إن لاقينا
إن الالى قد بغوا علينـا اذا أرادوا فتنـة أبينـا

هذه الآية في قوم باعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فكانوا يمنعون فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة ﴿ بأنهم ظلموا ﴾ يعني بسبب ماظلموا واعتدوا عليهم بالايذاء ﴿ وان الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق ﴾ بدل من الذين الاولى ﴿ إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾ يعني لم يخرجوا من ديارهم إلا لقولهم ربنا الله وحده ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ بالجهاد واقامة الحدود ﴿ لهدمت ﴾ قرأ أهل المدينـة بتخفيف الدال وقرأ الآخرون بالتشديد على

فيوافقهم رسول الله ﷺ ويقول معهم آخر كل قافية فاذا قالوا اذا أرادوا فتنة أبينا يقول أبينا يمد بها صوته ثم قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أي لولا أنه يدفع بقوم عن قوم ويكف شرور أناس عن غيرهم بما يخلقه ويقدره من الاسباب لفسدت الارض ولاهلك القوي الضعيف (لهدمت صوامع) وهي المعابد الصغار للرهبان قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والضحاك وغيرهم وقال قتادة هي معابد الصابئين وفي رواية عنه صوامع المجوس وقال مقاتل بن حيان هي البيوت التي على الطرق (وبيع) وهي أوسع منها وأكثر عابدين فيها وهي للنصارى أيضاً قاله أبو العالية وقتادة والضحاك وابن صخر ومقاتل بن حيان وخصيف وغيرهم ، وحكى ابن جبير عن مجاهد وغيره أنها كنائس اليهود ، وحكى السدي عمن حدثه عن ابن عباس أنها كنائس اليهود ومجاهد انما قال هي الكنائس والله أعلم، وقوله (وصلوات) قال العوفي عن ابن عباس الصلوات الكنائس وكذا قال عكرمة والضحاك وقتادة أنها كنائس اليهود وهم يسمونها صلوات، وحكى السدي عمن حدثه عن ابن عباس أنها كنائس النصارى وقال أبو العالية وغيره الصلوات معابد الصابئين وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد الصلوات مساجد لاهل الكتاب ولاهل الاسلام بالطرق وأما المساجد فهي للمسلمين ، وقوله (يذكر فيها اسم الله كثيراً) فقد قيل الضمير في قوله يذكر فيها عائد إلى المساجد لانها أقرب المذكورات وقال الضحاك الجميع يذكر فيها اسم الله كثيراً، وقال ابن جرير الصواب لهدمت صوامع الرهبان وبيع النصارى وصلوات اليهود وهي كنائسهم ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا لان هذا هو المستعمل المعروف في كلام العرب . وقال بعض العلماء هذا ترق من الاقل الى الا كثر الى أن انتهى الى المساجد وهي أكثر عماراً وأكثر عبادا وهم ذوو القصد الصحيح، وقوله (ولينصرن الله من ينصره) كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم) وقوله (ان الله لقوي عزيز) وصف نفسه بالقوة والعزة فبقوته خلق كل شيء فقدره تقديرا وبعزته لايقهره قاهر ولا يغلبه غالب بل كل شيء ذليل لديه فقير اليه ومن كان القوي العزيز ناصره فهو المنصور وعدوه هو المقهور قال الله تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله لقوي عزيز

التكثير فالتخفيف يكون للتقليل والتكثير والتشديد يختص بالتكثير ﴿ صوامع ﴾ قال مجاهد والضحاك يعني صوامع الرهبان وقال قتادة صوامع الصابئين ﴿ وبيع ﴾ يعني بيع النصارى جمع بيعة وهي كنيسة النصارى ﴿ وصلوات ﴾ يعني كنائس اليهود ويسمونها بالعبرانية صلوتا ﴿ ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ﴾ يعني مساجد المسلمين من امة محمد ﷺ ومعنى الآية ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ لهدم في شريعة كل نبي مكان صلاتهم لهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع وصوامع وفي زمن محمد ﷺ المساجد ، وقال ابن زيد أراد بالصلوات صلوات أهل الاسلام فانها لاتنقطع اذا

الذين إن مكنّٰهم في الأرض أقاموا الصلوٰة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور (٤١)

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا حماد بن زيد عن أيوب وهشام عن محمد قال قال عثمان بن عفان فينا نزلت (الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) فاخرجنا من ديارنا بغير حق الا ان قلنا ربنا الله ثم مكنا في الارض فاقمنا الصلاة وآتينا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر ولله عاقبة الامور فهي لي ولاصحابي وقال أبو العالية هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال الصباح بن سوادة الكندي سمعت عمر ابن عبدالعزيز يخطب وهو يقول (الذين ان مكناهم في الارض) الآية ثم قال ألا انها ليست على الوالي وحده ولكنها على الوالي والمولى عليه، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم وبما للوالي عليكم منه ان لكم على الوالي من ذلكم أن يأخذكم بحقوق الله عليكم وان يأخذ لبعضكم من بعض وان يهديكم للتي هي أقوم مااستطاع وان عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة ولا المستكره بها ولا المخالف سرها علانيتها وقال عطية العوفي هذه الاية كقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) وقوله (ولله عاقبة الامور) كقوله تعالى والعاقبة للمتقين وقال زيد بن أسلم ولله عاقبة الامور وعند الله ثواب ماصنعوا

وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود (٤٢) وقوم ابراهيم وقوم لوط (٤٣) وأصحٰبُ مدين وكُذِّب موسى فأمليت للكٰفرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير (٤٤) فكأين من قرية أهلكنٰها وهى ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد (٤٥) أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الأبصٰر ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (٤٦)

دخل العدو عليهم ﴿ ولينصرن الله من ينصره ﴾ يعني ينصر دينه ونبيه ﴿ إن الله لقوي عزيز * الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ قال الزجاج هذا من صفة ناصريه ومعنى مكناهم نصرناهم على عدوهم حتى يتمكنوا في البلاد قال هم اصحاب محمد ﷺ قال الحسن هذه الامة ﴿ ولله عاقبة الامور ﴾ يعني آخر امور الخلق ومصيرهم اليه يعني يبطل كل ملك سوى ملكه فتصير الامور اليه بلا منازع ولا مدع

قوله تعالى ﴿ وإن يكذبوك ﴾ يعزى نبيه ﷺ ﴿ فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم

يقول تعالى مسليا لنبيه محمد ﷺ في تكذيب من خالفه من قومه (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح — الى ان قال — وكذب موسى) أي مع ما جاء به من الآيات البينات والدلائل الواضحات (فأمليت للكافرين) أي أنذرتهم وأخرتهم (ثم أخذتهم فكيف كان نكير) أي فكيف كان انكاري عليهم ومعاقبتي لهم. وذكر بعض السلف انه كان بين قول فرعون لقومه أنا ربكم الاعلى وبين اهلاك الله له أربعين سنة وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي ﷺ انه قال « ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد) ثم قال تعالى (فكأين من قرية أهلكناها) أي كم من قرية اهلكتها (وهي ظالمة) أي مكذبة لرسلها (فهي خاوية على عروشها) قال الضحاك سقوفها أي قد خربت منازلها وتعطلت حواضرها (وبئر معطلة) أي لا يستقى منها ولا يردها أحد بعد كثرة وارديها والازدحام عليها (وقصر مشيد) قال عكرمة يعني المبيض بالجص وروي عن علي بن أبي طالب ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وأبي المليح والضحاك نحو ذلك ، وقال آخرون هو المنيف المرتفع وقال آخرون المشيد المنيع الحصين وكل هذه الاقوال متقاربة ولا منافاة بينها فانه لم يحم أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه ولا احكامه ولا حصانته عن حلول بأس الله بهم كما قال تعالى (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) وقوله (أفلم يسيروا في الارض) أي بأبدانهم وبفكرهم أيضا وذلك كاف كما قال ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر والاعتبار حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار قال أوحى الله تعالى الى موسى بن عمران عليه السلام ان: ياموسى اتخذ نعلين من حديد وعصا ثم سح في الارض ثم اطلب الآثار والعبر حتى

ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ﴾ يعني امهلتهم وأخرت عقوبتهم ﴿ ثم أخذتهم ﴾ عاقبتهم ﴿ فكيف كان نكير ﴾ يعني انكاري أي كيف انكرت عليهم مافعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من يخالف النبي ﷺ ويكذبه ﴿ فكأين ﴾ فكم ﴿ من قرية اهلكتها ﴾ بالتاء هكذا قرأ أهل البصرة ويعقوب وقرأ الآخرون اهلكناها بالنون والالف على التعظيم ﴿ وهي ظالمة ﴾ يعني واهلها ظالمون ﴿ فهي خاوية ﴾ ساقطة ﴿ على عروشها ﴾ على سقوفها ﴿ وبئر معطلة ﴾ يعني وكم من بئر معطلة متروكة مخلاة عن اهلها ﴿ وقصر مشيد ﴾ قال قتادة والضحاك ومقاتل رفيع طويل من قولهم شاد بناءه اذا رفعه وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء مجصص من الشيد وهو الجص وقيل ان البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن أما القصر فعلى قلة جبل والبئر في سفحه ولكل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فأهلكهم الله وبقي البئر والقصر خاليين. وروى أبو روق عن الضحاك أن هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاصورا. وذلك أن اربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح نجوا من العذاب أتوا حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمي حضرموت لان صالحا لما حضره مات فبنوا حاصوراء وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلا فاقاموا دهراً

يتخرق النعلان وتتكسر العصا. وقال ابن أبي الدنيا قال بعض الحكماء إحي قلبك بالمواعظ ونوره بالتفكر وموته بالزهد وقوه باليقين وذلله بالموت وقدره بالفناء وبصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الايام وأعرض عليه أخبار الماضين وذكره ما أصاب من كان قبله وسيره في ديارهم وآثارهم وانظر ما فعلوا وأين حلوا وعم انقلبوا . أي فانظروا ما حل بالامم المكذبة من النقم والنكال (فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) أي فيعتبرون بها (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) أي ليس العمى عمى البصر وانما العمى عمى البصيرة وان كانت القوة الباصرة سليمة فانها لا تنفذ الى العبر ولا تدري ما الخبر وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في هذا المعنى وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيان الاندلسي الشنتريني وقد كانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسمائة

يا من يصيخ الى داعي الشقاء وقد … نادى به الناعيان الشيب الكبر
إن كنت لا تسمع الذكرى ففيم ترى … في رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الاصم ولا الاعمى سوى رجل … لم يهده الهاديان العين والاثر
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الاعلى … ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وان كرها … فراقها الثاويان البدو والحضر

ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ، وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (٤٧) وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير (٤٨)

يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه (ويستعجلونك بالعذاب) أي هؤلاء الكفار الملحدون المكذبون بالله وكتابه ورسوله واليوم الآخر كما قال تعالى (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ـ وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب)

وتناسلوا حتى كثروا ثم إنهم عبدوا الاصنام وكفروا فارسل الله عليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطلت بئرهم وخربت قصورهم ﴿ أفلم يسيروا في الارض ﴾ يعني كفار مكة فينظروا الى مصارع المكذبين من الامم الخالية ﴿ فتكون لهم قلوب يعقلون بها ﴾ يعني يعلمون بها ﴿ أو آذان يسمعون بها ﴾ يعني مايذكر لهم من اخبار القرون الماضية فيعتبرون بها ﴿ فانها ﴾ الهاء عماد ﴿ لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ ذكر التي في الصدور تأكيداً كقوله (يطير بجناحيه) معناه أن العمى الضار هو عمى القلب ، فأما عمى البصر فليس بضار في أمر الدين ، قال قتادة : البصر الظاهر بلغة ومتعة وبصر القلب هو البصر النافع ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾ نزلت في النضر بن الحارث حيث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ﴿ ولن يخلف الله وعده ﴾ فانجز ذلك يوم بدر ﴿ وان يوما عند ربك

وقوله (ولن يخلف الله وعده) أي الذي قد وعد من إقامة الساعة والانتقام من أعدائه ، والاكرام لاوليائه ، قال الاصمعي كنت عند أبي عمرو بن العلاء فجاءه عمرو بن عبيد فقال ياأبا عمرو هل يخلف الله الميعاد ؟ فقال لا ، فذكر آية وعيد فقال له أمن العجم أنت ؟ إن العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤما وعن الايعاد كرما أما سمعت قول الشاعر

ليرهب ابن العم والجار سطوتي ولا أنثني عن سطوة المتهدد

فاني وان أوعدته أو وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

وقوله (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) أي هو تعالى لا يعجل فان مقدار الف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة الى حكمه لعلمه بأنه على الانتقام قادر وانه لايفوته شيء وان أجل وأنظر وأملى ولهذا قال بعد هذا (وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها والي المصير) قال ابن أبي حاتم ثنا الحسن بن عرفة حدثني عبدة بن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم خمسمائة عام » ورواه الترمذي والنسائي من حديث الثوري عن محمد بن عمرو به وقال الترمذي حسن صحيح ، وقد رواه ابن جرير عن أبي هريرة موقوفا فقال : حدثني يعقوب ثنا ابن علية ثنا سعيد الجريرى عن أبي نضرة عن سمير بن نهار قال : قال أبو هريرة : يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بمقدار نصف يوم ، قلت وما مقدار نصف يوم ؟ قال أو ماتقرأ القرآن ، قلت بلى ! قال (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون)

وقال أبو داود في آخر كتاب الملاحم من سننه حدثنا عمر بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال « اني لارجو أن لاتعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم » قيل لسعد وما نصف يوم ؟ قال خمسمائة سنة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن اسرائيل عن سماك

كألف سنة مما تعدون ﴾ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي يعدون بالياء ههنا لقوله (يستعجلونك) وقرأ الباقون بالتاء لأنه أعم لانه خطاب للمستعجلين والمؤمنين واتفقوا في تنزيل السجدة أنه بالتاء قال ابن عباس يعني يوما من الايام الستة التي خلق الله فيها السموات والارض وقال مجاهد وعكرمة يوما من أيام الآخرة والدليل عليه ماروي عن أبي سعيد الخدري قال :قال رسول الله ﷺ « ابشروا يامعاشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة » قال ابن زيد (وإن يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) هذه أيام الآخرة ، وقوله (مقداره خمسين الف سنة) يوم القيامة والمعنى على هذا أنهم يستعجلون بالعذاب وان يوما من أيام عذابهم في الآخرة ألف سنة وقيل معناه وإن يوما من أيام العذاب الذي استعجلوه

عن عكرمة عن ابن عباس (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) قال من الايام التي خلق الله فيها السموات والارض . ورواه ابن جرير عن ابن بشار عن ابن مهدى ، وبه قال مجاهد وعكرمة ونص عليه أحمد بن حنبل في كتاب الجهمية ، وقال مجاهد هذه الاية كقوله (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عارم بن محمد بن الفضل حدثنا حماد بن زيد عن يحيى بن عتيق عن محمد بن سيرين عن رجل من أهل الكتاب أسلم قال ان الله تعالى خلق السموات والارض في ستة أيام (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) وجعل أجل الدنيا ستة أيام وجعل الساعة في اليوم السابع (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) فقد مضت الستة الايام وأنتم في اليوم السابع فمثل ذلك كمثل الحامل اذا دخلت شهرها ففي أية ولدت كان تماما

قل يأيها الناس انما أنا لكم نذير مبين (٤٩) فالذين آمنوا وعملوا الصلحت لهم مغفرة ورزق كريم (٥٠) والذين سعوا في آيتنا معجزين أولئك أصحب الجحيم (٥١)

يقول تعالى لنبيه ﷺ حين طلب منه الكفار وقوع العذاب واستعجلوه به (قل يأيها الناس انما أنا لكم نذير مبين) أى انما أرسلني الله اليكم نذيراً لكم بين يدى عذاب شديد وليس الي من حسابكم من شيء أمركم الى الله إن شاء عجل لكم العذاب وإن شاء أخره عنكم ، وإن شاء تاب على من يتوب اليه ، وإن شاء أضل من كتب عليه الشقاوة وهو الفعال لما يشاء ويريد ويختار (لامعقب لحكمه وهو سريع الحساب) (وانما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى آمنت قلوبهم وصدقوا إيمانهم بأعمالهم (لهم مغفرة ورزق كريم) أى مغفرة لما سلف من سيئاتهم ومجازاة حسنة على القليل من حسناتهم ، قال محمد بن كعب القرظي اذا سمعت الله تعالى يقول (ورزق كريم) فهو الجنة

وقوله (والذين سعوا في آياتنا معاجزين) قال مجاهد يثبطون الناس عن متابعة النبي ﷺ وكذا قال عبد الله بن الزبير مثبطين ، وقال ابن عباس معاجزين مراغمين (أولئك أصحاب الجحيم)

في الثقل والاستطالة والشدة كألف سنة مما تعدون فكيف تستعجلونه؟ هذا كما يقال أيام الهموم طوال وأيام السرور قصار وقيل معناه ان يوما عنده وألف سنة في الامهال سواء لانه قادر متى شاء أخذهم لايفوته شيء بالتأخير فيستوي في قدرته وقوع مايستعجلون به من العذاب وتأخره وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء ﴿ وكأين من قرية امليت لها ﴾ يعني امهلتها ﴿ وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير ، قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ الرزق الكريم الذي لاينقطع أبداً وقيل هو الجنة ﴿ والذين سعوا في آياتنا ﴾ يعني عملوا في

وهي النار الحارة الموجعة الشديد عذابها ونكالها أجارنا الله منها ، قال الله تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون)

وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطٰن في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطٰن ثم يحكم الله آيٰته والله عليم حكيم (٥٢) ليجعل ما يلقي الشيطٰن فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظٰلمين لفي شقاق بعيد (٥٣) وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم (٥٤)

قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرانيق وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظنا منهم أنَ مشركي قريش قد أسلموا ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح والله أعلم

قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير قال : قرأ رسول الله ﷺ بمكة النجم فلما بلغ هذا الموضع (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) قال فألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن ترتجى، قالوا ماذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فأنزل الله عز وجل هـذه الآية (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) ورواه ابن جرير عن بندار عن غندر عن شعبة به بنحوه وهو مرسل

ابطال آياتنا ﴿ معاجزين ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين بالتشديد ههنا وفي سورة سبأ يعني مثبطين الناس عن الايمان وقرأ الآخرون معاجزين بالالف يعني معاندين مشاقين وقال قتادة معناه ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا بزعمهم أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ومعنى يعجزوننا أي يفوتوننا فلا نقدر عليهم وهذا كقوله تعالى (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) ﴿ أولئك أصحاب الجحيم ﴾ وقيل معاجزين مغالبين يريد كل واحد أن يظهر عجز صاحبه

قوله تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾ الآية قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما من المفسرين لما رأى رسول الله ﷺ تولى قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تمنى في نفسه أن يأتيه من الله من يقارب بينه وبين قومه لحرصه على إيمانهم فكان يوما في مجلس لقريش فأنزل الله تعالى سورة والنجم فقرأها

وقد رواه البزار في مسنده عن يوسف بن حماد عن أمية بن خالد عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي ﷺ قرأ بمكة سورة النجم حتى انتهى إلى (أفرأيتم اللات والعزى) وذكر بقيته ، ثم قال البزار لانعلمه يروى متصلا إلا بهذا الاسناد تفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور ❊ وانما يروى هذا من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، ثم رواه ابن أبي حاتم عن أبي العالية وعن السدي مرسلا ، وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس مرسلا أيضا ، وقال قتادة كان النبي ﷺ يصلي عند المقام إذ نعس فألقى الشيطان على لسانه وإن شفاعتها لترتجى ❊ وانها لمع الغرانيق العلى فحفظها المشركون واجرى الشيطان أن النبي ﷺ قد قرأها فذلت بها ألسنتهم فأنزل الله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) الآية فدحر الله الشيطان

ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا موسى بن أبي موسى الكوفي حدثنا محمد بن اسحاق الشيبي حدثنا محمد ابن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال : أنزلت سورة النجم وكان المشركون يقولون لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه ❊ ولكنه لايذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر آلهتنا من الشتم والشر وكان رسول الله ﷺ قد اشتد عليه مانااله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم وأحزنه ضلالهم فكان يتمنى هداهم فلما أنزل الله سورة النجم قال (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ❊ ألكم الذكر وله الانثى) ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت

رسول الله ﷺ حتى بلغ قوله (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) ألقى الشيطان على لسانه بما كان يحدث به نفسه ويتمناه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجي فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله ﷺ في قراءته يقرأ السورة كلها وسجد في آخر السورة فسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة وابو أحيحة سعيد بن العاص فانهما أخذا حفنة من البطحاء ورفعاها إلى جبهتيهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ماسمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر ،وقالوا قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فان جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما أمسى رسول الله ﷺ أتاه جبريل فقال يامحمد ماذا صنعت ؟ لقد تلوت على الناس مالم آتك به عن الله عز وجل فحزن رسول الله ﷺ حزنا شديداً وخاف من الله خوفا كثيراً فأنزل الله هذه الآية يعزيه وكان به رحيما وسمع بذلك من كان بارض الحبشة من أصحاب النبي ﷺ وبلغهم سجود قريش وقيل أسلمت قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم إلى عشائرهم وقالوا هم أحب الينا حتى اذا دنوا من مكة بلغهم ان الذي كانوا يحدثونه من اسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل أحد إلا بجوار او مستخفيا فلما نزلت هذه

فقال وإنهن لهن الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لهي التي ترتجى « وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة وذلت بها ألسنتهم وتباشروا بها وقالوا ان محمداً قد رجع إلى دينه الاول ودين قومه ، فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر النجم سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلا كبيراً فرفع ملء كفه ترابا فسجد عليه فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود لسجود رسول الله ﷺ فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان في مسامع المشركين فاطمأنت أنفسهم لما ألقى الشيطان في أمنية رسول الله ﷺ وحدثهم به الشيطان أن رسول الله ﷺ قد قرأها في السورة فسجدوا لتعظيم آلهتهم ففشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين عثمان بن مظعون وأصحابه وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا مع رسول الله ﷺ وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه وحدثوا أن المسلمين قد أمنوا بمكة فأقبلوا سراعا وقد نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم الله آياته وحفظه من الفرية « وقال الله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم * ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد) فلما بين الله قضاءه وبرأه مع سجع الشيطان انقلب المشركون بضلالتهم وعداوتهم المسلمين واشتدوا عليهم وهذا أيضاً مرسل .

الآية قالت قريش ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ قد وقعا في فم كل مشرك فازدادوا شراً الى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول) وهو الذي يأتيه جبريل بالوحي عيانا (ولا نبي) وهو الذي تكون نبوته إلهاما أو مناما وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا (إلا اذا تمنى) قال بعضهم أي أحب شيئاً واشتهاه وحدث به نفسه مما لم يؤمر به (ألقى الشيطان في أمنيته) يعني مراده وعن ابن عباس قال اذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ووجد اليه سبيلا وما من نبي الا تمنى أن يؤمن به قومه ولم يتمن ذلك نبي إلا ألقى الشيطان عليه ما يرضى به قومه فينسخ الله ما يلقي الشيطان وأكثر المفسرين قالوا معنى قوله تمنى يعني تلا وقرأ كتاب الله تعالى (ألقى الشيطان في أمنيته) يعني في تلاوته قال الشاعر في عثمان حين قتل

تمنى كتاب الله اول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

واختلفوا في انه هل كان يقرأ في الصلاة او في غير الصلاة فقال قوم كان يقرأ في الصلاة وقال قوم كان يقرأ في غير الصلاة فان قيل كيف يجوز الغلط في التلاوة على النبي ﷺ وكان معصوما من الغلط في أصل الدين وقال جل ذكره في القرآن (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) يعني ابليس

وفي تفسير ابن جرير عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام نحوه وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه دلائل النبوة فلم يجز به موسى بن عقبة ساقه من مغازيه بنحوه قال وقد روينا عن أبي اسحاق هذه القصة (قلت) وقد ذكرها محمد بن اسحاق في السيرة بنحو من هذا وكلها مرسلات ومنقطعات والله أعلم

وقد ساقها البغوي في تفسيره مجموعة من كلام ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما بنحو من ذلك، ثم سأل ههنا سؤالا كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله تعالى لرسوله صلاة الله وسلامه عليه، ثم حكى أجوبة عن الناس من ألطفها أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك فتوهموا أنه صدر عن رسول الله ﷺ وليس كذلك في نفس الامر بل انما كان من صنيع الشيطان لا عن رسول الرحمن ﷺ والله أعلم

وهكذا تنوعت أجوبة المتكلمين عن هذا بتقدير صحته ، وقد تعرض القاضي عياض رحمه الله في كتاب الشفاء لهذا وأجاب بما حاصله أنها كذلك لثبوتها وقوله (إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) هذا فيه تسلية من الله لرسوله صلاة الله وسلامه عليه أي لا يهيدنك فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والانبياء ، قال البخاري قال ابن عباس (في أمنيته) اذا حدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله مايلقي الشيطان (ثم يحكم الله آياته) قال علي بن أبي طلحة (اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) يقول اذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ، وقال مجاهد (اذا تمنى) يعني اذا قال ويقال أمنيته قراءته [إلا أماني] يقرءون ولا يكتبون قال البغوي وأكثر المفسرين قالوا معنى قوله (تمنى) أي تلا وقرأ كتاب الله (ألقى الشيطان في أمنيته) أي في تلاوته قال الشاعر في عثمان حين قتل

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

وقال الضحاك (اذا تمنى) اذا تلا قال ابن جرير هذا القول أشبه بتأويل الكلام ، وقوله (فينسخ الله مايلقي الشيطان) حقيقة النسخ لغة الازالة والرفع ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي فيبطل الله سبحانه وتعالى ماألقى الشيطان ، وقال الضحاك نسخ جبريل بأمر الله ماألقى الشيطان وأحكم الله آياته ، وقوله (والله عليم) أي بما يكون من الامور والحوادث لاتخفى عليه خافية (حكيم) أي في

قيل قد اختلف الناس في الجواب عنه فقال بعضهم ان الرسول ﷺ لم يقرأ ولكن الشيطان ذكر ذلك بين قراءته فظن المشركون ان الرسول ﷺ قرأه، وقال قتادة أغفى النبي ﷺ اغفاء فجرى ذلك على لسانه بالقاء الشيطان ولم يكن له خبر والا كثرون قالوا جرى ذلك على لسانه بالقاء الشيطان على سبيل السهو والنسيان ولم يلبث ان نبهه الله عليه، وقيل ان شيطانا يقال له أبيض عمل هذا العمل وكان ذلك فتنة ومحنة من الله تعالى والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء ﴿ فينسخ الله ما يلقي الشيطان ﴾ أي يبطله ويذهبه ﴿ ثم يحكم الله آياته ﴾ فيثبتها ﴿ والله عليم حكيم ليجعل مايلقي الشيطان فتنة ﴾ أي

تقديره وخلقه وأمره ﷻ الحكمة التامة والحجة البالغة ولهذا قال (ليجعل مايلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض) أي شك وشرك وكفر ونفاق كالمشركين حين فرحوا بذلك واعتقدوا أنه صحيح من عند الله وإنما كان من الشيطان

قال ابن جريج (الذين في قلوبهم مرض) هم المنافقون (والقاسية قلوبهم) هم المشركون وقال مقاتل بن حيان هم اليهود (وإن الظالمين لفي شقاق بعيد) أي في ضلال ومخالفة وعناد بعيد أي من الحق والصواب (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به) أي وليعلم الذين أوتوا العلم النافع الذين يفرقون به بين الحق والباطل (والمؤمنون بالله ورسوله ان ما أوحيناه إليك هو الحق من ربك الذي أنزله بعلمه وحفظه وحرسه أن يختلط به غيره بل هو كتاب عزيز (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقوله (فيؤمنوا به) أي يصدقوه وينقادوا له (فتخبت له قلوبهم) أي تخضع وتذل له قلوبهم (وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) اي في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فيرشدهم إلى الحق واتباعه ويوفقهم لمخالفة الباطل واجتنابه وفي الآخرة يهديهم الصراط المستقيم الموصل إلى درجات الجنات ويزحزحهم عن العذاب الاليم والدركات

ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم (٥٥) الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم (٥٦) والذين كفروا وكذبوا بآيتنا فأولئك لهم عذاب مهين (٥٧)

يقول تعالى مخبراً عن الكفار أنهم لايزالون في مرية أي في شك وريب من هذا القرآن قاله ابن جريج واختاره ابن جرير ، وقال سعيد بن جبير وابن زيد منه أي مما ألقى الشيطان [حتى تأتيهم

محنة وبلية ﴿ للذين في قلوبهم مرض ﴾ شك ونفاق ﴿ والقاسية ﴾ يعني الجافية ﴿ قلوبهم ﴾ عن قبول الحق وهم المشركون وذلك انهم افتتنوا لما سمعوا ذلك ثم نسخ ورفع فازدادوا عتواً وظنوا ان محمداً يقوله من تلقاء نفسه ثم يندم فيبطل ﴿ وان الظالمين ﴾ المشركين ﴿ لفي شقاق ﴾ ضلال ﴿ بعيد ﴾ أي في خلاف شديد ﴿ وليعلم الذين أوتوا العلم ﴾ التوحيد والقرآن وقال السدي التصديق بنسخ الله تعالى ﴿ أنه ﴾ يعني ان الذي أحكم الله من آيات القرآن هو ﴿ الحق من ربك فيؤمنوا به ﴾ أي يعتقدوا انه من الله ﴿ فتخبت له قلوبهم ﴾ يعني فتسكن اليه قلوبهم ﴿ وان الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ﴾ أي طريق قويم وهو الاسلام ﴿ ولا يزال الذين كفروا في مرية منه ﴾ يعني في شك مما ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها . وقال ابن جريج منه أي من القرآن وقيل من الدين وهو الصراط المستقيم ﴿ حتى

الساعة بغتة) قال مجاهد فجأة * وقال قتادة بغتة بغت القوم أمر الله وما أخذ الله قوما قط إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله انه لايغتر بالله إلا القوم الفاسقون وقوله [أو يأتيهم عذاب يوم عقيم] قال مجاهد قال أبي بن كعب هو يوم بدر ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير ، قال عكرمة ومجاهد في رواية عنهما هو يوم القيامة لا ليل له وكذا قال الضحاك والحسن البصري وهذا القول هو الصحيح * وإن كان يوم بدر من جملة ما أوعدوا به لكن هذا هو المراد ولهذا قال [الملك يومئذ لله يحكم بينهم] كقوله [مالك يوم الدين] وقوله [الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيراً * فالذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي آمنت قلوبهم [وصدقوا بالله ورسوله] وعملوا بمقتضى ماعلموا وتوافق قلوبهم وأقوالهم وأعمالهم [في جنات النعيم] أي لهم النعيم المقيم الذي لايحول ولا يزول ولا يبيد [والذين كفروا وكذبوا بآياتنا] أي كفرت قلوبهم بالحق وجحدته وكذبوا به وخالفوا الرسل واستكبروا عن اتباعهم [فأولئك لهم عذاب مهين] أي مقابلة استكبارهم وابائهم عن الحق كقوله تعالى [إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين] أي صاغرين

والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسناً وان الله لهو خير الرازقين (٥٨) ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم (٥٩) ذلك ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور (٦٠)

يخبر تعالى عمن خرج مهاجراً في سبيل الله ابتغاء مرضاته وطلباً لما عنده وترك الاوطان والأهلين والخلان وفارق بلاده في الله ورسوله ونصرة لدين الله ثم قتلوا أي في الجهاد أو ماتوا أي حتف أنفهم من غير قتال على فرشهم فقد حصلوا على الأجر الجزيل والثناء الجميل كما قال تعالى (ومن يخرج من

تأتيهم الساعة بغتة ﴾ يعني القيامة وقيل الموت ﴿ او يأتيهم عذاب يوم عقيم ﴾ قال الضحاك وعكرمة عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة والا كثرون على أن اليوم العقيم يوم بدر لانه ذكر الساعة من قبل وهو يوم القيامة وسمي يوم بدر عقيما لانه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم التي لاتأتي بخير سحاب ولا مطر والعقم في اللغة المنع يقال رجل عقيم اذا منع من الولد وقيل لانه لامثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه * وقال ابن جريج لانهم لم ينظروا فيه الى الليل حتى قتلوا قبل المساء ﴿ الملك يومئذ ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ لله ﴾ من غير منازع ﴿ يحكم بينهم ﴾ ثم بين الحكم فقال تعالى ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين * والذين هاجروا في سبيل الله ﴾ فارقوا اوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه

بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) وقوله (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) أي ليجرين عليهم من فضله ورزقه من الجنة ماتقر به أعينهم (وإن الله لهو خير الرازقين* ليدخلنهم مدخلا يرضونه) أي الجنة كما قال تعالى (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) فأخبر انه يحصل له الراحة والرزق وجنة النعيم كما قال ههنا [ليرزقنهم الله رزقا حسنا] ثم قال [ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم] أي بمن يهاجر ويجاهد في سبيله وبمن يستحق ذلك [حليم] أي يحلم ويصفح ويغفر لهم الذنوب ويكفرها عنهم بهجرتهم اليه وتوكلهم عليه ، فأما من قتل في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر فانه حي عند ربه يرزق كما قال تعالى [ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون] والاحاديث في هذا كثيرة كما تقدم ، وأما من توفي في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر فقد تضمنت هذه الآية الكريمة مع الاحاديث الصحيحة إجراء الرزق عليه وعظيم إحسان الله اليه

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا المسيب بن واضح حدثنا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن شريح عن ابن الحارث — يعني عبد الكريم — عن ابن عقبة يعني أبا عبيدة بن عقبة قال قال شرحبيل ابن السمط طال رباطنا واقامتنا على حصن بأرض الروم فمر بي سلمان يعني الفارسي رضي الله عنه فقال اني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من مات مرابطا أجرى الله عليه مثل ذلك الاجر وأجرى عليه الرزق وأمن من الفتانين واقرءوا ان شئتم (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم)

وقال أيضا حدثنا أبو زرعة حدثنا زيد بن بشر أخبرني همام انه سمع أبا قبيل وربيعة بن سيف المعافري يقولان كنا برودس ومعنا فضالة بن عبيد الانصاري صاحب رسول الله ﷺ فمر بجنازتين إحداهما قتيل والاخرى متوفى فمال الناس على القتيل فقال فضالة مالي أرى الناس مالوا مع هذا وتركوا هذا ؟ فقالوا هذا القتيل في سبيل الله فقال والله ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت اسمعوا كتاب الله (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا) حتى بلغ آخر الآية

وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا ابن لهيعة حدثنا سلامان ابن عامر الشيباني ان عبد الرحمن بن جحدم الخولاني حدثه أنه حضر فضالة بن عبيد في البحر مع

﴿ ثم قتلوا او ماتوا ﴾ وهم كذلك قرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد ﴿ ليرزقنهم الله رزقا حسنا ﴾ والرزق الحسن الذي لاينقطع أبداً وهو رزق الجنة ﴿ وان الله لهو خير الرازقين ﴾ وقيل هو قوله (بل أحياء عند ربهم يرزقون) ﴿ ليدخلنهم مدخلا يرضونه ﴾ لان لهم فيه ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين ﴿ وان الله لعليم ﴾ بنياتهم ﴿ حليم ﴾ عنهم ﴿ ذلك ﴾ يعني الامر ذلك الذي قصصنا عليكم ﴿ ومن عاقب بمثل ماعوقب به ﴾ جازى الظالم بمثل ظلمه . قال الحسن يعني قاتل المشركين كما قاتلوه ﴿ ثم بغي عليه ﴾ يعني ظلم باخراجه من منزله يعني ما أتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى أحوجوهم الى مفارقة

جنازتين أحدهما أصيب بمنجنيق والآخر توفي فجلس فضالة بن عبيد عند قبر المتوفى فقيل له تركت الشهيد فلم تجلس عنده فقال ماأبالي من أي حفرتيهما بعثت ان الله يقول(والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) الآيتين فما تبتغي أيها العبد إذا أدخلت مدخلا ترضاه ورزقت رزقا حسنا والله ماأبالي من أي حفرتيهما بعثت . ورواه ابن جرير عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب أخي عبد الرحمن بن شريح وسلامان بن عامر قال كان فضالة برودس أميراً على الارباع فخرج بجنازتي رجلين أحدهما قتيل والآخر متوفى فذكر نحو ما تقدم

وقوله (ذلك ومن عاقب بمثل ماعوقب به) الاية ذكر مقاتل بن حيان وابن جريج أنها نزلت في سرية من الصحابة لقوا جمعا من المشركين في شهر محرم فناشدهم المسلمون لئلا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبى المشركون إلا قتالهم وبغوا عليهم فقاتلهم المسلمون فنصرهم الله عليهم (إن الله لعفو غفور)

ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير (٦١) ذلك بأن الله هو الحق وأن مايدعون من دونه هو البٰطل وأن الله هو العلي الكبير (٦٢)

يقول تعالى منبها على أنه الخالق المتصرف في خلقه بما يشاء كما قال (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب) ومعنى إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل إدخاله من هذا في هذا ومن هذا في هذا فتارة يطول الليل ويقصر النهار كما في الشتاء وتارة يطول النهار ويقصر الليل كما في الصيف

وقوله (وأن الله سميع بصير) أي سميع بأقوال عباده بصير بهم لا يخفى عليه منهم خافية في أحوالهم وحركاتهم وسكناتهم . ولما تبين انه المتصرف في الوجود الحاكم الذي لا معقب لحكمه قال (ذلك بأن الله هو الحق) أي الاله الحق الذي لا تنبغي العبادة الا له لانه ذو السلطان العظيم الذي ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وكل شيء فقير اليه ذليل لديه (وأن مايدعون من دونه هو الباطل) أي من الاصنام والانداد والاوثان وكل ماعبد من دونه تعالى فهو باطل لانه لا يملك ضراً ولا نفعا

أوطانهم نزلت في قوم من المشركين أتوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم

قال الله تعالى ﴿ لينصرنه الله ﴾ والعقاب الاول بمعنى الجزاء ﴿ إن الله لعفو غفور ﴾ عفا عن مساوي المؤمنين وغفر لهم ذنوبهم ﴿ ذلك ﴾ يعني ذلك النصر ﴿ بأن الله ﴾ القادر على مايشاء فمن قدرته انه ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير ذلك بأن الله هو الحق وأن ما

وقوله (وان الله هو العلي الكبير) كما قال (وهو العلي العظيم) وقال (وهو الكبير المتعال) فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته لا اله الا هو ولا رب سواه لانه العظيم الذي لا أعظم منه العلي الذي لا أعلى منه ، الكبير الذي لا أكبر منه ، تعالى وتقدس وتنزه عز وجل عما يقول الظالمون المعتدون علواً كبيراً

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة، إن الله لطيف خبير (٦٣) له ما في السموٰت وما في الأرض ، وإن الله لهو الغني الحميد (٦٤) ألم تر أن الله سخر لكم مافي الارض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا باذنه ، إن الله بالناس لرءوف رحيم (٦٥) وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم، ان الانسٰن لكفور (٦٦)

وهذا أيضا من الدلالة على قدرته وعظيم سلطانه وأنه يرسل الرياح فتثير سحابا فتمطر على الارض الجرز التي لا نبات فيها وهي هامدة يابسة سوداء ممحلة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) وقوله (فتصبح الارض مخضرة) الفاء ههنا للتعقيب وتعقيب كل شيء بحسبه كما قال تعالى (فخلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة) الاية وقد ثبت في الصحيحين أن بين كل شيئين أربعين يوما ومع هذا هو معقب بالفاء، وهكذا ههنا قال (فتصبح الارض مخضرة) أي خضراء بعد يباسها ومحولها ، وقد ذكر عن بعض أهل الحجاز أنها تصبح عقب المطر خضراء فالله أعلم

وقوله (ان الله لطيف خبير) أي عليم بما في أرجاء الارض وأقطارها وأجزائها من الحب وان صغر لا يخفى عليه خافية فيوصل الى كل منه قسطه من الماء فينبته به كما قال لقمان [يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير] وقال [ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض] وقال تعالى [وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين] وقال [وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين] ولهذا قال أمية بن أبي الصلت أو زيد بن عمرو بن نفيل في قصيدته

وقولا له من ينبت الحب في الثرى فيصبح منه البقل يهتز رابيا
ويخرج منه حبه في رءوسه ففي ذلك آيات لمن كان واعيا

يدعون ﴾ قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي وحفص بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء يعني المشركين ﴿ من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي ﴾ العالي على كل شيء ﴿ الكبير ﴾ العظيم الذي كل شيء دونه ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ﴾ بالنبات ﴿ ان الله لطيف ﴾ بأرزاق عباده

وقوله (له مافي السموات وما في الارض) اي ملكه جميع الاشياء وهو غني عما سواه وكل شيء فقير اليه عبد لديه. وقوله (ألم تر أن الله سخر لكم مافي الارض) أي من حيوان وجماد وزروع وثمار كما قال [وسخر لكم مافي السموات وما في الارض جميعا منه] أي من احسانه وفضله وامتنانه [والفلك تجري في البحر بأمره] أي بتسخيره وتسييره أي في البحر العجاج وتلاطم الامواج تجري الفلك بأهلها بريح طيبة ورفق وتؤدة فيحملون فيها ماشاؤا من تجائر وبضائع ومنافع من بلد الى بلد وقطر الى قطر ويأتون بما عند أولئك الى هؤلاء كما ذهبوا بما عند هؤلاء الى اولئك مما يحتاجون اليه ويطلبونه ويريدونه [ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه] أي لوشاء لاذن للسماء فسقطت على الارض فهلك من فيها ، ولكن من لطفه ورحمته وقدرته يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ولهذا قال [ان الله بالناس لرءوف رحيم] اي مع ظلمهم كما قال في الآية الاخرى [وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب]

وقوله [وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور] كقوله [كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون] وقوله [قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه] وقوله [قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين] ومعنى الكلام كيف تجعلون لله أندادا وتعبدون معه غيره وهو المستقل بالخلق والرزق والتصرف [وهو الذي أحياكم] اى خلقكم بعد ان لم تكونوا شيئا يذكر فأوجدكم [ثم يميتكم ثم يحييكم] اى يوم القيامة [ان الانسان لكفور] اى جحود

لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينزعنك في الامر ، وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم (٦٧) وان جدلوك فقل الله أعلم بما تعملون (٦٨) الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون (٦٩)

يخبر تعالى انه جعل لكل قوم منسكا قال ابن جرير يعني لكل أمة نبي منسكا قال : وأصل المنسك

واستخراج النبات من الارض ﴿ خبير ﴾ بما في قلوب العباد اذا تأخر المطر عنهم ﴿ له ما في السموات وما في الارض ﴾ عبيدا وملكا ﴿ وان الله لهو الغني ﴾ عن عباده ﴿ الحميد ﴾ في أفعاله ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم مافي الارض والفلك ﴾ يعني وسخر لكم الفلك ﴿ تجري في البحر بأمره ﴾ وقيل مافي الارض الدواب التي تركب في البر والفلك التي تركب في البحر ﴿ ويمسك السماء أن تقع على الارض ﴾ لكيلا تسقط على الارض ﴿ الا باذنه ان الله بالناس لرءوف رحيم وهو الذي أحياكم ﴾ يعني أنشأكم ولم تكونوا شيئا ﴿ ثم يميتكم ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ ثم يحييكم ﴾ يوم البعث للثواب والعقاب ﴿ ان الانسان لكفور ﴾ لنعم الله ﴿ لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه ﴾ قال ابن عباس يعني شريعة هم عاملون بها

في كلام العرب هو الموضع الذي يعتاده الانسان ويتردد اليه إما لخير او شر قال ولهذا سميت مناسك الحج بذلك لترداد الناس اليها وعكوفهم عليها ء فان كان كما قال من أن المراد لكل أمة نبي جعلنا منسكا فيكون المراد بقوله (فلا ينازعنك في الامر) أي هؤلاء المشركون ، وان كان المراد لكل أمة جعلنا منسكا جعلا قدريا كما قال [ولكل وجهة هو موليها] ولهذا قال ههنا [هم ناسكوه] أى فاعلوه فالضمير ههنا عائد على هؤلاء الذين لهم مناسك وطرائق أى هؤلاء انما يفعلون هذا عن قدر الله وارادته فلا تتأثر بمنازعتهم لك ولا يصرفك ذلك عما أنت عليه من الحق ولهذا قال (وادع إلى ربك انك لعلى هدى مستقيم) أي طريق واضح مستقيم موصل إلى المقصود وهذه كقوله (ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك)

وقوله (وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون) كقوله (وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) وقوله (الله أعلم بما تعملون) تهديد شديد ووعيد أكيد كقوله [هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيداً بيني و بينكم] ولهذا قال [الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون] وهذه كقوله تعالى [فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب] الآية

ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض ؟ ان ذلك في كتب ، ان ذلك على الله يسير (٧٠)

يخبر تعالى عن كمال علمه بخلقه وانه محيط بما في السموات وما في الارض فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر وانه تعالى علم الكائنات كلها قبل وجودها وكتب ذلك في كتابه اللوح المحفوظ كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « ان الله قدر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه

وروي عنه أنه قال عيداً قال قتادة ومجاهد موضع قربان يذبحون فيه ء وقيل موضع عبادة ، وقيل مألفاً يألفونه والمنسك في كلام العرب الموضع المعتاد لعمل خير أو شر ومنه مناسك الحج لتردد الناس الى أماكن أعمال الحج ﴿ فلا ينازعنك في الامر ﴾ يعني في أمر الذبائح . نزلت في بديل بن ورقاء وبشر ابن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لاصحاب النبي ﷺ مالكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون مما قتله الله قال الزجاج معنى قوله (لا ينازعنك) أي لاتنازعهم أنت كما يقال لايخاصمك فلان أي لاتخاصمه وهذا جائز فيما يكون بين الاثنين ولايجوز لايضربنك فلان وأنت تريد لاتضربه وذلك أن المنازعة والمخاصمة لاتتم إلا باثنين فاذا ترك أحدهما فلا مخاصمة هناك ﴿ وادع الى ربك ﴾ الى الايمان بربك ﴿ إنك لعلى هدى مستقيم ء وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون ء الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ فتعرفون حينئذ الحق من الباطل . والاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين الى خلاف ماذهب اليه الآخر ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض إن ذلك ﴾

على الماء » وفي السنن من حديث جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال « أول ماخلق الله القلم قال له اكتب قال وما أكتب ؟ قال اكتب ماهو كائن فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابن بكير حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار حدثني سعيد بن جبير قال قال ابن عباس خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام « وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى اكتب فقال القلم وما أكتب قال علمي في خلقي إلى يوم تقوم الساعة فجرى القلم بما هو كائن في علم الله إلى يوم القيامة فذلك قوله للنبي ﷺ (ألم تعلم أن الله يعلم مافي السماء والارض) وهذا من تمام علمه تعالى أنه علم الاشياء قبل كونها وقدرها وكتبها أيضا فما العباد عاملون قد علمه تعالى قبل ذلك على الوجه الذي يفعلونه فيعلم قبل الخلق أن هذا يطيع باختياره وهذا يعصي باختياره وكتب ذلك عنده وأحاط بكل شيء علما وهو سهل عليه يسير لديه ولهذا قال تعالى (إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير)

ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير

(٧١) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون

بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم ؟ النار وعدها الله الذين كفروا وبئس

المصير (٧٢)

يقول تعالى مخبراً عن المشركين فيما جهلوا وكفروا وعبدوا من دون الله (مالم ينزل به سلطانا) يعني حجة وبرهانا كقوله (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) ولهذا قال ههنا (مالم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم) أي ولا علم لهم فيما اختلقوه وائتفكوه وإنما هو أمر تلقوه عن آبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا حجة وأصله مما سول لهم الشيطان وزينه لهم ولهذا توعدهم تعالى بقوله (وما للظالمين من نصير) أي من ناصر ينصرهم من الله فيما يحل بهم من العذاب والنكال ثم قال (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) أي وإذا ذكرت لهم آيات القرآن والحجج والدلائل الواضحات على توحيد الله وأنه لا إله إلا هو وأن رسله الكرام حق وصدق

كله ﴿ في كتاب ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿ إن ذلك ﴾ يعني علمه لجميع ذلك ﴿ على الله يسير ﴾ ﴿ يعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا ﴾ حجة وبرهانا ﴿ وما ليس لهم به علم ﴾ يعني أنهم فعلوا مافعلوا عن جهل لا عن علم ﴿ وما للظالمين ﴾ للمشركين ﴿ من نصير ﴾ مانع يمنعهم من عذاب الله ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ يعني القرآن ﴿ تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر ﴾ يعني الانكار يتبين ذلك في وجوههم من الكراهية والعبوس ﴿ يكادون يسطون ﴾ يعني يقعون ويبسطون اليهم أيديهم بالسوء

(يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) أي يكادون يبادرون الذين يحتجون عليهم بالدلائل الصحيحة من القرآن ويبسطون اليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء قل أي يا محمد لهؤلاء (أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا) أي النار وعذابها ونكالها أشد وأشق وأطم وأعظم مما تخوفون به أولياء الله المؤمنين في الدنياء وعذاب الآخرة على صنيعكم هذا أعظم مما تنالون منهم ان نلتم بزعمكم وإرادتكم. وقوله (وبئس المصير) أي وبئس النار مقيلا ومنزلا ومرجعا وموئلا ومقاما (إنها ساءت مستقراً ومقاما)

يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب (٧٣) ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز (٧٤)

يقول تعالى منبها على حقارة الاصنام وسخافة عقول عابديها (يا أيها الناس ضرب مثل) أي لما يعبده الجاهلون بالله المشركون به (فاستمعوا له) أي انصتوا وتفهموا (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له) أي لو اجتمع جميع ما تعبدون من الاصنام والانداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك كما قال الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة مرفوعاً قال «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا مثل خلقي ذرة أو ذبابة أو حبة» وأخرجه صاحبا الصحيح من طريق عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة» ثم قال تعالى أيضا (وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) أي هم عاجزون عن خلق ذباب واحد

وقيل يبطشون ﴿بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾ يعني محمداً وأصحابه من شدة الغيظ يقال سطا عليه وسطا به اذا تناوله بالبطش والعنف وأصل السطو القهر ﴿قل﴾ يا محمد لهم ﴿أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾ يعني بشر لكم واكره اليكم من هذا القرآن الذي تستمعون ﴿النار﴾ يعني هي النار ﴿وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير﴾ ■ يا أيها الناس ضرب مثل﴾ معنى ضرب جعل كقولهم ضرب السلطان البعث على الناس وضرب الجزية على أهل الذمة أي جعل ذلك عليهم ومعنى الآية جعل لي شبه وشبه بي الاوثان أي جعل المشركون الاصنام شركائي فعبدوها ومعنى ﴿فاستمعوا له﴾ يعني فاستمعوا حالها وصفتها ثم بين ذلك فقال ﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ يعني الاصنام قرأ يعقوب بالياء والباقون بالتاء ﴿لن يخلقوا ذبابا﴾ واحداً في صغره وقلته لانها لا تقدر عليه والذباب واحد وجمعه القليل أذبة والكثير ذبان مثل غراب واغربة وغربان ﴿ولو اجتمعوا له﴾ يعني لخلقه ﴿وان يسلبهم الذباب شيئا﴾

بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبها شيئا من الذي عليها من الطيب ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ولهذا قال (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس الطالب الصنم والمطلوب الذباب واختاره ابن جرير وهو ظاهر السياق وقال السدي وغيره (الطالب) العابد (والمطلوب) الصنم ثم قال ما قدروا الله حق قدره) أي ماعرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره من هذه التي لاتقاوم الذباب لضعفها وعجزها (إن الله لقوي عزيز) أي هو القوي الذي بقدرته وقوته خلق كل شيء (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه (ان بطش ربك لشديد انه هو يبدي، ويعيد* ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله (عزيز) أي قد عز كل شيء فقهره وغلبه فلا يمانع ولا يغالب لعظمته وسلطانه وهو الواحد القهار .

الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير (٧٥) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور (٧٦)

يخبر تعالى أنه يختار من الملائكة رسلا فيما يشاء من شرعه وقدره ومن الناس لابلاغ رسالته (ان الله سميع بصير) أي سميع لاقوال عباده بصير بهم عليم بما يستحق ذلك منهم كما قال الله أعلم حيث يجعل رسالته وقوله (يعلم مابين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الامور) أي يعلم ما يفعل برسله فيما أرسلهم به فلا يخفى عليه شيء من أمورهم كما قال (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا - الى

لا يستنقذوه منه ﴾ قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جف جاء الذباب فاستلب منه وقال السدي كانوا يضعون الطعام بين يدي الاصنام فتقع الذبان عليه فيأكلن منه وقال ابن زيد كانوا يحلون الاصنام باليواقيت واللآلىء وانواع الجواهر ويطيبونها بألوان الطيب فربما يسقط منها واحدة فيأخذها طائر أو ذباب فلا تقدر الآلهة على استردادها فذلك قوله (وان يسلبهم الذباب شيئا) أي وان يسلب الذباب الاصنام شيئا مما عليها لايقدرون أن يستنقذوه منه ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب مايسلب من الطيب من الصنم والمطلوب الصنم يطلب الذباب منه السلب وقيل على العكس الطالب الصنم والمطلوب الذباب وقال الضحاك الطالب العابد والمطلوب المعبود ﴿ ماقدروا الله حق قدره ﴾ ماعظموه حق عظمته وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته أن اشركوا به مالا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ﴿ إن الله لقوي عزيز * الله يصطفي ﴾ يعني يختار ﴿ من الملائكة رسلا ﴾ وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وغيرهم ﴿ ومن الناس ﴾ يعني يختار من الناس رسلا مثل ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وغيرهم من الانبياء عليهم السلام نزلت حين قال المشركون (أأنزل عليه الذكر من بيننا) فاخبر أن الاختيار اليه يختار من يشاء من خلقه ﴿ إن الله سميع بصير ﴾ يعني سميع لقولهم بصير بمن يختاره لرسالته ﴿ يعلم ما بين أيديهم ﴾

قوله ـ وأحصى كل شيء عددا) فهو سبحانه رقيب عليهم شهيد على مايقال لهم حافظ لهم ناصر لجنابهم (ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك وان لم تفعل فمابلغت رسالته والله يعصمك من الناس) الآية

يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون (٧٧)

وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتبٰكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم

ابراهيم هو سمّٰكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء

على الناس فأقيموا الصلوٰة وآتوا الزكوٰة واعتصموا بالله هو مولٰكم فنعم المولى

ونعم النصير (٧٨)

اختلف الائمة رحمهم الله في هذه السجدة الثانية من سورة الحج هل هي مشروع السجود فيها أم لا على قولين وقد قدمنا عند الاولى حديث عقبة بن عامر عن النبي ﷺ « فضلت سورة الحج

قال ابن عباس ماقدموا ﴿ وما خلفهم ﴾ ماخلفوا وقال الحسن مابين ايديهم ماعملوا وما خلفهم ماهم عاملون من بعد وقيل (مابين ايديهم) ملائكته وكتبه ورسله قبل أن خلقهم (وما خلفهم) أي ويعلم ماهو كائن بعد فنائهم ﴿ والى الله ترجع الامور * يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ﴾ يعني صلوا لان الصلاة لاتكون إلا بالركوع والسجود ﴿ واعبدوا ربكم ﴾ أي وحدوه ﴿ وافعلوا الخير ﴾ قال ابن عباس صلة الرحم ومكارم الاخلاق ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة واختلف أهل العلم في سجود التلاوة عقيب قراءة هذه الآية فذهب قوم الى أنه يسجد عندها وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وبه قال ابن المبارك والشافعي وأحمد واسحاق واحتجوا بما اخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبدالجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا قتيبة أنا ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر قال قلت يارسول الله فضلت سورة الحج بأن فيها سجدتين قال « نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما » وذهب قوم الى أنه لايسجد ههنا وهو قول سفيان الثوري واصحاب الرأي وعدة سجود القرآن أربع عشرة عند اكثر أهل العلم منها ثلاث في المفصل وذهب قوم الى انه ليس في المفصل سجود روي ذلك عن أبي بن كعب وابن عباس وبه قال مالك وقد صح عن أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله ﷺ في اقرأ واذا السماء انشقت وأبو هريرة من متأخري الاسلام . واختلفوا في سجود (ص). فذهب الشافعي الى أنه سجود شكر ليس من عزائم السجود ويروى ذلك عن ابن عباس، وذهب قوم الى انه يسجد فيها روي ذلك عن عمر وبه قال سفيان الثوري وابن المبارك واصحاب الرأي واحمد واسحاق

بسجدتين فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما «وقوله (وجاهدوا في الله حق جهاده) أي بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم كما قال تعالى (اتقوا الله حق تقاته) وقوله (هو اجتباكم) أي ياهذه الامة الله اصطفاكم واختاركم على سائر الامم وفضلكم وشرفكم وخصكم باكرم رسول وأكمل شرع (وما جعل عليكم في الدين من حرج) أي ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشيء يشق عليكم الا جعل الله لكم فرجا ومخرجا فالصلاة التي هي أكبر أركان الاسلام بعد الشهادتين تجب في الحضر أربعا وفي السفر تقصر الى اثنتين وفي الخوف يصليها بعض الائمة ركعة كما ورد به الحديث وتصلى رجالا وركبانا مستقبلي القبلة وغير مستقبليها وكذا في النافلة في السفر الى القبلة وغيرها والقيام فيها يسقط لعذر المرض فيصليها المريض جالسا فان لم يستطع فعلى جنبه إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات في سائر الفرائض والواجبات ولهذا قال عليه السلام« بعثت بالحنيفية السمحة» وقال لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما أميرين الى اليمن « بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا » والاحاديث في هذا كثيرة ولهذا قال ابن عباس في قوله (وما جعل عليكم في الدين من حرج) يعني من ضيق وقوله (ملة أبيكم ابراهيم) قال ابن جرير نصب على تقدير (ما جعل عليكم في الدين من حرج) أي من ضيق بل وسعه عليكم كملة أبيكم ابراهيم . قال ويحتمل أنه منصوب على تقدير الزموا ملة أبيكم ابراهيم قلت وهذا المعنى في هذه الآية كقوله (قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا) الآية وقوله (هو سماكم المسلمين

فعند ابن المبارك واسحاق واحمد وجماعة سجود القرآن خمس عشرة سجدة فعدوا سجدتي الحج وسجدة ص وروي عن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ اقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن

قوله تعالى ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾ قيل جاهدوا في سبيل الله أعداء الله حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه قاله ابن عباس وعنه أيضا أنه قال لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما قال تعالى (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) ثم قال الضحاك ومقاتل : اعملوا لله حق عمله « واعبدوه حق عبادته وقال مقاتل بن سليمان نسخها قوله [فاتقوا الله ما استطعتم] وقال اكثر المفسرين حق الجهاد أن تكون نيته خالصة صادقة لله عز وجل، وقال السدي هو أن يطاع فلا يعصى وقال عبدالله بن المبارك هو مجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر وهو حق الجهاد وقد روي أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك قال« رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر »وأراد بالجهاد الاصغر الجهاد مع الكفار وبالجهاد الاكبر الجهاد مع النفس ﴿ هو اجتباكم ﴾ يعني اختاركم لدينه ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ ضيق معناه أن المؤمن لا يبتلى بشيء من الذنوب إلا جعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بانواع الكفارات فليس في دين الاسلام ما لا يجد العبد سبيلا الى الخلاص من العقاب فيه وقيل من ضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج اذا التبس ذلك عليكم وسع الله عليكم حتى تتيقنوا وقال

من قبل وفي هذا) قال الامام عبد الله بن المبارك عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله (هو سماكم المسلمين من قبل) قال الله عز وجل وكذا قال مجاهد وعطاء والضحاك والسدي ومقاتل ابن حيان وقتادة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (هو سماكم المسلمين من قبل) يعني ابراهيم وذلك لقوله (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) قال ابن جرير وهذا لا وجه له لانه من المعلوم أن ابراهيم لم يسم هذه الامة في القرآن مسلمين وقد قال الله تعالى (هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا) قال مجاهد الله سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي الذكر (وفي هذا) يعني القرآن وكذا قال غيره قلت وهذا هو الصواب لانه تعالى قال (هو اجتباكم وماجعل عليكم في الدين من حرج) ثم حثهم وأغراهم على ما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه بانه ملة أبيهم الخليل ثم ذكر منته تعالى على هذه الامة بما نوه به من ذكرها والثناء عليها في سالف الدهر وقديم الزمان في كتب الانبياء يتلى على الاحبار والرهبان فقال (هو سماكم المسلمين من قبل) أي من قبل هذا القرآن (وفي هذا) روى النسائي عند تفسيره هذه الآية أنبأنا هشام بن عمار حدثنا محمد بن شعيب أنبأنا معاوية بن سلام أن أخاه زيد بن سلام أخبره عن أبي سلام أنه أخبره قال أخبرني الحارث الاشعري عن رسول الله ﷺ قال « من دعا بدعوى الجاهلية فانه من جثي جهنم » قال رجل يارسول الله وان صام وصلى قال « نعم وان صام وصلى » فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله وقد قدمنا هذا الحديث بطوله عند تفسير قوله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) من سورة البقرة ولهذا قال (ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس) أي انما جعلناكم هكذا أمة وسطاً عدولا خياراً مشهوداً بعدالتكم عند جميع الامم لتكونوا يوم القيامة (شهداء على الناس) لان جميع الامم معترفة يومئذ بسيادتها وفضلها على كل

مقاتل يعني الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة في السفر والتيمم عند فقد الماء وأكل الميتة عند الضرورة والافطار بالسفر والمرض والصلاة قاعداً عند العجز عن القيام وهو قول الكلبي، وروي عن ابن عباس أنه قال الحرج ماكان على بني اسرائيل من الاعمال التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الامة ﴿ ملة أبيكم ابراهيم ﴾ يعني كلمة أبيكم نصب بنزع حرف الصفة وقيل نصب على الاغراء يعني اتبعوا ملة أبيكم ابراهيم وإنما أمرنا باتباع ملة ابراهيم لأنها داخلة في ملة محمد ﷺ فان قيل فما وجه قوله ملة أبيكم وليس كل المسلمين يرجع نسبهم الى ابراهيم؟ قيل خاطب به العرب وهم كانوا من نسل ابراهيم وقيل خاطب به جميع المسلمين وابراهيم أب لهم على معنى وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب وهو كقوله تعالى [وازواجه امهاتهم] وقال النبي ﷺ «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده» ﴿ هو سماكم ﴾ يعني ان الله تعالى سماكم ﴿ المسلمين من قبل ﴾ يعني من قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة ﴿ وفي هذا ﴾ يعني وفي هذا الكتاب هذا قول أكثر المفسرين وقال ابن زيد هو يرجع الى

أمة سواها فلهذا تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة في أن الرسل بلغتهم رسالة ربهم والرسول يشهد على هذه الامة أنه بلغها ذلك وقد تقدم الكلام على هذا عند قوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وذكرنا حديث نوح وأمته بما أغنى عن إعادته . وقوله (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي قابلوا هذه النعمة العظيمة بالقيام بشكرها فأدوا حق الله عليكم في أداء ماافترض وطاعة ما أوجب وترك ماحرم ومن أهم ذلك اقام الصلاة وايتاء الزكاة وهو الاحسان الى خلق الله بما أوجب للفقير على الغني من اخراج جزء نزر من ماله في السنة للضعفاء والمحاويج كما تقدم بيانه وتفصيله في آية الزكاة من سورة التوبة وقوله (واعتصموا بالله) أي اعتضدوا بالله واستعينوا به وتوكلوا عليه وتأيدوا به (هو مولاكم) أي حافظكم وناصركم ومظفركم على أعدائكم (فنعم المولى ونعم النصير) يعني نعم الولي ونعم الناصر من الاعداء قال وهيب بن الورد يقول الله تعالى «ابن آدم اذكرني اذا غضبت أذكرك اذا غضبت فلا أمحقك فيمن أمحق. واذا ظلمت فاصبر وارض بنصرتي فان نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك» رواه ابن أبي حاتم والله أعلم

(آخر تفسير سورة الحج ولله الحمد والمنة)

تم الجزء الخامس من تفسير الحافظ ابن كثير

ابراهيم سماكم المسلمين في أيامه من قبل هذا الوقت وفي هذا الوقت وهو قوله [ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك] ﴿ ليكون الرسول شهيداً عليكم ﴾ يوم القيامة أن قد بلغكم ﴿ وتكونوا ﴾ أنتم ﴿ شهداء على الناس ﴾ أن رسلهم قد بلغتهم ﴿ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله ﴾ ثقوا بالله وتوكلوا عليه قال الحسن تمسكوا بدين الله وروي عن ابن عباس قال سلوا ربكم أن يعصمكم من كل مايكره وقيل معناه ادعوه ليثبتكم على دينه وقيل الاعتصام بالله هو التمسك بالكتاب والسنة ﴿ هو مولاكم ﴾ وليكم وناصركم وحافظكم ﴿ فنعم المولى ونعم النصير ﴾ الناصر لكم

تم الجزء الخامس من تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل

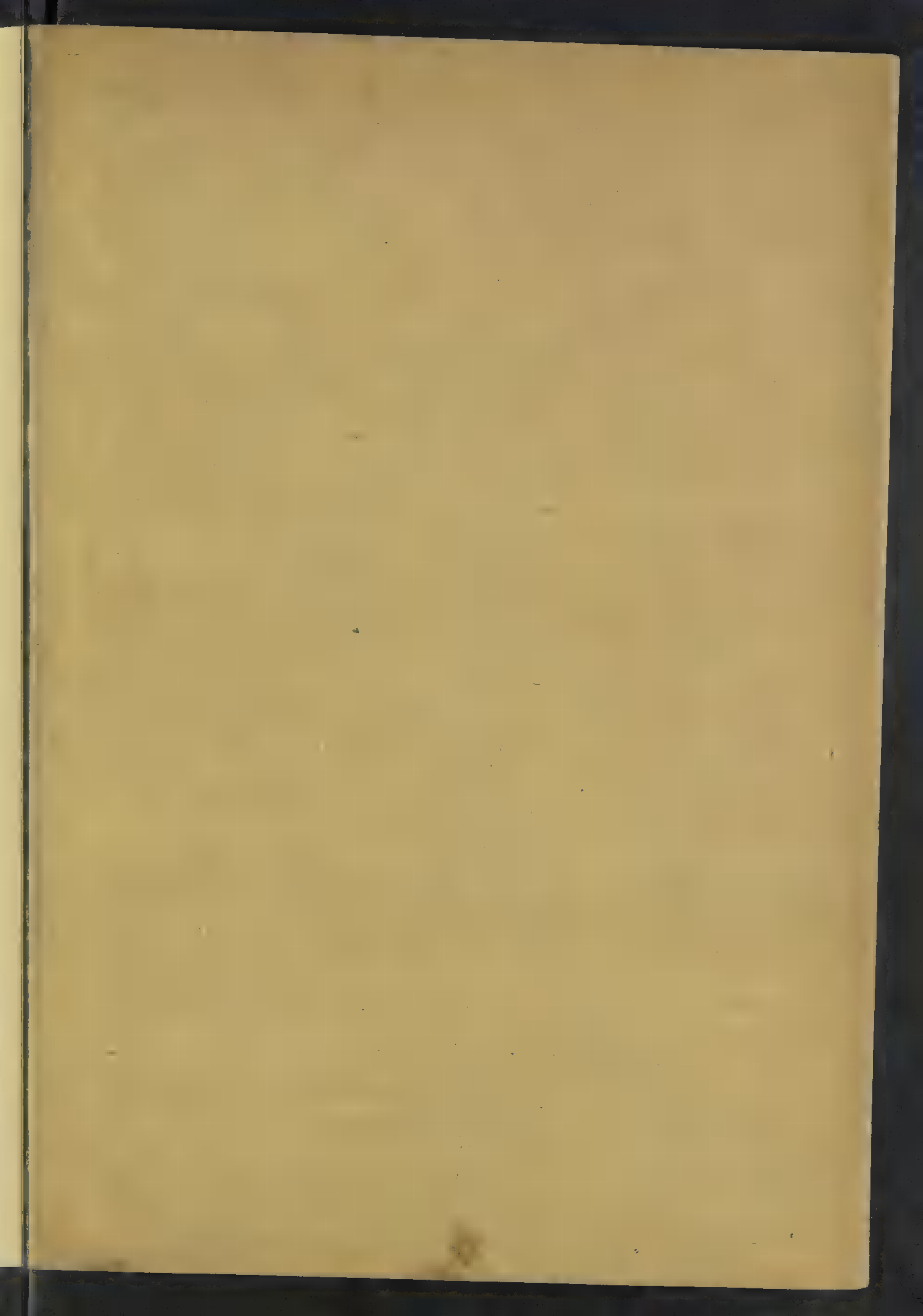
ويليهما الجزء السادس إن شاء الله تعالى

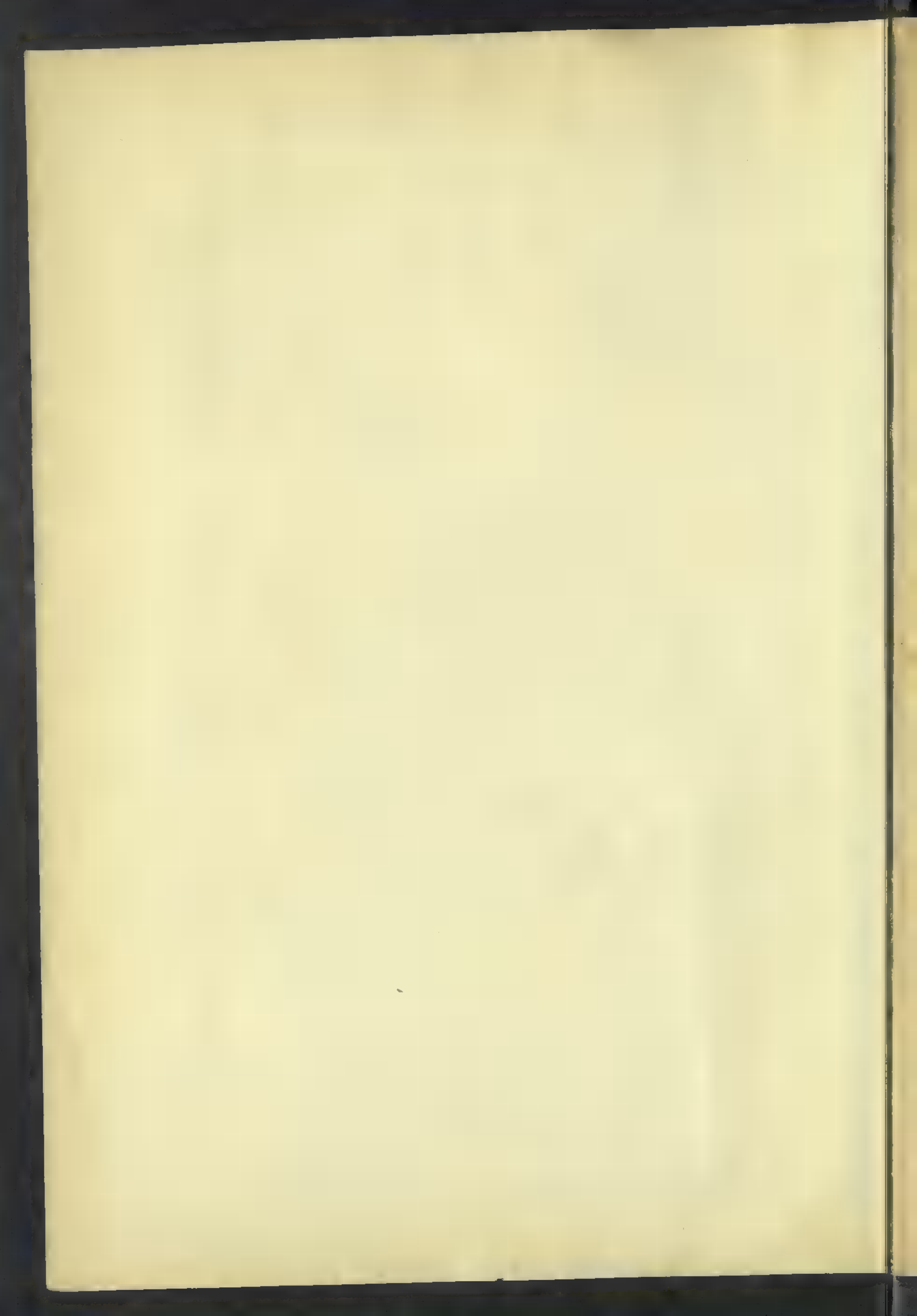
وأوله سورة المؤمنين

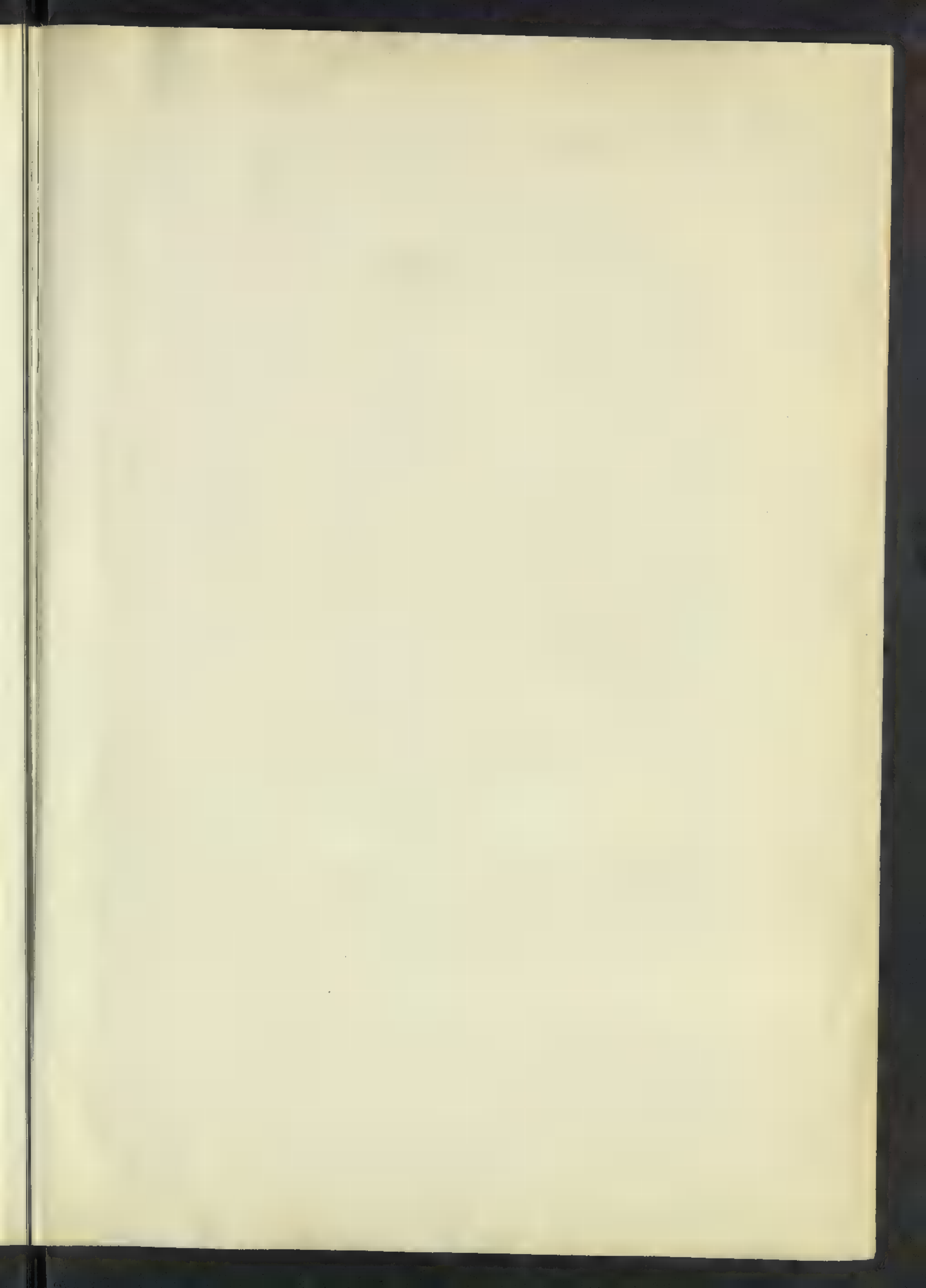
﴿ تصحيح أهم الخطأ المطبعي الواقع في الجزء الخامس من تفسيري ابن كثير والبغوي ﴾

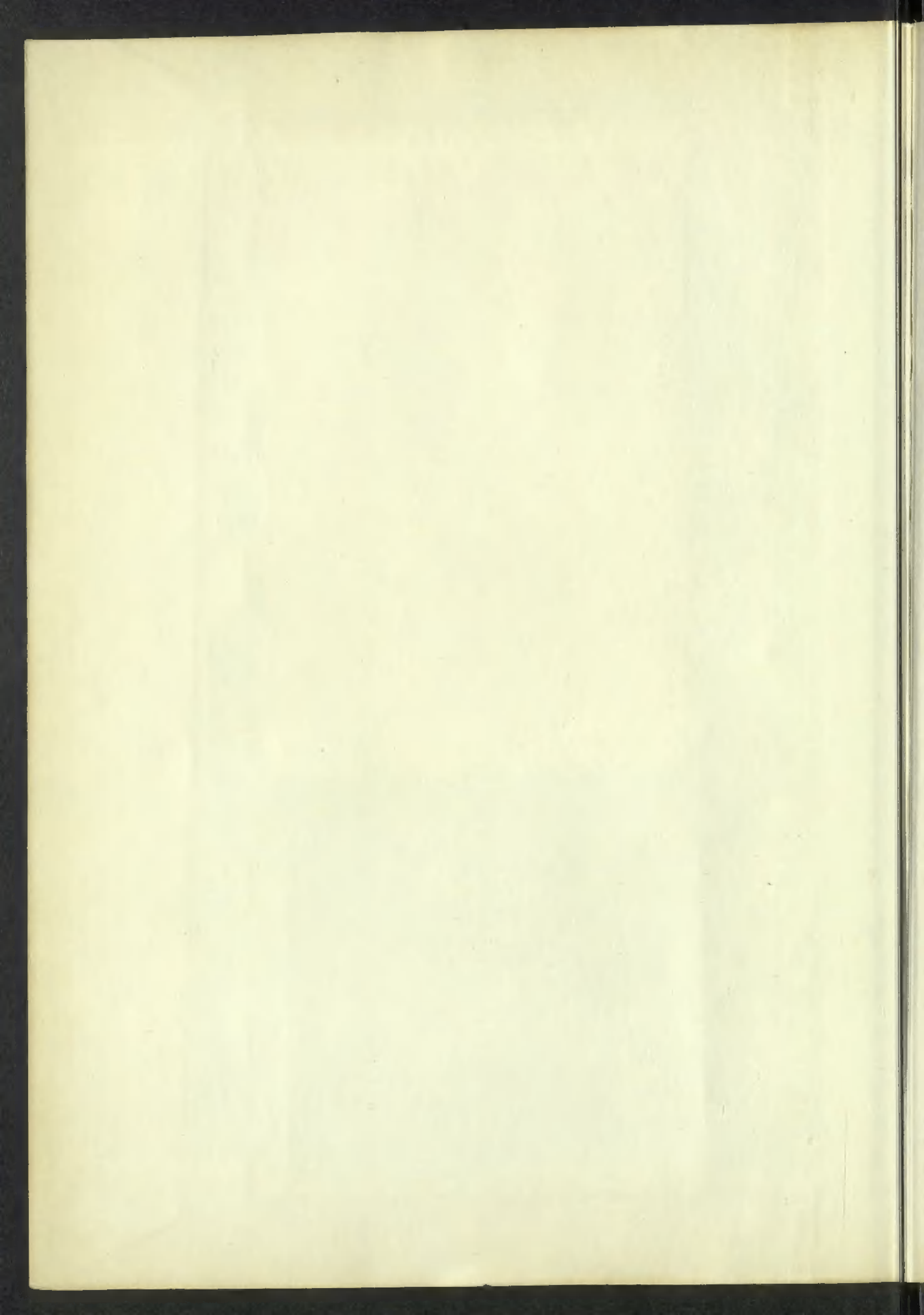
صحيفة	شطر	خطأ	صواب
٦	١	ستكبروا	استكبروا
١٣	١٥	مسنون	ممنون (٢٦)
٢١	١٨	إني	أني
٢٧	١٧	آيتنا	آياتنا
٤١	٢٨	لنركبوها	لتركبوها
٥٩	٢٠	السيات	السيآت
٥٩	٢١	يحسف	يخسف
٦٧	٥	الحبوان	الحيوان
٧٧	٢٦	إلا الله	﴿ إلا الله
٨٠	١	نبمت	نبيت
٨١	٢٣	يقرون	يفرون
٩٠	١٨	يتركلون	يتوكلون
٩٠	٢٢	والله	﴿ والله
٩٠	٢٦	ليثبت	﴿ ليثبت
١٤٣	١٥	الزنادة	الزنادقة
١٥٢	٢١	فطوحوا	فطرحوا
١٧٦	٢٧	ولا تبسطها	ولا تبسطها كل البسط
١٩٦	٨	مهلكوها	مهلكوها
٢٠٠	٢٢	إلا	﴿ إلا
٢٠٨	١٩	بيمينه ﴾	بيمينه
٢٢٥	١٩	شفاء للناس	شفاء
٢٨٨	٨	(٤٥ المال والبنون زينة الحياة الدنيا)	(٤٥) المال والبنون زينة الحياة الدنيا
٢٩٨	٤	)	
٣٠٥	١٤	شيئاً نكراً) قال (ألم	شيئاً نكراً قال ألم
٣٠٩	١	إمرا	شيئاً امراً
»	٨	إذ أتيا	إذا أتيا
»	٩	فأقا ه قال (	فأقامه (قال
»	»	(لو	لو
٣١٠	١٨	﴿قال موسى لفتاه	﴿ قال ﴾ موسى ﴿ لفتاه

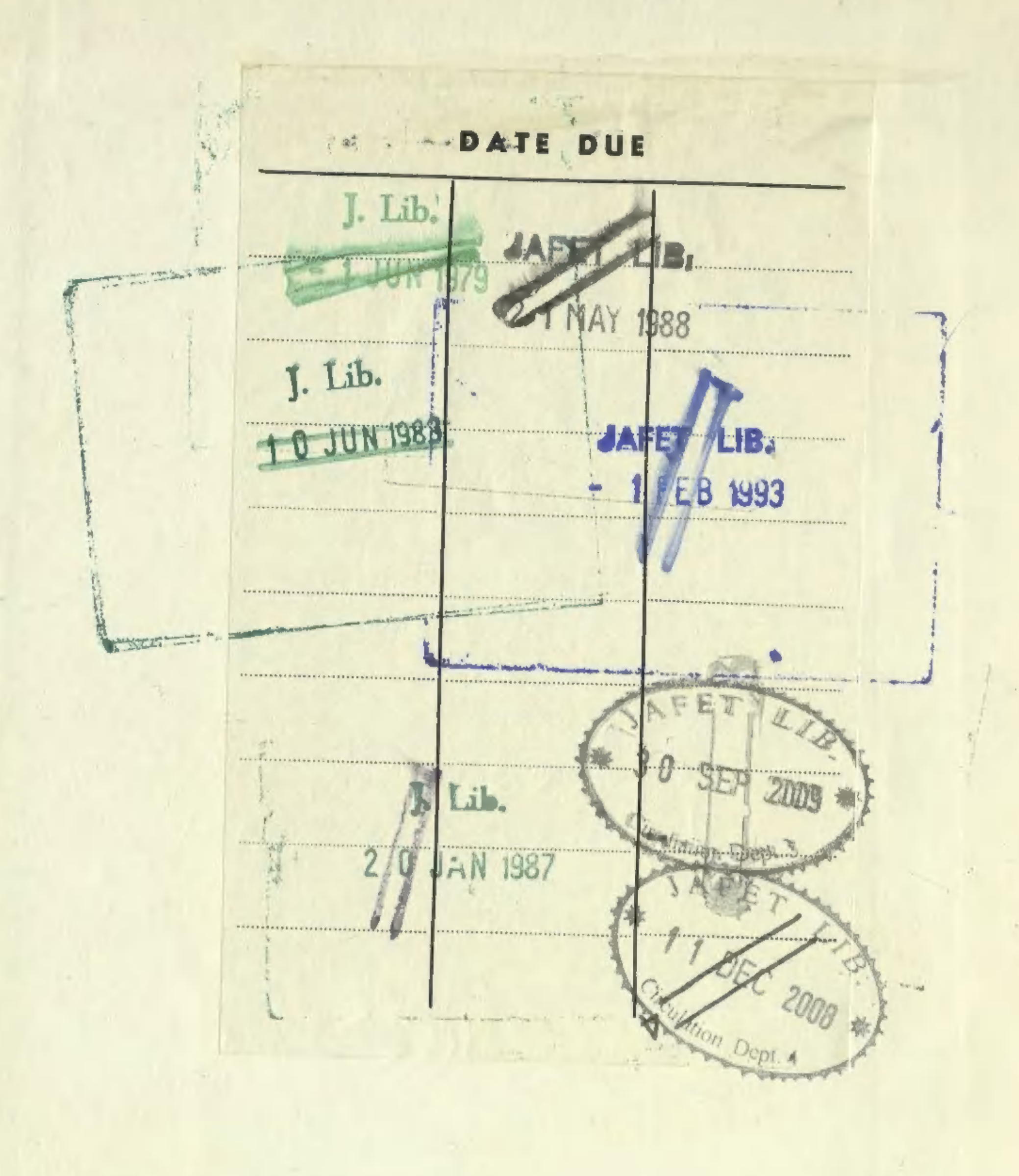
صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣١١	[illegible]	تعلمني	تعلمن
«	٦	قال (ستجدني	(قال ستجدني
٣٤٦	٥	أما ترى	إما ترِيَّ
»	٢٧	سن	من
٣٧٣	١١	ووهبنا له	ووهبنا له من رحمتنا
٤١٩	٢٣	لتريك	لنريك
٤٤٧	٢٤	من ﴿ اليم	﴿ من اليم
٤٥٧	٢١	لبثيم	لبثم
٤٧١	١٧	ونتبعه	ونتبعه
»	٢٦	فتتبع آياتك	فنتبع آياتك
٤٧٧	٢٦	لا تركضوا)	لاتركضوا
٤٧٨	٨	والارض	والارض
»	٢٠	فقالوا	قالوا
٤٨١	٢٥	بالفول	بالقول
٤٨٧	١٤	ولا هم لا ينصرون	ولاهم ينصرون
٤٨٨	٢٢	ولفد	ولقد
٤٨٩	٩	ليقولون	ليقولن
٤٩٠	٢٤	مستهم	مستهم)
٤٩٣	١٦	جذذا	جذاذا
٤٩٧	١٤	ما ينفعكم	مالا ينفعكم
٥٢٤	٢٣	أولوا العزم	أولو العزم
٥٤٥	١٩	إلى حين	إلى حين)
»	١٩	بالحق	بالحق)
٥٦١	١٠	والنص ي	والنصرى
٥٦٩	٢٥	سواءُ	سواءً
٦٠٠	٤	آيته	آيته
٦٠٥	٨	(وصدقوا بالله ورسوله)	وصدقوا بالله ورسوله
»	١٩	يو عقيم	يوم عقيم
٦٠٨	١	وهو الكبير	الكبير
»	٢٢	ذ ك	ذاك
٦١٠	٢٠	بدليل	بديل



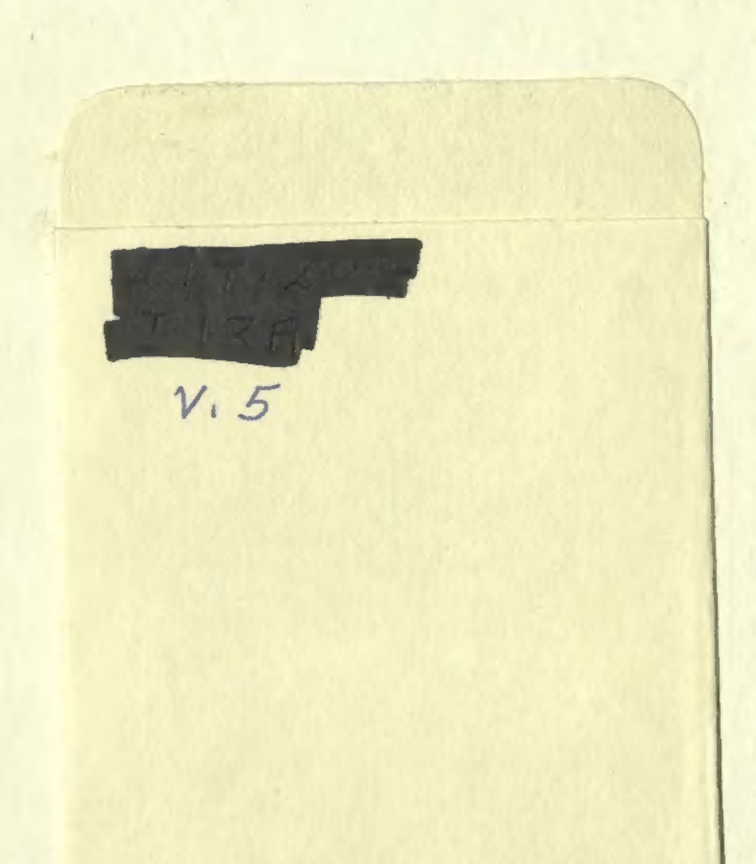


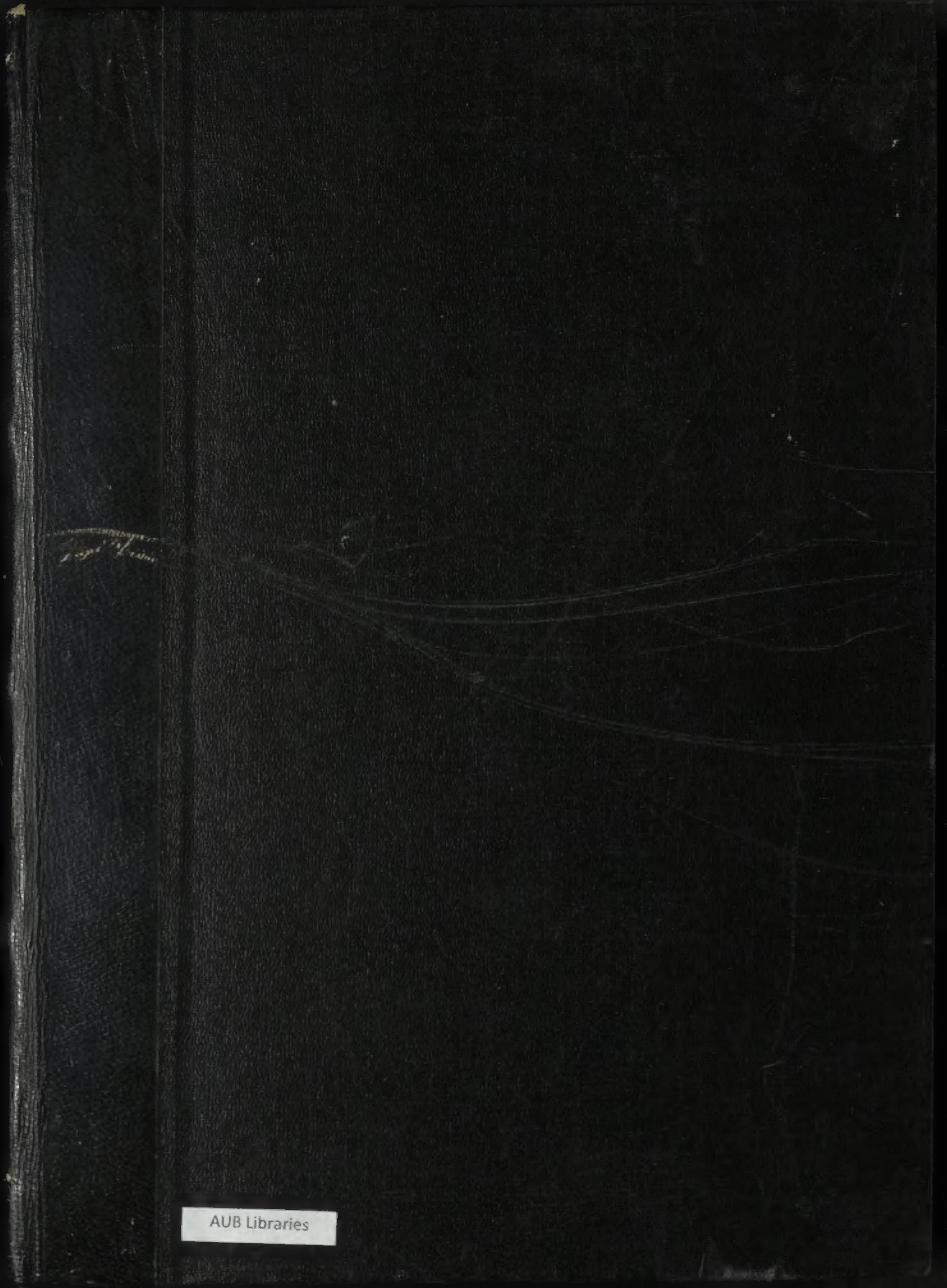





DATE DUE
J. Lib.
1 JUN 1979
JAFET LIB.
MAY 1988
J. Lib.
10 JUN 1983
JAFET LIB.
1 FEB 1993
JAFET LIB.
30 SEP 2009
J. Lib.
20 JAN 1987
JAFET LIB.
11 DEC 2008
Circulation Dept.






AUB Libraries